القـول المكتـوب
في تـاريـخ الجنـوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(من قبل الإسلام - ق١٥هـ/ ق٤ - ق٢١م)




❁ الجزء الرابع والعشرون ❁

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)

ح غيثان بن علي بن عبد الله جريس ، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس ، غيثان بن علي بن عبد الله

القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب : (موسوعـة تاريخيـة حضاريـة) (من قبل الإسلام - ق ١٥هـ / ق٤ - ق ٢١م) - (الجزء الرابع والعشرون) ./ غيثان بن علي بن عبد الله جريس -. الرياض ، ١٤٤٣هـ

٥٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨- ٩٢٤٣ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥ ١٤٤٣/٢١٩٣

رقم الإيداع ١٤٤٣/٢١٩٣

ردمك:٨- ٩٢٤٣ - ٠٣-٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)

يوجد الكتاب كاملاً على الرابط الآتي : prof-ghithan.com

الرياض: مطابع الحميضي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

(أبها - المملكة العربية السعودية)


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست العام لمحتويات الكتاب

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين ، الذي جعل لكل شـيء قدراً ، وجعل لكل قدر أجلا ، وجعل لكل شـيء كتاباً. الحمد لله الذي أحصـى كل شيء عدداً ، وجعل لكل شيء أمداً، ولا يشرك في حكمه أحداً ، وخلق الجن وجعلهم طرائق قددا، والصـلاة والسـلام على رسـول الهدى . قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1] اللهم صـل على محمد وعلى آل محمد ، كما صـليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيـد . اللهـم بارك على محمـد وعلى آل محمد كمـا باركت على إبراهيـم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد . أحمد الله حمداً كثيراً أنني فرغت من تصـنيف هذا المجلد رقم (٢٤) مـن كتاب : **القـول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعـة تاريخية حضارية (من قبـل الإسلام ــ ق١٥هـ/ق٤ ـ ق٢١م)**[2] . ويتكون من مقدمة وخاتمة وستة أقسام رئيسية على النحو الآتي :

١ - القسـم الأول : بحثـان في العصريـن القـديم والإسلامي المبكر عـن موضوعات تاريخية حضاريـة في جنـوب شبـه الجزيـرة العربيـة. الأول : النصـرانية في جنوب شـبـه الجزيرة العربية في ضوء رؤية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس . **والثاني:** نقوش إسلامية مؤرخة في القرنين الثاني والثالث الهجريين بمركز الثنية في بيشة [3].

٢ - القسـم الثـاني : الحياة الاقتصادية في الطائف منـذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين عام (١ـ٤٠هـ/٦٢٢ـ ٦٦١م). [4]

٣- القسـم الثالـث : دراسات في تاريخ عسير الحديث والمعاصـر (ق١٣ـ ١٥هـ /ق١٩ - ٢١م)

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٥٦) ٠

(٢) أدون مقدمة هذا الجزء رقم (٢٤) يوم الخميس (١/ربيع الأول/١٤٤٣هـ الموافق ٧/أكتوبر /٢٠٢١م) . وأسأل المولى ـ عز وجل – أن لا يحرمني أجر هذا الجهد ، وأن يكون من العمل المقبول والنافع لي في الدنيا والآخرة .

(٣) هذان الموضـوعان لأستاذين قديرين لهما باع كبير في الدراسـات التاريخية والحضارية الإسلامية المبكرة والوسيطة . ومازالت جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة أراضي السروات وتهامة تحتاج إلى جهود علمية كبيرة .أمل أن نرى من الأساتذة المتخصصين في جامعاتنا المحلية أو الجامعات العربية والأجنبية إسهامات أفضل وأعمق تؤرخ لهذه البلاد الثرية بتراثها وموروثها الحضاري المتنوع .

(٤) هذه الدراسة قدمت رسالة ماجستير لإحدى طالباتنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد ، ونالت الطالبة الدرجة العلمية المطلوبة . ثم أعدت النظر في البحث وحذفت بعض الزوائد والحشو منه ونشرته تحت اسم الطالبة حتى تعـم فائدتـه . وأثناء عملي في جامعتي الملك سـعود ثم الملـك خالد أكثر من أربعين عامـا اطلعت على الكثير من الرسـائل العلمية الجيدة لدرجتي الماجسـتير والدكتوراه ، وبعد مناقشـتها ومنح أصحابها درجاتهم العلمية ، ثم حفظها في مخازن مكتبات الجامعات المركزية ، وضـاعت فائدتهـا والانتفاع بعلمها. حبذا أن تقوم وزارة التعليم بمشروع كبير يدعم طباعة ونشر كل رسالة علمية متميزة في أي تخصص علمي بالجامعات السعودية ٠

ـ يحتـوي على أربعة أبحــاث متنوعة في مادتها العلمية ، لكنها تصـب في خدمة التاريخ الحديث والمعاصر لبلاد عسير خلال القرون والعقود الماضية٠

٤-القسم الرابع : اللغة الهجين : دراسة لسانية اجتماعية (جنوب المملكة العربية السعودية أنموذجاً)[١] .

٥-القسـم الخامس : جـازان ونجـران في كتابـات بعض الرحالـين الغربيـين، ورحلتي في القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . ويحتوي على ثلاثة موضوعات تصب جميعها في ميدان الرحلات لبعض مناطق جنوب المملكة العربية السعودية[٢] .

٦- القسـم السادس : مـن الذكريـات والمشاهـدات ، وسـيرة علميـة خاصـة (١٣٧٩ـ ١٤٤٣هـ/١٩٥٩ـ٢٠٢١م). يحتوي على موضــوعين الأول ذكريات ومشــاهدات عاصرتها خلال ســتة عقود. والثاني خلاصة ســيرتي العلمية منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)[٣] ٠

(*) **في الختام** : الحمد لله والشـكر على اتمام هذا العمل ، وأســأل الله ـ عز وجل ـ أن يرزقنا صلاح القول والعمل، وأن يجعلنا من عبادهِ العابدين الشاكرين لفضله ونعمه وكرمه . كما أشــكر كل من قدم لي مســاعدة أو عوناً، مهما كان نوعه ، حتى خروج هذا العمل العلمي . وصــلى الله وســلم على خير البشــرية ، وهادي الأمة إلى طريق الرشــد والصواب ، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي وعلى آله وصحبه وسلم.

كتب ورتب وصنف وانتهى من هذا العمل العلمي العبد الضعيف الذي يطلب ويرجو رحمة ربه (عز وجل) غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري الهنوئي الأزدي بمدينة القاهرة (جمهورية مصر العربية) يوم الخميس (١ /ربيع الأول/١٤٤٣هـ/الموافق ٧ / أكتوبر/ ٢٠٢١م)٠

---

(١) هذه الدراسة عمل ميداني قام به أستاذ متخصص في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد . ونحن في حاجة كبيرة لمن يدرس لغات ولهجات بلدان السروات وتهامة . ومن يفعل ذلك يجد تنوعاً كبيراً في الموروث الأدبي واللغوي الذي تشتمل عليه المنطقة من حواضر الحجاز الكبرى إلى بلاد زبيد وصنعاء في اليمن ٠

(٢) للمزيد انظر محمد بن أحمد مُعَبّر . الرحلات والرحالة في الجنوب السـعودي (في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس ، ق٢ـ ق١٥هـ/ق٨ـ ق٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) . هذا العمل يقع في مجلدين أكثر (١١٠٠صـفحة) : حبذا أن تجمع مدونات وأقوال وشـروحات كل الرحالة والجغرافيين الذين زاروا أو كتبوا عن بلاد تهامة والسـراة منذ فجر الإسـلام حتى وقتنا الحاضـر . وهذه المصـادر والمراجع تحتوي على مادة علمية جيدة يصعب أن نجدها في موارد ومصادر أخرى .

(٣) قـد يظهـر منتقدون لما وثقته في هذا القسـم ، لكن هذا اجتهاد مني ، يحتمل الصـواب أو الخطأ . أرجو أن يكون في مادته نفع لطلاب العلم والمعرفة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . ولا أدعي الاستيفاء لكل الجوانب ، لكنني اجتهدت وأسأل الله الأجر والثواب ٠

القسم الأول

بحثان في العصرين القديم، والإسلامي المبكر عن موضوعات تاريخية حضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية

القسم الأول

بحثان في العصرين القديم ، والإسلامي المبكر عن موضوعات تاريخية حضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية

أولاً : مدخل:

جنوب شبه الجزيرة العربية ذا تاريخ قديم وعريق ، فموقعها الجغرافي واحتواء أرضها على الكثير من الموارد الطبيعية (السطحية والمدفونة) جعلتها من أقدم المستوطنات البشرية ، كما شجعت العديد من الإمبراطوريات والقوى السياسية القديمة في مد نفوذها والسيطرة عليها . ولم تكن هذه البلاد خالية من العقائد والحياة الدينية المتنوعة . فالوثنية ، واليهودية، والنصرانية ، والمجوسية ، وغيرها من الأديان التي ظهرت فيها قبل الإسلام ، واستمرت بعض هذه العقائد في بلاد اليمن وما جاورها خلال العصور الإسلامية المختلفة . والباحث في المصادر والمراجع العربية والأجنبية يجد الكثير من البحوث والتفصيلات التي أرخت لبلدان عديدة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، مثل: نجران ، وظفار، وصنعاء، وعدن، وموانئ أخرى عديدة على ساحل البحر الأحمر الشرقي [١].

---

(١) من خلال رحلاتي ودراساتي في البلدان العربية والأجنبية خلال الأربعين عاماً الماضية شاهدت واطلعت على عشرات الكتب والبحوث ، والرسائل العلمية التي وثقت جوانب تاريخية وحضارية كثيرة عن مدن وحواضر وأقوام عاشوا في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ العصر الحجري إلى القرون الأولى والوسيطة من عصر الإسلام .

كما سبق أن درست ونشرت العديد من البحوث العلمية عن جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة بلاد نجران، وجازان ، وعسير، والسراة منذ عصر ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر [١]. وفي هذا القسم ننشر دراستين علميتين لأستاذين قديرين متخصصين . الأولى بعنوان: النصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية في ضوء رؤية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس حوالي (٣٦٨ـ ٤٣٠/ ٤٤٠) [٢]. والدراسة الثانية: نقوش إسلامية مؤرخة في القرنين الثاني والثالث الهجريين في مركز الثنية في بيشة منطقة عسير [٣]. والدراستان رصدتا صفحات تاريخية وحضارية عن نواح عديدة في جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده . ولا ندعي الكمال والاستيفاء فيما تم توثيقه ، لكنها بحوث علمية لا تخلو من الجديد في محتواها ومنهجها ، وقد تفتح آفاقاً أوسع لمن يريد البحث والدراسة لأرض وسكان جنوب شبه الجزيرة العربية القديم والإسلامي المبكر والوسيط [٤].

---

(١) للمزيد انظر الكثير من هذه الدراسات في مجلات علمية محكمة مثل: الدارة ، والمؤرخين العرب ، والمؤرخ المصري . ومجلات بعض الجامعات العربية مثل جامعتي الملك سعود ، والإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعتي القاهرة والإسكندرية ، وجامعتي اليرموك والأردنية . بالإضافة إلى العديد من مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة .

(٢) هذه الدراسة للأستاذ الدكتور عبدالعزيز رمضان ، أستاذ التاريخ في العصور الوسطى في جامعتي عين شمس والملك خالد . وسبق أن نشرت له العديد من الدراسات عن جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة نجران في عصور ما قبل الإسلام . وهذه الدراسة تكملة لتلك الدراسات المنشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (الأجزاء من ١٨ـ ٢١) .

(٣) هذه الدراسة للأستاذ محمد بن جرمان الأكلبي ، وهو متخصص في تاريخ ونقوش محافظة بيشة ، ونشرت له أيضاً عدد من البحوث القديمة والحديثة عن بلاد بيشة . وهذه الدراسة تأتي ضمن اهتمامات الأكلبي ببلاده ومسقط رأسه (محافظة بيشة) . ومازالت محافظة بيشة وما جاورها من بلاد الباحة وعسير جديرة بالبحث والتنقيب . نأمل من جامعات الملك خالد ، وبيشة ، والباحة أن تؤسس مراكز بحوث علمية تهتم بتاريخ وتراث وموروث بلاد السراة الممتدة من بلاد غامد وزهران شمالاً إلى بلاد شهران وقحطان ونجران جنوباً .

(٤) آمل أن نرى في جامعاتنا العربية في جنوب شبه الجزيرة العربية مسارات وفروع متخصصة في التاريخ القديم ،والنقوش والآثار المبكرة قبل ظهور الإسلام ، وفي العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .

ثانياً: النصرانيـة في جنوب شبـه الجزيرة العربية في ضـوء رواية المؤرخ البيزنطي فيلوستورجيوس (حـوالي ٣٦٨-٤٣٠/ ٤٤٠م). بقلـم. أ. د. عبد العزيز رمضان [١]

أولا. المقدمة:-

يتفق الباحثون الحديثون على أن جنوب الجزيرة العربية بدأ يهجر الوثنية ويتعرف علـى نـوع من العقيدة التوحيدية منذ منتصـف القـرن الرابع الميلادي، ويسـتندون في ذلـك إلى أن هذا التوقيت شـهد ظهور نقوش كُرسـت لإله سُـمى "رحمن" Raḥman، ووُصـف بأنه "رب السـماء" و"رب السـماء والأرض".[٢] ورغم أن الغالبية العظمى من

---

(١) عمل الدكتور عبد العزيز رمضان أستاذا لتاريخ العصور الوسطى في جامعة عين شمس منذ عام ٢٠١٥م، وتقلـد عـددا مـن الأعمال الإداريـة والأكاديمية والشـرفية في جامعة عين شـمس. وعمل لفترات قصـيرة بجامعات عربية وأوربية. ويعمل الآن في قسـم التاريخ بجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السـعودية، وهو عضـو في عدد من الجمعيات واللجان والمجالس العربية والغربية، كما تولى رئاسـة تحرير وإدارة عدد من المجلات العلمية في مصـر، والمملكة العربية السـعودية. شـارك في عدد من المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية في العديد من الدول العربية والأوربية، ونشر دراسات وبحوثا علمية عديدة بالعربية والإنجليزية في مجلات وكتب علمية عربية وغربية. (ابن جريس).

(٢) سـجل كريستيان روبن نقشا مكتشفا حديثا ومؤرخا بعام ٣٥٥م يتضمن مثل هذه الصيغ التوحيدية. Robin, Ch., "Himyar et Israël", *Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres* 148/2 (2004), pp.831-908, esp.837 n.35.. بينمـا تعـود أولى النقوش التوحيديـة الملكيـة إلى عـام ٣٨٤م في عهد ملوك حمـير: ملكي كـرب يهأمـن Malkīkarib Yuha'min وولديه ذرع أمر أيمن Dhara' 'amar Ayman وأبو كرب أسعد Abīkarib As'ad. Müller, W.W., "Religion und Kult im antiken Südarabien", in: *Polytheismus und Monotheismus in den Religionen des Vorderen Orients*, ed. M. Krebernik and J. Oorschot, Münster, 2002, pp.175-194, esp.190-

هذه النقوش لا تتضـمن سـوى هذا المسـمى والنعوت العامة التي لا تشـير صـراحة إلى تأثير أي من الديانتين التوحيديتين آنذاك، اليهودية والمسـيحية،[١] فإن بعض الباحثين يميلـون إلى الاعتقاد في أنـه تأثير مبكر لليهودية؛[٢] ويعتمـدون في ذلك على نقش عُثر عليه في ظفار، مؤرخ بالربع الأخير من القرن الرابع، ويسجل قيام شخص يدعي يهودا ياكوف Yahūdā Yakkūf بتشييد منزل له بمساعدة "رب السماء والأرض" وبـ "صلاة شـعب إسـرائيل" [B-ṢLT Š'B YŚR'L] . هذا فضـلا عن نقش أخر ورد فيه "شعب إسرائيل" [Š'B YŚR'L] مؤرخ بأبريل ٤٧٠م في عهد شرحبيل يانكف.[٣]

ويتجه أنصار هذه الفرضية إلى التأكيد على أن اليهودية وجدت طريقها إلى جنوب الجزيـرة العربية في وقت مبكر؛ فعلى حد قولهـم أن اليهودية دخلت المنطقة في حوالي القـرن الأول الميـلادي –إن لم يكـن قبل ذلك-، ثـم اعتنقها ملوك حمـير بين القرنين الرابع والسـادس الميلاديين، وإن لم يعتنقها جميع السـكان.[٤] إذ يعلق فرانسوا بركيل Francoise Briquel علـى تهـود الملـك يوسـف ذو نواس، ملك حمـير في أوائل القرن السـادس الميلادي، بقوله: "تعود أدلة انتشـار اليهودية في الجزيرة العربية إلى ما قبل القرن السـادس بكثير. ونمتلك بشـأن جنوبها شـواهد عن تأثير اليهوديـة تعود إلى ما

191.. وأنظر أيضـا جدول النقوش التوحيدية منذ منتصـف القرن الرابع عند Gajda، I., "Les débuts du monothéisme en Arabie du Sud", *Journal asiatique* 290 (2002), pp.611-30, esp.625-8..

(١) عن هذه النقوش ذات الدلالة الغامضـة، انظر، Gajda, I., "Les débuts", p. 619, n.18, 19; Robin, "Himyar et Israël", pp.443-844, 882-890; Robin, Ch., "Le judaïsme de Ḥimyar", *Arabia* 1(2003), pp.97-172, esp.170-172.

(2) Müller, "Religion und Kult", p.190; Robin, "Himyar et Israël", p.848; Idem,"La diffusion des relligions monothélists en Arabie du sud avant l' Islam", *Revue du Monde Musulman at de la Méditerranée* 61 (1991-2), pp.144-150; Nebes, N., "The Martyrs of Najran and the End of the Himyar: On the Political History of South Arabia in the Early Sixth Century", in: *The Qur'an in Context. Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu,* ed. A. Neuwirth, N. Sinai and Marx, Leiden, 2010, pp.27-59, esp.63-39.

وانظر باللغة العربية، ذكرى عبد الملك المطهر، الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى القرن السـادس، رسـالة ماجسـتير، كلية الآداب، جامعة صـنعاء، ٢٠٠٣م، ص١٦-٣٧؛ كوثر محمد سعيد محمد علي، حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة: دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠١٥م، ص١١١-١٢٠.

(3) Hatke, *Africans in Arabia Felix*, pp.91-92.

(4) Papathanassiou, A.N., "Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia", *Theologia (Athēnai)* 65/1(1994), pp.133-140, esp.135; Ryckmans, J., *La persécution des chrétiens Himyarites au sixième siècle*, Uitgaven Nederlands hist.-arch. Instituut te Istambul 1. Istambul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1956, p.12; Smith, S., "Events in Arabia in the 6th century AD", *Bulletin of the Schoo1 of Oriental and African Studies* 16 (1954), p.462; Beeston, A. F. L., "The Religions of Pre-Islamic Yemen", in: *L'Arabie du Sud*, ed. J. Chelhod, I (1984), pp.259-269, esp.276-277..

قبل عهد ذونواس...وعلى ذلك لم يكن تهود ذو نواس حدثا ذي خصوصية جديدة"[١] أما كريستيان روبن فقد ذهب إلى أبعد من ذلك باقتراحه أن ملوك حمير التزموا اليهودية، وإن ميز بين درجتين من هذا الالتزام، بقوله: "الدرجة الأولى هي التقيد بقيم ومعتقدات اليهود، مع المشاركة في طقوسهم وأعيادهم، ولكن دون الانفصال عن طريقة الحياة والتقليد. أما الدرجة الثانية فتتمثل في التحول الحقيقي، مع تغيير الهوية والانخراط في المجتمع اليهودي. ويرى روبن أن الملوك من أبو كرب أسعد (حوالي ٤٠٠-٤٤٠م) إلى نهاية القرن الخامس تمسكوا بيهودية الدرجة الأولى، حتى جاء يوسف ذو نواس وتبنى يهودية الدرجة الثانية.[٢] وهو الرأي الذي علق عليه هاتكي بقوله: "حتى لو كان ملوك حمير في القرن الخامس أتباعاً اسميين لدين ربما لم يعرفوا عنه إلا القليل، فلا يمكن أن نشك في كون رعاياهم اليهود قد استفادوا كثيرًا من الدعم الرسمي الذي جاء على حساب المجتمع المسيحي في حمير".[٣]

وبرغم التسليم بالوجود اليهودي الواضح في جنوب الجزيرة العربية، إلا أن ثمة سؤال لم تجب عنه الفرضية آنفة الذكر يتعلق بكيفية تبرير تواصل استخدام نفس العبارات التوحيدية الغامضة طوال القرن الخامس. وقد لمح عدد من الباحثين الحديثين، في ظل غياب نقوش صريحة تدل على ولاء أولئك الملوك لليهودية، إلى وجود قصور ما في الفرضية التي تبنوها؛ فناشرا نقش الملك شرحبيل يانكف في معسال Ma'sal، والمؤرخ بعام ٤٧٤م، وجدا صعوبة في تفسير إصرار الملك على تكريس نقشه للإله "رحمن"، رغم أن اليهودية –وفقا لطرحهما- كانت قد ترسخت في جنوب الجزيرة العربية وقتذاك، وفي الوقت الذي اقترحا أن "اليوم لم يعد ثمة شك في أن اليهودية كانت ديانة الدولة لمملكة حمير"، وجدا نفسيهما مضطرين إلى الإقرار بأنه "مع ذلك؛ تظل النقوش الملكية أكثر غموضا في مفرداتها الدينية، الأمر الذي يشي بأنه كان لدى حكام حمير، باستثناء الملك يوسف أسأر يثأر، بعض الممانعة تجاه التصريح بولائهم لليهودية".[٤] كذلك من الملاحظ أن كريستيان روبن، وهو من أكثر الباحثين المؤيدين لفكرة أن "المسيحية نفذت إلى جنوب الجزيرة العربية في وقت متأخر، وهذا

(1) Briquel, F., "The Syriac sources relating to the persecution of Christians of Najran in South Arabia", *The Harp* 8-9 (July 1995-1996), pp.41-51.

(2) Robin, "Le judaïsme", p. 148.

(3) Hatke,G., *Africans in Arabia Felix: Aksumite Relations with Himyar in the Sixth Century C.E.*, PhD. dissertation, Princeton University, 2011, p.94.

(4) Prioletta, A., & Arbach, M., "Ḥimyar en Arabie déserte auVe siècle de l’ère chrétienne: une nouvelle inscription historique du site de Maʾsal (Arabie Saoudite)", *Académie des inscriptions & belles-lettres* (2016), II, pp.917-957, esp.948-950.

يرجــع إلى الاختيار الاســتراتيجي لزعماء حمــير الذين دعموا اليهوديــة"، لم يجد ما يدعم رأيه، فافترض ما أسماه "الدعم السري" لليهودية.(١)

وفي الوقــت الــذي يبدو هذا الطرح لا يجيب على تســاؤلات مهمــة، أهمها: هل كان ملــوك حمــير بحاجــة إلى إخفاء ولائهــم -أو على الأقل ميلهــم- لليهوديــة؟ أو بعبارة أخــرى أكثر مباشــرة: لماذا لم تظهر مفردات تشــي بيهوديتهم على أي من نقوشــهم؟، فإن أصــحابه لم يتمكنوا أيضًــا من التدليل على كون هذه العبارات التوحيدية تشير إلى اليهودية، خصوصــا أن توظيف نقوشــ لمواطنين يهود بهدف المقاربة أو الإســقاط على الملــوك أمر قد تشــويه الدقة؛ فلا خلاف حول وجود جماعــة يهودية في جنوب الجزيرة العربية تبوأت مكانا بارزا في قصــور بعض ملوك حمير، إلا أن ذلك لا يعني بالضــرورة اعتناق أو موالاة جميع ملوك حمير لليهودية في القرن الخامس الميلادي.

على الجانب الآخر ناقش عرفان شــهيد Irfan Shahid القضية من زاوية مختلفة؛ وذلك في ســياق مناقشــته لرواية المؤرخ الكنســي فيلوســتورجيوس Philostorgius(٢)- المتــوفي حوالي عام ٣٦٤م- بشــأن إرســال الإمبراطور البيزنطي قنســطنطيوس الثاني (٣٣٧-٣٦١م) Constantius II لأحــد رجالــه الأريوســيين(٣)، وهو المدعــو ثيوفيلوس الهندي، في مهمة تنصــيرية إلى مملكة حمير في جنــوب الجزيرة العربية (حوالي عام ٣٥٦م). إذ فند مقاربة بعض الباحثين التي تتخذ من غياب الإشــارة للمسيحية في هذه النقوش دليلا على فشــل ســفارة ثيوفيلوس في تحقيق هدفها، مقترحا أن الاعتماد على النقوش وحدها قد يكون مضللا بشكل كامل، بل ربما يمكن تفسيرها في غير صالح ذات المقاربة. ويرى شهيد بعدم وجود مبرر للتشكيك في رواية فيلوستورجيوس لكونها شاهداً

(١) Robin, "Najrān vers l'époque du massacre", p.64 . كذلــك، لاحــظ الباحثون أن فترة حكم كل من مارثدئيل ينوف Marthad'īl Yanūf العرش (حوالي ٥٠٤-٥١٨م) ومعد كرب يعفور (حوالي ٥١٨-٥٢٣م)، وحتى اعتلاء يوسف السلطة عام ٥٢٢م شهدت اختفاءً لنقوش المواطنين اليهود في جنوب الجزيرة العربية، وهو ما فسره كريستيان روبن بكون مارثدئيل ينوف ومعد كرب يعفر نبلاء مسيحيين ساعدتهم أكسوم لبلوغ السلطة. Robin, "Himyar et Israël", pp.871-872; Shitomi, Y., "A New Interpretation of the Monumentum Adulitanum", *Memoirs of the Research Department of the Toyo Bunko* 55 (1997), pp.81-102; Hatke, *Africans in Arabia Felix*, pp.94-96.

(٢) مــؤرخ كنســي عاشــ في القرنــين الرابع والخامســ الميلاديــين. لا نعرف عنه ســوى أنه وُلد في بوريســوس بقبادوقيا، ربما من عائلة أريوســية. انتقل للعيش في القســطنطينية وهو في العشــرين من عمره. وقد فقد أصــل كتابــه، إلا أن فوتيوســ، مؤرخ القرن التاســع، ضــمنها في عملــه "المكتبة". كذلك نقــل عنه مؤرخون لاحقــون، الأمــر الذي مكّــن الباحثين من إعــادة بناء مؤلفــه. لمزيد من التفاصــيل انظــر، Lankina, A, *Reassessing Historiography in Late Antiquity: Philostorgius on Religion and Empire*, PhD Dissertation, University of Florida, 2014, p.11ff.

(٣) الأريوســية مذهــب مســيحي منســوب إلى القسـ السـكندري أريوسـ (حــوالي ٢٥٠-٣٣٦م)، ومــؤداه أن المســيح مخلــوق وغــير مســاوي لــلآب، وهو الــرأي الذي شــجبه مجمــع نيقية عــام ٣٢٥م واعتــبره هرطقة. Wiles, M., *Archetypal heresy: Arianism through the Centuries*. Oxford: Clarendon Press, 1996, p.5.

أدبياً لم يجد ما يدعمه من النقوش، مدافعا عنها بقوله أن معرفتنا بأحداث اضطهاد مسيحيي نجران على يد الملك اليهودي يوسف ذي نواس أوائل القرن السادس بدأت بالمصادر الأدبية قبل اكتشاف النقوش التي أكدت صحتها[١] .

وبوجه عامٍ، دافع شهيد عن رواية فيلوستورجيوس بقوله: "عندما يكون المصدر الأدبي موثوقا به ينبغي أن نتخذه شاهدا على إشكالية دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن الرابع؛ وهذا هو حال رواية فيلوستورجيوس، فهي ليست مجرد عبارة قصيرة أو غامضة بحيث يمكن احتمال إساءة تفسيرها أو فهمها، بل هي رواية جديرة بالثقة سجلها شخص عاش لفترة طويلة بعد سفارة ثيوفيلوس الهندي، كما أنها تمتلئ بالتفاصيل التي تحمل طابع الأصالة. ومن ثم ينبغي أن تكون هذه الرواية دليلا على الوجود المسيحي في جنوب الجزيرة العربية في القرن الرابع، حتى وإن لم يتم العثور على نقوش مسيحية مؤكدة تدعمها".[٢]

وبعيدا عن فرضية شهيد، انساق عدد من الباحثين العرب -في إشاراتهم العابرة لسفارة ثيوفيلوس- وراء فرضية دخول المسيحية المتأخر إلى جنوب الجزيرة العربية، واستبعدوا، شأن أنصار هذه الفرضية، أن تكون هذه السفارة قد حققت أهدافها في إدخال عدد كبير من السكان المحليين في المسيحية.[٣] بينما اتجه البعض الأخر –بشكل عابر وفي سطر واحد- إلى الجزم بأن السفارة نجحت في نشر المسيحية في جنوب الجزيرة العربية دون تقديم المبررات التي استندوا إليها في هذا الجزم.[٤]

---

(1) Shahid, I., *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, D.C., 1984, pp.100-103.

(2) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.103.

(٣) يفترض هؤلاء الباحثين وجود أهداف تجارية وسياسية للسفارة، وحدد بعضهم تاريخ السفارة خطأ بعام ٣٤١م أو ٣٤٥م. انظر، عائشة سعيد أبو الجدايل، ديانة شهداء نجران: قراءة جديدة للمصادر الأولية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٢٢، الحولية ٢٥، ٢٠٠٤م، ص١٧-١٨؛ نورة عبد الله النعيم، الحالة الدينية في نجران قبل الإسلام، أدوماتو، ع٩٢، يناير ٢٠٠٤م، ص٥١-٦٠، خاصة ص٥٧؛ كوثر محمد سعيد محمد علي، حادثة الأخدود، ص١٣٥-١٣٦؛ ذكرى عبد الملك المطهر، الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية، ص٤٣. ذكر جواد علي تاريخين للسفارة، هما ٣٥٤م و٣٥٦م، واقترح أن هدفها سياسي لضم حمير والحبشة إلى معسكر البيزنطيين. انظر، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ط٢، بغداد، ١٩٩٣م، ص٦١٢-٦١٣. أما جورج قنواتي فأشار بإيجاز –في ثلاثة أسطر- ودون مناقشة إلى صعوبة قبول رواية فيلوستورجيوس متأثرا بالرأي القائل بدخول المسيحية المتأخر إلى جنوب الجزيرة العربية. انظر، جورج شحاتة قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م، ص٦١.

(٤) انظر، محمد آل هتيلة، نجران والنصرانية الأولى، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٥م، ص٦٧. وهناك دراسات أخرى لم ترد بها أية إشارة عن السفارة. انظر، فاضل الربيعي، المسيح العربي: النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي الفارسي، بيروت: ضياء الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٩م، ص٩٧-١٠١.

ولأن معاصــرة هذه السـفارة بأهدافها التنصـيرية لظهور نقوش توحيدية لا تحدد ماهية هذا الدين التوحيدي أمر يمكن تفسـيره في صـالح فرضـية تواجد مسـيحي في جنـوب الجزيرة العربية منتصـف القـرن الرابع الميـلادي، فإن هذه الدراسـة تهدف إلى إعـادة مناقشـة القضـية من خلال روايـة المـؤرخ البيزنطي فيلوسـتورجيوس عن تاريخ وظروف دخول المسـيحية إلى جنوب الجزيرة العربية، وبمعزل عن مشـكلة غياب الإشارات الصريحة إليها في نقوش القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وذلك بمقاربة هــذه الروايــة ببعض شـواهد المصــادر الأدبية الأخرى، سـواء البيزنطية أو المسـيحية الشرقية التي لم يُلتفت إليها من قبل الباحثين الحديثين.

ثانيـا. روايـة فيلوستورجيوس وإشكاليـة دخـول المسيحيـة إلى جنـوب الجزيرة العربية:

ووفقا لرواية فيلوسـتورجيوس، اضـطلع ثيوفيلوس الهندي بتكليف من الإمبراطور قسـطنطيوس الثاني بسفارة دبلوماسية "إلى موطنه" لإعداد تقرير مفصل عن عقائد أهلـه، الذيـن دعاهـم "هـذا الجنس من الهنـود"، و"الـذي عُرف قديما بالسـبئيين، نسـبة إلى عاصـمته سـبأ، بينما صـار الآن يُعرف بالحميريين *Homeritae*".[١] وجاء في التقريـر الـذي قدمـه ثيوفيلوس إلى الإمبراطـور: "ينحدر هذا الشـعب من نسـل إبراهيـم عبر [زوجته] قطـورة[٢] Keturah، وتُعرف بلادهـم بجزيرة العرب الكبرى *Arabia Magna*، أو ببلاد العرب السـعيدة *Arabia Felix*، كما أطلق عليها الإغريق. يحدها المحيط الخارجي. عاصـمتها سـبأ حيث انطلقت الملكة في رحلتها إلى سـليمان. وفيهـا يمارس الناس عادة الختان في اليوم الثامن [بعد الـولادة]. ويقدمون القرابين للشمس والقمر والأرواح المحلية. وهناك عدد غير قليل من اليهود يعيشون بينهم".[٣]

---

(1) Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Brill: Leiden, Boston, 2007, pp.22,40.

(٢) وفقا للتوراة هي الزوجة الرابعة لإبراهيم عليه السـلام. ولدت له سـتة أولاد هم: زمران ويقشـان ومدين وميـان وشـبياق وشـوحا. Singer, "Keturah", *The Jewish Encyclopedia*, New York: Funk & Wagnalls, 1907.؛ انظر كذلك حاشية ٢٠.

(3) Phiostorgius, *Kirchengeschichte. Mit dem Leben des Lucian von Antiochien und den Fragmenten eines arianischen Historiographen*, ed. J. Bidez, rev. F. Winkelmann, Leipzig, 1913, pp.32-33; Eng. trans. Philostorgius, *Church History*, p.40.]Ὅτι Κονστάντιόν φησι διαπρεσβεύσασθαι πρὸς τοὺς πάλαι μὲν Σαβαίους, νῦν δὲ Ὁμηρίτας καλουμένους. ἔστι δὲ τὸ ἔθνος τῶν ἐκ Χεττούρας τῷ ᾿Αβραὰμ γεομένων. τὴν δὲ χώραν μεγάλην τε ᾿Αρβίαν καλεῖσθαι καῖ εὐδαίμονα πρὸς τῶν Ἑλλήνων. καθήκειν δὲ ἐπὶ τὸν ἐξωτάτω ᾿Ωκεανόν ἧς μητρόπολις ἡ Σαβά ἐξ ἧς καὶ ἡ βασιλὶς ὡς τὸν Σολομῶντα παργεγόνει. ἐμπερίτομον δὲ τὸ ἔθνος κατὰ τὴν ὀγδόην περιτεμνόμενον ἡμέραν. καὶ θύουσιν ἡλίῳ καὶ σελήνη καὶ δαίμοσιν ἐπιχωρίοις. οὐκ ὀλίγον δὲ πλῆθος καὶ ᾿Ιουδαίων αὐτοῖς ἀναπέφυρται.].

وإذا كانت هذه الرواية تكشف عن منظور توراتي برد أصل الحميريين إلى ابراهيم وقطورة،[١] كما أنها رددت ما شاع في المصادر البيزنطية المبكرة من خلط بين الهنود وعرب جنوب الجزيرة العربية،[٢] فإن أهميتها تكمن في كونها تشير إلى وجود ما وصفه عرفان شهيد Irfan Shahid بـ "الجالية اليهودية الكبيرة"،[٣] وفي كونها –وفقا لجوردون نيوباي Gordon Newby المتخصص في تاريخ اليهود العرب- أول شاهد في المصادر الأدبية على تواجد اليهود في جنوب الجزيرة العربية،[٤] ومن ثم فإنها تدعم الرأي القائل بتأثير يهودي مبكر على التوحيدية الحميرية، بينما تلمح إلى غياب أي تأثير للمسيحية حتى وقت سفارة ثيوفيلوس. ومع ذلك؛ ثمة مصادر أدبية أخرى مبكرة تشير إلى أن التبشير بالمسيحية في جنوب الجزيرة العربية بدأ منذ فترة مبكرة للغاية ترجع إلى القرن الأول الميلادي.

ونصادف أولى هذه الروايات عند المؤرخ الكنسي يوسيبيوس القيصري Eusebius (٢٦٣-٣٣٩م)، وجاء فيها: "يُقال أن Pantaenus بانطاينوس [الفيلسوف السكندري المتوفي حوالي ٢١١م] ذهب إلى الهنود، ووجد نسخة من الإنجيل برواية متى بين بعض ممن يعرف المسيح؛ ذلك لأن برثولوميوس Bartholomew،[٥] أحد الرسل، كان قد بشر بينهم وترك لهم كتابة متى باللغة العبرية، وهي التي بقيت بينهم حتى الوقت المذكور".[٦]

---

(١) يذكر العهد القديم عدة أولاد لإبراهيم غير إسماعيل وإسحق، ففي سنوات إبراهيم الأخيرة تزوج من قطورة، "فولدت له زمران ويقشان ومدان ومدين ويشباق وشوحا؛ وولد يقشان شبا (سبأ) وددان وبنو ددان اشوريم ولطوشيم ولوميم: وبنو مدين عيفة وعفر وحنوك وابيداع والداعة، وكل هؤلاء أولاد قطورة". التكوين ٢٥: ٢-٤.

(٢) عن الخلط المألوف في المصادر البيزنطية المبكرة بين الهنود والأحباش وعرب جنوب الجزيرة العربية، انظر، Mayerson, Ph., "A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources", *Journal of the American Oriental Society* 113/2(Apr.-Jun., 1993), pp.169-174; Schneider ,P., *L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.–VIe siècle après J.-C.),* École française de Rome, 2004. ومن المرجح أن هذا الخلط ورثه البيزنطيون عن المصادر الكلاسيكية، إذ خلطت منذ هوميروس وهيرودوت فصاعدا بين الحبشة والهند، انظر الدراسات المتخصصة: Nadeau, J.Y., "Ethiopians", *Classical Quarterly* 20(1970), pp.339-349; Dihle, A, "The Conception of India in Hellenistic and Roman Literature", *Proceedings of the Cambridge Philological Society* 190= new ser. 10(1964), pp.15-23.

(3) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.87.

(4) Newby, G.D., *A History of the Jews of Arabia from Ancient Times to their Eclipse under Islam*, Columbia: University of South Carolina, 1988, p.131 n.34.

(٥) أحد حواري المسيح الاثنى عشر، واسمه برثولوميوس هو اللفظ اليوناني لاسمه الآرامي الأصل "بَرْتَلْماي" أي ابن تلماي. يُذكر اسمه دوما مقترنا باسم الرسول فيلبس عند كل من متى ومرقس ولوقا.

(6) Eusebius, *The Ecclesiastical History*, ed. & trans. K. Lake, The Loeb Classical Library 39, London, New York, 1926, vol.1, pp.462-463.

وإذا كان يوسـيبيوس لم يحـدد في روايتـه هوية الهنـود الذين بشـر بينهم كل من برثولوميوس وبانطاينوس، فإن مكمل تاريخه الكنسي، روفينوس الأكويلي Rufinus of Aquileia (المتوفي حوالي ٤١٠م)، كان أكثر تحديدا بتمييزه بين "الهند القريبة" *India citerior* التي ذهب إليها برثولوميوس ثم بانطاينوس، والأخرى "البعيدة" *India ulterior* التي لم يبدأ التبشير فيها إلا على يد الفيلسوف ميترودوروس Metrodorus في عهد الإمبراطور قسطنطين (٣٢٤-٣٣٧م).[1]

وأخيرا جاء تأكيد المراد بمسمى "الهنود" في مؤلف جيروم Jerome (٣٤٧-٤٢٠م) المعنون "عن الرجال المشهورين" *De Viris Illustribus*، وورد فيه أن بانطاينوس: "أرسل إلى الهند من قبل ديمتريوس[2] Demetrius أسقف الإسكندرية، حيث وجد أن برثولوميوس، أحد الرسل الإثنى عشر، قد بشر بالمسيح وفقا لإنجيل متى بين الهنود المعروفين بالسعداء [بلاد العرب السعيدة] Ινδοῖς τοῖς καλουμένοις' Εὐδαίμοσιν، ووجد تلاميذا له هناك. وقد أحضر [بانطاينوس] معه هذا الإنجيل مكتوبا بالحروف العبرية".[3]

ومن المرجح أن إشارة هذه الروايات عن نسخة الإنجيل العبرية التي استخدمها برثولوميوس في التبشير داخل جنوب الجزيرة العربية أوائل القرن الأول الميلادي، ثم وجدها بانطاينوس خلال رحلته التبشيرية هناك أواخر القرن الثاني الميلادي، تكشف عن وجود مبكر لليهود في هذه المنطقة، كما تلمح إلى أن هذا النشاط التبشيري المبكر كان موجها إليهم بالأساس. ورغم أن هذه الروايات لم تشر صراحة إلى مدى نجاح برثولوميوس في مهمته التبشيرية، فإن إشارتها إلى تعرف بانطاينوس على عدد من المسيحيين هناك خلال الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي تلمح إلى أن المسيحية وجدت طريقها بين قطاع من أهل جنوب الجزيرة العربية طوال القرنين الأولين للميلاد.

وهذه الفرضية يمكن تعزيزها برواية أخرى لفيلوستورجيوس، جاء فيها: "إن كافة

(1) Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016, pp.207 and n.53, 393-394

عن دخول المسيحية المتأخر إلى الهند، انظر، Mingana, A., "The Early Spread of Christianity in India", *Bengal Journal of Religion and Literature* 10(1926), pp.453ff; Neill, S., *A History of Christianity in India*, Cambridge, 1984, pp.26ff.

(٢) أول أسقف يصلنا أسمه لكنيسة الإسكندرية، تولى الأسقفية خلال الفترة من ١٨٩م إلى ٢٣٢م.

(3) Hieronymus, *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum, PL* 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: Nicene and Post-Nicene Fathers, ed. Ph. Scaff, vol.3, New York, 1893, ch. xxxvi.

هنود الداخل عرفوا توقير المسيح من خلال تعاليم برثولوميوس الرسول".[١] ورغم أن فيليب أميدون Philip Amidon -مترجم نص فيلوستورجيوس إلى الإنجليزية- يذهب إلى أن مسمى "هنود الداخل" يشير إلى سكان شبه القارة الهندية وليس إلى عرب جنوب الجزيرة العربية،[٢] إلا أن رواية فيلوستورجيوس ذاتها تكشف عن الربط بين الطرفين؛ حيث تدرج بوضوح عرب الجنوب ضمن "هنود الداخل" τοὺς ἐνδοτάτω ᾿Ινδούς، وتذكر "أن هذا الجنس من الهنود كان معروفا بالسبئيين το δὲ τῶν ᾿Ινδῶν ἔθνος τοῦτο Σάπας ... لكنه يُعرف الآن بالحميريين τὰ νῦν δὲ ῾Ομερίας καλεῖσθαι".[٣] وعلى حد تحليل ناثانيل أندرادي Nathanael J. Andrade، أن فيلوستورجيوس هنا "كان يشير بوضوح إلى عرب جنوب الجزيرة العربية بوصفهم هنود الداخل، ويحدد هوية الحميريين باعتبارهم أحد أجناس هندية عديدة سكنت عالم المحيط الهندي".[٤]

وإذا كانت الروايات السابقة ترجع أول اتصال للمبشرين المسيحيين بجنوب الجزيرة العربية إلى وقت مبكر يعود إلى فترة برثولوميوس في القرن الأول الميلادي، وأن الأخير نجح في مهمته التبشيرية، بدرجة جعلت بانطاينوس يصادف عددا من المسيحيين هناك خلال الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي، فإن ذلك يفرض إشكالية تفسير غياب الإشارة إلى المسيحيين في تقرير ثيوفيلوس، في ظل إشارته الصريحة إلى اليهود، ورغم كونه تقرير صدر عن سفارة وفدت خصيصًا لاستكشاف الوضع الديني في جنوب الجزيرة العربية. وهو الغياب الذي دفع عرفان شهيد إلى الحكم بأن المسيحية لم تدخل جنوب الجزيرة العربية إلا عندما بلغها ثيوفيلوس، وإلى القول أن: "هذا يدل على أن مهمة بانطاينوس قبل قرن ونصف لم تسفر عن أية نتائج ملموسة أو دائمة للمسيحية".[٥]

ورغم أن الفترة الفاصلة بين زيارة كل من بانطاينوس وثيوفيلوس الهندي إلى جنوب الجزيرة العربية تزيد على قرن ونصف، وهي فترة ليست بالقصيرة وكفيلة بوقوع الكثير من التغيرات، إلا أنه من الصعب توقع حدوث شيء ما -لم تسجله المصادر الأدبية أو النقوش- أدى إلى اختفاء المسيحيين بشكل كامل، خصوصا أن كتابات مؤرخي الكنيسة لم تترك فرصة إلا وتناولت بالتفصيل أحداث الاضطهاد الذي تعرض

(1) Phiostorgius, *Kirchengeschichte*, p.18; Eng. trans. Philostorgius, Church History, p.22.]Ὅτι τοὺς ἐνδοτάτω ᾿Ινδούς, ὅσοι Χριστὸν ἔμαθον τιμᾶν ἐκ τῆς Βαρθολομαίου τοῦ ἀποστόλου διδασκαλίας.].

(2) Philostorgius, *Church History*, p.22 n.18.

(3) Phiostorgius, *Kirchengeschichte*, p.18; Eng. trans. Philostorgius, *Church History*, p.22.

(4) Andrade, N.J., *The Journey of Christianity to India in Late Antiquity: Networks and the Movement of Culture*, Cambridge, 2018, pp.74-75.

(5) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.87.

له المسـيحيون داخل وخـارج الإمبراطورية خلال القرون الثلاثـة الأول للميلاد. كذلك يمكن تفسـير غياب الإشارة للمسيحيين في تقرير ثيوفيلوس في ضوء طبيعة مهمته التي اصطبغت بطابع دبلوماسي رسمي في المقام الأول، عكس جهود برثولوميوس وبانطاينوس التبشيرية ذات الطابع الشعبي، ولذا من المحتمل أن ثيوفيلوس لم يلاحظ سوى الوثنيين واليهود الأكثر عددا والأقرب للسـلطة الحاكمة. ولعل إشارة فيلوستورجيوس الصريحة إلى وثنية البلاط الحميري، والمعارضـة الشـديدة التي صـادفتها مهمـة ثيوفيلوس من اليهود المتواجدين فيه، تمثل شـاهدا إضـافيا على التركيبة الدينية داخل هذا البلاط، فضـلا عن احتوائه على جماعة ضغط يهودية حالت دون الظهور المسيحي على المستوى الرسمي.[١] ومن المهم أيضا ملاحظة أن مهمة ثيوفيلوس جاءت بعد نحو أربعة عقود من انقسام كنيسة الإمبراطورية إلى معسـكرين متعارضين، السكندري النيقي والبيزنطي الأريوسـي، ولعل قرب مسـيحيي جنوب الجزيرة العربية من الحبشة ومصر المتأثرتين بالنيقية[٢] جعلهم أكثر موالاة للمعسـكر المناوئ للإمبراطور قنسطنطيوس –الأريوسي المتعصـب–، وربما كان ذلك أيضا سببًا كافيا لفيلوسـتورجيوس أو ثيوفيلوس، وكلاهما أريوسيان، لتجنب الإشارة إليهم. وأيا كان الأمر؛ فإن رواية فيلوستورجيوس عن سفارة ثيوفيلوس الهندي تمثل أول الشواهد المدونة عن اهتمام بيزنطي مباشر بنشر المسيحية في جنـوب الجزيرة العربية. ورغم أنها الرواية الوحيدة عن هذه السـفارة ومهمتها، إلا أن لدينا شاهد مصدري أخر ربما يتعلق بها، وهو عبارة عن مرسوم أصدره الإمبراطور قنسطنطيوس إلى الوالي البرايتوري موسونيانوس Musonianus في عام ٣٥٦م أو عام ٣٥٧م بشأن مبعوثيه في الإسكندرية المتوجهين إلى الأحباش والحميريين.[٣]

(1) Philostorgius, *Church History*, pp.41-42.

(٢) هي العقيدة التي أقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥م الذي عُقد لمناقشـة آراء القس السـكندري أريوس القائلة بخلق المسـيح، حيث خرج المجمع بما عُرف بقانون الإيمان النيقي أو الأرثوزوكسـي، ومؤداه أن المسيح مولود غـير مخلوق ومسـاوي لـلآب في الجوهـر. Leith, J.H., *The Creeds of the Churche: A Reader in Christian Doctrine from the Bible to the Present*, 3rd. edition, Louisville: Westminster John Knox Press, 1982, pp. 30-31

(٣) جاء في هذا المرسوم: "لا يجوز لأي شخص تلقى تعليمات بالذهاب إلى قبيلة الأكسوميين والحميريين، من الآن فصـاعدا، أن يظل في الإسـكندرية بعد انتهاء المهلة المحددة بفترة عام واحد ، وبعد ذلك لن يحصـل على بدل إقامة." *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, New York, 1969, p.380. [… *nullus ad gentem axumitarum et homeritarum ire praeceptus ultra annui temporis spatia debet alexandriae de ceter demorari nec post annum percipere alimonias annonarias*].

ثالثاً. هوية المبعوث البيزنطي ثيوفيلوس الهندي:-

وقد يثير نعت "الهندي" Ινδός ὁ التساؤل حول الموطن الأصلي للمبعوث الذي وقع عليه اختيار الإمبراطور قنسطنطيوس للقيام بهذه المهمة، خصوصاً أنها شملت جنوب الجزيرة العربية والحبشة والهند، وجميعها مناطق أشارت إليها المصادر البيزنطية المبكرة في بعض الأحيان –كما تعكس الروايات سالفة الذكر– بمسمى "الهند" دون تمييز، وأحيانا أخرى بالتفرقة بين الهند "الداخلية" و"الخارجية" أو الهند "القريبة" و"البعيدة". ورغم أن فيلوستورجيوس أشار بوضوح إلى أن ثيوفيلوس "أرسل منذ فترة طويلة، وهو صغير، في عهد الإمبراطور الراحل قسطنطين، إلى الرومان كرهينة من قبل الشعب المعروف بالديفيين Divaeans ، والذي يقطن جزيرة ديفوس Divus [Διβοῦς]، ويندرج ضمن أولئك المعروفين بالهنود"،[١] إلا أنه لم يحدد موقع هذه الجزيرة.

وثمة اقتراحات من الباحثين الحديثين بأن هذه الجزيرة قد تكون المالديف[٢] Maldive أو سقطرى[٣] Socatra، أو سيلان[٤] Ceylon أو جزيرة أخرى في البحر الأحمر.[٥] غير أن لآنا لانكينا Anna Lankina رأي أخر ابتعدت به عن هذه الاقتراحات،

---

(١) Philostorgius, Church History, p.40.. وردت "ديفوس" في إشارة لمؤرخ القرن الرابع أميانوس ماركيللينوس، لكنها لم تضف جديدا يساعد في تحديد موقعها، إذ جاء فيها: "تنافست أمم الهند البعيدة كالديفيين والسيرينديفيين إحداها مع الأخرى في إرسال زعمائها محملين بالهدايا". *[inde nationibus Indicis certatim cum donis optimates mittentibus ante tempus ab usque Divis et Serendivis.]*. Ammianus Marcellinus, Res Gestae, trans. J.C. Rolfe, vol. II, [Loeb Classical Library], London, 2000. pp.212-213.

(٢) تقع في المحيط الهندي جنوب غرب سريلانكا والهند. وهي عبارة عن سلسلة من ست وعشرين جزيرة من الجزر المرجانية. عن اقتراح المالديف، انظر، Philostorgius, Church History, p.40; Fiaccadori, G., "Teofilo Indiano," *Studi Classici e Orientali* 33(1984), pp. 295–331, esp.315f.

(٣) أرخبيل يمني مكون من ست جزر على المحيط الهندي قبالة سواحل القرن الأفريقي بالقرب من خليج عدن، على بعد ٣٥٠ كم جنوب الجزيرة العربية. وعن سقطرى، انظر، Klein, R., *Constantius II und die christliche Kirch*, Darmstadt, 1977, p.270; Lightfool, C.S., *The Eastern Frontier of the Roman Empire with Special Reference to the Reign of Constantius II*, PhD dissertation, St. John's College, Oxford, 1981, p.35 n.105; Trimingham, J.S., *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, London, New York, 1979, p.291.. وعن اقتراح أي من المالديف أو سقطرى، انظر، Dihle, A., "L'ambassade de Théophile l'Indien ré-examinée," in: *L'Arabie préislamique et son environment historique et culturel: Actes du Colloque de Strasbourg 24–27 Juin 1987*, ed. T. Fahd, Leiden: Brill, 1989, p.461; Fernandez, G., "The Evangelizing Mission of Theophilus 'the Indian' and the Ecclesiastical Policy of Constantius II," *Klio* 71 (1989), pp.361-366, esp.361; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.98.

(٤) سريلانكا أو سيلان قديماً تقع في الشمال من المحيط الهندي إلى الجنوب من شبه القارة الهندية. ترتبط سريلانكا بحدود بحريّة مع الهند من الجهة الشمالية؛ حيث تبعد عنها حوالي واحد وثلاثين كيلو متراً تقريباً، كما ترتبط مع جزر المالديف من الجهة الجنوبية الشرقية. يقترح عرفان شهيد أنها قد تكون جزيرة سيلان أو إحدى جزر البحر الأحمر Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.97.

(٥) الجدير بالذكر أن بعض الباحثين وجد تشابها في مسمى جزيرة ديفوس وضبا على ساحل البحر الأحمر

مؤداه أن ثيوفيلوس لم يُعرف بـ "الهندي" إلا لكون فيلوستورجيوس أشار إليه كذلك، وأن هــذا النعــت ربما ظهر نتيجة ربط ثيوفيلوس بالمناطق التي وفد إليها كمبشــر.(١) وربما كان من الممكن أن يصــير لرأي لانكينا مشــروعيته لو أن فيلوســتورجيوس هو مصدرنا الوحيــد عــن موطــن ثيوفيلوس؛ إذ أن ثمة إشــارة أوردهــا رجل اللاهــوت القبادوقي جريجوري أســقف نيســا Gregory of Nyssa (٣٣٥-٣٩٤م) في مؤلفه الجدلي "ضد يونوموس"(٢) *Contra Eunomium*، تنعت ثيوفيلوس بالبليمي Βλέμμυς، وتنسبه إلى قبيلة البليميين Blemmyes البدوية.(٣) ولما كانت هذه القبيلة قد استقرت خلال الفترة مــا بــين القرنين الرابع والســادس الميلاديــين في وادي النيل جنوب مصــر، في المنطقة الواقعة بين الجندلين الأول والخامس، وانتشرت شرقا عبر الصحراء الشرقية المجاورة لهذه المنطقة حتى ســاحل البحر الأحمر،(٤) فإن رواية جريجوري أســقف نيسا قد تمثل شاهدا إضافيا على ارتباط ثيوفيلوس بجزيرة أو منطقة ما على ساحل هذا البحر.(٥)

شــمال غرب المملكة العربية الســعودية. إلا أنه من الصعب تصــور كون ثيوفيلوس أبحر من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها ثم عاد ثانية للعبور إلى الحبشة. أنظر المناقشة المستفيضة عند: Fiaccadori, "Teofilo Indiano", (1984), pp.300f.

(1) Lankina, A., *Reclaiming the Non-Nicene Past: Theophilos the Indian and Ulfila the Goth as Missionary Heroes*, MA Thesis, The Graduate School of the University of Florida, 2011, p.10 n.8.

(٢) يونوموس أســقف كيزيكوس Eunomius of Cyzicus، المتوفى حوالي ٣٩٣م، أحد زعماء طائفة الأريوسية المتشــددة المعروفــة بــ "اليونومايــين" Eunomians. انظــر، Vaggione, R.P., (ed.), *Eunomius, The Extant Works*, New York, 1987.

(3) Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium I*, ed. M. Brugarolas, Brill: Leiden, Boston, 2018, p.81.[=PG 82, col. 1072].

(٤) ذُكــر البليميــون في المصــادر الرومانيــة (بلينوس الأكــبر واســترابون)، كمــا ذكرهم المبعوث المصــري أوليمبيودوروس Olympiodorus الــذي زار النوبة حوالي عام ٤٢٠م. وفي القرن الســادس يصــف المؤرخ البيزنطــي بروكوبيوس Procopius انســحاب الإمبراطــور دقلديانــوس (٢٨٤-٣٠٥م) من هــذه المنطقة إلى أســوان حــوالي عــام ٢٩٨م وطلبه مــن النوبيين *Nobatai* الارتحــال من الواحة (ربمــا الخارجة) إلى المناطــق الصــحراوية المحيطة بــوادي النيل في هذه المنطقة لصــد هجمات البليميين، ثــم عقد اتفاقية مع القبيلتين تقضــي بوقف هجماتهما ضــد الأراضي الرومانية لقاء إتاوة سنوية. إلا أن الاتفاقية تم خرقها من القبيلتين، اللتان -وفقا لبروكوبيوس- ظلتا غير محل ثقة الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م). لمزيــد مــن التفاصــيل، انظــر، Christides, V., "Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Beja in Late Antique and Early Arab Egypt until 707 A.D", *Listy Filologiké* 103/3(1980), pp.129-143; Barnard, H., "Additional Remarks on Blemmyes, Beja and Eastern Desert Ware", *Egypt and the Levant: International Journal for Egyptian Archaeology and Related Disciplines* 17(2007), pp.23-31.

(٥) عن ســيطرة البليميين على أجزاء من ســاحل الصــحراء الشــرقية على البحر الأحمر منذ القرن الثالث الميــلادي، انظــر، Thomas, R.I., "Port Communities and the Erythraean Sea Trade", *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 18(2012), pp.169-199, esp. 171.. يقــترح فرانك ســنودين Frank M. Snowden أن إشــارة جريجوري النيســي تشــير إلى أصل ثيوفيلوس الحبشي. Snowden, F.M., *Blacks in Antiquity: Ethiopians in Greco-Roman Experience, Harvard*

وإذا أُضـيف إلى ذلك رواية فيلوسـتورجيوس التي تشـير إلى أن ثيوفيلوس "بعدما انتهـى من تسـوية أمور متنوعة مـع الحميريين ... أبحر إلى مسـقط رأسـه في جزيرة ديفوس. ومن هناك ذهب إلى بقية بلاد الهند".[١] فضـلا عن إشـارته إلى أن المحطة التاليـة في مهمـة ثيوفيلوس، بعد مغادرته "بـلاد العرب الكـبرى" *Arabia Magna*، كانت "أرض الأحباش المعروفين باسـم الأكسـوميين Aksumites، الذين يعيشون عبر الشـواطئ الأقـرب للبحر الأحمـر"،[٢] لأمكن القـول بقدر من الاطمئنـان أن "جزيرة ديفوس" عند فيلوسـتورجيوس هي إحدى جزر البحر الأحمر الواقعة بين، أو على الأقل القريبة من، ساحل جنوب الجزيرة العربية والساحل الأفريقي المقابل.[٣]

ومما يدعم هذه الفرضـية أن ثيوفيلوس في أغلب الظن سـلك نفس الطريق المعتاد للتجار الرومان؛ فطبقا لمؤرخ القرن السـادس يوحنا مالالاس[٤] John Malalas: "تقع مملكة الحميريين *Homerites* بالقرب من مصـر. وكان التجار الرومان يسافرون عبر أراضي الحميريين إلى أكسـوم [الحبشة] وإلى الممالك الداخلية للهنود". فإذا أضفنا إلى هـذه الروايـة ما ورد في مرسـوم الإمبراطور قنسـطنطيوس –سـالف الذكر– عن الإسـكندرية كمحطة انطلاق لمبعوثيـه إلى الأحباش والحميريـين،[٥] لأمكن تخيل بدء خط سير سفارة ثيوفيلوس من مصر فجنوب الجزيرة العربية، ثم أحد الموانئ أو الجزر المقابلة له على الساحل الأفريقي، ومنها إلى الحبشة ثم شبه القارة الهندية.

University Press, 1970, p.208.. بينمـا يـرى جيانفرانكـو فياكشـادوري Gianfranco Fiaccadori أن نعـت جريجـوري النيسـي لثيوفيلوس بالـ "بليمي"، كان لكونه أريوسـيا يتبع يونوموسـ، ولأن جريجوري كرسـ مؤلفـه خصيصـا للنيل من هذه الطائفة، فقد كان طبيعيا أن يسـعى إلى الحط من شـأن ثيوفيلوس وربطه بالبليميين الوثنيين الذين اشـتهروا وقتذاك باللصوصـية وقطع الطرق؛ أي أن هدف جريجوري هو الوصف في حد ذاته وليس الانتماء. Fiaccadori, G., "Teofilo Indiano: Parte II. Il Viaggio", *Studi Classici e Orientali* 34(1985), pp.271-307, esp. 289-290.

(1) Philostorgius, *Church History*, p.42.

(2) Phiostorgius, *Kirchengeschichte*, p.35; Eng. trans. Philostorgius, *Church History*, p.43.]’Eκ δὲ ταύτης τῆς μεγάλης ’Αραβίας εἰς τοὺς Αὐξουμίτας καλουμένους ἀπαίρει Αἰθίοπας, οἳ κατὰ τὰς πρώτας ὄχθας κατφκηνται τῆς ’ρυθρᾶς θαλάσσης.].

(3) Joannes Malalas. *Chronographia*, ed. L. Dindorf, *CSHB*, Bonn, 1831, p. 433.]ὁ δὲ τῶν Ὁμηριτῶν πλησίον ἐστὶ τῆς Αἰγύπτου. οἱ δὲ πραγματευταὶ Ῥωμαίων διὰ τῶν Ὁμηριτῶν εἰσέρχονται εἰς τὴν Αὐξούμην καὶ ἐπὶ τὰ ἐνδότερα βασίλεια τῶν Ἰνδῶν.].

(٤) تلقـى مالالاسـ تعليمـه في أنطاكية، وربما كان رجل قانـون هناك، انتقل إلى القسـطنطينية في مرحلة ما من عهد الإمبراطور جسـتنيان الأول (٥٢٧–٥٦٩م). كتب حوليته من ثماني عشـرة كتابا تسـتعرض فترة جستنيان وخلفاءه المباشرين.
Baldwin, B., "Malalas, John", in: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. A. Kazhdan, Oxford and New York: Oxford University Press, 1991, p. 1275.

(5) Theodosian Code, p.380.

وبوجه عام؛ تشـي الشـواهد المصـدرية بأن توظيف الأصـل العرقـي للمبعوثين من قبل السـلطة الإمبراطورية لإنجاح مهامهم كان قاعدة مألوفة في إدارة العمل الدبلوماسي عامة، وشـقه التبشـيري خاصـة، خلال العصـر البيزنطي المبكر.(١) وقـد يكون من المناسـب هنا اقتباس تعليق ألكسندر أنجيلوف Alexander Angelov -في دراسته عن السياسة التبشيرية للإمبراطورية- على العامل الحاسـم في إنجاح مهمـة ثيوفيلوس: "بالنظر إلى أن المهمة هنا تتعلق بتنصـير الحاكم، فعلينا ملاحظة أن قنسـطنطيوس على الأرجح عين ثيوفيلوس رئيسًا للسفارة نظرًا لتوقع إلمامه بالثقافة واللغات المحلية. وعلى ذلك لم يكن دور المعجزات العديدة [التي نسـبها فيلوسـتورجيوس لثيوفيلوس كما سنعرض لاحقا] في التحول النهائي للمسيحية إلا وسيلة من جانب فيلوستورجيوس لإضفاء الطابع المسيحي على القصة".(٢)

رابعًا. الغرض التنصيري من السفارة:-

كان هدف الإمبراطور قنسطنطيوس من هذه السفارة، طبقا لرواية فيلوستورجيوس، هـو تحويل أهل جنـوب الجزيرة العربية إلى المسـيحية، إذ "كان يخطط لكسـب زعيم الشـعب هناك بروعة وكثرة هداياه، في محاولة لإيجاد فرصـة لغرس بذور الإيمان فيه، فضـلا عن طلب السـماح ببناء كنيسة للرومان المسـافرين إلى هناك ولأي شخص من السكان المحليين قد يعتنق الإيمان. ولذا أرسل مع السفارة مبلغًا هائلًا من المال لتغطية تكلفة البناء".(٣)

ويبدو أن فيلوستورجيوس وجد أنه ليس كافيا مجرد الإشارة إلى هدايا الإمبراطور البيزنطي لجذب حاكم الجنوب نحو المسيحية، فعمد في إشارة تالية إلى التفصيل لهذه

(١) عـن توظيف الأصـل العرقي للمبعوثين الدبلوماسـيين خلال العصـر البيزنطي المبكـر، انظر، عبد العزيز رمضـان، "معايـير اختيـار المبعوثين الدبلوماسـيين في العصـر البيزنطـي الباكر"، حوليـات مجلة وقائع تاريخيـة، مركز البحـوث والدراسـات التاريخية، آداب القاهرة، عـدد ٢٤، يناير ٢٠١٦م، ص٢٣ حاشـية ٣٠. وفيمـا يتعلـق بالمجال التبشـيري، يعـد أولفيلاسـ القوطي، الذي أرسـل في عهـد ذات الإمبراطور -قنسـطنطيوس- للتبشـير بـين قومـه القـوط الغربيين حوالي عـام ٣٤١م، هـو النموذج الأكـثر تماثلا مع ثيوفيلوس؛ فكلاهما نشـأ في القسـطنطينية وتشـرب بثقافتها، ثم رُسم أسـقفا وأرسل من قبل الإمبراطور قنسـطنطيوس إلى موطنه الأصلي للتبشير بالمسـيحية بين قومه. Thompson, E.A., The Visigoths in the Time of Ulfila, Oxford, 1966, pp. xiv-xviii, 96-7.. وعن مناقشـة لأوجه التشـابه العديدة بين مهمتي ثيوفيلوس وأولفيلاس في سياق سياسة قنسطنطيوس التبشيرية، انظر، Dihle, A., "Die Sendung des Inders Theophilos", Palingenesia 4(1969), pp.330-336; Patoura, S., "Ἡ διάδοση τοῦ Χριστιανισμοῦ στὰ πλαίσια τῆς ἐξωτερικῆς πολιτικῆς τοῦ βυζαντινοῦ κράτους (4ος-5ος αἰ.)", Byzantina Symmeikta 7(1987), pp.215-236, esp.219.

(2) Angelov, A.B., *Conversion and Empire: Byzantine Missionaries, Foreign Rulers, and Christian Narratives (ca. 300-900),* PhD. Dissertation, The University of Michigan, 2011, p.213.

(3) Philostorgius, *Church History*, p.40.

الهدايا،[١] ربما في محاولة منه لإظهار مدى اهتمام الإمبراطور البيزنطي بتحقيق هدفه من السفارة، أو كدعاية له بوصفه "المبشر" الذي لا يبخل بما هو غال ونفيس في سبيل نشر المسيحية،[٢] أو ربما كتمهيد لغاية سعى فيلوستورجيوس إلى التلميح لها لاحقا، ومؤداها أن هذه الهدايا بفخامتها وكثرتها -مقارنة بعوامل جذب أخرى كامنة في المسيحية ذاتها- لم تكن العامل الفاعل في جذب حاكم الجنوب إلى المسيحية.

وحتى يمهد فيلوستورجيوس لدعايته الدينية اللاحقة في تمجيد الأثر المسيحي –متجسدا في شخص الأسقف ثيوفيلوس- في تنصر حاكم الجنوب، نجده يتوقف بفقرة اعتراضية يتحول فيها إلى الحديث عن أصل ثيوفيلوس وتدينه وإخلاصه للمعتقد المسيحي، وكيف أنه اختار حياة التنسك وتدرج في السلك الكهنوتي حتى رُسم أسقفا وقت تكليفه بهذه السفارة.[٣]

ويستأنف فيلوستورجيوس الحديث عن ظروف التقاء ثيوفيلوس بالحاكم الحميري بقوله: "عند وصول ثيوفيلوس إلى شعب سبأ، حاول إقناع حاكمهم باتباع المسيح ونبذ الخطأ الوثني. عندئذ سعى اليهود بطريقتهم المعتادة إلى معارضته، غير أن ثيوفيلوس عندما أظهر بالمعجزات الرائعة التي جرت على يديه في أكثر من مناسبة إلى أي مدى لا يمكن التغلب على الإيمان بالمسيحية، خفتت المعارضة، بغض النظر عن حنقها، والتزمت الصمت".[٤]

ورواية بهذه الصيغة تشي بوضوح بأنه رغم وثنية الحاكم وأهل الجنوب، إلا أن اليهود حظوا بنفوذ قوي وشكلوا جماعة ضغط داخل البلاط، إلى حد تدخلهم المباشر لعرقلة مهمة ثيوفيلوس. ولعل فيلوستورجيوس أراد تفسير سبب اتخاذ اليهود هذا

---

(١) طبقا لفيلوستورجيوس: "قام قنسطنطيوس بتجهيز السفارة على نحو رائع وبأقصى درجات البهاء والفخامة، حيث أرسل معها مائتين من أفضل أنواع الخيول من قبادوقيا Cappadocia، تم نقلها على متن سفن صُممت لنقل الفرسان، بالإضافة إلى العديد من الهدايا الأخرى المختارة بعناية لإثارة الإعجاب من فرط فخامتها". Philostorgius, *Church History*, pp.40-41.. ويعلق عرفان شهيد على نوعية هذه الهدايا بالقول: "كان مائتان من الخيول القبادوقية هدية خيالية ومناسبة لشعب يقدر الحصان". ويقترح الباحثون وجود صلة قوية بين هذه الهدايا وحصان برونزي يحمل نقوشا سبئية ومحفوظ ضمن مجموعة مؤسسة الدومبارتون أوكس Dumbarton Oaks بواشنطن، انظر، Jamme, A., "Inscriptions of the Sabaean Bronze Horse of the Dumbarton Oaks Collection", *Dumbarton Oaks Papers* 8(1954), pp.315-330; Ryckmans, J., "The Pre-Islamic South Arabian Bronze Horse in the Dumbarton Oaks Collection", *Dumbarton Oaks Papers* 29(1975), pp.275-303; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.88 n.7.

(٢) عن مهمة الإمبراطور البيزنطي كمبشر، انظر بوجه عام، Christou, P., "The Missionary Task of the Byzantine Emperor", *Byzantina* 3(1971), pp.279-286.

(3) Philostorgius, *Church History*, p.40.

(4) Philostorgius, *Church History*, p.41.

الموقـف –دون الوثنيـين- بإشـارته المبطنــة إلى عدائهــم التقليدي للمسـيحية. كذلك يُفهــم مــن الرواية أن ثمة مناظـرة دينية دارت بـين ثيوفيلوس ومعارضـيه من اليهود، وإن لم يشــر إلى ذلك صــراحة، وأن الأول نجح بفضــل قدراته الخاصــة كأسـقف –أو كما أشــار النص، بـ"المعجزات"- في الانتصــار للمسيحية وتأكيد علو كعبها. والواقع أن هذا الطابع الدعائي، بمضــامينه الإعجازية، كان نمطــا مألوفا في الروايات البيزنطية المتعلقة بالتبشـير،[١] أو على حد وصــف عرفان شـهيد: "كان المبشــر المتحمس المسلح بموهبة الإتيان بالمعجزات على نحو خاص أداة فعالة للتنصير بين البرابرة".[٢]

وإذا كان الهدف الأصــلي للإمبراطور قنسطنطيوس من السفارة يكمن في محاولة تنصــير حاكم الجنوب وبناء كنيســة للمســافرين الرومان ولمن قد يعتنق المسيحية من السكان المحليين، فإن ما حققه ثيوفيلوس فاق ذلك بكثير. وفي هذا السياق قد يكون من المناســب اقتباس رواية فيلوســتورجيوس لما تحمله من مضــامين مهمة أثارت نقاشا بين الباحثـين الحديثين، إذ جاء فيها: "لقد كانت سـفارته ناجحة؛ حيث تحول حاكم الأمة إلى الإيمان [المسـيحي] بكل إخلاص، ولم يقم ببناء كنيســة واحدة فقط في بلاده، بل ثلاث كنائس. ولم يفعل ذلك من الأموال الإمبراطورية التي أتت بها السـفارة، بل تبرع بلهفــة مــن ماله الخاص. ذلك لأن أعمال ثيوفيلوس أدهشــته لدرجــة حرص معها على منافســة حماسته [للمسـيحية]؛ فخصص إحدى الكنائس لســائر الشعب في العاصمة ذاتهــا، المعروفــة بظفار Tapharon. وشـيد أخرى فيمــا كان مركز الســوق الروماني، علــى المحيط الخارجي، المعروف بعدن Adana، وهو المكان الذي اعتاد المســافرون من الأراضــي الرومانية الإقامة فيه. وكانت الكنيســة الثالثة في الجانــب الآخر من البلاد، حيــث يوجد هنـاك مركز لســوق فارســي Περσικόν ἐμπόριον معــروف عند مدخل الخليج الفارسي".[٣]

لقد ناقش الباحثون الحديثون هدف هذه الســفارة في سياق مصالح الإمبراطورية الاقتصادية والسياسية؛ فوليم فريند William Frend يفترض وجود صدام بين التجار

---

(١) ذات النمط تم توظيفه في الروايات المتعلقة بالتنصير بين عرب شمال شبه الجزيرة العربية؛ إذ رُد تنصير كثير من العرب هناك خلال القرن الخامس الميلادي إلى المعجزات العلاجية التي قام بها كل من القديسين يوثيميوس Euthymius وشمعون العمودي Simeon the Stylite. Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.89 n.55. وعــن دور المعجزات في تنصـير الملكــة العربية ماوية Mavia، انظــر، Sozomen, *History of the Church*, trans. E. Walford, London, 1855, pp.307-310.. وعــن توظيــف المعجــزات كآلية للتنصير في العصر البيزنطي المبكر، خصوصا بين الحكام الأجانب، انظر، Angelov, *Conversion and Empire*, pp.10, 64, 100,125, 131, 133,135-136.

(2) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.89.

(3) Philostorgius, *Church History*, p.41.

البيزنطيين والفرس في موانئ جنوب الجزيرة العربية، وأن هدف السفارة منذ البداية كان "البحث عن امتيازات تجارية".(١)

ويرى عرفان شهيد أن اختيار موقع الكنيستين الأخيرتين يعكس أهمية المصالح الإمبراطورية في المنطقة وقتذاك؛ فعدن بحكم موقعها الاستراتيجي كمحطة مركزية بين البحر الأحمر والمحيط الهندي كانت بالغة الأهمية كمركز للتجار البيزنطيين ونشاطهم التجاري مع الشرق،(٢) أما مدخل الخليج الفارسي فكان الموقع الأكثر أهمية لكون السيطرة عليه –على حد قول عرفان شهيد- تمكن بيزنطة من حماية مصالحها التجارية مع الهند من جهة، ومن غلق الخليج وحصر الأسطول الفارسي فيه وبالتالي إبعاده عن البحر الأحمر من جهة أخرى.(٣)

أما كارلو كونتي روزيني Carlo Conti Rossini فقد ذهب إلى حد القول بضرورة النظر إلى هذه السفارة "بمعزل كامل عن الباعث الديني"، مقترحا أن الهدف النهائي منها هو تحييد أي تدخل فارسي في جنوب الجزيرة العربية، ومدللا بذلك على أن مهمة ثيوفيلوس تزامنت مع المرحلة الأولى من العداء بين سابور الثاني(٤) Sapor II وقنسطنطيوس.(٥)

ورغم أن رأي كونتي روزيني وجد استحسانا عند جيانفرانكو فياكشادوري Gianfranco Fiaccadori، وعقب عليه بأن "التسهيلات التي حصل عليها ثيوفيلوس في شئون العبادة تدل على أنه حقق أهدافه"، إلا أنه وجد صعوبة في الربط بين الهدف الديني الصرف للسفارة ومسألة "تحييد التدخل الفارسي"، فأردف بقوله: "مع ذلك؛ من المؤكد أن الدعاية الدينية كانت الأداة الأساسية لدبلوماسية القسطنطينية".(٦)

ورغم وجاهة الطروح التي ناقشت هدف سفارة ثيوفيلوس في سياق تطور العلاقات البيزنطية-الساسانية وقتذاك، إلا أن ثمة عدة إشكاليات تعترضها؛ فطرح كونتي

---

(1) Frend, W.H.C., "The Church in the Reign of Constantius II (337-361): Mission-Monasticism- Worship", *Entretiens sur l'Antiquité classique* 34(1989), pp.73-111, esp.81-82.

(2) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, pp.89, 94; Patoura, "Η διάδοση τοῦ Χριστιανισμοῦ", p.219.

(3) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.89.

(٤) هو عاشر ملوك الأسرة الساسانية وأطول ملوك فارس حكمًا، إذ بلغ عهده نحو سبعين سنة من ٣٠٩م إلى ٣٧٩م. خلف أبيه هرمز الثاني Hormizd II (٣٠٢-٣٠٩م). Shayegan, M. R., "On the Rationale behind the Roman Wars of Šābuhr II the Great", *Bulletin of the Asia Institute* 18 (2004), pp.111–133

(5) Rossini, C.K., "Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf", *Tipografia della R. Accademia dei Lincei*, Roma, 1911, pp.705-749, esp.710.

(6) Fiaccadori, "Teofilo Indiano. Part.II", pp.292, 293.

روزيني تعترضــه حقيقة أن الفترة (٣٥٣-٣٥٩م) شــهدت هدنــة في الحرب البيزنطية الفارســية المســتمرة خلال عهد قنســطنطيوس، وهي الحرب التي كان ميدانها الرئيســي نقاط التماس على الحدود البيزنطية الفارسية في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام. ولا توفر المصادر المعاصرة أية إشارة تشي بأن هذا الميدان امتد إلى جنوب الجزيرة العربية.(١)

كذلك من المستبعد تخيل سفارة ثيوفيلوس بوصفها محاولة من قنسطنطيوس لنقل ميـدان الحـرب أو على الأقل فتح جبهة لهـا في جنوب الجزيرة العربية، خصوصـا مع بعدها الجغرافي عن بيزنطة -بعكس الفرس-، فضلا عن صعوبة توقع أن تنجح مجرد سفارة في توريط حاكم الجنوب في تحالف قد يقود إلى حرب محتملة مع قوة عظمى مثل الفرس. ولعل حالة السلم الكائنة بين بيزنطة وفارس وقت وصول السفارة في عام ٣٥٦م هي التي هيأت الظروف الملائمة لاستقبالها في البلاط الحميري.

أما مقاربة عرفان شهيد فتعترضها صعوبة إيجاد صلة بين بناء دور عبادة للمسيحيين وبين فرضـية السـيطرة على مدخل الخليج الفارسـي، سـواء أكانت سـيطرة بيزنطية مباشـرة أم عن طريق تحالفها مع حاكم الجنوب الذي يلقبه فيلوستورجيوس بالإثنارخ [ἐθνάρχης] . صـحيح أن تنصـر هذا الحاكم -كما يشـير عرفان شهيد- قد يسهم على المدى البعيد في "استيعاب جنوب الجزيرة العربية في دائرة النفوذ البيزنطي"،(٢) فضلا عن إمكانية الإفادة من ذلك في حالة نشوب الحرب بين البيزنطيين والفرس، إلا أن إقرار شـهيد نفسه بوجود قوة بحرية فارسية ضـاربة(٣) -هي الأكثر قربا وجاهزية للتحرك- يفرض صـعوبة في توقع أن يؤدي مجرد بناء كنيســة عنـد مدخل الخليج إلى السيطرة عليه وقت السلم أو الحرب.

وعمليا؛ ليس هناك ما يشير إلى توظيف بيزنطة لوجودها أو وجود حلفائها المفترض عند مدخل الخليج الفارسي عندما تجدد الصراع البيزنطي الفارسي بعد سنوات قليلة

(١) عـن النصـوص المصـدرية المتعلقـة بالحـرب البيزنطيـة الفارسـية خلال عهـد قنسـطنطيوس، انظر، Dodgeon, M.H., and Lieu, S.N.C. (eds.), *The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars AD 226-363: A Documentary History*, London-New York, 1994, pp.185f.

(2) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.90.

(٣) علـى حـد قـول عرفان شـهيد: "من المحتمـل أن مهمـة ثيوفيلوس كانـت لها آثار سياسـية وعسـكرية في سـياق الصـراع البيزنطي الساسـاني، وينطبق هذا بشـكل خاص على جنوب الجزيرة العربية الممتد إلى الخليج الفارسـي ذاته، فهو من بين جميع السـواحل المطلة على المحيط الهندي الموقع الأكثر اسـتراتيجية في حالـة الحـرب مع بـلاد فارس ... وقـد أدرك [قنسـطنطيوس] أن سـابور أبـدى اهتماما اسـتثنائيا بتطوير قوته البحرية الفارسـية، ولابد أنه امتلك أسـطولا قويا اسـتخدمه لاحقا في نقل قواته عبر الخليج الفارسـي خـلال حملتـه العربية. إن إيجاد موقع بيزنطي، كنسـي كمـا كان، عند مدخل الخليج الفارسـي ربما يعكس محاولة جريئة وذكية من جانب قنسـطنطيوس لمشـاهدة العدو مـن الفناء الخلفي الخاص به" Shahid, *Byzantium and the Arabs*, p.95.

من سفارة ثيوفيلوس (تحديدا عام ٣٥٩م)، والذي تمخض عنه انتصار سابور الثاني Sapor II ومقتل الإمبراطور جوليان Julian (٣٦١-٣٦٣م) في عام ٣٦٣م. وهذه النتيجة تحديدا هي التي دفعت ألبرخت دايهل Albrecht Dihle إلى القول بصعوبة تحديد مدى إسهام مهمة ثيوفيلوس في تغيير الوضع السياسي والكنسي على ساحل البحر الأحمر.(١)

خامسًا. الأثر الديني للسفارة في ضوء روايات المصادر المسيحية الشرقية:

لأن رواية فيلوستورجيوس ذاتها لم تشر من قريب أو بعيد إلى مسألة الصراع البيزنطي الفارسي، قد يكون من الأفضل مناقشة سفارة ثيوفيلوس في سياق الهدف التبشيري المعلن لها منذ البداية، خصوصا في ظل وجود اختلاف بين الباحثين الحديثين حول مدى التغيير الديني الذي أحدثته في جنوب الجزيرة العربية. إذ أن أكثر الباحثين الغربيين الحديثين ذهبوا إلى كون هذه الكنائس الثلاث خُصصت للتجار والمقيمين الأجانب في المقام الأول وليس للسكان المحليين؛ فأميدون –مترجم نص فيلوستورجيوس من اليونانية إلى الإنجليزية- يقترح "أن الكنائس الثلاث كانت تقع في العاصمة وفي مركزين ساحليين، حيثما يعيش المقيمون الأجانب".(٢)

ويذهب كريستيان روبين Christian Robin إلى أن الهدف الواضح من تشييد هذه الكنائس هو "أن تكون مقصدا للأجانب العابرين".(٣) ويزيد كل من ألبرخت دايهل وفرانسوا شاتونيه Françoise B. Chatonnet على ذلك بالتلميح إلى شكهما في رواية فيلوستورجيوس لكونها لم تصلنا عبر أي مصدر أخر،(٤) ويواصل شاتونيه بقوله: "حتى إذا اعترف المرء بأساس حقيقي لهذه القصة، فإن دور العبادة المشار إليها كانت فيما يبدو تخص التجار الأجانب المسيحيين أكثر من كونها لتلبية احتياجات سكان محليين".(٥)

(1) Dihle, "L'ambassade de Théophile", p.467.

(2) Philostorgius, *Church History*, p.41 n.10.

(3) Robin, Ch.J., "Najrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du Christianisme", in: *Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp et al., Paris, 2010, pp.64-106, esp.64; Idem, "Le judaïsme de Ḥimyar", pp.103-104.

(4) Dihle, "L'ambassade de Théophile", p.467; Chatonnet, F.B., "L'expansion du christianisme en Arabie: l'apport des sources syriaques", *Semitica et Classica* 3(2010), pp.177-187, esp.183.

(5) Chatonnet, "L'expansion du christianisme", p.183.

وقــد يبدو هــذا الرأي منطقيــا فيما يتعلق بكنيســتي عدن وهرمــز، وهما ميناءان قد تفرض طبيعتهما التجارية صـعوبة في تلمس درجة تغير الوضـع الديني فيهما، هذا مع الوضـع في الاعتبار أن كنيسـتيهما خُصصـتا لتجــار أجانب يدِينون بالمسـيحية في الأسـاس، غير أن وجود كنيسة ثالثة في العاصمة الحميرية ظفار، كُرست –وفقا لرواية فيلوسـتورجيوس- للحاكم المتنصـر حديثا وشـعبه، يدفع إلى التساؤل عن الأثر الديني لسفارة ثيوفيلوس في الداخل الحميري.

وعنــد محاولة الإجابة عن هذا التســاؤل قــد يكون من الأفضــل الأخذ في الاعتبار طرح عرفان شــهيد –سالف الذكر- بشــأن أهمية المصادر الأدبية كشاهد أساسي عن التاريخ المبكر للمسيحية في جنوب الجزيرة العربية، ومخاطرة الاعتماد الحصري على النقوش للقطع بعدم موثوقية رواية فيلوســتورجيوس، خصوصــا أن هذا الطرح ينسجم مع فرضــية كون هذه النقوش قد لا تعكس الموقف الديني الرســمي، ومع وجود شــواهد أخرى أدبية –لم يلتفت إليها شهيد- يمكن توظيفها لصالح هذه الرواية.

ويمكن البدء بتناول الرواية التي تسـجلها النســخة الحبشـية لحولية يوحنا أسقف نقيوس[1] عن دخول المســيحية إلى جنوب الجزيرة العربية؛ فرغم أن هذه الرواية تبدو في ظاهرها مختلفة مع رواية فيلسـتورجيوس عن سفارة ثيوفيلوس الهندي في تحديدها الظرف الذي أدى إلى ذلك، إلا أنها في جوهرها تحمل مضامين يمكن توظيفها في دعم الرواية الأخيرة، خصوصا فيما يتعلق بتوقيت دخول المسيحية.

ففي سياق تناول يوحنا النقيوســي لأوضاع الإمبراطورية البيزنطية في عهد خلفاء الإمبراطور قسـطنطين الكبير، وتحديدا بعد وفاة ابنه قنسطانز الأول Constans I في عام ٣٥٠م، يذكر ما يلي: "بعد وفاته [قنسطانز] تلقى شعب اليمن معرفة الله [...] من خلال امرأة مقدســة تُدعى ثيوجونوستا Theognosta. وهي عذراء مسيحية تم أسرها مــن دير على حــدود الإمبراطورية الرومانيــة [البيزنطية]، وتم نقلهــا إلى ملك اليمن وتقديمها له كهدية. وأصـبحت هذه المرأة المسـيحية ثرية جـداً بنعمة الله، وعلى يديها تم الشفاء لكثيرين. وجلبت ملك الهند إلى الإيمان؛ فصار مسيحيًا هو وشعبه بفضلها.

(١) يُعتقــد أنه عاش في النصـف الثاني من القرن السـابع الميـلادي؛ إذ ورد في تاريخ البطاركة لسـاويرس بن المقفـع أنه كان مشـرفا عامـا على أديرة الدلتا خـلال الفـترة (٦٩٣-٧٠٠م). وقد وصـلتنا حوليته باللغة الحبشـية، التي يُعتقد أنها تُرجمة عن نسـخة عربية مفقودة. وهناك من يذهب إلى أن لغة الحولية الأصلية كانت اليونانية أو القبطية. نشـرت النسخة الحبشية لأول مرة مع ترجمة فرنسية على يد هيرمان زوتنبرج Hermann Zotenberg في عـام ١٨٨٣م، انظـر، *Zotenberg, H., Chronique de Jean, Évêque de Nikiou*, Paris, 1883. وللحوليــة عــدد مــن الترجمات العربية، منها ترجمة كامل صـالح نخلة في "مجلة صـهيون"، العدديــن ٧-٨، القاهــرة، يوليو وأغسـطس ١٩٤٨، ويوليو وأغسـطس ١٩٤٩. وعمر صـابر عبد الجليل، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ثم طلب ملك الهند ورعاياه من الإمبراطور المحب لله، هونوريوس Honorius، أن يعين لهم أسقفا. ففرح [هونوريوس] فرحا عظيما لكونهم احتضنوا الإيمان واتجهوا إلى الله، وعين لهم أسقفًا مقدسًا، يدعى ثيونيوس Theonius. [...] وهكذا كان الحال أيضًا في الهند، أي الهند الكبرى. وكان رجال ذلك البلد سبق لهم أن استقبلوا رجلاً يُدعى أفروديت Afrudit [فرومينتيوس]، الذي يحظى بنبالة المولد في بلد الهند، وجعلوه أسقفا عليهم، بعد أن رسمه بطريرك الإسكندرية أثناسيوس الرسولي".(١)

ورغم المسحة الهجيوجرافية الظاهرة في هذه الرواية، شأنها في ذلك شأن كثير من روايات التنصير التي ترده إلى معجزات جرت على يد المبشر، إلا أنها تتماهى مع رواية فيلوستورجيوس من عدة أوجه؛ فأحداثها تدور في ذات عهد الإمبراطور (قسطنطيوس الأول)، كما أنها تشير إلى تأثير بيزنطي واضح في دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية، وإن استبدلت شخصية السفير ثيوفيلوس بالراهبة الأسيرة.

والأهم من هذا وذاك أن الروايتين تشيران إلى اعتناق الملك الحميري للمسيحية وتأسيس دور للعبادة. صحيح أن رواية فيلوستورجيوس كانت أكثر تحديدا بإشارتها إلى تأسيس ثلاث كنائس في عدن وظفار ومدخل الخليج الفارسي، إلا أن ضرورة وجود تنظيم كنسي وهيئة كهنوتية في هذه الكنائس تنسجم مع رواية يوحنا النقيوسي بشأن طلب ملك الجنوب من الإمبراطور [البيزنطي؟] إرسال أسقف ليشرف على هذه المؤسسة الكنسية البازغة، على الأرجح من كنيسة العاصمة بظفار. ويبدو أن الأمر اختلط على يوحنا النقيوسي فنسب هذا الأمر إلى الإمبراطور هونوريوس Honorius، الذي حكم من عاصمته رافنا Ravenna الشطر الغربي من الإمبراطورية خلال الفترة (٣٩٥-٤٢٣م). وهذا الفارق الزمني (نحو نصف قرن) والبعد المكاني (بين العاصمتين ظفار ورافنا) يشيان بارتباك ما في تحديد شخوص رواية يوحنا النقيوسي.

ومما يرجح كون الإمبراطور المقصود في رواية يوحنا النقيوسي هو قسطنطيوس الأول وليس هونوريوس، أن النقيوسي أشار في خاتمتها إلى حدث ماض -سجلته مصادر معاصرة أخرى- بقوله: "كان رجال ذلك البلد [الحبشة] قد سبق لهم أن استقبلوا رجلاً يُدعى أفروديت Afrudit [فرومينتيوس]...وجعلوه أسقفا عليهم، بعد أن رسمه بطريرك الإسكندرية أثناسيوس الرسولي [حوالي عام ٣٢٨م]".(٢)

---

(1) *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenbserg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916, pp.69-70.

(2) Rufinus of Aquileia, *History of the Church*,pp.394-396; Sozomen, *History of the Church*, pp.85-88; Socrates, *History of the Church*, London, 1853, pp.51-52.

ويبدو أن إشارة النقيوسي غير المتوقعة إلى فرومينتيوس Frumentius في سياق تناوله لدخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية تتصل اتصالا وثيقا بإحدى المهام التي عهد بها الإمبراطور قسطنطيوس الأول إلى سفارة ثيوفيلوس الهندي –كما يسجل فيلوستورجيوس–، وهي تسليم رسالة إلى ملك الحبشة إيزانا Ezana تطلب استبدال فرومينتيوس (النيقي) بالأسقف (الأريوسي) ثيوفيلوس الهندي نفسه، وإرساله إلى الإسكندرية لإعادة تأهيل إيمانه وفقا للمذهب الأريوسي، وهو الطلب الذي رفضه الملك الحبشي.[١]

وهنا قد يكون من الأفضل مناقشة رواية يوحنا النقيوسي في سياق الصراع المذهبي بين الأريوسية ممثلة في السلطة الإمبراطورية والنيقية ممثلة في كنيسة الإسكندرية وحليفتها في الحبشة؛ فمن المحتمل أن النقيوسي –كأسقف ينتمي للكنيسة المصرية– رغب في إبعاد فضل تنصير ملك الجنوب وشعبه عن إمبراطور أريوسي ورده إلى شخصية أخرى، ويبدو أنه تأثر في نسجه لملامح هذه الشخصية بنموذج أسقف الحبشة فرومينيوس. فوفقا لمؤرخي الكنيسة في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، كان فرومينتيوس –مثل الراهبة ثيوجونوستا– أسيرا بيزنطيا من مدينة صور Tyre، تم اقتياده إلى ملك الحبشة، وسرعان ما حظى بثقته، ونجح بالمعجزات التي جرت على يديه في جذب الملك الشاب، إيزانا Ezana، وشعبه إلى المسيحية.[٢]

أخيرا قد يكون من الأفضل الانتقال إلى الرواية العربية التي سجلها وهب بن منبه في كتابه "التيجان في ملوك حمير"؛ ففي سياق حديثه عن الملك الذي أسماه "عبد كاليل

(١) ورد نص هذه الرسالة في مؤلف أثناسيوس المعنون "دفاع إلى الإمبراطور قسطنطيوس". *Apologia ad Imperatorem Constantium, PG* 25, cols. 593f.. ويبدو أن فشل مهمة ثيوفيلوس في الحبشة دفعت فيلوستورجيوس إلى تجاهل توضيح طبيعة مهمته هناك –كما فعل فيما يتعلق بجنوب الجزيرة العربية–، واكتفى بالقول: "وصل ثيوفيلوس إلى الأكسوميين، واعتنى بالأمور هناك، ثم عاد إلى الإمبراطورية الرومانية". Philostorgius, *Church History*, p.43.

(٢) وفقا لبقية الرواية، استخدم فرومينتيوس نفوذه في نشر المسيحية، فشجع التجار الأجانب المسيحيين على ممارسة شعائرهم علنا، ونجح في تنصير عدد من السكان المحليين، ثم ارتحل إلى الإسكندرية وطلب من أسقفها أثناسيوس إرسال أسقف وبعض القساوسة كمبشرين إلى الحبشة، لكن أثناسيوس رأى فرومينتيوس ذاته هو الأنسب لهذه الوظيفة، فرسمه أسقفا. وعاد فرومينتيوس إلى الحبشة، ونجح في تنصير الملك إيزانا وسائر شعبه. Rufinus of Aquileia, *History of the Church*,pp.394-396; Sozomen, *History of the Church*, pp.85-88; Socrates, *History of the Church*, pp.51-52. وعن تأثير هذه الروايات في نظائرها الحبشية فيما يتعلق بظروف تنصر إيزانا، انظر، Vila, M., "Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations", *Rassegna di Studi* Etiopici -3rd Serie 1 (2017), pp.87-111. وعن تحليل لقصة تنصر إيزانا، انظر، Kaplan, S., "Ezana's Conversion Reconsidered", *Journal of Religion in Africa* 13/2 (1982), 101-109; Munro-Hay, S.C., "The Dating of Ezana and Frumentius", *Rassagna di Studi Etiopici* 32 (1988), pp.111–127;Haas, Ch., "Mountain Constantines: The Christianization of Aksum and Iberia", *Journal of Late Antiquity* 1/1 (2008), pp. 101–126, esp.107-108, 112.

بن ينوف" ذكر أنه "كان مؤمنا على دين عيسى وستر إيمانه".[١] ويؤرخ ابن منبه لفترة حكم هذا الملك بأربع وستين سنة، وجعله الملك السادس قبل عهد يوسف ذو نواس الذي حكم في عشرينيات القرن السادس الميلادي، بفاصل زمني يزيد على قرنين ونصف، مما يعني أن "عبد كاليل" حكم في منتصف القرن الثالث تقريبا.[٢]

ورغم الصبغة الأسطورية العامة التي تغلب على "كتاب التيجان" ومبالغته الواضحة في التأريخ لفترات حكم ملوك حمير، إلا أن مثل هذه الرواية لا تخلو من دلالة؛ إذ قد تتقاطع مع روايتي فيلوستورجيوس ويوحنا النقيوسي عن وجود ملك مسيحي في جنوب الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الميلادي، أو ربما تشير -إن صحت- إلى ملك مسيحي لاحق "ستر إيمانه".

وقد يقودنا تعبير "ستر إيمانه"، الذي استخدمه ابن وهب لوصف حالة الملك "عبد كاليل"، إلى توظيف مفهوم الاستتار أو "السرية" المسيحي في سياقه الأوسع لتفسير غموض الولاءات الدينية في النقوش الحميرية الرسمية. إذ أنه من المعروف للمتخصصين أن الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون طوال القرون الثلاث الأولى للميلاد على يد السلطة الرومانية الوثنية[٣] دفعهم إلى اللجوء للعمل السري،[٤] إلى أن جاء اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية كديانة شرعية في الإمبراطورية عام ٣١٣م، ليتيح الفرصة للمسيحيين للخروج بإيمانهم من إطار العمل السري إلى التبشير الصريح. ومن المعروف أيضا أن اليهود طوال هذه القرون الثلاثة كانوا أكثر تشددا من الرومان في معارضة وكراهة انتشار المسيحية رغم كونهم شكلوا أقليات في ولايات الإمبراطورية الرومانية.[٥]

---

(١) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ، ص٣١٠.

(٢) ذكر ابن منبه خمسة حكام بين كاليل وذو نواس، هم: "تبع بن حسان" بفترة حكم ٧٨ سنة؛ "ربيعة بن مرثد" ٣٧ سنة؛ "حسان بن عمرو" ٣٥ سنة؛ "أبرهة بن الصباح" ٧٣ سنة؛ "لخيعة بن ينوف" ٢٧ سنة. وهب بن منبه، كتاب التيجان، ص٣١٠-٣١٢.

(٣) يصعب حصر الدراسات التي صدرت عن الاضطهاد الروماني للمسيحيين، ولذا يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى الدراسات التالية: Gutennan, S.L., *Religious Toleration and Persecution in Ancient Rome, London*, 1951; Frend, W.H.C., *Martyrdom and Persecution in the Early Church*, New York, 1967; Workman, H., *Persecution in the Early Church*, Oxford, 1980; Keresztes, P., *Imperial Rome and the Christians: from Herod the Great to about 202 A.D*, Vol. I, New York, 1989, Idem, *Imperial Rome and the Christians: from the Severi to Constantine the Great*, Vol. II, New York, 1989.

(٤) عن اسلوب العمل السري عند المسيحيين الأوائل، انظر، Rives, J.B., "The Persecution of Christians and Ideas of Community in the Roman Empire", *Politiche Religiose nel Mondo Antico e Tradoantico*, ed. G. A. Cecconi and C. Gabrielli, Bari, 2011, pp.199-216.

(٥) عن موقف اليهود من المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، انظر، Hare, D., *The Theme of Jewish*

وتشـــي الشـــواهد المصـــدرية إلى أن ثمة وضـــع مشـــابه –إلى حد ما- كان كائنًا في جنـــوب الجزيرة العربية، خصوصـــا في القرنـــين الخامس والســـادس الميلاديين؛ فمنذ وقت مبكر –كما تشـــير رواية فيلوســـتورجيوس- شـــكل اليهود جماعة ضغط في البلاط الحميري عارضت سفارة ثيوفيلوس الهندي التبشيرية، وربما يمكن اتخاذ وجود جماعة الضغط هذه كمفسر لغياب الإشارة إلى أي وجود مسيحي في تقرير السفارة.

ويبـــدو أن هذا الرفض اليهودي لم يظل قاصـــرا على المعارضـــة اللفظيـــة، بل يبدو أنه تطـــور حتى بلغ ذروته في شـــكل العنف الجســـدي عندما تهيأ لهم ملـــك يهودي على العرش؛ وأعني هنا اضـــطهاد الملك اليهودي يوســـف ذو نواس لمسيحيي نجران في عام٥٢٣م. إلا أن هذا التحول من المعارضة اللفظية إلى العنف الجسدي لم يكن مفاجئًا. صحيح أن اضطهاد يوســـف ذو نواســـ هو الأكثر شـــهرة نظرا لـــورود أخباره بالتفصـــيل في النقوش والمصـــادر التاريخية ولاســـتئثاره بنصـــيب وافر من الدراسات الحديثة، إلا أنه فيما يبدو لم يكن الأول أو الوحيد، بل سبقته حالات اضطهاد جزئية ومحدودة سجلتها لنا المصادر المعاصرة.

إذ يظهر المصدر الحبشي "جادلا أزقير"[١] بوضوح وجود نخبة يهودية من العلمانيين والأحبار في قصـــر شـــرحبيل يانكف ضغطت في اتجاه اضـــطهاد مسيحيي نجران، وهو الاضطهاد الذي تم بمباركة من الملك ومشاركة حصرية –كما تشير الرواية في أكثر من

Persecution of the Christians in the Gospel According to St. Matthew, Cambridge, 1967; Momigliano, A., *On Pagans, Jews and Christians*, Middletown, 1987; Dunn, J.D.G., *The Parting of the Ways between Christianity and Judaism and their Significance for the Character of Christianity*, London, 1991; Setzer, C., *Jewish Responses to Early Christians: History and Polemics*, 30- 150 C.E, Minneapolis, 1994; Hopkins, K., *A World Full of Gods: Pagans, Jews and Christians in the Roman Empire*, London, 1999.

(١) مصـــدر عربي مســـيحي مفقود وصـــلنا في نســـخته الحبشـــية القديمة (الجعزية)، وهو المعروف بـ "جادلا أزقـــير" *Gadla Azqir*، أو "استشـــهاد أزقـــير"، يرجـــع أصـــل المســـيحية في نجران إلى قس حبشـــي يُدعى "أزقـــير". وقـــد حدد المصـــدر زمن أحداثه بعهد الملك شـــرحبيل يانكـــف Sarahbi'il Yakkuf، الذي يتفق الباحثـــون الحديثـــون على التأريخ له بالســـنوات مـــن ٤٥٥م إلى ٤٧٥م. ووفقا لأحدث تحقيـــق لهذا المؤلف، هناك أكثر من عشـــرين مخطوط له، جميعهم باللغة الحبشـــية القديمة (الجعزيـــة). وهو مؤلف من النوع الهجيوجرافي Hagiography الذي يخلد "أعمال الشهداء". نشره وترجمه لأول مرة الإيطالي كارلو كونتي روسيني Carlo Conti Rossini في عام ١٩١٠ معتمدا على مخطوطتين فقط. وأحدث نشر له –فضلا عن ترجمة إلى الإيطالية- تم على يد الإيطالي إليساندرو باوسي Alessandro Bausi في عام ٢٠١٧م، واعتمد فيه على اثنين وعشـــرين مخطوط أمكنه الوصـــول إليهم. ويعتقد باوســـي أن أحداثه علـــى الأرجح تعود إلى السنوات من ٤٧٠م إلى ٤٧٥م. Rossini, K. C., "Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf", *Tipografia della R. Accademia dei Lincei*, Roma, 1911, pp.705-749; Bausi, A., "Il Gadla Azqir", *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su "Origene e la tradizione alessandrina"*, 23 (2017), pp.341-380, esp.341.

موضع- من يهود نجران.[١] كذلك تضم قائمة محتويات "كتاب الحميريين"[٢] فصلين يلمحان إلى وجود اضطهاد غير محدد التاريخ، لكنه سابق على عهد يوسف ذو نواس؛ إذ حمل الفصل الرابع –المفقود- عنوان: "سرد يقص كيف أن الأسقف توماس ذهب إلى الأحباش وأخبرهم أن الحميريين يضطهدون المسيحيين"[٣]، بينما جاء عنوان الفصل الثامن: "سرد يقص بداية اضطهاد مسروق [يوسف ذو نواس]، وحرق الكنيسة في مدينة ظفار، ومذبحة الأحباش فيها".[٤] وإذا صح كون شمعون الأرشمي Symeon of Beth Arsham تُوفي عام ٥٢١م -كما يرجح بعض الباحثين-[٥] فإن رسالتيه "عن الشهداء الحميريين"[٦] و"تاريخ أو استشهاد الحميريين المباركين"[٧] يتعلقان باضطهاد سابق على عهد يوسف ذو نواس. وحتى إن كان الخطاب الأول -الذي ألقاه في اجتماع رملة -Ramlah يعود إلى عام ٥٢٤م، كما يقترح عرفان شهيد، فإن ما تضمنه يشي بأن

---

(1) Bausi, "Il Gadla Azqir", p.369-377.

(٢) كتاب الحميريين، أو الشذرات المتبقية منه، عبارة عن مخطوطة سريانية مجهولة المؤلف، نُسخت في يوم ١٠ أبريل ٩٣٢م، وحملت عنوان "تاريخ أو استشهاد الحميريين المباركين" *The History or Martyrdom of the Blessed Himyarites*. وقد وُجد بالمصادفة بين دفتي غلاف مخطوطة سريانية من القرن الخامس عشر تحتوي على نصوص طقسية للكنيسة اليعقوبية. وكان المخطوط ملكاً لزوجين سويديين، السيد والسيدة E. G. Wirén، اللذان قدماها إلى Axel Moberg أستاذ اللغات السامية بجامعة لوند Lund، وقام الأخير بدوره بنشر النص مع ترجمة باللغة الإنجليزية في عام ١٩٢٤. ويتناول الكتاب أحداث اضطهاد المسيحيين على يد الملك اليهودي يوسف ذي نواس وحملة ملك أكسوم "كالب" Kaleb ضده. ولسوء الحظ، ما تبقى من هذا الكتاب لا يتضمن أية تواريخ مطلقا. ومع ذلك، تكمن أهميته في قائمة محتوياته التي توفر تسلسلا دقيقًا نسبيًا للأحداث. Moberg, A., (ed.) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work*, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924.. وانظر أيضا، Shahid, I., "The Book of the Himyarites: Authorship and Authenticity", *Le Muséon* 76 (1963), pp. 349-362.

(3) *Book of the Himyarites*, p.3.

(4) *Book of the Himyarites*, p.4.

(٥) يقترح البعض أن هناك اضطهاد مبكر حدث ربما عام ٥١٨م. Robin, "Najrān vers l'époque du massacre", p.68; Forness, *Preaching Christology*, p.119. بينما يرى باحثون أخرون أن خطاب شمعون الأرشمي –الذي ألقاه في مؤتمر الرملة- مؤرخ بعام ٥٢٤م، انظر، Shahid, I., "Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524", *Journal of Near Eastern Studies* 23/2 (1964), pp.115-31.

(٦) نشر جوزيف أسيماني Joseph S. Assemani الرسالة الأولى في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، ثم أعاد نشرها إيجانزو جويدي Iganzo Guidi وترجمها إلى الإيطالية في عام ١٨٨١م. Assemani, J.S., in: *Bibliotheca Orientalis*, 1: 364-79; Guidi, I., "La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti", *Atti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche* 7 (1881), pp.471-515.

(٧) أما الخطاب الثاني فقد نشره عرفان شهيد Shahid, I., (ed.& trans.), *The Martyrs of Najran. New Documents*, Brussels, 1971، النص السرياني في الصفحات من iii إلى xxxii، أما الترجمة الإنجليزية والملاحظات ففي الصفحات (٤٣-١١١).

الاضـطهاد اليهـودي لم يكن وليد عهد ذو نواس، إذ جاء فيه: "إن يهود طبرية يرسـلون أحبارهم سنة بعد أخرى، ومن وقت لآخر، لإثارة الاضطرابات ضد مسيحيي حمير". [٨]

ولعل الشـواهد سـالفة الذكر تدعم فرضـية كون نفـوذ النخبة اليهوديـة في حمير حال دون ظهور مسـيحي صـريح على المستويين الشـعبي والرسـمي، وأن عداء هذه النخبة المعلن للمسـيحية لم يمكن ملوك حمير من إعلان ولاءهم الديني على نحو صريح، ربما لأن بعضهم حرص على استقرار الأوضاع في مملكته دون توترات دينية. وبأية حال فإن النقوش لا تعارض فكرة وجود ملك مسـيحي –أو على الأقل متعاطف مع المسيحيين– في منتصف القرن الرابع، في وقت تجد رواية فيلوستورجيوس ما يدعمها من شواهد المصادر الأدبية على نحو صريح.

سادسًا. الخاتمة :-

تعد رواية فيلوسـتورجيوس عن إرسال الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني لثيوفيلوس الهنـدي في مهمة تنصـيرية إلى مملكة حمير في جنوب الجزيـرة العربية (حوالي عام ٣٥٦م)، أول شـاهد أدبـي عن دخول المسـيحية إلى جنوب الجزيـرة العربية في القرن الرابـع؛ ورغـم أنها الروايـة الوحيدة عن هذه السـفارة ومهمتها، إلا أنـه يمكن دعمها بالمرسـوم الذي أصدره الإمبراطور قنسـطنطيوس إلى الوالي البرايتوري موسونيانوس عـام ٣٥٦م أو عـام ٣٥٧م، والـذي يشـير إلى مبعوثيـه في الإسـكندرية المتوجهين إلى الأحباش والحميريين.

كذلك، يبدو أن معاصرة هذه السفارة بأهدافها التنصيرية لظهور نقوش توحيدية لا تحدد ماهية هذا الدين التوحيدي أمر يمكن تفسيره في صالح فرضية تواجد مسيحي في جنـوب الجزيرة العربية وقتذاك. خصوصًـا مع وجود مصـادر أدبية أخرى مبكرة، كروايات مؤرخي الكنيسة يوسيبيوس القيصري وروفينوس الأكويلي وجيروم، تشير إلى نجاح إرسـاليات تبشـيرية في جنوب الجزيرة العربية في فـترة مبكرة ترجع إلى القرن الأول الميلادي.

لقـد اعتمد عدد مـن الباحثـين الحديثين على غياب نقوش مسـيحية صـريحة عن التواجـد المسـيحي في جنـوب الجزيـرة العربية للتشـكيك في حـدوث سـفارة ثيوفيلوس الهنـدي، أو علـى أقل تقدير في تأثيرها الديني، رغم مرسـوم الإمبراطور قسـطنطيوس سالف الذكر. إلا أن ثمة مصادر أدبية أخرى لم يلتفت إليها أولئك الباحثون تدعم حدوث هذه السـفارة؛ فحولية يوحنا النقيوسـي تسـجل رواية تتفق مع رواية فيلوستورجيوس من عدة أوجه؛ فأحداثها تدور في ذات عهد الإمبراطور (قسطنطيوس الأول)، كما أنها تشير

(8) Guidi, *La lettera di Simeone*, pp.478, 494.

إلى تأثير بيزنطي واضح في دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية. والأهم من هذا وذاك أن الروايتين تشيران إلى اعتناق الملك الحميري للمسيحية وتأسيس دور للعبادة.

كما أن الرواية العربية التي سجلها وهب بن منبه في كتابه "التيجان في ملوك حمير تتقاطع مع روايتي فيلوستورجيوس ويوحنا النقيوسي عن وجود ملك مسيحي في جنوب الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الميلادي.

ورغم غياب الإشارة إلى تواجد للمسيحيين في تقرير ثيوفيلوس، إلا أن ذلك يمكن تفسيره في ضوء طبيعة مهمته التي اصطبغت بطابع دبلوماسي رسمي في المقام الأول، ولذا من المحتمل أنه لم يلاحظ سوى الوثنيين واليهود الأكثر عددا والأقرب للسلطة الحاكمة. كما أن إشارة فيلوستورجيوس الصريحة إلى وثنية البلاط الحميري، والمعارضة الشديدة التي صادفتها مهمة ثيوفيلوس من اليهود المتواجدين فيه، تمثل شاهدا إضافيا على التركيبة الدينية داخل هذا البلاط، فضلا عن احتوائه على جماعة ضغط يهودية حالت دون الظهور المسيحي على المستوى الرسمي.

ويبدو أن هذا الرفض اليهودي لم يقتصر على المعارضة اللفظية، بل يبدو أنه تطور حتى بلغ ذروته في شكل العنف الجسدي عندما تهيأ لهم ملك يهودي على العرش. إلا أن هذا التحول من المعارضة اللفظية إلى العنف الجسدي لم يكن مفاجئا. صحيح أن اضطهاد يوسف ذو نواس هو الأكثر شهرة نظرا لورود أخباره بالتفصيل في النقوش والمصادر التاريخية ولاستئثاره بنصيب وافر من الدراسات الحديثة، إلا أنه فيما يبدو لم يكن الأول أو الوحيد، بل سبقته حالات اضطهاد جزئية ومحدودة سجلتها لنا المصادر المعاصرة.

وعلى ذلك يمكن تفسير غياب نقوش مسيحية صريحة في ضوء النفوذ المتزايد للنخبة اليهودية في حمير؛ نفوذ حال دون ظهور مسيحي صريح على المستويين الشعبي والرسمي، وأن عداء هذه النخبة المعلن للمسيحية لم يمكن ملوك حمير من إعلان ولاءهم الديني على نحو صريح، ربما لأن بعضهم حرص على استقرار الأوضاع في مملكته دون توترات دينية. ولعل هذا يفسر تواصل ظهور النقوش التوحيدية الغامضة حتى بداية القرن السادس الميلادي. وبأية حال فإن هذه النقوش إن لم تكن تدعم وجودا مسيحيا واضحا في جنوب الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الرابع فصاعدا، فإنها على الأقل لا تعارض هذه الفرضية، وهي فرضية تؤكدها رواية فيلوستورجيوس، وتجد ما يدعمها من شواهد المصادر الأدبية على نحو صريح.

سابعاً. قائمة المصادر والمراجع :

(١) المصادر والمراجع الأجنبية :

1- Ammianus Marcellinus, *Res Gestae*, trans. J.C. Rolfe, vol. II,]Loeb Classical Library], London, 2000.
2- Andrade, N.J., *The Journey of Christianity to India in Late Antiquity: Networks and the Movement of Culture*, Cambridge, 2018.
3- Angelov, A.B., *Conversion and Empire: Byzantine Missionaries, Foreign Rulers, and Christian Narratives (ca. 300900-)*, PhD. Dissertation, The University of Michigan, 2011.
4- Baldwin, B., «Malalas, John», in: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, ed. A. Kazhdan, Oxford and New York: Oxford University Press, 1991, p. 1275.
5- Barnard, H., «Additional Remarks on Blemmyes, Beja and Eastern Desert Ware*», Egypt and the Levant: International Journal for Egyptian Archaeology and Related Disciplines* 17(2007), pp.2331-.
6- Bausi, A., «Il Gadla Azqir», *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su «Origene e la tradizione alessandrina»*, 23 (2017), pp.341 -380.
7- Beeston, A. F. L., «The Religions of Pre-Islamic Yemen», in: *L'Arabie du Sud*, ed. J. Chelhod, I (1984), pp.259269-.
8- Chatonnet, F.B., «The Syriac sources relating to the persecution of Christians of Najran in South Arabia», *The Harp* 89- (July 19951996-), pp.41 -51.
9- Chatonnet, F.B., «L'expansion du christianisme en Arabie: l'apport des sources syriaques», *Semitica et Classica* 3(2010), pp.177187-.
10- Christides, V., «Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Beja in Late Antique and Early Arab Egypt until 707 A.D», *Listy Filologiké* 1031980)3/), pp.129- 143.
11- Christou, P., «The Missionary Task of the Byzantine Emperor», *Byzantina* 3(1971), pp.279286-.
12- Dihle, A, «The Conception of India in Hellenistic and Roman Literature», *Proceedings of the Cambridge Philological Society* 190= new ser. 10(1964), pp.15- 23.
13- Dihle, A., «Die Sendung des Inders Theophilos», *Palingenesia* 4(1969), pp.330336-.
14- Dihle, A., «L'ambassade de Théophile l'lndien ré-examinée,» in*: L'Arabie préislamique et son environment historique et culturel: Actes du Colloque de Strasbourg 24–27 Juin 1987*, ed. T. Fahd, Leiden: Brill, 1989.

15- Dodgeon, M.H., and Lieu, S.N.C. (eds.), *The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars AD 226363-: A Documentary History*, London-New York, 1994.

16- Eusebius, *The Ecclesiastical History*, ed. & trans. K. Lake, The Loeb Classical Library 39, London, New York, 1926.

17- Fernandez, G., «The Evangelizing Mission of Theophilus 'the Indian' and the Ecclesiastical Policy of Constantius II,» *Klio* 71 (1989), pp.361 -366.

18- Fiaccadori, G., «Teofilo Indiano,» *Studi Classici e Orientali* 33(1984), pp. 295–331.

19- Fiaccadori, G., «Teofilo Indiano: Parte II. Il Viaggio», *Studi Classici e Orientali* 34(1985), pp.271307-.

20- Frend, W.H.C., «The Church in the Reign of Constantius II (337361-): Mission-Monasticism- Worship», *Entretiens sur l'Antiquité classique* 34(1989), pp.73 -111.

21- Gajda, I., «Les débuts du monothéisme en Arabie du Sud», *Journal asiatique* 290 (2002), pp.611 -30.

22- Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium I*, ed. M. Brugarolas, Brill: Leiden, Boston, 2018.

23- Guidi, I., «La lettera di Simeone vescovo di Bêth-Arśâm sopra i martiri omeriti», *Atti della Reale Accademia Nazionale dei Lincei, Serie Terza: Memorie della Classe di Scienze morali, storiche e filologiche* 7 (1881)، pp.471- 515.

24- Haas, Ch., «Mountain Constantines: The Christianization of Aksum and Iberia», *Journal of Late Antiquity* 12008) 1/), pp. 101–126.

25- Hatke,G., *Africans in Arabia Felix: Aksumite Relations with Himyar in the Sixth Century C.E.*, PhD. dissertation, Princeton University, 2011.

26- Hieronymus, *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum*, *PL* 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: Nicene and Post-Nicene Fathers, ed. Ph. Scaff, vol.3, New York, 1893.

27- Jamme, A., «Inscriptions of the Sabaean Bronze Horse of the Dumbarton Oaks Collection», *Dumbarton Oaks Papers* 8(1954), pp.315- 330.

28- Joannes Malalas. *Chronographia*, ed. L. Dindorf, *CSHB*, Bonn, 1831.

29- John of Nikiu, *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenbserg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916.

30- Kaplan, S., «Ezana's Conversion Reconsidered», *Journal of Religion in Africa* 132 (1982), 101 -109.

31- Klein, R., *Constantius II und die christliche Kirch*, Darmstadt, 1977.
32- Lankina, A., *Reclaiming the Non-Nicene Past: Theophilos the Indian and Ulfila the Goth as Missionary Heroes*, MA Thesis, The Graduate School of the University of Florida, 2011.
33- Lankina, A, *Reassessing Historiography in Late Antiquity: Philostorgius on Religion and Empire*, PhD Dissertation, University of Florida, 2014.
34- Leith, J.H., *The Creeds of the Churche: A Reader in Christian Doctrine from the Bible to the Present*, 3rd. edition, Louisville: Westminster John Knox Press, 1982.
35- Lightfool, C.S., *The Eastern Frontier of the Roman Empire with Special Reference to the Reign of Constantius II*, PhD dissertation, St. John's College, Oxford, 1981.
36- Mayerson, Ph., «A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources», *Journal of the American Oriental Society* 1132/(Apr.-Jun., 1993), pp.169174-.
37- Mingana, A., «The Early Spread of Christianity in India», *Bengal Journal of Religion and Literature* 10(1926).
38- Moberg, A., (ed.) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work*, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924.
39- Müller, W.W., «Religion und Kult im antiken Südarabien», in: *Polytheismus und Monotheismus in den Religionen des Vorderen Orients*, ed. M. Krebernik and J. Oorschot, Münster, 2002, pp.175194-.
40- Munro-Hay, S.C., «The Dating of Ezana and Frumentius», *Rassagna di Studi Etiopici* 32 (1988), pp.111–127.
41- Nadeau, J.Y., «Ethiopians», *Classical Quarterly* 20(1970), pp.339- 349.
42- Nebes, N., «The Martyrs of Najran and the End of the Himyar: On the Political History of South Arabia in the Early Sixth Century», in: *The Qur'an in Context. Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu*, ed. A. Neuwirth, N. Sinai and Marx, Leiden, 2010, pp.27 -59.
43- Neill, S., *A History of Christianity in India*, Cambridge, 1984.
44- Newby, G.D., *A History of the Jews of Arabia from Ancient Times to their Eclipse under Islam*, Columbia: University of South Carolina, 1988.
45- Papathanassiou, A.N., «Christian Missions in Pre-Islamic South Arabia», *Theologia (Athēnai)* 651994)1/), pp.133- 140.
46- Patoura, S., «Ἡ διάδοση τοῦ Χριστιανισμοῦ στὰ πλαίσια τῆς ἐξωτερικῆς πολιτικῆς τοῦ βυζαντινοῦ κράτους (4ος-5ος αἰ.)», *Byzantina Symmeikta* 7(1987), pp.215 -236.

47- Phiostorgius, *Kirchengeschichte. Mit dem Leben des Lucian von Antiochien und den Fragmenten eines arianischen Historiographen*, ed. J. Bidez, rev. F. Winkelmann, Leipzig, 1913.

48- Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. R. Amidon, Brill: Leiden, Boston, 2007.

49- Prioletta, A., & Arbach, M., «Ḥimyar en Arabie déserte auVe siècle de l'ère chrétienne: une nouvelle inscription historique du site de Maʾsal (Arabie Saoudite)», *Académie des inscriptions & belles-lettres* (2016), II, pp.917957-.

50- Robin, Ch.,»La diffusion des relligions monothélists en Arabie du sud avant l' Islam», *Revue du Monde Musulman at de la Méditerranée* 61 (19912-), pp.144150-.

51- Robin, Ch., «Le judaïsme de Ḥimyar», *Arabia* 1(2003), pp.97- 172, esp.170- 172.

52- Robin, Ch., «Himyar et Israël», *Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres* 1482004) 2/), pp.831 -908.

53- Robin, Ch.J., «Najrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du Christianisme», in: *Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp et al., Paris, 2010, pp.64106-.

54- Rossini, C.K., «Un Documento sul Cristianesimo nello Iemen ai Tempi del Re Sharahbil Yakuf», *Tipografia della R. Accademia dei Lincei*, Roma, 1911, pp.705749-.

55- Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016.

56- Ryckmans, J., *La persécution des chrétiens Himyarites au sixième siècle*, Uitgaven Nederlands hist.-arch. Instituut te Istambul 1. Istambul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 1956.

57- Ryckmans, J., «The Pre-Islamic South Arabian Bronze Horse in the Dumbarton Oaks Collection», *Dumbarton Oaks Papers* 29(1975), pp.275303-.

58- Schneider ,P., *L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.–VIe siècle après J.-C.)*, École française de Rome, 2004.

59- Shahid, I., «The Book of the Himyarites: Authorship and Authenticity», *Le Muséon* 76 (1963)، pp. 349 -362.

60- Shahid, I., «Byzantino-Arabica: The Conference of Ramla, A.D. 524», *Journal of Near Eastern Studies* 231964) 2/), pp.11531-.
61- Shahid, I., (ed.& trans.), *The Martyrs of Najran. New Documents*, Brussels, 1971.
62- Shahid, I., *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, D.C., 1984.
63- Shayegan, M. R., «On the Rationale behind the Roman Wars of Šābuhr II the Great», *Bulletin of the Asia Institute* 18 (2004)، pp.111–133.
64- Shitomi, Y., «A New Interpretation of the Monumentum Adulitanum», *Memoirs of the Research Department of the Toyo Bunko* 55 (1997), pp.81- 102.
65- Smith, S., «Events in Arabia in the 6th century AD», *Bulletin of the Schoo1 of Oriental and African Studies* 16 (1954).
66- Snowden, F.M., *Blacks in Antiquity: Ethiopians in Greco-Roman Experience*, Harvard University Press, 1970.
67- Socrates, *History of the Church*, London, 1853.
68- Sozomen, *History of the Church*, trans. E. Walford, London, 1855.
69- Thomas, R.I., «Port Communities and the Erythraean Sea Trade», *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 18(2012), pp.169- 199.
70- Thompson, E.A., *The Visigoths in the Time of Ulfila*, Oxford, 1966.
71- The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions, trans. C. Pharr, New York, 1969.
72- Trimingham, J.S., *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, London, New York, 1979.
73- Vaggione, R.P., (ed.), *Eunomius, The Extant Works*, New York, 1987.
74- Vila, M., «Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations», *Rassegna di Studi Etiopici -3rd Serie* 1 (2017), pp.87111-.
75- Wiles, M., *Archetypal heresy: Arianism through the Centuries*. Oxford: Clarendon Press, 1996.
76- Zotenberg, H., *Chronique de Jean,* Évêque *de Nikiou*, Paris, 1883.

(٢) المراجع العربية والمعربة :-

١- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٦، ط٢، بغداد، ١٩٩٣م

٢- جورج شحاتة قنواتي، **المسيحية والحضارة العربية**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م

٣- ذكرى عبد الملك المطهر، **الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى القرن السادس**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٣م

٤- عائشة سعيد أبو الجدايل، ديانة شهداء نجران: قراءة جديدة للمصادر الأولية، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٢٢**، الحولية ٢٥، ٢٠٠٤م

٥- عمر صابر عبد الجليل، **تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي**، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦- كامل صالح نخلة في "**مجلة صهيون**"، العددين ٧-٨، القاهرة، يوليو وأغسطس ١٩٤٨، ويوليو وأغسطس ١٩٤٩.

٧- كوثر محمد سعيد محمد علي، **حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة: دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ٢٠١٥م .

٨- نورة عبد الله النعيم، الحالة الدينية في نجران قبل الإسلام، **أدوماتو، ع٩٢**، يناير ٢٠٠٤م، ص٥١-٦٠ .

٩- وهب بن منبه، **كتاب التيجان في ملوك** حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ .

ثالثاً : نقوش إسلامية مؤرخة في القرنين الثاني والثالث الهجريين بمركز الثنية في بيشة بمنطقة عسير. بقلم أ. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي.

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل نقشين إسلاميين مؤرخين، تم اكتشافهما في مركز الثنية التابع لمحافظة بيشة وبيان قيمتهما التاريخية، فهما بجانب اشتمالهما على تواريخ محددة، يغطيان فترة زمنية تاريخية تمتد حوالي قرن من الزمان (من بعد منتصف القرن الثاني إلى حدود منتصف القرن الثالث الهجريين: ١٦٦ - ٢٣٨هـ/ ٧٨٣- ٨٥٣م) وبذلك تعد هذه النقوش مصادر أولية يعتمد عليها كمرجعية علمية في دراسة الكتابات الإسلامية وتحليلها ومعرفة تواريخها، وخصائصها الخطية والزخرفية. إضافة إلى إبراز الأهمية التاريخية والحضارية للمكان الجغرافي الذي يحتضن هذه النقوش وهو وادي تبالة عبر العصور الإسلامية.

أولاً: تمهيد:

تعد مدينة بيشة وبلدة تبالة الواقعة في نطاقها الجغرافي والإداري اليوم من أهم الحواضر العربية القديمة التي كان لها أهمية تاريخية وتجارية، نظراً لوقوعهما على مسار طريق البخور التجاري الذي يصل جنوب الجزيرة العربية بشمالها، وبعد الإسلام قامتا بدورهما التاريخي والاقتصادي كمحطات رئيسة واقعة على مساري طريق الحج اليمني الأعلى (النجدي) الواصل بين صنعاء ومكة المكرمة وطريق الحج الحضرمي الواصل بين حضرموت ومكة المكرمة.

ونظراً لخصوبة هذا الوادي ووفرة مياهه، وكثرة أشجاره ونباته، وتنوع بيئته بين السهل والجبل، وتميز موقعه الجغرافي لوقوعه على مسار درب البخور التجاري، وعلى مسارات طرق الحج في العصر الإسلامي، أصبح مقراً لكثير من القبائل العربية، واستمر النمو العمراني والحضاري على جوانبه من العصر الجاهلي إلى عصرنا الحالي، وقد خلف هذا الاستيطان البشري الكثير من الآثار والرسوم الصخرية والنقوش الكتابية

القديمة (السبئية والثمودية والنبطية) والإسلامية المؤرخة وغير المؤرخة التي تنتشر على ضفاف هذا الوادي وعلى جوانبه مثل: مواقع جبال الحماء، وجبال الوزر، وعرق حمود، والغضار والمنسلخة، وأم المجاحر، وأم الوقران، و هضبة أم وقر، وهضبة أم الرحي .. وغيرها، والواقعة جميعها في النطاق الجغرافي لمركز الثنية. والتي تعكس البعد الحضاري والثقافي للمنطقة. وتأتي دراسة هذه النقوش الخطية المؤرخة استكمالا لما تم دراسته من آثار المنطقة [١].

ثانياً: الدراسة الوصفية والتحليلية للنقوش:

عثرنا على هذين النقشين في مواقع متقاربة الأول: في موقع أم الرحي، وهي هضبة قليلة الارتفاع تقع في الشمال الغربي من وادي تبالة عندما يحمل اسم الثنية وفي الشمال الغربي من قرية الباطن على بعد ثلاثة أكيال.

أما النقش الثاني: فيقع في هضبة أم وقر والتي تقع شمالاً من قرية مطوية القديمة، وشرقاً من قرية ضريب السوق، وقد وصلها الزحف العمراني في وقتنا الحاضر، وأحاط بها من جميع الجهات، وأصبح خط الأسفلت المزدوج المتجهه إلى قرية الباطن يمر بجهتها الجنوبية.

وكلا الموقعين يقعان في مركز الثنية وشمالاً من وادي تبالة عندما يحمل اسم الثنية، قريبا من منهل البردان التاريخي، وبركة مطوية، ويظهر أنهما من استراحات الحجاج والمسافرين الذين سلكوا طريق الحج المني الأعلى الواصل بين صنعاء ومكة المكرمة، حيث تكثر فيهما النقوش الإسلامية العائدة للقرون الإسلامية الأولى.

(*) **النقش الأول: (الصورة رقم : ١):**

موقع النقش: هضبة أم الرحي، مركز الثنية محافظة بيشة.

إحداثيات الموقع: دائرة العرض: ٥٩ . ٥٤ . ٢٠ شمالاً.

خط الطـول: ٤٠ . ٣٤ . ٤٢ شرقاً.

مقاس النقش: ٣٠سم × ٢٠سم. **عدد الأسطر:** خمسة أسطر.

نوع الخط: كوفي بسيط. **طريقة التنفيذ:** الحز السطحي الدقيق.

نوع الصخر: جرانيت يميل إلى الاحمرار الغامق.

---

(١) انظر عن نقوش بيشة وآثارها: الأكلبي، محمد بن جرمان، بيشة، الطائف، دار الحارثي للطباعة والنشر، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٩٧- ١١٩؛ الآثار في محافظة بيشة، الرياض، الحميضي، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)؛ النقوش الإسلامية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة، الرياض، مطابع الحميضي، (١٤٤٢هـ/ ٢٠١٩م)، والخثعمي، مسفر بن سعد، موسوعة الآثار في منطقة عسير، الجزء الثالث، بيشة، جدة، مطابع السروات، (١٤١٩هـ)؛ الثنيان، محمد بن راشد، نقوش إسلامية مؤرخة من طريق الحج اليمني الأعلى، محافظة بيشة، مجلة العصور، مج١٦، ج١، (ذو الحجة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م).

موضوعه: طلب المغفرة من الله. **تاريخه:** ١٦٦هـ - ٧٨٣م.
صاحب النقش: سلم بن ميمون بن سلم.

(*) **قراءة نص النقش:**

١. غفر الله
٢. لسلم بن ميمون
٣. وكتب
٤. في سنة ست
٥. وستين ومئة.

كتب هذا النقش الصخري المؤرخ والمكون من خمسة أسطر بالخط الكوفي البسيط على صخرة جرانيتية صغيرة قريبة من الأرض، وقد نفذ النقش على واجهتها الشمالية بمساحة بلغت (٣٠سم × ٢٠سم). وتقع هذه الصخرة في قرار من الأرض بجوار مجموعة من الرُكب المنعزلة عن هضبة أم الرحي بالجهة الشرقية.

جاء النقش خالياً من علامات الشكل والإعجام، وسليماً من الأخطاء اللغوية والإملائية، ومكتمل اللفظ والمعنى، ومقروءاً بالكامل غير أنه أشكل عليَّ في بداية الأمر قراءة كلمة (ست)وكلمة (ستين) لتأثرهما بعوامل التعرية، ولارتفاع سنة التاء حتى أصبحت قريبة من اللام. فقمتُ بحصر جميع نقوش الكاتب الموجودة في المنطقة وعملتُ قياس لطول حرف اللام في جميع نقوش الكاتب فاتضح لي أن طولها لا يقل عن ٤سم، وطول سنة الحرف الوارد في الكلمتين ٢سم، فأدركت أن الحرف الوارد في الكلمتين هو (حرف تاء) وليس لاماً.

(*) **ومن السمات الخطية المميزة للنقش:** استقامة أجسام حروف الألف واللام في كلمة لفظ الجلالة (الله) مع ظهور الذيل المتجه لليمين بقاعدة الألف. كتابة العين المبتدئة بأول الكلمة على شكل نصف دائرة بطرف سفلي ممتد كما في كلمة (غفر:١). أما الميم المبدئية والمتوسطة فقد رسمت على شكل دائرة كاملة الاستدارة فوق خط الاستواء كما في كلمة (ميمون: ٢). وكذلك النون النهائية فقد كتبت بتقوس كامل تحت خط استواء الكتابة كما في كلمة (ميمون:٢). أما الكاف المبتدئة فقد كتبت على شكل خطين طويلين متوازيين يصل بينهما من الأمام خط مستقيم، وينتهي الخط الأعلى بطرف صغير يشكل معه زاوية حادة كما في كلمة (كتب). أما الياء النهائية فقد جاءت مزوية وراجعة إلى الخلف كما في حرف الجر (في).

أما أسطر النقش: فجاءت مستقيمة والمسافات الواقعة بينها متساوية، ومتقاربة في عدد كلماتها باستثناء السطر الثالث فإنه عبارة عن كلمة واحدة، وقد تغلب الكاتب على

ذلك بمشق كلمة (كتب) حتى أصبح السطر الثالث مساو للسطور الأخرى، وقد خلى النقش من الظواهر الزخرفية عدا الاستمداد البسيط في كلمة (كتب).

بدأ النقش برسم نجمة خماسية نُقشت في أعلاه، وانتهى بتوقيع كاتبه، ولعل هذه النجمة الخماسية المرسومة في أعلى النقش أتت من باب الزخرفة الإطارية للنص [١].

أما موضوع النقش: فهو الدعاء بطلب المغفرة من الله تعالى لصاحب النقش، وهو من الأدعية المنتشرة كثيراً في النقوش الصخرية، ومن الأدعية المستوحاة من هدي بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) [٢]، وقوله تعالى: (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) [٣]. وقوله تعالى: (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) [٤].

أما تاريخ النقش: فقد كُتب في سنة (١٦٦هـ/ ٧٨٣م) كما هو موضح بالسطرين الأخيرين، ويتزامن هذا التاريخ مع خلافة الخليفة العباسي محمد المهدي بن المنصور (١٥٨-١٦٨هـ/ ٧٧٥- ٧٨٥م).

أما كاتب النقش: سلم بن ميمون بن سلم فقد ورد له أربعة نقوش في المنطقة غير هذا النقش، وقد بحثنا عنه في جميع المصادر المتاحة فلم نجد له ذكراً، ولكن نرى أنه من قبيلة خثعم بناءً على وجود بعض نقوشه مع نقش محمد بن ميمون الخثعمي في موقع أم وقر [٥].

(*) النقش الثاني: (صورة رقم: ٢):

موقع النقش: هضبة أم وقر، مركز الثنية بمحافظة بيشة.
إحداثيات الموقع: دائرة العرض: ٩٩ . ٢٠ . ٢٠ شمالاً.
خط الطول : ٨٩ . ٣٢ ٤٢ شرقاً.

مقاس النقش.: ٤٥سم × ١٠سم. **عدد الأسطر:** ٣ أسطر.
نوع الخط: كوفي بسيط. **طريقة التنفيذ:** الحز الغائر الدقيق.
نوع الصخر: جرانيت يميل إلى الاحمرار الغامق.
موضوعه: التصريح بالإيمان

---

(١) تعددت استخدامات النجمة الخماسية والسداسية، حسب مفاهيم الأمم السابقة واللاحقة ولكنها عند المسلمين من باب الزخرفة الإسلامية فظهرت مع النقوش الإسلامية، وعلى أبواب بعض المساجد والقصور والقلاع الإسلامية القديمة.

(٢) سورة المؤمنون : ١١٨

(٣) سورة القصص: ١٦.

(٤) سورة إبراهيم: ٤١.

(٥) انظر: الأكلبي، محمد بن جرمان العواجي، النقوش الإسلامية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة، ص٢٢٢- ٢٢٣.

تاريخه: الأحد ٢٩/٨/ ٢٣٨هـ الموافق ١٦/٢/٨٥٣م.

صاحب النقش: عبدان بن عصمة

(*) **قراءة نص النقش:**

١. عبدان[1] بن عصمة يؤمن بالله إله

٢. وكتب آخر يوم من شعبان

٣. من سنة ثمان وثلاثين ومائتين

كُتب هـذا النقش الصـخري المؤرخ بالخط الكوفي البسـيط على سـطح صـخرة جرانيتَية صـغيرة ترتفع عن سـطح الأرض قرابة متر ونصـف، وتقع في آخر الموقع من جهة الشـمال، وقد جاء النقش واضـح الكلمات مستقيم الأسـطر، وخالياً من علامات الشـكل والإعجام، ومكتمل اللفظ والمعنى ومقروءاً بالكامل، وسليماً من الأخطاء اللغوية والإملائية. ويلاحظ على النص إضـافة كلمة (إله) بخط صغير بعد كلمة بالله الواقعة في نهاية السطر الأول، وكذلك عدم ترك مسافة كافية بيّن سطوّره مما أدى إلى تداخل بعضـ حروف كلماته. ولا يظهـر بكلمات النص أي محاولة للزخرفة عدا كلمة (إله: ١) فقد ظهرت في هامتي الألف واللام بعض الشقوق السهمية وهي من أنواع الزخرفة.

(*) **ومـن السمـات الخطيـة البـارزة بالنقش:** اسـتقامة أجسـام الحروف الصـاعدة كالألـف واللام كما في (عبدان:١، وبالله: ١، وشـعبان: ٢، وثمان: ٣)، باسـتثناء حرف الألف واللام في كلمة (إله: ١) فإنها كتبت مائلة.

كمـا تنوعـت بعض حروفه في نمط كتابتها، ومن ذلك حرف العين المبتدئة المتصـلة فقد جاءت على صـورتين متقاربتين: الأولى على شـكل نصـف دائرة بطرف سـفلي كما في كلمة (عبدان:١)، والثانية على شـكل نصـف دائرة متسـاوية الطرفـين كما في كلمة (عصمة:١)، وكذلك الواو المتصلة والمفردة فقد كتبت على صورتين: الأولى برأس مثلثة وعراقة قصـيرة مقورة تنزل تحت خط اسـتواء الكتابة كما في كلمتي (يؤمن:١، وكتب) والثانية برأس مدورة وعراقة مقورة تنزل تحت خط استواء الكتابة كما في كلمة (يوم:٢).

وقد تميز النقش باختلاف وتنوع حرف النون النهائية فقد جاءت على سـبع صـور كل صـورة تختلف عـن الثانية كما في الكلمـات التالية: (عبـدان:١، ويؤمن:١، ومن:٢، وشعبان:٢، ومن:٣، وثمان:٣، ومائتين:٣).

وقد يشير هذا التنوع إلى سعة إطلاع الكاتب وتمكنه من فن الخط العربي.

---

(١) هـذا الاسـم يحتمل عـدة قراءات فقد يقرأ عّبّـدان أو عِيّدان أو غَيّدان، وكلها أسـماء عربية ومعروفة في المنطقة حتى الوقت الحاضر.

أما موضوع النقش: فهو التصريح بالإيمان بالله تعالى من قبل صاحب النقش، مع ذكر اسمه في بداية النقش بتركيبه الثنائي، ثم تسجيل تأريخ كتابة النقش باليوم والشهر والسنة.

أما تأريخ النقش: فكتب باليوم والشهر والسنة كما هو موضح بالسطرين الأخيرين، ولكن اسم اليوم وتأريخه لم يصرح بهما الكاتب وإنما وردا على سبيل الكناية آخر يوم من شعبان، وآخر يوم من شعبان يحتمل أن يكون ٢٩ أو ٣٠ يوماً حسب اكتمال الشهر أو نقصانه. وقد قمنا بإجراء عملية حسابية على أحد البرامج المتوفرة على شبكة الإنترنت لتاريخ شهور هذه السنة فأتضح لنا أن آخر يوم من شعبان لهذه السنة كان يوم الاحد الموافق ٢٩/ ٨/٢٣٨هـ/ ١٦/٢/٨٥٣م. ويتزامن هذا التاريخ مع خلافة الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢هـ- ٢٤٧هـ/ ٨٤٧- ٨٦١م).

أما صاحب النقش: فورد اسمه في النقش بتركيبه الثنائي عبدان بن عصمة وعبدان، وعصمة من الأسماء المعروفة قديماً وحديثاً. وبالبحث في تراجم الشخصيات الإسلامية المعاصرة لفترة النقش التاريخية في جميع المصادر المتوفرة، لم نعثر على ترجمة مطابقة للاسم الوارد في النقش، لذلك يصعب علينا أن نتعرف على شخصيته.

ثالثاً: الأهمية التاريخية للنقوش:

تأتي أهمية هذه النقوش الإسلامية المكتشفة كونها تحمل تواريخ محددة وتغطي فترة زمنية طويلة تقارب القرن (من بعد منتصف القرن الثاني إلى حدود منتصف القرن الثالث الهجريين: ١٦٦- ٢٣٨هـ / ٧٨٣- ٨٥٣م) لذلك تعد مصادر أولية، يعتمد عليها كمرجعية علمية في دراسة الكتابات الإسلامية وتحليلها، وتحديد تواريخها وخصائصها الخطية والزخرفية، وتحديد الأطر التاريخية والحضارية للمنطقة التي وجُدت فيها، وكذلك الاستفادة منها في معرفة الصلات الحضارية بين مواقعها، والمواقع الأخرى خلال العصور الإسلامية الأولى.

حيث تعد دراسة هذه النقوش المؤرخة مع ما سبق من النقوش المؤرخة وغير المؤرخة في محافظة بيشة إضافة جديدة للباحثين والدارسين في مجال دراسة النقوش والكتابات الإسلامية.

رابعاً: الخاتمة (النتائج والتوصيات):

استعرضنا في هذه الدراسة أهمية النقوش المكتشفة في مركز الثنية التابع لمحافظة بيشة مع بيان قيمتها العلمية والتاريخية في مجال الدراسات والكتابات الإسلامية، بالإضافة إلى إبراز أهمية المكان الجغرافي الذي احتضن هذه النقوش، ومدى استمرارية النمو العمراني والحضاري على جوانبه خلال العصور الإسلامية المبكرة. وقد توصلنا بعد دراستنا لهذا الموضوع إلى عددٍ من النتائج والتوصيات نوجزها على النحو التالي:

أولا: النتائج:

١- بينت الدراســة الأهمية التاريخية للنقوش المكتشـفة كمصادر أولية يستفاد منها في دراسة النقوش غير المؤرخة لمعرفة تاريخها ومعرفة خصائصها الخطية والزخرفية.

٢- كشـفت الدراسة أن مركز الثنية والمنطقة بشكل عام كانت قبل ظهور الإسلام وبعده منطقة استيطان بشري ظلت شواهده الحضارية، ومخلفاته الأثرية إلى يومنا هذا.

٣- أظهرت الدراســة أن الثنيــة من أهم المراكز الإدارية في محافظة بيشــة والتي تحتــوي على المواقع الأثرية والتاريخية، فأكثر جبالها وهضــابها التي تقع على مســار درب البخــور التاريخي مثل: جبــل القرن، وهضــبة أم المجاحر، وجبال الحمــاء، وجبال الوزر، وعرق حمود، وهضــبة المنسـلخة، وهضــبة أم الرحي، وهضــبة أم الوقران، وهضــبة أم وقر، وجبل علي، تزخر بالرســوم الصخرية الآدمية والحيوانية. وبالكتابات والنقوش العربية القديمة (السبئية، والثمودية، والنبطية) والإسلامية المؤرخة وغير المؤرخة.

٤- يتضح من عشرات النقوش الإسلامية المكتشفة في المنطقة انتشار العلم والكتابة وثقافة التدوين عند سكان المنطقة خصوصاً في القرون الإسلامية الأولى.

٥- أثبتت الدراســة من خلال هذه النقوش وغيرها من النقوش المنتشرة في أنحاء المنطقــة أن ســكان المنطقــة، وكذلك المســافرين الذين مــروا بالمنطقة وكتبوا نقوشــهم على صــخورها، كانوا يتمتعون بصــفاء العقيدة وســلامة الفكر من البــدع والشــرك، وكانوا يكثرون مــن الأدعية التي يتقربون بهــا إلى الله تعالى مثل: طلب الرحمة والمغفرة، والجنة والعتق من النار، والتوبة إلى الله.

ثانيا: التوصيات:

١- لفــت نظــر المســئولين بالهيئة العامة للســياحة والــتراث الوطني إلى ضــرورة المحافظــة علــى موقعٍ أم وقر الأثري مــكان النقش الثاني، والــذي يحتوي على (٢٤٠) نقشاً إسلامياً منها أربعة نقوش مؤرخة.

٢- لفــت نظــر المســئولين بالهيئة العامة للســياحة والــتراث الوطني إلى ضــرورة المحافظــة على موقعٍ أم الرحي الأثري مكان النقشــ الأول، والذي يحتوي على (٤٧) نقشاً إسلامياً منها نقشان مؤرخان.

٣- مطالبــة الجهات المختصــة بتســوير هذه المواقــع وإزالة الاعتــداءات والعقوم الترابية التي وضعها المواطنون حول هذه المواقع بهدف تملكها.

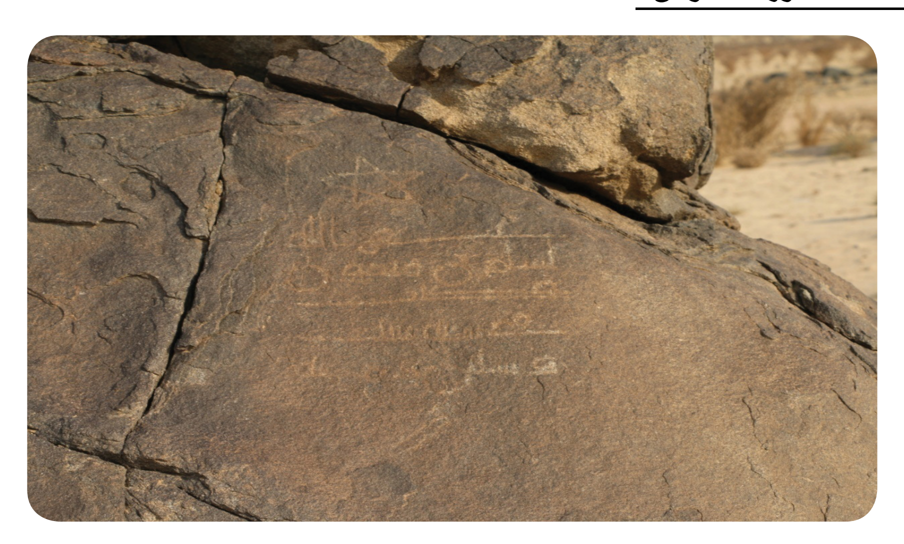
٤- لفت انتباه المسئولين بالهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني إلى إمكانية استغلال هذه المواقع الأثرية سياحياً واقتصاديا بما يعود بالنفع على الوطن والمواطنين.

٥- المحافظة على المتبقي من المواقع الأثرية المنتشرة بمركز الثنية مثل: الحماء، وجبل علي، والتي طالها الزحف العمراني، ودمر بعض محتوياتها بسبب الجهل بأهميتها التاريخية، وحب التملك للأراضي.

٦- إجراء المزيد من الدراسات الأثرية المتخصصة من جامعاتنا، وهيئة السياحة والتراث الوطني على مواقع الدراسة، وعلى المواقع الأثرية المنتشرة بالثنية وتبالة وما حولها.

وأخيرا آمل أن يكون فيما قدمت خدمة للباحثين والدارسين والصلاة والسلام على خير المرسلين.

خامسًا: صور النقوش:





صورة فوتوغرافية للنقش رقم (٢)

سادسًا: المصادر والمراجع:

١- الأصفهاني، أبو فرج، **الأغاني**، تحقيق: عبد علي مهنا، وسمير جابر، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٢- الأكلبي، محمد بن جرمان العواجي ، **بيشة**، دار الحارثي للطباعة والنشر، ط١، الطائف ،(١٤١٨هـ /١٩٩٧ م).

٣- ----------- **الآثار في محافظة بيشة**، ط١ ، مطابع الحميضي، الرياض ،(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٤- ---------- **النقوش الإسلامية في موقع أم وقر بمحافظة بيشة**، الرياض ،الحميضي (١٤٤٢هـ).

٥- امرؤ القيس، **الديوان** ، تحقيق مصطفى عبدالله الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت،

٦- أوس بن حجر، الديوان، دار صادر، بيروت، (د-ت).

٧- البلاذري، أحمد بن يحيى، **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، جـ١٣، ص٢٤٠.

٨- البكري، عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم**، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣٥ م).

٩- الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ط١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٠- الثنيان، محمد بن راشد، نقوش إسلامية مؤرخة من طريق الحج اليمني الأعلى، محافظة بيشة، **مجلة العصور**، مج١٦، ج١، (ذو الحجة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م).

١١- الخثعمي، مسفر بن سعد، **بيشة ضمن موسوعة الآثار في منطقة عسير**،مطابع السروات ، أبها ، (١٤٢٩هـ) .

١٢- ابن الدمينة، **الديوان**، تحقيق راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة ، (١٣٧٩هـ) .

١٣- ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر ، (١٤٠٠هـ /١٩٨٠م).

١٤- الشنفرى، **الديوان**، تحقيق: إميل يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ،١٤١١هـ /١٩٩١م .

١٥- طرفة بن العبد ، **الديوان**، شرح مهدي محمد ناصر الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٧/١٩٨٧م.

١٦- العامري، لبيد بن ربيعة، **ديوانه**، دار صادر، بيروت.(د-ت)

القسم الثاني

الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين عام (١-٤٠هـ/٦٢٢-٦٦١م)

القسم الثاني

الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين عام (١-٤٠هـ/٦٢٢-٦٦١م).

بقلم . أ. سمية سعيد محمد آل عبيّد) [(١)]

(١)

(١) هذا البحث أساساً رسالة ماجستير من قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد للطالبة سمية بنت سعيد بن محمد آل عبيد السرحاني الشهراني . حصلت الطالبة (سمية) على الدرجة في شهر شعبان عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . ووافقت على نشر البحث في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الرابع والعشرون) ، والأستاذة سمية من مواليد قرية آل سرحان بمنطقة عسير عام (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، بدأت مراحل تعليمها الأولى (الابتدائية والمتوسطة والثانوية) في مسقط رأسها (قرية آل سرحان) ، ثم درست البكالوريوس في علم التاريخ بجامعة الملك خالد ، وحصلت على الدرجة عام (١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م) ، كما حصلت على درجة الماجستير في التخصص نفسه (فرع التاريخ الإسلامي) عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، وحصلت الأستاذة سمية على العديد من الدورات في مجالات عديدة (علمية ، وتقنية ، وتربوية) ، وكانت طالبة مثابرة وجادة أثناء مرحلة الماجستير ، فقد درستها مواد عديدة ، وأشرفت عليها في الرسالة ، (ابن جريس) .

أولاً : مقدمة

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم ولا تكلم لسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد -ﷺ- أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بياناً؛ أما بعد: نالت مدن الحجاز و قراها النصيب الأكبر من اهتمام الدراسات التاريخية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وعلى اعتبار أن الطائف ثالث أهم مدينة في الحجاز، كونها إحدى محطات النضال الدعوي؛ فقد حظيت هي الأخرى بدراسة أحوالها السياسية والعسكرية آن ذاك، مع الحديث -بشكل مقتضب- عن جوانب حضارية أخرى؛ كالنواحي الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية التي لم ترقَ إلى مستوى الاهتمام بالحياة الاقتصادية لمكة والمدينة؛ لذا فقد وقع اختياري على موضوع الحياة الاقتصادية في الطائف منذ الهجرة النبوية وحتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (١ - ٤١ هـ / ٦٢٢ - ٦٦١ م)؛ لما لها من أهمية اقتصادية امتدت لقرون عديدة. وتكمن أهمية هذه الدراسة أنها تقدم صورة شاملة ومستقلة عن جانب مهم من جوانب الحضارة في الطائف في تلك الحقبة المبكرة؛ حيث إن الحياة لم تقتصر على أوضاع سياسية بحتة؛ إنما تخللها تطور حضاري كبير شمل الجوانب العامة بالمدينة كافة.

(*) ولم تكن هذه الدراسة ميسرة فقد واجهت الباحثة صعوبات عدة أثناء إعداد البحث، وبذلت الكثير من الجهد والوقت في تخطيها ومنها :

١. قلة المادة العلمية في جوانب عديدة من مباحث البحث؛ مما دعا الباحثة إلى التوسع في مطالعة كثير من العلوم الاجتماعية والإنسانية والأدبية، للحصول على المادة العلمية التي تتناثر في ثناياها، والتي لا تخلو من التكرار في كثير من المصادر.

٢. تركيز كتب التراث الإسلامي على الحواضر الإسلامية الكبرى، وإهمال الطائف، فلم يتم الحديث عنها بشكل مستقل أو مباشر، سوى بضع سطور في بعض كتب الرحالة والجغرافيين، وأشارت إلى بعض الجوانب الجغرافية والاقتصادية، كما أن بعض المصادر العربية، تناولت الطائف بالحديث على أنها من أعمال مكة المكرمة، ولم تفردها إلا في مقتطفات من نصوصها.

٣. محدودية فترة البحث الزمنية؛ مما اضطر الباحثة للرجوع إلى بعض الدراسات والتقارير الأثرية للاستدلال بها على الوضع الاقتصادي في الطائف.

واختياري للطائف قد زاد العبء عليّ في تقصي المعلومات من مظانها الأصلية والفرعية؛ وذلك لأن بعضاً من المصادر والمراجع نقلت من بعضها بنفس الصيغة والأسلوب، واتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي بعد جمع المادة العلمية وتصنيفها وتحليلها ونقدها أحياناً.

(*) **وقد قسمت الدراسة على النحو الآتي: مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة؛ وبيانها كالآتي:**
الفصل الأول: يدرس العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية بالطائف، وله أربعة مباحث: العوامل الطبيعية، والعوامل الدينية والعسكرية، والعوامل الاجتماعية، والعوامل الأدبية والثقافية.
الفصل الثاني: يتناول النشاط الزراعي والرعوي، وفيه ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

أولها النشاط الزراعي، ثم الرعوي، وآخرها مبحث عن الجمع والالتقاط.
الفصل الثالث: يحمل عنوان النشاط الصناعي والحرفي، وفيه ثمانية مباحث: الصناعات الجلدية، الحدادة والصياغة، البناء والنجارة، صناعة النسيج وخياطته وصباغته، حرف الإعاشة، الصناعات الطبية، حرفة تربية النحل وجني العسل، صناعة النبيذ.
الفصل الرابع: النشاط التجاري، وله تسعة مباحث على النحو الآتي: مقومات التجارة في الطائف، التجارة الداخلية، التجارة الخارجية، وسائل النقل، الأسواق، السلع التجارية، أساليب التعاملات التجارية، الزكاة، المكاييل والموازين والمقاييس. **الفصل الخامس:** أثر الحياة الاقتصادية في جوانب الحياة العامة بالطائف، وله خمسة مباحث تحدثت فيها عن: تأثير الحياة الاقتصادية في الجوانب الدينية، والسياسية، والعلمية، والاجتماعية، والعمرانية. وتضمّنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

(*) **وجُلّ ما وجدت من الدراسات السابقة كانت قد تناولت الحياة الاقتصادية بالطائف في سطور ومعظمها عن الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، ومن تلك الدراسات:**

١. الكناني، توفيق: **الطائف قبل الإسلام من الألف الأول ق.م حتى أوائل القرن ٧م**، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م، استقيت منها العديد من المعلومات عن الأوجه الحضارية في الطائف قبل الإسلام.
٢. لعشوري، آمال: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية في العهدين النبوي والراشدي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م، تطرقت هذه الدراسة إلى العديد من الحرف والصناعات اليدوية التي أمدتني بمعلومات عن الجانب الصناعي في الطائف.

(*) **أما مصادر هذه الدراسة فقد تنوعت طبقاً لتنوع فصولها ومباحثها، ومن أهمها:**

(أ) كتب الجغرافيا والرحلات: كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي** (ت: ٥٥٩ هـ)، وكتاب **المسالك والممالك للاصطخري** (ت: ٣٤٦ هـ)، وكتاب **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري** (ت: ٤٨٧ هـ)، وكتاب **صورة الأرض لابن حوقل** (ت: ٣٦٧ هـ)، وكتاب **المسالك والممالك لابن خرداذبة** (ت:٢٨٠ هـ)، وكتاب **الأعلاق النفيسة لابن رسته** (ت: ٣٠٠ هـ)، وكتاب **صفة جزيرة العرب للهمداني**

(ت: ٣٣٤ هـ). ومن هذه المصادر استخرجت جغرافية الطائف، وطبيعة مناخها، وتربتها، وبعضاً من محاصيلها الزراعية.

(ب) كتب التاريخ الاسلامي: ككتب السيرة، ومن أهمها: كتاب **السيرة النبوية لابن هشام** (ت: ٢١٨ هـ)، وكتب **التأريخ الحولي ككتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير** (ت: ٦٣٠ هـ)، وكتاب **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي** (ت: ٧٤٨ هـ)، وغيرها من الكتب التي استقيت منها الحالة الاجتماعية والسياسية للطائف في القرون الإسلامية المبكرة.

(ج) كتب اللغة: ككتاب **لسان العرب لابن منظور** (ت: ٧١١ هـ)، و لهذا الكتاب أهمية بالغة في إيضاح ما أشكل من مفردات هذه الدراسة.

(د) كتب فقه الاقتصاد الاسلامي: ككتاب **الأموال لابن سلام** (ت: ٢٢٤ هـ)، ومنه استخرجت بعضاً من المعاملات التجارية في الإسلام. وهناك العديد من المصادر والمراجع التي رجعت إليها الباحثة، واستفادت منها بكتابة الدراسة، ويمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع نهاية البحث.

ثانيا : العوامل المؤثرة في الحياة الإقتصادية :

١- العوامل الطبيعية

أ- الموقع الجغرافي

تعد الطائف[١] من أغنى مدن شبه الجزيرة العربية وأشهرها لما تتمتع به من موقع متميز، ولما حباها الله تعالى به من نعم وخيرات كثيرة. وتقع في الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية فيما يعرف بالحجاز[٢]، على ظهر جبل يسمى غزوان[٣] أحد

---

(١) تعددت الروايات بشأن تسمية الطائف، والرواية الأصح ما ذكر ياقوت الحموي عن الكلبي أن رجلاً من الصدف يقال له: الدمون بن عبد الملك قتل ابن عم له يدعى عمرو بحضرموت، ثم أقبل هاربا فأتى مسعود بن معتب الثقفي ومعه مال كثير و كان تاجراً فقال: أحالفكم لتزوجني وأزوجكم وأبني لكم طوفا عليكم مثل الحائط لا يصل إليكم أحد من العرب، قالوا: فابن، فبنى بذلك المال طوفا عليهم فسمّيت الطائف، وتزوج إليهم فزوجوه "، ولهذا السور بابان أحدهما لبني يسار و اسمه صعب، والآخر لبني عوف واسمه ساحر، و على كل منهم حراسة بابه خوفاً من الدخلاء. الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، د.ط (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧ م) ص ٩.

(٢) الحجاز: هو المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية المعاصرة؛ مدنه الرئيسية جدة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وينبع؛ وحدوده التاريخية مختلف فيها إلا أنه يمكن اعتبارها من شمال صعدة في اليمن جنوباً، إلى عمان في الأردن شمالا؛ ولكن الراجح عند الأكثر أنها من الطائف والباحة جنوباً وحتى خيبر شمالاً، ويأتي على رأس أشهر القبائل العربية التي استوطنت الحجاز قديمًا قبيلة قريش في مكة، وهي التي ينتسب إليها النبي محمد ﷺ، والخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون؛ بالإضافة إلى قبائل كنانة وجرهم وخزاعة بمكة، والأوس والخزرج في المدينة، وثقيف في الطائف. الدينوري، ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط ٢ (القاهرة: الدار المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م) ص ٥٦٧. البلادي، عاتق: معجم معالم الحجاز، ط٢ (مكة: دار مكة،٢٠١٠ م) ص ٤٠٩.

(٣) **جبل غزوان:** ذكر عند البعض باسم عروان، وذلك بسبب اللبس الحاصل بين هذا الجبل و جبل آخر

جبال السـروات شـرقي مكة المكرمة نحو وادي القرى[١]، والمسـافة بينهما نحو اثني عشر فرسخاً[٢]، وهي بذلك تعد أدنى السروات إلى مكة[٣]، وتتشارك المدينتان في خطوط الطول ذاتها من المشرق إلى المغرب، فيبلغ طولهما ٦٨ درجة و ٣١ دقيقة، وعرضها ٢١ درجة و٤٠ دقيقة [٤]. ولموقعها أهمية تجارية بالغة؛ فهي تقع على الطريق التجاري الذي يربط اليمن ببـلاد الشـام والموازي للبحر الأحمـر عابراً أهم مـدن الحجاز: الطائـف، ثم مكة، ثم المدينة إلى أن يصل إلى وجهته المبتغاة [٥]. واستفاد أهل الطائف من تلك الخيرات التي تميـزت بها مدينتهم، وجعلوا منها مدينة غنيـة؛ فاحتلت مركزاً تجارياً مميزاً حتى كادت تنافس مكة وإن لم تصل إلى ما وصلت إليه من نفوذ سياسي وديني وتجاري[٦].

ب- التضاريس والمناخ:

تتنوع التضاريس في الطائف نظراً لوقوعها عند ملتقى سهل تهامة وجبال السروات التي تكوّنت نتيجة لانحدار الدرع العربي الذي انفصل عن قارة إفريقيا. ويمكن تقسيم التضـاريس في الطائف إلى ثلاثة أقسـام طبيعية: القسـم الجبلي الذي يتركز -بشكل كبـير- في المناطـق الجنوبيـة والغربيـة [٧]، وقد شـكلت حصـناً طبيعيـاً للمدينة عبر العصور، وتميزت جبالها باكتسائها باللون الأخضر في فصل الربيع، فينبت بها أشجار متنوعة؛ كأشـجار السـدر، والعرعـر، وأنواع سـاحرة من الزهور [٨]، كمـا تميزت تلك الجبال بوجود قنوات تحتفظ بمياه الأمطار فيسـتفيد منها سـكان الطائف في أعمالهم الزراعية، ويتخللها الكثير من الأودية؛ كوادي وج [٩] الواقع بين جبلي الأصيحر والمحترق

قرب يلملم، يبلغ ارتفاعه نحو سـتة ألاف قدم،و يعد من أشـد جبال الحجاز مناعة و حصانة، كما يكثر فيه الصيد، ويجلب منه العسل لكثرة نحله. البلادي: المرجع السابق، ص ١٢٦٠.

(١) الإدريسـي، محمد: **نزهـة المشتاق في اخـتراق الآفاق**، ج١، د.ط (القاهرة: مكتبـة الثقافة الدينية،١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م) ص ١٤٤.

(٢) الفرسـخ: كلمة فارسـية أصلها فرسنك، وهي وحدة تقيس المسـافة قديماً، ومقدارها ثلاثة أميال. ياقوت: **معجم البلدان**، ج١، ص ٣٦.

(٣) ياقوت: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٥.

(٤) القلقشـندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في كتابـة الإنشا**، ج٤، ط١ (القاهرة: دار الكتب المصـرية، ١٣٤٠ هـ /١٩٢٢ م) ص ٢٥٩.

(٥) المنجم، إسحاق: **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، ط ١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ) ص ٥٦. السـوداني، صلاح: الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام، ط١ (عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٦ م) ص ٤٥ .

(٦) القصير، عيسى: **أحلى اللطائف في منتجع الطائف**، ط١ (الطائف: جامعة الطائف، ٢٠١٠م) ص ٧٨.

(٧) ياقوت: المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٨. القصير: **أحلى اللطائف**، ص ٢٣.

(٨) البلادي: **معالم الحجاز**، ص ٦٣٢.

(٩) وج: اسـم الطائف القديم، وقيل: اسـم لحصـونها فقط. القلقشـندي، أبو العباس: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ١٥٠.

جنوب غرب الطائف. وعلى الرغم من انتشار الجبال في تلك المناطق إلا أن ذلك لم يحد من انتشار المسطحات الزراعية؛ حيث إنها تضم بين ثناياها التربة الصالحة للزراعة.

أما المنطقة السهلية فهي تلك الأراضي الموجودة بالقرب من الموارد المائية؛ كالأودية، والسدود، والعيون في أنحاء مختلفة من الطائف، ولعل هذا الجزء هو ما ميّز الطائف عن غيرها من المدن المجاورة التي اتصفت بالجدب والقحط وندرة الغطاء النباتي؛ كمكة المكرمة، و النواحي المجاورة لهضبة نجد [١]، وتنتشر بها المزارع خاصة مزارع العنب والرمان والموز، وتضم هذه المنطقة العديد من الأودية؛ كوادي لية [٢] ووادي نخب[٣]، وقد وصفها عرام بأنها: "ذات مزارع ونخيل وموز وأعناب وسائر الفواكه، وبها مياه جارية وأودية" [٤]. وتتركز المنطقة الصحراوية في النواحي الشمالية والشمالية الشرقية، واتصفت تلك المنطقة بطبيعة الحال بقلة الغطاء النباتي، ولم يستطع أحدٌ أن يتكيف معها سوى البدو الرحّل [٥].

وتبعاً لاختلاف التضاريس بالطائف يختلف المناخ أيضاً، حيث تتراوح درجات الحرارة ما بين (٨ إلى ٣٠) درجةٍ مئوية طوال العام، وفي بعض الأحيان قد تصل درجة الحرارة إلى ٤ درجات ونادراً ما تزيد عن ٣٠ درجة؛ فالمنخفضات يغلب عليها الاعتدال، بعكس الجبال فقد امتازت بالبرودة التي تصل أحياناً إلى التجمد[٦]، يقول الاصطخري: "وليس بالحجاز فيما علمته مكان أبرد من رأس هذا الجبل -غزوان - ولذلك اعتدل هواء الطائف، وبلغني أنه ربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع فيما علمته" [٧]؛ أما الصحاري المترامية

(١) البصري، الحسن: **فضائل مكة والسكن فيها**، د.ط (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ص ١٥. الجودي، صالح: **الطائف بين الموروث والمستجدات**، ط١ (الطائف: دار الحارثي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م) ص ٢١.

(٢) أكبر أودية الطائف وأوفرها ماءً، وهو واد ضيق ومستطيل يبدأ من الشرق الجنوبي، وعلى طرفيه بساتين خلابة وزروع كثيرة حتى يصل إلى الشرق الشمالي من المدينة، مر به الرسول -ﷺ- وبه أمر بهدم حصن مالك بن عوف قائد قبيلة غطفان العدنانية. الهمداني، الحسن بن أحمد: **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد الأكوع، ط١ (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ٣٠٣. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٥، ص ٣٠.

(٣) من أجمل أودية الطائف وألطفها هواءً وأجودها تربة، يمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الشرقي من الطائف، ويتميز هذا الوادي بكثرة شجر الأراك فيه. كمال، محمد: من تاريخ الطائف: وادي نخب وسكانه قبيلة وقدان، **مجلة العرب**، مج١، ع٦ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٧ م) ص ٥١٥.

(٤) السلمي، عرام بن الأصبغ: **أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م) ص٣٠.

(٥) البندنيجي، أبو بشر: **التقفية في اللغة**، تحقيق: خليل العطية، د.ط (العراق: وزارة الأوقاف، ١٩٧٦ م) ص ٦٦٧. الجابري، نزهة: قرى الطائف سماتها وأنماطها، **المجلة الجغرافية العربية**، مج ٢، ع ٥٢ (القاهرة: الجمعية الجغرافية المصرية، ٢٠٠٨ م) ص ٣٠٠.

(٦) الجودي: **الطائف بين الموروث والمستجدات**، ص ٢١.

(٧) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم: **المسالك والممالك**، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٠ م) ص ١٩.

ـ في الأطراف الشـرقية والغربية فتزداد الحرارة بها حتى تحيد عن الاعتدال [١]؛ ولذلك فقد أصـبحت الطائف الوجهة المفضـلة لساكني شـبه الجزيرة العربية كأثرياء قريش الذيـن كانوا يهرعون إليها هرباً من قيظ مكة، يذكر المقدسـي أنها: " مدينة صـغيرة، شامية الهواء، باردة الماء إذا تأذى ملوك مكة بالحر خرجوا إليها " [٢]، وكان لمصيفهم بها أثرٌ بالغٌ في تزايد فرص استثمار أثرياء قريش لأموالهم بالطائف، ليس هذا فحسبٍ؛ بل إن لطيب مناخها أهمية بالغة في تكوين حضارةٍ راقية مع استمرارها وتطورها أيضاً؛ لذلك فقد صـنفت كأكثر المدن العربية تحضـراً، كما أن هنـاك نظرية جغرافية تربط بين درجة الحرارة ودرجة الحضارة، فتجعل انخفاض درجة الحرارة من عوامل التقدم الحضاري، فلا غرو إن أصبحت مدينة الطائف من أكثر بلاد العرب حضارة [٣].

ج- الثروات الطبيعية:

تمتلـك الطائـف مجموعة مـن الـثروات الطبيعية التي سـاعدتها في اسـتقرارها الاقتصـادي ونهوضـها في مجـالات مختلفـة، ومـن أهم تلك الـثروات: الـثروة المائية والنباتيـة والحيوانيـة، ولم تحتـو أرض الطائف علـى أنهار أو بحـيرات إلا أن الله -عز وجل- حباها بموارد مائية مختلفَة؛ فقد انتشـرت الأودية الخصيبة في أرجاء الطائف، وتـركـــزت في النواحـــي الجنوبية والجنوبيةٍ الغربية، وكذلك في النـواحي الشـمـالية والشمـالية الشـرقية؛ يذكر الهمداني[٤] بعضاً من أودية الطائف في نواحٍ مختلفة منها: كوادي برد[٥]، وجفن[٦] ولية، ووج، ومشريق[٧]

وجلـدان[٨] في دلالة واضـحة على كـثرة الأودية وانتشـارها في الطائف، وقد أدى ذلك لانتعاش الزراعة واسـتمرارها طوال العام. كما امتازت الطائف بالعيون والينـابيع التـي كوّنتها مياه الأمطار[٩] حتـى بالغ البعض في كثرتها، فذكـرت إحدى الروايات أن

---

(١) الجودي: **الطائف بين الموروث والمستجدات**، ص ٢١.

(٢) المقدسي، شمس الدين محمد: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٢ (ليدن: مطبعة بريل، د.ت) ص ٧٩.

(٣) صقر، نادية: **الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام**، ط١ (جدة: دار الشروق، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) ص٩.

(٤) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٣٣

(٥) برد: أحد مسايل وادي وج، يسكنه قوم من هذيل وقريش. الهمداني: المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٦) جفن: وادي لبني سليم من ثقيف، يقع يماني الطائف. الهمداني: المصدر السابق، ص٢٣٣.

(٧) مشـريق: وادي لبني أمية من قريش، سـماه الأصفهاني الشـريق وهو من بلاد الطائف. الهمداني: المصدر السـابق، ص٢٣٣. التكريتي، بهجت: الطائف رافد من روافد الثقافة العربية والإسـلامية، **مجلة الفيصل**، ع ٤ (الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص ٤٢.

(٨) جلدان: وادي في شرقي الطائف، يسكنه بنو هلال، ويقع بالقرب من وادي لية. التكريتي: الطائف رافد من روافد الثقافة ، ص ٤٢.

(٩) تكثر الأمطار في الطائف في فصـلي الربيع والصيف، ويبلغ معدل سقوط الأمطار في الجبال نحو ٢٥٠ ملم؛

لوادي وج ما يزيد عن تسعين عيناً [١]. وكذلك الآبار التي تستخرج منها المياه الجوفية التي تكونت نتيجة لتجمع مياه الأمطار في باطن الأرض، ومن أشهرها بئر وادي وج التي شرب منها رسول الله -ﷺ- وصلى بحذائها [٢].

نظراً لتوفر المياه وخصوبة التربة فقد اكتست مناطق شاسعة من الطائف بالغطاء النباتي حتى إن سفوح الجبال كانت مغطاة بأنواع مختلفة من الأشجار كالعرعر والسدر، وعمل أهالي الطائف على استصلاح الأراضي وزراعتها بشتى أنواع النباتات[٣]، فزرعوا الرمان والموز والنخيل والتين، وتفوقوا في زراعة العنب [٤]. يجدر بنا الإشارة إلى أن الثروة النباتية لم تكن بحال واحد فقد نالها ما نال أراضي الحجاز من جدب وقحط في فترات مختلفة [٥].

لم تقتصر ثروات الطائف على ذلك؛ فقد درجوا على جمع الماشية وتربيتها واتخاذها وسيلة للنقل، كما برعوا في دباغة الجلود وتطويعها حتى أصبح للأديم الطائفي صيت ذائع وسوق نشط، وعُرفت الطائف بتربية النحل واستخراج العسل؛ فلم يضاهِ العسل الطائفي أي نوع آخر في عموم الحجاز [٦].

٢ - العوامل الدينية والعسكرية :

اشتد على رسولٍ -ﷺ- أذى قريش بعد أن هلك أبو طالب فاتجه نحو مدينة أخرىٍ من جارات مكة أملا في إيجاد النصرة والعون فتوجه لمدينة الطائف، وهناك وجد ردا مماثلا لردة فعل قريش تجاه الدعوة، فقد سفّهوه وسبّوه ووصفوه بالجنون، وأغروا به عبيدهم وسفهاءهم، ورموه بالحجارة حتى أصيبت قدميه وسالت منهما الدماء[٧]. عاد الرسول -ﷺ- إلى مكة وظل يدعو أهلها والقبائل المجاورة لها للإسلام حتى أذن الله -تبارك و تعالى- له بالهجرة إلى المدينة لتبدأ منها العمليات العسكرية والحربية في سبيل الدعوة ونشر الإسلام [٨]. وفي السنة (٨ هـ / ٦٣٠م) منّ الله -عز وجل- على المسلمين بفتح مكة ودخولها تحت راية الإسلام، وإرسال بعض السرايا حول مكة للدعوة للإسلام وهدم أصنام المشركين، من هَنا خشيت القبائل المقيمة حول مكة والطائف

بينما يقل في الصحاري فيصل إلى ٥٠ ملم. الجودي: **الطائف بين الموروث والمستجدات**، ص ٢١.

(١) آل عبدالله، الشريف محمد: عيون الطائف، **مجلة العرب**، مج ٢٤، ع ٩-١٠ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٩ م) ص ٦٠٤.

(٢) القاري، عبد الحفيظ: **رسالة في أخبار الطائف**، تحقيق: علي عمر، ط١ (القاهرة: نوابغ الفكر،١٤٣١هـ / ٢٠١٠م) ص ٢٠.

(٣) البلادي: **معالم الحجاز**، ص ١٤٨٣.

(٤) ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص ١١.

(٥) الهمداني: **صفة جزيرة** العرب، ص ٣٣٣.

(٦) البلادي: **معالم الحجاز**، ص ١٢٦٠.

(٧) ابن هشام، عبدالملك: **السيرة النبوية**، تحقيق: عمر تدمري، ج٢، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م)، ص ٣١٩.

(٨) ابن هشام: المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٩.

أن تدور الدائرة عليهم، فأرادوا قتال المسلمين قبل أن يقاتلوهم، وفي مقدمتهم هوازن وثقيف [١]، وجمع مالك بن عوف النصري [٢] القبائل فانضم لهم كلٌّ من نصر [٣]، وجشم [٤]، وسعد بن بكر [٥] وجمع من بني هلال [٦] أملاً منهم في وقف هذا التمدد الإسلامي [٧]، وأمرهم مالك بن عوف أن يخرجوا بالنساء والأطفال والأموال حتى لا يفر أحد منهم في زعمه وسار بهم إلى حنين [٨].

لما بلغ الرسول والصحابة الأمر أخذوا عدتهم للقتال، ثم استعار الرسول -ﷺ- مائة درع من صفوان بن أمية. وسار المسلمون يقودهم الرسول وكان عددهم ما يقارب اثني عشر ألفاً، وهذا عدد لم يجتمع للمسلمين من قبل مثله، حتى قال أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة [٩]. سبقت هوازن وثقيف المسلمين إلى وادي حنين وتحصنوا في موقعهم، وكانت خطتهم أن يتوزعوا في شعاب ومضايق الوادي وجوانبه حتى إذا انحدر المسلمون من الوادي باغتوهم الهجوم حتى تتفرق صفوفهم، وتحل بهم الهزيمة [١٠]. وصل المسلمون إلى الوادي في أول النهار في مقدمتهم بنو سليم وعلى رأسهم خالد بن الوليد-رضي الله عنه-، وحينما انحدروا من مضيق الوادي أمر مالك بن عوف القبائل بالهجوم فشدت شدة رجل واحد، وانهالت السهام الكثيفة على المسلمين، فاختلط أمر المسلمين واضطرب فانكشفت خيّالتهم ثم المشاة، وفر الطلقاء والأعراب ثم بقية الناس، ولم يثبت مع الرسول -ﷺ- سوى عدد قليل من الصحابة [١١].

---

(١) ثقيف: بطن من هوازن العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم ثقيف، واسمه قسي بن منبه، ومنازلهم بالطائف. القلقشندي: **نهاية الأرب**، ص ١٩٨.

(٢) مالك بن عوف بن سعد بن يربوع ابن دهمان، يرتفع نسبه إلى نصر بن معاوية بكر بن هوازن، ويلقب بأبي علي النصري نسبة إلى أحد أجداده نصر بن معاوية، وهو فارس وشاعر مخضرم من أهل الطائف، ويعدُّ من الفرسان، توفي سنة ٢٠ هـ. ابن الأثير، عز الدين: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م) ص ١٠٧٤.

(٣) بنو نصر: بطن من هوازن، وهم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. القلقشندي: المصدر السابق، ص ٤٣١.

(٤) جشم: بطن من بكر بن هوازن، كانت مساكنهم بالسروات الفاصلة بين تهامة ونجد. القلقشندي: المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٥) بنو سعد بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان، و منهم حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ. ابن حزم، علي: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٥ (القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص ٢٦٥.

(٦) بنو هلال: بطن من عامر بن صعصعة من هوازن، منهم ميمونة زوج النبي ﷺ. القلقشندي: **نهاية الأرب**، ص ٤٤٣.

(٧) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج ٤، ص ٦١.

(٨) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨١.

(٩) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨١.

(١٠) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٤.

(١١) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٦.

ثبت الرسول -ﷺ- في ميدان المعركة، وأحاط به عدد من أصحابه، وجعل ينادي في الناس المفزوعين وقال: "أين أيها الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله"، ثم أمر عمه العباس، وكان جهوري الصوت أن ينادي الناس المنهزمين: يا معشر الأنصار والمهاجرين، يا أصحاب الشجرة، فتراجعوا إلى ناحية الصوت (١).

سمع الناس نداء العباس -رضي الله عنه- ورجعوا وهم يقولون: لبيك. لبيك، واجتمع حول الرسول -ﷺ- عدد من المسلمين استقبل بهم المشركين، وكان راكباً على بغلته وهو يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" واشتد القتال وحمي الوطيس، وأخذ الرسول -ﷺ- تراباً فرمى به وجوه الكفار وقال: "اللهم أنزل نصرك"، ولم يقاوم الكفار طويلاً؛ بل فروا من الميدان بعد ثبات المؤمنين حيث أنزل الله عليهم السكينة، وقد تعقب المسلمون الأعداء وقتلوا الكثير منهم، وأسروا بعضهم، وهزمت هوازن ومن كان معها شر هزيمة، وتفرقت فلولهم في الجبال والأودية، وتحصن مالك بن عوف في الطائف، وتركوا وراءهم كثيراً من الأموال والنساء والذراري غنيمة للمسلمين؛ وفي أحداث هذه الغزوة نزل قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢).

بعد انتصار المسلمين في حنين على هوازن وثقيف، وفرار مالك بن عوف إلى الطائف مع ثقيف اتجه الرسول -ﷺ- والمسلمون إلى الطائف لحصارها، وكانت المدينة محصنة وليس لها منفذ سوى الأبواب التي أغلقتها ثقيف بعد استعدادها للحصار، وكانوا ذوي دراية بحرب الحصار.

وصل المسلمون إلى الطائف ونزلوا على مقربة من حصونها، وعندئذ أطلقت ثقيف نبالها وقتلت ناساً من أصحاب رسول الله-ﷺ-، فانسحب المسلمون بعيداً إلى المكان الذي أقيم فيه مسجد الطائف فيما بعد، واستخدم المسلمون بعض الوسائل في الحصار؛ كالمنجنيق لضرب أسوار المدينة، والدبابة للزحف إلى الأبواب ومحاولة فتحها؛ ولكنها لم تفلح في التغلب على مناعة الحصون، كما قطع المسلمون أشجار العنب لإجبار ثقيف

---

(١) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج ٤، ص ٨٦.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي محمد السلامة، ج ٤، ط ٢ (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ص ١٢٥-١٢٧؛ سورة التوبة: الآية (٢٥-٢٧).

على الاستسلام، ثم ناشدت ثقيف الرسول -ﷺ- بالكف عن ذلك فأمر بتركها [(١)].

وجه الرسـول -ﷺ- إلى من كان في الحصون نداءً بالأمان لمن خرج منها، فخرج ثلاثة وعشـرون من الموالي أعتقهم الرسـول بعد إسـلامهم، وبعد بضعة عشر يوماً أمر الرسـول -ﷺ- بفك الحصـار عن الطائف لامتناعها، وعاد بجيشه إلى الجعرانة [(٢)] حيث قسّم غنائم حنين بين المسلمين، وأعطى حديثي العهد بالإسلام ليتألّف قلوبهم [(٣)]. وكان مع غنائم حنين مـال وسـبي لمالك بن عوف النصـري، فسأل الرسول -ﷺ- وفد هـوازن عنه فـقالوا: هـو بالطائف مع ثقيف، فقال الرسـول ﷺ: أخبروا مالكاً أنه إن أتـاني مسـلماً رددت عليه أهلـه وماله، وأعطيته مئـة من الإبل [(٤)]. لمـا عرف مالك بن عوف ما قاله الرسول -ﷺ- ركب راحلته ولحق به عند موضع يسمّى الجعرانة وأعلن إسـلامه، فرد عليه الرسـول -ﷺ- أهله وماله، وأعطاه مئة من الإبل، وحسن إسلامه فيما بعد [(٥)]. وشـكّل إسـلام هوازن ووجهائها صـدمة كبيرة لثقيف وذلك لخسـارتها أكبر حليف لها من بين القبائل المناهضة للإسلام، ليس هذا فحسب فقد أعلنت قبائل أخرى إسلامها ممن كانت في يوم حنين؛ كغطفان، [(٦)] وسليم [(٧)].

وبعد أن أسـلم مالك بن عوف أمّره الرسـول -ﷺ- على من أسـلم من قومه من ثمالـة [(٨)] وفهـم [(٩)] وغيرهم، وكان يقاتـل بهم ثقيف، فلا تخرج لهم سـرح إلا أغاروا عليها، فوجدت ثقيف نفسـها تحت حصـار اقتصادي بدون حلفاء، ولم يعد لديها طاقة

---

(١) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج ٤، ص ١٢٣.

(٢) الجعْرانة: قرية صـغيرة قريبة من المسـجد الحرام، تقع في وادي الجعرانة، اكتسبت شهرة تاريخية بنزول الرسول -ﷺ- فيها وتوزيع الغنائم بها بعد عودته من غزوة حنين. الماوردي، أبو الحسن: **الحاوي الكبير**، تحقيق: علي معوض وآخرون، ج ٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ /١٩٩٩ م) ص ٤٢. البلادي: **معالم الحجاز**، ص ٣٥٨.

(٣) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج ٤، ص ١٢٧.

(٤) ابن هشام: المصدر السابق، ج٤، ص ١٨٠.

(٥) ابن هشام: المصدر السابق، ج٤، ص ٩٦.

(٦) غطفان بطن من قيس عيلان، وهو بطن متسـع كثير الشـعوب والبطون، منازلهم بنجد. القلقشندي: **نهاية الأرب**، ص ٣٨٨.

(٧) بنو سـليم: قبيلة عظيمة من ولد منصـور بن عكرمة بن قيس عيلان، مواطنهم بأعالي نجد. القلقشـندي: المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٨) ثمالة: هي قبيلة من الأزد تنتسـب إلى ثمالة بن أسـلم بن أحجن بن كعب الأزدي، دخلت بالحلف مع ثقيف، وهم في الجنوب الشرقي من مدينة الطائف. القلقشندي: المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٩) فهـم: بطـن من ولد عمـرو بن قيس عيلان، هاجـر العديد منهم فيما بعد إلى أرض مصـر. القلقشـندي: المصدر السابق، ص ٣٩٤.

للحرب فآثرت أخيراً السلم [١]. وفي محادثات بين وجهاء ثقيف قال أحدهم: " إنه قد نزل بنا أمر ليس معه هجرة، إنه كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم "، كان لهذه الكلمات وقعٌ في نفوس ثقيف، فقال بعضهم لبعض: " أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع "، وعليه فقد اتفقوا على أن يرسلوا وفداً يمثل مدينتهم إلى رسول الله عليه أفضل الصلوات وأجل التسليم [٢]. وصل هذا الوفد في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠-٦٣١ م)، ويبدو أن الوفد كان قد أعد شروطاً مقابل إعلان إسلامهم، وبعد وصولهم بدأت المفاوضات بين الطرفين، ولعلهم اعتقدوا أن بمقدورهم اعتناق الإسلام دون الالتزام بتعاليمه؛ لذا فقد سار الحوار بينهم بهذا الشكل: قال كنانة بن عبدياليل [٣]: أفرأيت الزنا، فإنا قوم نغترب ولابدّ لنا منه، قال الرسول ﷺ: هو عليكم حرام، فإن الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [٤]. قالوا: أفرأيت الرّبا، فإنه أموالنا كلها، قال ﷺ: لكم رؤوس أموالكم إن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ [٥]، قالوا: أفرأيت الخمر، فإنه عصير أرضنا لابدّ لنا منها، قال: إن الله حرمها، وقرأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [٦]، وسألوه -أيضاً- أن يضع عنهم الصلاة فقال -ﷺ- لهم: لا خير في دين بلا صلاة [٧].

انقطعت المفاوضات ليتشاور زعماء ثقيف فيما بينهم، وانتهت بموافقتهم مضطرين وليس عن قناعة تامة خوفاً مما تعرض له أهل مكة من قبلهم، عادوا للرسول -ﷺ- وقالوا: أرأيت الربة [٨]، قال: اهدموها [٩]. ومع محاولاتهم الحثيثة في الإبقاء على الربة

(١) القيسي، عاطف: **ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م) ص ٦٢.

(٢) القيسي: المرجع السابق، ص ٦٢.

(٣) كنانة بن عبدياليل: من أشراف ثقيف وزعمائهم، خرج فيما بعد إلى نجران، ثم إلى الروم ومات بها كافراً. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص ١٠٤٨.

(٤) سورة الإسراء: الآية (٣٢).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٧٨).

(٦) سورة المائدة: الآية (٩٠).

(٧) ابن قيم، أبو عبدالله شمس الدين: **زاد المعاد في هدي خير المعاد**، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ج ٣، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م)، ص ٥٢٢.

(٨) الربة: بيت اللات، واللات: وثن كانت تعبده ثقيف، وورد أنها صخرة كان يجلس عليها رجل يبيع السمن واللبن للحجاج، فلما مات ادّعى رجل يدعى عمرو بن لحي أن روح الرجل دخلت بالصخرة فعبدها الناس وأخذوا يحجون لها، وبنت ثقيف لهذا الوثن بيتاً يسمّى الربة كان يملؤه الحجاج بالحلي والطعام للتقرب منها. كدر، جورج: **معجم آلهة العرب قبل الإسلام**، ط١ (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٣م) ص ١٥٥- ١٨٥.

(٩) ابن قيم: المصدر السابق، ج٣، ص ٥٢٤.

أو تأجيل هدمها لبضع سنوات إلا أنهم استجابوا لما أمرهم به الرسول -ﷺ- في نهاية الأمر بشـرط ألا يهدم الربة أحد منهم، فبعث الرسـول معهم خالد بن الوليد و المغيرة ابـن شـعبة [١]، وقبـل أن يعـودوا إلى الطائف أمّر عليهـم عثمان بن العاص [٢]. ونجد من هذه المفاوضات أثر النظم الإسلامية على أشكال الحياة كافة في الطائف، ومن ثمَّ فقد أثرت بالحياة الاقتصادية؛ حيث حُرم الربا والخمر اللذان كانا من أهم ركائز الحياة الاقتصادية في الجاهلية، ليس هذا فقط؛ بل إن رسول الله -ﷺ- أرسل كتاباً فيما بعد لثقيف قال فيه [٣]:

عن عروة بن الزبير قال: هذا كتاب رسول الله لثقيف: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسـول الله لثقيف، كتب أن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمة محمـد بـن عبد الله النبي على ما كتب عليهم في هذه الصـحيفة أن واديهم حرامٌ محرم لله كله: عضاهه وصيده وظلم فيه، وسرق فيه، أو إساءة. وثقيف أحق الناس به، ولا يعبر طائفهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسـلمين يغلبهم عليه، وما شـاءوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سـواه بواديهم، لا يحشرون ولا يعشـرون، ولا يستكرهون بمال ولا نفس، وهم أمة من المسلمين يتولجون ما شاءوا، وأين تولجوا ولجوا، وما كان لهم من أسير فهو لهم، هم أحق الناس به، حتى يفعلوا ما شـاءوا، وما كان لهم من دين في رهن فبلغ أصـله فإنه لـواط "ربـا" مبرأ من الله، وما كان في دين في رهن وراء عكاظ - فإنه يُقضـي إلى عكاظ برأسـه، وما كان لثقيف من دين في صحفهمٌ اليوم ٱلذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم، ومـا كان لثقيـف من وديعة في ٱلناس ومال أو نفس غنمها موعدها، أو أضـاعها إلا فإنها مـؤداة، ومـا كان لثقيف من نفس غائبة أو مـال فإن له من الأمن لشـاهده، وما كان لهم من مال بلية فإن له من الأمن مالهم بوج. وما كان لثقيف من حليف أو تاجر فأسـلم فإن لـه مثل قضـية أمر ثقيف، وإن طعن طاعنٌ على ثقيـف أو ظلمهم ظالم فإنه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس، وأن الرسـول ينصـرهم على من ظلمهم، والمؤمنين، ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم، وأن السـوق والبيع بأفنية البيوت، وأنه لا يؤمّر عليهم إلا بعضهم على بعض: على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم، وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها، وما كان لهم من دين في رهن لم يلط فإن وجد أهله قضـاء قضوا، وإن لم يجدوا فإنه إلى جمادى الأولى من كلّ عام قاَبل، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه، وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم إلا رأسه، وما كان

(١) المغيرة بن شعبة: أبو عبد الله هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، صحابي جليل، توفي سنة ٥٠ هـ. ابن الأثير: أسد الغابة، ص ١١٦١.

(٢) عثمـان بـن أبي العاص: ظل علـى أمارة الطائـف إلى أن تولى عمر خلافة المسـلمين، مكث بها سـنتين ثم استأذن عمر للجهاد، توفي -رضي الله عنه- سنة ٥١ هـ. ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٨٢٢.

(٣) حميـد الله، محمـد: **مجموعة الوثائـق السياسية للعهـد النبوي والخلافـة الراشـدة**، ط٦ (بيروت: دار النفائس ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ص ٢٨٤.

لهم من أسير باعه ربه فإن له بيعه، وما لم يبع فإن فيه ست قلائص.

اشتمل الكتاب على مجموعة من البنود والتنظيمات التي منحتهم كامل التصرف بأرضهم وفقا لما شرعه الله دون ظلم أو سرقة أو إكراه؛ مما يعني الحرية الاقتصادية، كما شدد -ﷺ- على حرمة الربا رغم تحريمه عليهم يوم التقى بوفدهم، وبها -أيضا- بيان لبعض الحقوق المالية لئلا يهضم لهم حق، كما شدد على الوضوح في البيع والشراء من أجل منع الغبن والاستغلال [(١)].

وما ان أسلمت ثقيف حتى انضم أبناؤها إلى رسول الله -ﷺ-؛ لتثبيت دعائم الدولة الإسلامية ونشر الدعوة بين المدن والأمصار. ولعب الثقفيون دورا بارزا في عهد الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم-، وبرزت ثقيف في حروب الردة التي شاركوا فيها بكل جدارة وشجاعة في عهد أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، ومن الثابت أن ثقيف أسلمت ولم ترتد عن الإسلام كما فعلت بعض القبائل، بل ساهمت في القضاء على هذه الحركة؛ مما عزز مكانتها بين القبائل العربية المجاورة، وجعلها أول القبائل نفيرا للحروب ونصرة الدين [(٢)].

كما شاركت ثقيف في العديد من المعارك والفتوحات الإسلامية التي جابت نواح مختلفة كمصر والعراق وطبرستان وأرمينية وأذربيجان، وكان لإسهام أهل الطائف أفرادا وجماعات في الجيوش الإسلامية أثرا كبيرا في هذه الفتوحات، على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية [(٣)].

وبناءً على ما سبق نجد أن العوامل الدينية والعسكرية أحد أهم العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية؛ يعود ذلك للعمليات العسكرية التي شملت الطائف وضمتها للمدن الإسلامية ولجملة التنظيمات التي نصت عليها الشريعة الإسلامية التي عملت على صبغ الحياة الاقتصادية بالطائف بصبغة إسلامية. كما لعبت الحياة السياسية والعسكرية دورا هاما في حياة الطائف في عهد الرسول -ﷺ- والخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- حيث أسهمت الغنائم والأموال المتدفقة على الحجاز في ازدهار الحياة الاقتصادية بالمدينة، مما جعلها تحافظ على مكانتها الاقتصادية التي تتمتع بها منذ العصر الجاهلي[(٤)].

---

(١) الملاح، هاشم: **طبيعة الدولة الإسلامية (دراسات تاريخية في المفهوم والنظم والإدارة)**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩ م) ص ٣٣١.

(٢) حروب الردة: هي سلسلة من الحملات العسكرية التي شنها المسلمون على القبائل العربية التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول -ﷺ-، خلال الفترة الممتدة بين سنتيّ ١١هـ و١٢هـ، الموافقة لسنتيّ ٦٣٢م و٦٣٣م. الذهبي، شمس الدين: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج ٣، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ص ١٢١.

(٣) البلاذري، أحمد: **فتوح البلدان**، تحقيق: عمر الطباع، د.ط (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ٢٩٨-٤٥٥. القصير: أحلى اللطائف، ص ١٣٦.

(٤) القصير: **أحلى اللطائف**، ص ١٣٦.

٣- العوامل الاجتماعية :

ينقسم مجتمع الطائف إلى ثلاث طبقات اجتماعية: الصرحاء، والعبيد، والموالي؛ أما الصرحاء فهم أبناء القبيلة، ذوو الدم النقي الذي لا تشوبه شائبة، وينتمون جميعاً إلى أب واحد، والذين تتمثل فيهم العصبية القبلية بأقوى معانيها؛ أما طبقة العبيد فقد كانت تتألف من عنصرين: عنصر عربي، وهم أولئك الأسرى الذين كانوا يقعون في أيدي القبيلة في حروبها مع القبائل الأخرى، وعنصر غير عربي، وهم الرقيق الذين كانوا يُجلبون من البلاد المجاورة للجزيرة العربية؛ أما الطبقة الثالثة من المجتمع القبلي فهي طبقة الموالي التي تتألف من العتقاء ومن العرب الأحرار الذين لجؤوا إلى القبيلة من قبائل أخرى وعاشوا في حمايتها، أو حماية رئيسها أو بعض ذوي النفوذ فيها [١].

تُعدّ طبقة الصرحاء المحرك الأساسي لأوجه الحياة كافة في الطائف متمثلة بثقيف باعتبارها القبيلة الرئيسية وصاحبة السيادة في المدينة، فما إن استقرت بالطائف حتى عملت على إزاحة العناصر كافة التي تشكل خطراً على أمنها وسيادتها حتى كادت أن تتفرد بها، وما إن أنهت مشكلاتها الداخلية حتى خرجت من أسوارها بحثاً عن الحلفاء، وكانت قريش [٢] قد سعت لمصالحة ثقيف والتقرب منها أملاً في إنهاء خطرها على تجارة مكة بشكل سلمي دون اللجوء للحرب، وبهذا الحلف كانت مكة والطائف قد شكلتا رابطة اقتصادية متكاملة؛ فالطائف تسد حاجات مكة الاقتصادية؛ في حين كانت الطائف مصيفاً لأثرياء مكة ومكاناً مناسباً للاستثمار التجاري والعقاري.

من جانب آخر ارتبطت ثقيف وقريش بعلاقات مصاهرة ربطت أسراً قرشية رفيعة بأخرى ثقفية، كما كان لبعض من رجالات ثقيف مكانة كبيرة عند قريش؛ يظهر ذلك جلياً بعد أن أرسلت قريش أحد رجال ثقيف للرسول -ﷺ- لتقريب وجهات النظر في بعض الأمور السياسية؛ مما زاد من عمق العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الطرفين [٣].

ومما ميز طبقة الصرحاء في الطائف أنها تخلت عن الفكرة العربية السائدة تجاه بعض الحرف والصناعات واحتقارها وحصرها على العبيد والموالي [٤]؛ وتكاتفت طبقات مجتمع الطائف كافة للنهضة باقتصاد المدينة، فانخرط أبناء الذوات بالحرف المختلفة، كما انخرط بها العبيد والموالي باختلاف المهام.

---

(١) منصور، حسن: **المجتمع العربي: بين التاريخ والواقع**، ط٢ (عمان: دار الأمواج، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م) ص ٩٥.

(٢) تُعدّ قريش صاحبة السيادة على القبائل العربية كافة نظراً لمكانتها الدينية التي اكتسبتها من خلال إدارة مراسيم الحج.

(٣) البغدادي، أبو جعفر: **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط ١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م) ص ٢٣٢. القيسي: ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي، ص ٤١.

(٤) النابلسي، شاكر: **المال و الهلال**، ط١ (بيروت/ دار الساقي، ٢٠٠٢ م) ص ١٧.

وللعبيد والخدم والجواري -أيضاً- أثر في الحياة الاقتصادية بالطائف، فقد شكلوا نسبة غير قليلة من الأيدي العاملة بالحرف والصناعات، ونجد الموالي انخرطوا في العديد من الصنائع والحرف؛ كالزراعة، والدباغة، والخياطة والحدادة، وكان من أبرز من امتهن الحدادة من الموالي رجل يدعى الأزرق الثقفي[١] الذي قدم للرسول -ﷺ- مسلماً أيام حصار الطائف بعد أن نادى عليهم الرسول -ﷺ- بأن كل من يخرج إليه مسلماً منهم فهو حر فخرج عليه عدد لا بأس به من الموالي [٢].

كان للعرقيات والقبائل المختلفة سواء النازحة أو القاطنة بالقرب من الطائف جهدٌ كبيرٌ في رقي الحياة الاقتصادية، فقد كان لليهود الذين طردوا من يثرب واليمن [٣] أثرٌ بالغٌ في إثراء العديد من المهن كالزراعة والتجارة؛ وذكر في المصادر الإسلامية أن زراعة كروم العنب أحد أهم المحصولات الزراعية بالطائف، بدأت بعد أن أعطت عجوزٌ يهودية قسي بن منبه -ثقيف- أعواداً من العنب قبل أن توافيها المنية، وحين استقر بالطائف زرعها وأنتجت ثماراً لم يُر مثلها في البلاد، كما عرف عنهم منذ القدم براعتهم في التجارة وإسرافهم في المعاملات الربوية التي أغرت بها العامة كونها أسرع طريق للثراء، ولعلهم وجدوا ضالتهم في الطائف باعتبارها مدينة اقتصادية لا تقل أهمية عن يثرب واليمن؛ وبعد أن أسلم أهل الطائف قُيدت معاملاتهم التجارية بتحريم الربا وفرض الجزية [٤].

ونجد أن لهذا التشابك و الترابط الاجتماعي أثراً عظيماً في النهضة الاقتصادية بالطائف؛ مما جعلها أكثر تحضراً من باقي مدن الحجاز التي آثر بعضها الانغلاق الاقتصادي، وحصر الحرف في اليهود والأعاجم و العبيد [٥] فيما عدا الرعي والتجارة.

٤- العوامل الأدبية والثقافية :

تُعدّ العلوم والآداب بمختلفها أحد ركائز بناء المجتمعات على مر الزمان، فكان أحد مدلولات حضارة المجتمع نهضته العلمية والأدبية. لم تؤثر الحركة الأدبية و العلمية

---

(١) الأزرق بن عقبة صحابي، كان حداداً رومياً من عبيد الحارث بن كلدة، تزوج سمية بنت خياط بعدما فارقها زوجها ياسر أبو عمار، فولدت له سلمة بن الأزرق. والأزرق ممن فرّوا من حصون ثقيف وقت حصارها في غزوة الطائف، وأسلم، فأعتقه النبي -ﷺ- ودفعه إلى خالد بن سعيد بن العاص ليمونه ويعلمه، فصار حليفاً في بني أمية فانكحوه ونكحوا إليه. العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل عبد الموجود، ج١، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص ١٩٩.

(٢) شاهين، محمد: **تاريخ الموالي**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١ م) ص ٥٢ — ٥٦.

(٣) رجحت الروايات أن اليهود لم يكن لهم وجود في الطائف قبل الإسلام، وأغلب الظن أنهم نزحوا إليها بعد الإسلام فلم تشر المصادر إليهم في حديثها عن صراع أهل الطائف ضد الدعوة الإسلامية كما فعل يهود يثرب. الملاح، هاشم: **الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١ م) ص ٣٢٢.

(٤) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٧٥.

(٥) النابلسي: **المال والهلال**، ص ١٧.

في الطائف بالمستوى الثقافي لدى الفرد فحسب؛ بل كان لها أبلغ الأثر في رفع مستوى الاقتصاد في الطائف؛ ففي عكاظ أحد أعمال الطائف سوق للبضائع الأدبية يعد أكبر أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، وهو أشهر ملتقى للتجارة والفكر والأدب والثقافة المتنوعة للقبائل العربية والوافدين إلى السوق من أنحاء شبه الجزيرة العربية، يحضره جهابذة الشعر العربي والخطباء والأدباء، ويمارس فيه رواد السوق الألعاب الرياضية؛ كالفروسية، والعدو، والرماية [١].

يأتي الشعراء في سوق عكاظ بقصائدهم لتعرض على محكمين من كبار الشعراء في منافسة هي الأغلى أدبياً. ومن المظاهر التي كانت تسود سوق عكاظ المفاخرة والمنافرة[٢] بين الناس، وربما قامت حروب بسبب منافرات قيلت في السوق [٣] كحرب الفِجَار [٤] إحدى حروب العرب في الجاهلية.

وكونه أحد أعظم أسواق العرب فقد كان يأتيه سنوياً جموع كثيرة من مختلف الأجناس والأعراق، فاتخذوه معرضاً تجارياً شاملاً تُجلب إليه أنواع البضائع المختلفة من كل حدب وصوب، فكانت تأتيه السلع من العراق، والشام، واليمن، ويجلب منها السمن، واللبن، والإقط، والأغنام، والإبل، والطيب، والحرير، والجلود، والزبيب، والعنب، وغيرها من البضائع التي كانت تدر على الطائف أموالا طائلة [٥].

---

(١) الأفغاني، سعيد: **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط٣ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م) ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

(٢) المفاخرة: محاورة كلامية بين اثنين أو أكثر، وفيها يتباهى كل من المتفاخرين بالأحساب والأنساب، ويشيد بما له من خصال، وما قام به من جلائل الأعمال. والمنافرة كالمفاخرة وأشد، وكان الرجلان إذا تنازعا الفخر وادعى كل منهما أنه متفوق على صاحبه نفرا إلى حاكم يرضيانه ليقضي بينهما، فمن فضله على صاحبه كان له غنم الحكم، وعلى صاحبه المفروض من الإبل وغيرها. السهيلي، أبو القاسم: **الروض الأنف**، تحقيق: عمر السلامي، ج ٤، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ١٣. البستاني، بطرس: **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، ط١ (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م) ص ٢٣٦.

(٣) الرشيد، ناصر: **سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام**، ط١ (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٧ م) ص ٦٧.

(٤) هي إحدى حروب العرب في الجاهلية استمرت منذ سنة ٤٣ ق. م /٥٨٠م حتى سنة ٣٣ ق.ه/ ٥٩٠م، وحصلت بين قبيلة كنانة (ومنها قريش) وبين قبائل قيس عيلان (ومنهم هوازن، وغطفان، وسليم، وثقيف، ومحارب، وعدوان، وفهم). وسميت بالفجار لما استحل فيه هذان الحيان من المحارم بينهم في الأشهر الحرم، ولما قطعوا فيه من الصلات والأرحام بينهم، وقد قال الرسول -ﷺ- عن تلك الحرب: "كنت أنبل على أعمامي"؛ أي: أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها، وكان -ﷺ- حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: **البداية والنهاية**، ج ٢، د.ط (بيروت: مكتبة المعارف، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص ٢٨٩.

(٥) الرشيد: **سوق عكاظ**، ص ٤٧.

ثالثاً : النشاط الزراعي، والرعوي، والصيد، والجمع والالتقاط :

١- النشاط الزراعي :

أ - أهمية الزراعة ونظرة الإسلام إليها :

تعد الزراعة من المهن اللازمة لحياة البشرية، جاء في القرآن الكريم بعض الآيات التي تلفت انتباه الناس إلى ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[١]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٢]. وأحاديث رسول الله -ﷺ- التي تبين وتفسر مراد القرآن تحث المسلمين على الزراعة وتبيّن منافعها وفضل الغرس والزرع، وتثبت الأجر لفاعله ما انتفع بذلك منتفع من إنسان، أو حيوان، أو طير، أو حشرة، ومن ذلك حديث أنس -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: " ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة "[٣]، وقال ﷺ: " من نصّب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتّى تثمر كان له في كلّ شيء يصاب من ثمرها صدقة "[٤].

لقد عنى المسلمون عناية كبيرة بالزراعة، واهتموا بإصلاح طرق الري، وتحسين الغلّة الزراعية، وإحياء الموات[٥]، ولم تُهمل الأرض في عصر من العصور الإسلامية برغم اشتغال المسلمين بالفتوحات، وتوطيد الأمن في البلاد؛ فضلاً عن اهتمامهم بالصناعة والتجارة. وتعتمد العديد من المدن الإسلامية على النشاط الزراعي لتوفير الأمن الاقتصادي لشعوبها؛ فالزراعة عملية هامة تستطيع المدينة التي تتوافر فيها شروطها أن تكتفي ذاتياً من خلال هذا العمل كمدينة الطائف[٦].

---

(١) سورة يس: الآية (٣٣-٣٥).

(٢) سورة النحل: الآية (١٠-١١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م) ص ٥٥٨.

(٤) ابن حنبل، أحمد: **مسند الإمام أحمد ابن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ج ٢٧، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ص ١٢٩.

(٥) الموات: مالا حياة فيه. والأرض الموات هي التي لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد. الزمخشري، أبو القاسم: **أساس البلاغة**، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٢٣٢. أنيس، إبراهيم، وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط٤ (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ص ٨٩١.

(٦) الشيباني، أبو عبدالله: **الكسب**، تحقيق: سهيل زكار، ط ١ (دمشق: عبدالهادي حرصوني، ١٤٠٠ هـ) ص ٦٥. محمدين، محمد وآخرون: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية (الجزيرة العربية في عصر الرسول**

ب- مقومات الزراعة في الطائف:

١- المقومات الطبيعية:

تُعدّ المقومـات الطبيعية إحدى ركائز قيام النشـاط الزراعي وازدهاره في الطائف حيـث حباهـا الله -جل وعـلا- بمميـزات طبيعيـة، عمل سـكانها على استصـلاحها وتنظيمهـا؛ مما جعلها تتفوق على نظيراتها مـن المدن الحجازية، وأولى هذه المقومات: المناخ الذي يؤثر في الإنتاج الزراعي وأكثرها تحكماً؛ إلا أن قدرة الإنسان على التحكم في هذا العامل محدودة للغاية، وتكاد تقتصـر جهوده في هذا الصدد على التقليل من تأثير العناصـر المناخية ومحاولة التكيف معها؛ حيث حرص سكان الطائف على مراعاة هذه الجوانب في الزراعة عند إقامتها للمشـاريع الزراعية [١] . وأدى تباين درجات الحرارة مـن مكان لآخر إلى تقسـيم الطائف لمناطـق حرارية معينة لكل نوع خاص من الإنتاج الزراعي؛ ففي المناطق الدافئة تنمو المحاصـيل التي تحتاج إلى درجات حرارية معتدلة: ينمو القمح والشعير والحنطة؛ بينما تنمو أشجار العرعر والسدر في المرتفعات الباردة. وتميزت الطائف بتنوع التضـاريس والتربة، ومن ثَـمَّ تنوعت المناطق الزراعية؛ فالتربة هي الطبقة السـطحية من قشـرة الأرض التي تكوّنت نتيجة تحلل الصخور وتفتتها، ولا شـك أنها تشـكل عاملاً أساسـياً في ازدهار الزراعة وتحديد نوع الحياة النباتية في أي مـكان؛ حيـث تؤثر التربة في اختيـار نوع المحاصـيل التي يمكن زراعتهـا في أية منطقة وتحديد مدى نموها؛ فالأراضي الطينية -مثلاً- تجود فيها زراعة الذرة؛ والأراضي ذات التربة الدبالية تجود فيها زراعة القمح والشعير كما هو في الأماكن المعتدلة في الطائف، وطبيعي أن يزداد الإنتاج من المحاصـيل إذا زرعت في نطاقات التربة التي تلائمها [٢] . وتوجد مساحات معينة في المدينة عرفت بخصوبتها كما هو الحال في الأراضي السهلية والقريبة من الأودية، وتؤدي مظاهر السطح في الطائف من انبساط السهول إلى الجبال مروراً بالهضـاب؛ إضافة إلى سـفوح المناطق الجبلية دوراً في قيام الزراعة وازدهارها، وتكون عاملاً مساعداً على النشاط الزراعي، وقد تكون من معرقلاته؛ فالسهول -مثلاً- تعـد أكـثر ملائمة لهذا النشـاط من الجهـات الجبلية؛ ومن ثَـمَّ تركز السـكان الذين يمارسـون الزراعة بها. وتتوافر في التضـاريس السـهلية كل الظروف المساعدة للإنتاج

والخلفاء الراشدين)، تحريـر: عبدالقـادر محمـود وآخـرون، ج٢، ط١ (الرياض: جامعة الملك سـعود، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ص ٣٢٠.

(١) النعيم، نورة: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي**، ط١ (الرياض: دار الشواف، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص ٢٨.

(٢) النعيم، نورة: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية**، ص ٩٥.

الزراعي؛ فاستواء السطح يساعد على حفظ التربة التي تتسم بجودتها وخصوبتها [١]. ولاختلاف درجة الارتفاع دور غير مباشر في نوعية الإنتاج الزراعي؛ فعامل الارتفاع عن مستوى سطح البحر يؤثر في درجة الحرارة التي بدورها تؤثر في نوعية المحصول الزراعي؛ فلكل محصول درجة حرارة خاصة تلائمه ناتجة من الارتفاع أو الانخفاض عن سطح البحر؛ فالمناطق المرتفعة تساعد على اعتدال الهواء لذلك تركزت بالطائف زراعة أنواع الفواكه كالكروم وغيرها. وفي المناطق متوسطة الارتفاع تنمو محاصيل القمح والشعير؛ بالإضافة إلى الواحات التي تمتاز باستوائها على سطح الأرض ووقوعها في إطار المناخ الحار؛ لذلك عرفت بها زراعة النخيل [٢]. وتشكل المياه عاملاً أساسياً من عوامل ازدهار الزراعة، واعتمدت الطائف على مصادر متنوعة من المياه، أساسها مياه الأمطار، والمياه الجوفية التي تكوّنت نتيجة لترسب المياه في باطن الأرض، فحفروا الآبار، وبنوا السدود، وحوّطوا الأودية للاستفادة من المياه بأكبر قدر ممكن، وفيما يلي أهم الموارد المائية بالطائف:

أ-الأودية:

تعد الأودية من أهم مناطق الماء والخصب في الطائف، وذلك لوجود الماء الجوفي بها قريبا من سطح الأرض في الغالب، ويستخرج ذلك الماء عن طريق حفر الآبار في باطن تلك الأودية و أحيانا يخرج الماء إلى سطح الأرض من تلقاء نفسه ويسمي في تلك الحالة بماء العيون أو الينابيع، لذلك نجد في تلك الأودية مواضع عديدة خصبة ذات مزارع ونخيل منتشرة في معظم الأودية حيث إن تلك الأودية كانت مسايل ماء حفرتها مياه الأمطار والسيول التي تسقط علي الجبال والهضاب والتلال في الطائف. وكان لتلك الأودية فضل في ظهور مواطن الحضارة في الطائف حيث قامت بها حضارة مستقرة؛ لذلك كانت الحضارة الطائفية عمادها الأول الزراعة وتربية الحيوانات ثم جاءت التجارة على منتجاتها الزراعية [٣] .

ب-الآبار:

كان لأهل الطائف بعض الطرق التي يعرفون بها ما في باطن الأرض من ماء، قبل أن يبدأوا حفر الآبار وتعرف هذه الطرق عند العرب "علم الريافة" وهو معرفة استنباط الماء من باطن الأرض. ويعرفون ذلك بواسطة بعض الإمارات الدالة على وجوده، فهناك نباتات يدل وجودها على قرب الماء وعذوبته، كالقصب، والحلفاء، واللين من الحشيش. أو بشم التراب، فإذا كان ريح التراب مثل ريح الطين المستخرج من السواقي والأنهار،

---

(١) النعيم، نورة: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) معطي، علي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ط١ (بيروت: دار المنهل اللبناني، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ٣٨-٣٩.

(٣) صقر، نادية: **الطائف في العصر الجاهلي**، ص٩.

أوحت المياه على أذرع يســيرة في عمق الأرض، وإن كانت غير ذلك فإن الماء بعيد، أو بحركة لحيــوان ما وهو من فروع الفراســة، مثل قرى النمل فهي تــدل على وجود الماء أو عدمه، فإن كانت النمل غلاظا ســودا، ثقيلة المشــي، دلت على قرب الماء، أو بالسماع بالأذن لدوي الريح في باطن الأرض، والدوي يعقبه خرير الماء أو حفيفه في جوف الأرض [١].

ج- السدود:

رغم اختلاف كمية سقوط الأمطار من عام لآخر، إلا إن حدوثها كان متوقع سنوياً وان اختلفت فترة حدوثها من عام لآخر، كانت السيول تروي مساحات واسعة من الأراضي، ولا تحتاج إلي عناية ومتابعة كبيرة خاصة بعد انتهاء فترة الزراعة، ولا تحتاج إلى أسمدة حيث إن السيل يجلب معه طبقة جديدة من الطمي والطفل. ويخفف الري بمياه السيول من درجة ملوحة التربة الزراعية لأنها تكون خالية من الأملاح بعد غســيل ماء الســيل لها [٢] . اعتمدت الزراعــة في مدينــة الطائف علــى نوع من أنــواع أنظمة الــري، وهو نظام الري بالســدود؛ والســد في اللغــة هو "الحاجز بين الشــيئين" ، "و الحجارة والصــخور التــي تبقي الماء في الوادي زماناً" ، وجمعه ســدود، وســددة، وأســداد، فيقال: ضــربت عليه الأرض بالأسداد؛ أي: ســدت عليــه الطــرق، وعميت عليه المذاهب [٣]. ويعرف الســد -أيضــاً- بأنه "كل بناء يمنــع فيضــ المياه الجارية أو الســيول" ، وهو نوعــان: نوع يمنع جري الميــاه، ونوع آخر يمنع انحباســها ويعرف بالحاجز. ومصــطلح الســد في القطاع الزراعي هو "جدار ضــخم كان يبنى في عرض الأودية لحجز مياه الأمطار والســيول والأنهار واليـنابيع ورفعها لري الحقول والبســاتين المحيطة بها" [٤]. وقد عمد ســكان الطائف إلى بناءٍ الســدود للحفاظ على المياه في أراضــيهم التــي رغبوا في تطوير زراعتهــا، فلم يتركوا واديا يمكن اســتثمار جانبيه بالماء إلا حجزوا ماءه بسدٍ، فتكاثرت الســدود تكاثر الأودية، ولم تكن الســدود على نسق واحد؛ بل بعضها كان بسيطاً ومؤقتاً، ويبنى على الأودية الصغيرة الفرعية والشعاب، وتبنى من الأتربة والحجارة الصــغيرة، وغالبا ما كانت تنجرف مع الســيول في كثير من الأحيان؛ وأما بعضها الآخر فكان يقام على هيئة حرف (V) لحجز التربة والطمي المنجرف مع مياه السيول [٥].

---

(١) النعيم: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية**، ص ٢٠١.

(٢) النعيم: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية** ، ص ٩٦.

(٣) معلوف، لويس: **المنجد في اللغة والأعلام**، ط ١٩ (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت) ص ٢٣٦.

(٤) الشــيباني، أبو عمرو: **كتاب الجيــم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج ٢، د.ط (القاهرة: الهيئة العامة لشــؤون المطابــع الأميرية، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) ص ١١٦. البســتاني، بطرس: **دائرة المعرفــة: قاموس عام لكل فن ومطلب**، ج٩، ط١ (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨ م) ص ٥٣٠.

(5) Dayton.J.: the problem of climate change in the arabian peninsula PSAS , Vol.5 (londonm,IA: 1975) P54

النعيم: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية**، ص ١٠٣ – ١٠٤. معطي، علي: **تاريخ العرب الاقتصادي**، ص ٧٧.

يذكر أن أشـهر سدود الطائف سد السملقي الذي يقع على الجزء العلوي من وادي لية، وهو سـد قـديم ربما بني في فـترة ما قبل الإسـلام، وهو مليء بالكتابـات العربية والكوفيـة المنقوشـة على أحجـاره، ومازال حتـى الآن محافظاً على هيكلـه، وهو بطول (٢٠٠) مـتر، وبعرض (١٠) أمتـار، ويمثل نموذجـا معمارياً ومهارة في البناء تشـهد لبراعة فن البناء في الطائف [١].

وتتشابه طريقة الزراعة في الطائف مع طرق الزراعة في اليمن القديم اعتماداً على الري باسـتخدام السدود؛ حيث تتشـابه الظروف الجغرافية بين المنطقتين في طبيعتهما الجبلية، وضرورة المحافظة على مياه الأمطار عن طريق إقامة السدود. ونظراً لتلك الظروف المناخية والجغرافية فقد واجه السـكان مياه السـيول بتدبر شـديد، فأقاموا لها سـدوداً عديدة من الأحجار والصـخور للسـيطرة عليها؛ درءاً لأخطار اندفاعها المتوقعة على السـكان أنفسهم وعلـى مسـاكنهم الطينية؛ فهي غير قادرة على الصـمود أمام الميـاه المندفعة بقوة وغزارة، وكذلـك من أجل تحقيق الاسـتفادة القصـوى مـن مياهها العذبـة بدلاً من أن تضـيع هباءً وتحويلهـا للأراضـي المزروعة، ولأن مياه السـيول الجارفـة الناتجة عن الأمطار الموسـمية والهابطـة مـن قمم الجبال تكون محملةً بالطمي والخصـب وتختفي خلال سـاعات[٢]. ولم تقتصـر الموارد المائية بالطائف على ما ذكر؛ بل تنوعت وتعددت أشـكالها كالعيون والغدران والأوشال والبرك والحياض والأعذاء والأحباس وغيرها من الموارد المائية بالطائف.

٢- المقومات البشرية :

تُعـدّ المقومات البشـرية أهـم الركائز التي تعمل على نمو وتطويـر الزراعة؛ إذ هي المصدر الرئيسي لحياة السكان؛ لذلك فقد سعى سكان الطائف إلى توفير اليد العاملة الزراعيـة، وأولـوا عناية شـديدة بالنشـاط الزراعي لاعتماد اقتصـاد المدينة بصـفة أساسـية على هـذا القطاع، وتتكوّن اليـد العاملة من العرب واليهـود والموالي والرقيق؛ حيـث كان لتدفـق الأخير على اختلاف أجناسـه دور كبير في تطويرهـا، وكما أن هؤلاء الرقيق اسـتعملوا في مختلف الأعمال الزراعية، وأسـهموا في تحسـين أساليب الزراعة بخبرتهم ومعرفتهم التي اكتسـبوها في بلادهم التي نقلوهـا فيما بعد إلى الطائف [٣].

---

(١) الكنـاني، توفيـق: **الطائف قبل الإسـلام من الألـف الأول ق.م حتى أوائل القرن ٧م**، رسـالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م، ص ١٠٧.

(٢) بيوتروفسـكي، م. ب: **اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة حتى العاشر الميلادي**، ترجمة: محمد الشـعيبي، ط ٢ (صـنعاء: الثريـا للطباعة والإعلام والنشـر، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) صـ ٩٣-٩٤. الكناني: المرجع السابق، ص١٠٧.

(٣) السـيف، عبـد الله: **الحياة الاقتصاديـة والاجتماعية في نجد والحجـاز في العصر الأمـوي**، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٤٦.

وتركــز الــثروة على كثرة اليــد العاملة من ســكان المدينة؛ حيث كانــت معظم التركيبة السـكانية من العاملين بالزراعة؛ مما يترتب عليه انتعاش حركة الزراعة داخل المدينة، وزيادة الحراك الاقتصادي، وتبادل السلع الزراعية خارج أسوار الطائف [١] .

يُعــدُّ رأسـ المــال وتوفير الســيولة النقدية مــن أهــم العوامل المســاعدة على تطور اقتصــاد مدينة الطائف؛ لذلك نجد أن المدينة اعتنت بتوفير رؤوس الأموال الزراعية، فقد تضـخمت الثروات في العصر الجاهلي وعصر صــدر الإسلام نتيجة للاستثمارات المختلفة من ســكان المدينــة وأثرياء المدن والقرى المجاورة [٢] . واهتم -كذلك- ســكان الطائف بالأمور المعنوية المســاعدة على وفرة الإنتاج ورخائه؛ إذ ســاعد استتباب الأمن خــلال فترة صــدر الإســلام على ازدهــار الزراعة وتســويق المنتجــات الزراعية؛ حيث أصــبحت الطرق آمنة وتنقل الأشــخاص والســلع دون خوف، كذلك أســهموا أساساً في تحقيــق العــدل، وتقوى الله، والإحســان إلى أهل الأرض، وعدم ظلمهــم وتحميلهم فوق طاقتهم، وضرورة العدل والأمانة في تقدير خراج الأرض وتثمين محاصيلها [٣] .

ج - أساليب الزراعة ووسائلها:

كان الفلاح الطائفي يســتخدم المحراث الخشبي [٤] ذي السكة الحديدية في حراثة الأرضــ وزراعتهــا، كمــا كان يســتخدم آلات حديدية أخــرى؛ كالمســحاة، [٥] والفأس، والمنجل، [٦] والمعول، [٧] والمجرف في الحصــاد، ويســتخدم الحيلان [٨] ووسائل أخرى في عملية الزراعة والمذراة في فصل التبن عن الحبّ، وكذلك كان المزارعون في الحقول المروية وحقــول النخيل والكروم يســتخدمون الحيوان في جر المحــراث، وفي إخراج الماء من الآبار معتمديــن في ذلــك كله على وســائل وآلات حديديــة [٩] . وكان المحراث عادة يســتخدم في

(١) السوداني، صلاح: **الحياة الاجتماعية في الحجاز**، ص ٦٢ .

(٢) القيسي، عاطف: **ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي**، ص ٤٠.

(٣) الملاح، هاشم: **الوسيط في تاريخ العرب**، ص ٣٤٥.

(٤) الحراثــة: العمــل في الأرضــ زرعاً أو غرســاً. والمحــراث الخشــبي: أداة لحراثة الأرض وقلــب التربة وقلع الأعشاب، تجره الحيوانات؛ كالبقر أو الحمير. ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، ج٢، ط ٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ) ص ١٣٥.

(٥) المسحاة: أداة للجرف والقشر. الفراهيدي، الخليل: **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج ١، د.ط (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت) ص ١٣٢. أنيس: **المعجم الوسيط**، ص ٤٢١.

(٦) المنجل: آلة يدوية لحش الكلأ أو لحصد الزرع. الفراهيدي: **العين**، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٧) المعول: آلة حديدية ينقر بها الصخر. الزمخشري: **أساس البلاغة**، ج ١، ص ٥٥٢.

(٨) هي عملية فصل الجزء الصالح للأكل من حبوب النبات الحبية أو غيرها من المحاصيل عن القش الحرشفي غــير الصــالح للأكل الــذي يحيط به، هذه الخطــوة في إعداد الحبــوب تكون بعد الحصــاد وقبل التذرية، ويُفصل فيها القشر المفصول من الحبوب.

(٩) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٨، ط١ (بيروت: مكتبة العلم للملايين، ١٩٧٧ م) ص ٢٤٢.

حراثة الأرض الواسعة؛ أما القطع الصغيرة فتحرث من قبل المزارع بالمعول والمسحاة [(١)].

وكان الفلاح الطائفي يعد أرضه إعداداً كافياً قبل زراعتها، فكان يحرثها قبل سقيها، ثم يحرثها مرة أخرى بعد عدة أيام من ريّها، وذلك قبل أن تجف قشرها الخارجية وتتشقق، ثم يتركها أياماً معدودة ويحرثها بعدها للمرة الأخيرة، وهكذا حتى تصبح خصبة وصالحة لبذر البذور، وتنال الأراضي ذات التربة الزراعية الضعيفة غير السميكة اهتماماً خاصاً من الفلاح؛ ففي موسم الجفاف يحرث المزارع هذه الأراضي مرتين على الأقل، ويحفرها مسافة متر، ويقلب ترابها بالمعول، وقد يجلب لها المزيد من التربة من مناطق أخرى، ثم يحرثها على شكل شبكي، ثم يعيد حراثتها في موسم الأمطار كي تمتص أكبر كمية من المياه، فيمنع ذلك جفاف قشرتها السطحية، وقد يضطر المزارع إلى الاستمرار في حرثها ليلاً ونهاراً لما للحراثة من أهمية في استغلال مياه الأمطار والسيول [(٢)].

وبعد عملية الإعداد هذه تقسم الأراضي السهلية إلى قطع مستطيلة في المناطق التي تعتمد على السيول؛ أما المناطق التي تعتمد على المياه الجوفية فكانت الأراضي فيها تصمم على شكل أحواض مربعة أو مستطيلة، وتحفر في محيطها القنوات والجداول، ثم ينكش الفلاح ترابها بالمعول والمسحاة، ويبذر الحبوب بيديه. وفي بعض الحالات كان يسير خلف المحراث مزارع آخر يتولى غرز الحبوب وطمرها في التراب، وقد يعلق بالمحراث قمع من الخشب يُملأ بالحبوب، فتتساقط الحبوب في التربة ثم تعمل سكة الحديد على طمرها بالتراب [(٣)]. وكانت عملية تسميد الأراضي تتم ما بين فترة وأخرى كي تحافظ الأرض على خصوبتها وإنتاجها، وكان روث الحيوانات من أهم أنواع السماد المستخدم آن ذاك، وقد يلجأ الفلاح أحياناً إلى إحراق بقايا النباتات والأعشاب اليابسة لتسميد أرضه [(٤)].

د - أنظمة الري:

اعتمد سكان الطائف على مياه الأمطار والسيول، وعلى الآبار و البرك والمياه الجوفية لري مزروعاتهم، واتبعوا أساليب شتى لجمع المياه وتخزينها وجرها إلى الحقول حيث

---

(١) يلياييف، أ.ي: **العرب والاسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى**، ترجمة: أنيس فريحة، ط١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣ م) ص ١١٣.

(٢) الإشبيلي، ابن العوام: **الفلاحة الأندلسية**، تحقيق: أنور أبو سويلم وآخرون، ج ١، ط ١ (عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) ص ٣٢١-٣٥٩. معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ٧٤.

(٣) الإشبيلي: **الفلاحة الأندلسية**، ج ١، ص ٣٢١-٣٥٩. معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ٧٥.

(٤) علي، جواد: مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج ٢، ع٣٦ (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٧٩-٨٢.

المزارع والبساتين، ومن هذه الأساليب ما يتسم بالبدائية والبساطة، ومنها ما يدل على البراعـة والعلـم والتطور(١). في حالة المياه الجوفية كانت القناة الرئيسـية تقسـم على سطح الأرض إلى عدد من القنوات الفرعية يتناسب مع عدد من المزارعين المالكين لها، بحيـث توزع المياه فيهـا وفقاً لنظام الدَور، فكان ينال كل مزارع وجبة كاملة تكون مدتها من الشـروق إلى الغروب، أو من الغروب إلى الشـروق بما يعادل اثنتي عشـرة سـاعة، وهكذا حتى يحصل جميع المالكين على وجباتهم من المياه، ثم يبدأ الدور من جديد (٢).

أمـا الآبار التي تكـون ملكيتها عامة فإن المـاء فيها يوزع على المزارعين المشـتركين بها بتحديـد فترة زمنية لكل مـزارع، وكذلك الحـال في العيون فإن مياهها توزع بواسـطة قناة رئيسـية تمر في وسـط الأراضـي الزراعيـة، وتفتـح مخارجها تباعـا، فإذا ارتـوت الأرض الأولى أغلـق مخرجهـا ليفتح في مخرج الأرض التي تأتي بعدهـا، وهكذا حتى يتم ري جميع الأراضـي الزراعية المجاورة (٣). وكانت مياه السـيول حق لجميع المزارعين، ومصـدر إرواء -أولا- للحقول القريبة من مجراها، ثم الحقول التي تأتي بعدها، بحيث ينال جميع المالكين الذيـن تقع أراضـيهم على جانبي مجرى السـيل حقوقهم من الماء ولم يكن يسـمح لأحد أن يدّعي ملكية السيول، أو التحكم في مجراها، أو الاعتداء عليها وتخريبها، كما لم يكن يسمح للمالكين الجدد الذين استصلحوا أراضيهم وزرعوها أن يسقوا من هذه المياه إلا بعد أن يتم ري الأراضي المزروعة قبلها، وكان على المزارعين أن يستهلكوا من الماء ما يحتاجون إليه، وأن يفتحوا ثغرة في أسوار حقولهم لتصريف المياه للحقول التالية، وكانت تقدر حاجة الاستهلاك ببلوغ الماء ركبة الرجل أو كعبيه، أو قدر ذراع وذلك حتى تغمر المياه الحقل كله (٤).

هـ - المحاصيل الزراعية:

أدى التنوع في المناخ والتضـاريس الأرضـية وخصـوبة الأرض إلى انتشـار الزراعة وتنوع المحاصـيل الزراعية في المدينة، وأصـبحت هذه المهنة من المهـن التي تميزت بها الطائف على سـائر مدن الحجاز ونجد؛ ونتيجة لانتشـار الزراعة على نطاق واسع فقد أصـبحت الطائف المكان الذي يسـر الزائرين ويشـرح قلوبهم، يقول الأصمعي: "دخلت الطائف كأني أبشر وقلبي ينضح بالسرور، ولم أجد لذلك سبباً إلا انفساح جوها وطيب

(١) ابـن وحشـية، أحمد: **الفلاحة النبطية**، تحقيق: توفيق فهد، ج ١، د.ط (دمشـق: المعهد العلمي الفرنسـي للدراسات العربية، ١٩٩٥ م) ص ٧٦-٨٧. معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ١٠١.

(٢) معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ١٠١ – ١٠٢.

(٣) النعيم: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة** ، ص ١٤٤.

(٤) معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ١٠٣.

نسيمها"[١]، وكانت تنتج أنواعاً عديدة من المحاصيل الزراعية التي أسهمت في اكتفائها ذاتياً والتصدير لجارتها مكة المكرمة؛ فهي بستان مكة وأكثر فواكهها منها، يقول عنها ابن حوقل: "مدينة صغيرة نحو وادي القرى كثيرة الشجر والثمر، وأكثر ثمارها الزبيب، وهي طيّبة الهواء، وفواكه مكة وبقولها منها"؛ [٢] لذا فقد بقيت الطائف من مخاليف مكة حيث كان لها حظٌ عند الخلفاء، وكان الخليفة يوليها رجلاً من عنده، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة [٣]؛ ومن أهم ما تنتجه الطائف ما يلي:

١-الحبوب:

أ- الحنطة (القمح):

احتلت الحنطة مساحة كبيرة من المساحات المزروعة بالطائف لأنها الغذاء الأساسي لسكان الطائف وما جاورها، وساعدت التربة السوداء وجميع الإصلاحات الزراعية في المدينة على الدفع بهذه الزراعة قدماً؛ فازدادت بذلك كمية المحصول نتيجة تحسين وتكثيف الجهود والإصلاحات في الري، وانتقاء البذور، واختيار ذوي الخبرة والكفاءة لذلك. وكانت الحنطة غذاء الطبقة الموسرة المترفة في الطائف، وذلك لغلاء ثمنها بالنسبة للفقراء [٤] . والحنطة كانت الاسم الشائع للقمح عند العرب، وتزرع في الطائف في بطون الأودية وواحتها وفي مدرجات الجبال، وكانت تنتشر زراعتها طوال العام.

وقد تميزت الطائف بالحنطة اللقمية ذائعة الصيت التي شبهها العرب باللؤلؤ[٥]، وتحملها العير إلى مكة كل موسم مع بضائع طائفية أخرى، وعليها -أيضاً- اعتمدت باقي الحواضر الحجازية [٦].

ب - الشعير:

يحتل الشعير مكانة متميزة ضمن محاصيل الطائف، حيث يحتل المكانة الثانية بعد الحنطة من حيث المساحة المزروعة خاصة وأنه قادر على التأقلم مع الظروف الطبيعية القاسية كالحرارة المرتفعة أو المنخفضة. كما أنه لا يتطلب كميات كبيرة من

---

(١) القزويني، زكريا: **آثار البلاد وأخبار العباد**، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت) ص ٩٧.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم: **صورة الأرض**، د.ط (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م) ص ٣٩.

(٣) الفاكهي، أبو عبدالله: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبدالملك الدهيش، ج٣، ط٢ (بيروت: دار خضر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م) ص ١٩١.

(٤) الملاح، هاشم: **الوسيط في تاريخ العرب**، ص ٣٠٣.

(٥) ابن المجاور، جمال الدين: **تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز)**، مراجعة: ممدوح حسن، د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦ م) ص ٣٦.

(٦) الأزرقي، أبو الوليد محمد: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق: عبدالملك الدهيش، ط١ (مكة: مكتبة الأسدي، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ٨٦٧.

المياه وعلى هذا الأساس فهو قادر على النمو في السهول والسفوح والأحواض الجبلية[١]. ونظراً للخصائص المذكورة أعلاه فإن الشعير يعدّ من بين المحاصيل الهامة خاصة وأنه يمثل طعاماً للإنسان وعلفاً للحيوانات المختلفة حيث تقدم حبوبه وأتبانه للخيول والبغال والحمير وغيرها من الحيوانات الأخرى [٢]. ويعد الشعير من السلع الطائفية التي صدّرتها للمدن المجاورة لها، وهو أرخص ثمنا وأقل قيمة من الحنطة (القمح)، وكان سكان الطائف يصنعون منه شرابا ينتبذه الناس في مناسباتهم [٣].

ج- الذرة:

من الحبوب التي زرعها الفلاح الطائفي، ولها عدة أنواع: الأبيض، والأصفر والأحمر، وتعد الذرة البيضاء أكثر أنواع الذرة استخداما بالطائف، وهي نبات حولي زراعي من فصيلة النجليات ظهر في المناطق الأفريقية الحارة ومنها انتشر إلى بقية القارات ليستقر في المناطق الممتدة بين خطي عرض ٤٠ درجة شمالا وجنوبا، حيث يحتاج إلى درجات حرارة لا تقل عن ١٠ درجات، وهو الحد الأدنى للإنبات كما يحتاج إلى كميات من المياه تقل عما تحتاجه الذرة الصفراء والحمراء؛ وذلك بحكم اختلاف طبيعتها من حيث كثافة وطول الجذور ومن حيث حجم الأوراق، حيث تتميز الذرة البيضاء بكثافة جذورها، وصغر أوراقها، مما يحد من التبخر ويساعدها على الانتشار في مساحات كبيرة في الطائف[٤].

وكانت تطحن حبوبها وتستعمل في الخبز وعلفاً للماشية أحياناً، وكذلك أغصانها وأوراقها كانت تستخدم علفاً للماشية، وكان يُستخرج منه شراباً يسمّى (المزر أو المذر) [٥].

٢ - الفواكه:

تجمع مصادرنا على كثرة وتنوع الأشجار المثمرة بالطائف، وهذه الظاهرة تعود إلى تظافر عوامل طبيعية وبشرية. فأرض الطائف كما أوضحنا سابقاً تتمتع بتنوع مناخي وجغرافي فريد نتيجة ارتفاع أجزاء كبيرة منها عن سطح البحر وانخفاض أجزاء أخرى؛ لذلك تتواجد بها أشجار المناطق الحارة وأشجار المناطق المعتدلة.

هذا التنوع المناخي سمح لأهل الطائف منذ القدم بغراسة أصناف متنوعة من الأشجار المثمرة. وقد ورث أهل الطائف خبرة كبيرة بالأشجار المثمرة توارثتها الأجيال حتى عهد

---

(١) سعيد، محمد: **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول (٦٢٦-٨٥٨ هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤ م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٨ م، ص ٦٣٢.

(٢) سعيد: المرجع السابق، ص ٦٣٢.

(٣) اليحصبي، أبو الفضل: **بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد**، تحقيق: سعد عبدالغفار علي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م) ص ٩٦.

(٤) سعيد: **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول**، ص ٦٢٢.

(٥) اليحصبي: **بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد**، ص ٩٦.

الرسول -ﷺ- والخلفاء. ونتيجة لهذه العوامل المختلفة اشتهرت بلاد الطائف بتنوع أشجارها المثمرة كالموز والنخيل وهي من أشجار المناطق الحارة والعنب والزيتون والجوز وهي من أشجار المناطق المعتدلة. وكانت الطائف تنتج أنواعاً شتى من الفواكه التي كانت تملأ أسواق مكة؛ كالتين، والرمان، والسفرجل، والخوخ، والأترج، واللوز، والمقل، والبطيخ، والقثّاء، والخيار، والباذنجان، واليقطين، والسلجم، والجزر، والكرنب، والبرشومي، والتوت، والبرقوق، والليمون، والرمان، والفرسك، وأنواع أخرى من الفاكهة [١].

أ- التين:

وهو نبات بري اشتهرت به الطائف، وكان يسمّى قديماً بالحماط، وتكثر زراعته في الأودية، ومنه الأحمر، والأخضر، والأصفر [٢].

ب - الكروم:

تأتي زراعة العنب [٣] في مقدمة المحاصيل الزراعية التي تنتجها الطائف [٤]؛ لما تمتاز به من مزايا تكاد تكون مثالية لزراعته وإنتاجه؛ فالعنب الطائفي ذو شهرة كبيرة نظراً لجودته العالية ولذته التي ميزته عن سواه، ويصفها ياقوت الحموي بقوله: "وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل -غزوان- فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان" [٥]؛ ففي وهط عمرو بن العاص كرم كان يعرش على ألف ألف خشبة. وذكر المدائني أن سليمان بن عبدالملك لما حج مر بالطائف ورأى بيادر الزبيب قال: "ما هذه الحرار؟ فقالوا: ليست حراراً؛ ولكنها بيادر الزبيب، فقال: لله در

---

(١) ابن جبير، محمد: **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت) ص ٩٧-٩٩. ابن بطوطة، محمد: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: محمد العريان، ج ١، ط١ (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ص٣٠٤. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٧.

(٢) الملاح، هاشم: **الوسيط في تاريخ العرب**، ص ٣٠٣.

(٣) نزل قسي بن منبه – ثقيف – في وادي القرى على عجوز يهودية لا ولد لها فكان يعمل نهاراً، ويأوي إليها ليلاً، فاتخذته ولداً لها، واتخذها أماً له، فلما حضرها الموت قالت له: يا هذا؛ إنه لا أحد ليغيرك، وقد أردت أن أكرمك لإلطافك إياي؛ انظر إذا أنا مت وواريتني فخذ هذه الدنانير فانتفع بها، وخذ هذه القضبان -قضبان العنب- فإذا نزلت وادياً تقدر فيه على الماء فاغرسها؛ فإني أرجو أن تنال من ذلك فلاحاً بيّناً، ففعل ما أمرته به، فلما ماتت دفنها وأخذ الدنانير والقضبان، ومضى سائراً في الأربعاء حتى نزل وج، وغرس تلك القضبان بواديها فنبتت، فلما أثمرت قالوا: قاتله الله كيف ثقف عامراً -عامر بن الظرب العدواني ممن نزل بالطائف- حتى بلغ منه ما بلغ، وكيف ثقف هذه العيدان حتى جاء منها ما جاء، فسمّي ثقيفاً من يومئذ. ياقوت: **معجم البلدان**، ج ٥، ص ٣٨٦.

(٤) ارتبط عنب الطائف بقصة الرسول -ﷺ- في الطائف فبعد أن كذبوه وسفهوه وسلطوا عليه سفهاءهم لجأ إلى بساتينهم يستظل تحتها، فكان عنب الطائف ظله، فقدم له مزارع ذلك البستان وهو غلام يدعى عداسا قطفاً من العنب ودار بينه وبين رسول الله -ﷺ- حوار انتهى بإسلامه. ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج ٢، ص ٦٩-٧٠.

(٥) ياقوت: **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٩.

قســي -ثقيف- بأي أرض وضع سهامه، وأي أرض مهد عش فروخه" [١]؛ فالطائف أكثر بلاد الله عنباً[٢]، واختلفت أصـناقه، فمنه الأبيض، والرمادي، والجرشــي، والإقماعي العربــي، والإقماعي الفارســي، والتبوكي، والرعنــاء، والرازقي، وأم حبيب والضــروع، والنواســي، وحبلة عمرو، والدوالي، والشآمي، والإطراف [٣]، والغربيب [٤] والحمنان [٥] والأسود الأغبر، والجاووش [٦]، ومعظم هذه الأنواع غير موجود الآن؛ فلم يعد يزرع منها سوى الأبيض والأسود [٧].

ج- السدر:

وبالطائف سدر ليس له مثيل في بلاد العرب، وكان الصحابة يعجبون بوادي وج؛ حيث كان وافر الظلال، كثير أشجار الطلح والسدر، وكانوا يسمعون عن الجنة ووصفها ونعيمها، فقالوا: يــا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي، فأنــزل الله عز وجل: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[٨] واصفاً لهم ما في الجنة من نعيم يفوق ما يتمنونه [٩].

ومن الســدر يخــرج ثمر النبق، وهو ثمــر مـحبوب حلو الطعم، ويشــبه العناب لوناً وحجماً؛ وفي المستبصر: "وكل نبق يغرس في هذه البلاد -الطائف- يطلع مكتسبي" [١٠].

---

(١) ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١.

(٢) الحمـيري، محمد: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحســان عباس، ط ٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م) ص ٣٧٩-٣٨٠.

(٣) وردت أوصــاف هــذه الأنواع عند الدينوري فيقول: " فأما الجرشــي فأبيض صـغار الحــب، وهو أول العنب إدراكا، وأمــا الإقماعــي العربي فأبيض عظــام الحبة، كثير الماء؛ وأما الإقماعي الفارســي فأعظم حباً من العربي، وأقل ماء، وأكثر شـحماً. وأما التبوكي فأبيض، قليل الماء نحواً من عظم الإقماعي ينشــق حبه على شــجره؛ وأما الرعناء فبيضــاء طويلة الحب، متسلســلة العناقيد؛ وأما الرازقي فأبيض داخلته زرقة، طوال الحب؛ وأما الضــروع فأبيض أطول العنب حباً وأقله حبة؛ وأما النواســي فأبيض الحب متسلســل العناقيد؛ وأمــا أم حبيب فســوداء زرقاء تعظم عناقيدها، ويعظم حبها؛ وأما حبلة عمرو فبيضــاء محددة الأطراف، متداخشــة العناقيد؛ وأما الدوالي فأسـود يضـرب إلى الحمرة، عظام الحب؛ وأما الشــآمي فأبيض؛ وأما الأطـراف فأبيض طـوال رقاق " . الدينــوري، ابن قتيبة: **الجراثيـم**، تحقيق: محمد الحميــدي، ج ٢، د.ط (دمشق: وزارة الثقافة، د.ت) ص ٨٦-٨٨.

(٤) العنب الغربيب: نوع جيد من العنب، وهو شـديد السـواد. الدماميني، بدر الدين: مصــابيح الجامع، تحقيق: نور الدين طالب، ج ٨، ط ١ (سوريا: دار النوادر، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م) ص ٣٦٢. أنيس: **المعجم الوسيط**، ص ٦٤٨.

(٥) العنب الحمنان: ضــرب من عنب الطائف أسود مائل إلى الحمرة، حبه صغير وقليل. الدينوري: الجراثيم، ج ٢، ص ٨٨. أنيس: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٦) صــادق، محمــد: **دليل الحج للـوارد من مكة والمدينـة من كل فج**، ط ١ (بــولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٣هـ / ١٨٩٦م) ص ٨١.

(٧) العمري، صقر: المناخ وزراعة العنب في الطائف، **مجلة الرسالة**، ع ٢٢٥ (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩٩م) ص ١٣.

(٨) سورة الواقعة: الآية (٢٧-٢٩).

(٩) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٢٠، ص ١٩٣.

(١٠) ابن المجاور: **تاريخ المستبصر**، ص ٣٦.

د- النخيل (التمور):

حكمت الظروف المناخية والتضاريسية الخاصة بالطائف على أشجار النخيل أن تتواجد في مناطق معينة دون أخرى أي حيث تتوفر التربة الملائمة والحرارة الضرورية ومياه الري، وهي معطيات تتوفر في سهول الطائف. وتعد التمور من أهم المحاصيل الزراعية بالطائف، وتميزت تمورها بالجودة نظراً لملاءمة التربة والمناخ لنموها، وكان للنخيل عناية خاصة عند سكان الطائف، فمنها يحصل المزارع على الغذاء، ومن النوى علفاً للابل، ومن جذوعها تتخذ الأسقف والأبواب، ومن سعفها وخوصها تصنع الحصر والأوعية المختلفة. وامتازت مُطار إحدى قرى الطائف بزراعة النخيل؛ ففيها "نخل مرطب، ونخل يصرم، ونخل مبسر[١]، ونخل يلقح"[٢]، يجنى تمره ويؤكل وهو في غاية الطيب واللذاذة، طري وممتلئ يوحل في الضرس[٣]، وكذلك كانت عكاظ أحد أعمال الطائف أرضاً ذات نخل كثير[٤].

٣-الخضروات:

إلى جانب الفواكه كانت تزرع الخضروات بالطائف، وأهم أنواعها: الكراث، والخس، والسلجم، والجزر، والكرنب، والقثّاء، والكزبرة، والباذنجان، والثوم، والزيتون، والسمسم؛ إلى جانب الرياحين العبقة والأزهار والمشمومات العطرة؛ فقد عرفت الطائف بزراعة نباتات الزهور التي يستخرج منها ماء الورد؛ مثل قرية المليساء إحدى قرى الطائف التي اشتهرت -أيضا- بزراعة السفرجل المعروف بجودته، والرمان المليسي[٥].

٤-نباتات أخرى:

تنمو بالطائف أشجار ونباتات مختلفة كأشجار الطرف والسماق، وكانت تنمو تلك الأشجار في الأودية والأرض السهلية؛ ولنبات السماق حب صغير، وأهل الحجاز يسمّونه الضمخ، ويستخدمه الصباغون في تسميق الثياب[٦]؛ وأشجار الحناء، وهو نبات معروف ينمو في جبال الطائف، وتستخدم سيقانه في صناعة السلال، وكذلك أوراقه في الصباغة؛ وأشجار القرظ، وهو شجر عظيم الانتشار في الطائف، وينبت في قيعان

---

(١) النخل المبسر: صار النخل مبسراً ؛ أي: إنه لم ينضج بعد. أنيس: **المعجم الوسيط**، ص ٥٥.

(٢) الحميري: **الروض المعطار**، ص ٥٤٣.

(٣) ابن جبير: **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**، ص ٩٩.

(٤) ابن المجاور: **تاريخ المستبصر**، ص ٣٦.

(٥) ابن منظور، جمال الدين: نثار **الأزهار في الليل والنهار**، ط ١ (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٢٩٨ هـ) ص ١٥٧.

(٦) الإشبيلي، أبو الخير: **كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب**، تحقيق: خ. بوستامانتي، ج١، د.ط (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ٢٠٠٤ م) ٥١١.

الأودية، وارتفاعه بين مترين أو ثلاثة أمتار، وترعى الأغنام أوراقه، وتستعمل ثماره في الدباغة [١]؛ وكذلك أشجار السرو [٢]، وشجر العرعر [٣]، وأشجار السنط.

و- أثر الآفات والفتن على الزراعة:

أ- الآفات:

على الرغم من نمو الزراعة في الطائف إلا أنها تتعرض كغيرها لمخاطر بيئية وبشرية، ومن المخاطر الطبيعية: الجفاف وانحباس المطر لفترات طويلة، وما يتبع ذلك من قحط ويباس للمزروعات، وتدهور في الإنتاج؛ ومنها تعرض النباتات للآفات الزراعية، وما نتج عنها من كوارث أضرت بالمزارعين كالجراد. وتأتي أسراب الجراد لتجتاح الحقول وتأكل الثمار، ثم تضع بيضها في الأرض ويخرج عند حرثه، ولعله من أشرس الآفات الزراعية وأكثرها تأثيراً، وكذلك الجرذ يفسد الحرث والنخل، وذلك بقطف السنبل وادّخاره في جحره وقطع شماريخ السبر. والفأر -أيضاً- يهلك الأرض لكثرة التحفار والجحرة وكذلك القرود حيث إن جبال السروات مأوى للقرود التي تعد من أكثر الحيوانات إفساداً للمحاصيل[٤].

وهناك أنواع من الديدان والحشرات التي تصيب الحرث والزرع؛ كدودة الورق، وديدان الحبوب والمن، والذبابة البيضاء، وثاقبات الذرة، وذبابة الفاكهة، وناخرات الأخشاب، والحفارات، وأنواع السوس والخنافس وغيرها [٥]. ومن المخاطر الطبيعية -أيضاً- الفيضانات التي تسببها السيول المنحدرة من الجبال التي يعجز الفلاحون عن تفاديها في كثير من الأحيان، ولا شك أن الطائف قد عانت كغيرها من مشكلة زحف الرمال على الأراضي الزراعية؛ مما يهدد الغطاء النباتي، ويحد من نشاط الزراعة.

ب- طرق مكافحة الآفات الزراعية:

وكما برع أهل الطائف بالزراعة فقد استحدثوا طرقاً لمكافحة كلّ ما من شأنه أن يلوّث الحقول ويضر المحاصيل؛ فأخذوا طرقاً كانت تمارس في اليمن منذ القدم لمكافحة الأمراض والآفات الزراعية؛ فقد اهتم المزارع -أولاً- بالتربة واعتاد على تقليبها بين

---

(١) الإشبيلي: المصدر السابق، ٤٧٨.

(٢) الأصمعي، أبو سعيد: كتاب النبات والشجر، جمع وتحقيق: أوغست هفنر، د.ط (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٨٩٨م) ص ٤٣.

(٣) الأصمعي: كتاب النبات والشجر، ص ٤٣.

(٤) الدينوري، أبو حنيفة: كتاب النبات، تحقيق: برنهارد لفين، ج ٢٦، د.ط (فيسبادن: فرانز شتاينر فيسبادن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م) ص ٣.

(٥) الحفيظ، عماد: استخدام النباتات الطبية في مكافحة الآفات الزراعية والمنزلية، مجلة المورد، مج ٢١، ع ٢ (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٣ م)

الفينة والأخرى للقضاء على الآفات بتعريضها للظروف الجوية غير الملائمة لها؛ إضافة إلى التخلص من الحشائش الضارة النامية في الحقول، وكافح أهل الطائف الطيور الضارة بالمحاصيل بصيدها بالشباك، أو بإحداث ضوضاء تجبرها على الهروب، وتدمير أوكارها وأعشاشها، وزراعة محاصيل غير اقتصادية حول المحاصيل الهامة لكي تتغذى عليها، وحرصوا -كذلك- على عدم تخزين الحبوب في العراء. كما كانوا يستخدمون الدقيق والخبز بالسمن وخلطها بالسموم، ووضعها للقوارض والحيوانات المضرة بالمحاصيل، واستخدموا ثمرة الحنظل لقتل البراغيث والهوام .[١] كما استجلبوا النمل الصحراوي المفترس للقضاء على أنواع الحشرات التي تصيب النخل والتمر، وبخّروا بالكزبرة للتخلص من العقارب والحيات [٢].

ج - الفتن:

وقعت أزمة اقتصادية في شبه الجزيرة العربية وعمت منطقة الحجاز وما حولها بما فيها مدينة الطائف، وسمّيت هذه الأزمة بعام الرمادة، وكانت في آخر السنة السابعة عشرة وأوائل السنة الثامنة عشرة من الهجرة (٦٣٩ م)، بما يوافق السنة الخامسة من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٣]؛ فانعدمت الأمطار، وجف الزرع، وهلكت الماشية، وبلغت المجاعة في عام الرمادة حداً كبيراً أصاب الناس بعموم الحجاز حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، ويذبح الرجل الشاة فيعافها من قبحها، وأكل بعض الناس جلد الميتة مشويا، وكانوا يسحقون العظام ويسفّونها [٤]، وكان لذلك تبعات وآثار اقتصادية امتد أثرها إلى الأسواق؛ فلم يبق فيها ما يباع ويشترى، وأصبحت الأموال في أيدي أصحابها لا قيمة لها؛ إذ لا يجدون لقاءها ما يسد رمقهم، فكان الناس يحفرون أنفاق اليرابيع والجرذان ويخرجون ما فيها.

وكان أهل الحاضرة أحسن من غيرهم حالاً أول العهد بالمجاعة، ولأن أهل الطائف حضر فقد ادّخر أهلها في معظم الأوقات ما اعتاد أهل الحضر على ادّخاره، فلما بدأ الجدب جعلوا يخرجون ما ادّخروا ليقتاتوا عليه.

كما أدت المجاعة إلى ضعف الإنتاج الحيواني، فضعفت الماشية، وهلكت الأغنام، ووقع الموت في الناس حتى إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يصلي على عشرة

---

(١) مراد، بركات: مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات، **مجلة الوعي الإسلامي**، س ٤٨، ع ٥٥٦ (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م) ص ٣٩.

(٢) مراد: **مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة**، ص ٤٠.

(٣) الطبري، أبو جعفر: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٤، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ص ٩٦.

(٤) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج ٤٤، ص ٣٤٨.

أفراد في وقت واحد [١].

ز - ملكية الأراضي الزراعية:

ظهرت الملكيات الفردية والخاصة في المجتمعات المستقرة سواء في المدن أو الواحات؛ مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وتعبر الملكيات الخاصة عن "تمكّن الإنسان شرعاً بنفسه أو نيابة من الانتفاع بالعين أو بالمنفعة، ومن أخذ العوض، أو تمكّنه من الانتفاع خاصة".

وتعرّف -أيضاً- على أنها: "الاختصاص بحيازة الشيء شرعاً اختصاصاً يبيح للإنسان التصرف في الشيء أو المال" [٢]. وقد امتلك أثرياء قريش أراضي خاصة بالطائف؛ كأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية (٢هـ / ٦٢٣م) أحد كبار تجار قريش؛ فقد امتلك عدة ضياع أكبرها ضيعة الضريبة في الطائف [٣]، كما امتلك عمرو بن العاص (٤٣هـ / ٦٦٤م) [٤] ضيعة خصيبة كان لها كرمٌ كبيرٌ مزروعٌ بالعنب يقال له: الوهط قرب وادي وج ؛ فضلاً عن امتلاك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (٢٣ هـ / ٦٤٤ م) ثاني الخلفاء الراشدين لأراض فيها [٥]، وامتلك عباس بن المطلب (٣٢ هـ / ٦٥٣ م) حديقة بالطائف مزروعة بالكرمة يستفيد من إنتاجها في كسر ملوحة ماءٍ مكة لسقاية الحجيج [٦]؛ والوليد بن المغيرة (١هـ / ٦٢٢م) [٧] الذي امتلك هو الآخر أرضاً في الطائف، وتشير بعض الروايات إلى رجال أعمال مكيين امتلكوا أراضي في وادي نخب [٨].

ومن أبرز أثرياء الطائف الذين تملكوا الضياع والأراضي: الحكم بن أبي العاص الثقفي (٣١ هـ/ ٦٥١م)، وأخوه عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (٥١ هـ / ٦٧١ م) [٩]، ونافع بن النضر الثقفي (٤٩ هـ/ ٦٧٠ م) وأخوه نفيع أبو بكرة

---

(١) ابن شبة، عمر: **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم شلتوت، ج ٢، د. ط (جدة: د.م، ١٣٩٩ هـ) ص ٧٣٦-٧٣٩.

(٢) الخياط، عبدالعزيز: **مقاصد الشريعة وأصول الفقه**، ط١ (عمّان: البنك الإسلامي الأردني، ٢٠٠٠ م) ص ٥٠ – ٢٥.

(٣) ابن عساكر، علي: **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ج٢٥، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) ص ٨٢.

(٤) صحابي جليل، أسلم في السنة الثامنة، وهو من دهاة العرب، فتحت مصر على يده، وأدخلت ضمن نطاق الأمصار الإسلامية. ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج٢٥، ص ١٨٨.

(٥) البلاذري، أحمد: **جمل من أنساب الأشراف**، حققه: سهيل زكار وآخرون، ج١٠، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) ص ٣١٥.

(٦) عم الرسول -ﷺ- وأحد صحابته الكرام، ومن رواة الحديث. المكي، أبو الطيب: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: نخبة من هيئة كبار العلماء، ج٢، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ١٠٨.

(٧) القيسي: **ثقيف ودورها في التاريخ العربي والإسلامي**، ص ٤١.

(٨) القيسي: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٩) عثمان بن أبي العاص الثقفي، وفد على النبي -ﷺ- في وفد ثقيف وهو ابن سبعة وعشرين عاماً، وهو

(٥١ هـ / ٦٧١ م) [١]، والمغيرة بن شعبة (٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) [٢]. وعلى اعتبار أن الطائف من الأراضي التي أسلم أهلها وهم عليها ولم تؤخذ منهم عنوة [٣]؛ فهي من الأراضي العشرية؛ أي: إنها من الأراضي الزراعية التي يجب فيها إخراج العشر فيما يخرج من ريعها من زكاة الزروع أو زكاة الثمار، ولا يمكن تحويل الأراضي العشرية لأراض خراجية، وكان المبدأ "أن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم"، "ومن أسلمَ على شيء فهو له"، وهناك نص سأل فيه أمير المؤمنين عن قوم من أهل الحرب أسلموا على أنفسهم وأرضهم، ما الحكم في ذلك؟ قيل: "إن دماءهم حرام، وما أسلموا عليه من أموالهم فلهم، وكذلك أرضهم، وهي أرض عشرية بمنزلة المدينة؛ حيث أسلم أهلها مع الرسول ﷺ، وكانت أرضهم أرض عشر، وكذلك الطائف والبحران، وكذلك أهل البادية إذا أسلموا على مياههم وبلادهم فلهم ما أسلموا عليه" [٤]، وما دامت الأرض صالحة للزراعة تبقى ملكيتها لأصحابها ملكية خالصة يتوارثونها ويتبايعونها.

٢- النشاط الرعوي :

أ - رعي الماشية وتربية الحيوانات:

يمثل الرعي أحد أهم الموارد الاقتصادية في الطائف، وكان رعي الإبل النوع الأساسي من الرعي في الأماكن التي يقلّ بها العشب في المناطق الموغلة في الصحراء حيث يندر الماء؛ أما الأماكن الغنية بالعشب والقريبة من الماء والواقعة على حواف السهول الزراعية فكان يكثر بها رعي الغنم إلى جانب الإبل والخيول، وفصائل أخرى من الماشية [٥]. ويشكل رعاة الماشية إحدى شرائح المجتمع الطائفي التي تكسب رزقها عن طريق ممارسة هذه المهنة، ويتعذّر تقدير حجم العاملين في الرعي، فجاءت الإشارة إليهم في المصادر قليلة؛ لكننا مع ذلك نعتقد بوجود عدد كبير منهم نظراً لأهميتها في مجتمع الطائف. وكانت

أصغرهم فأسلم، واستعمله رسول الله -ﷺ- على الطائف. فلم يزل عليها حياة رسول الله ﷺ، وخلافة أبي بكر رضي الله عنه، وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنه، ثم عزله عمر -رضي الله عنه- وولاه سنة (١٥ هـ / ٦٣٧ م) على عمان والبحرين، وسار إلى عمان، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين، وسار هو إلى توج ففتحها ومصرها، وقتل ملكها شهرك، وذلك سنة إحدى وعشرين، واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان فعزله، فسكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية. العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٤، ص ٣٧٣. ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص ٢٨٩-٨٢٣.

(١) البلاذري: **جمل من أنساب الأشراف**، ج١٠، ص٣٨٦.

(٢) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص ١١٦٢.

(٣) أبو داود، سليمان: **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد الخالدي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص ٤٩٦.

(٤) أبو يوسف، يعقوب: **الخراج**، د.ط (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م) ص ٥٩-٦٠.

(٥) حمودة: عبدالحميد: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط١ (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م) ص ٢٠١.

الإبـل والأغنـام أهم مقاييس الـثروة والجاه[١]. ويعد الجمل من الحيوانات الأهليّة الهامة التي تسـتعمل لأغراض شـتى وخاصة حمل الأثقال وقطع المسـافات الطوال ولو كان ذلك عبر الصحراء ولهذا عرف الجمل بسفينة الصحراء. وإضافة إلى ذلك فإن الجمل يوفر لصاحبه مواد عديدة كاللحم واللبن والوبر الذي لا غنى عنه في صناعة خيام البدو، وهذا إلى جانب الجلد وحتى الروث الذي يستعمله البدو للوقود عندما لا تتوفر المواد الأخرى.

الطائـف من الأماكن المشـهورة بتربية الجمال باعتبارها جزءاً من شـبه الجزيرة العربية التي عرفت استعمال هذا الحيوان منذ أقدم العصور. فقد كان له حضور مكثف في مختلف الأنشـطة الفلاحية والتجارية. فأما الاسـتعمالات الفلاحيـة فعديدة ومنها الحراثة واستخراج المياه من الآبار العميقة، كما استخدمت الإبل في حمل الأثقال لقطع المسـافات الطويلة وخاصة الصـحراوية، واسـتخدمت في هذا المجال الأصناف المؤهلة أكثر من غيرها على تحمل المشـاق، فكانت تقطع البلاد من شـمالها إلى جنوبها حاملة السلع التجارية المختلفة من الطائف وإليها.

نظراً لهذه الاستعمالات المتعددة إضافة إلى الإستعمال الغذائي -اللحوم والألبان- فـإن الإبـل كانت تحظى بمكانـة مرموقة في جزيـرة العرب عامة وفي المناطق السـهلية خاصـة، وكانت تسـتحب وتعتبر من أجلّ الأمـوال. وكان بالطائف كـم غفير من الإبل، والدليل على ذلك أن الرسـول -ﷺ- غنم من أهل الطائف ما يقارب أربعة وعشـرين ألـف بعير [٢]، وكان الرعاة يقصـدون بإبلهم مراعي معينة تسـاعدهم في إدرار اللبن، وتزيد لحمها طعماً كنبات العصل [٣].

ورعي الأغنـام -أيضـاً- من الحرف الأساسـية في الطائـف، ويؤكد ذلك البلاذري بقوله: "ونزل قسـي بن منبه بن أفصـى بن دعمى بن إياد موضـعاً قريباً من الطائف، فـرأى جارية ترعى غنماً"[٤]؛ لذلك كانت الغنم تمثل إحدى ثروات أهل الطائف، فقد كان العرب يعتمدون في غذائهم بالدرجة الأولى على اللبن ومصدره الأول الغنم؛ إضافة إلى اعتمادهم على لحومها، كما كانوا يعتمدون على أصوافها في نسيج الملابس والبيوت. وكانت الطائف وما حولها من المناطق المشـهودة برعي الأغنام وكثرتها حتى إن رسـول

(١) الملاح: **الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص ٢٤.
(٢) ابن سـعد، محمد: **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر، ج٢، ط١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م) ص ١٤١.
(٣) نبات العصـل: شجر يشـبه الدفلى، تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم، وقيل: هو حمض ينبت على المياه. ابن منظور: **لسان العرب**، ج١١، ص ٤٥٠.
(٤) ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص ١٠.

الله -ﷺ- غنـم مـن أهلها ما يقرب من أربعـين ألفاً من الغنـم [١]، وهذا العدد يبين لنا ضـخامة ما كان بالطائف من أغنام؛ وإلى جانب الإبل والغنم وجدت تربية الأبقار؛ لكنهـا لم تكن بكمية الإبل والغنم. وكانت الأغنام أكثر انتشـاراً مقارنة بالإبل والأبقار؛ نظراً لانخفاض أثمانها وسـهولة تربيتها مقارنة بالصـنفين المذكورين، كما أن الإقبال على اسـتهلاك لحومها يفسـر كثرتها، حيـث تحتل لحوم الأغنام المرتبة الأولى ضـمن اللحوم المستهلة في الطائف.

والأبقار من أهم أصـناف الـدواب في الطائف نظراً لتنوع اسـتعمالاتها كحيوانات للجر وكمصدر للحليب واللحوم والجلود ومادة للوقود. على أن الإقبال على تربية الأغنام والأبقـار لم يكن من أجل لحومهـا وألبانها فقط بل أن جلودها أيضـاً كانت مادة ثمينة في بلاد اشتهرت بدباغة الجلود والصناعات الجلدية. وكانت الأبقار تستعمل في حراثة الأرض، وتسـتعمل أرواثها للتسـميد خاصـة وأن الأسـلوب الزراعي السـائد هو أسلوب الزراعة الجاهدة التي تتطلب عدداً كبيراً من أيام العمل واستعمالاً مكثفاً للأسمدة.

وللخيول-أيضـاً- مكانة متميزة في السـلم والحرب والتجارة وفي الحياة اليومية، فقـد حرصـ أهل الطائف علـى إنتاجها ووفرتها، وحرص السـكان علـى انتقاء الجياد العتاق منها بالشراء أو الإنتاج. وشكلت البغال والحمير إلى جانب الخيل والإبل الوسيلة الأساسـية للتنقـل وحمل الأثقال وخاصـة في المناطق الصـعبة التي تصـعب على الإبل والخيـل. إلى جانب ذلك فإن امتلاك واسـتعمال البغال والحمـير لا يخلو من مدلولات اجتماعية؛ نظراً لاختلاف قيمتها المادية حيث استعملت البغال للركوب من قبَل الأثرياء أكثر من الحمير التي استعملت بالخصوص من قبل الفئات الضعيفة [٢].

ب - الصيد:

يمثـل الصـيد لأهـل الطائف وأثرياء مكة المكرمة رياضـة يتسـلّى بهـا هواتها من ناحيـة، كمـا أنهـا كانت توفر لهم غـذاء لذيذاً من ناحيـة أخرى؛ إلا أنـه كان بالدرجة الأولى بقصـد المعاش والاسـتفادة من لحوم الصـيد، وذلك لحاجة أهـل ذلك الزمان إلى الصيد مصدراً من مصادر العيش لكثير من الناس، كما كان هناك من الناس من يصيدون الوحوش إما لدفع ضرر عن رعاياهم، أو للتباهي بذلك بين الناس، وقد وردت آيات كثيرة في إباحة الصيد، يقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ

---

(١) ابن سعد: **كتاب الطبقات الكبير**، ج٢، ص ١٤١

(٢) لعشوري، آمال: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية في العهدين النبوي والراشدي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م، ص ٤٦.

تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾[(١)].

وقد اعتاد هواة الصيد على الخروج إليه مبكرين، يحملون سلاحهم وأدوات الصيد، وأبرزها: القوس، والسهم، والنبل، والجوارح من الطيور كالصقور والبزاة في صيد الطيور، وكلاب الصيد والفهود لصيد الغزلان وحمر الوحش، كما كانوا يستخدمون الحبائل المصنوعة من الليف أو ما شابهه وينصبونها [(٢)] في أماكن الصيد، ويتجه هواة الصيد إلى نواحي الطائف وما حولها من جبال تكثر بها الغابات حيث توجد الحيوانات والطيور المختلفة [(٣)]، ويكثر الصيد في جبل غزوان حيث كان الوجهة المفضلة لهواة الصيد آن ذاك[(٤)]، ويتمثل صيدهم في الطيور، والغزلان، والأرانب، والظباء.

ومن وسائل الصيد الجلاهق وتتكون من قوس يرمى به البندق والبندق كرات صغيرة تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص، وترمى بالأقواس كما ترمى النبال. ولقد ظهرت في أواخر خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وعدوا ظهورها منكراً[(٥)]. حتى ألفها الناس، ثم استمروا في استعمالها وتحسينها حتى أصبحت إحدى وسائل الصيد المعروفة في الطائف.

٣- الجمع والالتقاط :

يعد هذا النمط المعيشي من أقدم الأساليب التي اعتمدها سكان الطائف في الحصول على ما يحتاجونه؛ حيث تنبت النباتات والثمار البرية في الوسط المحيط بهم تلقائياً، ومن غير أن يكون لهم أي دور أو جهد في إنتاج هذه النباتات أو تكاثرها، وبسبب عدم حاجتهم إلى أدوات خاصة؛ إذ يستطيعون القيام بذلك باليد المجردة، أو بواسطة أدوات بسيطة، ويقوم هذا النمط المعيشي على الجمع والالتقاط غير المنتظم للنباتات والثمار البرية التي كانت تنبت في أماكن إقامتهم أو بالقرب منها، وكانت تصادفهم خلال عمليات التنقل اليومي التي كانوا يقومون بها من أجل البحث عن الغذاء النباتي. تكوّنت لدى سكان الطائف خبرة كافية يستطيعون من خلالها معرفة النباتات المفيدة من النباتات الضارة، والتفريق بينها وتمييز بعضها عن بعض من خلال تجربتهم اليومية المنقولة من الآباء إلى الأبناء، ولم يتناولوا النباتات والحبوب البرية كالسابق؛ بل كانوا يُعدّونها بالطحن والهرس والجرش قبل تناولها، كما كانوا

---

(١) سورة المائدة: الآية (٩٤). العمري، عبدالعزيز: **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول**، ط ١ (الرياض: دار إشبيليا، ٢٠٠٠م) ص ٤٩.

(٢) الدينوري: الجراثيم، ج ١، ص ٤٢٢. أنيس: **المعجم الوسيط**، ص ١٥٣.

(٣) العمري: **الحرف والصناعات في الحجاز**، ص ٦٤-٦٥.

(٤) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص ٣٢٣.

(٥) الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، ج ٤، ص ٤٩٨.

يطهونهـا على النار[١]. كـثر الجمع في الطائف على خلاف أماكـن أخرى من الحجاز، وذلـك أن الطائف تمتلك مصـادر عدة للالتقاط بسـبب كثرة الأمطـار فيها، واعتدال جوها؛ فامتلأت الجبال والأودية والسهول بأنواع كثيرة من الأشجار والنباتات، وأكثر ما جمع سكان الطائف التين البري والأراك الذي كان من أحسن الأشجار للسواك، وينبت غالباً على ضـفاف أودية الطائف[٢]. ومن جملة ما جمع سـكان الطائف أشجار القرظ والسلم والسـمر والندغ والمظ والنِشم، وكانت تستعمل لإشعال النار؛ وكذلك الحشائش والأعشـاب التي تسـتخدم أعلافاً لماشـيتهم؛ والثمار والفواكه والخضـروات المختلفة، وكذلك الجراد؛ حيث استفاد منه سكان الطائف كباقي الحجازيين في أكلهم[٣].

رابعاً : النشاط الصناعي والحرفي :

تمثل الحرف والصـناعات الجانب المنتج من حياة المجتمع؛ حيث تتداخل الحرف في مدلولها العام مع مفهوم الصناعات التقليدية، فإذا كان الرعي والصيد والزراعة والتجارة والتطبيب من الحرف فإن الحدادة والصناعة والحياكة والنجارة تمثل الصناعات.

ولاشـك أن الطائف من المناطق الغنية بتراثها الحضـاري الذي ورثته عبر مختلف مراحلها التاريخية والحضارية، ويظهر ذلكٍ بوضوحٍ في تعدد الفنون الشعبية، والحرف، والمصنوعات التقليدية التي تعكس ذوقاً فنياً وتراثاً غنياً.

لقد تنوعت الصـناعات والحرف في الطائف فشـملت كل متطلبات الحياة اليومية؛ حيث تعددت أشـكالها، وأحجامها، وألوانها، وموادها الخام حسـب استخداماتها وأغراضها، ولعل تعدد وتنوع هذه الصناعات أدى إلى تنوع خصائصها الفنية التي عكست ذوق ومهارة الحرفيين، وتنوع ثقافاتهم وأذواقهم، وفيما يلي أهم الصناعات والحرف التي قامت بالطائف:

١- الصناعات الجلدية :

أ- دباغة الجلود :

الدباغـة: معالجة الجلـد بمادة ليلين ويزول ما به من رطوبـة ونتن؛ وذلك بتحويله بعد سـلخه وتنظيفه من الصـوف والوبر إلى منتج مفيد أكثر مرونـة ومتانة عن طريق دبـغ الجلـود والإهاب بما يدبـغ به من مواد؛ والإهـاب هو جلد البقـر والغنم والوحوش

---

(١) أبو غنيمة، خالد: أنماط المعيشة ودورها في تكوين التشكيلات الاجتماعية في عصور ما قبل التاريخ، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، مج ٤، ع ١ (عمان: الجامعة الأردنية، ٢٠١٠ م) ص ١٤٢.

(٢) العمري: **الحرف والصناعات في الحجاز**، ص ٦٤.

(٣) ابن ماجه، أبو عبدالله: **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، د.ط (القاهرة: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت) ص ١١٠١-١١٠٢.

الكبـيرة قبـل الدبغ[١]. ولعبت صـنـاعة الجلـود دوراً هاماً في حياة سـكان الطائف قبل وبعد الإسـلام؛ حيث توفرت المقومات التي سـاعدت على وجود هذه الصـناعة؛ وهذه المقومات هي جلود الحيوانات التي كان يرعاها سكان المدينة؛ كالإبل، والأغنام، والماعز، والأبقار؛ بالإضـافة إلى جلود الحيوانات المتوحشـة التي كانت تعيش في أنحاء الطائف؛ فضلاً عن توفر النباتات التي تستعمل ثمارها في عملية الدباغة؛ كنبات القرظ، والعلق، والعزف، والأرطى والصرف، وكذلك فقد توافقت الظروف المناخية بالطائف مع عملية الدباغة [٢] وبلا شك فإن الطائف مدينة تجارية تمر بها القوافل مما سهّل عليها تسويق منتجاتها الجلدية خارج شبه الجزيرة العربية.

كان من الطبيعي أن سـكان الطائف قد انتفعوا من جلود الحيوانات والماشية والإبل وغيرها من الحيوانات الأليفة؛ حيث إن مهنة الرعي وتربية الماشية كانت إحدى الحرف الرئيسية بها؛ مما يوفر كمية كبيرة من الجلود؛ فعملوا على دباغة تلك الجلود والاستفادة منهـا، وصـنعوا من تلـك الجلود بيوتهـم وأدواتهم وأوانيهم وملابسـهم، واسـتعملوها في أغراض شـتى؛ لذلك أصـبحت هذه الحرفـة أحد أهم الحرف التي ذاع صـيتها في الطائـف، ويذكر الهمداني: أنها "بلد الدباغ، يدبـغ بها الأهب الطائفية المعروكة". وقد تطورت صناعة الأديم في الطائف حتى بلغت شأناً كبيراً، وأصبحت تصدره إلى الأمصار الإسـلامية الأخـرى[٣]، ويبدو أن هذه الشـهرة التـي نالتها الطائـف في دباغة الجلود وصـناعة الأديم استمرت في العهود الإسلامية المتأخرة؛ فيذكر الإدريسي: أن بالطائف تجاراً "جلّ بضائعهم صنع الأديم، وأديمها عالي الجودة، رفيع القيمة، وبالنعل الطائفي يضـرب المثل، وهذا مشـهور" [٤] كما يذكر ابن المجاور أن أهل الطائف يشتغلون بدباغة الجلـود فيقول: "وجميع عملهم دباغ الأدم، ويدبـغ بها الأديم المليح الثقيل المعروف بها، وهو الذي يصلح لخوارزم" [٥]. وتكثر مدابغ الجلود قرب واد بين طائف ثقيف والوهط، وتسيل مياه الدباغة في ذلك الوادي، ولها رائحة نتنة تصرعً الطيور إذا مرت بها [٦].

والجلـود تدخـل في مختلـف الأدوات التي يحتاج إليها سـكان الطائـف في حياتهم اليومية؛ حيث إن الأدوات والأواني المصنعة من الجلود خفيفة الوزن وسهلة النقل؛ لذلك

---

(١) الفراهيدي: العين، ج ٤، ص ٣٩٤. أنيس: المعجم الوسيط، ص ٢٧٠.

(٢) الجوهري، أبو نصر: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج ٣، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ص ١٧٧.

(٣) الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٣٣.

(٤) الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج١، ص ١٤٤-١٤٥.

(٥) ابن المجاور: **تاريخ المستبصر**، ص ٣٦.

(٦) ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص ٩.

صنع الطائفون معظم الأدوات التي شملت شؤونهم اليومية كافة من مأكل وملبس من الجلود، ومن هذه الصناعات ما يلي(١):

١. **القرب:** وكانت مخصصة بصفة خاصة للماء، والسوائل المختلفة بصفة عامة، وكانت بمثابة مخازن متحركة سهلة النقل وليست معرضة للكسر؛ حيث كان يخزن فيها أنواع عديدة من السوائل، كما كانت أوعية لحمل الماء أثناء السفر والسير في الصحراء التي يصعب الحصول فيها على الماء، وخاصة في القوافل التجارية التي كان يقوم بها العرب بين الدول المجاورة، كما كانت أوعية يحفظ فيها الخمر والمشروبات الأخرى، وتستعمل -أيضاً- لحفظ الدهون والزيوت والدبس والمواد الغذائية التي كان يحتاج إليها سكان الطائف خلال ترحالهم، وكذلك أداة للتخزين داخل البيوت. والجلد الذي يصنع منه القرب يعالج ويصنع بطريقة خاصة بحيث لا ينتج عن استعماله تغيير في طعم ما يوضع (٢).
٢. **الجراب:** وهو وعاء من الجلد يحفظ فيه الأشياء الجافة كالدقيق والتمر، ويقال له: الزاد أو المزود (٣).
٣. **الدلاء:** جمع الدلو، وهي أوعية استخدمت في استخراج ورفع الماء من الآبار، وكانت تصنع تلك الأوعية من جلد البقر والإبل وذلك لكي يتحمل الصدمات والاستعمال الكبير والشاق لها (٤).
٤. **الأحذية أو النعال:** وكانت تصنع من الجلود أنواع مختلفة من النعال؛ وبالنعال الطائفي يضرب المثل، وهو مشهور في نواح مختلفة من شبه الجزيرة العربية (٥).
٥. **ملابس وأدوات جلدية :** استخدم سكان الطائف الجلود في صناعة الملابس، وتعد الطائف من المدن الباردة؛ فكانوا يصنعون معظم ملابسهم من جلود الماعز والأغنام، ويصنعون الفراء من الثعالب ، **صناعة الدروع والخوذ والتروس:** وقد صنعت الدروع من الجلد لحماية الجسم من ضربات السيوف، ومن تساقط السهام على الجسم، وكذلك الخوذ؛ حيث إن الجلد في هذه الحالة كان يعالج معالجة خاصة تكسبه صلابة تمكنها من صد ضربات السيوف وتساقط السهام عليها ، **صناعة السيور والألجمة والسروج:** وهي الأدوات المستعملة في الفروسية وركوب الخيل،

---

(١) عامر، جمال: **الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ شبه الجزيرة العربية، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٥ م، ص ١١٧-١١٨.

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، ج ١، ص ٦٦٦.

(٣) ابن منظور: **لسان العرب**، ج ٩، ص ١٦٠.

(٤) الجوهري: **الصحاح تاج اللغة**، ج ٦، ص ٢٣٩.

(٥) ابن الأخوة، محمد: **معالم القربة في طلب الحسبة**، د.ط (كمبردج: دار الفنون، د.ت) ص ١٤٩.

والسيور المستعملة في ربط الهودج على الجمل، وكذلك ربط أحمال الإبل في القوافل التجارية.

٦. **الأغمدة:** وهي أغمدة السيوف والسكاكين والخناجر، ومختلف أنواع النصال المعدنية، وهي أجربة تلك الأدوات الحادة؛ حيث كانت توضع فيها للحفاظ على حدتها.

٧. **العياب أو الزبيل:** وهـي أوعية مـن الأدم، ومفردها عيبة، وهو ما يوضـع فيه المتاع والثيـاب أثناء الترحال والتنقل، وخلال الرحـلات التجارية الكثيرة التي كان يقوم بها سكان الطائف.

٨. **الخيام والبيوت والقباب:** وكانت الخيام الجلدية تصـنع لأثرياء الطائف ومقتدريها، ولم تكن متاحة لعامة الناس، وكذلك القباب التي تُضرب للملوك والسادة والأشراف أمارة على الرئاسـة والسيادة. وتصبغ جلودها بلون أحمر في الغالب، وكانت غالية؛ لذلك لم يسـتعملها إلا أصـحاب الجاه والمال. فكان سـادة الطائف إذا نزلوا منزلا ضربوا قبابًا من أدم، وكان حكام عكاظ والسادات الذين يحضرون السوق يضربون لهم قبابًا، وأما سائر الناس فيضربون لهم بيوت الشعر، وبيوت الشعر أرخص ثمنًا من قباب الأدم. وقد اتخذ العرب بيوتًا من جلد عرفت بالقشـاعة أوالقشوع، وذُكر بعضهم أن القشاعة بيت من أدم، وربما اتخذوا من جلود الإبل صوانًا للمتاع. وذُكر أن البيت من أدم، هو الطراف، وهو بيت من بيوت الأعراب ليس له كفاء [(١)].

٩. **الـزق:** وهو مـن الجلد الرقيق كجلد الماعـز. وكلمة الزق كانت تطلـق على كل وعاء اتخذ للشرب، وخاصة شرب الخمر [(٢)].

١٠. **الشكوة:** وهو إناء من الجلد كان يحبس فيه اللبن ويرج حتى يتجبن، وكان يصنع من جلود الماعز أو الأغنام [(٣)].

١١. **السروج واللجم:** وهي إحدى السلع التي اشتهرت بها مدينة الطائف، وكانت تستخدم لركوب الخيل.

وطريقة دباغة الجلود ، ينقع الجلد المسلوخ حديثاً في الماء لمدةٍ يومين أو ثلاثة أيام؛ بينمـا ينقع ما سُـلِخ منذ فترة طويلـة، أو ما كان مملحاً أو مجففـاً في الماء لما يزيد عن ثمانية أيام، وعادةَ ما تملح الجلود وتجفف وتنشر في الشمس حتى تتفسخ وتتأكسد المواد

---

(١) الزبيدي، مرتضـى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصـطفى حجازي، ج ٢٢، ط١ (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ١٢.

(٢) الفراهيدي: **العين**، ج ٥، ص ١٣.

(٣) الرازي، أبو بكر: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسـف الشـيخ محمد، ط ٥ (بيروت: المكتبة العصـرية –الدار النموذجية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ص ١٦٨.

البروتينية. وكانت الجلود تنقع بعد ذلك في أحواض محفورة في الأرض، ومصبوغة بمادة تمنع تسرب الماء منها، ويُغيّر الماء باستمرار لتخفيف رائحة الجلد، وبعد فترة النقع يكون الجلد قد لان فيُزال منه الشعر بإضافة مادة الدبغ إلى منقوع الماء، أو بإضافة بول الحيوانات لاحتوائه على مادتي اليوريا والأمونيا، أو بإضافة الحجر الجيري، ثم تحك الجلود بالسكين أو بآلة حادة أخرى لإزالة البثور الخارجية والفضلات أو جذور الشعر، ثم يرد في الماء لمدة يوم وليلة، ويرفع منه بعد ذلك ليُكشط بالسكين مرة أخرى، ويغسل ويجفف لمدة يوم، ثم يعالج بالملح فترة قد تصل إلى ثلاثة أسابيع، ثم ينقع في ماء به أوراق نباتات الدباغة [١] كنبات الأرطى، ونبات الحلب، والدهناء، والسلمة، والشث، والصرف، والعفص، والقرضم، والقرظ، والعرفة. ويُغيّر هذا الماء لمدة اثني عشر يوماً حتى يصبح الجلد جاهز الدبغ ومعداً للتصنيع[٢]، وتنوعت الأدوات والآلات المستعملة في الدباغة التي ذكرت في المصادر التاريخية؛ [٣] كالمحط [٤]، والمحلاة [٥]، وسكين الدباغة [٦]، والإزميل [٧]، ومواد الدباغة المختلفة [٨].

ب - خرازة الجلود:

الخرازة: يقال: خرز الجلد ونحوه؛ أي: خاطه. والخرّاز صانع الخرز، ومن حرفته خياطة الجلد [٩]، وكانت الجلود ذات فائدة كبيرة للخرازين؛ فكانوا يشترونها من أصحاب الأدم بمختلف أنواعها من أديم، [١٠] وأفيق، [١١] وسبت، [١٢] ومذاهب، [١٣]

---

(١) عامر، جمال: **الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، ص ١١٧-١١٨.

(٢) النعيم: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية**، ص ١٩٢. الفيروز آبادي، مجد الدين: **القاموس المحيط**، ج١، د.ط (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ١٦٧. الدمياطي، محمود: **معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي**، د.ط (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ص ٤٧. علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٧، ٥٣٧ -٥٨٧. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٣. عامر: **الحرف والصناعات اليدوية**، ص١١٩.

(٣) عامر: **الحرف والصناعات اليدوية**، ص ١٢١-١٢٢.

(٤) المحط: وهي المنضدة التي يوضع عليها الجلد لصقله وإزالة الدهون والمواد العالقة به، وكان يصنع من الخشب والحديد أحياناً. ابن منظور: **لسان العرب**، ج ٧، ص ٣٩٨.

(٥) المحلاة: أداة تستعمل لإزالة الشعر من الجلود وإعدادها وتجهيزها للدبغ.

(٦) سكين الدباغة: وهي نصال ذات حدين تستخدم لإزالة الدهون من الجلد.

(٧) الإزميل: أداة لاستعمال الجلود وإزالة الزوائد منها. ابن منظور: **لسان العرب**، ج ١١، ص ٣١١.

(٨) مواد الدباغة: تعددت مواد الدباغة وعلى رأسها الجير والملح.

(٩) الفراهيدي: العين، ج ٤، ص ٢٠٧. أنيس: **المعجم الوسيط**، ص ٢٢٦.

(١٠) الأديم: ما كان من الجلد قبل الدبغ وبعده. ابن منظور: **لسان العرب**، ج ٩.

(١١) الأفيق: أول ما يكون الجلد في دباغته. ابن منظور: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦.

(١٢) السبت: جلود البقر وكل جلد مدبوغ بنبات القرض. الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ج٨، ص ٣٥٧.

(١٣) المذاهب: سيور الجلد المدبوغة والمموّهة بالذهب. ابن منظور: **لسان العرب**، ج ١، ص ٣٩٥.

وأرنـدج[١]، وحور[٢]، ونطع، وقضـيم [٣]؛ ويصـنعون منها النعال والخفاف، والسـرج، واللجـم، والخيام، والحياض، والملابـس، وأدوات الحرب، والقـرب؛ وكذلك الأحزمة، وأجربـة السـكاكين، والسـيوف، والخناجـر، والأواني الجلديـة التي كانـت بادية نجد والحجـاز تسـتعملها لحفـظ الماء والزيت والعسـل والسـمن واللبن لملاءمتهـا لحياتهم البدويـة التي تقوم على التنقل والترحال؛ لأن الشـمس الحارة في تلك البلاد لا يقاومها مـن الأوعية التي كانت تسـتعمل في البيوت غـير الجلود، كما كانوا يسـتعملونها لحفظ التمـر؛ فكانوا يضـعون التمر في جوارب مـن الأديم، كما كانوا يدبغونهـا جيداً ويعملون منهـا السـبط الجلديـة [٤]، ويسـتعمل الخـرّاز أدوات عديدة لإتمام عمليـة الخرازة، وهــي المدق، والمخـراز، والفرجار، وأداة طي الجلد والدفـرة والرأس، ثم ينتقل الخراز إلى مرحلـة الزخرفـة بعدة أدوات تسـتخدم لزخرفة الأغلفة الجلدية بصـفة خاصـة، والمشـغولات الجلدية بصـفة عامة، وذلك مثل الهراشـة، والعجلـة، والأزاميل، ومكواة الحرق، والأختام المعدنية والزمبة وموقد أدوات التشطيب وغيرها [٥].

٢- الحدادة والصياغة:

١- الحدادة:

مارس سـكان الطائف مهنة الحدادة دوناً عن العرب فقـد كانت مهنة مُحتقرة في الجاهليـة إلى أن جاء الرسـول -ﷺ- وغيّر نظرة العرب تجـاه هذه الحرفة [٦]، فهي حرفة شريفة مارسها الأنبياء؛ كداود وسليمان عليهما السلام، يقول تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[٧]، كمـا حـاول -ﷺ- أن يبـدل نظرة الاسـتحقار تلك بأن جعل مرضـعة ابنــه إبراهيم زوجة حداد يدعى أبا سـيف [٨] على الرغم من وجود مرضعات من أشرف العائلات وأنبلها.

---

(١) الأرندج: الجلد الأسود المدبوغ بالعفص. النعيم: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية**، ص ١٩٣.

(٢) الحور: الجلود البيضاء الرقيقة، وعادة ما تكون من جلود الضأن. ابن منظور: **لسان العرب**، ج ١٢، ص ٤٤٨.

(٣) النطع والقضيم: الجلود البيضاء التي استخدمت في الكتابة. عامر: **الحرف والصناعات اليدوية**، ص ١٢٢.

(٤) العمري، عبدالعزيز: **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول**، ص ٢٨١.

(٥) الصـويان، سـعد: **الثقافـة التقليديـة في المملكـة العربيـة السعوديـة (الحـرف والصناعـات)**، ج ٣، ط ١ (الرياض: دار الدائرة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ٤٣٥-٤٣٦.

(٦) يعرف الحداد -أيضاً- باسم القين. أنيس: **المعجم الوسيط**، ص ٧٧١.

(٧) سورة سبأ: الآية (١٠-١١).

(٨) وهو الصحابي الجليل البراء بن أوس بن خالد الأنصاري. الخزاعي، علي: **تخريج الدلالات السمعية على مـا كان في عهـد الرسول -ﷺ- من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق: إحسـان عباس، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٧١٦.

ترتبط حرفة الحدادة بالعديد من الحرف كالزراعة؛ وذلك لأن المزارع يحتاج لآلات زراعية كثيرة يدخل في تصنيعها -بشكل أساسي- مادة الحديد ومعادن أخرى؛ كالفؤوس، والمحاريث، ومناجل الحصاد، والمحشات، والداسولة، والعكفة، والطبر، والمسحاة، والكرك، والكرفة، والمسنون، والهيب، وغيرها من الآلات الزراعية [١]، ويصنع الحداد معظم المستلزمات العسكرية والأسلحة؛ كالخناجر، والسيوف، والسكاكين، والنبال، والدروع، وكذلك يصنع المسلة، والمخراز، والمجوب، والكثير من أدوات الغزل والحياكة، وبعض أجزاء السروج والألجمة، ووحدات المكاييل والموازين التي تستعمل في البيع والشراء [٢]. واستعمل الحديد -أيضاً- لإصلاح الكثير من الأدوات، وخاصة الأدوات الحجرية، كما أنه يعد للحرف الأخرى ولأهل البيوت كثيراً من الآلات التي يصنعها من الحديد [٣].

وقد عمل في حرفة الحدادة بالطائف جمع من العرب والموالي واليهود، وكانت جلدان قد اشتهرت بصناعة السيوف تحديداً [٤]، وممن عملوا بهذه الصناعة الأزرق بن عقبة الثقفي مولى الحارث بن كلدة، وكان الأزرق رومياً نزل إلى الرسول -ﷺ- أيام حصار الطائف وأسلم فأعتقه الرسول -ﷺ- وسلمه لخالد بن سعيد بن العاص فصار حليفاً لبني أمية [٥]، وعادة ما تُستورد تلك المعادن من المدن المجاورة ما عدا معدن الحديد فيُستورد من الهند وفارس[٦]، ويستعين الحداد بأدوات مختلفة في تطويع الحديد وطرقه وتشكيله كالكير [٧] والكور [٨]، والمطرقة [٩]، والقرزم [١٠]، والمشحذ[١١]، والمشرجع [١٢].

---

(١) آل الشيخ، نورة: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام**، د.ط (جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٣ هـ) ص ١٣٨.

(٢) لعشوري، آمال: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية**، ص ٦٢-٦٣.

(٣) معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ١٤٨.

(٤) جلدان: موضع بالطائف. البكري، أبو عبيد الله: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ٢، د.ط (بيروت: عالم الكتب، د.ت) ص ٣٨٩. العمري، أحمد: **الصنائع والمهن في نجد والحجاز في صدر الإسلام والعصر الأموي**، ط١ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) ص ٢٠٨.

(٥) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج ٤، ص ١٢٣. العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج١، ص ١٩٩.

(٦) السيف: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز**، ص ١٥٦.

(٧) الكير: منفاخ يتكون من جلد أو نحوه يستخدمه الحدَّاد وغيره للنفخ في النار لإذكائها، وتجعل الحديد ليناً يسهل طرقه وتطويعه. الزمخشري: **أساس اللغة**، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٨) الكور: مجمرة الحداد، مبنى من الطين يشبه الفرن يوضع به الجمر لإحماء المعادن وصهرها. الفراهيدي: **العين**، ج ٥، ص ٤٠٠.

(٩) المطرقة: أداة يُطرق الحديد بها لترقيقه وتحويله للشكل المطلوب.

(١٠) القرزم: لوح الإسكاف المدور.

(١١) المشحذ: مبرد للحديد.

(١٢) المشرجع: مطرق لا حروف لنواحيه.

وتمــر الحدادة بمراحــل متعددة حتى ينجز الحداد الأداة المطلوبة، فيوضــع الحديد على النار -أولاً- ويترك حتى يحمر، ثم يمغط ويعاد من جديد إلى النار، ثم يرفع وينظف، ثم يُشــكّل الحداد الحديد وذلك بطرقه على الســندان؛ بينما ينفخ المساعد في الكير وهو يمســك القطعة المراد طرقها وتشــكيلها، فإذا كانت الأداة تحتاج إلى ترقيق تسحل بمبرد حديدي، وإذا كان يحتاج إلى أسنان فيسحل -أيضاً- لعمل الأسنان التي تحتاج إلى شرح ومغط، ثم يشّــرب بالماء ليكون قاطعاً؛ ومن ثم تأتي عملية الشحذ لتأخذ الحدة المطلوبة، وتُعدّ المطرقة والملقط وبيت النار والسندان وجرن الماء مقومات هذه الحرفة [١].

ب - الصياغة:

لم تخلُ الطائف من الصوّاغ؛ فتذكر الروايات أن الرسول -ﷺ- في حصاره للطائف طلبــت منه خولــة بنت حكيم بــأن يعطيها حلي باديــة بنت غيلان بن مظعــون الثقفي، والفارغــة بنت عقيل الثقفيــة، وكانتا من أجمل نســاء ثقيف وأكثرهن حلياً. ويســتعمل الصــائغ جملة من الأدوات شــبيهة بــأدوات الحداد، ومعهــا آلات للنقــش والكتابة [٢]، ومما أنتجته حرفة الصــياغة في الطائف: الحلي بأنواعها كالقلائد والأساور والأقراط والخلاخيل والخواتم والتيجان، ومنها ما كان مرصّــع بالأحجار الكريمة. وكذلك الكوز والكؤوس والأباريق، وكانت تزيّن بعض المصوغات بالرسوم والنقوش المختلفة [٣].

٣- البناء والنجارة:

أ -البناء:

برع سكان الطائف منذ القدم بفنون العمارة؛ حيث بنوا السدود والقنوات لتصريف الميــاه، وحفــروا الآبــار وحوّطوها، كما اســتطاعوا بناء القــلاع والحصــون والآطام[٤] والأبــراج لحمايــة المدينة مــن العابثين، وقد أتقنوا صــناعة اللبن وتكســير الصــخور، وتهذيب الحجارة وخاصــةً أحجار البازلت التي كانت أساس البناء في المدينة لما تشتمل عليه من خصــائص فيزيائية تُلطّف الجو، وكذلــك اللَّبن وهو المادة الطينية التي تُخلط بالتبن وتُعجن وتُشــكّل على شكل قوالب مستطيلة أو مربعة، كما كانوا يستخدمون الطين والحجــر الذي لم يُهذب في بناء الحظائر والمنازل العادية [٥]، وتميزت العمارة الحربية

(١) عامر: **الحرف والصناعات اليدوية**، ص ٤٢-٤٣.

(٢) العمري: **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول**، ص ٢٧٨.

(٣) علي: **المفصل في تاريخ العرب**، ج ٧، ص ٥٦٣-٥٦٦.

(٤) الآطــام: مفردها أطم، وهو حصــن مبنــي بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع ومســطح. ابــن منظور: **لسان العرب**، ج ١٢، ص ١٩.

(٥) الســيد، محمد قاري: **ملامح من الــتراث العمراني في محافظة الطائــف**، ط١ (الطائف: اللجنة العامة للتنشيط السياحي، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م) ص ٢٦.

في الطائف بالمتانة والحصانة حتى إن المسلمين لم يتمكنوا من دخولها إلا بعد أن دخل أهلها للإسلام طواعية لمناعة حصونها وأسوارها، وقد اكتسب سور الطائف شهرة واسعة حتى إن البعض أشار أن تسمية الطائف جاءت بسبب ذلك السور الطائف بها. وتستخدم الحجارة المثبتة المونة أو اللبن في بناء القصور و الحصون والآطام والقلاع، وكانت تكسى بطبقة جصية متينة، ويصل سمك الجدران والأسوار إلى ما يقارب ثلاثين ذراعاً [١]، أما البيوت في الطائف فكانت جيدة البناء ومنتظمة التصميم، ومعظم المنازل وخاصة ما يسمّى بالدور تحتوي على صحن الدار وهو قاعتها وساحتها، والخزنة وهي الغرفة التي تحفظ بها المؤن، ويأتي بعدها المضجع أو المرقد وهي غرفة النوم، والصُّفة غالباً ما تكون شرفة مبنية في اتجاه الريح، ولا تخلو البيوت من الكوة [٢]، وكان يطلق على السطح اسم الصهو، وهناك ما يعرف بالتنور ويستخدم لإعداد الطعام، ويقال له: المسعر أو الوطيس، وكذلك الإسطبل وهو الموضع الذي تربط فيه الدواب [٣].

ب - النجارة:

النجارة من النجر، وهو نحت الخشب وتهذيبه [٤]، وتعد النجارة أحد أشهر الحرف والأنشطة الصناعية التي قام بها سكان الطائف منذ القدم، وتقوم على استخدام أخشاب الأشجار في صناعة المنازل والعدد والأدوات المختلفة التي يحتاجها السكان في حياتهم اليومية. وكانت النجارة في البادية بدائية؛ حيث استخدمت مفالق النخيل وبعض الألواح التي تستخرج من جذوع الأشجار في مشغولات بسيطة صنعت بطريقة بدائية؛ كأعمدة الخيام، والأوتاد الخشبية، والحدوج، والصناديق؛ بعكس أهل الحاضرة الذين برعوا في هذه الحرفة وأدخلوها في صناعات متعددة، وتقدمت صناعة النجارة بالطائف شيئاً فشيئاً عندما اهتموا ببناء المساجد والبيوت والدور، فظهرت فنون أعمال النجارة واضحة وجلية في المنابر، والدكك، والأسقف، وبعض القباب، والنوافذ، والشبابيك، والأبواب، والكراسي، وأواني الطعام [٥]، وقد وفّر النجار الطائفي المستلزمات الزراعية؛ مثل: المحاريث لحرث الأرض، والسواقي لرفع المياه من الآبار ومجاري المياه المنخفضة إلى الأراضي المرتفعة عن مستوى المجاري المائية وغيرها مما يناسب الحياة في بيئتهم الزراعية؛ بالإضافة إلى العربات التي تجرها الحيوانات. وتدخل النجارة -أيضاً- في

---

(١) محمدين: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**، ج ٢، ص ١٥٤.
(٢) الكوّة: وهو الثقب الموجود في أعالي البيوت، وكان ينفذ منه النور.
(٣) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ١٢٨.
(٤) ابن منظور: **لسان العرب**، ج ٥، ص ١٩٣.
(٥) السيف، عبدالله: الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، **مجلة الدارة**، مج ٧، ع ٣ (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٩٨٣ م) ص ٢٤٦-٢٤٧.

صناعة الأسلحة؛ كالرماح، والقسي، والسهام، والنبال، والأقواس وغيرها [١]، ويستعمل النجار في صنع القصور والأبنية والأثاث والأدوات الخشب الصلب والمقاوم؛ كخشب أشجار الرمان، وأشجار النبق، والعرعر، والسنط، والطلح، والإذخر، والسمر، والجوز، والسرو، وشجر المرخ الذي تصنع منه هياكل الخيام؛ وكانت الأخشاب تعالج بالقطران وزيت الخردل لكي تبقى مدة أطول [٢]، ويستخدم النجار جملة من الأدوات في صنعته: بعضها من صنع الحداد لأنها من حديد، ومنها الفأس، والمنشار، والمنقار، والمحفرة، والمسحل، والمثقب، والكلبتان، والمسامير، والأوتاد وغير ذلك من أدوات تستعمل في قطع الخشب وفي تنظيمه وصقله وهندسته لجعله صالحاً للعمل [٣]، وكان أهل الطائف يميلون إلى النجارة أكثر من غيرهم من العرب، وذلك بسبب ميلهم إلى الزراعة والاشتغال بما يخرج منها، وعنايتهم بغرس الأشجار المثمرة التي كانوا يسعون -دائماً- إلى تحسين أنواعها، وجلب أنواع جديدة منها، ومن أشهر النجارين في الطائف الصحابيان عروة بن مسعود [٤] وغيلان بن سلمة [٥] رضي الله عنهما، وكان لهما خبرة كبيرة في النجارة، وكذلك صناعة الآلات الحربية حتى أنهما لم يشهدا حنينا ولا حصار الطائف فقد كانا بجرش [٦] يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق [٧].

٤- صناعة النسيج وخياطته وصباغته:

أ- صناعة النسيج:

ازدهرت صناعة النسيج في الطائف ويرجع ذلك إلى توفر المواد الخام مثل الصوف الذي ينتج من قطعان الأغنام، أو وبر الجمال، أو شعر الماعز، وكان من الضروري الاستفادة من الصوف بغزله أولاً، و كانت النساء في الغالب هن اللاتي يقمن بعملية

---

(١) السيف: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز**، ص ١٦٤.

(٢) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ١١٧-١٢٢.

(٣) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) عروة بن مسعود الثقفي صحابي مشهور، وزعيم ثقيف في زمانه، وأحد وجوه العرب، له الكثير من المآثر والأخبار، نزلت به الآية الكريمة: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) على ما ذكر لدى المفسرين، توفي سنة ٩ هـ / ٦٣٠م) العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٤، ص٤٠٦.

(٥) غيلان بن سلمة الثقفي صحابي جليل، أسلم في السنة الثامنة من الهجرة، وشهد حجة الوداع، وكان أحد وجوه ثقيف ومقدميهم، ويعد في أشراف المعلمين، وذكره حكام العرب ضمن أربعة أشراف من قيس، وقال: كان يجلس في أيام المواسم فيحكم بين الناس توفي سنة (٢٣هـ / ٦٤٤ م). العسقلاني: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٥٣.

(٦) جرش: موقع أثري يقع إلى الجنوب من مدينة خميس مشيط بحوالي خمسة عشر كيلو متراً على الطريق البري الواصل بين مدينتي خميس مشيط ونجران. ابن جريس، غيثان: تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى، **مجلة بيادر**، ع ٢٤ (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٩٩٨ م) ص ٦٩.

(٧) المنجنيق: هي آلة حربية تستعمل لقذف الحجارة والسهام وكل ما يمكن قذفه من أجسام بواسطة ذراع فيه كفة يتحرر تحت ضغط قوة فتل الحبال. ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج ٤، ص ٣٤٥.

الغـزل في بيوتهن أكثر من الرجال نظرا لتفرغهن؛ لكن هذا لا يعني عدم وجود الرجال في هـذه الحرفة[١]، واسـتعمل النسـاجون في هذه الحرفة العديد مـن الأدوات كان من ضـمنها المغزل، والمحف، والصـنار، والنير، والمداد، وغيرها مـن الأدوات الأخرى [٢]؛ غـير أن الغزل والنسـيج لم يكن الحرفة الوحيـدة المتعلقة بالثياب في تلـك الأيام؛ فقد وجدت إلى جانبه -أيضاً- حرفة أخرى وهي الخياطة.

ب -الخياطة:

تتوفر المنسـوجات بالطائف إما عن طريق الاسـتيراد من الخارج، وإما عن طريق الإنتاج المحلي، وقد أشـارت المصـادر إلى وجود مهنيين في الطائف يُحضـرون الأقمشة ويبيعونها إلى الخياطين للاسـتمرار في ممارسـة مهنتهم؛ علماً أن أولئك الحرفيين لم يكونـوا من أهل الحجاز فقـط، وإنما كانوا يأتون إلى الحجاز مـن أماكن عديدة داخل شـبه الجزيرة العربية وخارجها [٣]، وطالما وجدت الأقمشة والمنسوجات -سواءً المحلية أو المسـتوردة في الطائف- فلم يكن هناك مشكلة للخياطين الذين يشتغلون في الأسواق، فيدفعون إليهم بالأقمشـة لتفصـيلها مقابل أجرة معلومة، كما كانوا يُسـتأجرون للعمل في تفصـيل الثياب في بيـوت الأثرياء وعلية القوم [٤]، وأكثر مـن انخرط في هذه المهنة مـن الموالي والعبيـد، والمعروف أن طبقات الموالي والعبيد لم يكونوا من سـكان الطائف الأصليين؛ وإنما قدموا إليها خلال الفتوحات الإسلامية المبكرة، وربما قبل الإسلام من مناطـق متعددة ومتباينة في ثقافتها وحضـارتها، وهذا مما لاشـك فيـه أنهم قد عملوا في المهـن والحرف أمثـال الخياطة وغيرها فأحدثـوا أنواعاً من التجديـد والتطوير في الحرف التي أصـبحوا يعملون بها مسـتفيدين من خلفياتهم ومعارفهم التي اكتسـبوها من أوطانهم الأصلية [٥].

ب-الصباغة:

هي عملية لاحقة بحرفتي النسـيج والخياطة، وتعتمد علـى المواد الأولية التي تكون في غالبيتها نباتية ، والصـبغ: هو ما يلون به، واهتم سـكان الطائف بتحضـير الأصباغ والألوان لتلوين الثياب والأقمشـة، وتركيب الأصباغ المختلفة. ومعظم الأصباغ تستخرج مـن النباتات البريـة والمزروعة؛ كالورس، والعصـفر، والحلق، وقـرف الأرطى، وقرف

---

(١) لعشوري: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية**، ص ٥٧.
(٢) لعشوري: المرجع السابق، ص ٥٧.
(٣) السيف: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز**، ص ١٦٣.
(٤) لعشوري: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية**، ص ٧٤.
(٥) شاهين: **تاريخ الموالي**، ص ٥٥.

الســدر، وكانت ســلعة مطلوبة ورائجة لأنها ثابتة لا تتغير بســرعة ، وأكثر أصــباغ أهل الطائــف أخذت من النباتات، وهو شــيء طبيعي لســهولة الحصــول على الأصــباغ من النباتات، ولتوفرها لديهم في الحضــر والبدو بعكس الأصباغ المعدنية؛ حيث إنها تتطلب مهارة وتقدماً في الصناعة [١] ، لم تقتصر الصباغة في الطائف على الأصباغ المحلية؛ بل استقدموا أصباغاً مختلفة من الهند وفارس[٢]؛ كالعندم [٣]، والفرصاد[٤]، والفوة[٥]، والنكع [٦]، والصرف [٧]، واللك [٨]، والأرقان [٩]، والعصفر [١٠]، والزعفران [١١]، وتتم عملية الصباغة إما بنقع الخامات بالماء، أو طبخها على النار حتى تصبح مادة صالحة لتلوين الجلود والثياب والأقمشــة، واستطاع أصــحاب هذه المهنة بعد اكتسابهم للخبرة والمهارة من مزج الأصباغ إما لتركيزها أو للحصول على ألوان جديدة؛ من ذلك الصبغة الخضــراء التي كانت تســتخدم في الأقمشــة، وكانــت مكونة من خليــط اللونين الأزرق والأصــفر، وبفضــل الخبرة -أيضــاً- تعلموا كيفية تثبيت الألوان [١٢] ، وقد تميز ســكان الطائف بملابس مختلفة عن باقي سكان الحجاز، وقد ورد وصف زي أهل الطائف على لسان الحميري، فيقول: "وزي ثقيف الأقبية المصبغة بالورس والعصفر، ويحزمون على أوساطهم ملاءات القطن الرقاق وعليها البرود العجيبة" [١٣].

---

(١) لعشوري: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية**، ص ٧٤.

(٢) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ١٢٣.

(٣) العندم: وهو البقم، شجر له ساق أحمر يلون بمائه بعد أن يطبخ. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٣٠.

(٤) الفرصاد: وهو التوت وله صبغ أحمر. الرازي: **مختار الصحاح**، ج ١، ص ٤٧.

(٥) الفوة: وهي عروق بنية يصبغ بها. ابن سيده، علي: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ج ١٠، ط ١ (١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ٥٤٤.

(٦) النكع: وهي ثمرة النقاوى، ولونها أحمر، وقيل: هي عروق حمراء لها نبت يسمو في رأسه حب شديد الحمرة كثير الماء، ويستخدم في الكتابة والنقش. الشيباني: **الجيم**، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٧) الصرف: وهو صبغ أحمر اللون تصبغ به شرك النعال. المعافري، سعيد: **الأفعال**، تحقيق: حسين شرف، ج ٢، د.ط (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ص ٣٧٢.

(٨) اللك: وهو نبات يصبغ به الأدم، ولونه أحمر واللكاء الجلود المصبوغة بعصارة اللك.

(٩) الأرقان: نبات له عصارة حمراء. ابن فارس، أحمد: **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج ١، د.ط (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٨٣.

(١٠) العصــفر: يستعمل لصــبغ الأكل والملابس، وله فوائد طبية، والجزء المســتعمل من النبات هو أمتعة أزهار العصــفر يكون لون العصــفر أصفر أو أحمر حسب نوع الزهرة، وقد عصــفر الجاهليون ثيابهم بالعصفر. الشيباني: **الجيم**، ج ٢، ص ١٤٣.

(١١) الزعفران: وهو صبغ أصفر زاهي اللون.

(١٢) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ١٢٣.

(١٣) الحميري: **الروض المعطار**، ص ٣٨٠.

٥- حرف الإعاشة:

أ- طحن الحبوب:

تعد الطائف مصدر إنتاج الحبوب الرئيسي في الحجاز؛ حيث تنتج الحنطة والشعير وغيرها من الحبوب، وكان لابد من طحن هذه الحبوب حتى تتحول إلى دقيق يمكن عمل الخبز منه؛ لذلك كانت تدق بين حجرين في بادئ الأمر، ثم أصبحت تطحن بين حجرين يكونان ما يشبه بالرحى، وكانت الرحى مكونة من حجر ثابت، وهو الأسفل والحجر العلوي وهو أصغر قليلا من الحجر الأسفل به فتحة كانت توضع فيها الحبوب فتنزل إلى سطح الحجر الأسفل الثابت، وبذلك تكون بين الحجرين، ثم يحرك الحجر العلوي فتطحن الحبوب، وتخرج الحبوب طحيناً على قماشة أسفل الحجر الثاني الثابت وهو الأسفل وكان يوجد في الحجر العلوي مقبض أو فتحة توضع فيها خشبه متينة تشبه الوتد يمسك باليد ويحرك به الحجر[١]، واستعمل سكان الطائف الطواحين الكبيرة التي تدار بالماء، وكذلك الطواحين الكبيرة التي تدار بالحيوانات، وكان لا يوجد بيت بالطائف إلا وبه رحى؛ حيث كانت حرفة طحن الحبوب داخل المنازل من الأعمال الأساسية للنساء، كما كانت تقوم به الخادمات في البيوت الكبيرة وعند الأثرياء [٢].

ب- الخبازة:

تُعدّ الخبازة وإعداد الخبز من الدقيق وكل ما يتصل بهذه الحرفة من إعداد الدقيق للخبز من الأعمال البيتية؛ أي: من الأعمال التي تتم داخل البيوت حيث تقوم النساء بتلك الحرفة، وقد احترف بعض الناس حرفة الخبازة؛ حيث كانوا يُعدّون الخبز من طحين القمح، أو الحنطة، أو الشعير، أو طحين الذرة، وكان سكان الطائفَ يعدون أنواعاً شتى من الخبزٍ فكان هناكٍ الخبز الغليظ، والخبز الرقيق الذي كان يسمّى الرقاق[٣]، ولا زال معروفاً ومستعملاً حتى أيامنا هذه، وكان هناك الخبز الناشف الذي يمكن حفظه وخزنه لمدة طويلة، وهو ما يناسب ظروف السفر والترحال والقوافل التجارية التي كان يقوم بها تجار الطائف لنقل السلع الطائفية إلى البلاد الأخرى المجاورة، كما كان يدخر للشتاء، وكذلك الكعك، وهو نوع من الخبز اليابس، وكان يستعمل في الأسفار أيضاً؛ حيث يمكن أن يبقي فترة طويلة صالحاً ومحافظاً على طعمه ونكهته، وقد يحلى الخبز ويوضع فيه مادة سكرية الطعم، وقد يعجن بالدهن والسمن أو الزيت، أو يوضع عليه السمسم كما يفعل الخبازون اليوم، وقد كان يخبز في التنور [٤].

---

(١) علي: **المفصل في تاريخ العرب**، ج ٧، ص ٥٧٢.

(٢) عامر: **الحرف والصناعات اليدوية**، ص ٩٧.

(٣) النعيم: **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية**، ص ٢٠١.

(٤) عامر: **الحرف والصناعات اليدوية**، ص ٩٧.

ج - الجزارة:

عمـل بعض سـكان الطائـف بالجزارة، فقـد كانوا يذبحـون الذبائح ويبيعـون اللحوم، أو يقومون بالجزارة للناس مقابل أجر يتقاضونه، أو مقابل جزء من الذبيحة يأخذونه، وكان يذبح من يحترف مهنة الجزارة الذبائح في البيوت مقابل ذلك الأجر، وكانوا يفضلون لحوم الإبل عن غيرها من اللحوم الأخرى، كما ذبح الجزارون الذبائح المختلفة من الماعز والأغنام والإبل [١].

د- الطباخة:

كانـت الطباخـة من الحرف المعروفـة عند سـكان الطائف، وقد أوردت المصـادر أسـماء الأطعمة التي كان يسـتعملها السـكان في معيشـتهم، وكان من بين تلك الأطعمة أطعمـةٍ نقلهـا الرحّالـة والتجار من الـدول المجاورة التـي تعامل معها سـكان الطائف تجاريـاً؛ فقد نقلوا أطعمة من الفرس والرومان، ومن هذه الأطعمة التي اقتبسـوها من البلاد المجـاورة: الخروق، [٢]والخزيرة، [٣]والربيكة [٤]، وقد اسـتعمل سـكان الطائف طباخات أو طباخين وخاصـة في الولائم الكبيرة التي تقام في المناسـبات، وكان من بين هـؤلاء الطباخين طباخون من العجم لإعداد الطعام الأعجمي الذي لا يعرفه سـواهم، على أن الطعام غالباً كان منٍ التمر واللبن والسـمن واللحم والدقيق الذي كان يصـنع من الحنطة أو الشعير؛ فضلاً عن الدبس وهو عسل التمر[٥].

٦- الصناعات الطبية:

عـرف سـكان الطائـف علم الطـب قبل الإسـلام، وتكونـت معارفهـم الطبية عن طريق التجـارب والخبرات التقليدية المتوارثة في التداوي؛ كالكي، والحجامة، والتداوي بالأعشاب؛ بينما سافر البعض منهم إلى مختلف البلدان لدراسة الطب وتعلمه [٦].

ظهـرت مهنة الطب في الطائف عنـد الحارث بن كلدة الثقفي(١٤هـ/٦٣٥م)، وهو

---

(١) عامر: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) الخروق: وهو طعام شـبيه بالحسـاء، وهي من أصل فارسي، ويسمّى -أيضـاً- خورديك، وكانت تُعدّه المرأة صـاحبة البيت، وإذا كانت الأسرة ميسـورة مادياً، فكانت تستخدم طباخين لإعداد ذلك النوع منَ الطعام. الزبيدي: **تاج العروس**، ج ٧، ص ٣٢٧.

(٣) الخزيرة ويقوم ذلك النوع من الطعام على اللحم والدقيق؛ حيث كان يوضع قدر به ماء على النار، ثم يقطع اللحم قطعاً صـغيرة ويوضـع في القدر بعد أن يكون قد غلي ماؤه، فإذا نضـج اللحم وضـع عليه الدقيق بعد أن يكون قد أضـيف إليه الملح، وتلك الآكلة كانت من الآكلات الشـهيرة بين أشـراف الحجاز وأثريائها. ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤، ص ٢٣٧.

(٤) الربيكة: وهو طعام يتكون من دقيق وسـمن وتمر، وكان شـائع الاسـتعمال في أنحاء شـبه الجزيرة العربية. الزبيدي: **تاج العروس**، ج ٧، ص ٣٢٧.

(٥) عامر: **الحرف والصناعات اليدوية**، ص ٩٩ — ١٠٠.

(٦) ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج ١، ص ٦٥٠.

طبيب عربي مشهود له ببراعته في الطب، ويعرف بطبيب العرب في وقته، عاش في العصر الجاهلي وأدرك الإسلام، وتعلم في إحدى مدارس بلاد فارس. [١] وكان الحارث بن كلدة يتعلم المهارات الطبية من خلال التدريبات العملية التي كان يقوم بها، وكان يستفيد من التجارب التي يمر بها ومن تجارب الحكماء السابقين؛ فهو مع كونه يعالج المرضى ويصف لهم الدواء يضيف إلى ذلك إرشادات عامة يستفيد منها الناس في حياتهم، فقد أثرت عنه مقولات تعلمها في الطب، وتناقلها الحكماء من تجارب سابقة[٢]، وروى ابن إسحاق عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: "مرض سعد وهو مع رسول الله -ﷺ- في حجة الوداع فعاده رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ما أراني إلا لما بي، فقال رسول الله ﷺ: "إني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك آخرون"، ثم قال للحارث بن كلدة: "عالج سعدا مما به" فقال: "والله إني لأرجو شفاءه فيما ينفعه في رحله، هل معك من هذه التمرة -العجوة- شيء؟ قال: نعم، فصنع له الفريقة: خلط له التمر بالحلبة، ثم أوسعها سمناً، ثم أحساها إياه فكأنما نشط من عقال" [٣].

وكان للحارث ابنٌ يدعى النضر، أخذ الطب عن والده، فقد جال في البلاد، وعاشر العلماء من سائر المذاهب والملل، فحصّل من العلوم القديمة قدراً هاماً، واطلع على علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها من العلوم التي نقلها إلى الطائف. [٤].

٧- حرفة تربية النحل وجني العسل:

تعد هذه الحرفة إحدى طرق الاستثمار الطائفي؛ حيث كان يربى النحل على أشجار الفاكهة المختلفة وأزهار الأشجار العطرية [٥] بمختلف أنواعها؛ وذلك لما تدر عليهم هذه الحرفة من فوائد على مرّ تاريخهم منذ العصر الجاهلي إلى الآن؛ نظراً لقيمة العسل كغذاء وشفاء، يقول جل وعلا: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ

---

(١) ابن جلجل، سليمان: **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٥٣ – ٥٤ .

(٢) القفطي، جمال الدين: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م) ص ١٢٥.

(٣) أخرجه ابن منده وأبو نعيم. ابن الأثير: **أسد الغابة**، ص ٢٢٧. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: عامر النجار، ط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦ م) ص ٣٨٦-٣٨٨.

(٤) الواقدي، أبو عبدالله: **المغازي**، ج١، ط٣ (بيروت: دار الأعلمي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ١٤٩. لعشوري: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية**، ص ٦٨.

(٥) معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ٦٥.

بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [١].

اشـتهرت مدينة الطائف بتربية النحل وكثرة إنتاج العسـل؛ فقـد كانت أكثر أرض العرب عسلاً [٢]، وكان إقبال العرب على عسل الطائف كبيراً حيث كان أفضل الأعسال وأنقاها وأغلاها.

وكان العسـل الطائفي مما يهادى به في مكة والعراق وسـائر بلاد العرب، وقد ذكر البـلاذري أن أم سـلمة زوج النبي -ﷺ- كان لها نسـيب بالطائف يهديها عسـلاً [٣]، وذكر أبو حنيفة الدينوري أن " السراة أكثر أرض الله عسلاً وعنباً وتيناً وزبيباً، والسراة كلها باردة لذلك كثر بها النحل" [٤].

إلى جانب ذلك يوجد العسـل في مواضع أخرى في الكهوف المنتشرة بالجبال، وهي كثيرة بالطائف مثل جبل الردف [٥] الذي يكسـيه أشجار كثيفة مثل الضرمة، وهو شجر طيب الرائحة ثمره كالبلوط، وزهره كالزعتر لذلك أصبح عسله من أفضل ما يجمع.

يستخدم النحّال الطائفي وسائل بسيطة لتربية النحل؛ حيث كان يبحث عن أعشاش النحل في النباتات المنتشرة في المناطق الجبلية، ومن ثم يجمعه فيما يعرف بعسل النحل الحر، ثم يبدأ المربي في صناعة المناحل البدائية والمصنوعة من الأشجار المحلية كالطلح والسـدر والسيال، ووضـعها في الأراضـي المنخفضـة بين المناطق الجبلية، ويزيد إنتاج الطائف من العسل عن الاستهلاك المحلي، فيصدر قسم كبير منه إلى مكة [٦].

٨- صناعة النبيذ:

كانت صـناعة الخمور والنبيذ من الصـناعات الرائجة والمزدهرة في الطائف قبل أن يدخلها الإسلام، ويعد من أهم السلع الطائفية التي تحملها القوافل للبلاد المجاورة، ومن أشهر أنواع الخمور والنبيذ المصنوعة في الطائف ما يلي:

أ- نبيذ العنب:

تعتـبر الطائـف أبرز المناطق التي صـنعت من أعنابها الخمـرة في الجزيرة العربية.

---

(١) سورة النحل: الآية (٦٩).

(٢) البكري: **معجم ما استعجم**، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٣) معطي: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، ص ١٣٩.

(٤) الدينوري: **كتاب النبات**، ص ٢٦٣.

(٥) البلادي: **معالم الحجاز**، ص ٦٨٨.

(٦) المقريـزي: تقـي الديـن: **رسائل المقريـزي**، تحقيق: رمضـان البدري وأحمـد قاسـم، ط١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٢٩٨.

ودليلنا على ذلك الأخبار التي تواترت إلينا عن زراعة الطائفيين للأعناب وعصرهم لها وصناعة الخمرة منها. وكانوا يصنعون الخمرة في المرتفعات الجبلية بالطائف، ومن الخمور التي اشتهرت بها الطائف خمر يقال له: الإسفنط، وهو المطيب من عصير العِنب، وكان تجار مكة يجلبون من الطائف الخمور والزبيب والأدم، وكانوا يستهلكون كثيراً من أعناب الطائف ورمانها؛ فالعنب وما يجفف منه من زبيب أحد عناصر الثروة الاقتصادية بالطائف [1]، وكنوع من المبالغة في الكرم كان القرشيون وعلى رأسهم عبد المطلب جد رسول الله -ﷺ- وابنه العباس بن عبد المطلب يستقدمون نبيذ العنب والزبيب من أرضهم بالطائف ويخلطونه بالماء لكسر ملوحته ويقدمونه للحجاج بمكة قبل الإسلام [2].

ونظراً لكثرة الكروم عندهم، فقد كانت الأعناب تعصر وتصنع منها الخمرة والخلّ، أو تزبب وتنتبذ فتستعمل في الاستهلاك المحلي، وتصدر إلى الخارج. والدليل على ذلك أنه لما حرمت الخمر تحيرت ثقيف كغيرها ممن زرعوا الكروم، كيف تصنع بأعنابها. فعن ابن عباس أن عبد الرحمن بن وعلة قال: "إن بأرضنا كروماً..."، وسأله ماذا يصنعون بالأعناب بعد تحريم الخمر. وفي رواية أخرى أن عمرو بن عبد الله الديلمي روى عن أبيه قال: "قدمت على رسول الله -ﷺ- فقلت يا رسول الله إنا أصحاب كرم، وقد أنزل الله -عز وجل- تحريم الخمر فماذا نصنع؟ قال تتخذونه زبيباً" [3].

كانت طريقتهم في صنع الخمر تبدأ بجمع العنب في الجرين، فيغملونه في الزبيل فلا يرى الشمس حتى يشرب العنب ماء العيدان، ثم يعصرونه بالعواصر. والعواصر ثلاثة أحجار بعضها فوق بعض يسيل منها العصير وينزل على رقعه تعمل على تنقيته من الشوائب، ويسمى السلاف. وكان لهم أسلوب آخر وهو دوس العنب بالأرجل حتى تخرج العصارة ويسمى في هذه الحالة بالعصير [4]، ويذكر أن الحانات والمعاصر بالطائف كانت كثيرة بالطائف قبل أن يدخلها الإسلام، حتى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- اضطر إلى أن يضرم النار في هذه الحانات والمعاصر. وقد ساهم اليهود في هذه الصناعة بالإضافة إلى الاتجار بها [5].

ب-نبيذ البتع:

وهو نبيذ يُتّخذ من عسل النحل، سمي بذلك لشدة فيه؛ لأنه مأخوذ من البَتَعِ، وهو:

(١) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ١٢٣.

(٢) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج ١، ص ١٤٢.

(٣) ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد ابن حنبل**، ج ٢٩، ص ٥٧٨.

(٤) حيدر، بادية: **الخمرة في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٩.

(٥) حيدر: المرجع السابق، ص ٤٠.

الشــدة والصــلابة، يقال: بَتَعَ الخمر: إذا اتخذها من العسل. وهو مما أُسكر [١]. ولكن العرب لم تســمّ الشراب المصنوع من العســل خمراً، وإنما سمته نبيذاً، وهو شيء يحوّل بالماء شرابا، أو بالماء نبيذاً [٢].

ج- نبيذ التمر والبسر الملون:

كان ســكان الطائف يصــنعون الخمر من ثمر النخيل كما يفعل ســكان الهند حيث كانوا يصــنعونها من التمر، وقد كثر إنتاجه بالطائــف نظراً لكثرة ما بها من نخيل، ولا يكون مســكراً إلا إذا اشــتد وغلبت عليه صــفة الخمرة. وكانوا يستخدمون أنواع الجرار والأواني فيتم تعبئتها بالتمر والبسر ثم تملأ بالماء، ثم توضع على النار. ويعد نبيذاً قبل أن يغلي، فإن غلى فهو خمر [٣].

وشــرب الخمر حرام بدليل من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وإجماع الأمة، ومن الجديــر بالذكــر أن تحريم الخمــر كان بالتدرّج؛ لأن العرب كانوا مولعــين بها، فأول ما نزل بالنســبة لتحريم الخمر قوله تعــالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [٤]، فأقلــع جــزء مــن النــاس عــن شرب الخمر؛ لأن فيها إثما كبيراً، واستمر جزء آخر في شربها، وقالوا: "نأخذ منفعتها ونــترك إثمها"، ثم نزل قوله تعــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [٥]، فتركهــا جزء كبير من النــاس حتى لا تشــغلهم عن الصــلاة، واســتمر آخــرون في شــربها في غير أوقات الصــلاة حتى نزل قولــه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٦]؛ فحرمــت تحريمــا نهائيا في المدينة المنــورة في العام الثالث للهجرة (٦٢٤-٦٢٥ م) حتى قال بعض الصــحابة رضــي الله عنهم: "ما حرم الله تعالى شيئاً أشــد من الخمر"؛ إذ إن الله تعالى أكّد تحريمها بتصــدير الجملة بإنما، ثم جعلها من عمل الشــيطان الذي لا يأتي منه إلا كل شر، وجعلها رجسا، وقرنها بعبادة الأصنام، ثم أمر باجتنابها وقرن اجتنابها بالفلاح؛ أي: إن في ارتكابها خيبة، وذكر ما يقع نتيجة لها

(١) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ١٢٣.
(٢) الجاحظ، أبو عثمان: **الحيوان**، ج ٥، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ) ص ٢٢٩.
(٣) الكناني: المرجع السابق، ص ١٢٣.
(٤) سورة البقرة: الآية (٢١٩).
(٥) سورة النساء: الآية (٤٣).
(٦) سورة المائدة: الآية (٩٠-٩١).

من التباغض والعداوة بين الناس، والصد عن سبيل الله تعالى، وتضييع الصلاة [١]؛ وأما أدلة تحريم الخمر من السنة النبوية فهي كثيرة، ومنها قول النبي عليه الصلاة والسلام: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن" ، وقوله ﷺ: " لعنت الخمر على عشرة أوجه: بعينها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، وشاربها، وساقيها" [٢].

وفي الطائف حرم شرب الخمر بعد قدوم أهلها وإسلامهم في السنة التاسعة من الهجرة (٦٣٠-٦٣١ م)، فقد طلبت ثقيف من الرسول -ﷺ- أن يبيح لهم شرب الخمر، قالوا: " أفرأيت الخمر فإنه عصير أرضنا لابدّ لنا منها، قال: إن الله حرمها وقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ "، وهنا جاء تحريم الخمر في الطائف ومنع تصنيعه امتثالا لأمر الله عز وجل [٣].

وتأكيداً على حرمة الخمر فقد أوجب الله تعالى حداً لشارب الخمر، فيحد شارب الخمر أربعين جلدة بالسوط، فإن لم يرتدع زادت عن ذلك إلى أن تصل إلى ثمانين جلدة، كما فعل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حيث كان يحد شارب الخمر أربعين جلدة، فلما رأى تهافت الناس فيها جمع الصحابة -رضي الله عنهم- وشاورهم في الأمر، فكان رأي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن يجلد ثمانين جلدة قياساً على حد الفرية؛ إذ إن شارب الخمر يهذي بسبب سكره ثم يفتري، فجلد عمر شارب الخمر ثمانين جلدة باقي أيامه، ويحد شارب الخمر بأحد أمرين: إما بإقراره شرب الخمر المسكر، أو بشهادة شاهدين على أنه شرب الخمر مختارا؛ ومن الجدير بالذكر أن ما أسكر كثيره أو قليله فهو حرام، ويحد شاربه سواء سكر منه أو لم يسكر [٤].

ومما سبق نجد أن الطائف إحدى المدن التي اعتمدت على الصناعات والحرف والمهن التقليدية، وكانت تلك الصناعات توفر متطلبات حياتية مهمة لأفراد المجتمع؛ فيما يُصدّر الجزء الفائض من نتاج هذه الصناعات إلى خارج مدينة الطائف، لقد مارس سكان الطائف هذه الحرف والمهن وأقاموا هذه الصناعات اعتماداً على أساليب تقليدية ومعارف وخبرات توارثتها من الأجيال المتعاقبة، وأضافت إليها مما أتيح لها من الثقافات المنقولة، وكانت تحظى باهتمام كبير لكونها تمثل دخلاً لأفراد المجتمع كافة؛ هذا إضافة

---

(١) الإدريسي، أبو الفضل: **واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن**، تحقيق: علي الطهطاوي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م) ص ٢٠٣.

(٢) الإدريسي: **واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن**، ص ٢٠٣.

(٣) ابن قيم: **زاد المعاد**، ص ٥٢٢.

(٤) الإدريسي: **واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن**، ص ٢١٣.

إلى توفر المواد الأولية لتلك الصناعات في الطائف، وبعض المواد التكميلية أو الداخلة فيها التي تجلب من أسواق خارجية، وكانت تستوعب شرائح مختلفة من أفراد المجتمع للعمل فيها، وتسد احتياجات المجتمع الأساسية، وتشكل أهمية كبيرة في اقتصاد المدينة.

وجاءت أهمية الصناعات والحرف من الناحية الاقتصادية والاجتماعية لا لكونها تغطي متطلبات السكان واحتياجاتهم فحسب، ولا لكونها تشكّل مصدراً للدخل؛ وإنما كانت مرتبطة بالنشاط الاقتصادي ثم بمتطلبات الحياة اليومية؛ كالصيد، والزراعة، والرعي، والثروة الحيوانية، ثم الصناعات التقليدية الأخرى؛ كبناء البيوت، والخيام، والسجاد، والأدوات المنزلية والصناعات الغذائية والدوائية، ثم الملابس والمنسوجات، ثم السيوف والخناجر، والعديد من الصناعات التقليدية، وكذلك المهن والحرف الأخرى. وعلى الرغم من بساطة تلك الصناعات -سواء في تركيبتها والأدوات المرتبطة بصناعتها- إلا أنها كانت تجسد إضافة نوعية في اقتصاد الطائف آنذاك؛ الذي كان يتسم بقاعدته الإنتاجية العريضة والمتنوعة، من ناحية أخرى تأتي أهمية هذه الصناعات على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي من كونها قد خلقت فرص عمل لشريحة كبرى من الأيدي العاملة، وشملت هذه الصناعات مختلف أفراد المجتمع على مختلف أجناسهم (رجالاً ونساء)، وأعمارهم (صغاراً وكباراً)، ومستوياتهم العلمية (المتعلم والأمي)، وجعلت منهم أفراداً منتجين وفاعلين ومنتمين من أجل خدمة اقتصاد المدينة.

خامساً: النشاط التجاري والأسواق:

التجارة نوعٌ من الكسب الطيب الذي حث عليه الإسلام وأمر به، يقول جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[5]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[6]، قال البغوي: "أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة، والتصرف في حوائجكم"[7]، وقد روي أن رسول الله -ﷺ- سُئلَ: أي الكسب أطيب؟ فقال: (عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور)، فقد رغّبت الشريعة الإسلامية في التجارة المشروعة دون المساس بحدود الله، والابتعاد عن الكسب الحرام[8].

---

(٥) سورة الملك: الآية (١٥).

(٦) سورة الجمعة: الآية (١٠).

(٧) البغوي، الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ج ٨، ط١ (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩ هـ) ص ١٣٢.

(٨) ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد**، ج ٢٨، ص ٥٠٢.

١- مقومات التجارة في الطائف:

(أ) موقع الطائف الإستراتيجي كونها إحدى محطات الطرق الرئيسية القادمة من الجنوب والشمال. **(ب)** استقرار الأوضاع السياسية بالطائف مما أدى إلى ازدهار النشاط التجاري، وزيادة الدخل، وانتعاش الأسواق؛ فأولت ثقيف اهتمامها بالطرق التجارية ومحطات القوافل، كما عقدت الاتفاقيات مع القبائل المجاورة لسلامة سير القوافل [(١)]. **(ج)** توفر وسائل النقل المختلفة التي تُنقل من خلالها المواد من مكان إنتاجها إلى مكان تسويقها. **(د)** تُعدّ الطائف محطة متكاملة للقوافل من حيث الخصب والماء وحصانة الموقع [(٢)]. **(هـ)** اشتهرت الطائف بوجود تجار مياسير [(٣)] أسهمت علاقاتهم التجارية في انتعاش أسواق الطائف، وتسويق البضائع الطائفية خارج أسوار المدينة؛ فلم تقتصر تجارة الطائف على داخل المدينة فقط؛ بل كان لها تجارة خارجية وصلت للآفاق عن طريق القوافل التي تمر بها للشمال والجنوب [(٤)]. **(و)** إنتاج المواد المراد تسويقها مهما كان نوعها؛ سواءً كانت مواد فلاحيّة كالمزروعات، أو مواد صناعية كالمصنوعات الجلدية وغيرها؛ وقد ظهرت التجارة في الطائف لتصريف فائض إنتاجها عن طريق البيع والشراء من أجل إشباع حاجات الفرد [(٥)].

٢- التجارة الداخلية:

تميزت الأوضاع الاقتصادية الداخلية بالطائف بالاكتفاء الذاتي والفائض من المنتوجات الزراعية والصناعية، وتصدير هذه المنتوجات إلى المناطق المجاورة وخاصة مكة التي تُعدّ سوقها التجاري الأول لتصريف منتجاتها الزراعية والصناعية؛ كالزبيب، والحنطة، والأدم الطائفي، وكان بها حركة تجارية نشطة تمثلت بأسواقها المحلية الزاخرة بمنتوجاتها المختلفة.

أ- طرق التجارة الداخلية :

اعتمد التجار في الطائف مسالك لقوافلهم توافر فيها عدد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تحكّمت في الطريق واتجاهه، يأتي في مقدمتها وجود الموارد المائية؛ كالآبار، والعيون، والمسطحات الخضراء؛ حيث تنزل عليها القوافل للراحة والتزود بالماء والعلف، وكان للماء أثر واضح في تحديد معالم الطرق التجارية الداخلية والخارجية،

---

(١) ياقوت: **معجم البلدان**، ج ٤، ص ١١-١٢.

(٢) البغدادي، صفي الدين: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) ص ٨٧٧.

(٣) الحميري: **الروض المعطار**، ص ٣٧٩.

(٤) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٧٥.

(٥) ابن بطوطة: **تحفة النظار**، ج ١، ص ١٤٦.

كما أن توفير الأمن للقوافل التجارية كان من أهم العوامل التي ساعدت على تطور طرق التجـارة في الطائـف وازدهارهـا، وكان لقبيلة ثقيف دور في حماية هــذه القوافل، ومن الطرق التجارية الداخلية:

١- طريق الطائف – مكة:

وهو من الطرق المهمة التي كان يسلكها التجار لنقل مختلف البضائع والحاصلات الزراعيــة مــن الطائف لأســواق مكة المكرمة، وقــد ارتبطت مكة بالطائـف بعدة طرق، أولها يبدأ من قرن المنازل [١] فيتوجه نحو بئر ابن المرتفع [٢]، إلى أن يصل إلى مكة[٣]. و الطريق الثاني يســمّى العقيق ويســير من الطائف ماراً بعدد من المنازل والأودية حتى يصــل ناحية مكة، ويتميز هذا الطريق بقصره عن الطريق الأول. والطريق الثالث يبدأ مــن الطائــف فينزل بعقبــة خفيفة، ثم يمر بعقبــة حراء [٤]، ثم بطــن النعمان [٥] حتى يصــل عرفــات[٦] متجهــاً إلى مكة [٧]. وطريق يســمّي المناقب يصــل الطائف بمكة عن طريق جبل معترض، وســمّي بذلك لأن به ثنايا وطرقاً تصل إلى اليمامة ونجد واليمن. وقد ارتبطت القريتان بطرق أخرى فرعية كطريق يعرج، ويعرج جبل بنعمان فيه طريق للطائف، وهذا الطريق الجبلي من أســهل الطرق التي يســلكها التجــار والمارّة بين مكة والطائف [٨]، وجبل كرا به ثنية عليها طريق يربط الطائف بمكة، ويعد هذا الطريق من أقصر التي تسلكها القوافل إلى مكة [٩].

٢- طريق الطائف – الحسا:

وهو طريق ينطلق من الطائف ماراً بمُطار إحدى قرى الطائف، متوجهاً نحو الثريا وهي بئر بمكة، يليها جرع، ثم سربا، ثم فلج. وفلج موضع في طريق البصرة إلى الكوفة

(١) قــرن المنازل: من مواقيت الحج، وهو ميقات أهل نجد، ويســمّى الآن الســيل الكبير، وما زال يســمّى قرناً. والبلدة تســمى الســيل، وهو على طريق الطائف من مكة المار بنخلة اليمانية. ياقوت: **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٣٣٢. البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٣٧٢.

(٢) بئر ابن المرتفع: بئر بمكة معروفة منسوبة إلى المرتفع بن النضير بن الحارث، وتسمّى بئر البرود، من أعذب المياه في مكة، ويطلق عليها بئر ابن حواس. الفاكهي: **أخبار مكة**، ج ٤، ص ١١٨. البكري: **معجم ما استعجم**، ج ٤، ص ١٢٠٩.

(٣) ابن خرداذبة، عبيدالله: **المسالك والممالك**، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩ م) ص ١٣٤. الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج١، ص ١٤٤.

(٤) عقبة حراء: عقبة في أسفل جبل حراء على بعد ثلاثة أميال من مكة. ياقوت: **معجم البلدان**، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٥) نعمان: واد يقع في شرقي مكة، وهو أكبر أوديتها، وله روافد وعيون كثيرة. ياقوت: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٣.

(٦) عرفات: عًرفة أو عرفات هو جبل يقع على الطريق بين مكة والطائف. ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٤.

(٧) ابن رسته، أحمد: **الأعلاق النفيسة**، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣ م) ص ١٨٣.

(٨) ياقوت: **معجم البلدان**، ج ٥، ص ٤٣٨.

(٩) ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٢.

وفيه منازل للحاج، ويخترق هذا الطريق بلاد اليمامة حتى يصل إلى الحسا [(١)].

٣- التجارة الخارجية :

زاد موقع الطائف الطبيعي على طرق القوافل من أهميتها مركزاً تجارياً يصل جنوب شبه الجزيرة العربية بشمالها؛ مما هيأ لها سوقاً رائجة لمختلف السلع الطائفية.

أ- طرق التجارية الخارجية :

١- طريق البخور عبر الأودية الشرقية :

يطلق جمهور الباحثين على المحطات التجارية الواقعة على طريق البخور اسم مدن القوافل. فيما يرى باحث آخر أن هذه المحطات ليست سوى قرى أو حواضر لقبائل عربية. ومن خلال الدراسة تبين لنا أن معظم هذه المحطات كانت قرى وحواضر عربية تحول البعض منها إلى مدن للقوافل مثل الطائف ومكة وكانت هذه المدن تزود القوافل بما تحتاج إليه، وتعتمد عليها في حياتها الاقتصادية.

ينطلق هذا الطريق من قنا، وهي مدينة تقع على ساحل خليج بحر العرب جنوب اليمن، ويتجه الطريق نحو الشمال الشرقي إلى مأرب حتى يصل إلى نجران، وهي مدينة تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية، في القسم الجبلي الذي اصطلح على تسميته بمنطقة السروات، وتتوسط بين عدة مدن: صنعاء وصعدة وأجزاء من بلاد اليمن جنوباً، وبلاد اليمامة وأجزاء من مخلاف جرش شمالاً، والبحرين وهجر والفلاة شرقاً. وعندما تخرج القوافل التجارية من نجران تنحرف قليلاً باتجاه الشمال الشرقي إلى أن يصل إلى محطة تجارية تسمى حبونن(حبونا) ، وتواصل القوافل طريقها باتجاه وادي حبونن الذي يعد من أهم مناهل العرب المشهورة مما جعله من محطات طريق البخور، وقد كانت القوافل تقطع المسافة بين وادي نجران وحبونن في يوم واحد. ثم يخرج السالك لطريق البخور من حبونن متجها إلى تثليث على بعد ثلاث مراحل ونصف من نجران. ثم يمر الطريق بأرض تسمى بيشة وهي من أخصب منازل طريق البخور. ثم يسير السالك لطريق البخور من بيشة مسافة يوم واحد وينزل تبالة، وهو بلد وواد بينه وبين الطائف ستة أيام. ثم يخرج السالك لهذا الطريق من وادي تبالة حتى ينزل قرية القريحاء (رنية) وكان بها منهل ومعلف للقوافل التجارية. وتتجه القوافل من القريحاء شمالاً إلى تربة، وهي قرية على واد يحمل الاسم نفسه، حتى ينزل الصفن وهو منهل تأتيه الأعلاف من مُطار من نواحي الطائف. ثم تنزل القوافل التجارية بالفتق، إحدى قرى

---

(١) خسرو، ناصر: سفر نامه، ترجمة: يحيى خشاب، ط ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م) ص ١٥٣ – ١٥٨.

الطائف، وكانت الفتق منهل ومعلف في الوقت نفسه للقوافل التجارية، وزاد من أهمية هذا المنزل قربه من ســوق عكاظ. ثم تمر القوافل بمواضع من جرداء سوق عكاظ أحد أعمال الطائـف، ثم يتجه نحو قرن المنازل، حتى يصــل إلى مكة المكرمة [١] ثم يتوجه نحو يثرب وخيبر والعلا ومدائن صالح، ويفترق الطريق بعد ذلك: طريق يمر بتيماء وصولاً للعراق، وطريق يصل للبتراء وغزة ثم الشام ومصر، ويُعدّ الطريق الرئيسي لتجارة البخور الذي ينقـل عـبره من اليمن وصـولا إلى جميع أنحاء العالم بواسـطة الجمــال، وكانت القوافل العابرة عبر هذا الطريق محملة بالبخور واللبان والتوابل ومختلف المنتجات اليمنية [٢].

٢- طريق البخور عبر الهضبة الجبلية (طريق أسعد الكامل):

سـمي هذا الطريق بهذا الإسم نسـبة إلى الملك الحميري أبي كرب اسعد الكامل- عاشـ في أواخر القرن الرابـع وأوائل القرن الخامس الميلاديين)، إذ أنه أول من أنشـأ هذا الطريق وصـف أجزاءً منه بالحجارة بين ظفار عاصـمة حمير والطائف، ثم سمي فيما بعد بدرب الفيل بعد حادثة أبرهة الحبشــي [٣]. تسـير القوافل من صنعاء باليمن إلى صـعدة نحو سـبع مراحل. ثم تخرج القوافل شـمال غرب صـعدة حتى تصـل إلى العرقة، وهي منزل في جبل لقبيلة همدان. ثم يمر السـالك لهذا الطريق بمجموعة من الأودية حتى يصــل إلى قرية المهجرة على مسيرة اثني عشر ميلاً من العرقة، ثم تتوجه القوافل إلى أرينب على بعد خمســة وعشــرين ميلا، ثم ينزل الســالك لهذا الطريق في ســروم القيض، وهو مجمع أودية تفيض في وادي تثليث. وبعد مسـيرة سـتة عشــر ميلا من ســروم القيض ينزل السالك لدرب أسعد الكامل بالثجة، وهي منزل للقوافل ومنهل قـديم تعرف حاليـا بالحرجة، ويخرج الطريق مـن الثجة إلى كتنة ثـم يبنيم، وبعد أن تقطع القوافل مسـافة عشـرين ميلا تصل إلى منزل يعرف باسـم بنات حرب، ثم يمر بالجسـداء متوجها نحو بيشــة بعطان. ثـم تخرج القوافل من بيشــة بعطان متجهة إلى تبالة حيث تلتقي بطريق البخور عبر الأودية الشرقية نحو الطائف ثم مكة [٤]. ويذكر أن

---

(١) العمري، هادي: **طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء آثار اليمن الاقتصادية عليه**، رسالة دكتوراه غير منشـورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ٥٦-٨٧. البكري: **معجم ما استعجم**، ج ٤، ص ١٣٢٨. الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٣٣-٣٧٤. ابن المجاور: **تاريخ المستبصر**، ص ٥١.

(٢) قـروم، نايقل: **اللبان والبخور دراسة لتجارة البخور العربية**، ترجمة: عبدالكريم عبدالله الغامدي، د.ط (الرياض: جامعة الملك سعود للنشر العلمي، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م) ص ٣٠٣-٣٠٤. مهران، محمد: دراسات في تاريـخ العـرب القديم، د.ط (القاهـرة: دار المعرفة الجامعية، د.ت) صـ ١٣٤-١٣٥. أبو العلا، محمد: **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ج ٢، ط ٥ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦ م) ص ١٣٨-١٣٩. الجرو، أسـمهان: طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، مج ٢، ع ٣ (عدن: دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩ م) ص ٢٣.

(٣) العمري: **طريق البخور القديم**، ص ٨٩.

(٤) ابن خردذابه: **المسالك والممالك**، ص ١٣٤-١٣٦. الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٣٣-٣٧٤. العمري: **طريق البخور القديم**، ص ٨٩-١٠٦.

أبرهة الحبشي الذي خرج من اليمن إلى الحجاز (٥٣ ق هـ / ٥٧١ م) لهدم الكعبة قد اتخذه طريقاً له، كما سلكه من قبله أبو كرب الملك الحميري للوصول إلى مكة والمدينة. ومنذ ظهور الإسلام أصبح هذا الطريق من الطرق الرئيسية، فكان يسلكه الصحابة رضوان الله عليهم، كما يسلكه التجار وطلبة العلم [١].

٤ - وسائل النقل:

تعد وسائل النقل من أهم العوامل المهمة لاستمرار التجارة، وقد تعددت الوسائل في شبه الجزيرة العربية عامة والطائف خاصة، فكانت الحمير أول وسيلة استخدمها التجار لنقل البضائع، والى جانب الحمير استخدمت البغال وسيلة أخرى لنقل البضائع، وكانت تستخدم الحمير والبغال لنقل البضائع الخفيفة لمسافات بسيطة كونها تحتاج للماء والعلف باستمرار، واستخدمت الخيول -كذلك- في نقل البضائع وكانت أسرع من غيرها وأكثر تحملاً. أما الجمال فكانت الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع، فهي تحمل ضعف ما تحمله الحمير والبغال والخيول، وتقطع مسافات طويلة دون أن تتزود بالماء، وكانت الإبل توجد بالطائف بشكل غفير حتى إنها كانت من أهم مقاييس الثروة والجاه. وكان لمرور القوافل التجارية بالطائف وقوافل الحجاج أثر مهم في قيام الأسواق الدائمة والموسمية؛ حيث توافرت بها الشروط الأساسية لقيام الأسواق التجارية المتمثلة في وجود مواضع خصبة تتوافر بها المياه قريبة من المراكز الحضرية والتجمعات السكانية [٢].

٥- الأسواق:

لغة: جمع سوق، وهو الموضع الذى يجلب إليه المتاع والسلع للبيع والابتياع [٣]، وكانت الأسواق أشبه بالمعارض العامة لتجارة شبه الجزيرة العربية، وتعقد بصفة دائمة أو أسبوعية أو دورية خلال العام، أو في مواسم معروفة، وقد كثرت أسواق الطائف كونها مدينة تميزت بفائض إنتاجها للعديد من السلع؛ إضافة لأنها محطة تجارية مهمة تمر بها القوافل، وتنقسم الأسواق بالطائف لقسمين هما:

أ- الأسواق الدائمة:

تنتشر الأسواق الدائمة بشكل أكثر شيوعًا من الأسواق الموسمية؛ ولكنها أقل شهرة بسبب تركيزها على نشاط تجاري محدد وليس للترفيه، وبقيت الأسواق الدائمة عبارة

---

(١) ابن جريس، غيثان: **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة (ق ١ هـ - ق ١٠ هـ / ق ٧ م – ق ١٦ م)**، ج٢، ط ١ (د.م: د.ن، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) علي: **المفصل في تاريخ العرب**، ج ٧، ص ٣١٧.

(٣) هارون، نبيل: **المعجم الوجيز**، ط ٣ (القاهرة: دار التحرير للطبع والنشر، ١٩٨٩ م) ص ٣٢٩.

عـن مـكان مفتوح؛ حيثٍ يجلـب التجار بضـائعهم في النهار وتُزال في الليل، واشـتهرت أسـواق الحجـاز عموماً والطائف بشـكل خاص بحسـن التنظيم والترتيـب، ومن أبرز أسـواقها الدائمة: سـوق المشـرق [(١)] وسـوق العبلاء الذي تحول فيما بعد لسـوق أدبي يقصده الشعراء حتى آواخر العصر الأموي [(٢)]. وانتشرت الأسواق الدائمة التي امتازت بالتخصصية في أرجاء الطائف كافة، ومن أشهر الأسواق التخصصية:

(*) أسواق الإعاشة:

وهي الأسواق التي تُباع فيها المنتجات الزراعية والمأكولات والأطعمة كافة التي تنتج محلياً؛ فقد تميزت أرض الطائف بوفرة المحصـول وبيع فائضـه وتصـديره على المدن والقـرى المجاورة لها، وقد تخصصـت بعض الحوانيت والأسـواق ببيع الحنطة والذرة، وبيع الألبان ومشـتقاتها، والتمر والرطب بأنواعها المختلفـة كافة، وكذلك الفاكهة التي اشتهرت الطائف بتنوعها ووفرة إنتاجها؛ كالرمان، والعنب، والزبيب، وحوانيت للبقالين والجزارين.

(*) أسواق الحرف الصناعية:

تعـددت الحرف الصـناعية بالطائـف وتميزت في بعضـها، فكان لها أسـواق يُباع فيـه الأدم، وهو سـوق رائج وذائع الصـيت كانت الفرس تسـتجلب منـه أدمها، وهناك أسـواق للدباغين تبتعد عن التجمعات السكانية نظراً لنتانة رائحتها، وكان لهذا السوق رواج كبـير في عيـد الأضحى المبـارك؛ حيث يسـتفيد الدباغـون من جلود الأضـاحي والهدي فيشـترونها ويدبغونها وتعرض بعد ذلك للبيع، ويلي هذا السوق سوق للحذائين والخرازين حيث يعتمد كل منهم على أسواق الأدم والدباغة؛ وبالطائف -أيضاً- أسواق للخياطين، والحدادين، والصـياقلة، والقواسـين، والحطابـين، والنجارين، والغزالين، والبزازين، والصباغين، والخواصين، وللعطارين -أيضاً- سوق رائجة بالطائف [(٣)].

(*) أسواق الدواب:

تختص هذه الأسـواق ببيع الأغنام والبقر والدواجن والطيـور بأنواعها كافة، وقد أمـر عمر بـن الخطاب -رضـي الله عنه- أن تكون أسـواق الدواب بعيـدة عن المناطق

---

(١) سـوق المشرق: ذُكر عند البعض باسم المشـقّر. البغدادي: **مراصد الاطلاع**، ج ٣، ص ١٢٧٤. السكري، أبو سـعيد: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبدالسـتار فراج، ج ١، د.ط (القاهرة: دار العروبة، د.ت) ص ١٠. البكري: **معجم ما استعجم**، ج ٤، ١٢٣١. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣٣.

(٢) الرشيد، ناصر: **سوق عكاظ**، ص ١٦٧.

(٣) الرشيد، ناصر: **سوق عكاظ**، ص ٥٥ — ٥٦.

السكانية في مكة (١)، وجرى ذلك في باقي مدن الحجاز، ويلاصق هذه الأسواق أسواق التبّانين والحطّابين (٢).

ب- الأسواق الموسمية:

وهي الأسواق التي تقام في مواسم محددة ومتعاقبة من كل سنة، وعكاظ سوق الطائف الموسمي، وتعد من أشهر أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، بل تعد السوق التجاري الأكبر لعامة أهل الجزيرة العربية، يحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعته، وتفردت من بين أسواق العرب من حيث المكانة، مما ساعدها على نموها وشهرتها، قيامها في الأشهر الحرم التي كان يحرم فيها القتال، ويأمن الناس فيها أموالهم وأنفسهم، وكانت تنعقد في هذه السوق المؤتمرات والندوات الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والأدبية. (٣).

وعكاظ أرض مستوية ذات نخل لا جبل فيها وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء من عمل الطائف وعلى بريد (٤) منها، بينها وبين مكة ثلاث ليال (٥) وقيل: عكاظ هي دار ثقيف (٦)، لهم فيها نخل وأموال (٧)، ويقوم على شؤونها قبيلة هوازن، ومن بطونها ثقيف، وبنو نصر، وبنو هلال (٨).

أما اشتقاق عكاظ ولم سميت بهذا الإسم فقد ذهب اللغويون فيه مذاهب، وقلبوا الكلمة على معانيها المختلفة: فالقهر والحبس وردّ الفخر والتجادل والتحاجّ. كل هذه معان للعكظ، وكلها صالحة لأن يعللٍ بها التسمية، فيقول قوم: سميت عكاظ لأن العرب كانت تجّتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً في المفاخرة؛ أي: يقهره ويعركه، وقال آخرون: إنها من تعكّظ القوم

---

(١) الأزرقي: **أخبار مكة**، ج ٢، ص ٧٥٢.

(٢) العليان، خالد: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول (١-٢٣٢ هـ / ٦٢٢-٨٤٦ م)**، رسالة ماجستير منشورة، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، ص ١٦٩.

(٣) الفراهيدي: **العين**، ج ١، ص ١٩٥.

(٤) البريد: وحدة قياس قديمة تبلغ اثني عشر ميلاً عند أهل البادية، وبالشام وخراسان ستة أميال. ياقوت: **معجم البلدان**، ج١، ص ٣٥.

(٥) الفيومي، أحمد: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٢ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٧ م) ص ٢٢٠. الحميري: **الروض المعطار**، ص ٤١١. الأزرقي: **أخبار مكة**، ج ١، ص ٢٨٣. البكري: **معجم ما استعجم**، ج ٣، ص ٩٥٩.

(٦) السكري: **شرح أشعار الهذليين**، ج ١، ص ٤٧.

(٧) البكري: **معجم ما استعجم**، ج ٣، ص ٩٦٢.

(٨) العصامي، عبدالملك: **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج ١، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٢٤٠.

إذا احتبسوا لينظروا في أمورهم، وذهب غيرهم إلى أنها من التعاكظ بمعنى التفاخر [١].

واختلفت الأقوال في سـنة نشـأة وظهور هذه السوق، حيث ذكرت بعض المصادر أن نشـأتها وظهورهـا كان بعد حادثة الفيـل (٥٧٠ - ٥٧١م / ٥٤ ق هـ – ٥٣ ق هـ) بخمس عشـرة سنة[٢]، وهذا القول عارضـه بعض الباحثين المحدثين الذي يؤكد عدم دقة هذا التاريـخ ومصـداقيته، وذلك لأن حرب الفجـار الثانية وقعت عـام ٥٨٥م في عكاظ أي نفس العام الذي افترض وجود السـوق فيها، فإذا كان هذا التاريخ صحيحاً فمتى وقعت أحداث حرب الفجار الأولى ؟ أما سـعيد الأفغاني فيرى أن نشـأه السوق كانت قبل سنة ٥٠٠م [٣]. وبناءً عليه فإن تحديد وقت قيام ونشـأة السـوق يصـعب تحديدها زمنياً إذ توجد الكثير من الإشارات والدلالات التي تؤكد صعوبة تحديد نشأته.

وأما مسـألة اندثاره فيوجد رأيان: **الأول:** كما ورد على لسـان من أرّخوا وكتبوا عن السـوق بأنه اندثر بمجيء الإسـلام وانتشـاره في الجزيرة العربية: "عكاظ اسـم سوق كان للعرب يَجتمعون فيها كل سـنة شهرًا، ويتناشـدون ويتفاخرون ثم يفترقون، فهدمه الإسـلام" [٤]، "وكانوا بقرب سـوق عكاظ وذي المجاز، وهما سـوقان معروفان، ومازالا قائمين حتى جاء الإسلام" [٥]. **والرأي الثاني** وهو الراجح، يقول البكري [٦]: "واتخذت سـوقا بعد الفيل بخمس عشرة سـنة، وتركت عام خرجت الحرورية [٧] بمكة مع المختار بن عوف سـنة تسـع وعشـرين ومائة، فخرج الحرورية فنهبوها فتركت إلى الآن" إذن فالقول الراجح أن السوق استمر إلى سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م.

وقت انعقاد السوق متفق عليه في جل المصادر، أنه يبدأ في أول شهر ذي القعدة إلى العشرين منه، وذكر عن حكيم بن حزام قوله: "وكنت أحضر الأسواق، وكانت لنا ثلاثة

---

(١) ابن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم**، ج ١، ص ٢٦٧. ابن دريد، أبو بكر: **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) ص ٩٣٠. الفراهيدي: **العين**، ج ١، ص ١٩٦.

(٢) الذهبي، شمس الدين: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج ١، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ص ٢٣.

(٣) العليان، خالد: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٢١١.

(٤) الفراهيدي: **العين**، ج ١، ص ١٩٥.

(٥) الجاحظ: **الحيوان**، ج ٧، ص ١٢٨.

(٦) البكري: **معجم ما استعجم**، ج ٣، ص ٩٥٩.

(٧) الحررورية: مصـطلح يطلق للدلالة على فرقة الخوارج، نسبة إلى المكان الذي كانوا قد اعتزلوا فيه الخليفة الرابـع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضـي الله عنه– وفارقوا جيشـه بعد قبوله مسـألة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في موقعة صفين، وكان ذلك الموضع يقال له: "حروراء" فسموا بالحرورية. ابن الأثير، عزالدين: **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق بشير عيون، ج ١٢، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠ م) ص ٣٣٧.

أسواق: سوق بعكاظ يقوم صبح هلال ذي القعدة، فيقوم عشرين يوماً "[١].

ويُعدُّ عكاظ سوقاً لكل البضائع المادية والأدبية، فإضافة إلى البضائع المادية كالتمر، والسمن، والعسل، والخمر، والملابس، والإبل، فهو سوق للبضائع الأدبية، فيأتي الشعراء بقصائدهم لتعرض على محكّمين من كبار الشعراء، معظمهم من قبيلة بني تميم، وفيه المفاخرة والمنافرة بين الناس، وربما قامت حروب بسبب منافرات قيلت في السوق؛ كحرب الفجار (٤٣ ق هـ / ٥٨٠م - ٣٣ ق هـ / ٥٩٠م) [٢]، ومن الممكن أن يرى زائر السوق بعض الآباء يعرض بناته للتزويج، وقد يحضر السوق بعض الخطباء كقس بن ساعدة الإيادي [٣]، وقد دخله النبي -ﷺ- يعرض نفسه على القبائل ليحموه فيبلغ دعوة ربه[٤].

وكان للسوق صنم يسمى جهار لهوازن، وكان سدنته آل عوف النصريون، وكانت هناك -أيضًا- صخور يطوفون بها ويحجون إليها [٥]. وسوق عكاظ يُعدُّ موسمًا من مواسم الحج في الجاهلية، فكانوا يذهبون إليه قبل منى، قال الأزرقي: " وكانوا يرون أن أفجر الفجور العمرة في أشهر الحج، تقول قريش وغيرها من العرب: لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز إلا محرمين بالحج "[٦]، فتبين من ذلك أن عكاظ موسم من مواسم الحج عند العرب في جاهليتها يسبق الوقوف بعرفة، ولأجل هذا التجمع الكبير لهؤلاء الحجاج استغل سوقا أدبيا وتجاريا.

وعلى كثرة أسواق العرب التي أوصلها البعض إلى سبع عشرة سوقاً في أنحاءٍ متفرقة من شبه الجزيرة العربية؛ فإن سوق عكاظ أكبرها وأهمها وأكثرها زوارا، وقيل: " إن كل شريف إنما كان يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة؛ فكانت أعظم تلك الأسواق "[٧].

---

(١) الجوزي، جمال الدين: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج ٥، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ص ٢٧٢.

(٢) حرب الفجار: هي إحدى حروب العرب في الجاهلية، وحصلت بين قبيلة كنانة ومنها قريش، وبين قبائل قيس عيلان ومنهم هوازن، وغطفان، وسليم، وثقيف، ومحارب، وعدوان، وفهم، وسميت بالفجار لما استحل فيه هذان الحيان من المحارم بينهم في الأشهر الحرم، ولما قطعوا فيه من الصلات والأرحام بينهم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج ١، د.ط (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م) ص ٢٥٥.

(٣) قس بن ساعدة: شاعر وحكيم من حكماء العرب قبل الإسلام. ابن الجوزي، جمال الدين: **مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن**، ط ١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) ص ٣٣٢.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٥.

(٥) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص ٤٩٣.

(٦) الأزرقي: **أخبار مكة**، ج ١، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٧) البغدادي، عبدالقادر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج ٤، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) ص ٤٧٣.

وتكتظ عكاظ كل مرة بالمتسوقين والباعة الذين يأتونها من كل حدب وصوب مهما كانت الظروف، وقد حضـرها في موسم واحد حوالي تسـعون ألفا من قريش وأحلافها فقط [١]، وتنوع زوار عكاظ من أهل البدو والحاضرة والعرب والعجم، كما كان للنساء دور كبير في عرض السلع وبيعها [٢].

٦- السلع التجارية:

أ- سلع محلية:

ويقصد بها السلع التي تُجلب لعكاظ من الطائف وبلاد الحجاز، ومن أبرزها:

التمـور بأنواعها كافة التـي تأتي من الطائف والمدينة المنورة، ومن أشـهرها التمر الصـيحاني، والبرني، والعجوة، والعيصـي [٣]؛ والخضـار والبقول؛ كالخس، والجزر، والفجل، والكراث، والبصـل، والقرع، والقثاء، والباذنجان وغيرها من الخضار؛ وأنواع مختلفـة من فاكهة الطائف وحبوبها التي اشـتهرت بجودتها ولذتها؛ كالعنب، والزبيب، والحنطـة. وكانـت قبيلة عبد القيس تأتي بـلاد البحرين إلى عكاظ وتكثر من شـراء الزبيب الطائفي لأن أرضهم لا تنتجه [٤].

ومـن السـلع التجارية بعـكاظ الحيوانـات؛ كالإبل، والأغنـام، والخيـول، والبقر؛ والحيوانات الداجنة ومنتجاتها كافة من اللحوم والشـحوم والسمن، ومن أغرب ما بيع مـن الحيوانـات في عكاظ القرود [٥]. ومن أبرز البضـائع الطائفية التي جابت أصـقاع الشـرق والغرب الأدم الطائفي، يُذكر أن كسـرى كان يرسل لطيمته إلى عكاظ ليشتري بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه [٦]، ولم تشـتهر عكاظ بشـيء مثلما اشتهرت بالأديم حتى نسبه البعض إليها فقالوا: أديم عكاظي [٧].

وتأتي المنسـوجات والملابس في مقدمة السلع المنتشرة بعكاظ؛ كالثياب الظهرانية، والأبـرد الجوزية، والثياب المصـنوعة من قماش القز، وكذلك السـجاجيد الصـوفية، والحبال والبسط التي كانت تأتي من الطائف والمدينة المنورة [٨]. وبعكاظ تباع الأسلحة الحجازية، والأقواس، والرماح، والسـهام بمختلف أشكالها وأنواعها [٩]؛ ومعظمها يأتي

---

(١) البغدادي: **المنمق في أخبار قريش**، ص ١٧٦.

(٢) حمور، عرفان: **سوق عكاظ ومواسم الحج**، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٠ م) ص ٥٩-٦٥.

(٣) آل الشيخ: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة**، ١٢٢-١٢٣.

(٤) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص ٣٣٩.

(٥) الرشيد، ناصر: **سوق عكاظ**، ص ٥٥.

(٦) ابن حبيب، محمد: **المحبر**، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، د.ط (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت) ص ١٩٥.

(٧) الزمخشري: **أساس البلاغة**، ج١، ص ٦٧٢.

(٨) العليان، خالد: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٢٠٢.

(٩) حمور، عرفان: **سوق عكاظ ومواسم الحج**، ط ١ (بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٠ م) ص ٩١.

من مدينة جرش التي تميزت بصناعة الأسلحة الثقيلة والخفيفة [١]. ومن السلع المباعة بعكاظ الحلي، والخواتم، والخلاخل، والأقراط المصنوعة من الذهب والفضة، والأواني المنزلية [٢] كأواني البرام [٣].

ب- سلع مستوردة:

تعد عكاظ ملتقىً تجارياً للسلع من جميع الأقطار؛ حيث يتوافد إليها التجار لعرض بضائعهم وبيعها، ومن أهم السلع المستوردة من اليمن الأصباغ؛ كالورس، والوسمة، والزعفران [٤] التي تستعمل لصباغة الملابس والسجاجيد، وكذلك الأسلحة اليمنية؛ كالسيوف والدروع. واستوردت عكاظ مواد البناء من اليمن؛ كالجص، والرخام، والقصة[٥]. والثياب اليمانية ذات شهرة واسعة في الحجاز فاستجلبوا الثياب السحولية،[٦] والعدنية، والصنعانية، والمعافرية، [٧] والبرود اليمانية؛ واشتهرت جميعها بجودتها وثمنها الباهظ [٨]. وللمواد العطرية اليمانية رواج كبير في عكاظ مثل رواجها في أنحاء العالم؛ كاللبان والمر، ويذكر هيرودوت أن اليمن هي البلد الوحيد الذي ينتج اللبان والمر واللادن؛ مما جعلها تتفرد بإنتاجه دون منازع[٩]. ومن اليمامة والبحرين تأتي التمور والأسلحة؛ كالدروع، والأقواس، والسيوف، ومختلف الأطعمة، وأنواع المنسوجات والألبسة، وكذلك اللؤلؤ البحريني [١٠].

---

(١) الواقدي: **المغازي**، ج ٣، ص ٩٢٧.

(٢) حمور: **سوق عكاظ**، ص ٩١.

(٣) البرام: اسم حجارة تصنع منها القدور بمكة. ابن قرقول، أبو إسحاق: **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر، ج ١، ط١ (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) ص ٤٧٦.

(٤) الدينوري: **كتاب النبات**، ص ١٦٥ – ١٦٨.

(٥) الأزرقي: **أخبار مكة**، ج ١، ص ٢٩٩.

(٦) الملابس السحولية: تنسب لأهل قرية سحول اليمنية، تتميز بلونها الأبيض الناصر، ولها رواج في الحجاز. السمعاني، أبو سعد: **الأنساب**، ج ٣، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م) ص ٢٥٢.

(٧) سميت بذلك نسبة لقبيلة المعافر اليمنية، وتميزت ثيابهم بالدقة وجمال التصميم، واشتهروا بها في الجاهلية والإسلام. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٤٢٣. خلف، محمد: **تاريخ القبائل العربية في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى القرن الرابع الهجري**، ط ١ (الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، ٢٠٢٠ م) ص ٢٧٩.

(٨) العلي، صالح: **المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى**، ط ١ (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٢ م) ص ٢٤٨.

(9) Herodotus: The History of Heradouts, translated by: A. Godly , Vol.II (London: 1928) p135

(١٠) الجاحظ، أبو عثمان: **التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، ط ٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ٣٢.

ويجلــب لها من الشــام كالأطعمة وزيت الزيتون، ومختلـف الفاكهة والزجاج، ومن العــراق يأتــي الأديم الخفيــف، والزعفــران، والثيــاب العراقية. ومن بلاد مصــر تأتي الحبــوب، والمنتجات الحيوانيــة، والثياب، والقراطيس، والصــابون، وبعض المعادن [١]، ويجلب لها العاج والعنبر الأزرق، وأنواع الحبوب من بلاد الســودان والحبشــة؛ والثياب القطنية والحرير تأتيها من بلاد المغرب [٢]. وكانت تأتي القوافل حاملة شــتى صــنوف السلع من بلاد فارس، وأواسط آسيا، وبلاد الهند والسند، والصين؛ فيجلب منها المعادن، والأخشــاب، وأنواع المنســوجات كالثياب الحريرية، والمــواد العطرية؛ كالبخور والعنبر، والعود الهندي، وماء الجوري، والقرنفل، والقرفة، وأنواع مختلفة من العقاقير [٣].

٧- أساليب التعاملات التجارية:

أ- المقايضة:

وهي المعاوضة، يقال: قايضه في البيع بكذا؛ أي: أعطاه شيئاً بعوض [٤]. وهي نظام الصــرف الذي تُتبادل عبره البضــائع أو الخدمات مباشرةً بسلع أو خدمات أخرى دون استخدام وسيلة تبادل مثل المال، وكان نظام المقايضة رائجا بين مكة والطائف حيث تتم مقايضــة المنتوجات الزراعية والحيوانية بالســلع المعروضة في أسواقها [٥]. ومن شروط المقايضــة: ألّا يكــون البدلان فيهما نقــدًا، فإن كانا نقديــن كان البيع صــرفًا، وإن كان أحدهما نقدًا فالبيع مطلق أو ســلم. وأن يكون كل من البدلين في المقايضــة عينًا معينة؛ لأن بيع شيء غير معينٍ بآخر معين ليس مقايضة؛ بل هو من البيع المطلق؛ أي: بيع العين، ولأن المبيع إذا كان دينًا والثمن ســلعة فهو من بابِ السَــلم. والتقابض في المقايضة، فلا يؤمر أحد العاقدين بالتسليم قبل صاحبه؛ لأن كُلًّا من السلعتين متعين. وتكون المقايضة فيما لا يجري فيه ربا [٦].

وللمقايضــة سلبيات وعيوب منها: **(أ)** صــعوبة إيجاد مقياس واحد للتبادل. **(ب)** عــدم توافــق رغبات البائع والمشــتري في وقــت واحد. **(ج)** صــعوبة توفر وســيلة عامة صــالحة لاختزان القيمة. **(د)** صــعوبة توفر وحدة مناســبة للدفع الآجل. **(هـ)** صعوبة

---

(١) الجاحظ: **التبصرة بالتجارة**، ص ١٨.

(٢) العمــري، ابــن فضــل الله: **مسالــك الأبصــار في ممالــك الأمصــار**، ج ٥، ط ١ (أبو ظبي: المجمــع الثقافي، ١٤٢٣هـ) ص ٩٢.

(٣) ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، ٦٤ — ٦٩.

(٤) الحميري، نشوان: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين العمري وآخرون، ج ٨، ط ١ (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ص ٥٧٠١.

(٥) ابن المجاور: **تاريخ المستبصر**، ص ٣٦.

(٦) الطيار، عبدالله وآخرون: **الفقه الميسر**، ج ٢، ط ١ (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١) ص ٢٠.

تجزئة بعض السلع [١]. وقد أدت الصعوبات السابقة إلى البحث عن وسائل يمكن من خلالها التغلب عليها؛ فكان الاتجاه نحو التركيز على المعادن لاستخدامها نقوداً لما لها من خصائص تمكنها من التغلب على الصعوبات.

ب- نظام النقود:

كان أهل الطائف بمجملهم يتعاملون فيما بينهم بالتبادل والمقايضة؛ إلا أنهم بتجارتهم الخارجية تعاملوا بالنقود مثل باقي العرب؛ كالنقود الساسانية، والبيزنطية، والحميرية (السبئية)، وكان بين العرب نقاد يميزون الصحيح من الزائف، والثقيل من الخفيف، ولم يكن لهم سكة خاصة بهم؛ فيتداولون ما ورد إليهم من نقود عن طريق القوافل القادمة من الشام والعراق واليمن، ويأتيهم من الشام الدنانير والفلوس البيزنطية، ومن العراق الدراهم الساسانية، ومن اليمن الدراهم السبئية، وتعامل العرب بالدنانير البيزنطية أكثر من تعاملهم بغيرها [٢].

وتعامل أهل الطائف بالجاهلية بالدينار البيزنطي وغيره من العملات وزناً كالتبر [٣]، وليس عدداً، وكان وزن الدينار يقدر باثنتين وسبعين حبة شعير، أو ستة آلاف حبة خردل من الوسط، ويذكر المقريزي أنواعاً مختلفة من الدراهم الفضية الساسانية التي شاعت عند العرب قبيل الإسلام، وكانت هذه الدراهم مختلفة الأوزان والأسماء، حيث هناك الدراهم السود الوافية، والدراهم الجواز، وكانت لهم دراهم تسمّى جوراقية؛ إضافة إلى الدراهم الطبرية [٤]. ولما جاء الإسلام أقر الرسول -ﷺ- السكة على ما كانت عليه في الجاهلية، وقد تعامل هو بنفسه بالدنانير البيزنطية والفلوس النحاسية، والنقود الساسانية المصورة (الدراهم) [٥].

وقد فرض الرسول -ﷺ- الزكاة على القطع النقدية المتداولة بين الناس - ففرض على كل عشرين دينارا نصف دينار، وعلى كل ٥ أوقيات فضة خالصة خمسة دراهم هي النواة [٦].

---

(١) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣١٩.

(٢) المقريزي، تقي الدين: **رسائل المقريزي**، ط ١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩ هـ) ص ١٥٩. رضوان، هناء: النقود الإسلامية القديمة، **مجلة الاجتهاد**، مج ٩، ع ٣٤-٣٥ (بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، ١٩٩٧م) ص ١٢٥.

(٣) التبر: الذهب والفضة قبل أن يعملا، وقيل: هو كل جوهر قبل أن يستعمل تبراً من النحاس والصفر. الفراهيدي: **العين**، ج ٨، ١١٧.

(٤) مبارك، علي: الأوزان العربية، **مجلة المقتطف**، مج ١٧، ع ٧ (القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م) ص ٤٦٠-٤٦٣.

(٥) مبارك: المرجع السابق، ص ٤٦٠-٤٦٣.

(٦) أنس، مالك: **المدونة**، ج ١، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص ٣٠٢. رضوان: **النقود الإسلامية**، ص ١٢٥.

أمــا بالنسـبة للأوزان فقد أقر الرسـول -ﷺ- الأوزان على مــا كانت عليه، وكان أهل الطائف على ميزان أهل مكة [١]. وأقر أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- العملات مثلما كانت في عهد الرسـول ﷺ، وأقر بجواز التعامل بالعملات ذات الصـور الآدمية، والنقوش، والكتابات البهلويـة واليونانية، ولم يغير شـيئاً [٢]. وأبقى عمر بن الخطاب -رضـي الله عنه- على العملات المتداولة منذ عهد الرسـول -ﷺ- حتى كثرت البلاد المفتوحـة، واسـتلزم الأمر ضـرب عملـة تختص بالدولة الإسـلامية، وكانـت العملات الأخرى قد كثرت بيد العرب فخشـي -رضـي الله عنه- أن تخلق مشكلة بالنسبة لمسألة الزكاة [٣]. وفي سـنة (١٧ هـ / ٦٣٨ م)ضُـربت أول عملة عربية بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضـي الله عنه، وكانت من مادة النحاس (فلس) على طراز عملة هرقل، وقد ورد عليها اسـم أمير المؤمنين عمر -رضـي الله عنه- بأحرف عربية، ويُعدّ هذا الفلس أقـدم فلس عربـي [٤]. وأمر عمـر بن الخطاب في سـنة(١٨ هـ / ٦٣٩ م) بسـك نقود من الفضـة "الدراهم"، وكان بها نقوش كسروية مع زيادة عبارات عربية؛ كالحمد لله، ومحمد رسـول الله، وعلى بعضـها اسـم عمر. ومما ميز النقود العربية عن غيرها أنها أرّخت حسـب التاريخ الهجري [٥]. وضـرب عثمان بن عفان -رضـي الله عنه- دراهم على طراز دراهم الخليفة عمر بن الخطاب، ونقش عليها صـورة كسـرى الثاني التاريخ البهلوي، وأضـاف عليها كلمـات عربية بالحروف الكوفية؛ كمحمد، وبركة، وبسـم الله ربي، وكذلك كانت العملة بعهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٦].

ج - الصيرفة:

تحويـل وتبديل العملات النقديـة من فئة إلى أخرى، وتحويـل الدنانير إلى دراهم والعكـس، ومعرفـة الفرق بـين العملات وأوزانهـا المختلفة، وكان الرجـل يدفع الدينار إلى الصـراف فيزنه ثم يعطيه بدلاً منه دراهم، وكان بعض الصـيارفة يبيعون الذهب ويتاجرون في سلع أخرى؛ إضافة إلى إقراض النقود [٧].

د- الرهن:

توثقة دين بعين يمكن الاستيفاء منها أو من قيمتها، وكان العرب في الجاهلية يرهنون

---

(١) المقريزي: **رسائل المقريزي**، ص ١٥٩.

(٢) المقريزي: **رسائل المقريزي**، ص ١٥٩.

(٣) المقريزي: المصدر السابق، ص ١٥٩. رضوان: **النقود الإسلامية**، ص ١٢٧.

(٤) الحسيني، باقر: **تطور النقود العربية والإسلامية**، ط ١ (بغداد: مطبعة دار الجاحظ، ١٩٦٩ م) ص ٤١. رضوان، **النقود الإسلامية**، ص ١٢٧.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٦) رضوان: **النقود الإسلامية**، ص ١٢٩-١٣٠.

(٧) الجوهري: **الصحاح تاج اللغة**، ج ٤، ص ٣٨٦.

المال والبنون في سوق عكاظ، ولما جاء الإسلام أنكر الرهن بالولد، وأقر الرهن بالمال [(١)].

معاملات تجارية حرمها الإسلام بالطائف:

هـ- الربا:

ما يُزاد على أصل البيع أو الدين من مال دون حق، أو ما يُزاد بعد مدة معيّنة من الوقت بلا مقابل؛ فما يزاد على الأصل هو الربا؛ سواء كان في اللحظة نفسها، أو بعد فترة مخصوصة من الزمن [(٢)].

وكان التعامل بالربا في الطائف متداولاً وشائعاً، وكانت ثقيف أكثر العرب تعاملاً بالربا، وقد اشترط عليهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ألا يتعاملوا بالربا، وكان هناك أسرة منهم تضم أربعة إخوة هم: مسعود، وعبد ياليل، وحبيب، وربيعة، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، وكانوا يداينون بني المغيرة بن عبد االله بن عمير بن مخزوم، وكانوا يرابون، فلما أسلم هؤلاء الإخوة طلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه االله تعالى، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول االله -صلى االله عليه وسلم- على مكة، فكتب عتاب إلى النبي -صلى االله عليه وسلم- في ذلك، وكان ذلك مالاً عظيماً، فأنزل االله تعالى هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [(٣)].

و- السرار:

وهو نوع من البيوع اختص به سوق عكاظ، يقول ابن حبيب: " فإذا وجب البيع وعند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء ولا يريده؛ فله الشركة في الربح " [(٤)].

ز- الرمي بالحصاة أو إلقاء الحجارة:

أن يجتمع النفر منهم على السلعة يساومون بها صاحبها، فأيهم رضي ألقى حجره، وربما اتفق في السلعة الرهط فلا يجدون بدّاً من أن يشتركوا وهم كارهون، وربما اتفقوا

---

(١) الرشيد، ناصر: **سوق عكاظ**، ص ٦٠.

(٢) المترك، عمر: **الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية**، تحقيق: بكر أبو زيد، د.ط (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، د.ت) ٣٩-٤٤. الساعاتي، عبدالرحيم: العلة الاقتصادية لتحريم ربا النسيئة والفضل، **مجلة جامعة الملك عبدالعزيز**، مج ٢٥، ع ٢ (جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م) ص ٤٣-٤٤.

(٣) الطبري، أبو جعفر: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج ٦، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ٢٢-٢٣.

(٤) ابن حبيب: **المحبر**، ص ٢٦٧.

فألقـوا الحجارة جميعاً إذا كانوا عدداً على أمر بينهم فيوكسـون صـاحب السـلعة إذا تظاهروا عليه [١].

ح- المنابذة:

أن يرمي الرجل إلى الرجل بثوبه وينبذ الآخر إليه ثوبه، ولم ينظر واحد منهما إلى ثوب صاحبه، فيكون ذلك بيعهما عن غير نظر ولا تراضٍ [٢].

٨ - الزكاة:

منذ أن أصبحت أرض الطائف ضمن الدولة الإسـلامية فُرض علـى أهلها تأدية الـزكاة الواجبة، قـال الله عز وجـل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ﴾ [٣]، وكانـت الزكاة تقدر على حسب نوع الثمار ووزنها وفق شروط نصها الرسول ﷺ، وهنا بيان ذلك:

١-زكاة التمر والزبيب وغيرهما:

يقول عز وجل: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ [٤]، وجـاء عـن أنـس بـن مالـك وابن عباس أنهما قالا في قوله تعالى: (وَآتوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَـاده): إنها الزكاة المفروضـة. وفي الصـحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي -ﷺ- أنه قال: "ليس فيما دون خمسـة أوسـق من التمر صـدقة، وليس فيما دون خمس أواق صـدقة، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صـدقة"[٥]، والمقصود بالصدقة: الزكاة. ودل الحديث على وجوب الزكاة في التمر إذا بلغ خمسة أوسق.

وتجب الزكاة في الحبوب والثمار بشرطين[٦]: **(أ)** أن يكون مما يكال، ويحصل الكيل بالصاع ونحوه. **(ب)** أن يكون مما يدخر، فلا تجب الزكاة في الفواكه التي يتسارع إليها الفساد.

---

(١) المرزوقي، أبو علي: **الأزمنة والأمكنة**، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ م) ص ٣٨٣.

(٢) ابـن المنذر، أبـو بكر: **الإشراف على مذاهب العلماء**، تحقيق: صـغير أحمد الأنصـاري، ج ٦، ط ١ (رأس الخيمة: مكتبة مكة الثقافية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م) ص ١٧.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٧).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٤١).

(٥) ابـن زنجويـه، أبو أحمد: **الأموال**، تحقيق: شـاكر ذيـب فياض، ج ٣، ط ١ (الرياض: مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ٩٠٥.

(٦) الزركشي، شمس الدين: **شرح الزركشي على مختصر الخرقي**، ج ٢، ط ١ (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ص ٤٦٨-٤٦٩.

والأصل إخراج زكاة التمر من التمر والزبيب من الزبيب لما جاء في حديث عتاب ابن أسيد أن رسول الله بعثه وأمره أن يخرص العنب كما يخرص النخل، وأن يأخذ زكاة العنب زبيباً كما يأخذ زكاة النخل تمراً[١]. أما الرطب فالأصل إخراج زكاته تمراً، ومثله العنب تخرج زكاته زبيباً، وقيل: يجوز إخراج زكاة الرطب منه وزكاة العنب منه، واختلف في التين، فقيل: لا تجب فيه الزكاة؛ لأنه ليس مما يكال ويدخر، وقيل: تجب فيه الزكاة؛ لأنه يجفف ويدّخر، وقد جرت العادة على تجفيفه وادخاره دون تسارع الفساد إليه، قيل: "ليس في التين زكاة إلا أن يجمع وييبّس "[٢].

واختلف في زكاة العسل، والراجح أنه ليس فيه زكاة أما إذا اتخذ العسل للتجارة فيجب عليه زكاته زكاةَ عروض التجارة لما رواه ابن أبي شيبة بإسناده عن عمرو بن شعيب أن أمير الطائف كتب إلى عمر بن الخطاب أن أهل العسل منعونا ما كانوا يعطون من كان قبلنا، قال: فكتب إليه: " إن أعطوك ما كانوا يعطون رسول الله -ﷺ- فاحم لهم وإلا فلا تحمها لهم " [٣] قال: وذكر عمرو بن شعيب أنهم كانوا يعطون من كل عشرَ قرب قربة، وما رواه ابن أبي شيبة بإسناده عن عطاء الخراساني عن عمر قال: في العسل عُشر[٤].

وتجب زكاة التمر ونحوه بشرطين: (أ) بلوغ النصاب، وهو خمسة أوسق: وإذا كان عند الرجل نخل في بيته وعنده نخل في مزرعته أو في بيت له آخر فيجمعه معه لتكميل النصاب، ويخرج زكاتهما جميعاً، وإذا لم يكن عنده سوى النخل الذي في البيت، فإن بلغ نصاباً أخرج زكاته، ويضم أنواع التمر بعضها إلى بعض لتكميل النصاب، ولا يجمع التمرَ إلى الزبيب أو الأجناس المختلفة الأخرى بالاتفاق[٥].

(ب) أن يكون النصاب مملوكاً له وقت الوجوب: ووقت الوجوب بالنسبة للتمر عند احمراره أو اصفراره، فإذا باع مالك النخل التمرَ بعد احمراره أو اصفراره فإن الزكاة تجب على البائع وليس على المشتري، وتجب الزكاة حتى وإن كان مالك المزرعة أو مستأجرها مديناً؛ لأن الحق ثابت في الثمر، والله يقول: "وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ" ، وإذا حصلت جائحة بعد ذلك للتمر وهو على رؤوس النخل فلا يلزمه إخراج زكاته؛ لأن الحق

---

(١) العسقلاني، ابن حجر: **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، ط ١ (الرياض: دار القبس للنشر والتوزيع، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م) ص ٢٤٧.

(٢) القرشي، أبو زكريا: **الخراج**، تحقيق: أحمد شاكر، ط ٢ (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٤ هـ) ص ١٥٠.

(٣) أبو شيبة، أبو بكر: المصنف، تحقيق: كمال يوسف، ج ٢، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩ هـ) ص ٣٧٣.

(٤) الرجراجي، علي: **مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي وآخرون، ج ٦، ط ١ (الرياض: دار ابن حزم، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ١٢٥.

(٥) الشيباني، أبو عبدالله: **السير الصغير**، تحقيق: مجيد خدوري، ط ١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥ م) ص٢٨٠.

إنما يثبت عند سلامته؛ أَمَا وقد أصابت ماله جائحةٌ ولم ينتفع به فليس عليه زكاة [١].

ومقدار الزكاة: أن يكون الاعتماد في السـقي على الأمطار فيجب إخراج العشـر من تمر ونحوه، وهو ما يعبر عنه الفقهاء بـ: " ما سـقي بلا مُؤْنة "[٢] . أو يكون الاعتماد في السـقي على ما يخرج من مياه الآبار عن طريق الآلات والمعدات، فيجب إخراج نصـف العشـر، وهو ما يعبر عنه الفقهاء بـ: "ما سـقي بمُؤْنة"[٣]؛ فعـن النبي ﷺ قال: "فيما سـقت السماء والعيون أو كان عَثَرِياً العشر، وفيما سـقي بالنضح نصف العشر" [٤]. أو يكون نصف السنة كالحالة الأولى، ونصف السنة كالحالة الثانية "نصف السنة بمؤنة، ونصـفها بغير مؤنة"، فيجب إخراج ثلاثة أرباع العشـر [٥]. والاعتماد في غالب السـنة على السقي بمؤنة؛ لكن تأتي أمطار وسيول في أوقات متفرقة كأوقات الشتاء، فإن العبرة بغالب السـنة، إلا لو قدر أنه بلغ ما يُسـقى بمياه الأمطار خمسـة أشهر مثلاً، فما قارب الشيء يعطى حكمه.

وطرق إخراج الزكاة: **(أ)** أن يُخرص الثمر بعد بدو صلاحه، ثم يحدد المزكّي عدداً من الأشجار للزكاة تساوي القدر الواجب. **(ب)** أن يُصرم الثمر ثم يكال ويخرج القدر الواجب. **(ج)** أن يُباع الثمر على رؤوس النخل بعد بدو صلاحه، ثم يخرج القدر الواجب مـن الثمـن. **(د)** أن يبيع المالك أو المسـتأجر الثمر بعد صـرمه، ثم يُـكال وزنه ويخرج القدر الواجب منه.

٩- المكاييل والموازين والمقاييس:

أ- المكاييل:

١- الصـاع: وهو من أهم المكاييل التي كان يسـتعملها أهـل الطائف، وعرف -أولاً- عند أهل المدينة المنورة، واعتمده الرسـول -ﷺ- بعد الهجرة وحدة رسـمية للمسلمين تقـدر بهـا زكاتهم ونفقاتهم وخراجهـم ومعاملاتهم التجارية الأخـرى [٦]. وقد أحدث

---

(١) الحنبلـي، أبـو مفلـح: **المبدع شرح المقنع**، تحقيق: محمد حسـن الشـافعي، ج ٢، ط ١ (بـيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) ص ٣٣٩.

(٢) البعلـي، شـهاب الديـن: **الروض الندي شـرح كافي المبتـدي**، تحقيق: عبـد الرحمن حسـن محمود، د.ط (الرياض: المؤسسة السعيدية، ١٩٨١ م) ص ١٥٠.

(٣) البعلي: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٤) أنس، مالك: **الموطأ**، تحقيق: محمد مصـطفى الأعظمي، ج ٥، ط ١ (أبو ظبي: مؤسسـة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ص ٣٨٠.

(٥) المزني، أبو إبراهيم: **مختصر المزني**، د.ط (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ١٤٤.

(٦) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٧.

الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- تغييراً بالصاع [(١)]، فكبّره خلاف ما كان عليه في عهد الرسول ﷺ؛ حيث مده إلى ثمانية أرطال، ويعادل الصاع بالإجماع أربعة أمداد، ويعادل ٤, ٢١٧٤ جرام تقريبا، ويسع باللتر ٢١٢٥, ٤ لترا [(٢)].

٢- المد: وهو من المكاييل القديمة التي استخدمها العرب قبل الإسلام، وأقرها الرسول -ﷺ- بعد الهجرة وحدة مكيال رسمية، واستخدمها أهل الطائف وحدة لكثير من العبادات والمعاملات التجارية، ويساوي رطلا وثلثا، ويبلغ ٦, ٥٤٣ جرام، ويعادل ٦٨٨, ٠ لترا تقريبا [(٣)].

٣- الوسق: ويسمى -أيضاً- الصحفة، وهو من المكاييل التي تقدر بها زكاة الثمار والزروع والحبوب، ويساوي ستين صاعا؛ أي: ٣٤٥٦, ٢٥٢ لترا، ويساوي مائتين وأربعين مدا، ويزن ثلاثمائة وعشرين رطلا، ويعادل -أيضا- ٤٦٤, ١٣٠ كجم [(٤)].

٤- الفرق: من المكاييل الشرعية التي أقرها الرسول -ﷺ- للمسلمين، ويعادل ثلاثة آصع شرعية، ويعادل اثني عشر مدا شرعيا، ويعادل ستة أقساط، ويبلغ ٢, ٦٥٢٣ جم، ومقدار حجمه ٨,٢٥ لترا [(٥)].

٥- الأردب: من المكاييل القديمة التي عرفت في الحجاز عامة، وظل أهل الطائف يستخدمونه حتى أقره الإسلام، ويتسع لأربعة وعشرين صاعا، ويقدر بنحو ٤٨٩٦٠ جرام، ويساوي تقريبا ١٩٨ لترا من الماء، وقد تم تداوله بين الناس في معاملات مالية مختلفة؛ كالمعاملات الشرعية في تقدير أداء الزكاة للجبوب والثمار وغيرها من الحبوب [(٦)].

٦- المكوك: من مكاييل العراق القديمة التي وجدت بالطائف، وأقره الرسول -ﷺ- بعد الهجرة، ويعادل صاعا ونصف الصاع وستة أمداد، ويزن ٦٢٥, ٤٥٨٦ جراما [(٧)].

٧- القفيز: من أقدم المكاييل المستخدمة في أسواق الطائف، وأقره الرسول -ﷺ- من المكاييل الشرعية للدولة الإسلامية، وقد شاع استخدامه في معظم أسواق الحجاز،

---

(١) الزبيدي، محمد: **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، ج ٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م) ص ٨٧.

(٢) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٧.

(٣) الخوارزمي، أبو عبدالله: **مفاتيح العلوم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٩ م) ص ٢٩. العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٥٥.

(٤) المقريزي، تقي الدين: **الأوزان والأكيال الشرعية**، تحقيق: سلطان المسمار، ط ١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) ص ٨٠. العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٥٦.

(٥) المقريزي: الأوزان والأكيال، ص ٧٩. العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٥٧.

(٦) المقريزي: الأوزان والأكيال، ص ٨٠. العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٧) ابن سلام، أبو عبيد: الأموال، تحقيق: محمد عمارة، ط ١ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ٦٢٤. العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٥٨.

ويبلغ ثمانية مكاكيك، ويساوي اثني عشر صاعاً شرعياً [١].

٨- **الجريب:** تداوله الناس في تعاملاتهم المالية والتجارية المختلفة، وكذلك المعاملات الشرعية، وكانت تكال به الحبوب والثمار، ويعادل ثمانية وأربعين صاعاً، ويسع أربعة أقفزة، ويساوي خمسمائة واثني عشر رطلاً، ويعادل ١٥٦٥٥٢ جراماً [٢].

٩- **القسط:** من المكاييل التي استخدمها أهل الطائف في كيل السوائل؛ كالدهن، والزيت، والعسل، واللبن وغيرها من السوائل، ويساوي نصف صاع، ويزن ١١٠ ,١ كجم [٣].

وهناك مكاييل أخرى قلّ استخدامها في الطائف؛ كمكيال الذهب، والكُر، والقلة، والمكتل، والقرب الجلدية [٤].

ب - الموازين:

١- **المثقال:** وهو وحدة قياس وزن تساوي اثنتين وسبعين حبة من الشعير [٥]، وتعادل ٢٥ ,٤ جراماً تقريباً، ويوزن بها -غالباً- المعادن النفيسة كالذهب والفضة [٦].

٢- **الدرهم:** من الوحدات الأساسية المستخدمة في أسواق الطائف في جميع المعاملات التجارية، ويقدر بسبعة مثاقيل [٧]، ويقدر وزنه بنحو ١٧ ,١٣ جراماً [٨].

٣- **الرطل:** مقياس يوناني الأصل، عرفه أهل الطائف قبل الإسلام، واستُخدم لمختلف السلع، وقدر بثمانية وعشرين درهماً وأربعة أسباع [٩]؛ أي: ما يقارب ٤٠٨ جرامات [١٠].

٤- **الأوقيّة:** من أشهر الموازين التي كانت منتشرة في الطائف قبل الإسلام وبعده، وتساوي ٤٠ درهماً [١١]؛ أي: ما يقارب ١٢٥ جراماً [١٢].

---

(١) المقريزي: **الأوزان والأكيال**، ص ٨٠.

(٢) جرادي، علي: **المقادير الشرعية وضبطها بالمقادير العصرية على مذهب السادة الحنيفية**، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤٠ هـ) ص ١٣.

(٣) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٠.

(٤) العليان: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٥) الطيار: **الفقه الميسر**، ج ٢، ٣٦.

(٦) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٤.

(٧) المقريزي: الأوزان والأكيال، ص ٤٧. المناوي، محمد: **النقود والمكاييل والموازين**، تحقيق: رجاء السامرائي، د.ط (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١ م) ص ٣٦-٣٧.

(٨) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٥.

(٩) المقريزي: **الأوزان والأكيال**، ص ٦٦.

(١٠) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٥.

(١١) المقريزي: **الأوزان والأكيال**، ص ٦٤.

(١٢) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٧.

٥- الدانق: من المكاييل التي استخدمت في الطائف بعد الإسلام، وهو يوناني معرب، ووزنه ثمان حبات شعير وخمسا حبة، أو سدس درهم [١]، ويقدر وزنه بما يقارب ٠,٤٩٥٨٣ جرام [٢].

٦- قيراط: من وحدات الوزن التي عُرفت قبل الإسلام، وأقرها الرسول -ﷺ- بعد الهجرة، ويزن نصف دانق [٣]؛ أي: نحو ٠,٢٦٤ جرام [٤].

٧- القنطار: يستخدم لوزن مختلف البضائع والسلع التجارية والمعادن كالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وهو سبعة آلاف دينار، وألف مثقال من الذهب والفضة، ويعادل ألف ومائتا أوقية [٥]، ويزن نحو ١٦٠,١٥٢ جرام [٦].

٨- المنّ: ويستخدم لوزن المحاصيل الزراعية والسوائل، ويساوي عند العلماء رطلين، ويزن ما يقارب ٨١٥,٤ جرام [٧].

ج- المقاييس:

١- الذراع: من وحدات الطول المختلفة التي تعتمد على طول الساعد من المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، ومن أشهر قياسات الأذرع:

٢- الذراع الشرعية: أداة تقاس بها الأقمشة والجلود، وتبلغ ست شعيرات معتدلات مضمومة بعضها إلى بعض، أو أربعة وعشرين إصبعاً، ويقدر طولها بنحو ٤٦,٣٧٥ سم [٨].

٣- الذراع العُمرية: ينسب هذا المقياس للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي ذراع وقبضة وإبهام قائمة، ويبلغ طولها نحو ٧٢,٨١٥ سم [٩].

---

(١) المقريزي: **الأوزان والأكيال**، ص ٦٣.

(٢) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٦.

(٣) المقريزي: **الأوزان والأكيال**، ص ٦٤.

(٤) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٧.

(٥) الأنباري، أبو بكر: **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ج ١، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ص ٣٢٨.

(٦) العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٦٨.

(٧) العليان: المرجع السابق، ص ٣٦٨.

(٨) هنتس، فالتر: **المكاييل والأوزان الشرعية وما يعادلها في النظام المتري**، ط ٢ (عمان: الجامعة الأردنية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ص ٨٩. العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٧١.

(٩) الماوردي، أبو الحسن: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد البغدادي، ط ١ (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ١٩٥. هنتس: **المكاييل والأوزان**، ص ٨٨. العليان: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن**، ص ٣٧١.

سادساً : أثر الحياة الاقتصادية على الحياة العامة بالطائف :

شكلت الطائف ثقلاً اقتصادياً بالحجاز، وتفردت بتنوع مصادر الدخل من الزراعة وتربية الماشية والصناعة والتجارة، وكان لانتعاش الحالة الاقتصادية بها أثرٌ في جوانب الحياة العامة؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

١ - الجانب الديني:

اختلفت صور الحياة الدينية في الطائف منذ العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام، وانتشـر بها مجموعة من الديانات والعقائد والعبادات التي أثرتها الحياة الاقتصـادية ورحـلات التجـار المختلفـة [(١)] حتـى إن أصـنامها كانت الأشـهر والأكثر ثـراءً من بين الأصـنام التي عبدها العـرب؛ فكانت العرب تحج للات وتعظمه وتتـبرك به، وتقدم له النـذور والهدايا والأمـوال [(٢)]، وكان للتجارة الخارجية أثرٌ في شـهرة اللات، فيذكر أن أهل العراق والشام كانوا يعظمونها ويحجون إليها [(٣)].

وكانت الطائف تمتلئ بالقادمين لقضاء الصيف بها سواء من أهل مكة أو نجد، فقد كان بنو عامر بن صعصعة يقدمون من ديارهم في غرب نجد لقضاء الصيف بالطائف، كما صارت الطائف مصيفاً لأهل مكة، ومورداً لهم يمدهم بالفاكهة والثمرات؛ فاستغل أهل الطائف مواردهم وموقعهم، وشـجعوا من كان يسـكن حولهـم على الحج لمعبدهم أيام السنة وموسم الحج [(٤)].

وبعكاظ لما كانت سوق العرب كافة صنم يدعى جهاراً كانت العرب تحج إليه وتلبّي، وكانـت تطـوف حوله، وتقدم النذور والأموال [(٥)]، ولم يكون لجهار واللات هذه الشـهرة الواسعة لولا علو شأن الطائف وأسواقها وشهرتها الاقتصادية.

ووُجدت اليهودية بالطائف فقد اعتنق مجموعة ضئيلة من أهلها الديانة اليهودية[(٦)]، وقـد نقلَها قـوم من اليهود طـردوا من يثرب فاتجهـوا للطائف بغرض التجـارة، يقول البلاذري: "فصـالحهم الرسول -ﷺ- على أن يسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، واشـترط عليهم ألا يرابوا ولا يشـربوا الخمر، وكانوا أصـحاب ربا،

---

(١) القصير: **أحلى اللطائف**، ص ١٠٢.

(٢) الكلبي، ابن السائب: **الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط ٤ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠ م) ص ١٦.

(٣) مرعـي، عيد: **معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق الأدنى القديم**، د.ط (دمشـق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨ م) ص ٣٧٩.

(٤) القصير: **أحلى اللطائف**، ص ١٠٧.

(٥) حمـور، عرفان: **مواسم العرب: المواسم الثقافية والتجارية والدينية والطبيعية**، ج ١، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م) ص ١٠٨.

(٦) الملاح: **الوسيط في تاريخ العرب**، ص ٣٢١.

وكان بخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فأقاموا بها التجارة، فوضعت عليهم الجزية، ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف " [١].

ووجدت النصرانية مكاناً لها في الطائف، فقد ذكر أنه كان هناك في الطائف رقيق نصراني، وعدد من الموالي، كان يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء في الإنجيل، ويقص عليهم قصصا نصرانية، ويتحدث إليهم عن النصرانية، ومنهم من تمكن من إقناع أهل الطائف بالدخول في النصرانية، واتخذ النصرانيون بيوتا للخلوة والعبادة أسموها بالأديرة [٢].

وذكر أهل الأخبار أنهم وجدوا في الطائف قليلاً من المسيحيين عند ظهور الإسلام، ويرجع ذلك إلى أن جماعات من تجار الطائف كانوا يذهبون في رحلاتهم التجارية إلى إمارة الحيرة للبيع والشراء فكانوا يتعرفون على التغيرات والتطورات الثقافية والدينية وينقلونها إلى أبناء بطونهم وعشائرهم؛ فضلاً عن قدوم المبشرين من الحيرة إلى بلاد الحجاز في ركاب القوافل التجارية [٣].

ولما بُعث الرسول -ﷺ- واتجه نحو الطائف لم يكن ذلك عبثياً؛ فقد توجه لها -ﷺ- كونها تمثل الثقل الاقتصادي للحجاز عامة، ومكة المكرمة على وجه الخصوص، وكان لقريش أطماع في الطائف حتى إنها حاولت في الماضي أن تضم الطائف إليها، ووثبت على وادي وج وذلك لما فيه من الشجر والزرع حتى خافتهم ثقيف وحالفتهم [٤]، وقد كان كثير من أغنياء مكة يمتلكون أملاكا كثيرة في الطائف، ويقضون فيها فصل الصيف، وكانت قبيلة بني هاشم [٥] وعبد شمس [٦] على اتصال مستمر مع الطائف، كما كانت تربط بني مخزوم [٧] مصالح مالية مشتركة بثقيف، فإذا اتجه الرسول - ﷺ - إلى الطائف فذلك توجه من شأنه أن ينهي هذا الارتباط الاقتصادي، وإذا استطاع أن يجد له فيها موضع قدم وعصبة تناصره فإن ذلك سيفزع قريشا، ويهدد أمنها ومصالحها الاقتصادية تهديدًا مباشرًا؛ بل قد يؤدي لتطويقها وعزلها عن الخارج، وهذا التحرك الدعوي السياسي الاقتصادي الذي يقوم به الرسول - ﷺ - بالطائف يستهدف مباشرة مركز السلطة وموضع القرار الاقتصادي في الحجاز.

---

(١) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٧٥.

(٢) عرفة، محمود: **العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية وأهم مظاهر حضارتهم**، د.ط (القاهرة: دار الثقافة العربية، د.ت) ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) الكناني: **الطائف قبل الإسلام**، ص ٢٢٩.

(٤) البغدادي: **المنمق**، ص ٢٣٥.

(٥) بنو هاشم أو الهاشميون: قبيلة عربية عدنانية إحدى فروع قبيلة قريش، ولهم بطون وأفخاذ كثيرة، وهم من المقصود بهم آل البيت والذي ينتسب إليهم رسول الله ﷺ. القلقشندي: **نهاية الأرب**، ص ٤٣٥.

(٦) بنو عبد شمس: بطن من عبد مناف بن قصي، من قريش العدنانية. القلقشندي: **نهاية الأرب**، ص ٣٣٧.

(٧) بنو مخزوم: بطن من لؤي بن غالب من قريش. القلقشندي: **نهاية الأرب**، ص ٤١٦.

ظل رســول الله -ﷺ- يدعو الناس في البيوت والساحات حتى قصد سوق عكاظ؛ كونه الوجهة التجارية والأدبية الرئيسـية للقبائل كافة، " فانطلق رسول الله -ﷺ- في طائفة من أصــحابه عامدين سوق عكاظ " [١]، وهناك التقى بأهل يثرب الذين صدقوه دون غيرهم في عكاظ، يقول جابر بن عبد الله: " إن رسول الله -ﷺ- لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ، وبمنازلهم بمنى " [٢].

وترى الباحثة أنه لم يكن لأحد أن يقصِـد الطائف دون غيرها من المدن الحجازية ناشراً لليهودية، ومبشراً بالمسيحية، ومبلغاً بالإسلام لولا ذلك التأثير الاقتصادي الذي كانت تعيشه مدينة الطائف وتتفرد به.

٢- الجانب السياسي والعسكري :

لما انتزعت ثقيف السـيادة السياسـية في الطائف اسـتطاعت الوقـوف بثبات أمام المتغيرات السياسـية التي مرت بها في الجاهلية والإسـلام [٣]، والتزمت ثقيف بالحياد تجاه النزاعات القبلية فيما حولها لحنكة قادتها السياسـية وحسن تصرفهم؛ مما أدى إلى الحفاظ على مكتسـبات الطائف الزراعية ومقوماتها التاريخية دون إلحاق الضرر بها من خلال تلك الحروب [٤].

ويعد الاقتصاد مفتاح السيادة السياسية، وأساس كل نظام سياسي ناجح، ولم يكن لثقيف أن تصبح منافسة لأهم القوى والقبائل في الحجاز لولا مكانتها الاقتصادية التي سخرتها لهم طبيعة مدينة الطائف وخيراتها الوفيرة [٥].

أصبحت ثقيف قبيلة حضرية بدأت سيادتها عن طريق فلاحة الأرض واستثمارها، فأصبحت الزراعة الحرفة الأولى التي تشتغل بها، ولم تجد عناء في احترافها الزراعة؛ فالأرض خصـبة، والمياه وفيرة، والمناخ معتدل؛ وبانتعاش الحياة الاقتصـادية أصبحت الطائف مدينة مستقلة ذات تنظيمات خاصة، ولها اتصالات خارجية، وجيش دفاعي[٦].

وبعـد أن تمكنـت ثقيف مـن الطائف أخذت في تكويـن قوتها السياسـية، ومجاراة القوى الحجازية، وسـلكت بذلك مسلكاً آخر في الزعامة حتى خلقت لها تأثيراً كبيراً في

(١) السـيوطي، جـلال الديـن: **التوشيـح شـرح الجامع الصحيـح**، تحقيق: رضـوان جامع رضـوان، ج ٧، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٣١٠٣.

(٢) البيهقي، أبو بكر: **دلائل النبوة**، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ) ص ٤٤٢.

(٣) القصير: **أحلى اللطائف**، ٧٧.

(٤) زيـود، محمد: **مختارات في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية**، ط ١ (دمشـق: دار طلاس، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م) ص ٢٩١.

(٥) صقر: **الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام**، ص ٢٦.

(٦) القيسي: **ثقيف ودورها في التاريخ العربي والإسلامي**، ص ٢٥.

السوق التجارية في شبه الجزيرة العربية[١].

وبذلك تكون ثقيف قد كوّنت ثقلاً سياسياً بالحجاز؛ مما جعلها مطمعاً للقبائل الأخرى، وهنا تتجلى مهاراتهم السياسية والعسكرية في بناء الأسوار والأبراج والحصون[٢]، ليس هذا فحسب بل حالفت القبائل المجاورة، كقبيلة قريش وقبائل قيس عيلان كافة لحماية تلك الأرض الثمينة، ونظراً لارتباط تلك القبائل باستثمارات وعقود اقتصادية بالطائف حرصت على استمرار العلاقات السياسية مع ثقيف[٣].

ولما كانت أرض الطائف ذات خصوصية اقتصادية وحضارية تختلف عن مجتمع الحجاز فقد سنّ الرسول ﷺ- والخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- من بعده سنة حميدة؛ فولّوا على الطائف من أبنائها، ولا شك أنها سياسة حكيمة؛ فالثقفيون بصفة عامة ذوو حضارة راقية، فهم مجتمع زراعي ثري، وخير من يحكم مدينتهم هم أبناؤها ذوو الخبرة والفطنة، فولّى الرسول -ﷺ- عثمان بن العاص الثقفي[٤]، وظل والياً على الطائف حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم ولّى عليها سفيان الثقفي[٥]؛ وفي خلافة عثمان بن عفان ولّى عليها القاسم بن ربيعة الثقفي[٦]، ولم تتغير هذه السياسة إلا في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فولى عليها قثم بن العباس القرشي[٧].

---

(١) القيسي: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) البكري: **معجم ما استعجم**، ص ٨٨٦.

(٣) علي: **المفصل في تاريخ العرب**، ج ٤، ص ٢٨.

(٤) وفد على النبي -ﷺ- في وفد ثقيف وهو أصغرهم فأسلم، واستعمله رسول الله -ﷺ- على الطائف فلم يزل عليها في حياة رسول الله، وخلافة أبي بكر رضي الله عنه، وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنه، ثم ولاه عمر سنة ١٥ هـ / ٦٣٧ م على عمان والبحرين وسار إلى عمان، واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان فعزله، فسكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية، له فتوح وغزوات بالهند وفارس، وفي البصرة موضع يقال له: "شط عثمان" منسوب إليه، وهو الذي منع ثقيفاً عن الردة. وخطبهم فقال: "يا معشر ثقيف، كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً". كان ذا مال، كثير الصدقة والصلة، يختار العزلة والخلوة، توفي سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م. الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج ٣، ص ١٢١.

(٥) هو سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث بن مالك الثقفي من أهل الطائف، كان في الوفد -أيضًا- الذين قدموا على النبي -ﷺ- من الطائف وأسلم، استعمله عمر بن الخطاب على صدقات الطائف، ثم تولى إمارة الطائف مدة قصيرة. ابن الأثير، عز الدين: **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ص ٤٤٩.

(٦) ابن حبان، محمد: **الثقات**، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ج ٢، ط ١ (حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ص ٢٦٦.

(٧) قثم بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، كان أشبه الناس برسول الله، تولى نيابة المدينة في أيام علي، ثم ولاه على مكة والطائف وما زال عليها حتى قتل علي رضي الله عنه، شهد فتح سمرقند فاستشهد ودفن بها، توفي سنة ٥٧ هـ / ٦٧٧ م

٣ - الجانب العلمي والأدبي

تحتضــن الطائـف العديـد من الشــواهد التي دلت علــى عمقها الثقــافي والعلمي، ويزخر تاريخ الطائف الأثري بالكتابات والنقوش التي وجدت على الحجارة والصــخور والأخشــاب والمعادن المختلفــة، ولم تخل الكهوف والجبال وكذلــك الأودية من الكتابات والنقوشـ الجاهليــة والإســلامية؛ وكان ذلــك نتيجة لتوافــر أدوات النقشــ؛ كالمثاقيب الحجرية، والأقلام الحديدية، والمسامير.

وشــاعت الكتابة على الألواح الحجرية بالطائف، كما اســتخدموا العظام والقماش والقراطيس وعســب النخل للكتابة، وكانت الجلود أبرز المواد المســتخدمة للكتابة والأكثر انتشــاراً لكون الطائف أحد أهم مراكز تصــنيع الجلود ودباغتها في بلاد العرب [(١)]. كما توافرت لديهم أدوات الكتابة المختلفة؛ كالقلم الذي يصــنع من الســعف وقلم العاج، وقلم القصب. ومن مواد الكتابة المتوفرة لديهم الحبر أو المداد الذي يصنع من الدخان والرماد والصمغ، ويحفظ الحبر بقوارير مصنوعة من الفخار يطلق عليها اسم الدواة[(٢)].

تطــورت الحياة العلميــة بالطائف مع اســتقرار الحالة الاقتصــادية؛ فانتقلت من النقوشــ البدائية على الصــخور إلى مرحلة أكــثر تنظيماً؛ حيث انتشــرت الكتاتيب في أنحــاء الطائف نتيجة لكثرة المعلمين من أبناء ثقيف، وقد أخذت ثقيف القراءة والكتابة من تجار الحيرة القادمين إلى الطائف.

عُرفت ثقيف بفصــاحة لســانها، وبمقدرتهــا على الكتابة، وامتازت بحســن الخط والإمــلَاء الصــحيح، ممــا دعا عمــر بن الخطاب -رضــي الله عنــه- أن يجعــل كتّاب المصــحف الشــريف مــن ثقيــف وقريش، قــال: "لا يلــين مصــاحفنا إلا غلمــان قريش وثقيف"[(٣)]، والشهرة ذاتها دعت عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عند جمع القرآن أن يجعل المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف [(٤)].

---

(١) جبل، محمد: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ج ٤، ط ١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م) ص ١٨٦٧.

(٢) النحاس، أبو جعفر: **عمدة الكتاب**، تحقيق: بســام عبد الوهاب الجابي، ط ١ (ليماســول: الجفان والجابي للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ص ١٢٨. علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٨، ص ٢٥٣-٢٥٦.

(٣) ابن سلام، أبو عبيد: **فضائل القرآن**، تحقيق: مروان العطية وآخرون، ط ١ (بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م) ص ٣٤٠.

(٤) الهنــدي، عــلاء الدين: **كنز العمــال في سنن الأقــوال والأفعال**، تحقيق: بكري حيــاني وآخرون، ج ٢، ط ٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ص ٥٨٧.

وكان غيلان بن سلمة الثقفي ممن تعلم الكتابة من زعماء قريش لما أتوا للطائف في تجارة لهم [١]، وكان يعلم الصبيان الخط والهجاء [٢]، وكذلك يوسف بن الحكم الثقفي الذي كان يعلم الصبيان الفصاحة، والكتابة، والقرآن، وعلوم الحديث [٣]. وجبير بن حية الثقفي كان يعلم الصبيان في الطائف، ثم قدم إلى العراق فاستقر كاتباً في الديوان[٤].

ولم تقتصر العلوم والفنون الأدبية على رجالات ثقيف؛ بل كانت نساء ثقيف ممن نظمن الشعر ونشدنه؛ كالفارعة بنت أبي الصلت [٥]، وميمونة بنت كردم التي يذكر أنها كانت ممن روين الحديث عن الرسول ﷺ [٦]. وكان للقوافل التجارية أثرٌ كبيرٌ في نقل العلوم من أطراف الهند وبلاد فارس إلى الطائف فنقلوا إليها علوم الطب والفلسفة واللغات الأعجمية؛ كالحارث بن كلدة الثقفي وابنه النضر، وهما من علماء الطب درسا في مدينة جنديسابور، وأخذا أصول الطب من المؤلفات اليونانية والسريانية، وكان النضر مطلعاً على علوم الفلسفة والحكمة، وفنون العزف والغناء [٧].

ولسوق عكاظ الأثر الفعال في ازدهار الحركة العلمية والأدبية، وكان أحد أهم العوامل لتوحيد لغة العرب وتهذيب لهجاتهم لاختلاط القبائل ببعضها، وكانت لهجات العرب متفاوتة في النطق والمفردات والقواعد تبعاً لاختلاف عوامل الزمان والمكان؛ إلا أن عكاظ أسهم وبشكل عميق في تطور علم اللغة العربية وتوحيدها؛ ليس هذا فحسب بل كانت سوق عكاظ جامعة أدبية تحتضن الشعراء والخطباء والحكماء والفلاسفة [٨].

يقول المرزوقي: " عكاظ واد للعرب فيه سوق لهم يجتمع فيها طوائف الناس من جميع الأحياء فيتعارفون فيها ويتعلقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتنسم لها، وبينهم المواعدات والمقايضات، والإحن والترات، والمنافرات والمناقضات؛ فكل فرقة تتجمل للأخرى وتود أن تسمع فيها ما ليس عندها من حسن وقبيح، ومحمود ومذموم؛ إلى غير ذلك من الأنباء السائرة والأوابد العائرة التي يتهادى بها، ويستطرف وقوعها، ويتبلغ

---

(١) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٦٦٠.

(٢) العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج ٥، ص ٢٥٣.

(٣) جاسم، جاسم علي: **الألسنية التطبيقية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي نشأتها وتطورها وموضوعاتها**، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م) ص ٩٠.

(٤) العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج ١، ص ٥٧٠.

(٥) قدمت على النبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلم- بعد فتح الطائف، وكانت ذات لبّ وعفاف وجمال، توفيت -رضي الله عنها- في زمن الرسول. العسقلاني: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥٩.

(٦) العسقلاني: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٢٩.

(٧) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص ٣٩٤-٣٩٨.

(٨) السنيدي، صالح: سوق عكاظ، **مجلة رسالة المعاهد العلمية السعودية**، ع ١١ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - معهد الرياض العلمي، ١٩٩٢ م) ص ٣٤-٣٥.

باسـتماعها وأدائها "[١]، وبذلك كانت الطائف وأسواقها جامعة مفتوحة لشتى صنوف العلوم والفنون، يرتادها أبناء شبه الجزيرة العربية بمختلف السلع التجارية والأدبية.

٤- الجانب الاجتماعي :

تميـزت الطائـف باعتدال مناخها، وخصـوبة أرضـها، ووفرة محاصـيلها، وكثرة مياهها؛ واعتمد أهلها -بشـكل أساسـي- على الزراعة وتربية الماشـية؛ مما ساعدهم علـى تطوير حياتهم الاجتماعية، فمال كثير منهم إلى الاسـتقرار والاشـتغال بالحرف الزراعية والعيش منها. كما عمل أهل الطائف بالتجارة، واشتغلوا بنقل فائض منتجاتهم إلى البلدان المجاورة، يؤكد ذلك الحميري بقوله: " وزبيبها معروف يتجهز به إلى جميع الجهات، وأكثر فواكه مكة من الطائف، وبها تجار مياسير "[٢]. وفاضت منتجاتهم من الحنطة والزبيب والعسـل فتاجروا بها؛ ولغزارة إنتاجهم من العنب فقد كانوا يصنعون الخمر حتى نهاهم الرسول -ﷺ- عنه[٣].

ونتيجة لهذا الرخاء الاقتصـادي ظهرت بها طبقة مرفهة ترتدي الأقبية المصبوغة بالورس والعصفر، ويحزمون أوساطهم بملاءات القطن الرقاق وعليها برود عجيبة[٤]، وكانت النساء ترتدي الحلي الثمينة، ذكر في المغازي أن خولة بنت حكيم السلمية قالت: يـا رسـول الله، أعطني إن فتـح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان بن سـلمة، أو حلي الفارعة بنت عقيل[٥].

ومـن الآثار الاقتصـادية على الجانب الاجتماعي تعدد أنـواع التعاملات التجارية، وظهور أنظمة مالية جاء بها الإسـلام ليحقق العدالة الاقتصـادية والاجتماعية، فسارع الأغنيـاء لإخراج زكاتهم للفقراء، فكان لجمع الزكاة مـن الأغنياء وردها على الفقراء أثـر اجتماعي واقتصـادي كبير متمثل في إصـلاح أحوال الفقراء المالية، ونشـر ثقافة التكافـل الاجتماعـي بين أفـراد مجتمع الطائف. ولـما كانت أرض الطائـف ثرية نتيجة لانتعاش الحياة الاقتصادية فقد عيّن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سفيان الثقفي لجمع الصـدقات بالطائف[٦]. وللرخاء الاقتصـادي الذي شهدته الطائف أثرٌ في تنوع عناصـر المجتمع، فوُجِدت بها عناصـر عربية وغير عربية، كما وُجِد بها عدد غير قليل من الموالي والرقيق.

---

(١) الرزوقي، أبو علي: **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ص ١٠٥٨.
(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٧٩.
(٣) البلاذري: **فتوح البلدان**، ص ٧٥.
(٤) الحميري: **الروض المعطار**، ص ٣٨٠.
(٥) ابن هشام: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٣.
(٦) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج ٢، ص ٤٤٩.

٥- الجانب العمراني :

من الطبيعي أن يرتبط العمران بالجانب الاقتصادي فلا عمران بلا اقتصاد، وقد أسهمت الزراعة والصناعة والتجارة في تحقيق الازدهار المادي، ونهضة الجانب العمراني في الطائف؛ حيث شيد أهلها أنواعاً متعددة من المباني السكنية والدينية والعسكرية والزراعية والمائية.وتكثر المنازل بالطائف حول المناطق الزراعية، أو بعض المناطق الرعوية بجانب الماء والكلأ، أو أنها توجد بجانب الأسواق التجارية، وهكذا كانت مواقع المنازل بالطائف متأثرة بأسلوب المعيشة والحياة الاقتصادية. وزخرت الطائف بالكثير من المنشآت الحربية والعسكرية كالأسوار والحصون؛ نظراً لكونها مدينة غنية بالثروات الطبيعية، ومهددة بالنهب والسلب من القبائل المحيطة بها، ومن أبرزها سور الطائف والحصون المنتشرة في الجبال ورؤوس الهضاب، التي تستخدم للأغراض العسكرية من قبل رجال قبيلة ثقيف.

كان لوفرة مواد البناء الأساسية في الطائف الأحجار والأخشاب، ومهارة أهلها العالية في البناء والعمار، أبلغ الأثر في ازدها العمران واختلاف أشكاله [(١)]، فقد أظهر سكان الطائف براعة في فنون العمارة؛ حيث بنوا السدود والقنوات لتصريف المياه، وحفروا الآبار، كما استطاعوا بناء القلاع والحصون والأبراج لحماية المدينة من العابثين، وقد أتقنوا صناعة اللبن، وتكسير الصخور، وتهذيب الحجارة التي كانت أساس البناء في المدينة، وكذلك اللبن المادة الطينية التي تُخلط بالتبن وتعجن وتشكل على شكل قوالب مستطيلة أو مربعة، كما كانوا يستخدمون الطين والحجر الذي لم يُهذب في بناء الحظائر والمنازل العادية كما في القرى [(٢)]. واهتم سكان الطائف بتشييد السدود وتقويتها؛ نظراً لهطول الأمطار الغريزة على المدينة في فترات متفاوتة من العام، وللحاجة الماسة لاحتجاز مياه هذه الأمطار خلف السدود، أو الاحتفاظ بها في الآبار من أجل الزراعة والسقاية.

وللنشاط الاقتصادي المزدهر بالطائف، وزيادة ثرواتهم وممتلكاتهم ونفوذهم الأثر في قيام نزاعات وأطماع خارجية تجاهها؛ مما دعا ثقيفاً لإقامة الأسوار والحصون والآطام للاحتماء بها إذا دعت الحاجة [(٣)]. ومما سبق يتضح لدينا الأثر الكبير الذي تركته الحياة الاقتصادية على جوانب الحياة العامة في الطائف، وتمثل ذلك فيما شيدوه من القصور والحصون والسدود، وما بنوه من الأسواق، وما سطروه على

---

(١) ابن جريس: **دراسات في تاريخ تهامة والسراة**، ج١، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) السيد: **ملامح من التراث العمراني في محافظة الطائف**، ص ٢٦.

(٣) صالح، ياسر: الآطام والحصون بجنوب الطائف: دراسة أثرية معمارية، **مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب**، ع١٧ (القاهرة: الاتحاد العام للآثاريين العرب، ٢٠١٦ م) ص ٤٨٢-٤٨٥.

واجهـات المباني من نقوش ورسـوم تظهر لنا مدى تقدمهم الثقافي والفني والحضـاري بصفة عامة.

سابعاً : الخاتمة :

اشتملت الدراسة على العديد من النتائج ، ومنها ما يلي:-

(١) تهيـأت كافـة الظـروف الطبيعيـة الملائمة نسـبياً بالطائف مقارنـة مع بقية نواحي الحجاز؛ حيث توفرت الظروف المناخية المناسـبة والموارد المائية المختلفة والتربة الخصـبة. (٢) وضحت الدراسـة امتلاك الطائف طاقة بشـرية كبيرة، والتي كان لها الـدور البارز في ازدهار مختلـف المهن والحرف الزراعية والرعوية والصـناعية. (٣) شـكل إسـلام قبيلة ثقيف نقلة نوعية للحياة الاقتصادية بالطائف. (٤) انخرطت كافة الطبقـات الاجتماعية بالحرف والمهـن المختلفة، بعكس القبائل العربيـة الأخرى والتي كانـت تحتقـر كافة المهن عـدا الرعي والتجـارة. (٥) كان بالطائـف عرقيات مختلفة أبرزهـا العرقيـة اليهوديـة والتي مارسـت المهن المختلفـة وأدخلت الربـا في المعاملات التجارية. (٦) مثلت الزراعة في الطائف العمود الفقري للاقتصاد الطائفي، ومصدراً أساسـياً للدخل القومي للمدينة، ولذلك فقد أولى رجـال قبيلة ثقيف اهتمامهم الكبير بها؛ حيث طبقوا مجموعة مـن القوانين والإجراءات المختلفة في المجال الزراعي، والتي كان لهـا الأثـر الإيجابي في زيـادة الجهد والاهتمام بالزراعة والحصـول على أفضـل المنتجات الزراعية. (٧) يعد النشـاط الزراعي من أهم الركائز الاقتصادية بالطائف، وبه انخرط معظم العاملين بالمدينة. (٨) تعد الطائف بستان الحجاز، فمنها يستوردون الحبوب، وجل فاكهتهم منها؛ حيث انفردت بزراعة بعض المحاصيل الزراعية والأشجار والنباتات، والتي تميزت بمردودها الاقتصـادي المرتفع ونالت شـهرة واسـعة بإنتاجها لها، كالعنب والزبيب والحنطة اللقمية. (٩) أدى التنوع في المناخ والتضـاريس الأرضية وخصوبة الأرض إلى انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في المدينة. (١٠) شكلت الموارد المالية الزراعية الدعامة الرئيسية للطائف، والتي ارتكز عليها التقدم الحضاري للمدينة. (١١) للعسـل الطائفي سوق رائجة، وهو مما يتهادى به الناس لحسن جودته وغلاء ثمنه. (١٢) يمثل الرعي أحد أهم الموارد الاقتصـادية في الطائف، حيث وفرت للسكان الغذاء والكسوة والوقود.

(١٣) تنوعـت الصـناعات والحـرف في الطائـف، فشـملت كل متطلبـات الحياة اليوميـة، حيـث تعـددت أشـكالها، وأصـنافها، وموادها الخام حسـب اسـتخداماتها وأغراضـها. (١٤) لعبت صـناعة الجلود دوراً هاما في حياة سـكان الطائف قبل وبعد الإسـلام، فكانـت احد أهم الصـناعات والمكاسـب الماديـة. (١٥) كان للمصـنوعات

الجلدية سوق رائجة في نواحي شبه الجزيرة العربية، حتى بلغت شهرة النعل الطائفي أطراف العراق والشام. (١٦) تعد الطائف إحدى محطات طرق القوافل الرئيسية القادمة من الجنوب والشمال. (١٧) اشتهرت الطائف بوجود تجار مياسير، ساهمت علاقاتهم التجارية في انتعاش أسواق الطائف وتسويق البضائع الطائفية خارج أسوار المدينة . (١٨) لم تقتصر تجارة الطائف على داخل المدينة فقط، بل كان لها تجارة خارجية وصلت للآفاق عن طريق القوافل التي تمر بها للشمال والجنوب. (١٩) بالطائف أسواق دائمة وموسمية، وكان سوق عكاظ أشهر أسواق العرب على الإطلاق. (٢٠) يعد عكاظ سوقاً لكافة السلع الأدبية والتجارية. (٢١) تنوعت السلع بأسواق الطائف ما بين سلع محلية وسلع مستوردة. (٢٢) تنوعت المعاملات التجارية بالطائف والتي كانت تعتمد على الربا، وكان للإسلام أثر بالغ في تنظيمها وتقنينها. (٢٣) شكلت الطائف ثقلاً اقتصادياً بالحجاز، وتفردت بتنوع مصادر الدخل من الزراعة وتربية الماشية والصناعة والتجارة، وكان لانتعاش الحالة الاقتصادية بها أثراً في جوانب الحياة العامة.

وعلى ضوء هذه الدراسة يمكن أن نوصي بدراسة الأوجه الحضارية في الطائف دراسة وافية، بحيث تساعد في رسم صورة واضحة عن الجوانب الحضارية، وربط الماضي الحضاري للطائف بالمعاصر الذي يشمخ بتطوره الهائل، وحث الأجيال على الاطلاع والأخذ بالعبر والنواحي القيمة من ذلك التراث الذي وضع الأسس النظرية والتطبيقية في مجالات الحياة المختلفة.

ثامناً : المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

١- ابــن الأثير، عز الدين: **أسـد الغابة في معرفـة الصحابـة**، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م).
-**الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج ١١، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

٢- ابن الأخوة، محمد: **معالم القربة في طلب الحسبة**، د.ط (كمبردج: دار الفنون، د.ت).

٣- الإدريسي، أبو الفضل: **واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش في القرآن**، تحقيق: علي الطهطاوي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م).

٤- الإدريســي، محمد: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج ٢، د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م).

٥- الأزرقي، أبو الوليد محمد: **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق: عبدالملك الدهيش، ط١ (مكة: مكتبة الأسدي، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

٦- الإشـبيلي، أبو الخير: **كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب**، تحقيق: خ. بوستامانتي، ج ٢، د.ط (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ٢٠٠٤ م).

٧- الإشــبيلي، ابن العوام: **الفلاحة الأندلسية**، تحقيق: أنور أبو ســويلم وآخرون، ج ٢، ط ١ (عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).

٨- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم: **المسالك والممالك**، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٠ م).

٩- الأصمعي، أبو سـعيد: **كتاب النبات والشجر**، جمع وتحقيق: أوغست هفنر، د.ط (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٨٩٨م).

١٠- ابن أبي أصـيبعة، **موفق الدين**: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: عامر النجار، ط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٦ م).

١١- الأنباري، أبو بكر: **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ج ٢، ط ١ (بيروت: مؤسســة الرسالة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م).

١٢- أنس، مالك: **المدونة**، ج ٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

١٣- البخــاري، محمد بن إســماعيل: **صحيح البخاري**، ط١ (دمشــق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م).

١٤- ابن بطوطة، محمد: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: محمد العريان، ج ٢، ط١ (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).

١٥- البصري، الحسن: **فضائل مكة والسكن فيها**، د.ط (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م).
١٦- البغدادي، أبو جعفر: **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط ١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
١٧- البغدادي، صفي الدين: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م).
١٨- البغدادي، عبدالقادر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج ١٣، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م).
١٩- البغوي، الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ج ٨، ط١ (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩ هـ).
٢٠- البكري، أبو عبيد الله: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج ٤، د.ط (بيروت: عالم الكتب، د.ت)
٢١- البلاذري، أحمد: **فتوح البلدان**، تحقيق: عمر الطباع، د.ط (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م).
٢٢- ٢٢.البندنيجي، أبو بشر: **التقفية في اللغة**، تحقيق: خليل العطية، د.ط (العراق: وزارة الأوقاف، ١٩٧٦م).
٢٣- البيهقي، أبو بكر: دلائل النبوة، ج ٧، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ).
٢٤- الجاحظ، أبو عثمان: **التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، ط ٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
٢٥- ابن جبير، محمد: **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).
٢٦- ابن جلجل، سليمان: **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
٢٧- الجوهري، أبو نصر: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج ٦، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)
٢٨- ابن الجوزي، جمال الدين: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج ١٩، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م).
٢٩- ابن حبان، محمد: **الثقات**، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ج ٩، ط ١ (حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م).
٣٠- ابن حبيب، محمد: **المحبر**، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، د.ط (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت).

٣١- ابــن حــزم، علــي: **جمهــرة أنســاب العــرب**، تحقيــق: عبد الســلام هــارون، ط٥ (القاهرة: دار المعارف، د.ت) .

٣٢- الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، ج ٥، د.ط (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧ م) .

٣٣- الحميري، محمد: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحســان عباس، ط ٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤ م).

٣٤- الحميري، نشــوان: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حســين العمري وآخرين، ج ١١، ط ١ (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).

٣٥- ابــن حنبــل، أحمد: **مسنــد الإمام أحمــد ابن حنبــل**، تحقيق: شــعيب الأرناؤوط وآخرون، ج ٥٠، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م).

٣٦- الحنبلي، أبو مفلح: **المبدع شرح المقنع**، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ج ٨، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م).

٣٧- ابن حوقل، أبو القاسم: **صورة الأرض**، د.ط (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م).

٣٨- ابن خردذابة، عبيد الله: **المسالك والممالك**، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩ م).

٣٩- الخزاعــي، علــي: **تخريــج الــدلالات السمعيــة علــى مــا كان في عهــد الرســول -صلى الله عليه وسلم- من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

٤٠- خســرو، ناصــر: **سفر نامــة**، ترجمــة: يحيى الخشــاب، ط ٢ (القاهــرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م).

٤١- الخوارزمــي، أبــو عبــد الله: **مفاتيــح العلــوم**، تحقيــق: إبراهيم الأبيــاري، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٩ م).

٤٢- أبــو داود، ســليمان: **سنن أبــي داود**، تحقيق: محمد الخالــدي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٤٣- ابن دريد، أبو بكر: **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج ٣، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

٤٤- الدمامينــي، بدر الدين: **مصابيح الجامع**، تحقيق: نور الدين طالب، ج ١٠، ط ١ (سوريا: دار النوادر، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م).

٤٥- الدمياطــي، محمود: **معجــم أسماء النباتــات الواردة في تــاج العروس للزبيدي**، د.ط (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م).

٤٦- الدينــوري، ابن قتيبة: **الجراثيم**، تحقيق: محمد الحميدي، ج ٢، د.ط (دمشــق: وزارة الثقافة، د.ت) .

٤٧- الدينوري، أبو حنيفة: **كتاب النبات**، تحقيق: برنهارد لفين، ج ٦، د.ط (فيسبادن: فرانز شتاينر فيسبادن، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م).

٤٨- الذهبي، شمس الدين: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج ٥٢، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).

٤٩- الرازي، أبو بكر: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥ (بيروت: المكتبة العصرية –الدار النموذجية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).

٥٠- الرجراجي، علي: **مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي وآخرون، ج ١٠، ط ١ (الرياض: دار ابن حزم، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م).

٥١- الرزوقي، أبو علي: **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

٥٢- ابن رسته، أحمد: **الأعلاق النفيسة**، د.ط (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣ م).

٥٣- الزبيدي، محمد: **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، ج ١٤، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م).

٥٤- الزركشي، شمس الدين: **شرح الزركشي على مختصر الخرقي**، ج ٧، ط ١ (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م).

٥٥- الزمخشري، أبو القاسم: **أساس البلاغة**، ج ٢، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٢٣٢.

٥٦- ابن زنجويه، أبو أحمد: **الأموال**، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ج ٣، ط ١ (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).

٥٧- ابن سعد، محمد: **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر، ج ١١، ط١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م).

٥٨- السكري، أبو سعيد: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستار فراج، ج ٣، د.ط (القاهرة: دار العروبة، د.ت).

٥٩- ابن سلام، أبو عبيد: **الأموال**، تحقيق: محمد عمارة، ط ١ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).

٦٠- السلمي، عرام بن الأصبغ: **أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).

٦١- السمعاني، أبو سعد: **الأنساب**، ج ٦، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م).

٦٢- ٦٢.السهيلي، أبو القاسم: **الروض الأنف**، تحقيق: عمر السلامي، ج ٧، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).

٦٣- ابن سيده، علي: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ج ١٠، ط ١ (١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).

٦٤- السيوطي، جلال الدين: **التوشيح شرح الجامع الصحيح**، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ج ٩، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).

٦٥- ابن شبة، عمر: **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم شلتوت، ج ٢، د.ط (جدة: د.م، ١٣٩٩ هـ).

٦٦- الشيباني، أبو عبدالله: **السير الصغير**، تحقيق: مجيد خدوري، ط ١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٥ م).

٦٧- الشيباني، أبو عمرو: **كتاب الجيم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج ٣، د.ط (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م).

٦٨- أبو شيبة، أبو بكر: **المصنف**، تحقيق: كمال يوسف، ج ١٦، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).

٦٩- الطبري، أبو جعفر: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ١١، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م).

٧٠- ابن عساكر، علي: **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ج ٣٧، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).

٧١- العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل عبد الموجود، ج ٨، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٧٢- العمري، ابن فضل الله: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج ٢٧، ط ١ (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣ هـ).

٧٣- ابن فارس، أحمد: **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج ٦، د.ط (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

٧٤- الفاكهي، أبو عبدالله: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق: عبدالملك الدهيش، ج ٦، ط٢ (بيروت: دار خضر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م).

٧٥- الفراهيدي، الخليل: **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج ٨، د.ط (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).

٧٦- الفيروز آبادي، مجد الدين: **القاموس المحيط**، ج ٤، د.ط (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م).

٧٧- الفيومي، أحمد: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٢ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٧ م).

٧٨- القرشي، أبو زكريا: **الخراج**، تحقيق: أحمد شاكر، ط ٢ (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٤ هـ).

٧٩- ابن قرقول، أبو إسحاق: **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر، ج ٦، ط١ (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢م).

٨٠- القزويني، زكريا: **آثار البلاد وأخبار العباد**، د.ط (بيروت: دار صادر، د.ت).
٨١- القفطي، جمال الدين: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م).
٨٢- القلقشندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، ج ١٤، ط١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ /١٩٢٢ م).
٨٣- ابن قيم، أبو عبدالله شمس الدين: **زاد المعاد في هدي خير المعاد**، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ج ٦، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .
٨٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: **البداية والنهاية**، ج ١٥، د.ط (بيروت: مكتبة المعارف، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .
٨٥- ابن كثير ، أبو الفداء : **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج ٤، د.ط (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م).
٨٦- الكلبي، ابن السائب: **الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط ٤ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠ م).
٨٧- ابن ماجه، أبو عبدالله: **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، د.ط (القاهرة: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت) .
٨٨- ابن المجاور، جمال الدين: **تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز)**، مراجعة: ممدوح حسن، د.ط (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦ م).
٨٩- الماوردي، أبو الحسن: **الحاوي الكبير**، تحقيق: علي معوض وآخرون، ج ١٩، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ /١٩٩٩ م).
٩٠- المقدسي، شمس الدين محمد: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٢ (ليدن: مطبعة بريل، د.ت).
٩١- الماوردي، أبو الحسن: **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد البغدادي، ط ١ (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .
٩٢- المرزوقي، أبو علي: **الأزمنة والأمكنة**، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ م).
٩٣- المعافري، سعيد: **الأفعال**، تحقيق: حسين شرف، ج٤، د.ط (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) .
٩٤- المقريزي، تقي الدين: **الأوزان والأكيال الشرعية**، تحقيق: سلطان المسمار، ط ١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م) .
٩٥- المقريزي، **رسائل المقريزي**، تحقيق: رمضان البدري وأحمد قاسم، ط١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).
٩٦- المكي، أبو الطيب: **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: نخبة من هيئة كبار العلماء، ج٢، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).

٩٧- ابـن المنــذر، أبــو بكــر: **الإشــراف علــى مذاهــب العلمــاء**، تحقيق: صــغير أحمد الأنصاري، ج ١٠، ط ١ (رأس الخيمة: مكتبة مكة الثقافية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م) .
٩٨- المنــاوي، محمد: **النقــود والمكاييــل والموازيــن**، تحقيق: رجاء الســامرائي، د.ط (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١ م).
٩٩- المنجم، إسحاق: **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، ط ١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ) .
١٠٠- ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، ج ١٥، ط ٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ).
١٠١- النحاســ، أبــو جعفر: **عمــدة الكتاب**، تحقيق: بســام عبد الوهــاب الجابي، ط ١ (ليماسول: الجفان والجابي للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).
١٠٢- ١٠٢.النــووي، محيي الدين: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج ١٨، ط ٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ).
١٠٣- ابن هشام، عبدالملك: **السيرة النبوية**، تحقيق: عمر تدمري، ج ٤، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م).
١٠٤- الهمداني، الحســن بن أحمد: **صفــة جزيرة العــرب**، تحقيق: محمد الأكوع، ط١ (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).
١٠٥- الهنــدي، عــلاء الدين: **كنز العمــال في ســنن الأقــوال والأفعــال**، تحقيق: بكري حياني وآخرون، ج ١٨، ط ٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .
١٠٦- الواقدي، أبو عبدالله: **المغازي**، ج٣، ط٣ (بيروت: دار الأعلمي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م).
١٠٧- ابن وحشــية، أحمد: **الفلاحة النبطية**، تحقيق: توفيق فهد، ج ٣، د.ط (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٥ م) .
١٠٨- أبو يوسف، يعقوب: **الخراج**، د.ط (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م).

ثانياً : المراجع العربية :

١- الأفغاني، ســعيد: **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط٣ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م).
٢- أنيســ، إبراهيــم، وآخــرون: **المعجــم الوسيــط**، ط٤ (القاهرة: مكتبة الشــروق الدولية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
٣- البســتاني، بطرس: **أدبــاء العرب في الجاهليــة وصدر الإســلام**، ط١ (القاهــرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م) ص ٢٣٦.
٤- ٤.البلادي، عاتق: **معجم معالم الحجاز**، ط٢ (مكة: دار مكة،٢٠١٠ م).
٥- جاســم، جاســم علي: **الألسنيــة التطبيقية مــن العصر الجاهلــي إلى العصــر العباسي نشأتها وتطورها وموضوعاتها**، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م).

٦- جبل، محمد: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ج ٤، ط ١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م).
٧- جرادي، علي: **المقادير الشرعية وضبطها بالمقادير العصرية على مذهب السادة الحنيفية**، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤٠ هـ)
٨- ابن جريس، غيثان: **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة (ق ١ هـ - ق ١٠ هـ / ق ٧ م – ق ١٦ م)**، ج٢، ط ١ (د.م: د.ن، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).
٩- الجودي، صالح: **الطائف بين الموروث والمستجدات**، ط١ (الطائف: دار الحارثي ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م).
١٠- الحسيني، باقر: **تطور النقود العربية والإسلامية**، ط ١ (بغداد: مطبعة دار الجاحظ، ١٩٦٩ م) .
١١- حمودة: عبدالحميد: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط١ (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م).
١٢- حمور، عرفان: **سوق عكاظ ومواسم الحج**، ط ١ (بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠٠٠ م).
١٣- حميد الله، محمد: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ط٦ (بيروت: دار النفائس ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
١٤- خلف، محمد: **تاريخ القبائل العربية في العصر الإسلامي منذ الفتح حتى القرن الرابع الهجري**، ط ١ (الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، ٢٠٢٠ م).
١٥- الخياط، عبدالعزيز: **مقاصد الشريعة وأصول الفقه**، ط١ (عمّان: البنك الإسلامي الأردني، ٢٠٠٠م) .
١٦- الرشيد، ناصر: **سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام**، ط١ (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٧ م).
١٧- الزبيدي، مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، ج ٤٠، ط١ (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
١٨- زيود، محمد: **مختارات في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية**، ط ١ (دمشق: دار طلاس، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م).
١٩- السوداني، صلاح: **الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام**، ط١ (عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٦ م).
٢٠- السيد، محمد قاري: **ملامح من التراث العمراني في محافظة الطائف**، ط١ (الطائف: اللجنة العامة للتنشيط السياحي، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م) .
٢١- السيف، عبدالله: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط١** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).

٢٢- شاهين، محمد: **تاريخ الموالي**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١ م).
٢٣- آل الشـيخ، نورة: **الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة في المدينة المنـورة في صدر الإسلام**، د.ط (جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠٣ هـ).
٢٤- صـادق، محمد: **دليـل الحج للوارد من مكـة والمدينة من كل فـج**، ط ١ (بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٣هـ / ١٨٩٦م).
٢٥- الصـويان، سـعد: **الثقافـة التقليديـة في المملكـة العربيـة السعوديـة (الحرف والصناعات)**، ج ١٢، ط ١ (الرياض: دار الدائرة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
٢٦- الطيـار، عبـدالله وآخرون: **الفقـه الميسـر**، ج ١٣، ط ١ (الرياضـ: مدار الوطن للنشر، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١).
٢٧- عرفة، محمود: **العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية وأهم مظاهر حضارتهم**، د.ط (القاهرة: دار الثقافة العربية، د.ت).
٢٨- أبـو العلا، محمـد: **جغرافية المملكـة العربيـة السعوديـة**، ج ٢، ط ٥ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦ م).
٢٩- علـي، جـواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسـلام**، ج ١٠ ، ط١ (بيروت: مكتبة العلم للملايين، ١٩٧٧ م).
٣٠- العلي، صـالح: **المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى**، ط ١ (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٢ م).
٣١- العمـري، أحمد: **الصنائـع والمهن في نجد والحجـاز في صدر الإسـلام والعصر الأموي**، ط١ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).
٣٢- العمـري، عبدالعزيز: **الحـرف والصناعـات في الحجاز في عصـر الرسول**، ط ١ (الرياض: دار إشبيليا، ٢٠٠٠م).
٣٣- القـاري، عبـد الحفيـظ: **رسالـة في أخبـار الطائـف**، تحقيـق: علـي عمـر، ط١ (القاهرة: نوابغ الفكر،١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).
٣٤- القصـير، عيسـى: **أحلـى اللطائـف في منتجـع الطائـف**، ط١ (الطائف: جامعة الطائف، ٢٠١٠م).
٣٥- القيسي، عاطف: **ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣ م).
٣٦- كدر، جورج: **معجم آلهة العرب قبل الإسلام**، ط١ (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٣م).
٣٧- المـترك، عمر: **الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية**، تحقيق: بكر أبو زيد، د.ط (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، د.ت).
٣٨- محمدين، محمد وآخرون: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية (الجزيرة العربية في عصـر الرسـول والخلفـاء الراشدين)**، تحرير: عبدالقـادر محمود وآخرون، ج٢، ط١ (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

٣٩- مرعـي، عيد: **معجم الآلهـة والكائنـات الأسطورية في الشـرق الأدنى القديم**، د.ط (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٨ م).
٤٠- المـزني، أبـو إبراهيم: **مختصـر المـزني**، د.ط (بيروت: دار المعرفـة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م)
٤١- معطـي، علي: **تاريخ العرب الاقتصـادي قبل الإسـلام**، ط١ (بيروت: دار المنهل اللبناني، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م).
٤٢- معلوف، لويس: **المنجد في اللغة والأعلام**، ط ١٩ (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت).
٤٣- الملاح، هاشـم: **الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م) .
٤٤- الملاح، هاشـم: **طبيعة الدولة الإسلامية (دراسات تاريخية في المفهوم والنظم والإدارة)**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩ م).
٤٥- منصور، حسن: **المجتمع العربي: بين التاريخ والواقع**، ط٢ (عمان: دار الأمواج، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م).
٤٦- مهـران، محمد: **دراسـات في تاريخ العـرب القـديم**، د.ط (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، د.ت).
٤٧- النابلسي، شاكر: **المال و الهلال**، ط١ (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢ م).
٤٨- النعيـم، نـورة: **الوضـع الاقتصـادي في الجزيـرة العربية في الفترة مـن القرن الثالـث قبـل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي**، ط١ (الرياض: دار الشـواف، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
٤٩- هارون، نبيل: **المعجم الوجيز**، ط ٣ (القاهرة: دار التحرير للطبع والنشر، ١٩٨٩ م).

ثالثاً : المراجع المعربة:

١- بيوتروفسـكي، م.ب: **اليمـن قبـل الإسلام والقـرون الأولى للهجـرة حتى العاشر الميلادي**، ترجمة: محمد الشعيبي، ط ٢ (صنعاء: الثريا للطباعة والإعلام والنشر، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م).
٢- قروم، نايقل: **اللبان والبخـور دراسة لتجارة البخور العربية**، ترجمة: عبدالكريم عبـدالله الغامدي، د.ط (الرياض: جامعة الملك سـعود للنشـر العلمي، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م).
٣- هنتسـ، فالـتر: **المكاييـل والأوزان الشرعيـة وما يعادلها في النظام المـتري**، ط ٢ (عمان: الجامعة الأردنية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م).
٤- بليايـيـف، أ.ي: **العـرب والاسلام والخلافة العربية في القـرون الوسطى**، ترجمة: أنيس فريحة، ط١ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣ م).

رابعاً : المجلات والدوريات:

١- التكريتــي، بهجت: الطائــف رافد من روافد الثقافة العربية والإســلامية، **مجلة الفيصل**، ع ٤ (الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

٢- الجابري، نزهة: قرى الطائف، ســماتها وأنماطها، **المجلــة الجغرافية العربية**، مج ٢، ع ٥٢ (القاهرة: الجمعية الجغرافية المصرية، ٢٠٠٨ م).

٣- الجــرو، أســمهان: طــرق التجــارة البريــة والبحريــة في اليمن القــديم، **مجلــة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، مج ٢، ع ٣ (عدن: دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩ م).

٤- ابــن جريس، غيثــان: تاريخ مخلاف جرش (عســير) خلال القرون الإســلامية الأولى، **مجلة بيادر**، ع ٢٤ (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٩٩٨ م) .

٥- الحفيظ، عماد: استخدام النباتات الطبية في مكافحة الآفات الزراعية و المنزلية، **مجلة المورد**، مج ٢١، ع ٢ (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٩٣ م).

٦- رضــوان، هنــاء: النقود الإســلامية القديمة، **مجلة الاجتهاد**، مــج ٩، ع ٣٤-٣٥ (بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، ١٩٩٧ م) .

٧- الساعاتي، عبدالرحيم: العلة الاقتصادية لتحريم ربا النسيئة والفضل، **مجلة جامعة الملك عبدالعزيز**، مج ٢٥، ع ٢ (جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م).

٨- السنيدي، صالح: سوق عكاظ، **مجلة رسالة المعاهد العلمية السعودية**، ع ١١ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - معهد الرياض العلمي، ١٩٩٢ م).

٩- السيف، عبدالله: الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، **مجلة الدارة**، مج ٧، ع ٣ (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٩٨٣ م).

١٠- صالح، ياسر: الآطام والحصون بجنوب الطائف: دراسة أثرية معمارية، **مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب**، ع ١٧ (القاهرة: الاتحاد العام للآثاريين العرب، ٢٠١٦ م).

١١- آل عبــدالله، الشــريف محمد: عيون الطائــف، **مجلة العرب**، مــج ٢٤، ع ٩-١٠ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٩ م).

١٢- العتيبي، ســعيد بن دبيس: طريق الحج البصــري: أهميته التاريخية والحضــارية، **مجلة الدرعية**، مج ٩، ع ٣٦ (الدرعية: الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م).

١٣- علي، جواد: مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج ٢، ع٣٦ (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

١٤- العمري، صقر: المناخ وزراعة العنب في الطائف، **مجلة الرسالة**، ع ٢٢٥ (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩٩م) .

١٥- أبــو غنيمــة، خالد: أنماط المعيشــة ودورها في تكوين التشــكيلات الاجتماعية في عصــور مــا قبل التاريــخ، **المجلة الأردنيــة للتاريــخ والآثار**، مــج ٤، ع ١ (عمان: الجامعة الأردنية، ٢٠١٠ م).

١٦- كمال، محمد: من تاريخ الطائف: وادي نخب وسكانه قبيلة وقدان، **مجلة العرب**، مج١، ع٦ (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٧ م).
١٧- مبارك، علي: الأوزان العربية، **مجلة المقتطف**، مج ١٧، ع ٧ (القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٣١٠هـ / ١٨٩٣ م).
١٨- مراد، بركات: مآثر العرب والمسلمين في ميدان الفلاحة والري وحرث الأرض ومكافحة الآفات، **مجلة الوعي الإسلامي**، س ٤٨، ع ٥٥٦ (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م).

خامساً : الرسائل الجامعية :

١- حيدر، بادية: **الخمرة في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، الجامعة الأمريكية في بيروت، ١٩٨٦ م.
٢- سعيد، محمد: **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول (٦٢٦-٨٥٨ هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤ م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٨ م.
٣- عامر، جمال: **الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ شبه الجزيرة العربية، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٥ م.
٤- العليان، خالد: **الأسواق التجارية في الحجاز واليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول (١-٢٣٢ هـ / ٦٢٢-٨٤٦ م)**، رسالة ماجستير منشورة، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
٥- الكناني، توفيق: **الطائف قبل الإسلام من الألف الأول ق.م حتى أوائل القرن ٧م**، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م.
٦- لعشوري، آمال: **الحرف والمهن في الدولة الإسلامية في العهدين النبوي والراشدي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م.

سادساً : المصادر والمراجع الأجنبية :

1. Herodotus: The History of Heradouts, translated by: A. Godly , Vol. II (London: 1928)
2. Dayton.J.: the problem of climate change in the arabian peninsula PSAS , Vol.5 (londonm,IA: 1975)



القسم الثالث

دراسات في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (ق ١٣ ـ ١٥هـ/ق ١٩ ـ ٢١م)



القسم الثالث

دراسات في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (ق ١٣ـ ١٥هـ/ق ١٩ـ ٢١م)

أولا : مدخل :

بلاد عسير ذات تاريخ غني في شتى الجوانب ، وفي هذا القسم ننشر ثلاث دراسات . **الأولى :** بلاد عسير في عيون بعض الرحالة الأوربيين خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، **والثانية :** صور من التاريخ الإداري في عسير خلال عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وجل مادة هذا البحث قامت على وثائق تاريخية لم يسبق نشرها . **والثالثة:** مدونة تاريخية حضارية عن عسير ، وبخاصة حاضرة أبها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) . وهذه المدونة من رجل شاهد وعاصر معظم المعلومات الموثقة في هذا المحور . **الدراسة الرابعة والأخيرة :** قراءة وتعليق على كتاب صدر عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) بعنوان: **تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (١٤٠٢ـ ١٤٢٢هـ/١٩٨٢ـ ٢٠٠٢م)**. وتم إنجاز هذه الدراسة من أستاذ في علم الجغرافيا ، لخص فيها أهم محاور ومحتويات الكتاب، وخرج ببعض النتائج والخلاصات في نهاية دراسته[1] .

---

(١) نحن لا ندعي الكمال فيما تم عرضه ونشره في هذه الدراسات ، لكنني أزعم أنها تحتوي على جديد في معلوماتها ومادتها التاريخية ، كما أنها قد تفتح آفاقاً أرحب لباحثين ومؤرخين مستقبلين يقومون بدراسة

ثانيـا : بـلاد عسير في عيون بعض الرحالـة الأوربيين خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، بقلم . أ.د. غيثان بن علي بن جريس

الحياة الحضارية الحديثة والمعاصرة في منطقة عسير ، أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . وكل هذه البلدان تستحق أن تدرس ويوثق تاريخها في شتى الجوانب التاريخية والمعرفية .

أولاً - المقدمة :

إن شبه الجزيرة العربية، جنوبيها بعامة، ومنطقة عسير بخاصة من المناطق التى عانت،عبر العصور الإسلامية، قصورا في تدوين تاريخها وتراثها٠ وذلك لعدة أسباب منها :

١. بعدها عن مواطن الحضارات الإسلامية في كل من الشام والعراق وفارس ومصر وبلاد المغرب وغيرها، فبعد خروج مقر الخلافة الإسلامية من شبه الجزيرة في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شابها فقر في تدوين تراثها وحضارتها٠
٢. إن صعوبة التضاريس في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية، مثل : منطقة عسير وما حولها، جعلها في معزل عن بقية بلدان العالم، مما جعلها منسية في أغلب كتب التراث الإسلامي خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة٠

أما وضع إقليم عسير في العصر الحديث والمعاصر فإنه أحسن حالاً من العهود الإسلامية السابقة، حيث بدأ الاهتمام بها من الناحية العلمية والفكرية، فظهر خلال القرنين الماضيين عدد من المؤرخين بدأوا الكتابة عنها وإبراز أهميتها السياسية والحضارية[1]، ولم يقتصر هذا الاهتمام على المراجع والمصادر العربية فحسب، بل ظهر بعض الأوربيين الذين أدرجوها ضمن بعض مؤلفاتهم[2]، ثم وفد بعض الرحالة الأوربيين إليها، فدونوا عنها كتباً لخصوا فيها رحلاتهم وتجاربهم ومشاهداتهم في تلك الربوع، وأحياناً سجلوا وجهات نظرهم عن تاريخ وآداب وحضارة إقليم عسير٠ ورغم أن بعض هؤلاء الرحالة الأوربيين جاءوا إلى منطقتنا المعنية بالدراسة لأهداف معينة، فإنهم بدون شك جمعوا لنا مادة علمية قيمة صورت لنا مظاهر الحياة في بلاد عسير خلال الفترات التي جاءوا فيها ٠ وسبب اختيارنا هذا البحث هو الشعور بأن ما

---

(١) حافظ وهبة ٠ **جزيرة العرب** ، ص٣٣ ، فؤاد حمزة ٠ في بلاد عسير، ص١٤٥، ٢٦٣-٢٦٩، محمود شاكر٠ **شبه جزيرة العرب**، ص١٤٢وما بعدها، يحيى الألمعي٠ **رحلات في عسير** ، ص٣٤ — ٣٥، هاشم النعمي٠ تاريخ عسير ، ص٤ وما بعدها٠

(٢) جاكلين بيرين٠ **اكتشاف جزيرة العرب** ، ص٢٥١ - ٢٧١ ٠

دونــه أولئـك الرحالة يحتاج إلى التوقف معه لكي نرى كيف رأوا إقليم عســير في فترات متباعدة، ثم إن كتبهم التي وصـلتنا تعتـبر حقيقة من المراجع الجيدة التى دونت تاريخ وحضــارة إقليم عســير في فترة لم يكن قد دُوِّن عنه الشــيء الكثير٠ ولهذا فقد قصرت دراســتي على الرحالة الأوربيين الذين وفدوا إلى منطقة عســير خــلال القرنين الثالث عشــر والرابع عشــر الهجريين (التاســع عشــر والعشــرين الميلاديين) ثــم دونوا عنها دراســات تم نشــرها وتداولها فيما بعد٠ وعند الاطلاع على سيرة أولئك الرحالة الذين توفرت فيهم صــفتا التجوال في منطقة عســير، ثم تدوين ما شــاهدوا في كتب مستقلة، وجدناهم ثلاثة هم[١] :

١. موريســ تاميزيه الفرنســي، الــذي ألف كتاباً بعنــوان : **رحلـة في بلاد العـرب [الحملة المصرية على عسيرعام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م)]**، ترجمة الدكتور/ محمد آل زلفة٠
٢. السيركيناهان كورنواليس، الذي ألف كتاب **عسيرقبل الحرب العالمية الأولى**٠
٣. سانت جون فيليبي، أو (عبد الله فيلبي) الذى سطر كتابا بعنوان **مرتفعات الجزيرة العربية** ٠

(*) هــؤلاء الرحالة الثلاثة هم محور حديثنا في هذه الورقة، وقد قسمنا خطة الدراسة إلى محاور أربعة هى على الترتيب :-

١. إعطاء فكرة عن المفهوم الجغرافي والسياســي لإقليم عسير خلال الفترة موضوع البحث " القرنين التاســع عشــر والعشــرين الميلاديين " ، وبذلك يتضح لنا المسار الذي نستطيع أن نتحرك من خلاله أثناء فترة أولئك الرحالة٠
٢. الإشــارة إلى نبذة تاريخية وسياسية لإقليم عســير خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين)٠
٣. ترجمة موجزة لهؤلاء الرحالة الأوربيين مع الإشارة إلى أعمالهم وظروف بعثهم إلى بلاد عسير٠
٤. دراســة نقدية تحليلية لكتب هؤلاء الرحالة التي تعرضت لمنطقة عسير، مع العناية بإجراء دراســة مقارنة بين ما دونه كل منهم، وتبيان أوجه الشــبه والاختلاف فيما بينهم٠ والخروج ببعض النتائج الهامة من وراء تلك الدراسة٠

ثانياً - مفهوم إقليم عسير :

حتى تتضــح لنا الصورة حول تســمية " عسير "، فإننا سوف نقدم نبذة يسيرة عن مفهــوم التســمية لهذه البلاد وعــن المترادفات لها المســتخدمة في أيامنا هــذه، كإقليم عسير، وبلاد عسير ،ومنطقة عســير، وعسير قصد الاختصار، والذى يتبادر للأذهان،

---

(١) موريس تاميزيه٠ **رحلة في بلاد العرب** ، ص٣١ ومابعدها ،

Sir Cornwallis. Asir, pp. 7 ff; Philby, Arabian Highlands, pp. 28 ff.

هل كانت عسـير معروفة للجغرافيين والمؤرخين الأوائل بهذا الاسـم ؟ فإذا كان الجواب بالنفـي، فكيف ظهرت هذه التسـمية، وما الدافع في إطـلاق التعميم عليها ؟ وهل حلت محل تسميات سابقة لها ؟

والثابـت في المصـادر الجغرافية والتاريخيـة، وكتب التراث الإسـلامي، عدم ذكر هذه التسـمية وبيان معالمها الجغرافية، باعتبارها وحدة مستقلة عن الحجاز أو اليمامة أو البحريـن أو اليمـن، والتي تعد إداريا تابعة لدار الخلافة بالمدينة المنورة، ثم دمشـق وبغداد أيام الأمويين والعباسيين.

وفي هذا الصـدد يشـير الهمداني (٢٨٠-٣٣٤هـ) في كتابه (صفة جزيرة العرب) إلى اسـم عسـير، ويذكر ما نصـه : " ويصـالى قصـبة جرش أوطان حزيمة من عنز، ثم يواطن حزيمة عن شـاميها عسـير، قبائل من عنز وعسـير يمانيـة تنزرت، ودخلت في عنـز، فأوطـان عسـير إلى رأس تية، وهى عقبة من أشـراف تهامة، وهـى أبها وبها قـبر ذى القرنـين فيما يقال عثر عليه علـى رأس ثلاثمائة من تاريـخ الهجرة، والدارة، والفتيحا، واللصـبة، والملحة، وطبـب، وأتانة، وعبل، والمغوث، وجرشـة، والحدبة، هذه أودية عسـير كلها..."[١] وفى موضـع آخر يذكر الهمداني مايلـي : " والدارة، وأبها، والحللة، والفتيحا، فحمرة وطبب، فأتانة والمغوث، فجرشـة، فالأيداع أوطان من عسير من عنز وتسمى هذه أرض الطود ..."[٢] .

والشيء المميز في هذه المعلومات التى أوردها الهمدانى، هو قدمها الذي يعود إلى بداية القرن الرابع الهجرى، وما عدا ذلك فإنها غير كافية في توضـيح تسـمية بلاد عسير، وإنما أوردها ضـمن عنوان عام سـماه "جرش وأحوازها" وبمعرفة موقعها من سياق الحديث في ذكر المواطن التى أشار إليها الهمدانى، تجدها تشغل مساحة صغيرة من مخلاف أو (إقليم جرش) الذى كان يشـمل أغلب أجزاء عسـير في أيامنا، ولم تكن عسـير في عهد الهمدانى تشـمل إلا جزءاً بسـيطاً، هـو الموقع القائمة عليـه الآن مدينة أبها وما حولها، أو ما يسـمى بمواطن قبائل عسير المعروفة باسم : بني مغيد، وعلكم، وربيعة ورفيدة، وبني مالك.

وبعد الهمدانى جاء العديد من الجغرافيين والرحالة المسـلمين فتعرضـوا لأجزاء من منطقة عسير دون تسميتها بهذا الاسم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : ابن خرداذبة، والأصطخرى، وابن حوقل، والإدريسى، والبكري، وياقوت الحموى، وابن جبير، وابن المجاور وغيرهم، فبعض منهم ذكر أقسامٍ شبه الجزيرة العربية بما فيها أجزاء من منطقة عسير وضـمها إلى بلاد الحجاز، وأحيانا يسـميها بعضهم بسلسـلة جبال الحجاز، خاصة القسم

---

(١) انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٦ .

(٢) المصدر نفسه .

الجبلي من السلسلة، وسميت كجزء من بلاد السراة، وأحياناً أخرى ينعتها بعضهم باسم السروات التي سميت بتسميات متعددة حسب أقسامها، ومنها : سراة جنب، وسراة عنز، وسراة الحجر، وسراة خثعم، وسراة دوس، وسراة بجيلة، ثم استمر في ذكر سروات أخرى حتى الطائف، وهذا التركيز من جانب بعض الجغرافيين، الذين أوردوا مسمى السروات، أوضح لنا مجموعة أسماء السروات التى تقع في إقليم عسير في عصرنا هذا، وهى سراة جنب (قحطان) ،وسراة عنز (عسير) ، وسراة الحجر (والمقصود بها بلاد بللحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو) وسراة خثعم (وهى أجزاء من بلاد بلقرن وشمران وخثعم) ، دون أن يرد ذكر اسم عسير على وجه الإطلاق في التسمية، وفي روايات أخرى ذكر مصطلح (مخاليف) أو (نواحي) ، كأن يقال مخلاف جرش، أو تبالة، أو نجران أو حلي وغيرها من المسميات دون ذكر مسمى عسير على تلك النواحي أو المخاليف[١] ٠

والواقع أن ما يشتمل عليه مصطلح إقليم عسير لم يكن معروفاً لدى المؤرخين والجغرافيين الأوائل، وإنما جميع الولايات الكبرى في شبه الجزيرة العربية (كاليمن والحجاز، واليمامة والبحرين) كانت تابعة لدار الخلافة الإسلامية في دمشق ثم بغداد، وكثيراً ما كانت تشمل الأجزاء الداخلية في بلاد تهامة والسراة، أو البلاد الواقعة بين مكة المكرمة والطائف شمالاً، وحواضر اليمن الكبرى جنوباً كانت كلها تخضع في بعض الأحيان لسلطة شيوخ القبائل المحليين في تلك الأجزاء، وقد نستنتج أن بلاد عسير وما حولها من المناطق لم تكن لها حدود سياسية ثابتة وإنما كانت تعتمد على المفهوم الجغرافي، فعسير لم تكن معروفة كوحدة جغرافية وإدارية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسطى، لكنها تمتعت باستقلال إداري دون غيرها من مناطق الجزيرة، وإن كان الأمر يتفق مع وحدتها الجغرافية في مأمن من الطامعين فيها من قبل حكام الإمارات المجاورة لها والتى أعلنت استقلالها إبان العصور الوسطى، وقد حاول بعض منها بسط سيطرتها عليها، لكن هذه السيطرة سرعان مازالت بسبب شدة مراس أهلها وأنفتهم، وعدم خضوعهم لغيرهم إلى جانب كثرتهم، ووعورة المنطقة وصعوبة مسالكها[٢] ٠

لقد ظهر اسم عسير كمصطلح سياسى وجغرافى في أواخر القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة، خاصة عند الكتاب الغربيين، ومنهم البريطانيون،

---

(١) للمزيد من التوضيحات عما ذكره الجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل عن بلاد عسير٠ انظر: ابن خرداذبة ٠ **المسالك والممالك** ، والاصطخري٠ **مسالك الممالك** ، وابن حوقل ٠ **صورة الأرض**، وابن جبير، **رحلة ابن جبير**، وياقوت الحموي٠ **معجم البلدان**، وابن المجاور٠ **تاريخ المستبصر**؛ علي عسيري ٠ **عسير**، ص٢٣ ومابعدها ؛ غيثان بن جريس "بلاد تهامة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل ٠٠٠" ، ص٧٣ ومابعدها٠

(٢) لمزيد من التفصيلات عن الإمارات التي ظهرت في اليمن والحجاز خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسطى ، ثم محاولة حكامها مد نفوذهم على بلاد عسير٠ انظر، **تاريخ مكة المكرمة** ، للسباعي ؛ **والمقتطف من تاريخ اليمن**٠ جمع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني٠

حيث كلفت الإدارة البريطانية القسم الجغرافي والمخابرات البحرية البريطانية، بإعداد بحث عن عسير يتضمن موقعها وحدودها، ومظاهر الطبيعة المختلفة، وأحوال السكان من حيث العادات وطرق العيش، إلا أن ذلك البحث لم يوضح حدود قبيلة عسير بالنسبة لبقية القبائل الساكنة في هذا الإقليم، لكنه أشار إلى أن اسم عسير اقتصر على التلال الرئيسة والمنطقة التي تعيش فيها قبائل بني مغيد، وعلكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة، وجميعهم يسكنون حول العاصمة أبها بمسافات متفاوتة، وحتى ذلك الحين لا تعرف تلك القبائل حدودا معروفة وثابتة لعسير[1] .

وتلي هذه الدراسة، دراسات عديدة، رسمت صورة أوضح للحدود الجغرافية للإقليم العسيري، فبعضها يشير إلى حدود عسير في نطاق محيط القبائل العسيرية الأصلية، وهى بنو مغيد، وعلكم، وبنو مالك، وربيعة ورفيدة، في حين أن هناك كتابات أخرى أضافت بلاداً أخرى إلى محيط القبائل السالفة الذكر، وأضاف آخرون بعض القبائل المجاورة والقريبة من بلاد عسير من الشمال فامتد إلى الليث وغامد وزهران وبيشة ومن الجنوب إلى ظهران الجنوب ونجران وجيزان. وهذا التباين نتج من الأحداث السياسية والعسكرية التى عاشتها منطقة عسير، فالإمارة في أبها امتد نفوذها إلى مناطق أبعد من المدينة نفسها، مما أسبغ عليها وعلى المنطقة المحيطة بها اسم عسير، وبهذا تم تحديدها وتسميتها بهذا الاسم ليشمل المنطقة الممتدة من زهران شمالاً إلى ظهران الجنوب جنوباً، بناء على المفهوم السياسى والتاريخي للمنطقة دون المفهوم الجغرافي[2] .

وخلاصة القول أن (عسير) لم تكن معروفة بهذا الاسم في العصور الإسلامية الوسطى، وإنما هو مصطلح حديث لم يتجاوز تاريخ ظهوره أكثر من قرنين ونصف القرن.

ثالثاً - نبذة تاريخية وسياسية عن إقليم عسير خلال القرنين ١٩ / ٢٠م

منذ السنوات الأولى في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وعسير بجميع قبائلها كانت تحكم عن طريق رؤساء القبائل المحليين، فكانوا أصحاب النفوذ في إدارة شؤون بلادهم التي عمت فيها الفوضى والخلافات المتعددة، وفي الوقت نفسه كانت قد ظهرت دعوة الإصلاح التى قام بها الشيخ /محمد بن عبد الوهاب في نجد، ثم انتشرت مبادىء تلك الدعوة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية، فلم يحل منتصف العقد الثانى من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) إلاّ وقد ظهر بعض المصلحين في بلاد عسير، كمحمد وعبد الوهاب أولاد عامر أبي نقطة اللذين انضما إلى دعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، فقاما بنشر مبادئها بين أهالي

---

(١) انظر : علي عسيري . عسير ، ص ٣٥ ؛ غيثان بن جريس . **صفحات من تاريخ عسير** ، جـ١، ص ٧-١١ .
(٢) المرجع نفسه .

عسـير، وعملا جاهدين على حكم البلاد العسـيرية، تحت مظلة الدولة السـعودية الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـ/١٧٤٤-١٨١٨م[١] ٠

وبعد عهـد أولاد أبي نقطة (١٢١٥-١٢٢٤هـ/١٨٠٠-١٨٠٩م)، تولى الإمارة في عسـير أحـد أبنـاء عمومتهـم ويدعى طامي بن شـعيب فواصـل سياسـة أبناء عامر أبـي نقطة في حكـم البلاد، إلا أن الظروف في عهده اختلفت عما سـبقه، وذلـك بظهور عدو جديد للدولة السـعودية، وهذا العدو كان متمثلا في والي مصـر التابع للدولة العثمانية، محمد علي باشا، الذي كلف من قبل الحكومة العثمانية في الآسـتانة، بأن يرسـل جيوشـه إلى شـبه الجزيرة العربية لمحاربة ابن سعود هناك، وعلى أثر ما جاء محمد علي من أوامر أرسل الجيوش إلى كل من نجد والحجاز وكذلك الأجزاء العسـيرية التى كان يحكمها طامي بن شعيب، فدارت معارك متعددة بين أهالي نجد والحجاز والبلاد العسيرية وبين جيوش محمد علي في الفترة مابـين (١٢٢٦هـ/١٨١١م-١٢٢٨هــ/١٨١٣م)، ولكن في عام ١٢٢٨هــ/١٨١٣م قرر محمد علي باشـا أن يذهب من مصر إلى شـبه الجزيرة العربية لكى يقود جيوشه بنفسه ضد ابن سعود ومن والاه، وعند وصوله إلى بلاد الحجاز اشتبك في حروب عدة مع القبائل والجيوش الموالية لابن سـعود، وكان من ضـمن تلك الجيوش قبائل عسـير التى كان يتزعمها ويقودها الأمير طامي بن شعيب، ومن أشد المعارك التي حدثت بين الطرفين معركة وادي بسل بأرض تربـة، جنـوب الطائف، في عام ١٢٣٠هــ/١٨١٤م، حيث هزمت فيها الجيوش الموالية لابن سـعود، ثم تعقب محمد علي باشـا بعدها القبائل العسـيرية متجها نحو الجنوب حتى وصل إلى مدينة أبها، فحاصـر طامي بن شـعيب بها حتى سـيطر عليها وقبض على الأمير طامي وأرسله إلى تركيا ليُقتل هناك، ثم بقي بمدينة أبها شهرين وعدة أيام استقبل خلالها شيوخ قبائل عسـير وأعيانها لتقدم له الولاء والطاعة[٢]، ثم غادر بعد ذلك بلاد عسـير راجعا إلى مصر بعد أن ترك بها حامية عسكرية عثمانية، لكن هذه الحامية التركية لم تستمر أكثر من ستة أشهر في حكم بلاد عسير، لأن أحد أبناء عم الأمير طامى بن شعيب، ويدعى محمد بن أحمد المتحمى، قام بثورة محلية اسـتطاع فيها أن يطرد تلك الحامية التركية ويسـيطر على البلاد، غير أنه لم يتمتع بنجاح ثورته إلا فترة لاتزيد عن العام، لأن جيوش محمد علي باشا ذهبت من الحجاز إلى بلاد عسير مرة ثانية فسيطرت عليها وأعادت الحامية التركية التى طردها محمد أحمد المتحمى إلى مقرها في حكم البلاد[٣]٠

---

(١) انظـر : علي عسـيري٠ **عسير**، صـ١٢١ ومابعدها ، النعمي٠ **تاريخ عسير** ، صـ١٣١ ومابعدها ؛ غيثان بن جريس ٠ **بلاد بني شهر وبني عمرو** ، ص٤٣ ومابعدها٠

(٢) النعمي ، **تاريخ عسير**، ص١٣٢ ومابعدها ، ابن جريس ، **بلاد بني شهر** ، ص٥٠-٥١ ٠

(٣) النعمي ، ص١٥٧-١٥٩، ابن جريس، **بلاد بني شهر**، ص ٥١؛ عسيري٠ **عسير**، ص١٢٤ ومابعدها٠

عندما لم يستطع محمد بن أحمد المتحمي التصدي لجيوش الأتراك، فر هارباً إلى منطقة جازان واتصل بأمير تلك البلاد حمود أبي مسمار (١٢١٦هـ/١٨٠١م-١٢٣٣هـ/١٨١٧م) طالباً منه العون في طرد الأتراك من عسير، بل رحب به ليستولى عليها، فكانت فرصة الأمير حمود حيث استطاع طرد الأتراك وسيطر على بلاد عسير في عام ١٢٣٢هـ/١٨١٦م، ثم خلفه في حكمها ولده أحمد بن حمود أبي مسمار، ثم وزيره الحسن بن خالد الحازمي[١] • ولكن جيوش الأتراك في الحجاز مع شريف مكة، محمد بن عبد المعين بن عون، لم تكن تتوانى في محاربة " أبي مسمار " في عسير ومحاولة إعادتها إلى حظيرة الدولة العثمانية، وفعلاً تم لها ما كانت تسعى إليه حيث استطاعت أن تسيطر عليها عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م•

كان الشريف محمد بن عبد المعين بن عون يتزعم الجيوش التركية التى استردت بلاد عسير من أيدي الحسن بن خالد الحازمى، الذي خلف أحمد بن حمود أبي مسمار في حكم البلاد، وهو الذي قبض على سلالة أسرة آل المتحمى وأرسلهم إلى مصر ليتم القضاء عليهم هناك، واستمر حكمه لبلاد عسير مدة أربع سنوات (١٢٣٤هـ/١٨١٨م-١٢٣٨هـ/١٨٢٢م) بعدها قام أحد رجال مغيد[٢] ويدعى سعيد بن مسلط المغيدى، فطرد جيوش الأتراك وقوات الشريف محمد بن عون وتمت سيطرته على بلاد عسير•

وامتد نفوذ الأمير / سعيد بن مسلط المغيدي تجاه الشمال فوصل إلى بلاد غامد وزهران، لكنه لم يدم طويلاً في الإمارة، فخلفه أحد أبناء أسرته ويدعى علي بن مجثل المغيدي، الذي عرف بنصرته للإسلام وخدمته له، وقد استطاع أن يتصدى للشريف ابن عون والأتراك لفترة من الزمن[٣] •

وفي عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م توفي الأمير/ على بن مجثل بعد أن أوصى بعائض بن مرعى المغيدي ليكون أميراً لبلاد عسير من بعده[٤] • لكن لم يكد عائض بن مرعي يتولى الإمارة، حتى قام الشريف محمد بن عون والقائد التركي في الحجاز أحمد باشا بشن هجوم على الأجزاء الواقعة جنوبي بلاد غامد وزهران فسيطرا عليها بعد أن كانت تحت نفوذ ابن مرعي المغيدي، وفي ظل هذه الظروف لم يستطع عائض بن مرعي رد هجومهما، لكنه عقد معهما اتفاقية في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م، تنص على أن تكون تنومة وبلاد بارق

---

(١) انظر تفصيلاً أكثر عن إمارة حمود أبي مسمار ومن خلفه على بلاد عسير• النعمي، ص١٥٩ مابعدها ، العقيلي ، **المخلاف السليماني** ، جـ١ ، ص٤٤٧ ومابعدها•

(٢) مغيد إحدى القبائل الكبرى في إقليم عسير•

(٣) ابن جريس• **بلاد بني شهر**، ص٥٢ •

(٤) انظر تفصيلات أكثر عن الأمير عائض بن مرعي وابنه محمد في كتاب ، **عاكش•الدر الثمين** ، ص٦ومابعدها، **عسيري**، عسير، ص١٦٠ ومابعدها•

من أرض بني شـهر هى الحدود الشـمالية لإمارته وبهذه الاتفاقية تكون الأجزاء الشـمالية من بلاد بني شـهر وجميع منطقة بني عمرو قد دخلت تحت حكم الشـريف محمد بن عبد المعين بن عون وأحمد باشـا التركى[١] ومن الواضح أن عائض بن مرعي لم يوافق على هذه الاتفاقية إلا لأسباب قد تكون داخلية، ومن المحتمل أنه أراد توطيد أوضاعه الداخلية وتقوية جيوشـه، ثم يعود لمحاربة الشـريف ابن عون، وهذا ما حدث بالفعل فلم ينصرم عام واحد بعـد تلك الاتفاقية التـى عقدها مع محمد بن عون وأحمد باشـا، إلا ونراه قـد عاود الكرة لمحاربـة جيوش الشـريف وأحمد باشـا، حتى اسـتطاع طردهم من جميـع المناطق الواقعة جنوبـي بلاد غامـد وزهران، وفي عام ١٢٥٣هـ /١٨٣٧م أرسـل القائد التركى أحمد باشـا جيشـا ليقابل جيوش ابن مرعى في بلاد غامد، فدارت المعارك بين الطرفين حتى انتصرت الجيوش العثمانية على جيش عائض بن مرعي الذي قتل وأسر منهم عدد كبير[٢] ٠

اسـتمرت أوضـاع بلاد عسـير وامتداداتها حتى حدود بلاد غامـد وزهران تحت حكم الأمـير عائض بن مرعى، وعند وفاته عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م تولى إمارة البلاد من بعده ولده محمد بن عائض بن مرعى الذي عقد مصـالحة مع شـريف الحجاز عبد الله بن محمد ابن عبد المعين بن عون، وافق فيها على التراجع عن السيطرة على بلاد غامد وزهران وأن يكتفى بحدوده الشـمالية عند بلاد شـمران[٣]، ولكنه عاد مرة فعزز من قواته في حاضرة أبها، ثم ذهب لمحاربة الجيوش التركية نحو الجنوب، واستطاع الوصول إلى الحديدة في اليمن والتي كادت تقع في قبضته، ولكن الحكومة العثمانية في الآستانة أمرت جيوشها في الحجاز بالتوجه إلى أبها والسيطرة عليها، وعندما سمع محمد بن عائض بالتجهيزات التي أعدتها الحكومة العثمانية عاد مسرعا إلى عاصمته أبها للدفاع عنها ووصلت في أثره الجيوش العثمانية عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م التي استطاعت الاستيلاء على أبها وتعقبت الأمير/ محمد بن عائض ومن كان معه حتى ألقت القبض عليه وتم قتله ووضع إقليم عسير تحت سيطرتها[٤] ٠

وهكذا دخلت بلاد عسـير بعد القضـاء علـى الأمير محمد بـن عائض تحت الحكم العثمانـى، وصـار يتـولى أمرها منذ ذلك الحـين وال تركي يقيم في حاضـرة أبها وتتبعه ثمانيـة مراكز في أجزاء مختلفة من إقليم عسـير[٥]، واسـتمرت البلاد العسـيرية ترزح تحت الحكم العثماني، الذي سـعى إلى نشر الفوضـى والسلب والنهب بين أفراد القبائل،

---

(١) عسيري٠ **عسير**، ص ١٨٨ ٠

(٢) المرجع نفسه ، ص١٩٣-١٩٧،١٩٥-١٩٨؛ النعمي ، **تاريخ عسير**، ص١٩٢-١٩٥ ٠

(٣) النعمي ، ص٢٠٤، ابن جريس٠ **بلاد بني شهر** ، ص٥٤ ٠

(٤) عسيري، عسير ، ص٢٧٩، ٣٥٦ ؛ الحفظي ، **تاريخ عسير**، ص٩٩ ومابعدها٠

(٥) انظـر عدد تلـك المراكز الإدارية في كتاب ٠ النعمي ، ص ٢١٦-٢١٧، محمود شـاكر، ص٢٢ ، ابن جريس ٠ **أبها حاضرة عسير** ، ص٥١-٥٥ ٠

بل ساعد على نشر الجهل ومحاربة كل من يسعى إلى التصدي للسيطرة التركية، سواء من أفراد القبائل ومشائخهم، أو من الأمراء المحليين، الذين كانوا يحاولون الحصول على الاستقلال والتخلص من السيطرة العثمانية وبقيت الأحوال في هذه البلاد على هذا الوضع حتى مجيء العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، حيث انسحبت الجيوش التركية من إقليم عسير، ومن أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى، وتركت الحكم للأمراء المحليين في البلاد[١] .

وفي عصر سيطرة القوات العثمانية على إقليم عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م) نجد الإمام الإدريسي الذي ظهر في صبيا بمنطقة جازان[٢]، وكان يسعى إلى مد نفوذه إلى البلاد العسيرية السروية والتهامية الممتدة من رجال ألمع جنوبا حتى بلاد غامد وزهران شمالا، وكل ذلك كان في الأعوام التى كان يتولى فيها الولاية في إقليم عسير الوالي التركى سليمان شفيق باشا (١٣٢٦-١٣٣١هـ/١٩٠٨-١٩١٢م)، وقد نجح الإدريسي في اقتطاع أجزاء من منطقة عسير، بل وصل به الطموح إلى أن يقضي على الأتراك في عسير ويسيطر على عاصمة ولايتهم في مدينة أبها فذهب إلى حاضرة أبها وحاصرها عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) لكنه لم يستطع إسقاطها لشدة مقاومتها، وكذلك لإرسال المؤن إليها من قبل الشريف حسين بن علي في الحجاز[٣]، وعندئذ رجع الإمام الإدريسي إلى مسقط رأسه في صبيا بمنطقة جازان، وبقى هناك حتى دخلت منطقة عسير تحت سيطرة الدولة السعودية الحالية عام(١٣٣٨هـ/١٩١٩م) ،ومنذ ذلك الحين وإقليم عسير جزء من أجزاء المملكة العربية السعودية،ولازالت مدينة أبها هى حاضرة منطقة عسير[٤] .

رابعا : - التعريف بهؤلاء الرحالة، وأعمالهم، وظروف مجيئهم إلى عسير :

إن هؤلاء الرحالة الثلاثة : تاميزيه، وكورنواليس، وفيلبي، هم الذين سيدور حديثنا عنهم، وعن أعمالهم، وخاصة مادونوه لنا عن إقليم عسير، وقبل أن نستعرض كتبهم التى وصلت إلينا عن منطقة عسير، فإنه من الأجدر التعرف على شخصياتهم، وخلفياتهم التاريخية، إلى جانب أعمالهم والظروف التى أدت إلى مجيئهم إلى إقليم عسير.

---

(١) للمزيد من المعلومات عن إقليم عسير خلال سيطرة الحكم العثماني عليها. العقيلي، المخلاف، جـ١، ص٥٢٦ ؛ النعمي، ص٢٠٨ ومابعدها، ابن جريس، **صفحات**، جـ١، ص٦٧-٩٠؛ ابن جريس "وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ). **مجلة العرب**، ص١٥٤-١٧٠ .

(٢) الإمام الإدريسي، هو :- محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي ولد في بلدة صبيا بمنطقة جازان عام ١٢٩٣هـ ، وتعلم على بعض علماء الصوفية في كل من مصر وليبيا والسودان، ثم رجع إلى مسقط رأسه في صبيا فلعب دورا أساسيا كبيرا في تلك المنطقة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . لمزيد من التفصيلات انظر :- محمود شاكر . **عسير**، ص٢٣٣-٢٤٦؛ النعمي، **تاريخ**، ص١٨٢ ومابعدها.

(٣) للمزيد انظر. النعمي، ص٢٢٤ ومابعدها ؛ الملكاوي، **العلاقة بين أمراء الأدارسة في عسير وأشراف مكة**، ص١٧ ومابعدها .

(٤) انظر ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ص١٤ ومابعدها .

ويجـب أن نعرف أن شـبه الجزيرة العربية، وخاصـة إقليم عسـير، ظل مجهولاً، وغير معروف، من لدن الأوربيين، إلى أن قام حاكم مصر محمد علي باشا بمد نفوذه إلى الجزيرة العربية في الفترة الممتدة (١٢٢٦هـ-١٢٥٦هـ/١٨١١-١٨٤٠هـ)، حيث كرس جهوده في إرسال العديد من الحملات إلى شبه الجزيرة العربية، وكانت منطقة عسير، من المناطق المستهدفة في تلك الحملات[١] ٠ وقد كانت فرصة ذهبية لبعض الأوربيين أن يسيروا مع تلك الحملات، ومن ثم اكتشـفوا ودونوا – أو دون بعضـهم – ملاحظاتهم خلال رحلاتهم مع تلك الحملات الغازية للجزيرة العربية[٢]، ومن هؤلاء الرحالة :-

١- موريس تاميزيه (M.Tamizia):

إن موريس تاميزيه أول أولئك الأوربيين الذين رافقوا حملة محمد علي باشـا على عسيرٍ عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م[٣]، ثم دون يومياته بشكل تفصيلي عن تلك الحملة بصفته كاتباً للبعثة الطبية التي كانت ترافق الحملة[٤] ٠

وإذا كان تاميزيه قد جاء في خدمة الطب مع حملة محمد علي باشا العسكرية على عسـير، فإننا لانملك تفصـيلات عن حياته الأولى في موطنه الأصلي وأول من ذكره لنا كقراء عرب البروفيسـورة جاكلين بيرين، ابنة بلده، وصـاحبة المؤلف المهم عن الرحالة الأوربيين الذين زاروا الجزيرة العربية[٥] ٠

ومـن خلال المادة العلمية المدونة في كتاب موريس تاميزيه نجده يجيب على سـؤال وجهه له أحد أعيان منطقة عسير حول عمره، فذكر له أنه يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة، وذلك في عام ١٨٣٤هـ، وبذلك نستنتج أن تاريخ ولادته كان في عام ١٨١٢هـ٠ ومن

---

(١) النعمي، ص ١٥٧-١٥٩، ابن جريس، **بلاد بني شهر**، ص٥٠-٥١ ٠

(٢) ويظهـر ذلـك واضـحاً في مؤلف الباحثة الفرنسـية (جاكلين بيريـن) والذي أطلقت عليه اسـم : **اكتشاف جزيرة العرب : خمسة قرون من المغامرة والعلم**، ص٥ ومابعدها٠

(٣) لقد سـبق تاميزيه أوربي آخر إيطالي يدعى جيوفاني فانتاني (Jiovanni Finati)، حيث كان يعمل في جيش نابليون بونابـرت، ثم سـاقه القدر إلى مصـر فعمـل في جيش محمد علي وذهب مع ابنه طوسـون إلى الحجـاز، وقد كان مع جيش طوسـون عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م) عندما التقى ببعض الجيوش العسيرية في القنفذة تحت قيادة الأمير/ طامي بن شـعيب العسـيري، وقد هزمت جيوش محمد علي ونجا منهم عدد كثير كان من ضـمنهم جيوفاني الإيطالي الذي أملـى مذكراتـه فيما بعد على تاجر بريطاني،وقد أورد في تلك المذكرات ماشـاهده، وما حدث له في خدمة الباشـا في الجزيرة العربية،وخاصـة ما حدث له ولجيش طوسـون مع الجيوش العسـيرية في القنفذة، وقد نشرت هذه المذكرات باللغة الانجليزية في لندن عام (١٨٢٨م)٠ كتاب تاميزيه المترجم (محمد ابن زلفة)، ص١٣ ٠

(٤) كان معه عدد من الفرنسيين الذين يقومون بمهنة الطب ومعالجة المرضى والجرحى في تلك الحملة ٠ وربما كان في أولئك الأوروبيين أو من جاء قبلهم أو بعدهم من قام بتدوين ملاحظاته ومشاهداته عن إقليم عسير أو غيره، ولكن تلك المدونات لم تصل إلينا، أو لم تكتشف بعد٠

(٥) انظر كتاب جاكلين بيرين٠ **اكتشاف جزيرة العرب**، ص٢٥١ - ٢٧١ ٠

الواضح أن موريس كان عنده إلمام إلى درجة ما باللغة العربية،وذلك يظهر واضحاً في حوارته مع بعض رجال منطقة عسير وأعيانها٠

أما الأعمال الفكرية لهذا الشاب الفرنسي، فيتضح لنا أنه زار الجزيرة العربية عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) وزار الحبشة في عام (١٢٥١هـ/١٨٣٦م)، وكتب عن رحلاته في هذين البلدين، ونشرت أعماله في باريس عن هذه الرحلات، ومع أهمية أعماله العلمية، إلاَّ أنه ظل من الرحالة المجهولين، ولم يحظ بالشهرة التى حظى بها أقرانه من رجالات عصره[١]، ربما بسبب حداثة سنه، أو ربما لأسباب أخرى لانعرفها[٢] ٠

٢- السيركيناهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwallis):

أما السيركيناهان كورنواليس الذي دون كتاب: "عسير قبل الحرب العالمية الأولى"، فلقد حاولت جاهداً معرفة شيء ما عن حياته والأسباب التى جاءت به إلى الجزيرة العربية، فلم أستطع العثورعلى مايفيد، وبمطالعتنا لدوائر المعارف، وقوائم المؤلفين والكتب المتنوعة لم نجد أي شيء يقترن بهذا الرحالة سوى هذا الكتاب الذي كان في الأساس تقريراً، سمح بطبعه في فترةٍ لاحقة٠ وهو نفس ما حدث لتقرير هوجارث (Hogorth) عن بلاد الحجاز، الذي طبع أيضاً في هيئة كتاب أصبح متداولاً بين القراء والباحثين[٣] ٠

وعلى أن كتاب كورنواليس (Cornwallis) من الكتب الأساسية المعتمد عليها في هذه الدراسة، فإن سبب خروجه في هيئة تقرير يعود إلى اهتمامات انجلترا بالشرق، حيث إن كورنواليس كان واحداً من رجالات المخابرات البريطانية، وقد أرسلته حكومته إلى منطقة عسير لدراستها من جميع الجوانب، وبالفعل جاء إلى المنطقة وتجول في أرجائها ثم دون هذا التقرير، ورفعه إلى المكتب العربي بالقاهرة (Arab Bureau)[٤] ٠

---

(١) هناك العديد من الرحالة الغربيين المشاهير الذين زاروا بلاد العرب خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ٠ لمزيد من المعلومات انظر٠ عبد الشافي عبد القادر٠ "الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين" ، ص٤٢١- ٤٣٦؛ محمد الصياد٠ "الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر"، ص ٤٣٧-٤٤٤ ٠

(٢) انظر تاميزيه٠ رحلة ، مقدمة المترجم / محمد آل زلفه ، ص١٦ ٠

(٣) انظر :

David George Hogarth. Hejaz before world WarI (Handbook) pp.8ff.

(٤) كان من المتعارف عليه أن المسؤولين البريطانيين عن الشرق كانوا ينتمون إلى فريقين ، فريق السياسيين والعسكريين المتمركزين بالقاهرة ويتبعون دار المعتمد البريطاني ، والذين أطلق عليهم اسم المدرسة المصرية أو مدرسة القاهرة، وفيما بعد اسم المكتب العربي ، وكان هذا الفريق يضم عدداً من الخبراء بالشؤون العربية مثل لورنس (Lawrence) وكلايتون (Clyton) و هوجارث (Hogarth)٠ وغيرهم ، أما الفريق الآخر فقد كان مركزه الهند وملحقاتها في الخليج، وتزعم هذه المدرسة سير كوكس (Sir Cox)،والكابتن شكسبير (Shakespeare)٠ورغم اتفاق المدرستين على أهمية الشرق ، وخاصة خلال الحرب العالمية الأولى، فإنه كان ثمة خلاف فيما بينهما٠ فبينما مدرسة الهند كانت تهتم في المقام الأول

٣- سانت جون فيليبي (H.St. J. Philby) :

أمـا رحالتنـا الثالـث في هـذه الدراسـة فهـو : هادي سـانت جـون بريجـر فيليبي (H.St.J.B.Philby) ، انجليزي الجنسـية ويدعى اختصـاراً جـاك أو (عبد الله فيليبي) والمولود في انجلترا عام ١٨٨٥م، والمتوفى عام ١٩٦٠م، فهو من معاصري أحداث القرنين الثالث عشر والرابع عشـر الهجريين، والتاسع عشر والعشرين الميلاديين. انخرط بداية حياته في وظائف عدة بالحكومة البريطانية، ثم قدم إلى شـبه الجزيرة العربية في اليوم السـابع عشر من تشرين الأول سـنة ١٩١٧م، حيث ذهب من البصرة إلى الأحساء ومنها اتجـه إلى الرياض، حيث اجتمع لأول مرة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سـعود، وقـد فصـل ذلك في كتابـه (أيام بـلاد العـرب Arabian Days) ، الذي قام بتلخيصـه الأستاذ/ خيري حماد في كتابه (عبدالله فيليبي قطعة من تاريخ العرب الحديث) ثم نشر في بيروت عـام (١٣٨١هـ/١٩٦١م).

ويختلف فيلبي عن موريس تاميزيه، والسـيركيناهان كورنواليس، بل يختلف أيضـاً عـن جميـع الرحالة الذين قدموا إلى الجزيـرة العربية في التاريخ الحديث والمعاصـر، وذلك لغزارة مؤلفاته عن شـبه الجزيرة العربية، بل نستطيع القول بأنه امتاز بالريادة في الكتابة التاريخية عن المملكة العربية السـعودية خاصة والجزيرة العربية عامة، وقد ذكر عنه الشيخ حمد الجاسر قوله :

" الحقيقة التي يجب أن تقال هي أن فيلبي أسـدى للجزيرة العربية يداً قصـر عن مدها إليها من سـواه "[1] . أيضـاً ذكـر جورج رنتـز (George Rentz) في حديثه عن فيلبـي "أنه أكـثر الغربيين إنتاجاً عن تاريخ هـذه البلاد[2] " ويقصـد بالبلاد، المملكة

بالعـراق وفارس ، كانت مدرسـة القاهـرة، التي رفع السـيركيناهان كورنواليس تقريره إليهـا، تهتم بقناة السويس وكل ما من شأنه حمايتها. إلى جانب ذلك فقد كانت مدرسة الهند تعتقد أنه باستطاعة الحلفاء، وبريطانيا خاصـة ، تحقيق النصـر في الحرب دون الاسـتعانة بالعرب ودون الالتجاء إلى إثارة العرب ضـد الترك وهذا الأمر الذي دعت إليه مدرسة القاهرة التي ينتمي إليها كورنواليس. وقد وجد أعضاء المدرسة المصرية ضرورة دراسة المنطقة دراسة مستفيضة من أجل التعرف على طبيعة المنطقة وسكانها وتركيباتها القبلية ومواردها الاقتصـادية، وهذا مانجح في تقديمه السـيركورنواليس، من خلال عمله عن عسـير قبل الحـرب العالميـة الأولى، والذي وضـع أساسـاً كتقرير مقدم إلى المكتـب العربي بالقاهرة لاسـتخدامه من خلال أعضـاء المكتب للتعرف على إقليم عسـير ، ولإعطائهم الفرصـة لإصدار أحكام صحيحة تتماشى مع المصـالح العليا للإمبراطورية البريطانية. وسـرعان ما أصـبح هذا التقرير بعد السماح بطباعته وتداوله أحد المصـادر الهامة للتعرف على التركيبة السـكانية لسكان منطقة عسـير وأوضاعها الحضارية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ومابعدها بقليل. للمزيد من التفصـيلات انظر: مديحة أحمد درويش ، **تاريخ الدولة السعودية خلال الربع الأول من القرن العشرين** ، ص١١١ ومابعدها.

(١) انظر، حمد الجاسر. " فيلبي: رحلاته في البلاد العربية " **مجلة العرب** (عام ٤٠٩-١٤١٠هـ) مج٢٤، ص١٠٥-١٠٨٠

(٢) جورج رنتز " فيليبي مؤرخاً للمملكة العربية السعودية " ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي. **مجلة الدرعية** (السنة الأولى ، عدد (٢) ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٦١ .

العربيــة السـعودية، منوهــاً في ذلك إلى أن السـبب في تلك الغزارة يرجع إلى حصــول فيلبــي على مؤهلات الكتابة التاريخية عن هذه البلاد ومن أهمها معرفته التامة بجميع نواحيهــا، فقــد عاش في شــبه الجزيــرة العربيــة متنقلا بــين ربوعها أكثر مــن أربعين عاماً، أي منذ أن وطئت قدماه أراضـيها لأول مرة عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م إلى وفاته عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م[١].

وإذا كان (عبد الله فيليبي) قد بدأ حياته العملية في خدمة الامبراطورية البريطانية كالكثـير مــن أبناء جلدته، إلا أنه بعد أن جاء إلى شــبه الجزيرة العربية، والتقى بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سـعود، ثم اعتناقه الإسلام صار عندئذ حميم العلاقة مع الملك عبد العزيز وبالتالي أصـبح من المقربين لدى الملك حتى إنه أرسـله في العديد من المهام الخاصــة بالدولة داخل البلاد وخارجها، وذكـر فيليبي الكثير من تلك المهام في مذكراته وكتبه ومقالته العديدة[٢].

وقــد ترك لنــا المؤرخ والرحالــة فيليبي العديد مــن المؤلفات والمقــالات المتنوعة في عناوينهــا وأطروحاتها، وجميعها دونت باللغة الرئيســة التي يتكلمها فيليبي، وهي اللغة الانجليزية، وبعضها قد ترجم إلى اللغة العربية، ومن تلك المؤلفات :

١. **كتاب "الجزيرة العربية" وقد نشرته (دار ارنست) في سنة (١٩٣٠م).**
٢. **كتاب "العربية السعودية" طبع في لندن سنة (١٩٥٥م).**
٣. **كتاب "العربية الوهابية" طبع في لندن سنة (١٩٢٨م).**
٤. **كتاب "قلب الجزيرة العربية" طبع في نيويورك سنة (١٩٢٣م).**
٥. **كتاب "الربع الخالي" طبع في لندن سنة (١٩٣٣م).**
٦. **كتاب "ملكة سبأ" طبع في لندن سنة (١٩٨١م).**
٧. **كتاب "تاريخ الحجاز المعاصر" طبع في لندن سنة (١٩٢٥م).**
٨. **كتاب "أرض مدين" طبع في واشنطن سنة (١٩٥٥م).**
٩. **كتاب "ثلاثة نقوش في حضرموت" طبع في لندن سنة (١٩٤٥م).**
١٠. **كتاب "النقوش في نجران" طبع في لندن سنة (١٩٤٤م).**

---

(١) المرجع نفسه، ص٦١ - ٦٣.

(٢) المرجـع نفسـه. انظر أيضـاً تفصـيلات أكثر عن سـانت فيليبـي في كتـاب اليزبيث مونـرو (Elezabeth Monroe) في كتابهـا الشـهير Philby Arabia. (فيليبي العرب) والذي طبع في عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٣٠٧-٣١٣. ومونرو نشـرت في كتابها هذا أوسع دراسة علمية شاملة عن فيليبي، وقد قابلته لأول مرة عام ١٩٣٨م، وفي سـبيل الكتابة عنه سـافرت إلى كل قطر عمل فيه مثل الباكستان والعراق والأردن ومصر وفلسطين ولبنان وجزيرة العرب مستخدمة ما تضمنته أرشيفاتها من معلومات عنه.

١١. كتاب " صفقات الزيت العربي " طبع في واشنطن سنة (١٩٦٤م)٠

١٢. كتاب " أيام عربية " طبع في لندن سنة (١٩٤٨م)٠

١٣. كتاب " أربعون عاماً في القفر " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٧م)٠

١٤. كتاب "الذكرى العربية " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٢م)٠

١٥. كتاب "مرتفعات الجزيرة العربية " طبع في نيويورك سنة (١٩٧٦م) ٠

وهناك كتب ومقالات أخرى عديدة لم نشـر إليها، والغالب على معظم الدراسـات التي دونها فيليبي تميزها بوفرة المعلومات الجديدة في محتوياتها وطريقة تدوينها، كما أن المشاهدة وتنوع الخبرة عند هذا الرحالة جعلته يصبغ كتبه وأبحاثه بصبغة يسودها العمـق في التحليل والتدوين حتى إننا نجده أحياناً يخوض في جزئيات وتفاصـيل دقيقة لا تتأتى إلاَّ لمن كان كثير الرحلة والتجوال، وكان شـاهد عيان لتلك التفاصـيل، ورغم أن جميع أبحاثه وموضـوعاته تدور حول الجزيرة العربية، فإنها تميزت – كما سـبق القول – بالتنوع[1]، ولذا سـوف نقتصر في هذه الدراسة على عرض المؤلف الخامس عشر من مؤلفاته، الآنفة الذكر، الموسوم بـ " النجود العربيـة " [Arabian Highlands] لأنه ركز في جزء جيد من هذا الكتاب على إقليم عسير، الذي هو موضوع دراستنا، وهذا الكتاب هو أحد الكتب التي سوف نناقشها فيما بعد مع كتابي تاميزيه وكورنواليس، ونقدم عنها في الصفحات التالية دراسة تحليلية نقدية٠

---

(١) ويذكر عن صفات فيليبي (Philby) أنه كان يطمع منذ ريعان الشباب في العظمة والشهرة، وكان ذا مواهب متعددة ، وقدرة عجيبة في مجالات عدةٍ كالإدارة والسياسة ، والتاريخ، والرحلات ، والآثار، وعلوم الطبيعة، والاقتصـاد والمـال، وكان يتقن كثـيراً من اللغات القديمـة والحديثة٠ وللمزيد من التفصـيلات عن حياته وأعماله انظر :كتاب فيليبي العرب، للأسـتاذه مونرو (الطبعة الانجليزية)، ص٣٠٥ ومابعدها ، كما انظر أيضاً : ج ٠د٠ نورتون " فيليبي رجل الجزيرة العربية " **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** (الكويت ، العدد الثالث ، جمادى الثانية ، ١٣٩٥هـ) ، ص١٥١-١٥٩ ٠

خامساً - دراسة نقدية تحليلية مقارنة لكتب الرحالة الثلاثة :-

١ - الدراسة التحليلية :

أ - الكتاب الأول :

رحلة في بلاد العرب (الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) للرحالة موريس تاميزيه الفرنسي . هذا الكتاب طبع لأول مرة باللغة الفرنسية في باريس عام (١٨٤٠هـ) ، وكان يقع في مجلدين في سبعمائة وثلاث وتسعين صفحة تحت عنوان : (Voyage en Arabie) (رحلة في الجزيرة العربية) ، يتكون الجزء الأول الذي يحمل عنوان التوقف في الحجاز (Sejour Dans Le Hedjaz) من (٣٩١) صفحة[1] ، أما الجزء الثاني وهو بعنوان : الحملة على عسير (Campagne D'Assir) فيتكون من (٤٠٢) صفحة، وهو الكتاب المعني في هذه الدراسة، وقد أعيد طباعته في فينا في عام (١٩٧٦م) ، وجاء في طبعته الجديدة - وهي مصورة من الطبعة الأولى - في مجلد واحد، أي طبع المجلدان في مجلد واحد من القطع الصغير[2] .

والجزء الثاني من كتاب تاميزيه، هو الكتاب الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث، وقد تولى ترجمته إلى اللغة العربية الدكتور/ محمد بن عبد الله آل زلفة الأستاذ المشارك في التاريخ الحديث بجامعة الملك سعود، وهذه النسخة المترجمة هي التي اعتمدنا عليها في دراستنا، فالكتاب في متنه الرئيسي، والمقدمات وقائمة المصادر والمراجع التي أوردها المترجم يقع في (٣٥٨) صفحة من القطع المتوسط، واشتملت العشرون صفحة الأولى من الكتاب على توطئة ومقدمة للمترجم أريد بها إعطاء فكرة عن الخلفية التاريخية للأحداث التي وقعت في عصر معلومات الكتاب، كما احتوت أيضاً على نبذة مختصرة عن مؤلف الكتاب وعن المترجم والظروف التي قابلته منذ بدأ في ترجمته إلى أن نشره باللغة العربية في مدينة الرياض عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) . ثم أخرج متن الكتاب في ستة عشر فصلاً ، وذيله بقائمة تضمنت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في إخراج هذه الترجمة. ويبدو أن الجزء الثاني في لغته الأصلية يقع في خمسة عشر فصلاً ، لكن المترجم أضاف له فصلاً آخر من نهاية الجزء الأول، الذي يخص إقليم الحجاز، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته مع إيضاح الأسباب التي دفعته إلى ذلك، فقال : (والكتاب في طبعته الأولى ينقسم إلى عدد من الفصول، يشتمل الجزء الثاني الذي بين يدي القارىء على خمسة عشر فصلاً ، أضفت إلى فصول هذا الجزء الفصل الأخير من فصول المجلد الأول حيث إنه يشكل بداية طبيعية لهذا الكتاب إذ

---

(١) انظر كتاب تاميزيه، **رحلة في بلاد العرب** ، مقدمة المترجم ، ص٢٠-٢١ .

(٢) المرجع نفسه .

تحدث فيه المؤلف عن أسباب المواجهات بين إمارة عسير ومحمد علي باشا، كما تحدث عـن الخلفيـات التاريخية والجغرافية لمنطقة عسـير وإمـارة أبو عريش، ولهذا أصـبح ذلك الفصـل يشكل الفصـل الأول من كتابنا هذا وأعيد ترتيب بقية الفصول على هذا الأساس، حيث أصبحت فصول هذا الكتاب في ترجمته العربية ستة عشر فصلاً)[١] ٠

وفي بقية الفصـول المدونة في الكتاب، أي من الفصـل الثاني إلى الفصـل السادس عشـر، نجد موريس تاميزيه يدون الأحداث السياسـية والحضـارية التي زامنت حملة محمد علي باشـا على عسـير، والتي انطلقت من مدينة جدة حتى الطائف، ثم سـلكت الطريـق التجاريـة المعروفـة في كتـب التراث والتـي تخترق السـفوح الشـرقية لجبال السـراة، مارة بالمحطات الرئيسة مثل تربة، ورنية، وبيشة[٢] حتى وصلت وادي شهران، واسـتولت على مدينة خميس مشـيط[٣]، ثم تحركت إلى أن وصلت مدينة أبها، حاضرة إقليم عسـير[٤] والحقيقة أن الرحالة تاميزيه يعد أفضـل من دون معلومات دقيقة عن إقليـم عسـير خلال تلك الحقبـة التي رافق فيها جيوش محمد علي باشـا إلى عسـير، حيث أورد تفصـيلات كثيرة عن طبيعة البلاد العسيرية وسكانها والقرى والقبائل التي مرت بها الحملة[٥]، إضـافة إلى ما أورده من الظروف السياسـية والاجتماعية والأثرية والاقتصـادية والعسـكرية التي صـاحبت الحملة منذ بداية انطلاقها من الطائف حتى وصـولها إلى أبها، ثم نهايتها التي تمت بتوقيع إعلان هزيمة قائدي الحملة أحمد باشـاً والشـريف محمـد بن عون مع أمير منطقة عسـير عائض بن مرعي[٦]، وقد تم أيضـاً توقيع وثيقة اعتراف من قادة الحملة أكدت على اسـتقلال إقليم عسير، وذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر عـام (١٨٣٤م)٠

وممـا يزيد من أهمية كتاب تاميزيه ما يسـده من نقصـ في معرفتنا التاريخية عن بعض الشخصـيات البارزة في المنطقة وأدوارها مـا كنا نعرف عنهم إلاّ النـزر القليل قبل هذا الكتاب مثل التعريف بالأمير دوسـري أبي نقطة، وسـلطان بن عبده شـيخ بني مالك عسـير وعلى الصعيري شـيخ بني سلول من بيشـة ،ورفيدي أحد شـيوخ بللسمر الذي لم نكن نعرف له ذكراً من قبل، وإلقاء مزيد من التفاصـيل على مكانة الشـيخ مشـيط شيخ شـهران ودوره البـارز في تاريخ عسـير٠ ناهيك عمـا أورده عن الأمـير عايض بن مرعي

---

(١) المرجع ، ص ٢١ ٠
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ ومابعدها ٠
(٣) المرجع نفسه ، ص٢٩٣ – ٣١٠ ٠
(٤) المرجع نفسه ، ص ٣١٣ – ٣٤٥ ٠
(٥) المرجع نفسه ، ص ٥٥ ، ٨٩ ، ١٠٧، ١٢٥، ١٤٥ ، ١٦٧، ١٩٣، ٢١٥، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٧١، ٢٩١، ٣١١ ٠
(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٤٨ – ٣٥٠ ٠

أمير عسير الذي تولى الإمارة عشية الإعداد لهذه الحملة ودوره البطولي والقيادي في الدفاع عن بلاده ومحاولة تجنيبها الصراع والحرب مع قوات محمد علي، وذلك من خلال مشروعاته المختلفة والمتكررة لطلب الصلح مع قادة الحملة وإصراره على رفض أي صلح لايضمن لعسير استقلالها ووحدة ترابها[١] .

هذا إلى جانب ما تعرض له هذا الكتاب أيضاً من صراع خفي بين قائدي الحملة أحمد باشا ومحمد بن عون وما يهدف كل منهما إليه من تحقيق أهداف سياسية على حساب الآخر، وأثر ذلك على مسار الحملة.

إن هذا الكتاب يكشف لنا جسامة معاناة أهلنا في عسير وضخامة ما تحمّلوه من أرزاء ومحن وتشريد وتقتيل، وتدمير للقرى وإحراق للمزارع، وقتل للأسرى، ومع ذلك ظلوا صامدين ما دام في صمودهم ضمانة لاستقلال بلادهم.

ولم يغفل المؤلف ما عاناه شباب مصر الذين غرر بهم محمد علي بل أخذهم قسراً من أحضان أمهاتهم ليسوقهم إلى قدرهم المجهول في متاهات الجزيرة العربية، وقد زودنا المؤلف بوصف مؤلم لما قاسوه من لوعة الغربة ومشقة السفر وهلع من مواجهة الأعداء حيث لم يكن أحد منهم يؤمن بالقضية التي زُج به في مواجهتها[٢] .

كما زودنا بمعلومات عن فرق جنود المغاربة التي كانت تُجند كجنود مرتزقة في جيش الباشا، ذهبوا إلى تلك الحرب تحت وطأة الديون ورغبة في تسديدها لمرابي تجار القاهرة، فنراهم يندفعون في سبيل الحصول على المغانم - لمواجهة الموت بشكل تدميري عنيف وبنفوس لا تعرف الرحمة ولا تقيم للمعايير الإنسانية أي حساب ؛ لأنها هي واقعة تحت نير الظلم والاضطهاد وطائلة الديون التي يتوجب عليهم سدادها بأي ثمن، يدفع ثمنها روحه، ويُزهق من أجلها روح من يقابله دونما شفقة أو رحمة[٣] .

وقد أشار المؤلف بأنه اعتمد في استقاء معلوماته على الحوار المباشر بينه وبين الأشخاص الذين التقى بهم وحاورهم فيما كان ينوي عمله أو محاولة معرفته لأمر من الأمور سواء كان ذلك الأمر يتعلق بتاريخ حادثة أو علاقة فئة بأخرى أو علاقة الإنسان بالمكان أو معرفة ظاهرة معينة جغرافية أو نباتية أو اجتماعية . وذكر أن هذه هي الطريقة المثلى لمن هو في مثل حالته غريب في ديار غريبة بالنسبة له[٤] .

---

(١) المرجع نفسه ، مقدمة المترجم ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

هذا بالإضــافة إلى أنه كان لصيق الصــلة ببعض كبار القوم والمشاركين في الحملة والعارفين بالظروف السياسية والاجتماعية والتاريخية لهذه البلاد، مثل الأمير دوسري أبي نقطة، والشــيخ علي الصعيري شــيخ بني سلول من بيشة وغيرهم من قادة وضباط وأطباء الحملة. فكان يسـتقي المعلومات السياسية المتعلقة بالحملة من المصادر الأولية - أي المشــاركين في صـنعها - هذا بالإضافة إلى شدة ودقة ملاحظته، ومتابعة تطورات الأحداث وتدوينها أولاً بأول[1] .

ب - الكتاب الثاني :

عســير قبل الحرب العالمية الأولى (Asir before World War I) للسير كيناهان كورنواليس . وهذا الكتاب تقرير دونه كورنواليس الذي كان ضــابطاً في الاســتخبارات البريطانيــة، وقــد طبع باللغة الانجليزية في هيئة كتيب صـغير الحجـم يقع في (١٥٥) صفحة، وتم نشره في مدينة كمبردج ببريطانيا عام (١٩٧٦م) . وهذا الكتاب على صغر حجمه يحتوي على سبعة عشر فصلا قصيرا شملت معلومات سياسية وحضارية جيدة عن منطقة عسير قبل الحرب العالمية الأولى. وهذه الفصول متنوعة في مادتها العلمية، فقد تصدر الكتاب خريطة توضح مواطن العشائر والقبائل في منطقة عسير أثناء مجيء كورنواليس إليها، وأما الفصــل الأول فتحت عنوان : المنطقة (Area) ويقع في صــفحة واحــدة تحدث فيهــا كورنواليس عن حدود إقليم عســير الذي ذكر أنــه يمتد من غامد وزهران شــمالاً إلى جازان ونجران جنوباً موضــحاً أجزاء عديدة في السهول الساحلية والســروية من تلك المنطقة[2] ، والفصــل الثاني جاء تحت عنوان التضــاريس (Relief) وأشــار فيه كورنواليس إلى طبيعة تضــاريس منطقة عســير موضــحاً بعض التفاصــيل لجبــال الســروات الممتدة مــن الجنوب إلى الشــمال مع التنويــه إلى المنحــدرات منها تجاه الشــرق والغرب . وفي الفصــل الثالث وعنوانــه : الخصــائص الطبيعية والمنــاخ (Physical Character and Climate) أشــار إلى مواســم سقــوط الأمطار وإلى أنواع الريــاح التــي تهب على منطقة عســير، كما اهتــم بذكر مواطن الخصــوبة والجدب في المنطقة، ويلاحظ من حديثه عن الخصــائص الطبيعيــة والمناخ أنه قد أطلع على كتاب تاميزيه لأنه استشهد به أكثر من مرة فيقول عن خصوبة وادي شهران نقلاً عن تاميزيه " إنــه الجوهــرة التي يطمع فيها كل الغزاة "[3]، كما يذكر عن تاميزيه أيضــاً " أنه من واقع تجربته عن قصف الرعد الشديد والأمطار التي تهطل في المنطقة المجاورة لخميس

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

(2) Cornwallis, Asir, pp. 5,7

(٣) تاميزيه ، ص٢٥٦ ، Cornwallis, p. 9

مشيط بشهر يوليو، فمناخ تهامة الذي يتعرض لرياح جنوبية غربية شديدة هو حار تماماً مثل منطقة الحجاز، ولكن من ناحية الماء فهو أكثر وفرة وغزارة ومن نوع أحسن، كما أن داخل المنطقة هو أبرد عموماً من الحجاز، وأما بالنسبة للعقبة والهضاب بصفتها أفضل وأحسن من مثيلاتها في الحجاز فإن مناخها معتدل ولكن المنحدرات الداخلية لسلسلة الجبال التي لها امتداد شمال شرقي فإن فصل الشتاء فيها شديد نسبياً مع ظهور صقيع ليلاً بشكل عادي"[١]. أما الفصل الرابع فيناقش فيه عنصر السكان (Population) ، حيث يذكر مركز القوة والثقل السكاني في إقليم عسير فيشير إلى أن المنطقة الجبلية الممتدة من زهران وغامد شمالاً حتى شهران وقحطان جنوباً تعد أكثر البلاد سكاناً وأقواهم عدداً وعدة، كما أنه نوه إلى مصادر الرزق لهؤلاء السكان فكانت الزراعة بالدرجة الأولى إلى جانب الرعي والتجارة، كما ذكر أن غالبية السكان كانوا يتبعون المذهب الشافعي، في حين أن هناك من كان على المذهب الحنبلي اقتداءاً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٢]. أما الفصل الخامس فخصصه للحديث عن بعض الأدوات والصناعات المنزلية التي كان يحترفها أهل المنطقة ويستنتجون موادها الأولية من الطبيعة، وتلك الصناعات متنوعة مثل : الصناعات الحجرية والفخارية، والصناعات الخشبية، والصناعات الحديدية، والصناعات الجلدية وغيرها[٣]. وفي الفصلين السادس والسابع يتحدث كورنواليس عن الزراعة والثروة الحيوانية ويذكر توفر هذين المصدرين في منطقة عسير وخاصة في المناطق الجبلية الممتدة من زهران إلى قحطان، ولا تخلو الأجزاء الشرقية والغربية لجبال السروات من مواطن زراعية وأماكن رعوية[٤]. وفي الفصل الثامن يدون لنا كورنواليس معلومات قيمة عن النشاط التجاري في إقليم عسير، فيذكر نشاط الواردات إلى عسير عن طريق البر والبحر، كما يشير إلى حركة التصدير من منطقة عسير إلى خارجها، ولم يغفل عن ذكر أهم المراكز التجارية الداخلية في المنطقة، وشهرة أسواقهم الأسبوعية[٥]. وفي الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر يستكمل كورنواليس تقريره بالحديث عن العملات المستخدمة في منطقة عسير أثناء مجيئه إليها، فذكر أنهم كانوا يتعاملون بالقروش التركية، والريال الفرانسي، وجنيه الذهب الإنجليزي، إلى جانب التعامل أيضاً بالمقايضة[٦]. كما ناقش الأوزان والمقاييس المستخدمة آنذاك فذكر من الأوزان والمكاييل الأقة

(1) Cornwallis , p. 10.
(2) Cornwallis , p. 10.
(3) Ibid,p. 11
(4) Ibid, p. 15
(5) Ibid, pp. 17 - 18
(6) Ibid, pp. 19-20

والمـد والصــاع، والكيلة، أما المقاييــس فذكر الركيب والفلج [١]، كمــا قدم لنا معلومات هامــة عن الضـرائب التي كانــت تجبى على التجار ســواء من البر أو البحــر، فأما من جهــة البحــر فكانت بعض الســلع تدخل إلى عســير عن طريق منطقة جــازان التي كان أغلبها تحت ســيطرة الإدريســي الذي كان له ضــباط جمارك في جميع الموانىء لجباية الضــرائب، وقد وضح كورنواليس النسب التي كان يجبيها الإدريســي[٢]، وكذلك منطقة القنفذة وما حولها كانت تحت النفوذ التركي، والأتراك بدورهم يجبون ضــرائبهم على التجار الذين يأتون من تلك النواحي[٣] ٠ أما إقليم عسير الممتد من زهران إلى قحطان فكانت عبارة عن منطقة مســتقلة في عصر كورنواليس، وكان سكان هذه البلاد يدفعون الضــرائب لشــيوخهم ورؤســائهم، فهم يسوســونهم ويحمونهم[٤]، وفي الفصــل الثاني عشــر الذي وضــع له كورنواليس عنواناً أســماه : التاريخ المعاصــر والسياسة الحاضرة (Recent History and Present Politics) أشــار فيه إلى أن إقليم عســير في عصره لم يكن وحدة واحدة وإنما كان ينقسم من الناحية السياسية إلى أربعة أقسام هي :

١. النواحــي المســتقلة متمثلة في بعض العشــائر والقبائل البدوية التــي تعتمد على الترحــال من مــكان لآخر بحثاً عن الماء والكلأ لرعي مواشــيها، وهذه العشــائر توجد في أجزاء عديدة من جبال الســروات الممتدة من غامد وزهران شمالاً إلى قحطان جنوباً[٥] ٠
٢. الأجزاء الشمالية من منطقة عسير، مثل بلاد زهران وغامد ورجال الحجر (بنو عمرو، وبنو شــهر، وبللسمر وبللحمر) وشهران، وخاصة المراكز الحضارية فيها، كانت تتبع شريف مكة، أثناء الفترة التي دون عنها كورنواليس تقريره [٦] ٠
٣. أما الأتراك فلم ينجحوا في إخضــاع منطقة عســير، وإنما كان لهم فقط ســلطة مزعومة في مينــاء القنفذة والمدن الداخلية مثل : بارق ومحايل وأبها مع منطقة صغيرة تحيط بكل منها،ونفوذ متقطع على الطرق الواصلة بينها[٧]٠
٤. أما بقية إقليم عســير، وخاصة الأجزاء الغربية من السروات، والسهول التهامية

---

(1) Ibid, p. 21

وللمزيد من التفصــيلات انظر عســيري، عســير، ص٤٠٧-٤١٠، غيثان بن جريس٠ **عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية**، ص١٨١-١٨٧ ٠

(2) Cornwallis, p. 21
(3) Ibid, p. 23.
(4) Ibid, p. 24.
(5) Ibid, pp. 24-5.
(6) Ibid, p. 25.
(7) Ibid, p. 25.

المتـدة من صـبيا وبيش جنوبـاً إلى محايل وبارق فكانت تحت سـيطرة السـيد الإدريسي الذي كان مقره في مدينة صبيا من منطقة جازان[١] .

وفي الفصـل الثالـث عشـر المـدون تحـت عنـوان : التنظيـم العسـكري ومـوارده (Recent of Organization and Recources) يتحـدث كورنواليـس عـن الإمكانات العسـكرية عند كل من الأتراك والإدريسي، فقد عَدَّد الفرق والقوات العسكرية التركية التـي كانت تتمركـز في مناطق مختلفة بـين القنفذة وأبها، كما أوضـح سـعى الأتراك للحصـول على دعم بعض القبائل المجاورة أو القريبة منهم[٢] . أما الإدريسـي فيذكر المؤلف أن جيشه كان يتألف من خمسمائة مقاتل سوداني تم تجنيدهم من القرى الواقعة حول عاصمته صبيا ويستخدمون شرطةً أو حرساً خاصاً للإدريسي في الأوقات العادية، أما في الحرب فكان يعتمد على رجال القبائل الموالية له، وغالبيتها في الأجزاء التهامية والسفوح الغربية لجبال السراة الواقعة بين صبيا جنوباً ومحايل شمالاً[٣] .

أما الفصـل الرابع عشر، فقد خصصـه كورنواليس لحصر القبائل والعشائر التي تعيشـ في منطقة عسـير أثناء ذهابه إليهـا قبل الحرب العالمية الأولى، وقد قسـم هذا الفصـل إلى جزئين، الجزء الأول سـماه (قبائل السـهل السـاحلي) من الليث شـمالاً إلى صـبيا وجازان جنوباً[٤] . والجزء الثاني، ذكره تحت اسـم " قبائل عسير الداخلية المتـدة من زهران شـمالاً إلى بـلاد قحطان وظهران جنوباً[٥] ، والميـزة التي انفرد بها كورنواليس في هذا الفصـل أنه أورد معلومات قيمة عـن موقع كل قبيلة في تلك الأجزاء التي أشـار إليها، كما أشار إلى المهن والحرف المختلفة التي كان يمتهنها سكان كل قبيلة وتـوزع ولاء القبائل بين القوى السياسـية الموجودة آنذاك، وهي الأتراك، وشـريف مكة، والإدريسي، أيضاً أورد أسماء شيوخ بعض القبائل، وكذلك عدد سكان أغلب القبائل التي دونها في تقريره، مع العلم أن معلوماته عن أعداد السكان غير دقيقة لأنه اعتمد في جمع معلوماتـه على رواة محليين، وهذا مما يجعل الأخطاء واردة في ذكر أرقام تخص تعداد السـكان وذلك لجهل بعض الرواة أو تعصب بعضـهم لعشيرته، فقد يذكر أحياناً أرقاماً خيالية حتى يظهر عشيرته بمظهر القوة والبأس، وأحياناً يذكر أرقاماً قليلة حتى لاتظهر قبيلة الراوي كبيرة في عيون الآخرين وخاصة الأعداء، فبالتالي يحسدونها أو يعدون لها

(1) Ibid, p. 25-6.
(2) Ibid, p. 26 .
(3) Ibid, p. 26 .
(4) Ibid, p. 30 .
(5) Ibid, pp. 32-

العدة في أيام الحروب والغزو[١]. كما دون كورنواليس معلوماتٍ أخرى قيمة تتعلق أحياناً بالأوضــاع الاقتصــادية أو الاجتماعية لكل قبيلة فنجده أحياناً يشـير إلى أنواع مصــادر الرزق عند القبيلة، أو إلى بعض العادات والأعراف والتقاليد المتنوعة مثل عاداتِ الأعيادِ والمآتم والزواج، وكذلك عادات الطعام والشـراب واللباس والزينة . أيضــاً أشار أحياناً إلى بعض المراكز الحضــارية في تلك القبائل مثل : القنفذة، ومحايل، وصــبيا، وخميس مشــيط، وبيشــة، وأبها، والنماص وغيرها، فذكر بعض الميزات التي كانت تتميز بها تلك المراكز، وأهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في منطقة عسير[٢] .

أمــا الفصــل الخامســ عشــر ودونــه كورنواليــس تحــت عنــوان : الشخصــيــات (Personalties) ، ويُعد هذا الفصل من أنفس الفصول في كتاب كورنواليس، فقد حصر فيه أكثر من مائة وثلاثين شخصــية في إقليم عســير ومعظمهم شيوخ وأعيان قبائل إقليم عســير في عصره، وقد امتازت معلومات هذا الرحالة أنه ذكر الاسم لكل شخصية ترجم لها، وذكر المكانةِ الاجتماعية لتلك الشخصيات المترجم لها، مع إيرادٍ الصفات الشخصية والخلقية أحياناً لبعض الشخصيات الواردة في هذا الفصل، وأحياناً يذكر شخصيات لها ثقل ووزن في صنع السياسة بمنطقة عسير مع الإشارة إلى علاقاتهم مع القوى السياسية داخل منطقة عسير وخارجها ومن أهم تلك الشخصيات بعض شيوخ القبائل والأمراء في إقليم عسير مثل : أسرة آل عائض في أبها، وآل مشيط في بلاد شهران، وابن دليم في بلاد قحطان وغيرهم كثير[٣] .

وأما الفصــلان السادس عشر والسابع عشــر فقد خصصهما للحديث عن الطرق والمواصــلات، وذكــر كورنواليس في مقدمة الفصــل الســادس عشــر وعنوانــه: الطرق والمواصلات(Roads and Communication) أنه :- " لايوجد طرق معبدة في عسيرٍ، وهذه الطرق تســلك دائماً الخط الأقل مقاومة والأســهل عبر البــلاد الجبلية وكثيراً ما تكــون قريبــة من مصــادر المياه. وما عــدا طريق أبها - بيشــة التي اجتازهــا الرحالة تاميزيــه في عام (١٨٣٤م)، فلم يتعرض أي أوربي لوصــف تلك البــلاد وإعطاء أهمية للطرق المشــروحة بالتفصــيل في هذا الكتاب "[٤] . وقد أشار الرحالة إلى انعدامٍ الأمن في طرق عسير والتي أعطانا قائمة بأسمائها، فذكر عدد خمسة عشر طريقاً هي :

١. أبها - الدرب
٢. أبها - صبيا

---

(1) Ibid, pp. 44-83.
(2) Ibid, pp. 32 ff.
(3) Ibid, pp. 32 ff.
(4) Ibid, pp. 84 ff.

٣. أبها – ظهران (طريق السلطان)
٤. أبها – بيشة
٥. أبها – الطائف (طريق السلطان)
٦. أبها – محايل (عبر وادي تيه) ٠
٧. أبها – محايل (عبر الشعبين)
٨. أبها – الوهلة ٠
٩. محايل – تنومة
١٠. محايل–القنفذة (عبربارق) ٠
١١. محايل – القنفذة ٠
١٢. محايل–نقطة حلي
١٣. محايل – البرك٠
١٤. الليث – وادي العين
١٥. تنومة – سوق العجمة٠

وقد أجاد كورنواليس في حفظ هذه المعلومات لنا عن الطرق البرية الداخلية في منطقة عسير، مع العلم أنه لم يكتف بتعدادها كما دوناها أعلاه، وإنما ذكر معظم المحطات الواقعة بين مكان وآخر على طول تلك الطرق، مع الإشارة إلى بعض التفصيلات الاجتماعية والاقتصادية الجيدة، كذكره لطبقات السكان في بعض المواقع أو أحوال الزراعة أو التجارة، أو السلبيات أو الإيجابيات لكثير من المحطات التي تقع على طول تلك الطرق التي أورد ذكرها[1] ٠

جـ - الكتاب الثالث :

وعنوانه " مرتفعات الجزيرة العربية " (Arabian Highlands) لمؤلفه سانت جون بريجر فيليبي أو " عبد الله فيلبي "كما عُرف بالمنطقة العربية، وقد طبع الكتاب باللغة الإنجليزية بمطبعة جامعة كورنل أثاكا في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦م ٠ ويقع في (٧٧١) صفحة من القطع المتوسط، وقامت على نشره جمعية الشرق الأوسط في واشنطن،دي٠سي(Washington, D.C.) ٠

وقد اعتمدنا على هذه الطبعة في الدراسة التي بين أيدينا، علماً بأن هناك طبعة سابقة على هذه الطبعة، وهى الطبعة الأولى الصادرة عام ١٩٥٢م ٠ ونجد في بداية الطبعة المعتمدة في دراستنا مقدمتين إحداهما مؤرخة بعام ١٩٤٤م، والثانية ترجع إلى

(1) Ibid, p. 104.

عــام ١٩٥١م، أمــا المقدمــة الأولى فيبدو أن فيليبــي قد دونها أثنــاء انتهائه من جمع ثم تدوين معلومات هذا الكتاب، وقد أشــار فيها إلى فضــل جمعية الشرق الأوسط السالفة الذكر لقيامها بالدعم العلمي له، وتكلفها بنفقات نشر كتابه هذا٠ كما نلاحظ أنه نوه في ذات المقدمة إلى أهمية كتابه وكونه من أفضــل الكتب الأجنبية التي صنفت عن النصف الجنوبي الغربي من البلاد الســعودية، ونحن نوافقه القول لما احتوى عليه هذا المصــنف مــن معلومات متنوعة وقيمة يندر وجودهــا في مرجع آخر تناول هذا الجزء من الجزيرة العربية خلال الفترة الزمنية نفسها وهي العقد الرابع من القرن الميلادي الحالي[١] ٠

أمــا المقدمة الثانية المؤرخة بعام ١٩٥١م، فليســت ســوى تكملة للمقدمة الســابقة، وقد أشار فيها إلى مرور سبع سنوات على كتابة مقدمة الكتاب الأولى وتوضح أنه خلال تلك الســنوات بدأت أوضــاع البلاد الســعودية في التحســن والنمو، وأنه يتنبأ بمستقبل مشــرق لهذه البلاد، كما ينوه إلى تطور العلاقات السياسية والحضارية بين الحكومتين السعودية والأمريكية، ويوضح تركيز الأمريكيين في دراساتهم وبحوثهم الأكاديمية على شبه الجزيرة العربية[٢] ٠

وهذا الكتاب الضــخم، موضــوع الدراســة، رحلة قام بها عبد الله فيليبي من بلدة الســليل في أسفل وادي الدواسر، وذلك بعد الانتهاء من رحلته في الربع الخالي، والتي فصلها في كتابه:- الربع الخالي (The Empty Quater) الذي صدر في لندن عام (١٩٣٣م)٠

وانطلاقة فيليبي في هذه الرحلة من بلدة السليل كان في ١٩٣١/٣/١٤م، وقد أشار إلى ذلك في بداية الفصل الأول من كتابه الذي قسمه إلى ستة أبواب تحتوي على ثلاثة وثلاثين فصلاً[٣] ٠ ففي الباب الأول الذي وضعه تحت عنوان :- استهلال (Prelude)، ناقش فيه ثلاثة فصــول هي : ما بعد الربع الخالي، ووادي بيشــة، وطريق الفيل[٤] ٠ أما البــاب الثاني، فســمــاه : الــوادي الثلاثـــي (The Triple Valley)، وتحــدث فيه على امتداد ســبعة فصول عن، مخيم الملك، الخرمة، رنية، بيشة، خميس مشيط، مرتفعات عســير، وادي تثليث[٥]، وهذا الباب خاصة سوف يكون موضوع دراستنا لأنه شمل جزءاً كبيراً من إقليم عســير في عصــر فيليبي٠ أما الأبواب الأربعة الأخرى فهي خارج نطاق إقليــم عســير، حيــث كان البابان الثالث والرابع عــن بلاد يام ونجــران[٦]، أما البابان

(1) Ibid, p. 107.
(2) Ibid, pp.107 ff.
(3) Philby, Arabian Highlands, pp. Vii ff
(4) Ibid, p. VIII.
(5) Ibid, p. 3.
(6) Ibid, pp. 3-41.

الأخيران الخامس والسادس فقد ركزهما فيلبي على المرتفعات والمنخفضات التهامية، وخاصة منطقة جازان وما حولها، وكذلك السهول الساحلية المطلة على البحر الأحمر، ثم منطقة القنفذة[١].

(*) ومن يطالع الجزئية التي ناقشها فيلبي عن إقليم عسير، وخاصة المنطقة الممتدة من بيشة إلى وادي شهران ومدينة أبها (حاضرة عسير) نجده تعرض لمواضيع عديدة منها :-

١. جغرافية منطقة عسير واختلاف تضاريسها وثرواتها الطبيعية، فيذكر فيلبي أسماء جبال وأودية وهضاب عديدة في كل من بيشة،وخميس مشيط، وأبها، ويشير إلى الارتفاعات الشاهقة لبعض الجبال المطلة على مدينة أبها من جهة الغرب والشمال[٢] . كما تطرق إلى الحديث عن مناخ إقليم عسير واعتداله في الصيف، وكثرة الغابات فيه وخاصة في المناطق المحيطة بأبها وخميس مشيط[٣] أيضاً نجده يحرص دائماً على ذكر أسماء الطيور والحشرات الموجودة في منطقة عسير، فذكر أعداداً كثيرة منها مثل : الخفافيش، والنسور، والحجل، والحمام، والهدهد، والبلابل، وطير الباز وغيرها[٤] . ولم يكن فيلبي يكتفي بذكر أسماء هذه الطيور وبعض الحشرات وإنما كان مولعاً بصيدها وتربيتها في مقر سكنه يوم أن كان يقوم بهذه الرحلة حتى إنه ذكر أن الناس في أبها وما حولها قد لفت نظرهم هذا التصرف من قبله فيقول " وعن اهتمامي بعلم الطيور والحشرات ومراقبتي للنجوم وغيرها فكانت محور حديث الناس في المنطقة ... "[٥].

٢. الاهتمام بالمواقع الأثرية فنلاحظ اهتماماته بها من إشاراته إلى كثرة النقوش والرسوم على الصخور والجبال الممتدة من بيشة حتى أبها، بل أحياناً يذكر بعض المواقع الأثرية في تلك المناطق ويجزم أنها تدل على وجود حضارات قديمة في هذه البلاد[٦] .

٣. الحديث عن أعلام المنطقة فيذكر فيلبي أثناء رحلته العديد من الشخصيات والمشائخ والأعيان، وخاصة في بيشة وخميس مشيط وأبها، فنجده يذكر في بيشة بعض موظفي الدولة الذين كانوا هناك مثل الأمير/ عبد الله بن معمر، والقاضي/ عبد الله ابن الشيخ، وسليمان بن إبراهيم الروافي الذي كان يتولى الشؤون المالية

---

(1) Ibid, pp.75-174
(2) Ibid, pp. 213
(3) Philby. pp. 437 - 676.
(4) Ibid, pp. 123, 161 ff.
(5) Ibid, pp. 161-3, 195ff.
(6) Ibid, pp. 111, 112f, 140.

وجباية الزكوات[١] ،كما ذكر بعض مشــائخ قبائل شــهران مثل سعيد بن مشيط، وعبد الوهاب أبي ملحة الذي كان يتولى الشؤون المالية في جميع منطقة عسير، وكان يتنقل في مواطن اســتقرارِه ما بين أبها وخميس مشـيط[٢] ، أيضاً أشار إلى اسم تركي السديري الــذي كان أميرا لمنطقة عســير ومقيمــاً في أبها،بل ذكر أخاه خالد الســديري، وبعض مشائخ عسير وقحطان الذين كانوا يأتون إلى أبها لمقابلة أمير المنطقة[٣] .

٤. الاهتمــام ببعض جوانب الحياة الاجتماعية فنجده يتحدث عن المســاكن وطريقة بناء البيــوت وطــرق العيش فيهــا، فيذكر أنه رأى في بلاد شــهران ومدينة أبهــا وما حولها منازل تتكون من طابق وطابقين[٤] ، بل شاهد بعض الأعيان والمشائخ والوجهاء يقتنون قصــورا تتكون من عــدة أدوار[٥] ، كما لاحظ فيلبي طريقة بناء بعض هذه القصــور فذكر أن الأحجار تستخدم في بناء أجزائها السفلية، بينما يستخدم الطين في الأجزاء العلوية[٦] وهناك بعض تلك القصــور والبيوت محاطة بســياج من الأســوار لحمايتها من اللصــوص والحيوانات المفترســة وكذلك الأعداء في أوقات الحروب[٧] . وفي أثناءِ حديثِه عن البيوت كان يشير أحيانا إلى تقسيمات المنزل الواحد، فعندما يكون قصرا أو بيتا مكونا من طابقين فيكون هناك أقسام لسكنى أفراد الأسرة، وأجزاء لاستقبال الضــيوف وغالبــا مــا تكون في الطابــق العلوي وأجــزاء أخرى لخزن الحبــوب ومبيت الحيوانــات الأليفة التي كان يقتنيها أهل المنطقة مثل : الأبقار، والحمير والأغنام[٨] . ومحلها الطابق السفلي كما أشار إلى وجود بعض البيوت في بيشة مبنية بالقش وسعف النخل، كما ذكر بيوت الشعر التي كانت معروفة لدى البدو الرحل في الأجزاء الشرقية من منطقة عسير، وخاصة البلاد الواقعة بين بيشة وخميس مشيط[٩] .

---

(1) Ibid, pp. 151ff.

(2) Ibid, pp. 135, 137ff.

والمتجول في المنطقة الواقعة بين بيشــة وأبها لايزال يشــاهد الكثير من القرى المنتشرة التي يعود تاريخها إلى مئات السنين ، بل سوف يلاحظ المقابر السطحية التي يصل ارتفاع بعض القبور فيها إلى ثلاثة وأربعة أمتار فوق سطح الأرض،ناهيك عن النقوش والرســوم فهي أيضا كثيرة في هذه المنطقة ، انظر: ابن جريس، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ص٥٦، ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص١٤٧-١٥٢ .

(3) Philby, Arabian, pp. 112-3, 117,118

(4) Ibid, pp. 129, 131 ff.

(5) Ibid, pp. 136, 148 ff.

(6) Ibid, pp. 29, 115, 131.

(7) Ibid, pp. 37, 129.

(8) Ibid, pp. 131, 136.

(9) Ibid, pp. 115, 131f.

ويشـير المؤلف إلى مدن أبها وخميس مشـيط وبيشـة فيذكر كثرة القرى الصغيرة الواقعـة حـول هذه المراكز الحضـارية[١]، وتقـارب البيوت في القرية الواحدة، وضـيق الأزقـة الفاصـلة بينها، كما أن جميـع مواد البناء المسـتخدمة في إقامة المنازل بمنطقة عسـير كانت محلية، مثل الحجارة والطين وكذلك الأخشـاب المسـتخدمة في السـقوف والنوافذ والأبواب[٢]. ويلفت نظر فيلبي ازدحام المنازل العسيرية من الداخل بمظاهر الأناقة الزخرفية رغم بسـاطة مظهرها الخارجي وذلك عندما دخل العديد من منازل الأمراء والمشـائخ والوجهاء من رجالات المنطقة، بل أقام سـاكناً بعض الوقت في بعض الدور ببيشـة وخميس مشـيط وأبها، فقال عن بيوت شاهدها في منطقة بيشة: " وكانت المنازل مزخرفة بأشـكال هندسية أخاذه وبألوان المداد العديدة على كل الجدران وهذا النوع من الزخرفة خاص بهذه المنطقة، وبالمنطقة المحيطة بأبها..."[٣].

ويواصل فيلبي حديثه عن الحياة الاجتماعية في عسير فيشير إلى الألبسة والزينة عند سكان إقليم عسير فيذكر أنه شاهد في أسواق المنطقة العديد من الأقمشة والألبسة وكذلك بعض أدوات الزينة الخاصـة بالنسـاء والرجال مثل : الكحل، وبعض الأشـجار النباتية التي كان يضعها الرجال والنساء في رؤوسهن من باب التزين بها[٤]. أيضاً بعض أدوات الزينـة عند الرجال مثل : لبس العباءات، والعمائـم، والعقال، وكذلك الاحتزام ببعض الأسـلحة كالخناجر والسـيوف وما شـابهها[٥]. ويشـير إلى ألبسة بعض النساء فذكر أنه شـاهد النساء في أسـواق بيشة وهن يعملن في البيع والشراء، ثم قال : " وكان أغلبهن يرتدي الثوب الأسـود الفضـفاض، والبعض الآخر يرتدي الثوب الأحمر، وقليل

---

(1) Ibid, pp. 115, 116, 139.

(2) Ibid, pp. 37,114, 140.

وجدير بالذكر أن البيوت المقامة من القش والأخشاب كانت تنتشر أيضاً بكثرة عند سكان السهول التهامية ، لاسيما في الجزء الممتد من القنفذة شمالاً إلى جازان جنوباً. للمزيد راجع : ابن جريس. (عسير ١١٠٠-١٤٠٠)، ص٤٩-٥٠.

(3) Ibid, pp. 29,37, 137ff.

من يشـاهد القـرى والمنازل القديمة في إقليم عسـير اليوم يجدها مبنية من المـواد المحلية ، والبعض منها لازال صـامداً لم يصـبها الخراب ، مع العلم أن تاريخ بنائها يعود إلى الوراء أكثر من ثلاثة قرون . انظر : ابن جريس ، بلاد بني شهر ، ص ٧٤ ومابعدها ، ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ، ص ٤٢ ومابعدها.

(4) Philby, Arabian, P. 113.

من يزور بعض البيوت القديمة في مدينة أبها ، وخميس مشيط اليوم ، بل من يشاهد بعض المتاحف المحلية في المنطقة فإنه سوف يلاحظ ما ذكره فيلبي ، وغالبية تلـك الأشـكال والألـوان كانـت مسـتمدة من عصـارة بعض النباتات والأشـجار المحلية. انظر: ابن جريس، عسـير ١١٠٠-١٤٠٠هـ ، ص٥١-٥٢، أيضاً تجربة الباحث ومشاهداته لأحوال وحضارة منطقة عسير خلال العشرين سنة الماضية.

(5) Philby, Arabian, pp. 36, 38, 116, 137.

منهن كان يرتدي الثوب الأصـفر الأكثر جاذبية، والأقل فضفضــة من الثياب السابقة، وقد لبسن جميعاً ذلك الخمار الأسود الذي يغطي الرأس والوجه حتى الصدر٠٠٠"[١] ٠

وينــوه عــن توفر الحبوب وبعضـ الأطعمة في أســواق المنطقة، كما يذكر أنه شــاهد العديد مــن أنواع الفواكه المحلية مثل :- التفاح، والخوخ، والتـين، والرمان، والعنب وغيرها٠ ويذكر أن الفقر كان سائداً على أغلب السكان في منطقة عسير، وأغلب أطعمتهم من محاصيلهم الزراعية وكذلـك من منتجـات حيواناتهم[٢] كما ذكر بعضـ الأطعمة التي أكل منها أثنـاء زيارته لمنطقة عسـير، لكنه تناولها في بيوت الأعيان والوجهاء في المنطقـة فيذكر أنواع الأطعمة التي شـاهدها على مائدة الشيخ/ عبد الوهاب أبي ملحة في خميس مشيط حيث كانت مكونة من " خبز القمح المستطيل الرقيق، ولحم الضأن، والزبادي، وأطباق من المأكولات اللذيذة الأخرى، وأطباق كبيرة مــن الأرز في كل منها ملعقة، وأطباق كبيرة مــن الدهن، من ذيل مؤخرة الغنم، وزبادي الدجاج والصلصة، وزبادي من الخضروات، وأطباق من الحلويات المتعددة مثل : المهلبية والكعك المحلى المقلـي بالسـمن٠٠٠"[٣] ويذكر بعض أنواع الأطعمــة التي أكلها على إحـدى موائد أمير منطقة عسـير، تركي السـديري وأخيه خالد فقال :" ٠٠٠ كانت من الأرز الجيد، ولحم الضأن الشهي، بالإضــافة إلى المقبلات (الإدام) الذي وضـع في زبادي وأطباق عديـدة، وكل منها على انفراد، والخبز المحلى المصنوع من القمح على شكل مستطيلات وبسمك ربع بوصــة٠٠٠ "[٤] ٠

وأشــار فيلبــي إلى عادات وتقاليـد أخرى شــاهدها في منطقة عسـير، مثل زواج الشباب والشابات في سن مبكرة، حتى إنه رأى بعض الشباب في خميس مشيط يتزوجون وأعمارهــم تتراوح ما بين (١٢-١٣) سـنة[٥]، كما أن قيمــة المهور تختلف من البكر إلى الثيب، فالمرأة التي سبق لها الزواج من قبل يكون مهرها يتراوح من (١٠-٢٠) ريالاً، في حين أن الأبكار تكون مهورهن أعلى[٦] ٠

ويذكر أنه شاهد بعض الاحتفالات الخاصة بختم القرآن، حيث كان يحضر الشباب الخاتمــون لكتاب الله وعليهم ملابس جميلــة، ويكون من حولهم أقاربهم وأهلوهم، كما أن بعضـ الأعيان والوجهاء في المدينة أو القرية يحضــرون مناسـبة الاحتفال بالختام،

---

(1) Ibid, p. 117.
(2) Ibid, p. 116, 131.
(3) Ibid, pp. 36,131, 139, 140.
(4) Ibid, p. 136.
(5) Ibid, p. 141.
(6) Ibid, p. 136.

وذلك تعظيماً للقرآن واحتراماً لأولئك الخُتَّام وأهليهم[١].

وفي أثناء حديثه عن سكان المجتمع العسيري نجده يشير إلى أن أغلبهم من سكان القبائل والعشائر الساكنة في المنطقة، لكن في المراكز الحضارية الكبيرة مثل أبها، وخميس مشيط، وبيشة كانت توجد عناصر بشرية أخرى وفدت من خارج المنطقة للعمل في المؤسسات الحكومية الموجودة آنذاك[٢]، وغالبية أولئك الوافدين كانوا من بلاد الشام ومصر والهند، وعناصر من بعض الدول الأفريقية للعمل في الزراعة والخدمة في بيوتات الأعيان والأمراء وشيوخ القبائل[٣]. بل ذكر أن عدد السكان في أبها والأحياء المحيطة بها، يوم أن جاء إليها، كان يتراوح بين (٨٠٠٠-١٠٠٠٠) نسمة[٤] وأشار إلى حضوره صلاة الجمعة في مسجد أبها الجامع فكان عدد المصلين حوالي (٥٠٠) مصلٍ[٥].

٥ - العناية بدراسة بعض مظاهر الحياة الاقتصادية. حيث يشير من خلال مشاهداته العينية إلى الطرق الواصلة بين رنية وبيشة إلى خميس مشيط ثم إلى أبها، ويذكر صعوبة تضاريسها، واستخدام أغلبية سكان هذه المناطق " للجمال والحمير " في تنقلاتهم ونقل بضائعهم واحتياجاتهم[٦]. كما يشير إلى وجود أعداد قليلة من السيارات الحكومية وبعضها تجارية تقوم بعملية نقل البضائع لمسافات أكبر وذلك من إقليم عسير إلى نجد والحجاز[٧]. كما تحدث عن الأسواق الأسبوعية وانتشارها في جميع أنحاء عسير فيذكر أسواق بيشة في كل من قريتي الروشن ونمران[٨]، ويذكر أسواقاً أخرى أسبوعية في الطريق المؤدية من بيشة إلى خميس مشيط ومدينة أبها، ويفيض في التفصيلات عن تلك الأسواق من حيث قدوم الناس إليها من كل مكان، وتوفر السلع المختلفة بها، من مواد غذائية، وألبسة وزينة وبضائع أخرى مختلفة[٩]

(1) Ibid, p. 136.

(2) Ibid, pp. 39-40.

عندما جاء فيليبي إلى إقليم عسير (١٣٥١هـ/١٩٣١م) كان يوجد ببعض المراكز الحضارية الكبرى العديد من المؤسسات الحكومية السعودية المختلفة، انظر: ابن جريس. عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص٣١ ومابعدها؛ ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ٤٤٣ ومابعدها.

(3) Philby, Arabian, pp. 141,148.

(4) Ibid, pp. 153-154.

(5) Ibid, pp. 150-1 .

(6) Ibid, pp. 115, 116, 117, 139.

وللمزيد من التفصيلات عن الطرق التجارية في إقليم عسير، انظر ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠هـ، ص١٦٣ ومابعدها.

(7) Philby, pp. 138, 141, 148.

(8) Ibid, pp. 36, 38-9, 114.

(9) Ibid, pp. 116-7, 137.

· وقد سـجل لنا مشـاهداته لسـوق خميس مشيط الأسـبوعي، وما يدور فيه من حركة ونشـاط تجاري، وتقسـيم السـوق إلى مناطق تعـرف كل منطقة منهـا " بالمناخ " وهي مخصصة لبيع وشراء سلعة واحدة، كما قدم لنا من خلال هذا الوصف تسجيلا لبعض أسـعار هذه السـلع المختلفة التي يضمها السـوق في زمنه فيقـول : " لقد كانت نشاطات السـوق بوجه عام خاملة نسـبيا، رغم وجود حوالـي (٥٠٠) من الناس فيه، كانوا كلهم مشغولين بعمليات البيع والشراء·· وكانت كل سلعة تعرض في مكان منفصل عن المكان الذي تعرض فيه السلع الأخرى فيما يسمى (بالمناخ)، وهي مساحة معينة تنصب عليها الخيام لمزاولة النشـاطات التجارية··· لقد كانت معظم السلع تعرض مكشوفة، لكنني لاحظت أن هناك بعض السـلع مثل الأقمشـة والسـلع التي تباع بالقطعة، وسلع البقالات كانت تعرض في الأكواخ التي تعلوها المظلات· وقد قمت بتسجيل بعض الأسعار الدارجة هنـاك، كأمر مـن الأمور التي عنيت بها، وكانت رخيصـة في معظمهـا · فقد كان ثمن أربع تنكات من البلح (عادة ما يسـتورد من خيبر[1] وبيشـة) أو ما يعادل أربع سـلات قصـب (Habs) بنفس حجم التنـكات (٢,٥ أو ٣ ريـالات)، وكل (٦ أو ٧) صـاع من القمـح بريـال، والدخن (٨) بريـال، ··· والقهوة صـاع واحد بريالين، والقشـر (٣) صـاع بريال، والسمح (نبات بري يؤكل يشبه السمسـم) أربعة جالونات بسبعة ريالات، وكانت الشاة الواحدة بثلاثة ريالات، والثور أو البقرة بعشرين ريالا، والبعير بأربعيـن ريالاً···"[2]· ويشـير فيلبي أيضـا إلى بعض أسـعار السلع التي شـاهدها في أسواق بيشـة، فيذكـر أن كيس الأرز الذي كان يزن (٢٢) صـاعـا بـ(٢١) ريالا، وكيس السـكر الذي يزن (٩١) رطلا بتسـعة ريالات، وعلبة من السـمن (الزبدة المصفاة) بـ ٢٥ ريالا وتـزن (٣٧ر٥) رطلا، وجالون من البارفين بثلاثة ريالات و (٨٨ر٥) ياردة من القماش الأبيض بـ (١٨) ريالا، والجمل الواحد من (٢٠-٨٠) ريالا، والشاة الواحدة من (٢-٣) ريالات[3]· وأشـار فيلبي أيضـا إلى بعض الأوزان التي شـاهدها في الأسواق العسيرية فذكر أن الصـاع والأقـة كانت الأوزان السـائدة في البلاد، ونـوه إلى أن الأقة تعادل في وزنها (٤٥) ريالا أو (٤٠٠) درهما، ثم إن كل (٣١٢) درهما تسـاوي واحد كيلو غرام، أما الصاع فيساوي ثلاث أقات أو أربعة كيلو غرامات[4]· ويلاحظ أن المقايضة كانت من أهم أساليب التعامل في الأسواق العسيرية، إلا أن ريال (ماريا تريزا) الذي عرف محليا باسـم الريال الفرانسة كان متداولا بكثرة بين العسيرين، وقد انتشر تداول هذا الريال

---

(١) خيبر قرية واقعة في منتصف الطريق بين بيشة وخميس مشيط·

(2) Philby, Arabian, p. 137.

(3) Ibid, p. 38.

(4) Ibid, p. 151.

في فئتين،الزلطه الواحدة، ونصف الزلطة[١] ٠

ولم يغفل فيليبي عن ذكر ما شاهده في منطقة عسير من مدرجات زراعية وما كان يزرع فيها من الحبوب والثمار والفواكه، كما أشار إلى توافر أنواع متعددة من المحاصيل الزراعية على طول الطريق التي سلك من بيشة إلى أبها [٢]، كما ذكر توفر الآبار التي يتم حفرها في باطن الأرض إلى عشرات الأمتار، والتي كانت تستخدم في ري المزارع وكذلك في جلب مياه الشرب أيضاً[٣] ٠ كما ذكر أسماء العديد من الفنون الصناعية (الصناعات اليدوية) الموجودة في الأسواق العسيرية، مثل صناعة الحصر والحبال من سعف النخل في بيشة، والصناعات الخشبية، والحديدية، والجلدية، والحجرية والفخارية وغيرها٠ وجميع المواد الأولية المستخدمة في إنتاج هذه الصناعات كانت متوفرة في البيئة العسيرية [٤] ٠

٢- الدراسة المقارنة :

يجدر بنا قبل البدء في الدراسة التحليلية المقارنة للمادة العلمية الواردة في المصنفات الثلاثة موضوع هذه الدراسة، أن نلقي أولاً لمحة موجزة عن المؤلفين من حيث العمر والجنسية والمستوى الثقافي والفكري لكل منهم، وتوضيح الأهداف التي سعى من أجلها كل واحد من الثلاثة للدخول إلى إقليم عسير . ومما لاشك فيه أننا سوف نجد العديد من أوجه الشبه والاختلاف عند هؤلاء الرحالة الثلاثة سواء في مسيرة حياتهم الشخصية والعلمية، أو في آرائهم ومحاور دراستهم، وما دونوه عن المنطقة، كما سنجد أيضاً اختلافات واضحة بينهم في بعض الجوانب التي طرحوها أثناء كتابتهم عن الإقليم، وبناء على ذلك رأينا تقسيم الدراسة المقارنة إلى النقاط الآتية :-

١. **خبرات وثقافات الرحالة الثلاثة ٠**
٢. **المصادر التي اعتمدوا عليها في تسجيل مدوناتهم٠**
٣. **المنهج المستخدم في تصنيف الكتب الثلاثة ٠**
٤. **دراسة تحليلية نقدية مقارنة حول أهم روايات الرحالة الثلاثة وسنتناول فيها:-**
   - **الأحوال الجغرافية لمنطقة عسير٠**
   - **التركيبة السياسية لسكان المنطقة ٠**

---

(1) Ibid, p. 151.

وريال (ماريا تريزا) عبارة عن قطعة نقدية من الفضة ضرب في النمسا عام (١١٩٥هـ/١٧٨٠م) ، وعرف من هذه العملة فئة أبو طاقية وقيمته عشرون قرشاً٠ ابن جريس، عسير١١٠٠-١٤٠٠هـ، ص١٨٣ ٠

(2) Philby, Arabian, p. 147.

(3) Ibid, pp. 123, 124.

(4) Ibid, pp. 36, 116,137,141,151.

- **التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة٠**
- **وصف القرى والمنازل٠**
- **اللباس والزينة والأطعمة والأشربة٠**
- **بعض العادات والتقاليد ٠**
- **بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية٠**
- **النواحي الاقتصادية ٠**

وسنبدأ الآن بعرض ودراسة تفصيلية لهذه النقاط :-

أ - خبرات وثقافات الرحالة الثلاثة :-

- إذا تناولنــا العمر الزمنــي لكل واحد من الرحالة الثلاثة، فسـنلاحظ أنه يجمع ثلاثتهم الجنسـية الأوروبية فتاميزيه فرنســي الجنسـية، ومن أولئك الفرنسيين الذين وفدوا من فرنسـا للإقامة والاستقرار في مصر ولانملك أي دليل قاطع على مكان مولده وهل كان ذلك في مصر أم في فرنسا، لكن القول الذي لاشك فيه أنه من أرومة فرنسية، وممن عمل في مهنة الطب التي قدم من أجلها مع جيوش محمد علي باشـا التي جاءت من مصـر لإخضاع منطقة عسـير٠ ولم يكن هذا الرحالة بمفرده مع تلك الحملة وإنما كان معـه عدد من الفرنسـيين الآخرين الذين جاءوا مع الحملة من أجل المهمة نفسـها التي جاءت بتاميزيه[١] ٠وهذا الرحالة دون كتابه الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسـة من باب حب الاسـتطلاع، وليس لأي هدف سياسـي أو اقتصادي أو خلافه، لكنه حفظ لنـا معلومـات من الصـعب أن نجدها في أي مصـدر عربي أو أجنبي خـلال المدة التي قدم فيها في منتصـف القرن الثالث عشـر الهجري (التاسـع عشـر الميلادي)[٢] ٠ أما كورنواليسـ وفيليبــي فيختلفـان عـن تاميزيه حيث كانـا يفوقانه في السـن، وكذلك في التجارب والخبرات المتنوعة، ثم إن قدومهما إلى بلاد عسير كان تحت أهداف سياسية واجتماعيـة واقتصـادية متعـددة الأوجه[٣] ٠ فكورنواليس أرسـل إلى بلادٍ عسـيرٍ قبل الحرب العالمية الأولى، من قبل الاسـتخبارات الانجليزية كي يكتب تقريراً متكاملاً عن المنطقة، ولم يكن يهدف إلى تأليف الكتاب، ولكن تميز كتابه بجدة المعلومات الواردة فيه جعلت المكتب العربي في القاهرة يسعى إلى طبعه ونشره في كتاب متداول بين الناس[٤]٠

---

(١) انظر كتاب تاميزيه، رحلة ، ص ١٧ ومابعدها

(٢) المصدر نفسه ، ص١٨ ومابعدها، و انظر كتاب جاكلين بيرين :- اكتشاف جزيرة العرب، ص٢٥١ ومابعدها٠

(3) Cornwallis, Asir, p.3;

الجاسـر، " فيليبـي رحلاتـه في بلاد العـرب " مجلة العرب، صـ١٠٥-١٠٨، جورج رنتـز " فيليبي مؤرخاً للمملكة ٠٠٠ " ، ص٦٢ ومابعدها٠

(٤) انظر : Cornwallis Asir, pp. 3ff.

كذلك فيلبي أرسل إلى جنوبي شبه الجزيرة العربية بتكليف من الملك عبد العزيز آل سعود من أجل تدوين أكبر قدر ممكن عن أحوال هذه المنطقة، وكانت بلاد عسير من الأجزاء المحظوظة التي نالت نصيباً جيداً مما دونه هذا الرحالة عنها.

وإذا حاولنا معرفة المستوى الثقافي والفكري لكل واحد من هؤلاء الرحالة، فإنهم جميعاً كانوا على مستوى جيد من الوعي الثقافي والفكري، بل إنهم جميعاً كانوا يعرفون اللغة العربية [١] . وهذا ما وجدناه واضحاً وصريحاً بالنسبة لتاميزيه، وفيلبي، أما كورنواليس فلم نجد في كتابه ما ينص على أنه كان ملماً باللغة العربية ولكن المعلومات التي جمعها والتفصيلات التي أوردها تنم عن قدرته على التحدث باللغة العربية التي جمع من خلالها معلومات كتابه [٢] . وفيما يبدو أن تاميزيه وكورنواليس كانوا يدينون بالديانة المسيحية، وكذلك فيلبي في العقود الأولى من حياته، ولكنه بعد أن صار من رجال الملك عبد العزيز وأحد مستشاريه اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى (عبدالله)[٣] .

ب - المصادر التي اعتمدوا عليها في تسجيل مدوناتهم :

أما الطريقة الأساسية التي اعتمدوا عليها في جمع المادة العلمية لكتبهم، فتقوم على الرواية الشفوية، وأسلوب الحوار وإجراء المقابلات مع أهالي وسكان المنطقة، وإن اختلفوا في طريقة الجمع. فتاميزيه جاء مع الحملة العسكرية المصرية العثمانية الغازية لبلاد عسير، وبالتالي كان خروجه مستحيلاً إلى الأماكن العامة، وتجمعات الأهالي كالأسواق، والمناسبات الاجتماعية المختلفة وغيرها، وذلك لخوفه على نفسه من التعرض للقتل من قبل الأهالي، خصوصاً إذا تبينوا هويته الأجنبية، ومجيئه مع القوات الغازية، ناهيك عن أنه كان يدين بالمسيحية، وقد جعلنا هذا نستبعد احتمالية احتكاكه المباشر بعناصر المجتمع المدني المختلفة في عسير، وإنما تركزت طريقة جمعه لمعلوماته على المشاهدات العينية والانطباعات الشخصية أثناء تحرك الجيوش التي رافقها من بيشة إلى أبها، علاوة على التقائه أحياناً ببعض مشايخ القبائل والأعيان الذين كانوا يأتون من ديارهم لمقابلة قادة الجيش المصري، وذلك لتقديم الولاء والطاعة لهم، حيث اعتاد بعضهم الإقامة عدة أيام مع الجيش. ولعل ذلك من العوامل التي ساعدت تاميزيه على جمع معلوماته بدليل ذكره لبعض هؤلاء الأعيان والمشايخ واستعانته بهم من أمثال دوسري

---

(١) تاميزيه، ص ١٥-١٦ ، Cornwallis, p.3ff.
ج. نورتون " فيلبي رجل الجزيرة العربية " ،ص١٥٢ ومابعدها .
E.Monroe, Philby of Arabia, pp. 1ff.

(٢) انظر : Cornwallis , Asir, pp. 7 ff.

(٣) الجاسر " فيلبي رحلاته في بلاد العرب " ،ص١٠٦ ومابعدها ؛ ج. رنتز " فيلبي مؤرخاً للمملكة .. " ، ص٦٣ ومابعدها ؛ ج. نورتون " فيلبي رجل الجزيرة العربية " ، ص١٥٣ ومابعدها.

أبــي نقطة العســيري، الذي قدم مع الجيش من مصــر بهدف توليته منصــب الإمارة في عســير بعد الاســتيلاء عليها من قبل الجيش العثماني، كما أشــار إلى بعض المشــائخ في بيشــة وخميس مشــيط، مثل :- الشيخ مشيط،شــيخ مشائخ شــهران،وكذلك الشيخ علي الصعيري شيخ بني سلول في بيشة، حيث كانا من الروافد الرئيسة التي ساعدت تاميزيه في جمــع معلوماتــه[١]٠ فأما فيلبي فقــد خدمه الحظ حيث كان مدعومــاً من قبل حاكم المملكة العربية الســعودية، الملك عبد العزيز، فبالتالي لم يكن يجد صــعوبة في جمع المادة العلمية، حيث كان محتفيً به أينما نزل، وبذل رجال الدولة في بيشة وأبها، وكذلك مشايخ وأعيــان القبائلِ جهدهم في تقديم العون وكافة المســاعدات المطلوبة له٠أضــف إلى ذلك تمتعه شخصــياً بخبرات عملية جيدة إلى جانب ارتفاع مســتواه الفكري والثقافي ٠ الأمر الــذي مكنه من تدويــن المعلومات المتنوعة، وإخــراج كتابه القيم المعنون باســم "النجود العربية " وهو كتاب يمتاز برصانة أسلوبه، ودقة معلوماته ليس عن منطقة عسير فحسب، وإنما عن معظم جنوبي شبه الجزيرة العربية[٢] ٠

جـ - المنهج المستخدم في تصنيف الكتب الثلاثة :

وهذه الكتب الثلاثة تختلف في طريقة التدوين والصــياغة ٠ فكتاب تاميزيه اعتمد في أغلبه على أسلوب الحوارات وإلقاء الأسئلة على بعض الرواة وتدوين ما يسمع، مع أن معظم الكتاب يتحدث عن الحملة التي جاء معها وطريقة ســيرها وتعاملها مع العشــائر والســكان المارين عليهم من الطائف حتى أبها، أما كتاب كورنواليس فأســلوبه تقريري محــدد المعلومات مختصــر في التفصــيلات تحقيقاً للهــدف الذي جاء مــن أجله٠ أما طريقــة فيلبي في تدوين معلوماته فكانت مكتوبة بأســلوب فيلبي الذي يمتاز بالجودة والرصــانة، مع العلم أنه كان يسأل أحياناً عن بعض النواحي التي يريد معرفة معلومات عنها، إلا أنه غالباً كان يعتمد على المشــاهدة ودقة التفاصــيل في جزئيات معينة، وهذا مما يجعله أحياناً يفقد الربط بين الأفكار فتراه قد يكتب عن عشيرة معينة، لكنه أثناء حديثه قد يخوض في تفصــيلات دقيقة كأن يتحدث عن الطيور والنجوم والآثار وغيرها من الأشياء التي شاهدها أثناء إقامته أو حديثه عن العشيرة أو القبيلة التي يكتب عنها٠

د - دراسة تحليلية نقدية مقارنة حول أهم روايات الرحالة الثلاثة :

وإذا حاولنــا معرفة أوجه الشــبه والاختلاف بين محتويات الكتــب الثلاثة فيمكننا حصرها في العديد من النقاط الرئيسة أولها :

---

(١) تاميزيه ، رحلة ، ص٢٥ ومابعدها ، كما انظر أيضاً ، ص٣٢ ومابعدها، ٣٤٨- ٣٥٠

(٢) انظر : Philby, Arabian, pp. 3ff.

١ - الأحوال الجغرافية لمنطقة عسير :

تعرض الرحالة الثلاثة موضوع الدراسة للحديث في مصنفاتهم عن الأحوال الجغرافية في المنطقة المعنية بالدراسة، فأشاروا جميعاً إلى تنوع تضاريس البلاد، ونوهوا إلى المناخ، وأنواع الرياح التي تهب على منطقة عسير، والنباتات والأشجار المتوافرة في المنطقة، كما ذكروا بعض أنواع الحيوانات الأليفة والمفترسة والحشرات والطيور[١].

وعلى الرغم من إشارتهم جميعاً إلى هذه الجوانب، إلاَّ أنهم لم يكونوا على مستوى واحد فيما دونه كل منهم من معلومات حيال هذه العناصر فتاميزيه أقلهم ذكراً لهذه النواحي فلم تأت في مدوناته إلا عرضاً وأثناء حديثه عن سكان المنطقة. وتحركات الجيوش من محطة لأخرى في طريقها إلى مدينة أبها. أما كورنواليس وفيلبي فكانا أكثر اهتماماً بتدوين هذه الجوانب. فكورنواليس كان من أساسيات مهمته التي قدم من أجلها إلى إقليم عسير أن يدون تقريراً وافياً يشمل كل شيء، والعناصر السالفة الذكر تعتبر في نظره وفي نظر قادته الذين أرسلوه في غاية الأهمية لهذا نجده يدون معلومات جيدة عنها، وتحت عناوين منفصلة، مثل :- التضاريس، الخصائص الطبيعية والمناخية وغيرها [٢]. أما فيلبي فقد اتصف بخبرة واسعة في علم الرحلات، وإلى جانب دقة ملاحظته وتعوده على التجوال، فلم تكن رحلته في الكتاب الذي نحن بصدد دراسته مقتصرة على عسير، وإنما شملت عسيراً وبلاد يام، ونجران وجازان والقنفذة وغيرها، وهذه الرحلة الطويلة جعلته أحياناً يقارن بين تلك المناطق من حيث المناخ والتضاريس والحياتان النباتية والحيوانية، وهذه الطريقة في التدوين أكسبت كتابه رصانة وجودة، مع العلم أن حديثه عن الأحوال المناخية والتضاريسية في منطقة عسير لم يكن مجموعاً في مكان واحد مثل كورنواليس، ولكنه كان موزعاً في أماكن عديده على صفحات الكتاب .

كما أشار إلى تنوع الحياتين الحيوانية والنباتية في المنطقة، وذلك أثناء عبوره الطريق التي سلكها تاميزيه من قبله مابين بيشة وأبها حاضرة عسير[٣] .

٢ - التركيبة السياسية لسكان المنطقة :-

دون رحالتنا الثلاثة معلومات نفيسة أثناء قدوم كل واحد منهم إليها، والشيء المميز في ذلك أنهم جاءوا إلى إقليم عسير في فترات زمنية متباينة ومتباعدة بعض الشيء،

(١) تاميزيه ، رحلة ، ٩٣، ٩٥، ١٠٩ ، ١١٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٦ ومابعدها .
Cornwallis, Asir, pp.7 ff, Philby, Arabian, pp. 111f, 140,151, 161 ff.

(٢) انظر : Cornwallis, Asir, pp. 7 ff.

(٣) انظر: lby, Arabian, pp.111,112,113, 123,124,140,151.

فتايميزيه جاء إليها في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، يــوم أن كان عائض بن مرعي العســيري أمــيراً على المنطقة الممتدة من شــمال نجران وجازان إلى بلاد غامد وزهران [١] ، ويوم أن كانت الحجاز تحت ولاية الأشــراف الذين يخضعون للدولة العثمانية في الاستانة ونفوذ محمد علي باشا في مصر [٢] ، كذلك اليمن كان وضــعها مثل الحجاز تخضــع للقوى العثمانية [٣] ٠ وبرغم أن عائض بن مرعي كان أميراً لعسير فإن القبائل داخل منطقة عسير لم تكن جميعها على وتيرة واحدة في ولائها للأمير عائض، وأكبر دليل على ذلك أننا نجد تاميزيه يدون في كتابه المعني بالدراسة أن القبائل التي كانوا يمرون عليها شــرقي بلاد غامد وزهران، وكذلك بلاد بيشة وشهران كانت ســريعة الانقياد والدخول تحت لواء الجيش العثماني الذي جاء تاميزيه معه، وربما يعود ذلك إلى رغبة بعض منهم في التخلص من إمارة عائض بن مرعي، وربما خوف بعض آخر من هذه الجيوش الغازية وفي حالة الدخول تحت لوائها فإن الخسارة والدمار في ديار تلك القبائل ســوف يكون أقل [٤] ٠ أما كورنواليس فيتميز على ســابقه في هذه الناحية بحكم عمله في الاستخبارات البريطانية فكان من أهم النقاط المكلف باستيفائها من قبل رؤسائه وجعلته يقــدم إلى المنطقة قبل الحرب العالميــة الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م) هو التصوير الدقيق للقوى السياسية في إقليم عسير، وهذا بالفعل ما حصل، حيث ذكر أن المنطقة كانت مقسمة إلى أربعة أقسام هي :

١. النواحي المســتقلة متمثلــة في القبائل والعشــائر البدويه المعتمــدة على التنقل والترحال، وهــذه القبائل كانت الأعراف والعادات القبلية هي الضــابط الذي يضبط طريقة التعامل فيما بين أفرادها [٥] ٠

٢. الأجزاء الشــمالية من منطقة عسير مثل بلاد غامد وزهران وما حولها فكانت تدين بالولاء لشريف مكة ٠

٣. أما الأتراك فكان لهم نفوذ على مدينة أبها وما حولها، وربما امتد نفوذهم إلى بعض المراكز الحضارية شمالي أبها مثل : النماص في بلاد بني شهر، ومحايل

---

(١) لمزيد من التفصــيلات عن الحياة السياســية في عســير أثناء مجيء تاميزيه إليها انظر : النعمي ، تاريخ ، ص١٣١، عســيري ،عســير، ص١٢٤ ومابعدها، ابن جريس٠ بلاد بني شهر، ص٥٢ ، مقدمة المترجم لكتاب تاميزيه (محمد آل زلفه) ، ص٧ ومابعدها٠

(٢) المصادر نفسها٠

(٣) المصــادر نفســها ، وانظــر : عاكش٠ الدر الثمــين، ص٦ ومابعدهــا، العقيلي، المخلاف الســليماني ، ط١ ، ص٤٤٧ ومابعدها٠

(٤) تاميزيه ، رحلة ، ص١٩٥، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ وما بعدها٠

(٥) انظر: Cornwallis, Asir, pp.25-31

والقنفذة في المناطق التهامية [١] .

٤. أما الأجزاء التهامية الممتدة من محايل شمالاً إلى صبيا جنوباً بما فيها السفوح الغربية لجبال السروات المطلة على أبها فكانت تحت سيطرة الإدريسي[٢]. بينما جاء فيلبي إلى إقليم عسير في ظروف كانت أفضل من الظروف التي جاء فيها سابقاه حيث كانت جميع منطقة عسير تحت لواء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وكانت الأوضاع السياسية مستقرة بشكل كبير وأكثر ما يفسد الحياة السياسية آنذاك هو الطابع القبلي الذي يتصف به سكان البلاد، فقد توجد المشاكل بين أفراد القبائل المتجاورة على أماكن الرعي أو الحدود القبلية أو موارد المياه وغيرها[٣] .

٣ - التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة :

ويناقش الرحالة الثلاثة بعض النواحي الاجتماعية في إقليم عسير، لكنهم يتفاوتون في ذكر بعض الجوانب، ويتقاربون في ذكر بعضها الآخر.

فنجدهم يشيرون إلى التركيبة السكانية من الناحية الاجتماعية التي كانت في المنطقة يوم قدوم كل واحد منهم فيجمعون على أن أغلبية السكان من العشائر والقبائل العربية التي قطنت هذه البلاد منذ زمن بعيد[٤]. ويتعرض كل واحد منهم لذكر القبائل التي شاهدها واختلط بسكانها، فكون تاميزيه وفيلبي قدموا إلى عسير من طريق واحدة، من بيشة إلى أبها، نلاحظ نقاط التشابه واضحة وواسعة في حديثهم عن القبائل التي مروا عليها في المنطقة[٥]. أما كورنواليس فقد فاقهم بكثير في هذه المعلومات، حيث ذكر أسماء قبائل كثيرة جداً تعيش في المرتفعات الجبلية وفي المنخفضات التهامية من منطقة عسير، ولم يقتصر على ذلك وإنما كان في كثير من الأوقات يذكر مواقع تلك القبائل وعدد سكان كل قبيلة أو عشيرة ذكرها[٦]. وهذا التوسع في المعلومات عن منطقة يجهلها قد أوقعه في أخطاء كثيرة من حيث ذكر المواقع الدقيقة لبعض القبائل، وكذلك من حيث ذكر عدد السكان . وهذه مهمة صعبة جداً لأنه اعتمد في جمعه المعلومات على الرواة المحليين الذين يختلفون في الرغبات والأهواء، فربما كان بعضهم يعطي معلومات

---

(1) Ibid, pp. 25 ff.

(2) Ibid, pp. 28 ff.

(3) Philby, Arabian, pp. 36, 123, 129, 161f.

(٤) تاميزيه ، رحلة ، ص٥٧ ومابعدها، ١٠٣، ١٥١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٢ ، ٢٦٦، ٢٧٧ ومابعدها.
Cornwallis, Asir, pp.32ff, Philby, Arabian, pp. 123ff, 161ff.

(٥) انظر: (تاميزيه) ،و(Philby) الصفحات التي في الملاحظة السابقة (١٤٧).

(٦) انظر : Cornwallis, pp. 32-83.

عــن موقع قبيلة وعدد ســكانها متعمداً الوقوع في الخطأ من أجل تضــليل هذا الرحالة، ومن أجل إعطاء صــورة معاكســة للحقيقة التــي يتطلع إليها هذا الباحــث، وأحياناً قد يعطــي بعض منهــم معلومات عن جهل وعدم معرفة بالحقيقة ٠ وهذا شــيء قد لمســته أثناء تجوالي في نواح عديدة من جنوبي شبه الجزيرة العربية، وذلك على مدار عقدين من الزمان، فكنت دائماً ما أقابل عقبات عديدة، والتضليل أو الجهل في إعطاء المعلومة علــى رأس تلك العقبات ٠ أيضــا فإن كورنواليس رجل غريب عن منطقة عســير، وربما عــدم التمكن من اللغة العربيــة والمعرفة باللهجات واختلافها كانت أيضــاً من العقبات التي اعترضــت طريقه، وهذا مما جعله يقع في أخطاء من هذا النوع، مع العلم أنه جاء بعده من أبناء العربية من كتب عن منطقة عسير، وخاصة عن قبائلها وسكانها فوقع في أخطاء قد تكون أكثر وأكبر من الأخطاء التي وقع فيها كورنواليس[١] ٠

أيضــا نجد الرحالة الثلاثة يذكرون وجود عناصــر أخرى في المنطقة غير العنصر القبلــي٠ فتاميزيــه يذكــر أنه قــدم مع الحملة التــي جاء فيهــا إلى عســير العديد من الأوربيين،وأغلبهم من الفرنســين،وكذلك عدد من المصريين والمغاربة والأتراك[٢]، وإن كانوا جاءوا مع الحملة ورجع أغلبهم معها فإنه قد بقى بعض منهم في إقليم عسير حتى ماتوا، وأحياناً خلفوا ذريه لازال بعض منهم ومن أحفادهم يعيشــون بها إلى الآن٠ وقد أشــار الرحالة الثلاثة إلى وجود العبيــد والجواري الذين جلبوا إلى المنطقة من أفريقيا من أجل العمل في المهن والخدمات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة٠ وقد أشار فيلبي إلى وجود عناصر عربية أخرى في إقليم عسير أثناء قدومه إليها، مثل السوريين وكذلك المصــريين الذين كانوا يعملون في بعض المؤسســات الحكومية في المنطقة مثل :- المالية والصحة والتعليم[٣] ٠

وفي أثنــاء حديث هــؤلاء الرحالة عن ســكان المنطقة، كانوا غالباً ما يشــيرون إلى علية القوم فيهم مثل : الأمراء والشــيوخ والأعيان وغيرهم ٠ والفائدة التي جنيناها من هذه الدراسة هو التعرف على شخصيات لم نكن نعرف الكثير منهم في مصادر أخرى،

---

(١) المصــدر نفســه ، PP.32. ، وانظر : مراجع أخرى تحدثت عن القبائل في عســير، مثل: فؤاد حمزة ، في بلاد عســير، ص١٦٠ ومابعدها ، محمود شــاكر، عسير، ص٤٣، وما بعدها ، الألمعي ، رحلات في عسير، ص٤٩، ومابعدها٠ أيضاً انظر: عمر العمروي٠ قبائل عسير في الجاهلية والإسلام، جـ١، ص٢٥ ومابعدها٠

(٢) تاميزيه ، رحلة ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٥، ٢٣٥، ٣٤٤ ٠

(3) Philby, Arabian, p. 141, 148

وعن بعض العناصــر التي كانت تعمل في المؤسســات الحكومية أثناء زيارة فيلبي لمنطقة عسير، انظر : ابن جريس ، عســير في عصــر الملك عبد العزيز، ص٣١ ومابعدها ،وللمؤلف نفسه انظر أيضاً : تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) جـ١. ص٥١ ومابعدها٠

وقـد حفظها لنا هؤلاء الرحالـة. فتاميزيه يذكر بعض التفصـيلات عن بعض الأعيان الذين شـاهدهم في بيشة وخميس مشـيط وأبها، وقد جلس مع بعض منهم وسألهم عن بعض النواحي الحضـارية والعلميـة التي يريـد معرفتها وتدوينهـا في كتابه[١]. كذلك كورنواليس وفيلبي أوردا معلومات قيمة عن شخصـيات عديدة، فالأخير أورد أسـماء أمراء ومشـائخ وموظفين كانوا يعملون في أماكن عديدة، مثل الإمارة والقضـاء، والمالية والتعليم وغيرها[٢] . أما كورنواليس فقد أفاض في الحديث عن الشخصيات في منطقة عسـير حتى إنه وضـعهم تحت عنوان مستقل سماه : الشخصـيات (Personalities)، حيث أورد أكثر من (١٣٠) شخصية في أنحاء منطقة عسير ذكر أسماءهم ومراكزهم الاجتماعية وأحياناً صفاتهم الخِلقية والخُلقيـة[٣] .

٤ - وصف القرى والمنازل :

أشـار كل من تاميزيه وفيلبي إلى طبيعة القرى في إقليم عسير، وإلى أنواع المنازل والمرافق المحيطة بها، وإلى نوعية مواد البناء، وذلك أثناء مرورهما في الطريق الواصلة بين بيشـة وأبها[٤]. أما كورنواليس فلم يكن يركز على هذا الجانب بشـكل واسع، وإنما أشـار إليها أحياناً بشكل عرضي. ويفوق فيلبي تاميزيه في إعطاء تفصيلات أكثر دقة عن مسـاحات القرى في البلاد العسـيرية، ونوعية المنازل، فيبين لنا الطريقة المتبعة في البناء والتي تعتمد على استخدام الطين والحجارة، وأوضح أن أغلب مباني المنطقة من الحجـارة، وإن كانـت أحياناً تبنى الأجزاء السـفلية من المنزل بالحجارة، ثم يسـتكمل الجـزء العلوي مـن الطين، ويتراوح ارتفـاع المنازل من دور إلى دوريـن، ماعدا الأعيان والأمراء والشـيوخ فأحيانـاً كانت منازلهم أوسـع أفقياً، ويتراوح ارتفاع بعضـها مابين أربعة إلى سـتة أدوار، وقد شـاهد ذلك في كل من بيشـة وخميس مشـيط وأبها. وكون فيلبي كان مدعوماً من قبل الملك عبد العزيز آل سـعود، فقد استطاع دخول الكثير من بيوت أهل عسير، وبالتالي تمكن من إعطاء تفصيلات دقيقة عن الأقسام الداخلية التي تتكون منها منازل العسيريين، لا سيما منازل الأعيان والمشائخ، فأوضح انقسام بعضها إلى عدة أقسـام، مثل :- قسم للضـيوف، وآخر لأفراد الأسرة، وأقسام أخرى تستخدم

---

(١) تاميزيـه ، رحلـة ، ص١٣٥ ، ١٥١ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢١ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ومابعدهـا [وانظـر مقدمة المترجم لكتاب تاميزيه] (محمد آل زلفة)، ص ٢٣ .

(2) انظر : Cornwallis, Asir, pp. 84 ff. -154
Philby, Arabian, pp. 36,37,112, 117, 123, 129, 136, 148.

(٣) انظر : Cornwallis, Asir, pp. 84-103.

(٤) تاميزيه ، رحلة ، ص٢٢٠-٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩٣ ومابعدها ،
Philby, Arabian, pp. 29, 37, 113, 117.

كمســتودعات، وأماكن للبهائم وغيرها[١]، كما شــاهد طريقة تأثيث البيت العســيري، وخاصــة عند عليــة القوم، إلى جانب ملاحظته ازدحام المنــازل من الداخل بالزخارف المتنوعة وقد بهرته هذه اللمسات الجمالية فأثنى عليها، وذكر تفرد منطقة عسير بهذا النوع من الزخارف المعمارية [٢].

٥ - اللباس والزينة والأطعمة والأشربة :-

ويشير رحالتنا الثلاثة إلى نوعية اللباس والزينة التي شاهدوا أهل عسير يلبسونها في مزارعهم وأســواقهم، بل أشــاروا إلى نوعية الألبســة والأقمشة التي كانت تعرض في أســواقهم الأســبوعية، إلاّ أن فيليبي يعتبر أكثرهم تفصيلاً من حيث ذكر بعض الألبسة التي كان يســتخدمها النســاء والرجال، وقد ذكر أنواعاً عديدة مــن اللباس وأدوات الزينة المستعملة عند العديد من السكان في أسواق بيشة وخميس مشيط[٣].

وأحيانــاً كان تاميزيــه وكورنواليــس يذكرون بعضــ الأطعمة والأشــربة التي كانوا يشــاهدونها في أســواق المنطقــة، أو أثناء تناولهــم لبعض منها. أمــا فيليبي فالظروف التــي جاء فيها ســاعدته على المكوث بعض الوقت في أجــزاء عديدة من المنطقة، كما تم استضــافته على أكثر من وجبة ووليمة في بيوت بعض الأمراء والأعيان في المنطقة، ومن ثم أعطى تفصيلاً لا بأس به عن بعض المأكولات التي كان يتم تناولها على الموائد في تلك البلاد[٤]. وإذا كان ذكر بعض أســماء الأطعمة والأشــربة في بيوت المقتدرين مادياً من الناس، فإن غالبية ســكان المجتمع كانوا فقراء وكانت أغلب أطعمتهم من الحبوب التي تنتجها أراضيهم، أو من منتوجات حيواناتهم التي يقومون على تربيتهــا [٥].

٦ - بعض العادات والتقاليد :

ولم تكــن تخلو منطقة عســير من عــادات وأعــراف متنوعة، مثل عــادات الزواج، والختان، والمآتم، والصلح، والجوار وغيرها كثير[٦]، لكن هؤلاء الرحالة لم يتعرضوا لها كثيراً فيما عدا فيليبي الذي ذكر مشــاهدته لعادة الزواج المبكر من الشــباب والشابات في عســير،حتى إن بعضــاً منهم قد يتزوج بين (١٢-١٣) ســنة، كما نوه إلى أن صــداق المرأة البكر كان عالياً بعض الشيء، في حين أن الثيب كان يتراوح مهرها من (٢٠-٣٠)

---

(1) Philby, Arabian, pp. 38, 39,113-4, 117, 129, 131, 139, 151.
(2) Ibid, pp. 113-4.
(3) Ibid, pp. 36, 116, 117, 137,139,140.
(4) Ibid, pp. 136, 140.
(5) Ibid, pp. 36,131,139,140.
(٦) لمزيد من التفصيلات عن هذه العادات في منطقة عسير ، انظر : ابن جريس، عسير ١١٠٠-١٤٠٠، ص٧٤ ومابعدها .

ريالاً[١]٠ ويذكر أيضاً أن التعليم بدأ ينتشر في عسير، والاهتمام بالقرآن وتلاوته كان من أهم الأمور التي يركز عليها السكان، حتى إنه قد شاهد حفلاً في بيشة يحتفى فيه بختام القرآن، وذكر أنه كان يحضره الشباب المحتفى بهم وعليهم ألبسة جميلة إلى جانب أنه يحضر مثل تلك المناسبة العديد من الأعيان والوجهاء وعلية القوم في المنطقة وذلك تكريماً لكتاب الله ثم احتفاء وفرحة بهؤلاء الشباب الذين ختموا كتاب الله[٢]٠

٧ - بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية :

ومن النواحي التي أشار إليها كل من تاميزيه وفيلبي اهتمامهما بذكر بعض النواحي العلمية والفكرية في المنطقة، فقد أشارا إلى تعداد المواقع الأثرية والنقوش التي تقع على الطريق ما بين بيشة وأبها[٣] ٠ كما أشرنا من قبل لاهتمامات فيلبي بملاحظة أنواع الطيور والحشرات الموجودة في المنطقة وإقدامه على جمع بعضها، كما تميز أيضاً باهتمامه بحركة النجوم وتتبعه للأنواء[٤]٠ولم يغفل عن ذكر لمحة عن الحياة الصحية في البلاد فأشار إلى وجود مستوصف بأبها يعمل فيه طبيب هندي يعالج الأمراض البسيطة مثل: الحمي، والجروح الصغيرة وغيرها، ويذكر أن إمكانات ذلك المستوصف كانت بسيطة جدا[٥]٠كما أشار إلى بعض الأمراض التي كانت تصيب الناس هناك ومن أشدها أمراض الحمى التي أصيب بها هو نفسه أكثر من مرة أثناء إقامته في عسير[٦] ٠

٨ - النواحي الاقتصادية :

ويذكر رحالتنا الثلاثة النواحي الاقتصادية في الإقليم، وخاصة التجارة فيذكرون جميعا الأسواق الأسبوعية الموجودة في المنطقة، وأهميتها في تجمع الناس وتبادل الأخبار والسلع التجارية، بل يذكرون ما كان لتلك الأسواق من أهمية عند أبناء القبائل، وما كان لها من أنظمة وقوانين لحمايتها وتعامل الناس فيها براحة وأمان٠ ولكن الرحالة الفرنسي تاميزيه يأتي أقل الثلاثة في الحديث عن هذا الجانب، أما كورنواليس وفيلبي فقد فصلوا الحديث عن أسماء بعض الأسواق، والسلع التي ترد إليها، والطرق الموصلة لها، والأسعار، والأوزان، وطرق التعامل ٠ لكن كورنواليس أيضاً يفوق فيلبي في الحديث عن هذه النقاط، حيث أفرد لبعضها عناصر مستقلة في كتابه، ولو أنها مختصرة بعض

---

(١) انظر : Philby, Arbian, p.136.

(2) Ibid, p. 39 - 40

(٣) تاميزيه ، الرحلة ، ص١٤٣، ٢٤٠، ٢٨٦، ٣٢٦،
Philby, Arabian, pp. 135, 136, 137, 138.

(4) Philby, Arabian, pp.111,112, 141,151.

(5) Ibid, pp. 141,148.

(6) Ibid, pp. 136, 139.

الشـيء إلاَّ أنها قيمة وتشـمل معلومات دقيقـة ومركزة٠ ومن أجود العناصـر التي تعرض لها ضـمن الناحية التجارية الطرق التي تربط منطقة عسـير بعضها مع بعض، حيث ذكر أسـماءها ومحطاتها والسـكان الذين يعيشـون على أطراف تلك الطرق، مع الإشـارة إلى بعض العقباتٍ التـي امتازت بها بعض تلـك الطرق[1]٠وربما يسـاوي كورنواليس الرحالة فيلبي وأحياناً يفوقه في الحديث عن طبيعة الأسواق المحلية الأسبوعية والأسعار والعملات والأوزان التي كانت سائدة فيها[٢]، مع العلم أن فيلبي قد أشار إلى هذه الجوانب وخاصة في أسـواق بيشة وخميس مشيط[٣]، ويجمع الرحالة الثلاثة على أن الوسائل الرئيسة لنقل النـاس والتجـارات كانت مركزة على الجمال والحمير، ولكن في عصـر فيلبي أصـبحت السيارات تعمل إلى جانب تلك الدواب، وخاصة فيما بين بيشة وأبها فقط[٤] ٠

ويشير الرحالة الثلاثة إلى وجود مهن اقتصادية أخرى في إقليم عسير مثل الرعي والزراعة وبعض الحرف الصـناعية التقليدية٠ ولكن كورنواليس يُعد أفضـلهم في ذكر هذه النقاط، حيث ذكر هذه المهن والفنون الصـناعية التقليدية في أماكن مسـتقلة من كتابه رغم قصـرها، ثم يأتي بعده فيلبي الذي أشـار إلى وفرة المدرجات الزراعية في أنحاء منطقة عسير، كما أنه شاهد العديد من الصناعات الحرفية واليدوية التي كانت تباع وتتداول في الأسواق الأسبوعية في المنطقة [٥]٠

سادساً - الخاتمة :

وخلاصـة القول أن هؤلاء الرحالة الثلاثة قد جاءوا في فترات متباعدة إلى منطقة عسـير تحت أهداف وأغراض سياسـية وحضـارية مختلفة، وإذا كانت الظروف دفعتٍ تاميزيـه ليأتـي مع جيوش محمـد علي باشـا إلى المنطقة، فربما لم يكن ذلك مدروسـاً ومخططـاً له من قبل، ليدون رحلتـه عن هذه المنطقة٠ وذلك بخلاف كل من كورنواليس وفيلبي اللذين جاءا بدعم وتأييد من قوى سياسـية مختلفة لجمع وتدوين معلومات عن المنطقة، حيث جاء كورنواليس بدعم من قوى اسـتعمارية هي الإمبراطورية البريطانية، في حـين أن فيلبـي جاء بدعم من حاكم المملكة العربية السـعودية الملـك عبد العزيز ٠ فكـون الظروف مختلفة والأهداف التـي جاء من أجلها كل من ذينك الرحالتين متنوعة، إلاَّ أننا معشـر الباحثين قد استفدنا استفادة واضـحة من المعلومات القيمة التي سجلها الرحالـة الثلاثـة، والتي قلما نجدها في مصـادر أخرى سـواء كانت عربيـة أم أجنبية،

(1) Cornwallis, Asir, pp. 104 ff.

(٢) انظر: Ibid, pp. 18-23. pp. 36,38,116,137,138,151-2.

(٣) انظر أيضاً إلى : Philby, pp. 38, 116,137, 138.

(4) Ibid, pp. 138, 148.

(5) Ibid, pp. 36, 116, 137, 141,151.

فألقت الكثير من الأضواء على نواح مجهولة من تاريخ وحضارة هذه المنطقة من جنوبي البلاد السعودية خاصة وأن منطقة عسير موضع الدراسة هي في حد ذاتها فقيرة في معلوماتها وفيما دون عنها سواء قديماً أو حديثاً، لكن الحصول على جزء من شيء أفضل من لاشيء.

سابعا - المصادر والمراجع:

١- المصادر العربية :

١- الألمعي، يحيى إبراهيم. **رحلات في عسير** (جدة : مطابع دار الأصفهاني، د.ت) جـ١.

٢- بيرين، جاكلين. **اكتشاف جزيرة العرب (خمسة قرون من المغامرة والعلم)**. ترجمة قدري قلعجي. (بيروت : دار الكتاب الغربي، د.ت).

٣- تاميزيه، موريس. **رحلة في بلاد العرب، الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م)**.ترجمة محمد بن عبد الله آل زلفة (الرياض : مطابع الشريف، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م).

٤- الجاسر، حمد. " فلبي : رحلاته في البلاد العربية " **مجلة العرب** (عام ١٤٠٩-١٤١٠هـ) مج٢٤، ص١٠٥ - ١٠٨.

٥- ابن جريس، غيثان بن علي. " وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ). **مجلة العرب**، جـ٣-٤ (سنة/٢٨) (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص١٥٤-١٧٠.

٦- ابن جريس، غيثان بن علي. **صفحات من تاريخ عسير** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، (الجزء الأول).

٧- ابن جريس، غيثان بن علي. " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل " **مجلة المؤرخ العربي**، العدد الثاني، المجلد الأول (مارس/١٩٩٤م)، ص٧٣-١٠٠.

٨- ابن جريس، غيثان بن علي. **عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م)** (جده : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

٩- ابن جريس، غيثان بن علي. **تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤-١٩٦٦م)** (جده : دار البلاد للطباعة والنشر، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) جـ١.

١٠- ابن جريس، غيثان بن علي. **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)** (الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

١١- ابن جريس، غيثان بن علي. **عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية في الحياة الإدارية والاقتصادية)** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١٢- الحفظـي، إبراهيم بن علي زين العابدين . **تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون** . تحقيق وتعليق، محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري (د.ت،١٤١٣هـ) .
١٣- حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**. ط٢ (الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٩٦٨م) .
١٤- درويش، مديحة أحمد . **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين** . (الرياض : دارِ الشروق ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
١٥- رنتز، جورج. " فيليبي مؤرخاً للمملكة العربية السعودية " . ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي . **مجلة الدرعية** (السنة الأولى، عدد (٢) ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص ٦١-٨٦ .
١٦- شـاكر، محمـود. **شبـه جزيرة العرب**- عسـير. ط٣ (بيروت - دمشـق : المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
١٧- الصـياد، محمـد محمود . " الرحالـة الأجانب في الجزيرة العربيـة قبل القرن التاسع عشـر " . **دراسات تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الأول. مصادر تاريخ الجزيرة العربية** .جـ٢ (الرياض : مطابع جامعة الملك سـعود- الرياض سابقاً، ١٣٧٩هـ /١٩٧٩م) ص ٤٣٧ - ٤٤٤ .
١٨- عاكش، حســن بن أحمد . **الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض**. تحقيق عبدالله بن علي بن حميد (د.ن، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
١٩- عبد القادر، عبد الشافي غنيم . " الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين " **دراسات تاريخ الجزيرة العربية.الكتاب الأول.مصادر تاريخ الجزيرة العربية**. جـ٢ (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود- الرياض سابقاً،١٣٧٩هـ/١٩٧٩م) ص ٤٢١ - ٤٣٦ .
٢٠- عسيري، علي أحمد. **عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م-١٢٨٩هـ/١٨٧٢م**. (أبها : نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .
٢١- العقيلـي، محمد بن أحمد. **تاريخ المخلاف السليمـاني** (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) جـ١ .
٢٢- العمـروي، عمر غرامة. **قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام** (أبها : نادي أبها الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩١م) (جزءان).
٢٣- الملكاوي ،حنان سـليمان . **العلاقات بين أمراء الأدارسة في عسير واشراف مكة (١٩٠٨/١٩٢٥م)**. منشـورات لجنـة تاريخ الأردن، سلسـلة البحوث والدراسـات المتخصصة رقم (١٢) (عمان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
٢٤- النعمي، هاشم سعيد. **تاريخ عسير في الماضي والحاضر** (د.ن / د.ت) .
٢٥- نورتون، ج.د. " فيليبي رجل الجزيرة العربية " **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** (الكويت، العدد الثالث، جمادى الثانية، ١٣٩٥هـ)، ص١٥١-١٥٩ .

٢٦- الهمداني، الحسن بن أحمد . **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

٢٧- وهبه، حافظ. **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ط٥ (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م) .

٢- المصادر الأجنبية :

1. Cornwallis, Sir Kinahan. Asir before World I War (Handbook) (Cambridge, 1976).
2. Hogarth D.G. Hejaz before World War I (Handbook) (Cambridge, 1978).
3. Monroe, El.Zabeth. Philby of Arabia (London, 1973).
4. Philby, H. St. J.B. Arabian Highlands (New York, 1976).

ثالثاً : الحياة الإدارية في عسير في عصر الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل ؛ بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

أولاً : توطئة : عسير وأصولها السياسية :

يعود بداية تاريخ عسير السياسي إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي). ولا ننكر ورود اسمها في المصادر الإسلامية المبكرة ، فقد أوردها العلامة اليمني الهمداني ، على أنها إقليم جرش قديماً (عسير حديثا) [1]. وإذا حاولنا معرفة منطقة عسير ، منذ القدم ، فسوف نجد ذكر اسمها في كتب التراث الإسلامي المختلفة بـ "إقليم جرش" أو "ناحية جرش" أو "مخلاف جرش" . وهذه المسميات في اعتقادنا تشمل الجزء الأكبر من منطقة عسير، وخاصة النواحي التي تشمل في يومنا الحالي : بلدة أحد رفيدة مع مدينة الملك فيصل العسكرية ، ثم محافظة خميس مشيط، ومدينة أبها والقرى المحيطة بها . وهذا الجزء من المنطقة قد أفردنا له دراسة مستقلة ومفصلة في (مجلة العصور) عدد يناير ، عام (١٩٩٤م) ، تحت

(١) لمزيد من التفصيلات انظر الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب (الرياض: منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص٢٥٥ وما بعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس . "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني مجلة الدارة ، العدد(٣) سنة(١٩) (ربيع الآخر والجماديان) ١٤١٤هـ، ص٧٦ وما بعدها .

عنوان : " تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسـلامية الأولى " [١] . ووضحنا في هذه الدراسـة الأبعاد السياسـية والحضـاري لهذا الإقليم الجغرافي ، مع الإشـارة إلى أهم المـدن والمراكز الحضـارية الموجودة فيه آنذاك . ولكننا مـع هذا كله لم ننوه إلى منطقة عسـير الحضـارية ، كما كانت في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود أو كما نشاهدها اليوم ، لأنه لم يكن لها نفس الشـهرة والأهمية التي كانت لبعض المراكز الحضارية في جنوبي شبه الجزيرة العربية آنذاك[٢] .

بقيـت عسـير ، وعاصـمتها أبها ، مغمـورة حتى أوائـل القرن الثالث عشـر الهجري (التاسـع عشـر الميلادي) ، وحتى بعد وصـول الأمير/ محمد بن عامر المعـروف بـ (أبو نقطة) إلى حكمها عام (١٢١٥هـ) عندما عاد من نجد يحمل معه مبادئ الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولم يتخذ أبها عاصمة لدعوته ومنطلقاً لنشر مبـادئ وأفـكار الدعوة التـي جاء بهـا ، وإنما اتخذ مدينـة (طبب) عاصـمة لإمارته ، فكانت بلدة طبب أول مدينة عرفتها عسير خلال تاريخها الحديث ، وعندما ثار الأمير / سـعيد بن مسلط المغيدي على حكم الشـريف محمد بن عبدالمعين بن عون في عسير سنة (١٢٣٧هـ) اتخذ من قريته المعروفة بـ (السقا) عاصمة لإمارته ، فكان ذلك نقطة تحول في انتقال عاصمة عسير من مقرها بمدينة (طبب) إلى (السقا) ، وفي عام (١٢٤٢هـ) وصـل الأمير/علي بن مجثل المغيدي إلى الحكم في عسـير فاختط أول قلعة حكومية بأبها . عرفت بقلعة المفتاحة ، فكان ذلك نقطة تحول عاصـمة عسـير من مقرها (السقا) إلى مدينة أبها ، كما كان في نفس الوقت بداية ثم امتداداً لنشـوء حاضـرة أبها وتطورها كما نشاهدها الآن في ظل حكومة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين [٣] .

وقـد اسـتمر الأمـير/ علي بن مجثـل في الإمارة حوالي سـبع سـنوات (١٢٤٢هـ ـ ١٢٤٩هـ) ، متخذاً مدينة أبها عاصـمة لإمارته التي تشمل أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسـراة ، الواقعة بين الحجاز في الشـمال واليمن في الجنوب . ومما عرف عن الأمير ابن مجثل أنه عاصر فترة حكم الدولة السعودية الأولى ، مما جعله يتأثر بنظام الحكم

---

(١) انظر **مجلة العصور** ، مج ٩، ج١، رجب (١٤١٤هـ) ، يناير (١٩٩٤م) ، ص ٦٣ ـ ٧٨ .

(٢) من أهم المراكز الحضارية القديمة في جنوبي شبه الجزيرة العربية :ـ صنعاء ، وصعدة ، ونجران ، وجرش، وبيشة ، وتبالة ، وحلي ، والمخلاف السليماني ، والسرين وغيرها .

(٣) انظر لمزيد من التفصيلات عن تاريخ منطقة عسير السياسي ؛ عثمان بن عبدالله بن بشر. **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، تحقيق عبدالرحمن آل الشـيخ . الطبعة الثانية من قبل وزارة المعارف بالسـعودية (١٣٩١هـ) ج١، ص ١٤٧، ١٥١، ١٥٧؛ عبدالله بن عبدالرحمن البسـام . **علماء نجد خلال ستة قرون** . (مكة المكرمة : مكتبة النهضـة الحديثة ، ١٣٩٨هـ) ، ج٣، ص٩٤٧ـ٩٤٨؛ عبد الرحمن البهكلي ، **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود** ، تحقيق محمد العقيلي (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ص٧٢. ٩٩؛ ١٢٧ـــ ١٣٨ ؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم . **الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ـ ١٨١٨م/١١٥٨ـ ١١٥٨ـ ١٢٣٣هـ)** (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٦م) .

والإدارة فيهـا مـع الحرص على العمل بما جاءت به مبادي وآراء الدعوة السـلفية ، كما قام ببعض الإصلاحات في مدينة أبها وما حولها فاختط بها عدة قلاع وحصون ، وسعى إلى جمع الزكاة من الناس ، وخصص جزءاً كبيراً منها للأنفاق على المساكين والفقراء في مدينة أبها ومن يأتي إليها من المحتاجين والسائلين [١].

وفي عام (١٢٤٩هـ) تولى إمارة عسير ، الأمير/ عائض بن مرعي[٢] ، وفي عهده حظيت بلاد عسير ، ببعض الاهتمام ، فقد جمع حوله نخبة من العلماء كي يستمع إليهم ويستشيرهم في حل مشـاكل إمارته على المنهج الشـرعي ، وكان أبرز أولئك العلماء ، الشـيخ عبدالخالق الحفظي ، والشـيخ سـحمان بن مصـلح[٣] ، كما قـام الأمير/عائض بن مرعـي باختطاط العديد من الحصـون في كل من أبها والقرى المحيطة بها ، وأنشـأ مدرسـة علمية في مدينة أبها التحق بها الكثير من طلاب العلم ، لدراسـة العلوم الشرعية والفقهية في المقام الأول[٤] ، كما أقام الجسور الخشبية على أودية أبها ليسير الناس عليها عندما تسقط الأمطار[٥].

تسـلم محمد بن عائض بن مرعي الإمارة في عسير بعد موت والده ، عام (١٢٧٣هـ) واسـتمر في إمارة عسـير حتى عام (١٢٨٩هـ) ، وكان له إصـلاحات ونشاطات اجتماعية وإدارية وسياسـية لا تقل عن النشـاطات التي قام بها والده [٦]. حيث بقيت مدينة أبها في عهده ، هي العاصمة الرئيسية لإمارته التي كانت تمتد إلى قرب الطائف ومكة المكرمة من الشـمال والحديدة وصـعدة من الجنوب ، كما أنه قام بإجراء بعض التحسينات على بيت المال في إمارته ، وكذلك الأنظمة الإدارية الأخرى ، مثل: الشرطة ، والحسبة والقضاء[٧].

---

(١) هاشـم بـن سـعيد النعمي . **تاريخ عسير في الماضـي والحاضر** ص١٨٥؛ وللمزيد انظر: إسـماعيل بن محمد البشري . **إقليم عسير في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٣٨هـ-١٣٧٣هـ /١٩١٩-١٩٥٣م)**. رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، قسم التاريخ والحضارة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٢١٦ .

(٢) للاطـلاع على تفصـيلات أكثر انظر، حسـن بـن أحمد اليمني (عاكش) . **الـدر الثمين في ذكـر المناقب والوقائـع لأمـير المسلمين محمد بن عائض** (دمشـق : دار الفكـر ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)ص٢١؛ علي أحمد عيسـى عسـيري . **عسير مـن ١٢٤٩هـ/١٨٣٣-١٢٨٩هـ/١٨٧٢م. دراسة تاريخية** (أبها : نـادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص١٢٣ وما بعدها .

(٣) لمزيد من التوضيحات عن ترجمة كل من الشيخين /عبدالخالق الحفظي ، وسحمان بن مصلح ، انظر هاشم النعمـي . **شـذا العبـير من تراجـم علماء وأدبـاء ومثقفي منطقة عسـير في الفترة ما بـين ١٢١٥-١٤١٥هـ** (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٥هـ) ص ١٢٠ ، ١٥٦ .

(٤) علي بن عيسى عسيري ، **عسير** ، ص ٣٩٣ومابعدها ، كانت الكتب التي تدرس على طلاب العلم في أبها وما حولها من القرى . كتاب الأصول الثلاثة ، وكتاب كشف الشبهات ، وموجز عن فقه الشافعي .

(٥) انظر علي عيسى عسيري ، **عسير** ، ص ٣٩٣ وما بعدها .

(٦) انظـر ، عبـدالله بـن علي بن مسـفر . **السراج المنـير في سيرة أمراء عسير** (بيروت : مؤسسـة الرسـالة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص٩٤ .

(٧) هناك العديد من القضـاة الذين عملوا في مدينة أبها خلال عصـر الأمراء الذين تعاقبوا على إمارة عسير من عام (١٢٣٨-١٢٨٩هـ) ، فلقد تولى القضاء في عهد الأمير/ سعيد بن مسلط ، الشيخ عثمان بن علي بن عيسـى النجدي ، وفي عهد الأمير/ علي بن مجثل (١٢٤٢-١٢٤٩هـ) تولى القضـاء كل من ناصر بن محمد

جاء الأتراك إلى منطقة عسير عام (١٢٨٩هـ) فقضوا على إمارة الأمير/ محمد بن عائض بن مرعي، وحكموا منطقة عسير حوالي ثمان وأربعين سنة (١٢٨٩ـ ١٣٣٧هـ) ، لكن سلطتهم في عسير كانت اسمية ، حيث لم يكن الولاء لهم يمتد لأكثر من المراكز العسكرية والثكنات وبعض المدن ، وما عدا ذلك فالسلطة الحقيقية كانت بيد شيوخ القبائل[1] ، وبالنظر إلى فترة الحكم العثماني في عسير التي امتدت حوالي نصف قرن ، حيث أصبح الإقليم مرتبطاً بدولة ذات نظام وأجهزة متطورة ، فقد عرفت منطقة عسير في تلك الفترة بعض النظم في الحكم والإدارة ، لم تكن تعرفها من قبل ، وبدراسة وضع بلاد عسير في تلك الحقبة نستطيع أن نخرج بالملامح الآتية حول الأسلوب الإداري في إقليم عسير:ـ

١. جعلت عسير متصرفية عثمانية خاضعة للآستانة ، ويسري عليها النظام العثماني لجميع متصرفيات الدولة العثمانية.

٢. اتخذت الدولة العثمانية من أبها مقراً رئيسياً للحكومة ، يقيم فيها حاكم عام عسير وفيها القيادة العامة للجيش .

٣. جُعل لكل منطقة من مناطق عسير حاكم عثماني ، يدير شؤون الحكم فيها ، ويرتبط بالحاكم العام في أبها وتقيم معه حامية عثمانية في قلعة أعدت لهذا الأمر.

٤. يتبع أبها ستة مراكز فرعية في جميع أنحاء الإقليم هي:
(أ) نواحي القنفذة ومركزها القنفذة . **(ب)** محايل وبارق وقنا ومركزها محايل. **(ج)** قبائل رجال ألمع ومركزها الشعبين . **(د)** قبائل رجال الحجر ومركزها النماص. (هـ) قبائل غامد وزهران ومركزها رغدان . **(و)** وجازان وصبيا وأبو عريش ومركزها صبيا .

جعلت في كل من (السقا) و (ريدة) قاعدة عسكرية للقوات العثمانية نظراً لموقعها الاستراتيجي الهام ، و(محايل) نقطة انطلاق للجيش الاحتياطي ، و(القنفذة)

الكبيسي، وعبدالله بن سرور العسيري ، وعباس بن محمد الرفيدي، وفي عهد الأمير/ عائض بن مرعي (١٢٤٩ـ ١٢٧٣هـ) تولى مهام القضاء الشيخ / سحمان بن مصلح الخثعمي ، والشيخ/ عبدالرحمن بن محمد الحفظي . وفي عهد الأمير/ محمد بن عائض بن مرعي (١٢٧٣ـ ١٢٨٩هـ) عمل في القضاء بمدينة أبها كل من الشيخ / محمد بن صالح بن إبراهيم ، وأحمد بن عبدالخالق الحفظي ، وعبدالله بن محمد النعمي ، وناصر بن أحمد بن مسبل . للمزيد من التفصيلات عن هؤلاء القضاة . وتراجم بعض منهم انظر: هاشم النعمي ؛ **شذا العبير** ؛ وكذلك إسماعيل البشري : **إقليم عسير** ، ص ٢١٨ .

(١) لمزيد من التفصيلات عن منطقة عسير تحت الحكم العثماني من عام (١٢٨٩ـ ١٣٣٧هـ) ، انظر: غيثان بن علي بن جريس . **صفحات من تاريخ عسير** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ج١، ص ٦٧ـ ٩٠ ، وللمؤلف نفسه انظر: وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩ـ ١٣٣٧هـ) " **مجلة العرب** " ج٣ـ ٤ ، سنة (٢٨) (رمضان وشوال ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ص١٥٤ـ ١٧٠ .

مرفأ للإقليم ، و(الشقيق) نقطة اتصال بالسواحل اليمنية[١] ٠

٥. كانت القوات العثمانية المرابطة في هذه الفترة في منطقة عسـير سـتة عشر طابوراً في محايل ، وثلاثة طوابير في قوز أبي العير ، وفي القنفذة ثلاثة طوابير، وفي عاصمة الإقليم أبها عشرة طوابير[٢] ٠

٦. أسسـت في أبها محكمة عثمانيـة ، وطبقت فيها الأحكام الشـرعية ، بموجب مجلة الأحكام العدلية ، ولم أجد من أسـماء قضـاة عسـير في تلك الفترة سـوى القاضي العثماني " ضياء الدين علي عبدالمعين " وفيها كاتب تركي وكاتب عربي ٠

٧. اعتمـد النظـام المالي على الزكاة والضـرائب التي تفرضـها الدولـة على رعاياها وخاصة في أواخر أيامها[٣] ٠

الجدول التالي يوضح تعداد الولاة العثمانيين على إقليم عسيرومدة حكم كل منهم[٤] **:**

م	اسم الوالي	تاريخ ولايته	مدة حكمه
١	رديف باشا	١٢٨٨ـ ١٢٨٩هـ	تسعة أشهر
٢	أحمد مختار باشا	١٢٨٩ـ١٢٩١هـ	سنة وشهران
٣	عثمان بك	١٢٩١ـ١٢٩٢هـ	أربعة أشهر
٤	حيدر بك	١٢٩٢ـ١٢٩٤هـ	ثلاث سنوات
٥	أحمد فيضي باشا	١٢٩٤ـ١٢٩٧هـ	أربع سنوات
٦	تحسين باشا	١٢٩٧ـ١٣٠٠هـ	ثلاث سنوات
٧	رفعت باشا	١٣٠٠ـ١٣٠٥هـ	خمس سنوات ونصف

---

(١) انظـر ، هاشـم النعمـي ؛ **تاريخ عسـير** ، ص٢٠٨ وما بعدها : نبيل عبد الحي رضـوان . **الدولـة العثمانية وغربـي الجزيـرة العربيـة بعـد افتتـاح قنـاة السويـس (١٨٦٩ـ ١٩٠٨م)** (جـدة: تهامة للنشـر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص٩٦؛ محمود شاكر . عسير (بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص٢٥ وما بعدها ؛ إسماعيل البشـري. **إقليم عسير في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود** ، ص٢٢٠؛ غيثان بن علي بن جريس . صفحات من تاريخ عسير ، ج١، ص٦٧ وما بعدها .

(٢) شـرف بن عبدالمحسـن البركاتي . **الرحلة اليمانية** (دمشـق وبيروت : المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٤هـ) ص١٠٨؛ إسماعيل البشري. **إقليم عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ، ص ٢٢٠ ٠

(٣) إسماعيل البشري ، **إقليم عسير** ، ص ٢٢٠ـ ٢٢١ ٠

(٤) المصـدر: مجموعة وثائق غير منشـورة ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٣٧٦ـ ٣٨١) وهي تحتوي على أسـماء وتواريخ الأمراء والولاة الذين تولوا بلاد عسـير منذ بداية القرن الثالث عشـر الهجري (التاسـع عشـر الميلادي). وللمزيد من المراجع انظر، إسـماعيل البشري ؛ **إقليم عسير** ، ص٢٢١؛ غيثان بن علي بن جريس، **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)** (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص٥٤ ٠

م	اسم الوالي	تاريخ ولايته	مدة حكمه
٨	محمد أمين باشا	١٣٠٥-١٣١٠هـ	أربع سنوات ونصف
٩	يوسف باشا	١٣١٠-١٣١٦هـ	خمس سنوات ونصف
١٠	أمين باشا	١٣١٦-١٣١٧هـ	سنتان
١١	موسى كاظم باشا	١٣١٨-١٣١٩هـ	سنة وثلاثة أشهر
١٢	إسماعيل حقي باشا	١٣١٩-١٣٢٤هـ	خمس سنوات وتسعة أشهر
١٣	كاظم باشا	١٣٢٥-١٣٢٦هـ	سنة ونصف
١٤	سليمان شفيق باشا	١٣٢٦-١٣٣١هـ	خمس سنوات
١٥	علي حيدر بك	١٣٣١- ١٣٣٢هـ	سنة واحدة
١٦	محيي الدين باشا	١٣٣٢-١٣٣٧هـ	ست سنوات

يتضح لنا من الجدول السابق أن الحكم التركي استمر في إقليم عسير لمدة تزيد على ثمان وأربعين سنة ، وكان عدد ولاة الدولة العثمانية ستة عشر واليا ٠

(*) وقد اتسمت فترة الحكم العثماني في عسير بالسمات التالية :

١. التمرد القبلي وكثرة الاضطرابات والفوضى الناجمة عن ذلك ، مما جعل التعليمات الإدارية والسياسية محكوماً عليها بالفشل .
٢. تعدد الولاة العثمانيين ، حيث كان متوسط مدة كل منهم لا تزيد عن ثلاث سنوات .
٣. عندما كان ينجح أحد الولاة في كبح جماح الثورات وتنظيم الإقليم كانت الدولة تقوم بنقله ، مما كان يؤثر كثيراً على وضع الوجود العثماني في المنطقة ٠
٤. عدم قبول أهالي عسير للوجود العثماني ، فقاوموه بشدة ، مما جعل هناك عزلة قوية بين الحاكم وعماله في المراكز وبين الأهالي ، ولم ينجح أحد من الولاة في بناء جسور من الثقة مع سكان الإقليم ، كما فعل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود فيما بعد .

ثانياً : نظام الحكم وتطوره في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود :

رحل العثمانيون من شبه الجزيرة العربية، وظهر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في نجد مصمماً على توحيد أطراف شبه الجزيرة العربية تحت راية التوحيد . وكان الملك عبدالعزيز (يرحمه الله) يدرك بإيمانه القوي أن الشريعة الإسلامية هي الأساس القوي لنظام حكمه ، ولولاها لغرقت قبائل الجزيرة العربية في السلب والنهب كما كانت من قبل، وتمكن من إنشاء دولة عصرية ، تساير التطور الحديث في جميع الميادين الاجتماعية ، والتعليمية ، والصحية، والمواصلات، وجاء ظهور البترول عاملاً

حاسماً في العمل على تحقيق هذه الآمال الكبار في الإصلاح ، وأكد الملك عبدالعزيز لكل المحيطين به أنه ليســت كل الأنظمة أو القوانين الوضــعية مخالفة للشــريعة الإسلامية ، كمــا أن الدولة العصــرية لا يمكنهــا الاعتماد في نظمها الإدارية علــى الكثير من النظم القديمة التي لا تساير الزمن [١] .

وأثبــت الملك عبــد العزيز بالنتائــج العملية التي اســتطاع تحقيقها أنــه رجل دولة بالمعنى الصــحيح ، بل إنه الرجل المؤهل لإنشــاء دولة موحدة من أقاليم متفرقة تفصل بينها المســافات الصــحراوية الشاســعة ، وهذه عوائق مادية ، كما تفصــل بينها عوائق معنوية تتمثل في العصبية القبلية واختلاف طرق الحياة والسلوك [٢] .

ســار الملك عبدالعزيز في سياســة إنشــاء الدولة الموحدة بخطى وئيدة لكنها ثابتة وحازمــة ، فلــم يبادر بإنشــاءٍ دولة موحــدة بمجرد الاســتيلاء على الحجــاز ، بل جعل الحجاز مملكة مســتقلة ذاتياً لفترة دامت ثماني ســنوات ، وضع أثناءها الأسس المتينة لتوحيد المملكة ، وأصــدر الأنظمة في الحجاز وحدها لأنها مهيأة من قبل لتقبل مثل هذه الأنظمــة ، حتى يألف النجديــون بتمهل وأناة هذه التطــورات القانونية والاجتماعية بل والمخترعات الحديثة[٣] .

بدأ وضــع النظم للدولة سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) تبعاً لمقتضيات الحاجة ، وتنظيماً للأعمال ، وكانت المعاملات على إثر دخول الملك عبدالعزيز الحجاز تتبع أحكام القانون العثماني ، فلم يكن بد من انقضــاء زمن على انتظام الدولة الجديدة لتســتطيع وضــع أحكام تحل محل الأحكام المعمول بها ، فأذن الملك باســتمرار أحكام ذلك القانون ، إلى أن قامت النظم الحديثة مقامها [٤] .

---

(١) لمزيــد من التفصــيلات عن سياســة الملــك عبدالعزيــز الداخلية أثناء توحيــده للبلاد ، وقدرتــه على جمع شــمل ســكان البلاد تحت راية التوحيد ، وكذلك حرصــه على النهوض ببلاده في شتى المجالات ضمن إطار الشريعة الإسلامية السمحة ، مع مراعاة الأخذ بكل جديد وفقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية . راجع : أمين الريحاني. **نجد وملحقاتها وسيرة عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود** (الرياض: منشــورات الفاخرية ، ١٩٨١م)؛ أمين ســعيد . تاريخ الدولة الســعودية (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٥هـ) أحمد عبدالغفــور عطــار . " صــقر الجزيرة المغفور له الملك عبدالعزيز آل ســعود " . (مقال نشــر في مجلة المنهل بتاريخ ٩ رمضــان /١٣٩٤هـ) ؛ فؤاد حمزة . **البلاد العربية السعودية** (الرياض: منشــورات مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ؛ حمد الجاسر . **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ** (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة ، ١٣٨٦هـ) ٠

(٢) المراجع نفسها ٠

(٣) المراجع نفسها ٠

(٤) لمزيد من التوضــيحات ، انظر: خير الدين الزركلي ، **الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز** (بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م) ص١٠٣ وما بعدها .

ومما لاشك فيه أن كل التنظيمات الحديثة التي قام بها الملك عبدالعزيز في دولته كان لها تأثيرها على إقليم عسير كجزء من الدولة السعودية الحديثة ، وكان الموقف بعسير وخاصة خلال الحكم العثماني جعله أكثر قابلية للنظم العصرية من إقليم نجد، وكاد يقترب الوضع مع الحجاز ، حيث كانت تسود به بعض التشريعات [(١)].

وفي سبيل تنظيم الحكم في البلاد السعودية قسمت المملكة في عهد الملك عبدالعزيز إداريا حسب التنظيم الإداري لسنة (١٣٥٤هـ) قسمين : الأول : نجد وملحقاتها ، والثاني : الحجاز ويتكون كل قسم من عدة أقسام إدارية فرعية ، يطلق على كل واحدة منها إمارة على النحو الآتي:

١. نجد وحاضرتها الرياض وتنقسم ثلاثة أقسام هي: **(أ) إمارة الرياض:** ويتبعها وادي الدواسر، والأفلاج ، والحريق ، والخرج ، والعارض، والوشم ، وسدير. **(ب) إمارة القصيم :** وتتكون من عنيزة ، وبريدة ، والرس ، والمذنب . **(ج) الجزء الشمالي :** وقاعدته حائل ويتبعها مراكز القبائل من شمر ، وحرب ، وعنيزة ، والظفير .
٢. الحجاز وحاضرته مكة المكرمة وتتكون من الإمارات الآتية : تبوك ، وضبا ، والوجه، وأملج ، وينبع ، وإمارة المدينة المنورة ، وإمارة جدة ، والقنفذة ، وبلجرشي ، والطائف ٠
٣. إمارة عسير وقاعدتها أبها وتشمل عدة أقسام .
٤. إمارة نجران وقراها .
٥. إمارة الأحساء وقاعدتها الهفوف [(٢)].

جعل الملك عبدالعزيز على كل إمارة من هذه الإمارات الخمس أميراً ، وكان يراعي في تعيينه لحكام الأقاليم مجاملة الرؤساء المحليين ويأتي مركز الأمير في الدرجة الأولى ، في نطاق إمارته ، حيث يوجد بيده صلاحيات واسعة في الإقليم المعين عليه ، ويمكن القول أن الأمير هو الممثل الأول للملك في الإقليم ، وجميع تعيينات الأمراء وتكليفهم بالعمل في الأقاليم المختلفة تصدر مباشرة من الملك إليهم ، أو عن طريق نائب جلالة

---

(١) للمزيد انظر ، فؤاد حمزة . **البلاد العربية السعودية** ، ص٩١؛ خير الدين الزركلي . **الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز** . ص١٠٣ ، عبدالله بن محمد الشهيل . **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة (١٣٣٣ـ ١٣٥١هـ/١٩١٥ـ ١٩٣٢م) (دراسة تاريخية تحليلية)** (الرياض: دار الوطن للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤م) ، ص ١٩٥ وما بعدها ٠

(٢) عبدالرحمن زكي . **المسلمون في العالم اليوم ـ آسيا الإسلامية** (د. ن ، ١٩٥٨م) ؛ غيثان بن علي بن جريس . **أبها حاضرة عسير** ، ص٨٣ . ومن الجدير بالذكر أنه في سنة (١٣٧٣هـ) صدر التنظيم الإداري الجديد للمملكة الذي ألغى التنظيم السابق وأصبحت بموجبه جميع إمارات المملكة تابعة لوزارة الداخلية بعد إنشائها في الرياض وقد قسمت المملكة بموجب هذا التنظيم إلى (١٧) إمارة . انظر إسماعيل البشري. إقليم عسير ، ص ٢٢٤ ٠

الملك في الحجاز، بعد أخذ موافقة الملك على ذلك ، كان يرتبط الأمير بجلالة الملك مباشرة في جميع الأمور والأحوال .

أما سلطات الحاكم الإداري في كل إقليم فهي واسعة جداً : تشمل إشرافه على جميع شؤون الإقليم المالية والحربية والأمنية وغيرها ، وترتبط به جميع الإدارات الحكومية في عاصمة الإقليم التي يرتبط بها جميع الإدارات الفرعية ، ويشرف الأمير على حكام المناطق التابعة له إشرافا مباشرا ، ويرجعون إليه في شؤونهم كلها بلا استثناء[١].

ومن الجدير بالذكر أن الملك عبدالعزيز قد عرض إمارة عسير على الأمير/ حسن بن عائض ، حاكمها السابق[٢] على أن يرتبط بالملك عبدالعزيز إلا أنه رفض ذلك مما دفع بالملك عبدالعزيز أن يعين عليها حاكماً من قبله ·

أما أمراء القبائل والعشائر المختلفة فلهم سلطات محددة في معالجة قضايا معينة ، يحولها لهم الأمير ، أو البت في الأمور العشائرية المختلفة ، بما لا يتعارض مع سلطات الأمير، ويكون أمراء القبائل مجلساً استشارياً للأمير في معظم الأحوال لدراسة أحوال القبائل واحتياجاتها[٣].

وبعد أن تحدثنا عن نظام الحكم ، وأوضحنا صلاحيات ومسؤوليات الحاكم الإداري نأتي للحديث عن نظام المؤسسات الإدارية في إقليم عسير ·

ثالثاً : تطور المؤسسات الإدارية في منطقة عسير :

سويف يتركز حديثنا عن المؤسسات الإدارية التي كانت موجودة بمنطقة عسير أثناء عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، وتلك الإدارات كانت على النحو الآتي :

١ - إمارة منطقة عسير . **٢** - الشرطة . **٣** - الجوازات والأحوال المدنية . **٤** - التعليم . **٥** - القضاء . **٦** - هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . **٧** - البلدية ودورها في تطوير العمران . **٨** - إدارة المالية . **٩** - الخدمات الصحية .

---

(١) انظر عبدالله الشهيل ، **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة** . ص ٢٠٧وما بعدها ؛ إبراهيم العتيبي . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز** (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٤هـ) ، ص١٨٦وما بعدها .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن إمارة آل عائض في عسير ، انظر: علي أحمد عسيري . عسير، ص١٢٣ وما بعدها، محمود شاكر . عسير ، ص ٢٢٥ وما بعدها ؛ عبد المنعم إبراهيم الجميعي . **عسير خلال قرنين (١٢١٥-١٤٠٨هـ/١٨٠٠-١٩٨٨م)** (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ص٧٧ وما بعدها ·

(٣) انظر خير الدين الزركلي . **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز** (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٧هـ) ج٢، ص ٢٥٠ــ ٢٥١؛ عبدالله الشهيل . **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة** ، ص ٢١٠ وما بعدها . إسماعيل البشري ، إقليم عسير ، ص٢٢٤ وما بعدها ·

١ـ إمارة منطقة عسير :

كانت إمارة منطقة عسير تسير على نفس النمط التقليدي لبقية الإمارات في بداية حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، حيث كانت تتألف من أمير المنطقة ومعه مجموعة من الأخوياء وبعض الكتاب[١] .

وأول إشارة تتعلق بالتنظيم الإداري لإمارة عسير وجدناها في الأمر السامي الكريم رقم (٤/٤/٢) وتاريخ (١٣٥٨/٦/٥هـ) وهو القرار الخاص ببعض الترتيبات الخاصة ببلاد عسير ، حيث نجد أن إمارة المنطقة أصبحت كياناً إدارياً منظماً يتبعه العديد من المراكز والملحقات المحددة بتشكيلات إدارية واضحة[٢] .

(*) **لعل أبرز ما ورد في ذلك القرار التنظيمات التالية :**

١. تكون تشكيلات إمارة أبها مثل تشكيلات إمارة الطائف أو المدينة المنورة .
٢. فصل إمارة جازان عن إمارة أبها ويعين خالد السديري أميراً عليها .
٣. فصل منطقة "قنا والبحر" عن جازان وتربط بإمارة محايل .
٤. نقل مركز الحرجة إلى ظهران الجنوب ومعه القاضي نظراً للأهمية الإدارية لموقع ظهران الجنوب .
٥. تصبح مراكز الإمارات التابعة لإمارة عسير وتشكيلاتها وميزانياتها على النحو الآتي : [٣] .

---

(١) أوراق متناثرة ، وغير منشورة ، ضمن مكتبة الباحث ، وهي من تدوين الأستاذ/ محمد أحمد أنور ، أحد رواد التعليم في منطقة عسير خلال عهد الملك عبدالعزيز . وهذه الأوراق توجد تحت الأرقام الآتية : (١/٢٠٨٤ ـ ٢٠٨٤) . (٦/٢١٠٦) .

(٢) انظر غيثان بن جريس . **أبها حاضرة عسير** ، ص٦١ وما بعدها . كما انظر ملحق رقم (٣) في نفس كتاب "**أبها حاضرة عسير**" وهو معلومات دونها الأستاذ / محمد أحمد أنور عن الإمارة والقضاء ، وأصول تلك الأوراق توجد ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (٢١٠٦ـ ٦/٢١) .

(٣) يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق التي تعكس ميزانيات عسير ونجران وجازان من عام (١٣٥٨هـ حتى عام ١٣٦٢هـ) ، وهي وثائق جديدة لم يسبق نشرها ، وتوجد ضمن مكتبة الباحث تحت الأرقام الآتية (٨٤١ـ ٨٤٤ ، ٨٥١ ، ٨٧٦ ، ٩٥٢ـ ٩٨٣ ، ١٠٢٨ ، ١٠٩٥ ، ١٤٠١ـ ١٤٨٢) ونحن بصدد نشرها في عدة أجزاء ، وقد دُفع بالجزء الأول منها للنشر في مجلة بيادر رقم (٢٥) ، وهو عدد خاص بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ويناقش ميزانية جازان عام (١٣٦١هـ) . وعنوان تلك الدراسة هو: (قراءة في مخصصات مقاطعة جازان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبدالعزيز) . وتقع في خمس وعشرين صفحة من صفحات المجلة ، ص ١١٥ـ ١٣٩ .

أ ـ إمارة ظهران الجنوب :

الوظيفة	الراتب
أمير	٢٧٥٠ قرشاً
كاتب	٣٣٠ قرشاً
متفرقات	١١٠ قروش
إيجار دار الأخويا	٣٣٠٠ قرش

ب ـ إمارة رجال ألمع :

الوظيفة	الراتب
أمير الطارفة	٢٢٠٠ قرش
كاتب	٣٣٠ قرشاً
إيجار دار الإمارة	١١٠ قروش
إيجار دار الأخويا وقيمة قاز	١٧٦ قرشاً
خدام عدد ١٠×١١٠	١١٠٠ قرش
أخويا ١٠×١٦٥٠	١٦٥٠٠ قرش

ج ـ إمارة محايل[١]

الوظيفة	الراتب
أمير الطارفة	٢٧٥٠ قرشاً
كاتب	٣٣٠ قرشاً
إيجار دار الإمارة	٥٥ قرشاً
خدام عدد ١٠×١١٠	١١٠٠ قرش
أخويا ١٠×١٦٥	١٦٥٠٠ قرش

د ـ إمارة بارق :[٢]

الوظيفة	الراتب
أمير الطارفة	١٣٢٠ قرشاً

(١) وثائق ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت الأرقام التالية (٢٥٩، ٤٢٧، ٤٥١، ٥٠١، ٥٤٤، ٥٥٥، ٩٤٢، ٩٤٦ـ ٩٤٧، ٩٥٢ـ ٩٨٣، ١٠٢٨، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٨١، ١٠٩٥، ١٤٠١، ١٤٨٢) ٠

(٢) الوثائق نفسها ٠

الوظيفة	الراتب
نجاب	١١٠ قروش
خدام عدد ٥×١١٠	٥٥٠ قرشاً
خدام عدد ٥×١٦٥٠	١١٠٠ قرش
أخويا ١٠×١٦٥	٨٢٥٠ قرشاً

هـ ـ إمارة بني شهر وبني عمرو[1].

الوظيفة	الراتب
الأمير	٢٢٠٠ قرش
كاتب	٣٣٠ قرشاً
إيجار دار الأخويا	٧٢٠ قرشاً
متفرقات	١١٠ قروش
خدام عدد ١٠×١١٠	١١٠٠ قروش
أخويا عدد ١٠×١٦٥٠	١٦٥٠٠ قرش

و ـ إمارة قنا والبحر[2] :

الوظيفة	الراتب
الأمير	١٣٢٠ قرشاً
كاتب	٣٣٠ قرشاً
جنود عدد ٥×١١٠	٥٥٠ قرشاً
جنود عدد ٥×١٦٥٠	٨٢٥٠ قرشاً

(١) الوثائق نفسها ٠

(٢) وثائق ضمن أوراقٍ مكتبة الباحث تحت الأرقام التالية (٨٤١، ٨٥١، ٨٧٦، ٩٥٢، ١٠٣٨، ١٠٣٩). كما توجد هذه الوثائق أيضا في مركز الوثائق بمعهد الإدارة العامة بالرياض تحت الأرقام الآتية : (١٨/١٩/٣٨١). انظر مجموعة من الوثائق الخاصة بميزانيات بعض المؤسسات الإدارية في عسير ضمن كتاب: عسير في عصر الملك عبدالعزيز ، لغيثان بن جريس (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ص٣٤ ومابعدها . والملاحظ على تلك الوثائق أنه لم يسبق نشرها من قبل ، كما أنها تختلف في سنوات إصدارها ، إلا أنها ضمن العقدين الخامس والسادس من القرن الهجري الماضي ، والباحث حصل عليها من أشخاص متفرقين في منطقة عسير ، وهي توجد ضمن مكتبته الخاصة تحت الأرقام الآتية (٨٤١ـ ٨٤٤ ، ٨٥١، ٨٧٦ ، ٩٥٢ـ ٩٨٣، ١٠٢٨، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٨١، ١٠٩٥، ١٤٠١، ١٤٨٢) ٠

ز- إمارة بيشة[١] :

الوظيفة	الراتب
الأمير	٣٠٠ ريال
الكاتب	٥٠ ريالاً
المطوع	٣٠ ريالاً
أخويا ٣٠×٢٠ ريال	٦٠٠ ريال
الضيافة	٥٠٠ ريال

في عـام (١٣٥٩هــ) رُفـع تقريـراً في (١٣٥٩/١١/١هــ) عـن تهامـة عسـير والترتيبـات المقترح إجراؤهـا فيها ، وذكر ذلك التقرير أن مراكـز الحكومة بعيدة عن الناس مما يعوقهم عن الوصول إليها ، وقد تحدث حوادث جنائية ولا يصل خبرها إلى مراكـز الإمارات إلا بعد مدة طويلة فتفوت الفرصـة ، ولا يحصـل القبض على الجاني بسـبب تلاعب مشـايخ القبائل ، وعدم اسـتعمال الحزم الكافي ، وذكر ذلك التقرير أن تقسـيم حدود إمارات تهامة لم يكن مرتباً بشـكل جيد ، حيـث أن بعض القبائل الواقعة شـمال إمارة بارق مرتبط بإمارة محايل التي تقع جنوب بارق ، وأن بعضـاً من القبائل التابعة لأبها داخلة ضمن قضاء محايل ، كما ذكر ذلك التقرير أن هذه الإمارات لم تكن بالمظهر الذي يتفق مع شـرف الحكومة وقوتها ، وذلك لضـعف تكوينها ، وأن التشـكيل الموجود في تهامة عسـير لا يتفق مع المصـلحة الحكومية ، وأن المصلحة تقتضي بتوحيد الإمـارات المذكورة وجعلها إمـارة واحدة يكون مركزها محايل نظراً لتوسـطها على أن تكـون ذات مركز قوي ، ويربط بها تهامة بللحمر وبللسـمر المرتبطة بأبها ، وتهامة بني شهر وبني عمرو المرتبطة بالنماص ، وأن توضع لها ميزانية لائقة على النحو الآتي:

الوظيفة	الراتب
الأمير	٤٠٠ ريال شهرياً
كاتب أول	٦٠ ريالاً
كاتب ثاني	٦٠ ريالاً
مخصصات القصر	٦٠ ريالاً
مخصصات الخيل ٢٠ رأساً	١٥٠ ريالاً

واقترح التقرير تأسيس قصر للإمارة في محايل ، ومركز لاسلكي ، وإيجاد قوة عسكرية وفق النظام ، والشرطة يجري نقلهم من أبها على النحو الآتي :

(١) الوثائق نفسها ٠

١- خمسون جندياً من النظام مع سلاحهم حسب الترتيب العسكري .
٢- عشرون جندياً من الشرطة برئاسة نائب منهم للقيام بالدوريات والمحافظة على الأمن واستلام إدارة السجن[١] .

وقد صدر قرار مجلس الوكلاء رقم (١٣٢) في (١٩/٧/١٣٦٠هـ) بالموافقة على ذلك .

تطور الجهاز الإداري لإمارة عسير ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، وسارعت معظم أجهزة الدولة للأخذ بالأسلوب الحضاري ، مستفيدة من تجارب الأمم حولها ومستعينة بالنظم الموجودة في إقليم الحجاز آنذاك ، وفي نهاية حكم الملك عبدالعزيز تحول جهاز إمارة أبها إلى إدارة قائمة بذاتها ، ذات هيكل تنظيمي وإداري قضى على فترة الحكم القبلي التي عاشها الإقليم سنوات طويلة ، فنجد أن جهاز الإمارة يتكون من رئاسة المكتب العام ، وقسم قيد المعاملات الصادرة والواردة ، وقسم البرقيات ، وقسم المحاسبة ، وقسم المستودعات ، ومكتب المجلس الإداري ، كما تشهد المنطقة تطوراً إدارياً كبيراً مع بداية السبعينيات ، حيث اشتملت على إمارات فرعية عديدة ، تضمن ضبط الأمن والإدارة في جميع أنحاء عسير ، فإضافة إلى الإمارات التي تضمنها القرار الملكي السابق ، تم استحداث إمارات عديدة أخرى هي إمارة (شهران) ، وتتألف من أمير وكاتب وعدد من الأخوياء[٢] ٠وإمارة " تثليث" وبها أمير وكاتبان وعدد من الأخويا ٠ وإمارة "المضة" وفيها أمير وكاتبان وعدد من الأخوياء ٠ وإمارة "النماص" وفيها أمير وكاتبان وعدد من الأخويا٠ وإمارة " المجاردة " وفيها أمير وكاتبان وعدد من الأخوياء[٣] .

---

(١) قرار مجلس الوكلاء رقم (١٣٢) وتاريخ (١٩/٧/١٣٦٠هـ) معهد الإدارة العامة بالرياض ، مركز الوثائق . كما يوجد ضمن مكتبة الباحث العديد من الوثائق التي تعكس مقدار الميزانيات في عسير من عام (١٣٥٨هـ حتى عام ١٣٥٩هـ) ، وأرقامها كالتالي : (٨٤١، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٩٦، ١٠٢٨، ١٠٣٨) أيضاً انظر مزيداً من التفصيلات عن مرتبات الجيش النظامي في جنوبي البلاد السعودية أثناء حكم الملك عبدالعزيز إسماعيل البشري . إقليم عسير ، ص٢٣٥ وما بعدها ، محمد بن عبدالله آل زلفة . عسير في عهد الملك عبدالعزيز (دراسة وثائقية) (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ص٩٧- ١٠١ ٠

(٢) الأخوياء ، الخويا : هم مجموعة من القوات المصاحبة للأمير وهم عبارة عن الحامية السعودية لإمارته ، ومهمتهم المحافظة على الأمن وتنفيذ الأوامر الإدارية ، ومطاردة المجرمين وتسليمهم للعدالة وعليهم رئيس يستمد قوته من الأمير مباشرة ، أيضاً انظر إسماعيل البشري . إقليم عسير ، ص ٢٢٢؛ غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير ، ص ٨٣- ٨٤ ٠

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر. هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ٠

(*) **الجدول التالي يوضح أمراء عسير منذ عام (١٣٣٨هـ) حتى عام (١٣٧٣هـ)**[١]

م	اسم الوالي أو الأمير	فترة حكمه	مدة حكمه	ملاحظات
١	شويش بن ضويحي	١٣٣٨ـ ١٣٣٩هـ	١١ شهرا	
٢	عبدالله بن سويلم	١٣٣٩ـ ١٣٤٠هـ	٩ أشهر	
٣	فهد بن عبدالكريم العقيلي	١٣٤٠ـ١٣٤١هـ جمادى الأولى ـ ذو القعدة	بضعة أشهر	
٤	سعد بن عفيصان	١٣٤٠ـ ١٣٤٢هـ	سنتان	
٥	محمد بن جيفان	١٣٤٢ـ ١٣٤٣هـ	ثلاثة أشهر	بالوكالة
٦	عبدالعزيز بن إبراهيم	١٣٤٢ـ ١٣٤٣هـ	بضعة أشهر	
٧	عبدالله بن إبراهيم العسكر	١٣٤٣ـ ١٣٥٢هـ	عشر سنوات	
٨	عبدالعزيز العسكر	١٣٥٢ـ ١٣٥٣هـ	سنة واحدة	بالوكالة
٩	تركي بن أحمد السديري	١٣٥٣ـ ١٣٧١هـ	تسعة عشر عاماً	
١٠	تركي بن محمد بن ماضي	١٣٧١ـ ١٣٨٥هـ	أربع عشرة سنة	

قد يظهر تساؤل عن سر قصر مدة الولاة السعوديين على عسير ، وبالذات في الفترة من (١٣٣٨هـ إلى ١٣٤٣هـ) فنقول إن ذلك كان بسبب الظروف السياسية للإقليم ، والأخطار التي تعرض لها ، والفتن التي قامت فيه حتى مجيء حملة الأمير/ فيصل بن عبدالعزيز ، ثم بداية مرحلة الاستقرار والنظام في ولاية عبدالله بن إبراهيم العسكر ، حيث نجد كلاً من الولاة الثلاثة الأساسيين لا تقل مدة أي منهم عن عشر سنوات تقريباً[٢] .

وإضافة لما كتب حول التطور الإداري في منطقة عسير ، فقد استكتبنا بعض الرواة الذين عاصروا أحداث المنطقة السياسية والحضارية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، وكان الأستاذ/ محمد أحمد أنور أفضل من زودنا ببعض

---

(١) انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ١٥٨وما بعدها ، وثائق ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (٣٧٦ـ ٣٧٩ ، ٣٨١، ٨٠٠، ٨٤٩، ٩٤٢) ، مقابلات الباحث مع عدد من المسنين في مدينة أبها خلال عام (١٤١٦هـ/٩٥ـ ١٩٩٦م) ، غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير، ص٦٠ . المؤلف نفسه ، عسير في عصر الملك عبدالعزيز (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ص٣٧ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ الحياة السياسية في عسير في بدايات حكم الملك عبدالعزيز آل سعود انظر: محمد آل زلفة . **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ، ص٢٤ وما بعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس . "ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبدالعزيز" **مجلة العرب** ، ج١ ، سنة (٢٧) (رجب وشعبان ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) ص ٢٧ـ ٤٤ . وللمؤلف نفسه "من رسائل الملك عبدالعزيز إلى سعود ورجال حكومته إلى بعض الشيوخ والعشائر العسيرية" **مجلة العرب** (ج١١ـ ١٢) سنة (٢٧) (الجماديان /١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٧٣٥ـ ٧٥١ .

المعلومات القيمة عن الوضع الإداري في المنطقة ، وخاصة في الإمارة والقضاء [١] .
ومما ذكر عن الإمارة في منطقة عسير قوله: [٢] (أما الإمارة في أبها فكان يوجد بها أمير (وأخوياء) ، وله كاتب واحد ، والمكاتبات لا ترقم ولا يحتفظ لها بصورة . وبدأت الإمارة في عسير ، في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، بمن اسمه شويش ثم بسعد بن عفيصان، ثم بعبدالعزيز بن إبراهيم ، ثم بعبد الله بن إبراهيم العسكر من أهل المجمعة ، ثم بابنه عبدالعزيز بن عبدالله، ثم بدأ عهد الأمير تركي بن أحمد السديري ، وتغير الوضع في العدد والعدة والتنظيم . ويوجد كتاب (أمراء عسير) من تأليف الشيخ/ عبدالله بن علي بن مسفر بأبها ، وقد عاصر أمراء أبها وكان كاتب الإمارة ثم المالية بعد وصول الأمير/ تركي السديري، وفي كتابه الحقائق المطلوبة . وكان الأمر شديداً لا لين فيه ، والأحكام في القتل والقطع بعد حكم القاضي، أما التأديب والمعاقبة فبواسطة الأمير وأعوانه وبقسوة لا هوادة فيها [٣]، حتى لان الناس وخافوا . ولم تكن المواصلات سوى بريد يذهب من أبها إلى الرياض في شهر وشهرين ، تقطع المسافة وتتصل المكاتبات فيها ، وأخبار الملك عبدالعزيز (رحمه الله) كانت مطمئنة ، كان الناس يرجونه ويحبونه ولا يخافون منه إلا إذا تعدوا الحدود وخرجوا على الأوامر، كذلك كان أمراؤه يخافون منه ومن عقابه إذا ظلموا الرعية ، ولكن بُعد المواصلات وطول المسافات كانت حائلاً بينهم وبين الوصول إليه ومعرفة أهدافه . وقليلاً ما كنا نسمع بحدوث قتل أو سرقة أو نهب أموال فيما بين أبها والمراكز الأخرى التي لا يوجد بها سوى مأمورين إلى شيوخ القبائل من قبل إمارة أبها ، خوي أو خويين أو ثلاثة عند أخذ زكاة المواشي أو الحبوب . وإذا حدث شيء فإنه يحسم بالقوة وبوقته ، إذ أن هيبة الحكومة والملك عبدالعزيز كانت مهيمنة وهامة جداً . وكان أمير أبها يتصرف فيما يرد إلى الحكومة من زكاة الأموال وخلافها ويأمر لفلان وفلان بما شاء حتى تعين الشيخ/ عبدالله بن سليمان وزيراً للماليات ، وبدأ يستعين بخبراء مال من سوريا ومصر وغيرها، ووضعت الرسوم على المداخل إلى المملكة وما يسمى الدمغة ، ومنع تصرف الأمراء ، أمراء المناطق ، في الأموال إلا عن طريق وزارة المالية بعد موافقة النائب العام فيصل بن عبدالعزيز (رحمه الله) أو سعود بن عبدالعزيز (رحمه الله) بعد ولايته للعهد ، أو أوامر الملك عبدالعزيز ، أو أمر من عبدالله السليمان وزير المالية . ولم يكن

(١) أرسل لنا الأستاذ/ أنور تفصيلات جيدة حول هاتين الإدارتين ، فنشرنا جزءاً منها على هيئة ملحق مكون من ثمان صفحات في كتاب (أبها حاضرة عسير) ص ٥١٦ـ ٥٢٣ .

(٢) مذكرة وصلتنا من الأستاذ/ محمد أحمد أنور في ١٥/١٢/١٤١٥هـ ، وأصل وصورة هذه المذكرة توجد ضمن وثائق مكتبة الباحث تحت رقم (٤/١٧٨٧) . وقد نشرت في كتابيّ: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الأول) . ومن رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) . (طبعتان)** .

(٣) المصدر نفسه .

في بادئ الأمر رواتب للعاملين ، وإنما تعطى شرهات بالفصل أي الستة شهور أو السنة ، ومخصصات يأخذها الموظف في أوقات معلومة ، ثم بدأ تقرير الرواتب فيما بعد ، وقد سبقت مقاطعة عسير غيرها في ذلك وبدأت بعد عام (١٣٥١هـ) تقرر الرواتب بطريقة رسمية[١] ، وكذلك برواتب علية الناس وشيوخ القبائل من ثمار الصيف والشتاء والتمر، والغنـم كذلك . وكان الأمراء يضعـون نكالا ماديا على بعض المخالفات ويدخل المالية، وكذلك جهاداً سـنوياً علـى القبائل مدة الحروب التي كانت بـين الملك عبدالعزيز وبين جيرانه المحيطين بالمملكة ، وكان الغازي يؤخذ عنه (٣٢) ريالاً سعودياً ، ولم يكن هناك نقـوداً إلا نقوداً مكتوب عليها (ماري تريز) وتسـمى ريالاً فرنسـياً ، ثم طبعت الحكومة عملة ، واستعملت أيضاً الجنيه الإنجليزي مدة ثم انقطع ذلك[٢] . ونوع الجهاد الذي لم تطل مدته أكثر من سنوات معدودة ـ فبلاد عسير السراة ـ (القبائل الأربع : بنو مغيد ، وعلكم ، وبنو مالك ، وربيعة ورفيدة) عليهم خمسـمائة غازي ، كل قبيلة تحمل (١٢٥) غازيـا ، وبنو شـهر يدفعون كذلـك (٤٠٠) أو (٥٠٠) غاز والذي أذكـره أن على رجال الحجر ألف غاز (١٥٠) الأحمري ، و(١٥٠) الأسـمري ، و(٥٠٠) الشـهري ، و(٢٠٠) العمري تهامة وسـراة[٣] . وقد قمت باستحصـال جهاد بللسمر في عام (١٣٥٦هـ) أيام كنـت كاتبـا في إمارة جرمان بـن علي (رحمه الله) . وهذه الأمـوال تدخل المالية ومنها تخرج إلى مستحقيها بأوامر ملكية أو مالية أو نيابية أو ولي العهد)[٤] .

ونلتقـي برواية آخر هو الأسـتاذ/ ابن مسـتور[٥] ، راغبين في المزيـد من المعلومات التي تتعلق بالجانب الإداري، وخاصـة الإمارة ، فيذكـر لنا معلومات تخص بعض مهام الموظفين في الإمارة ، أو بعض الموظفين في المؤسسات الإدارية الأخرى ، كالمالية ، والذين يتعاونـون مع موظفـين آخرين من الإمارة ، ومن أفضـل المعلومات التـي زودنا بها هذا الراوية ما يتعلق بجباة الزكاة ، المعروفين باسـم (الخارص مفرد الخراص) وطريقة

---

(١) لمزيد من التفصـيلات عن وضـع النظام الإداري والاقتصادي في عسير أثناء حكم الملك عبدالعزيز ، أنظر : محمد آل زلفة . **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ، ص٨١ وما بعدها .

(٢) للاطـلاع علـى معلومات أكـثر عن تاريخ النظام المـالي في عهد الملك عبدالعزيز في عسـير ، انظر: مبارك محمـد الحرشـني . **النظم الإداريـة والمالية في تهامـة عسير خلال الإشـراف السعـودي (١٣٤٥ـ١٣٥١هـ)** (جدة: شركة دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥ـ ١٤٠٦هـ) ص٢٥ ومابعدها.

(٣) يوجد ضـمن مكتبة الباحث عشـرات الوثائق (غير منشـورة) وهي تحتوي على العديد من أسـماء القبائل العسـيرية التي شـاركت برجالها في عهد الملك عبدالعزيز على هيئة غزاة في سـنوات مختلفة وأرقام تلك الوثائق هي : (٤، ٨٠، ٢٦٧، ٢٩٨، ١٠٠٦، ١٠٢٣، ١٠٤٠، ١٠٤٥) .

(٤) مذكرة الأسـتاذ/ محمد أحمد أنور ضـمن وثائق الباحث تحت رقم (٤/١٧٨٧) . ونشرت في بعض مؤلفاته التي صدرت خلال العقدين الماضيين .

(٥) مذكرة من الأستاذ / يحيى بن حسن بن مستور ، وتوجد (أصل وصورة) ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٦/٢٠٦٩) . وابن مستور أحد أعيان أبها وتولى العديد من الإدارات في نهاية القرن (١٤هـ) .

جمعهم الزكوات من العشائر والقبائل، وكذلك فئة أخرى من موظفي الإمارة ، ويطلق عليهم (أخوياء ومفردها خوي) وهم الذين يرسلون من الإمارة لحل المشاكل المختلفة في أجزاء عديدة من المنطقة ، أو يقومون بإحضار من يحدث الشغب والمشاكل ، وفيما ذكر عن هاتين الفئتين من الموظفين يقول[1]: (أما الخراص (عمال الزكاة) فعددهم يحدد بحسب أهمية القبيلة من حيث اتساع قراها ، وتعددها ، وكثافة سكانها وهذه اللجان فيما سبق ، في الخمسينيات والستينيات وربما في أوائل السبعينيات ، لم يكن لهم أجور من الحكومة إلا ما قرره الشرع ، وهو نصيب العاملين عليها من الزكوات عند تحصيلها ، وقد لا تسد حاجة تنقلاتهم وربما تقصر دون تغطية متطلبات أسفارهم المستديمة والمتوالية من قرية إلى قرية ، وقد تبلغ المئات وربما تستغرق مهماتهم عدة أشهر ، الأمر الذي حمل الأهالي إلى استقبالهم بالترحاب ، فيفتحون صدورهم ودورهم باذلين لهم ما يحتاجون من طعام وشراب ومسكن . ويظل عمال الزكاة خلال تنقلاتهم معززين مكرمين ، في ضيافة أهل القرى ، حيث تراهم يتبارون في تقديم ما يسهل مهماتهم وربما توارثوا ذلك عن أسلافهم ، ولعل ذلك ما نشأوا عليه . وظل الأمر كذلك حتى تنبهت الحكومة أدام الله عزها في بداية السبعينيات من القرن الهجري الماضي، فجعلت لهؤلاء العمال مخصصات من المالية ، ومصاريف وانتدابات ومطبخاً متنقلاً بكامل تجهيزاته وسيارات ، ومفروشات ، وأثاثات، وخياماً لتلبية حاجة الهيئات، وبذلك أغنت عمالها ، ورفعت العبء عن كواهل المواطنين بما استحدثته من ترتيبات إدارية ومالية هذا بالنسبة لعمال (لجنة) الزكوات بنوعيها (الحبوب والمواشي) [2].

أما بالنسبة (لأخوياء) الإمارة المنتدبين لفض المنازعات وحل المشاكل التي تنشأ بين الأفراد والجماعات ، ففي فترة الخمسينيات والستينيات عندما يحضر المشتكي للإمارة ينتدب معه خادم (أحد أخوياء الإمارة) للانتقال معه إلى قريته مستعملاً دابته الخاصة كواسطة ركوب ، ويبدأ في التحقيق في القضية ، وجمع ما يكشف له وجهة الخلاف بوضوح مستعيناً بأرباب الشأن ممن له علاقة ، وبالعدول والأمناء ، ومستهدياً بالشواهد والقرائن ، فإذا انجلت الحقيقة ، وأذعن المدعى عليه بقبول الحق ، وثق ذلك بأوراق صلح تصدق من الإمارة ، وربما من القاضي وأخذت هذه الأوراق قوة الحكم، وأعطي الطرفان صورة منها واعتبر ذلك منهياً للخلاف [3]. وإذا لم يتم صلح بهذه الطريقة ، قام موظف الإمارة بأخذ الجميع (الخصوم وأرباب العلاقة والشهود) إلى

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يوجد ضمن مكتبة الباحث العديد من الوثائق التي تصور طريقة الإصلاح بين المتخاصمين خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي ، وأرقامها لديه هي : (١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٧٤، ٢٩٣، ٤٠١، ٥٠٣، ٥٢١) .

أبها ، وبعد تحرير القضية من الشرطة ، يجلسون بمحض اختيارهم وطوع رغبتهم بمنتهى الانقياد إلى القاضـي ليقول كلمته وعندما تصـل الأمور إلى هذا الحد يخضع الجميع لما يصدر من المحكمة ، ويظل خادم الإمارة يتابع الموضوع ويحضر الخصوم حتى النهاية[١] .

أما الصـدامات الجنائية والمضـاربات والمشـاجرات فيقوم عمال الإمارة بحسـب درجة أهمية الموضوع، والمتخاصمون ينقادون بكل سهولة مع عمال الإمارة ، فربما حدث أن عمال الإمارة الذين لا يتجاوز عددهم ثلاثة أو أربعة ، يحضـرون الخمسـين والستين من المتشـاجرين وعندئذ تتولى الشـرطة التحقيق ، وتسـجن المعتدين ، وتأخذ الأوراق طريقها للشـرع بعد دراسـاتها من الإمارة والتوجيه بما تراه مناسـباً ، وتقول المحكمة كلمتها فتصبح الأمور واجبة التنفيذ[٢] .

قد يتسـاءل متسـائل فيقول: وهل الخـدم (أخوياء الإمارة) مـن الحكمة والتعقل والحصافة إلى درجة تمكنهم من احتواء الموقف والهيمنة عليه بدرجة منصفة وعادلة فأقـول: إنهـم للتاريخ والحقيقة كانوا كذلك ، فأكثرهم يتمتـع بعقلية راجحة ، وحنكة ، ولا أنكـر أن بعضـاً منهم قد يعمل على توسـيع هـوة الخلافات ، لتكون حصـيلته أكثر، فيصـطاد في المـاء العكـر ، إلا أنهم كانـوا قلة ، ولكل قاعدة شـواذ ، وإذا اتضـح أمره للمسؤولين في الدولة فإنهم كانوا يجازونه بأشد الجزاء[٣] .

٢ـ الشرطة :

من المعلوم أن الشـرطة من المؤسسـات الإدارية المبكرة في تاريخ الأمة الإسـلامية فقد عرفت عند المسلمين في تاريخ صدر الإسلام خاصة في عهدي الخليفتين الراشدين عثمـان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضـي الله عنهما) ، ثم تطورت على مر التاريخ الإسـلامي حتى أصـبحت من أهم المؤسسـات الإدارية والأمنية في جميـع أنحاء العالم بصـفة عامة. ولكي نعرف بعض التفصـيلات التاريخية عن نشأة ثم تطور الشرطة في عسـير ، فقد حاولنا العثور على معلومات صـحيحة وموثقة ، لكننا لم نستطع الحصول على ما كنا نتطلع إليه ، وخاصة فيما يتعلق بالسنوات الأولى من تاريخ الشرطة في مدينة أبها بصـفتها حاضرة منطقة عسير. فالأسـتاذ / محمد أحمد أنور أشار إلى معلومات مختصـرة جداً عن بدايات الشـرطة في أبها ، فقال [٤]: " بدأت الشـرطة في أبها عام

(١) مذكرة ابن مستور ضمن أوراق مكتبة الباحث رقم (١٦/٢٠٦٩) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) أصـل وصـورة المذكرة التي وصلتنا من الأسـتاذ/ محمد أحمد أنور، والمؤرخة في ١٤١٥/١٢/١٥هـ ، توجد ضـمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٩/١٧٨٧) . ونشـرت أيضـاً في بعض مؤلفاته التي صـدرت خلال العشرين عاماً الماضية .

(١٣٦٠هـ) بـ /طلعت وفاء مكي من أهل مكة المكرمة[١]، وكان له شأن وشخصية قوية ثم بعده صالح باخطمه ، وله كذلك شأن وقيمة أخلاقية ونزاهة . كان معه في أول تخرجه الفريق/ يحيى المعلمي . وأنعم به بداية ونهاية في إخلاصه ونزاهته وقربه من طاعة الله ، وأعمال الشرطة آنذاك نماذج مما يعمل الآن ، وفي حدود ضرورية نظراً لقلة الموظفين"[٢] .

ويروي لنا الأستاذ يحيى بن مستور بعض المعلومات عن الشرطة في أبها خلال الستينيات من القرن الهجري الماضي[٣]، فيذكر أن طلعت وفاء كان أول مدير للشرطة، وكان مقر الجنود وأفراد الشرطة في المكان الواقع بين مجمع أسواق الجمعية وبين المسجد الجامع الذي هدم والعمل جار في بنائه مرة أخرى شمال مبنى إمارة منطقة عسير حالياً. أما مقر مديرية الشرطة آنذاك فكان يقع شمال مجمع أسواق ابن الشيخ، وشرق مبنى الهاتف القديم ، "أي إلى الجهة الجنوبية من أسواق الحناوي وأسواق أبها الحديثة"[٤]. ويضيف ابن مستور تفصيلات أخرى عن جهاز الشرطة الذي كان يتكون من المدير طلعت وفاء ، والمفوض أحمد مشاط ، والمحاسب وأمين الصندوق حسين بن علي النحاس، وعدد آخر من الجنود والكتاب مثل: أحمد البربر ، ويحيى الحفظي ، ودليم عسيري ، وسعيد النحاس وغيرهم[٥]. أما أعمال رجال الشرطة فكانت متنوعة ومن أهمها حفظ الأمن في المدينة ليلاً ونهاراً ، فتجدهم يقومون على حراسة الأسواق والمتاجر أثناء الليل ، كما يقومون على فض المنازعات بين المتنازعين في الأسواق والطرقات ، ويقومون أيضاً على تنفيذ العقوبات التي تصدر من المحكمة الشرعية والإمارة ، كذلك يساعدون القضاة والدعاة ورجال العلم في محاربة الغش في الأسواق ، والاختلاط بين النساء والرجال وغيرها من الأعمال التي لايزال رجال الشرطة يقومون بها حتى الآن[٦].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن بدايات الشرطة في أبها انظر: معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق ، قرار مجلس الوكلاء رقم (١٣٦٠/٨/١٨١هـ)، وثيقة رقم (٧٨/٢٠ في ١٣٦٠/٨/١٩هـ) . عبدالله الشهيل . **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة** ، ص ٢٢٤، ٢٢٥ .

(٢) المصدر نفسه . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الشرطة في منطقة عسير منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) .

(٣) مذكرة وصلتنا من الأستاذ/ يحيى بن حسن مستور حول الشرطة في مدينة أبها وما حولها خلال الخمسينيات من القرن الهجري الماضي ، وأصل وصورة هذه المذكرة توجد ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١/٢٠٩٩) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه . تطورت إدارة الشرطة من أواخر حكم الملك عبدالعزيز وما بعده حتى أصبح تشكيلها كالآتي: (١) قسم المكتب والتحريات . (٢) قسم الأوراق والمحاسبة . (٣) أمانة الصندوق والمستودع. (٤) قسم المباحث الجنائية . (٥) السجن. (٦) البحث والتعقيب. (٧) قلم المرور . كما ألحق بشرطة أبها عدد من المراكز في أنحاء منطقة عسير مثل: (أ) مركز شرطة رجال ألمع . (ب) مركز شرطة خميس مشيط .(ج) مركز شرطة النماص. (د) مركز شرطة محايل. (هـ) مركز شرطة سراة عبيدة . (و) مركز شرطة ظهران الجنوب. (ز) مركز شرطة تثليث . انظر : هاشم النعمي . تاريخ عسير ، ص ٢٦٥، إسماعيل البشري . إقليم عسير، ص ٢٣٠ .

ألقيــت النظر على مجموعــة وثائق في مالية أبها ، ولاحظت ميزانية الأمن العام في سنة (١٣٦٦هـ) ، وكانت ميزانية شرطة أبها على النحو الآتي: [١]. [٢]

الراتب بالريال العربي	اسم الوظيفة
٢٤٥ ريالاً	مدير الشرطة في أبها
١٤٥ ريالاً	محاسب
٩٥ ريالاً	كاتب
١٦٠ ريالاً	مفوض ثاني
١٤٥ ريالاً	مفوض ثالث[٥]
٧٩٠ ريالاً	المجموع

يوجد ضــمن تلك الوثائق أيضاً راتب خمســين ريالاً لكل من قصاص الأثر وسجانة النســاء، وكذلك ثمانية وأربعين ريالاً للجندي ، واثنين وخمســون ريالاً للعريف ، وســتة وخمسين ريالاً للنائب ، وكان عدد موظفي شرطة أبها وما حولها من خلال تلك الميزانية ، مائة وأحد عشر جندي وسبعة عرفاء ، وثلاثة نواب إلى جانب مدير الشرطة والمحاسب والكاتب ومفوضين وقصاص أثر وسجانة ، وكذلك بواب واحد راتبه خمسون ريالاً [٣].

كما خاطبنا مدير شــرطة منطقة عســير حاليــاً ، العميد/ فاروق بن حســن مكي ، وطلبنا منه المســاعدة ببعض المعلومات التاريخية عن تطور إدارة الشرطة في مدينة أبها خاصة ، وفي منطقة عسير عامة[٤]. وقد تجاوب معنا بإرسال مذكرة مختصرة عن تاريخ الشــرطة [٥]. وبرفق تلك المذكرة خطاب قال فيــه[٦] : " نظراً لأهمية المنطقة ، وموقعها الجغرافي المميز ، وبالبحث عن المعلومات الموثقة في هذا الصــدد ، وعن التاريخ الفعلي ، الذي تأسست فيه شرطة منطقة عسير، لم يتم العثور على المطلوب ، حيث لم يكن هناك سـجلات تحتفظ بذلك التاريخ البعيد ، وقد تم تزويد سعادتكم ببعض المعلومات التي تم التوصل إليها من سجلاتنا بشرطة منطقة عسير ، نأمل بعد الاطلاع والإحاطة ، أن نكون

(١) وثائق في مالية أبها عن ميزانية الشرطة عام (١٣٦٦هـ) ، وصورتها ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (٨٥٤ ـ ٨٥٥) ٠

(٢) يقصد بكلمة مفوض ، رتبة من الرتب العسكرية وربما تعادل رقيباً في نظام العسكرية اليوم ٠

(٣) وثائق في مالية أبها عن ميزانية الشــرطة عام (١٣٦٦هـ) ، وصــورتها ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٨٥٤ ـ ٨٥٥) ٠

(٤) صــورة من الخطاب الذي أرســل لمدير شرطة منطقة عسير في (١٤١٥/٧/١٠هـ) توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٨١)٠

(٥) صورة المذكرة التي أرسلها لنا العميد / فاروق مكي ، مدير شرطة منطقة عسير ، توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٢٣/١ـ ٢٠٢٣/٣) ٠

(٦) أصــل وصورة الخطاب المرســل إلينا من مدير شرطة منطقة عسير في ١٤١٦/١/١٤هـ ، يوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٢٣) ٠

قد وفقنا في تقديم بعض المعلومات التي تم إرفاقها رفق خطابنا هذا) [١].

ومن إحدى صفحات المذكرة المرفقة مع خطاب العميد مدير شرطة منطقة عسير، وهي من إعداد مدير شعبة التنظيم بالشرطة[٢]، يمكن استخلاص بعض المعلومات التاريخية الحديثة عن مراحل التطور التي مر بها الهيكل التنظيمي لجهاز شرطة عسير فتذكر: "أن الهيكل التنظيمي لشرطة منطقة عسير مر بعدة مراحل تطويرية منذ تاريخ تأسيس الشرطة في مدينة أبها وحتى الآن [٣]، فالشرطة في الماضي كانت عبارة عن عدد متواضع جداً من الأفراد يتمركزون في المدينة فقط، وكانت الخدمات الأمنية المقدمة آنذاك لا تتجاوز سوق الثلاثاء الأسبوعي في مدينة أبها[٤]، وأصبحت الآن تغطي كامل منطقة عسير بكل حدودها الإدارية ومساحتها الشاسعة وتضاريسها الوعرة. أيضاً كانت إجراءات الشرطة في السابق بسيطة ومتواضعة، وأصبحت الشرطة في عسير اليوم تستخدم أحدث الوسائل التكنولوجية والعلمية الحديثة، فأدخل نظام الحاسب الآلي على أغلب أعمال الشرطة سواءً في الأعمال الميدانية أو المكتبية. كذلك العاملون في الشرطة، وخاصة الضباط منهم، أصبحوا أصحاب مستويات علمية جيدة[٥].

٣ـ الجوازات والأحوال المدنية :

عن التدرج التاريخي للجوازات والأحوال المدنية في منطقة عسير، فقد التقينا بالعقيد/ خالد بن شائع أحمد، مدير جوازات منطقة عسير، ووضحنا له رغبتنا في الحصول على معلومات تاريخية عن إدارة الجوازات بالمنطقة، وخاصة في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود [٦]، وتجاوب معنا مشكوراً فزودنا بصورة من مذكرة محفوظة لديه عن التطور التاريخي لجوازات منطقة عسير، كان قد تم إعدادها في عام (١٤٠٥هـ) وذلك بطلب من صاحب السمو الملكي، نائب أمير منطقة عسير آنذاك، الأمير/ فيصل بن بندر بن عبدالعزيز[٧]. وعند الاطلاع على هذه المذكرة وجدتها تتكون من صنفين من المعلومات، فأما الصنف الأول فقد أعده الأستاذ/ يحيى

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مدير شعبة التنظيم بشرطة منطقة عسير، المقدم/ محمد بن صالح الشهري، وهذه الصفحة المشار إليها في المتن عبارة عن جمع معلومات من المقدم/ محمد الشهري، أرسلها إلى مدير شعبة الشؤون العامة بالشرطة، ومؤرخة في ٢٦/١٠/١٤١٥هـ. وهذه الأوراق توجد ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٢٣/١ـ٣).

(٣) المقصود بـ (حتى الآن)، أي منتصف العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) لم نكتف بالتفاهم معه شفوياً وإنما أرسلنا له خطاباً حددنا فيه مطلبنا، وصورة من هذا الخطاب توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٨١).

(٧) صار الأمير/ فيصل بن بندر أميراً لمنطقة القصيم. واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) هو أمير منطقة الرياض.

بن حســن بن مســتور[١] ، الذي شـغل منصــب مدير الجوازات والأحــوال المدنية لفترة من الزمن[٢] ، وقد ناقش ابن مســتور التطور التاريخــي للجوازات والأحوال المدنية منذ نشأتها حتى أوائل العقد العاشر من القرن الهجري الماضي ، وهذا ما سوف نعتمد عليه فقط في هذه الدراســة[٣] . أما الصــنف الثاني من المعلومات التي أرسلها لنا العقيد ابن شائع فهي استكمال لتاريخ إدارة الجوازات من أواخر القرن الهجري الماضي حتى الآن، والعقيد نفسه هو المدون لتلك المعلومات[٤] .

ومذكرة ابن مســتور تشــير إلى أنه في بداية تكوين المملكة العربية الســعودية ، كان تركيــز مؤسســها جلالــة الملك عبدالعزيــز بن عبدالرحمــن ، هو تثبيــت دعائم الأمن وترســيخ مفاهيمه ، فكان اهتمام الدولة منصباً على أجهزة الأمن ممثلة في : الإمارة ، والدفاع[٥] ، والشــرطة ، والمحاكم الشــرعية . ثم أخذت أجهزة الدولة تتوسع وتتطور في إنشــاء المؤسسات الحكومية ، ومن ضمن تلك المؤسسات إدارة الجوازات والجنسية[٦] ، التي مرت بعدة مراحل تطويرية نجملها فيما يلي:

أ - في عام (١٣٦١هـ) كلفت الشــرطة بإصــدار حفائظ النفوس السعودية للأفراد السعوديين ، وزودت بالتعليمات والسجلات اللازمة ٠

---

(١) يحيى بن حسن بن مستور أحد المصادر التي اعتمدنا عليها في تدوين بعض المعلومات الخاصة بهذه الدراسة هو أحد رجالات منطقة عســير الذين تولوا مناصــب إدارية عديدة في أبها خلال الســبعينيات والثمانينيات مــن القرن الهجري الماضــي ، وهــو متقاعد الآن ، يمارس بعضَ الأعمال التجارية الخاصــة ، وللمزيد من التفصيلات انظر. ترجمته في كتابنا : **أبها حاضرة عسير** ، ص ٨٠ حاشية (٣٦) ٠

(٢) يحيى بن حسن بن مستور تولى إدارة الجوازات والجنسية في أبها بمنطقة عسير في الفترة (١٣٧٥- ١٣٨٩هـ)٠

(٣) صورة المذكرة توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٣/٢٠٣٠ - ٦/٢٠٣٠) ٠

(٤) صورة المذكرة المعنية بهذه التفصيلات توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١/٢٠٣٠ – ٣/٢٠٣٠)٠

(٥) أشــار الأســتاذ / محمد أحمد أنور إلى تفصــيلات عن إدارة الدفاع في أبها خلال القرن الهجري الماضــي ، فقــال: " بــدأ الدفاع في أبها ، منذ عام (١٣٤٦هـ) بضــابط يدعى أحمد بــدوي، ومعه فرقة من الجنود ، ومعهم مطوع يصــلي بهم الصــلوات الخمســ ويعلمهم ويحدثهم ، وكانوا مرتبطــين بإمارة أبها ، حتى تعين الأمير/ منصــور بن عبدالعزيز ، وزيراً للدفاع ، فارتبط به الدفاع ، وتشكل تشكيلاً أساسياً ، وبدأ التشكيل والتجنيــد بأبهــا مدة طويلة ، ثم انتقل إلى الطائف بعد عام (١٣٧٦هـ) ، وتغير كل شــيء إلى ما هو أفضــل . أمــا الكليــة الحربية بأبها فأنشــئت بعد عــام (١٣٦٨هـ) ، واختلــف عليها عدد من المســؤولين ، وخرجت عدداً من الطلاب بعد انتقالها إلى الطائف " كما أضــاف الأســتاذ/ أنور بعد حديثه عن الدفاع إلى قوله : " ومســألة الأمن فيرتكز على الإمارة ولديها من الموظفين والأخوياء ، وســعة الهيبة ما يمكن من حســم أي خلاف يقع بالمنطقة ، وحصل عدة مرات عصيان في بلاد الريث والقهر وحسمت وانتهت على يد أمير عسير في وقته ، تركي بن أحمد الســديري (رحمه الله) . وكان الأمن في بداية العهد الســعودي ، وفي حياة الملك/ عبدالعزيز (رحمه الله) في عســير وغيرها مضرب المثل (جر الذهب) وسر به في كل مكان وزمان لا تخف من أحد ولا تخش، لأن أحكام الشريعة في حق الجاني تطبق بدقة... " راجع : مذكرة الأستاذ/ محمد أحمد أنور المؤرخة في (١٤١٥/١٢/١٥هـ) ورقمها ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٧/١٧٨٧) ٠

(٦) صورة مذكرة يحيى بن مستور توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٣/٢٠٣٠ – ٦/٢٠٣٠) ٠

ب - في عام (١٣٦٢هـ) أنشئت مأمورية إحصاء النفوس مستقلة عن الشرطة ، وتراجع المديرية العامة بمكة المكرمة . وكانت تلك المأمورية تتكون من : مأمور إحصاء النفوس، الموظف محمد بن صالح بن إبراهيم كتبي . وكاتب إحصاء، الموظف عبدالله بن زيد . وفراش ومراسل ، هو: عائض يحيى أبو علامة[١] .

وفي ظل تلك الإدارة الجديدة استمرت المأمورية تمارس صلاحياتها في إصدار الحفائظ للأفراد السعوديين حتى عام (١٣٧٣هـ) [٢]، وفي عام (١٣٧٤هـ) ضمت أعمال الجوازات بأعمال إحصاء النفوس للمواطنين ، ووحدا في إدارة مستقلة عن الشرطة ، وربطت بوكالة الأمن العام للمباحث والجوازات والجنسية ، واستمرت إدارة الجوازات بأبها تقوم باختصاصاتها مستقلة عن الشرطة حتى عام (١٣٧٩هـ) [٣] . وينوه الأستاذ/ ابن مستور إلى أسماء الموظفين الذين عملوا في تلك الإدارة الجديدة المشكلة ، فيقول: " كانت تتكون من ثمانية أشخاص هم: مأمور الجوازات والجنسية بأبها ، يحيى ابن حسن بن مستور. وأمين أعمال التحقيق/ محمد صالح إبراهيم كتبي ، وهو مأمور الإحصاء السابق. ومأمور الإقامة/ محمد ابن إبراهيم عامر . وكاتب إحصاء عبدالله بن حسن بن عبدالله. ومأمور حاصلات ، حسن محمد ميمش . ومأمور حاصلات آخر، محمد مصطفى عزيز، ومعقب متجول شائع أحمد حسن . وفراش ومراسل عائض يحيى أبو علامة[٤] .

وفي عام (١٣٧٩هـ) أعيد ضم إدارات الجوازات والجنسية إلى مديريات الشرطة في المناطق، إلا أن هذا الإجراء لم يستمر طويلا ، لانعدام طابع اختصاصاتها ضمن أقسام الشرطة ، وفي عام (١٣٨٠هـ) أنشئت مديرة عامة للجوازات والجنسية وربطت بها إدارات الجوازات والجنسية في المناطق ، وقد قامت المديرية بوضع الأنظمة والتعليمات اللازمة لحسن سير العمل ، ومعالجة ما نشأ من قصور في إدارات الجوازات بالمناطق وهي تابعة لمديرية الشرطة . وفي عام (١٣٨٤هـ) توسع نطاق التشكيل لاتساع نطاق العمل، فطورت هذه الإدارة إلى مديرية للجوازات والجنسية بأبها وشكلت بها الأقسام الآتية : [٥]

(١) قسم الأجانب ويعنى بتأشيرات السفر وتسجيل القادمين والقبض على المجهولين والمخالفين وترحيلهم بعد تطبيق الأنظمة بحقهم وبحق من يتستر عليهم .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) في عام (١٣٧١هـ) أنشئ ضمن تشكيلات شرطة أبها وظيفة مأمور للجوازات ، ورشح لها الأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور، نقلاً من الشرطة ، وظل يمارس عمله ضمن أقسام الشرطة إلى عام (١٣٧٣هـ) . راجع: مذكرة ابن مستور الآنفة الذكر، ورقمها ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٣٠/٣ـ ٢٠٣٠/٦) .

(٣) مذكرة ابن مستور السابقة الذكر .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٢) قسم الإقامة ويتعلق بإصدار الإقامات ونقل الكفالات وتنظيم ملفات الأجانب حتى يسـهل الرجوع إليها بيسـر وسـهولة . (٣) قسم الجنسـية ويختص بتسجيل المواطنين في سـجلات خاصة وإصدار الحفائظ اللازمة لهم وإضـافة أسرهم إليهم . (٤) قسم المحاسـبة ويعنى بالشؤون المالية . (٥) قسـم التحرير وهو ما يعرف حاليا بالاتصالات الإداريـة . (٦)قسـم التصـوير والبصـمات ويعنـى بتصـوير المراجعين . (٧) قسـم الممنوعين ويهتم بالقوائم المعروفة.

وقـد تفـرع عـن الإدارة خمسـ مأموريـات في مدن منطقة عسـير الرئيسـية هي: (أ) مأموريـة الجـوازات والجنسـية بظهـران الجنـوب [1] . (ب) مأموريـة الجوازات والجنسية بخميس مشيط . (ج) مأمورية الجوازات والجنسية بالنماص. (د) مأمورية الجوازات والجنسية برجال ألمع . (هـ) مأمورية الجوازات والجنسية بمحايل عسير .

وقامت هذه الفروع بمنح حفائظ النفوس للمواطنين في تلك المدن وضـواحيها ، بعد أن كانوا يعانون مشقة السفر إلى أبها ، ويتعذر وصول العاجزين والمقعدين ، واستمر العمل بهذا التشكيل حتى عام (١٣٩٥هـ) [2] .

٤ ـ التعليم :

لم يكن في منطقة عسير أي مدرسة حكومية نظامية إلا تلك الكتاتيب غير النظامية ومن أشـهرها الكتاب الذي كان يشـرف عليه الأسـتاذان ناصـر بن فرج وعبدالرحمن المطوع [3] . وفي عام (١٣٥٥هـ) حان الوقت لكي تفتح أول مدرسـة حكومية في عسـير ، وهي المدرسة السعودية . ولكي نعرف كيف تم افتتاحها نترك القول لبعض الرواد الأوائل الذين أشـرفوا على إدارتها ، وعلى سـير العمل والتدريس بها ، ومن أشـهرهم الشـيخ

---

(١) مذكرة ابن مستور السابقة الذكر .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الأستاذان ناصر بن فرج وعبدالرحمن المطوع كان لهما فضل كبير على منطقة عسير من الناحية التعليمية، حيث بذلا جهدا عظيما في التعليم بأجزاء عديدة من منطقة عسـير ، ثم قر بهما القرار في أبها منذ العقد الرابع من القرن الهجري الماضي ، ففتحا مدرسة مجانية يعلمان فيها أبناء المنطقة ، استمرت تلك المدرسة تقـوم بمهمتها على خيـر وجه حتى تم افتتاح المدرسـة النظامية الحكومية في أبها عـام (١٣٥٤ـ ١٣٥٥هـ) . وللمزيد من التفصـيلات عن حياة الأسـتاذين ناصـر بن فرج وعبدالرحمن المطوع ، وكذلك عن مسـيرة التعليم في منطقة عسير قبل عام (١٣٥٥هـ) . انظر عبدالله محمد أبوداهش . **الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية** (١٢٠٠ـ ١٣٥٠هـ/١٧٨٥ـ ١٩٣٢م) (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) . ص ٤١ ومـا بعدها؛ غيثان بن علي بن جريس. **تاريخ التعليم في منطقة عسير** (١٣٥٤ـ ١٣٨٦هـ/١٩٣٤ـ ١٩٦٦م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشـر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ج١، ص ١٦ـ ٥١ ، ٢٤٤ـ ٢٥٠، وللمؤلف نفسـه . " التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسـير خلال القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي " مجلة بيادر . عدد (٢٠) محرم (١٤١٨هـ) ص ٢٩ـ ٤٦ .

عبدالمالك بن عبدالقادر الطرابلسي، والأستاذ / محمد أحمد أنور[١] .

فالشيخ الطرابلسي كونه أحد أعضاء اللجنة التي قدمت من مكة المكرمة إلى أبها لأجل افتتاح تلك المدرسة الأولى في المنطقة والتدريس بها يقول: " ... في عام (١٣٥٥هـ) ، من شهر ذي القعدة ، افتتحنا مدرسة أبها السعودية، وكنا ثلاثة أنفار، الأستاذ عبدالرحيم الأهدل مديراً ، وعبدالمالك الطرابلسي أستاذاً ، ومحمد إسماعيل الإبي أستاذاً ، وشكلنا المدرسة في ثلاث سنوات ، أولى ، وثانية وثالث ابتدائي ، لأننا وجدنا من طلبة الكتاب أغلبهم متعلمين ، وبدأنا الدراسة لمدة ستة أشهر ، ثم نقل الأستاذ عبدالرحيم الأهدل إلى بيشة وافتتح بها مدرسة ، وصار مديراً لها ، ورفع عبدالملك الطرابلسي مدير للمدرسة السعودية بأبها ، ووجدنا بأبها الشاب الأستاذ محمد أحمد أنور فطلبنا تعيينه أستاذاً وتم ذلك، كما طلبنا الأستاذ موسى بن ناصر وتم تعيينه أيضاً. وأصبحنا في المدرسة أربعة أنفار، عبدالمالك ، ومحمد إسماعيل ، ومحمد أنور، وموسى بن ناصر "[٢] .

" وفي سنة (١٣٥٧هـ) ازداد الطلاب وكثر الإقبال على المدرسة فاحتجنا إلى زيادة عدد المدرسين ، وأشعرنا المديرية بذلك ، فتم تعيين الأستاذ السيد أحمد الأهدل مدرساً بالمدرسة من مكة ، كما تم تعيين الأستاذ إبراهيم شماس من المدينة المنورة . وفي أواخر تلك السنة (١٣٥٧هـ) ، وبمناسبة انتهاء العام الدراسي أقمنا حفلاً كبيراً ودعونا إليه سعادة أمير البلاد تركي السديري، وحضرة الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة رئيس ماليات الجنوب وأعيان البلاد ، وعند الانتهاء من الحفل رجوت الأمير السديري والشيخ أبو ملحة الالتماس إلى جلالة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) فتح أربع مدارس في عسير، وبالفعل تمت الموافقة الملكية ، وافتتحت مدرسة رجال ألمع وعين مديراً لها الشيخ عمر رفيع[٣] (رحمه الله) الخطاط المشهور ، وبصحبته الشيخ عيسى فهيم مدرساً مع مدرسين آخرين[٤] . ثم افتتحت مدرسة خميس مشيط وعين مديراً لها

(١) للاطلاع على تفصيلات أكثر عن هذين الأستاذين الكريمين ، انظر: كتابنا: تاريخ التعليم في عسير ، ج١، ص ٢٢٧ـ٢٤٣ .

(٢) للاطلاع على تفصيلات أكثر عن هذين الأستاذين الكريمين ، انظر: كتابنا: تاريخ التعليم في عسير ، ج١، ص ٥٢ ـ ٢٢٧ .

(٣) محمد عمر رفيع . صاحب كتاب: **في ربوع عسير ، ذكريات وتاريخ** ، وكانت شخصيته جيدة في الجد والمثابرة وحسن الخلق، كما كان صاحب خط جميل ، وقد ذكر عنه الأستاذ / محمد أحمد أنور بعض المعلومات فقال: " ... كان خطاطاً جيداً ومعروفاً برسم اللوحات الفنية الجميلة... وهو يعد في وقته من المتعلمين ومن الأذكياء والكتاب الجيدين " . المصدر: مذكرة مدونة من الأستاذ/ محمد أحمد أنور في ١٤١٤/٩/٨هـ ، والأصل والصورة لهذه المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٢٧٨ـ ١٢٩٠) مجموعة رقم (٢). انظر أيضاً محمد عمر رفيع . **في ربوع عسير، ذكريات وتاريخ** (القاهرة : دار العهد للطباعة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) ص٦١ وما بعدها .

(٤) انظر ترجمة للشيخ/ عيسى فهيم . غيثان بن جريس . **تاريخ التعليم في منطقة عسير** ، ج١، ص ٢٥٢ـ ٢٥٣ .

الشــيخ عبدالفتاح راوه . كما افتتحت مدرســة النماص ورشــحت الشاب الذكي اللامع الأستاذ / محمد أنور مديراً لها ، كما افتتحت مدرسة محايل عسير ورشح الشيخ عبدالله الحكمي مديراً لها وبعد أن تم افتتاح هذه المدارس نشطت حركة التعليم بمنطقة عسير وكلفت من قبل مديرية المعارف بالإشـراف على تلك المدارس الأربع) النماص، خميس مشـيط ، رجـال ألمـع ، محايـل عسـير (بالإضـافة إلى عملـي بـإدارة مدرســة أبهـا الســعودية. وكنت بمثابة معتمد للمعارف بالمنطقة حتى تم انتقالي إلى مكة المكرمة عام (١٣٦٢هـ)"[١] .

ويتابـع الشـيخ الطرابلسـي فيقــول : " وفي عــام (١٣٥٩هــ) رشـحت أحد طلاب المدرســة اللامعــين الأذكيــاء ، وهــو المرحوم السـيد/ أحمد النعمي ، شـقيق السـيد/ محمــد النعمــي، وتم تعيينه ، كما رشـحت عام (١٣٦٠هـ) الأسـتاذ/ محمــد عبده بن خيار ، مدرســا بالمدرســة . كما زودتنا مديرية المعارف بأسـتاذين فاضلين عالمين هما: (١) الشـيخ عبدالقــادر كرامــة الله (الفلكـي المشــهور) ليدرسـ الرياضـيات . (٢) وعبدالفتاح قاري ليدرس القرآن وتجويده وعلومه"[٢] .

وفي عام (١٣٦٠هـ) قدمت هيئة ملكية برئاســة الشــريف شرف رضا ، وعضوية الشيخ إبراهيم إسلام ، والشيخ طلعت وفاء وغيرهم ، للوقوف على أحوال المنطقة الجنوبية ، وعملنا حفلاً لهم ، وقد سروا وأعجبوا بنجابة الطلاب وذكائهم وحسن تحصيلهم . وطلب الشريف شرف رضا انتخاب مجموعة كبيرة من الطلاب لإلحاقهم بدار الأيتام بمكة التي يدير أمرها مدير الأمن العام (مهدي بك المصـلح) وتم ذلك[٣] ، وبعد إتمام دراسـتهم الابتدائية بدار الأيتام التحقوا بمدرسة الشرطة وتخرجوا ضباطاً بالأمن العام وتولوا مناصب قيادية كبيرة ومنهم : اللواء محمد الغرابي ، والألوية محمد عبده عسـيري ، ومنصـور بشاشــة ، وعوض السرحاني، وسعيد بن مستور، وسعيد الأزرقي، ودليم عسيري، وعشرات وغيرهم[٤] .

---

(١) مقابلة مع الشـيخ/ عبدالمالك الطرابلسـي في مكتبة مكة المكرمة المجاورة للمسـجد الحرام من جهة الشرق، بتاريخ ١٤١٤/٨/١١هـ . أيضاً هناك نبذة كتابية زودني بها الشيخ الطرابلسي بتاريخ ١٤١٤/٨/٢٣هـ . وتوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٢٩٩ـ ١٣٠٨) مجموعة رقم (٢) ونبذة أخرى بتاريخ ١٤١٤/٨/٢٥هـ ، وتوجد ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٣٠٩ـ ١٣١٦) بتاريخ ١٤١٤/٨/٢٥هـ ، مجموعة رقم (٢) .

(٢) المصـدر نفسـه ، للمزيد عن ترجمة كل من الأسـتاذين كرامة الله وعبدالفتاح قاري ، انظر: كتابنا: تاريخ التعليم في منطقة عسير ج١ ، ص ٢٥٧ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(٤) المصـدر : مذكرات الشـيخ/ عبد المالك الطرابلسي السـابقة الذكر ، وأرقامها ضـمن مكتبة الباحث هي: (١٢٩٩ـ ١٣٠٨) مجموعة رقم (١)، (١٣٠٩ـ ١٣١٦) مجموعة رقم (٢) .

وفي عام (١٣٦٢هـ) قدم أبها فضيلة الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل [١] ومعه بعض طلاب العلم ليكونوا وعاظاً وأئمة ومرشدين في المنطقة الجنوبية ، وطلب مني ترشيح عدد من الطلاب المتازين الذين اختارهم هو بنفسه، ليتلقوا عنه بعض الدروس في التوحيد والعربية والعلوم الشرعية . وقد تم ذلك وصار منهم أئمة وقضاة ووعاظ . وخصصت لهم مكافأة مالية شهرية قدرها (١٩) تسعة عشر ريالاً سعودياً لكل واحد منهم [٢] .

وهذه المعلومات الآنفة الذكر من مصدر موثوق ومن رجل كان صاحب قرار في وضع الركائز الأولى لنشأة التعليم في بلاد عسير ، وهناك مصادر أخرى أوردت البعض مما أورده الشيخ الطرابلسي، وأحياناً أضافت وذكرت ما لم يرد أو ربما يذكر. ومن أهم تلك المصادر: الأستاذ/ محمد أحمد أنور الذي سبق الإشارة إليه في حديث الطرابلسي. حيث يقول عن بدايات التعليم في عسير منذ عام (١٣٥٥هـ) " ... ثم وصل من مكة إلى أبها بعثة تعليمية قوامها ثلاثة. السيد عبدالرحيم الأهدل مديراً ، والأستاذ عبدالمالك الطرابلسي مدرساً ، وكذلك الأستاذ / عبدالرحيم الإبي [٣] . وبوصول هذه البعثة التعليمية بدأ تنظيم التعليم بداية وئيدة ونظمت جداول الدراسة على ضوء المناهج التي تضعها مديرية المعارف التي كان يديرها السيد محمد طاهر الدباغ بمكة والذي كان من زملائه ومساعديه السيد محمد شطا ، والسيد إبراهيم النوري ، والشيخ صالح خزامي، وعبد الفتاح قاري ، وعبدالرحمن الرهبيني، وعبدالمؤمن مجلد، وكانت مرتبطة بسمو النائب العام فيصل بن عبد العزيز ، ومقامه السامي بمكة المكرمة ، فالميزانيات والتعيينات والترقيات لابد فيها من موافقة المقام السامي" [٤] .

ويذكر محمد أنور أنه " بعد وصول البعثة التعليمية أبها كونت فصول المدرسة من سنة أولى فصلين وثانية فصلين وثالثة فصل واحد ورابعة فصل واحد ، واستمرت بهذا المعدل قرابة ثلاث سنوات ثم فتح الفصل الخامس (أو السنة الخامسة) " [٥] . ويتكلم عن التطور الإداري للمدرسة فيقول : " انتهى عهد المدير السابق عبدالرحيم الأهدل

---

(١) فضيلة الشيخ/ عبدالله بن يوسف الوابل ، مازال على قيد الحياة حتى الآن (١٤١٩هـ١٩٩٨م) . كان ومازال من القضاة الأجلاء الذين خدموا التعليم في منطقة عسير ، إلى جانب عمله الأساسي وهو القضاء . انظر معلومات أكثر عنه في كتابنا : **تاريخ التعليم في منطقة عسير**، ج١، ص ٢٦١ـ ٢٦٥؛ انظر أيضاً كتابنا : **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)** ، ص ١٥٣ـ ٣٢٣ .

(٢) مذكرات الشيخ/ عبدالمالك الطرابلسي السابقة الذكر .

(٣) أعتقد أن الأستاذ/ محمد أنور وقع في خطأ لأن اسمه الحقيقي محمد إسماعيل الإبي ، نسبة إلى بلاد إب في اليمن ، وقد صحح الأستاذ/ أنور نفسه هذا الاسم في مكان آخر من مذكراته التي أرسلها لنا ، وهي ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٢٧٨ـ ١٢٩٠) مجموعة رقم (٢) .

(٤) المصدر : من مذكرة (غير منشورة) زودت بها من قبل الأستاذ/ محمد أحمد أنور بتاريخ ١٤١٤/٨/١٩هـ، وهي ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٢٣٧ـ ١٢٥٦) مجموعة رقم (١) .

(٥) المصدر نفسه .

وخلفه الأستاذ عبدالمالك الطرابلسي [١]... وفي عام (١٣٥٧هـ) كنت أحد المدرسين بمدرسة أبها ومديرها الشيخ الطرابلسي ، وفي هذه الأثناء وصلت هيئة ملكية كان من ضمن أعمالها فتح أربع مدارس بمنطقة عسير في المدن التي تستحقها وبعد اجتماع الهيئة الملكية مع أمير المقاطعة تركي بن أحمد السديري ومع رئيس ماليتها الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة قرروا أن تكون الأربع مدراس الابتدائية هذه بالمدن الآتية : خميس مشيط ، رجال ألمع ، محايل، النماص. عاينت اللجنة الوضع واشتركت في تعيين من يقوم بشغل أعمال الإدارة والتدريس بها مع الشيخ عبدالمالك ، عينت أنا محمد أنور بمدرسة النماص ، وعين الأستاذ موسى بن ناصر بمدرسة الخميس وعين عبدالفتاح الزياني (ليبي الأصل وموظف بمالية أبها) بمدرسة رجال ألمع ، وعين عبدالله مهدي الحكمي بمدرسة محايل، فجاءت الموافقة على النماص ومحايل ، وأرسل للخميس من مكة الأستاذ عبدالفتاح راوه ومعه الأستاذ سيف السروي ، وأرسل من مكة لرجال ألمع الأستاذ / محمد عمر رفيع والأستاذ / عيسى فهيم ، والأستاذ / عبدالله المدني ومعهم مراسل نسيت ذكر اسمه ... وتوجهت إلى النماص ومعي الابن سليمان بن أحمد بن فائع مراسلاً وكان جل عمله بالمدرسة مدرساً وليس غير ذلك لأنه متعلم ومن خيرة الزملاء بمدرسة أبها ووقع اختياري عليه بعينه حتى تم تعيينه فيما بعد مدرساً ، كذلك توجه إلى محايل مع الأستاذ / الحكمي موسى بن سالم وتوفي هناك " رحمه الله "[٢].

ومصادر أخرى تضيف لنا بعض التفصيل على ما ذكر لنا الشيخ / الطرابلسي ومحمد أنور، فالأستاذ / يحيى بن حسن بن مستور ، كونه أحد طلاب المدرسة السعودية في أبها ، ومن خريجي الدفعة الأولى بها في عام (١٣٦٠هـ) ، يتفق مع الأستاذ الطرابلسي في أن المدرسة فتحت بثلاثة فصول ، وقد تم اختيار دار لوالده حسن بن مستور في حي مناظر لكي تكون مقراً للمدرسة ، وذكر لنا وصفاً لتلك الدار فقال: " كانت تشتمل على صالة داخلية بطول (١٥×٤) أمتار (ينفتح عليها) [٣] من الجانبين ست غرف كبيرة اتخذت فصولاً وإدارة وبها فناء خلفي به غرفتان كملاحق"[٤]. ثم يضيف أن المدرسة

(١) ذكر الأستاذ/ محمد أنور قوله عن الطرابلسي فقال : " إنه رجل فاضل وصالح ومتدين ، ويؤثر الخير فيمن حواليه ،والقدوة المثلى ، والسيرة الحسنة ، ويحب نفع الناس ، وخدمة الآخرين وتخفيف همومهم " . وقد قابل الباحث نفسه الشيخ الطرابلسي في شهر شعبان من عام (١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ، فوجدناه من خيرة الناس خلقاً وسماحة وبشاشة ، وقد توفاه الله عن عمر يناهز المائة عام في سنة (١٤١٦هـ) ، فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته إنه على كل شيء قدير (الباحث) .

(٢) نبذة كتابية زودني بها الأستاذ/ محمد أحمد أنور بتاريخ ١٤١٤/٨/١٩هـ ، وتوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٢٣٧ـ ١٢٥٦) مجموعة رقم (١) .

(٣) في الأصل : يخرج فيها .

(٤) مقابلة مع الأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور في (١٤١٣/١٢/٢٢هـ) بمنزله الكائن بحي شمسان ، أبها، كذلك من نبذة كتابية زودني بها في (تاريخ ١٤١٤/٩/١١هـ) ، وهي ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٢٩١ـ ١٢٩٨) مجموعة رقم (١) .

استمرت بدار والده حتى نهاية (١٣٥٦هـ) ، ثم نقلت إلى دار عبدالله بن هبيش في حي نعمان ، ثم إلى دار الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة الواقعة شمال ساحة البحار، وتشتمل تلك الدار على طابقين ، الطابق الأول ويدرس به طلاب الفصل الأول والثاني ، والطابق الثاني يدرس به طلاب الفصل الثالث والرابع والخامس إلى جانب الإدارة "[١].

ويورد ابن مستور معلومات جيدة عن سير الدراسة في تلك المدرسة ، وعن المناهج والنظام الذي كان يطبق عليهم خلال دراستهم ، بل يصف بعض الشخصيات التي كانت تتولى تعليمهم ، فيقول: " (وبفضل) [٢]. ما يمتع به المدير عبدالمالك الطرابلسي من قوة شخصية وإدارية تامة وعقلية ناضجة هيمن الانضباط على المدرسة (طلابا) ومدرسين وأصبحت الأمور تسير سيراً حسناً ، ثم إن الصالة الموجودة داخل الغرف لصلاة الظهر جماعة، والفناء لقضاء الفسحة، والصخب والضوضاء خفت حدتها تدريجياً حتى ساد الانضباط والهدوء جنباً إلى جنب مع الدراسة الجادة"[٣]. ثم يورد أيضاً قوله: " وأثاث المدرسة وأدواتها فهي كالتالي: (١) اتخذت طاولات مشتركة مستطيلة بها خمسة أدراج يقابلها كرسي مشترك لخمسة طلاب، وهي ذات صنع محلي . (٢) يوجد في كل فصل لوح (سبورة) مع طباشير. (٣) توزع الإدارة على الطلاب الكتب المقررة . وأذكر من المؤلفين عبدالله المطلق للمقررات الدينية ، والمطالعة أحمد السباعي . كما أذكر من المقررات درس تحت مسمى التهذيب يختار فيه آيات قرآنية كريمة وأحاديث شريفة ، وشعر وقصص تصور القيم الرفيعة ، ودرس للصحة يشتمل على مبادئ النظافة وطرق الوقاية ، وكانت المقررات مكثفة ، فنحن ندرس في ذلك الوقت الفقه ، ونقطع شوطاً كبيراً في دراسة (النحو) القواعد ، ودرس (الإنشاء) بما يعرف اليوم بمادة التعبير . وكفاءة المدرسين العلمية والتربوية عالية فيما نقص من المقررات يختارون من أمهات الكتب قطعاً مناسبة وينقلها الطالب في دفتره ويدرس من الحساب الأعمال الأربعة (جمع وطرح وضرب وقسمة) والكسور العشرية والاعتيادية ، وكانت الاختبارات شهرية ، ويعاد الترتيب على المقاعد بحسب الدرجات شهرياً مما يخلق منافسة بين الطلاب ، كما أن المقررات جميعها حفظ (عن ظهر غيب) وتستهل الدراسة يومياً بالقرآن الكريم لمدة حصة كاملة ... "[٤].

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) وضعناها لاستقامة المعنى .

(٣) مقابلة مع الأستاذ / يحيى بن حسن بن مستور في (١٤١٣/١٢/٢٢هـ) بمنزله الكائن بحي شمسان بأبها ، كذلك من نبذة كتابية زودني بها في تاريخ (١٤١٤/٩/١١هـ) ، وهي ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٢٩١ـ ١٢٩٨) مجموعة رقم (١) .

(٤) المصدر نفسه .

يشــير ابن مســتور أيضــاً إلى أول دفعة تخرجت من المدرسة الســعودية ، المعروفة بالأميرية ، وذلك بعد حصــولهم على الســنة الخامســة وكان عددهم ثمانية أشــخاص هم : (١) ســعيد عبدالوهاب أبو ملحة . (٢) سليمان أحمد ميمش . (٣) السيد أحمد إبراهيــم النعمي . (٤) محمد عبده . (٥) مفرح الخلفي . (٦) يحيى حســن مســتور. (٧) ســليمان أحمــد فائع. (٨) إبراهيم بكــر رجب . ثم يذكر فيما يتعلق بالشــهادات والتخرج . فيقول: " ... وأعطينا شــهادات تخرج موقعة من مدير المدرســة والمدرســين، وذلــك بخــط مدير مدرســة رجــال ألمع الأســتاذ / عمر رفيــع، وحلاها بجمــل مختارة واســتعمل بها الخط الفارسي والرقعة والنسخ "[١] . ويضيف قائلاً : " وعلمت من سعيد ابن عبدالله بن مســفر أن المدرســة اســتمرت على هذا الوضــع إلى عام (١٣٥٦هـ) ثم أحدث الفصــل الســادس وتخرج منه ذلك العام محمد بن إبراهيم النعمي فقط ، وفي عام (١٣٦٦هـ) تخرج اثنا عشــر طالباً كان سعيد بن مسفر أحدهم "[٢] . كما استمرت المدرســة الســعودية لتكون الوحيدة في أبها حتى عام (١٣٧٥هـ) ، حيث أنشئت مدرسة ابتدائية ثانية أطلق عليها المدرســة الفيصــلية ، وعين الأستاذ موسى بن ناصر بن فرج ليكون مديراً لها واستؤجر لها بيت محمد بن مسعود بحي مناظر، وهو مبني من الحجر ومكون من طابقين. وتعاقب على إدارة مدرسة أبها السعودية بعد الطرابلسي ، الأستاذ / خليل كتبخانة ، وعبدالرحمن البجاوي[٣] .

وتلــك المدارس الأربــع التي ذكــرت آنفــاً ، تم فتحها مــن عام (١٣٥٧هــ) ، حتى (١٣٥٩هـ) ، (مدرســة محايل ، ورجال ألمع ، والخميس ، والنماص) ، كانت بدون شــك النواة للتعليم في بلاد عســير [٤] . ويجدر بنا أن نورد بعض التفاصــيل عن تلك المدارس الأربع . فمدرسة محايل الابتدائية كما ذكر كل من الشيخ/ الطرابلسي والأستاذ محمد أنور تم افتتاحها في عام (٢٣٥٧هـ) ، وعين الأســتاذ /عبدالله مهدي الحكمي أول مدير

---

(١) مقابلة مع الأســتاذ / يحيى بن حســن بن مستور في (١٤١٣/١٢/٢٢هـ) بمنزله الكائن بحي شمسان ، أبها، كذلك من نبذة كتابية زودني بها في تاريخ (١٤١٤/٩/١١هـ) ، وهي ضــمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٢٩١ـ١٢٩٨) مجموعة رقم (١) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . ومن المصادر الأخرى التي ذكرت لنا بداية التعليم في عسير ، وخاصة في المدارس الابتدائية الخمس الأولى ؛ مقابلــة مع الأســتاذ / قاســم بن موســى بن ناصــر بن فرج في منزله بســر ثبتــة بأبها في (١٤١٤/٨/٧هــ) ، ومقابلــة مع عبدالله بن إلياس في منزله الكائــن بالخالدية بأبها في (١٤١٤/٩/١٢هـ) ، ونبــذة مدونــة كتابياً ، عن بدايات التعليم الحديث في عســير ، من الأســتاذ / محمد بن عبدالله الحميد ، رئيس ناي أبها الأدبي ، بتاريخ (١٤١٤/٧/١٠هـ) و (١٤١٥/١/٧هـ) ، وتوجد هذه المعلومات ضــمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٠٢) .

(٤) يذكر أن مدرســة بيشــة الابتدائية قد أسست عام (١٣٥٤ـ١٣٥٥هـ) ، وكذلك مدرسة الظفير في بلاد غامد عــام (١٣٥٣ـ ١٣٥٤هـ) ، ومدرســة القنفذة عــام (١٣٥٤هـ) ، لكن هذه المدارس كانــت تتبع إداريا للجهاز التعليمي في الحجاز ، وخاصة في مكة المكرمة .

لها وكان يعمل معه الأستاذ/ عبدالله بن علي خنفور ، وعند افتتاحها تم استئجار مبنى لهـا ، وبقيـت تابعـة للجهـاز الإداري في أبها حتى عـام (١٣٧٧هـ) . ولوعورة المسـالك الواصـلة بين أبها ومحايل ربطت بالجهاز الإداري التعليمي في القنفذة ، وأصبح اسمها مدرسـة خالد بن الوليد ، واسـتمرت على هذا المنوال حتى تسـهلت المواصلات بين أبها ومحايل ، فرغب أهالي محايل برجوعهم إلى الجهاز الإداري التعليمي في أبها ، وعندئذ شـكلت لجنة مـن قبل وكيـل وزارة المعارف لإيجـاد تقرير عن مطالبة سـكان محايل ، فاقترحت اللجنة ثلاثة اقتراحات وهي : (١) أن تصـبح محايل وما حولها إدارة تعليم مستقلة . (٢) أو يوضع بها مكتب إشراف يراجع إدارة تعليم أبها . (٣) أو تدمج ضمن المدارس التابعة لإدارة تعليمٍ أبها . فأخذت وزارة المعارف بالاقتراح الثالث وعدل اسمها إلى الوليد بن عبد الملك بدلاً من خالد بن الوليد وبقيت على تلك المسـيرة حتى افتتحت إدارة تعليم محايل في عام (١٤٠١هـ) [١].

أما مدرسـة رجال ألمع التي أسست عام (١٣٥٩هـ) فقد اورد عنها الأستاذ/ محمد بن عمر رفيع ، صـاحب كتاب " في ربوع عسـير " تفاصـيل جيدة منذ خرج من أبها مع بعضـ المؤسسـين الأوائـل لتلك المدرسـة[٢] . وتم تشـكيل الجهـاز الإداري والفني لتلك المدرسـة من مدير واحد ، هو محمد عمر رفيع ، ومدرسين اثنين هما : الأستاذ/ عيسى

(١) مقابلةٍ مع الأستاذ / قاسم بن موسى بن ناصر بن فرج في منزله الكائن بسر ثبتة بأبها في (١٤١٤/١/٢٧هـ) ، أيضـا انظـر كتيب أصـدرته إدارة تعليم محايـل بعنوان " مسـيرة التطور في محايل " صـ٢٦ وما بعدها . ومذكرة الأستاذ / محمد أنور المؤرخة في (١٤١٤/٨/١٩هـ) ، وتوجد ضمن أوراق البحث تحت رقم (١٢٣٧ـ ١٢٥٦) مجموعة رقم (١) ٠ ويورد الأستاذ/ مهدي بن إبراهيم الراقدي ، مدير تعليم محايل عسير، بعض التفصـيلات الجيدة عن أول مدرسـة ابتدائية في محايل عسـير، فيقول: " أول مدرسـة افتتحت في محايل كانت عام (١٣٥٧هـ) ، وهي مدرسة الوليد بن عبدالملك ، وقد كان موقعها آنذاك في الجزء الجنوبي لجبل شصعة الذي يتوسط مدينة محايل ، وكان عدد غرفها أربعا وعدد طلابها ثلاثين طالبا تقريبا ، وأول مدير لتلك المدرسـة الأسـتاذ/ عبدالله الحكمي ثم تعاقب على إدارة تلك المدرسـة عدد من الأسـاتذة الأفاضـل ومنهـم : أحمـد ناجي ، وأحمد الشـريحي ، وأحمد البريـر ، وأحمد مروعي ، وفؤاد الشـريف، وعبدالجليل مفتي. وفي عام (١٣٨٥هـ) ، تولى الأسـتاذ/ هادي الحفظي إدارة تلك المدرسـة حتى عام (١٤٠٠هـ) ، ثم تولى الإدارة بعده الأسـتاذ/ إبراهيم موسـى المحايلي، تلاه الأسـتاذ/ علي بن عواض، ومازال مديرا لهذه المدرسة حتى الآن. وقد تنقلت المدرسة في عدة مبان شعبية إلى أن استقر بها المقام في المبنى الحكومي الذي توجد به الآن . ومن أوائل الطلاب الذين درسـوا في تلك المدرسـة كل من علي بن حسـن بن حريش ، الذي كان رئيساً لبلدية محايل وأحيل للتقاعد ، وعلي شقيقي الذي كان كاتباً للعدل في محكمة محايل وأحيل إلى التقاعد أيضاً ، وسليمان بن إدريس ، رئيس مركز قنا حاليا (١٤١٩هـ) ٠ المصدر: مذكرة وصلتنا من مدير إدارة تعليم محايل عسـير، الأسـتاذ مهدي بن إبراهيم الراقدي (١٤١٥/٢/١٧هـ) ، وأصـل وصـورة هذه المذكرة توجد ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٦٤٨) ٠

(٢) انظـر محمـد رفيع : **في ربوع عسـير، ذكريات وتاريخ** ، ويوجـد بهذا الكتاب تفصـيلات تاريخية جيدة عن الأحوال السياسـية والحضـارية في منطقة عسير ، وخاصة فيما يتعلق ببعض المراكز الحضارية الهامة مثل : مدينة أبها ، وخميس مشيط ، والنماص ، وبيشة ، ورجال ألمع وغيرها ٠

فهيم والأســتاذ/ عبد الله المدني[١] . أما من ناحية فصــولها الدراسية فضمت فصلين فقط بهما ستون طالباً ، ثم أخذت في التطور عاماً بعد آخر حتى بلغ عدد الطلاب بها في عام (٨٦ـ ١٣٨٧هـ) حوالي مائة وعشرين طالباً واثني عشر معلماً[٢] .

ويذكر عن المبنى الذي افتتحت فيه المدرســة ، أنه كان داراً مكونة من خمس غرف ، منهمــا غرفتان لتدريس التلاميذ ، والغرف الباقية إدارة للمدرســة وغرفة اجتماعات ومســتودع . وكانــت أجــرة تلــك الدار تقدر بحــوالي أربعين ريــالاً في الســنة الأولى من تأسيســها ، ثم ارتفعت حتى أصــبحت خمســين ريالاً في الســنة الثانية واستمرت كذلك حــوالي أربع ســنوات ثم ارتفعــت إلى مائة ريال ثم مائة وخمســين ريــالاً ، وهكذا حتى وصلت عام (١٤٠٣هـ) إلى مائة وخمسين ألف ريال[٣] .

ومن الرواد الأوائل الذين ساهموا في تأسيس وتطوير تلك المدرسة التي عرفت فيما بعد بـ " مدرسة حسان بن ثابت " ، الأستاذ/ محمد بن عمر رفيع مديراً ، ثم الأستاذ/ عيســى فهيم مدرســاً أول بالمدرسة ، ثم مصطفى الأماســي الذي شغل مديراً للمدرسة بعد الأســتاذ / محمد رفيع[٤] ، ثم جاء من بعده الأســتاذ/ محمد الهلالي بن إبراهيم بن زين العابدين الحفظي[٥] ، ثم تســلم إدارة المدرســة بعد ذلك الأستاذ / الحسن بن علي الحفظي[٦] .

ومدرســة الخميس كان أول مدير لها الأســتاذ/ عبدالفتاح راوه ، ومعه الأســتاذ / ســيف الســروي ، وفي شــهر شــعبان من عام (١٣٦١هـ) نقل مدير مدرســة الخميس ، عبدالفتــاح راوه ، إلى مكة المكرمة وحل محله مدير مدرســة النماص الأســتاذ/ محمد أحمــد أنور ، ويروي لنــا الأســتاذ/ أنور ســير التعليم في المدرســة منذ تــولي الإدارة بها عــام (١٣٦١هـ) حتــى عام (١٣٧٤هـ) فيقــول: " ... وقبل وصــولي إلى الخميس علمت أن الأســتاذ / ســيف السروي مرض ومات ، ولم يبق بالمدرسة سوى الأستاذ/ موسى بن

(١) نبذة كتابية زودني بها الأستاذ/ محمد أنور بتاريخ (١٤١٤/٨/١٩هـ) وتوجد ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٢٣٧ـ ١٢٥٦) مجموعة رقم (١) ، ويذكر الطرابلســي أن اســمه الســيد/محمد المهدي المدني ، المذكرة التي وردتنا من الأستاذ/ الطرابلسي بتاريخ (١٤١٤/٨/٢٥هـ) .

(٢) انظر كتيب أصدرته إدارة التعليم برجال ألمع بعنوان " مدرسة حسان بن ثابت عبر خمسين عاماً " ص٢٧وما بعدها ؛ محمد عمر رفيع ، المرجع السابق .

(٣) المصدر نفسه ، وللمزيد من التفصيلات عن مسيرة التعليم في بلدة رجال ألمع ، انظر أقوال الأستاذ/ محمد الهــلالي الحفظــي التي أوردناها مع ترجمته الشخصــية في كتابنا : **تاريخ التعليــم في منطقة عسير**، ج١، ص٢٦٦ـ ٢٦٩ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) انظر ترجمته للأستاذ/ محمد الهلالي . تاريخ التعليم في منطقة عسير ، ج١، ص ٢٦٦ وما بعدها .

(٦) لمزيد من التفصــيلات عن الأســتاذ / الحسن الحفظي ، انظر: مقالة كتبها عنه ولده علي بن الحسن الحفظي ، ونشرت في مجلة بيادر ، الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد (٢٤) (ربيع الآخر ١٤١٩هـ) ، ص ٥٤ـ ٦٥ .

ناصر ، ثم عين لنا مدرسان من مدرسة أبها ومن تلاميذي بها أحدهما : عبدالله بن عبدالرحمن المطوع والثاني محمد عبده ، ثم عين بعدهما الأستاذ / يحيى بن محمد صمان ، ثم الأستاذ / محمد بارزيق ، فالأستاذ / محمد بن سعد ، فالأستاذ / سعد بن علي ثم الأستاذ / عبد العزيز بن محمد أبو ملحة ، ثم الأستاذ / إبراهيم بن محمد بن فائع ، فالأستاذ / حسين بن أحمد ، ثم توالت بعد ذلك تعيينات في غير عهدي.. "[١] .

ويورد الأستاذ / أنور بعض التفصيلات عن المكان الذي كانت به المدرسة ، فيقول : " كانت المدرسة في بيت آل غالب بقرية الدرب ، كانت قديمة وغرفها مظلمة وضيقة ولا تشجع على استيعاب الطلاب لدروسهم حتى قيض الله للخلاص منها الشيخ/ عبد الوهاب محمد أبو ملحة في زيارة زارها للمدرسة فتبرع ببيت آخر بحوار منزل وكيله الشيخ/ أحمد محيل أبو حتروش فعدل بناءه وعدد غرفة حتى تسع المرحلة الابتدائية كاملة وحفر إلى جانب المبنى بئراً سهلت عملية غرس الزهور والأشجار إلى جانب المدرسة فازدانت بذلك وازدهرت وكانت مقر النظر للذاهب والآيب وكان إلى جانبها رحبة كبيرة يلعب فيها الطلاب في وقت الفسحة ويمرحون...) [٢] .

ولا ينسى الأستاذ / أنور فيذكر بعض طلابه الأوائل الذين كانوا يدرسون معه في مدرسة الخميس ، فيقول : " وهذه أسماء بعض تلاميذي بل أبنائي بمدرسة الخميس أعدهم حسبما يتفق للذاكرة لا حسب ما هم فيه الآن فلعلي لا أعرف إلا الأقل من مصائرهم العلمية مجردين من الألقاب فهم عندي سواسية كأسنان المشط أو كالعقد إلا أن له واسطة . إبراهيم بن محمد بن فائع ، محمد بن سعد بن عبدالرحمن بن يحيى بحاء ، سعد بن علي بن بخيتة ، حسين بن أحمد بن صمان ، مريع بن حسن ، سليمان بن محمد المطوع وأخوه سعيد المطوع، وسفر وسلمان آل برقان، وسعيد ابن محمد أبو عليط بن سبره ، ومحمد بن سلمان ، وأحمد بن عبدالله بن بطان . وهؤلاء جيراني بالقريتين أيام زمان الدرب وقنبر ، أما العدوة الشرقية ، ومن وادي بيشة ابن مشيط فهي قرية العرق وقصور الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة وأولاده فمن طلابها أبنائي روحياً ، عبدالعزيز بن محمد بن فنيس أبو ملحة وإخوانه عبدالله وحسن وسلطان وعبدالوهاب وسعيد ، وهؤلاء قليل من كثير ولعلي تجاوزت أسماء كثيرة سمواً ومنزلة ممن ذكرت ومن أبناء المثناه التلميذان الفاضلان ناصر بن محمد بن نابت وحزام بن محمد بن نابت... " [٣] .

---

(١) نبذة كتابية وصلتنا من الأستاذ/ محمد أنور بتاريخ (١٤١٤/٨/١٩هـ) ، وهي ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٢٣٧-١٢٥٦) مجموعة رقم (١) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) نبذة كتابية وصلتنا من الأستاذ/ محمد أنور بتاريخ (١٤١٤/٨/١٩هـ) ، وهي ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٢٣٧- ١٢٥٦) مجموعة رقم (١) .

وعن المدرســة الســعودية بالنماص، نترك لمديرها الأول الأستاذ/ أنور يذكر بعض التطـورات التي مرت بها المدرســة في عهـد إدارته منذ عام (١٣٥٩هــ) ، فيقول : " ... توجهـت إلى النماصـ ومعي الابن سـليمان بن أحمد بـن فائع، وبعد وصـولنا النماص في آخر شــهر شـعبان ودخول رمضــان ، عام (١٣٥٩هـ) فتحت المدرســة في بيت الشيخ أحمـد التكتلي وتجمع من الطلاب من أولاد الكلاثمة وبني بكر حوالي ثمانين طالباً إلى مائة، وبدأت والابن سـليمان ندرسهم وقد لقينا من الطلبة قلوباً مفتوحة وآذاناً صاغية وقسـمناهم ، وهم سـنة أولى إلى فصـلين ، وكنا نرتاح جداً لإقبال الطلبة على التعليم والكتابة ونشــاطهم لهذا الحدث الكبير فتح المدرسة[1] . ثم بعد شهر رمضان من عامنا وصل إلينا مدرس من مكة المكرمة يدعى إبراهيم الحميضي[2] . ووصل معه مكتبة قيمة خاصة به كان من ضمن كتبها . الكتاب لسيبويه ، والسيرة النبوية بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، والأمالي للقالي مع الذيل والنوادر وشعراء النصرانية ، وكلها كتب

---

(١) أورد الأستاذ /محمد أنور تفصيلات أخرى عن حسن معاملة أهل النماص لهم أثناء فتح المدرسة ، فقال: "... وقد لقينا قبولاً عظيماً من الأهالي وكرماً وتلطفاً يفوق الوصـف ودعوات وعزائم كل وقت ، وجاء الطلاب كل طالـب يحمل ثقله من البر والحنطـة فأرجعتهم بأحمالهم ولم أقبل وقلت أنا عزوبي وليس لي عائلة ولا حاجة إلى الحب ولا غيره لأنني موظف ولي راتب من الحكومة فعادوا مكسـوري الخواطر ونسيني بعض الأهالي إلى الخطـأ إذ كيف آبي اسـتلام البر وهو هبة وعطاء من نفوس طيبة فحاولـت إقناعهم حتى اقتنعوا . وكان من أحياء ذلك الزمن وأنا أكتب هذه الأسـطر بعد (٥٧) سـنة ، والحمد لله على طول العمر وفسحة الأجل، كان منهم الرجل الصـالح الشـيخ محمد بن زاهر وابنه عبدالرحمن بن محمد وابنـه عبدالله بن محمد ، الملقب بالخرتوتي، وحفيدهم الصـديق الغالي وهو وقتها بيضة البلد وفي عنفوان الشباب علي عبدالرحمن بن زاهر العسـبلي ، أطـال الله في عمره ، وهو الآن شـيخ النماصـ عام (١٤١٤هـ) ، وعلي بن ظافر العسـبلي ، وظافر بن عثمان، وشـاكر بن فراج العسـبلي ، وأبو عبدالله علي المقر، وعبدالخالق بن علي صـغير ، وغرم بن زاهر ، وعبدالرحمن بن ظافر، ، ولا أسـتطيع الحصـر. ومن بني بكر من النماص أذكر ظافر الأشـول وأبناءه علي وحسـين الأشـول وفائز بن محمد وغيرهم . وكان يتولى القضـاء في النماص الشيخ عثمان بن ركبان وهو من علماء نجد من أهل المجمعة وشـيخه العنقري، كان دائماً يذكره في مجالسـه . عالم جليل وصـدوق ولا يعرف الكذب فيصـدق من يقول حتى ولو كان القائل كاذباً وكان أمير النماص محمد بن قاسـم من أهل نجد ، ثم مرضـ وتوفي (رحمـه الله) كان معروفاً عندهم بالكرم ، ثم تولى الوكالة بعـده محمد المغيدي من بني مغيد عسـير، ثم عين من قبل السـديري أمير آخر من أبناء صـالح العذل فتولى الإمارة مدة غير طويلة ثم مرض وتوفي (رحمه الله)وكان خيراً جاداً، فعاد المغيدي إلى وكالته بعد وفاة الأمير العذل . وأعرف عن بني شـهر أنهـم أهل كرم ونكتة وطرب وكانوا يرفهون عن أنفسـهم بهذه الثلاث . وكانت المواصـلات صـعبة جداً وكان بين أبها والنماص مسـافة أربعة أيام بالدواب وكان يصـعب نقل الشـيء إليها فالبعير والبهيم لا يستطيع نقل حمله الصحيح لوعورة الطرق وقس على النماص غيرها من البلدان في البلاد السعودية ، كيف كانت الأشياء اللازمة للمدارس تنقل من معامل وأدوات رياضـية ومقاعد طلبة وسـبورات . ووسـائل أخرى ومكاتب، وكان ذلك حتى نهاية القرن الرابع عشـر الهجري ، أما الآن فق اختصـرت الأربعة أيام إلى ثلاث ساعات بالسيارة وبطريـق الأسـفلت واختزلت أكثر بالتليفون ثـم فاض الخير ووفق الله الحكومة للمبادرة بإنجاز مشـروعات الطرق بالسفلتة ووضع الجسور ومد أسلاك الضغط العالي ومشروع التليفونات اللاسلكية وأعظم من كل هذا توفر الأمن والأمان وتحقق معنى الحديث الشـريف " من أصـبح آمناً في سربه معافى في بدنه يجد قوت يومه فكأنما جمعت له الدنيا بحذافيرها" ٠ مذكرة كتابية من الأستاذ/ محمد أحمد أنور بتاريخ (١٤١٤/٨/١٩هـ) توجد ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٢٣٧ـ ١٢٥٦) مجموعة رقم (١) ٠

(٢) انظر ترجمة الأستاذ/ إبراهيم الحميض في كتابنا : **تاريخ التعليم في منطقة عسير** ، ج١، ص ٢٥٨ـ ٢٦٠٠

قيمة في وقت لم يكن للكتاب وجود إلا بعض كتب في مكتبة شاكر بن فراج العسبلي"[١].

ويذكر الأستاذ / أنور أنه انضم إليهم في التدريس بالمدرسة السعودية بالنماص، الأستاذ/ أحمد محمد ناجي كمال، وهو من أهالي أبها ، وتعين محمد بن أحمد بن صالح مراسلاً بالمدرسة ، كذلك رغب الأستاذ/علي المقوشي[٢] الالتحاق بالتدريس فرفع الأستاذ/ أنور بطلبه ورغبته إلى الأستاذ / عبدالمالك الطرابلسي في أبها ، وبالتالي سعى الأخير إلى الحصول على الموافقة من مديرية المعارف بمكة المكرمة وتم ذلك ، ثم يقول : " ... وقد تركت المدرسة وهي أربع سنوات ولي فيها تلاميذ أذكياء ومؤدبون مثل: عبدالعزيز بن محمد بن زاهر، وفراج بن علي ظافر، وعبدالرحمن بن أبو زوعة، وفائز بن محمد البكري ، وعبدالرحمن بن خودان بن صنيدل ، ومحمد بن دوش ، وسعد الجبرت وغيرهم كثير... "[٣].

ونجد بعض التفصيلات عن سير المدرسة السعودية في النماص ، فيذكر أن المديرين الذين تعاقبوا على إدارة المدرسة هم : الأستاذ/ محمد أحمد أنور ، ثم أحمد محمد ناجي كمال حيث تسلم إدارتها مرة أخرى في عام (١٣٧٤هـ) ، ثم جاء بعده عدنان طاهر (فلسطيني الجنسية) وكان من ضمن أول دفعة من المتعاقدين الذين عملوا بتلك المدرسة [٤]، وقد تسلم إدارتها عام (١٣٧٦هـ) [٥].

---

(١) ويورد الأستاذ/ أنور أسماء بعض الكتب التي كانت تطالع في بلاد بني شهر، وخاصة عند الخواص، فيذكر منها: تنبيه الغافلين للسمرقندي، ومتن الغاية والتقريب لأبي شجاع ، وبلوغ المرام في أدلة الأحكام ، وتفسير الجلالين ، مذكرة الأستاذ/ محمد أنور المؤرخة في (١٤١٤/٨/١٩هـ) .

(٢) ويذكر عن علي المقوشي بأنه كان موظف رسوم بالأسواق في بلاد بني شهر ، ثم رغب الالتحاق بالتدريس ، وكان له خط جميل وإملاء . كما أنه كان ذا أخلاق سمحة وله مصاهرة في بني شهر ، حيث تزوج شقيقة المراسل/ محمد بن صالح . من مذكرة الأستاذ/ محمد أنور المؤرخة في (١٤١٤/٨/١٩هـ) .

(٣) المصدر نفسه . كما يورد محمد أنور تفصيلات أكثر عن بعض ذكرياته في النماص فيقول : " ولازلت أذكر بالخير تلك الأيام وأهلها ، لما فيهم من شهامة وكرم وحسن خلق. وأنشد مع جرير بن عطيفة الخَطَفي :

ذُمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

كما لا أنسى صداقة الأخ العزيز السيد الشيخ عبدالرحمن بن شيبان أيام كان يزورني بالمدرسة ، وهو كاتب لأمير البرك ابن عبده شيخ بني هلال ، وكان يطلع لزيارة والدته بالنماص وكنت أنا وهو متقاربين في السن وفي السلوك ، وفي الاهتمامات والتطلعات الحياتية ، ثم انتهى بعد ذلك إلى القضاء وعين قاضياً بالنماص ثم رئيساً لمحاكم النماص التابعة لها . ويشهد الله أن إعجابي بخلقه ورزانته واستقامته لازال كما هو بعد ذلك العهد الطويل (٥٤عاماً) ، وكذلك الشيخ / إبراهيم الحديثي فقد قضينا مدة بالنماص أيام كان قاضياً وكنت مديراً للمدرسة ، وكنت وهو على دوام الاتصال وهو قاض بالمحكمة ثم نقلت إلى الخميس ونقل بعدي إلى القنفذة..." المصدر نفسه .

(٤) كان عدد الأساتذة المتعاقدين الذين بدأوا عملهم بالمدرسة في عام (١٣٧٦هـ) حوالي خمسة هم: عدنان طاهر، والأستاذ/عبدالفتاح ، وتوفيق أسعد حمد ، وسليم الشرفا ، وعبدالحكيم الصالح . وصلتنا هذه المعلومات مدونة من الأستاذين / ظافر بن منصور بن عبدالله آل الشيخ الشهري ، ومحمد بن عبدالرحمن العسبلي ، بتاريخ (١٤١٤/٧/٦هـ) ، وهذه الأوراق توجد ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (١٣٣٢) .

(٥) المصدر نفسه .

وكون تلك المدرسـة قد أسسـت في عام (١٣٥٩هـ) ، وتخرج منها بعض الطلاب في السـنوات السابقة للسـنة السادسـة ، لكن أول دفعة تخرجت من السنة السادسة كانت عام (١٣٧٤هـ) ، وكان عدد المتخرجين حوالي ستة طلاب هم : فراج بن شاكر العسبلي، ومحمد الحفظي ، وعلي بن عبدالرحمن القراش ، ومشبب بن عبدالله بن زحمي، وسعد بن سعيد ، وعبدالرحمن بن عثمان العسبلي [١] .

وبعـد تأسـيس المدارس الخمس الآنفة الذكـر ، أبها ، ومحايل، وخميس مشـيط ، ورجـال ألمـع، والنماص، تزايد افتتاح المدارس في أنحاء المنطقة ، فافتتحت مدرسـة في نجـران عام (١٣٦٢هـ) ، وأصـبحت فيما بعد تابعة للجهـاز الإداري والفني في أبها[٢]. وسـبقها افتتاح مدرسة بيشة عام (١٣٥٤هـ) ، وكانت مرتبطة بمديرية المعارف في مكة المكرمة ، ثم ألحقت فيما بعد بالقطاع الإداري التعليمي بأبها[٣]. وهكذا انتشـر التعليم في أنحاء بلاد عسـير حتى أصـبحت المدارس الابتدائية ، في عام (١٣٧٣هـ) ، خمسـا وعشرين مدرسة والجدول الوارد في الصفحة التالية يؤكد صحة ما ذهبنا إليه[٤].

أسماء المدارس الابتدائية في عسير وسنوات تأسيسها من عام (١٣٥٤ـ ١٣٧٣هـ)

م	اسم المدرسة	تاريخ تأسيسها	مكانها
١	السعودية	(١٣٥٤هـ)	بيشة
٢	السعودية	(١٣٥٥هـ)	أبها
٣	الوليد بن عبدالملك	(١٣٥٧هـ)	محايل
٤	مسلمة بن عبدالملك	(١٣٥٩هـ)	خميس مشيط
٥	حسان بن ثابت	(١٣٥٩هـ)	رجال ألمع
٦	السعودية	(١٣٥٩هـ)	النماص
٧	محمد بن عبدالوهاب	(١٣٦٥هـ)	ذهبان
٨	شمران	(١٣٦٦هـ)	باشوت
٩	عمرو بن العاص	(١٣٦٨هـ)	ظهران الجنوب
١٠	سعد بن أبي وقاص	(١٣٦٨هـ)	الشعف/ آل ينفع

(١) المصدر نفسه

(٢) يذكر أن أول من قام على إدارة مدرسـة نجران ، كان الأسـتاذ/ عمر الحكمي ، وقد بقيت المدرسة الوحيدة في نجـران حتـى عـام (١٣٨٠هـ) . لمزيد من التفصـيلات ، انظر: حمـد إبراهيم السـلوم . تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية (واشنطن ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ج٢، ص ١٢٦ .

(٣) لمزيد من التوضـيحات عن التبعية الإدارية التعليمية في نجران وبيشـة إلى إدارة تعليم أبها ، انظر: كتابنا : **تاريخ التعليم في منطقة عسير** ، ج١، ص ١٢٧ وما بعدها .

(٤) أمـا المصـادر التي جمعنـا منها معلوماتنا حول هذا الجـدول فهي عدة ، تمثلت في طلابنـا في كلية التربية بأبهـا، وكذلـك بعض الرجـال العارفين بديارهم ، كل حسـب البلاد التي عاش وتعلم فيهـا في بداية حياته التعليمية . كذلك الاطلاع على العديد من السـجلات في إدارة تعليم أبها ، وإدارات تعليم النماص وسـراة عبيدة ، إلى جانب رحلات الباحث الميدانية خلال عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

م	اسم المدرسة	تاريخ تأسيسها	مكانها
١١	فلسطين	(١٣٦٩هـ)	تلادة عبدل
١٢	الرقيطاء	(١٣٦٩هـ)	بيشة
١٣	القدس	(١٣٦٩هـ)	أحد رفيدة
١٤	الحديبية	(١٣٦٩هـ)	آل سرحان
١٥	سبت العلاية	(١٣٦٩هـ)	بلقرن
١٦	أبو عبيدة عامر بن الجراح	(١٣٦٩هـ)	العسران
١٧	بدر	(١٣٧٠هـ)	المجاردة
١٨	جعفر بن أبي طالب	(١٣٧١هـ)	بارق
١٩	سعد بن معاذ	(١٣٧١هـ)	بني ثوعة
٢٠	نمران	(١٣٧٢هـ)	بيشة/ نمران
٢١	النقيع	(١٣٧٢هـ)	بيشة / النقيع
٢٢	البيان	(١٣٧٢هـ)	أبها/ آل الزيدي
٢٣	زيد بن ثابت	(١٣٧٢هـ)	البتيلة
٢٤	الأشعب	(١٣٧٣هـ)	بني عمرو/النماص
٢٥	أبو بكر الصديق	(١٣٧٣هـ)	سراة عبيدة

بدأ التعليم المتوسط في أبها عام (١٣٦٩/٦٨هـ) ، حيث فتحت المتوسطة الأولى ، وفي عام (١٣٨٨هـ) فتحت المتوسطة الثانية [١] .كما فتحت أول مدرسة ثانوية في أبها بمنطقة عسير عام (١٣٧٢هـ/١٣٧٣هـ) [٢]. وافتتح أول معهد معلمين ابتدائي في كل من أبها وبيشة عام (١٣٧٧هـ) [٣]. أما الإدارة العام للتعليم في عسير ، فمنذ بداية التعليم النظامي في منطقة عسير كان على الدولة أن تنشئ إدارة تعليم تشرف على سير التعليم ، لتكون الإدارة المنفذة للسياسة التي رسمتها الحكومة متمثلة في مديرية المعارف في مكة المكرمة ، ثم في وزارة المعارف بعد تأسيسها في عام (١٣٧٣هـ) . ولكي تتضح لنا الصورة عن سير حركة التعليم في عسير ، سنلقي الضوء على كيفية تأسيس ثم تطوير إدارة التعليم التي كانت مسؤولة عن الإشراف والتخطيط للتعليم في منطقة عسير من عام (١٣٥٤هـ حتى ١٣٧٣هـ) ٠

التعليم النظامي ، كما شاهدنا في الصفحات السابقة ، بدأ بتأسيس مدرسة ابتدائية واحدة في أبها عام (١٣٥٥هـ) [٤] ، وبالتالي لم يكن هناك صعوبة في إدارة تلك المدرسة، فمديرها الأستاذ / عبدالمالك الطرابلسي كان يقوم بإدارة المدرسة ، وكذلك في الاتصال مباشرة بمديرية المعارف في مكة المكرمة ، لكي يتلقى التعليمات منها ،

(١) غيثان بن علي بن جريس ، تاريخ التعليم في عسير ، ج١، ص ٩٢ ٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩ ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٠ ٠

(٤) غيثان بن علي بن جريس ، تاريخ التعليم في منطقة عسير ، ج١، ص ٥٢ـ ٦٣، ١٢٧ وما بعدها، وللمؤلف نفسه "التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير ..." ص٢٩ وما بعدها ٠

وينفذ سياسة المديرية التعليمية في المدرسة التي يتولى الإشراف عليها .

ولم يأت عام (١٣٥٩هـ) إلا وتم افتتاح أربع مدارس أخرى في منطقة عسير وأصبح مدير مدرســة أبها ، الأستاذ الطرابلسي ، مســؤولاً عن تلك المدارس الأربع (النماص، وخميس مشيط ، ورجال ألمع ، ومحايل) وقد ذكر في إحدى مذكراته التي زودنا بها ، فقال: " ... وكلفت من قبل مديرية المعارف بالإشــراف على تلك المدارس الأربع .. بالإضــافة إلى عملي بإدارة المدرســة أبها الســعودية ، وكنت بمثابة معتمد للمعارف بالمنطقة حتى تم انتقــالي إلى مكــة المكرمة.. " [1]. وكان انتقال الطرابلســي إلى مكــة المكرمة في عام (١٣٦٢هـ) وحتى ذلك العام لم يفتح بعد المدارس الســابقة الذكر سوى مدرسة نجران الابتدائية الســعودية ، وكانت تتبــع إدارياً للإدارة التعليمية في أبها[2]. ومدير المدرســة الســعودية الابتدائية في أبها ، بعد الأستاذ الطرابلسي ، بقي يتولى الإشراف على جميع المدارس النظامية الحديثة في المنطقة حتى عام (١٣٦٨هـ) .

وفي عام (١٣٦٩هـ) أسســت معتمدية المعارف بأبها ، وأســندت أعمالها بالوكالة إلى مدير المدرسة الابتدائية السعودية بأبها ، الأستاذ/ خليل كتب خانة ، لكنه لم يبق طويلاً في هذا المنصب وإنما تم نقله إلى الطائف عام (١٣٧٠هـ) وحل محله بالوكالة الأستاذ/عيسى فهيــم . وفي عام (١٣٧٢هـ) أصــبح المذكــور معتمداً للمعارف بموجــب الأمر الوزاري رقم (٣٤٧١٠) في (١٣٧٣/٣/١٩هـ) . ثم نقل الأســتاذ/ عيســى فهيم في (١٣٧٥/٢/١٥هـ) . وعين بدلاً منه الأستاذ/ عبدالعزيز العبدان ، وفي أوائل عام (١٣٧٦هـ) بدل اسم المعتمدية إلى اسم إدارة التعليم في أبها ، وكان الأستاذ / العبدان أول مدير لها [3].

٥ ـ القضاء :

انقضى الثلث الأول من حياة الملك عبدالعزيز والقضاء في بلاده ماض على ما كان عليه في العهود السابقة ، في كل مدينة قاض وأمير ، يستعرض الأول ما بين المختصمين ويحكــم ، فإن رضــيا بالحكــم نفذ دون عنــاء ، وإن رفض الحكم رفع الأمــر إلى الأمير ليتولى إنفاذه ، ومحكمة القاضي بيته أو المسجد أو أي مكان وجد فيه ، ومعظم الأحكام تصــدر في مجلس الأمير ، وكان يحدث أحياناً بعض التداخل بين الســلطتين القضــائية والتنفيذية فيرفع الأمر إلى الملك عبدالعزيز[4].

---

(١) مذكرة وردت إلينا من الأســتاذ/ الطرابلســي وهي ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٢٩٩ـ١٣٠٨) ومؤرخة في ١٤١٤/٨/٢٣هـ .

(٢) غيثان بن علي بن جريس . **تاريخ التعليم في منطقة عسير** ، ج١، ص ١٤٨ـ ١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٤٩ .

(٤) خــير الديــن الزركلي . **الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز** ، ١٠٠، فؤاد حمزة . **البلاد العربية السعودية** ، ص١٩٦ـ ١٩٧ .

صدر المرسوم الملكي المؤرخ بالرابع من شهر صفر سنة (١٣٤٦هـ) متضمناً أول تنظيم للمحاكم الشرعية وتحديد اختصاصاتها ، ولايزال التنظيم الذي قرره المرسوم يمثل الإطار التنظيمي العام للمحاكم الشرعية ، وإن كان قد تعرض لتعديلات عديدة لكنها لم تخرج به عن هذا الإطار [١].

تطور النظام القضائي في عسير بنفس النمط الذي سارت عليه بقية مقاطعات المملكة ، فقد كان الأمير الذي يعين من قبل الملك عبدالعزيز يصحبه قاض لفض النزاعات ، وإصدار الأحكام الشرعية ، وكان القاضي يتلقى الأوامر والتعيينات من جلالة الملك مباشرة ٠

أنشئت المحاكم في عسير أولاً في أبها ، ثم رجال ألمع ، ثم تثليث ، ثم النماص، ثم محايل، ثم ظهران الجنوب[٢]. وفي عام (١٣٦٤هـ) ربطت المحكمة في أبها برئاسة القضاء في المنطقة الغربية برئاسة سماحة الشيخ/ عبدالله بن حسن آل الشيخ ثم بعد توحيد رئاسة القضاة ربطت بسماحة رئيس القضاة الشيخ/محمد بن إبراهيم آل الشيخ[٣]. وكل بلد فيه قاض يكون به من يتولى كتابة العدل ، وأسست كتابة العدل بأبها في (١٣٧١/١١/١هـ) وكان أول رئيس لها الشيخ محمد ابن إبراهيم النعمي [٤].

وفي تشكيلات المحاكم لعام (١٣٧٣هـ) أصبحت تشكيلات محاكم عسير على النحو الآتي: **(أ)** المحاكم الشرعية الكبرى : محكمة أبها الكبرى . **(ب)** المحاكم المستعجلة : مستعجلة أبها. **(ج)** كتابة العدل : كتابة عدل أبها. **(د)** بيت المال: بيت مال أبها . **(هـ)** محاكم الملحقات في : أحد رفيدة ، والفطيحة ، والمجاردة ، والمضة ، والنماص ، وبارق ، وبللسمر، وبللحمر ، وبلقرن ، وبيشة ، وتثليث ، وتنومة ، وخميس مشيط ، وخيبر، ورجال ألمع ، وسراة عبيدة ، زظهران الجنوب، ومحايل [٥].

---

(١) نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي رقم (١٥٩) في (١٣٧٢/١/٢٤هـ) ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق ٠

(٢) مذكرة وصلتنا من الأستاذ/ محمد أحمد أنور عن الإمارة والقضاء ، وهي مؤرخة في (٦/شوال /١٤١٦هـ)، وتوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢١٠٦/ ١ـ ٦) ، أيضا تم نشرها في كتابنا: **أبها حاضرة عسير** ، ص ٥١٥ـ ٥٢٣ ٠

(٣) للمزيد من التفصيلات عن القضاء في عسير خلال عهد الملك عبدالعزيز ، انظر: كتابنا: **أبها حاضرة عسير** ، ص ١٥٠ـ ١٥٦ . كما يوجد ضمن مكتبة الباحث العديد من المذكرات الخاصة بالقضاء والقضاة في عسير منها : مذكرة الأستاذ / محمد أحمد أنور المؤرخة في (١٤١٥/١٢/١٥هـ) وأصلها وصورتها في مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٨٧/ ٥ـ ٦) ؛ ومذكرة الشيخ/ محمد بن إبراهيم الحديثي ، وتوجد أصلا وصورة ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٧١) ٠

(٤) انظر : كتاب هاشم النعمي ، **شذا العبير** ، ص ٢٨٥ ٠

(٥) خير الدين الزركلي . **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز** ، ج٢، ص ٤٣١ وما بعدها ٠

قــام بوظيفة القضــاء في محكمــة أبها ابتداءً مــن عام (١٣٣٨هــ) إلى نهاية عهد الملــك عبدالعزيز كل من: (١) عبدالله بن راشــد ، كان مرافقــاً للأمير عبدالعزيز بن مساعد . (٢) ناصر بن عبدالعزيز بن حصام ، كان مرافقاً للأمير شويش الضويحي. (٣) عبدالله بن حســن آل الشــيخ ، كان مرافقاً للأمير فيصــل بــن عبدالعزيز . (٤) محمد بن عبداللطيف آل الشــيخ ، ويعتبر أول قاض معين لمحكمة أبها . (٥) محمد بن إســماعيل. (٦) سليمان بن جمهور. (٧) فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك. (٨) ناصر بن عبدالعزيز الحســن . (٩) عبدالعزيــز بن عبدالرحمن الثميري. (١٠) عبدالله بن يوسف الوابل . (١١) عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان . (١٢) محمد بن عبدالرحمن بن دحيم[١]. وفي أواخر عهد الملك عبدالعزيز أصبحت معظم محاكم الملحقات تتكون من قاضٍ، وكاتبين ، ومأمور إحضار ، وفراش [٢].

وما للمذكرات الشخصية ، غير المنشورة ، من أهمية في دعم البحث بما هو جديد ، فقد وصــلتنا مذكرة من الأســتاذ/ محمد أحمد أنور في تاريــخ (١٤١٥/١١/٢٥هـ) ، دون بهــا بعض معلوماته عن تاريخ القضــاء في عســير يــوم أن كان معلمــاً بها في أوائل النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، فيقول : " ... يوجد بأبها قاض فقط ، وأول من ســمعت باسمه الشيخ / محمد بن إســماعيل النجدي ، وكان يثني على علمه وورعه وتقاه ، ثم جاء بعده الشيخ/ سليمان بن جمهور، وكان جهوري الصوت مرعباً ونزيهاً في علمه وأمانته ...، ثم جاء بعده التقي النقي العالم الجليل الشيخ/ فيصل بن عبد العزيز المبارك [٣]، وأمضــى فترة ليســت طويلة من عام (١٣٥٢هــ) إلى (١٣٥٣هـ) ، ثم بعده ابن جار الله ولم تطل مدته، ثم جاء بعده الشيخ/ عبدالعزيز الثميري ومعه ثلاثة قضاة عين أحدهم وهو الشــيخ/ عثمان بن ركبان بالنماص، وآخر اســمه ابن جعوان بظهران الجنــوب . كما يوجد بخميس مشــيط قاضــ منذ بداية الحكم الســعودي طلبه الأمير/ ســعيد بــن عبدالعزيز بن مشــيط مــن الملك عبدالعزيــز (رحمهم الله) ويدعى ســعد بن ســعيدان، عالم جليــل ورع ومتدين، وقل نظيره في مخافة الله ، وأديب وشــاعر على طريقة العلماء لا الشــعراء ، توفي بقرية الدرب بخميس مشــيط حوالي عام (١٣٧٦هـ)

---

(١) مذكرة وصــلتنا من الشــيخ / محمد الحديثي ، رئيس محاكم عسير، ويوجد الأصــل والصورة ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٧١) ، ولمزيد من التفصيلات عن تراجم بعض القضاة الواردة أسمائهم أعلاه ، انظر، هاشم النعمي ،**شذا العبير** ، غيثان بن علي بن جريس ، **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ) ، ص ١٧٠ ؛ للمؤلف نفسه ، **صفحات من تاريخ عسير** ، ج١، ص ١٠٨، ١١٧ـ ١١٨ .

(٢) هاشم النعمي . **تاريخ عسير** ، ص ٢٦٤ .

(٣) هاشــم النعمي . شــذا العبير ، ص ١٢٦ ؛ وللمزيد من التفصيلات عن الشيخين بن جمهور وفيصل المبارك ، انظر، غيثان بن جريس، بلاد بني شــهر وبني عمرو ، ص١٦٨ وما بعدها ، وللمؤلف نفســه ، **صفحات من تاريخ عسير** ، ج١، ص ١٠٨، ١١٧ .

وله أبناء في نجد . كان مقر القضاء والقضاة بجوار بلدية أبها السابقة بجوار مسجد برزان بوسط السوق[١] . وتتكون المحكمة من قاض وكاتب ، يحكم القاضي في القضية ولا تسجل ، ويخرج المتقاضيان قائلين : حكم القاضي بكذا وكذا ، فكأن هذا الحكم صدر من عند الله . وبحكم الله فلا يُنسى ولا يخالف، ومن خالفه فإنما هو مخالف لله ولرسوله . ذلك لأن إيمان الناس كان عميقاً بالله ، ولا يوجد استئناف ولا تمييز للأحكام ، ولا جدال ، ولا اعتراض بل طبيعة هادئة ونفس مطمئنة ، ولم يكونوا بحاجة إلى تسجيل قضية اقتنع المحكوم له والمحكوم عليه وراحوا مقتنعين بما سمعوا . وفي عام (١٣٦٠هـ) جاء إلى القضاء في أبها العالم الفاضل الشيخ/ عبدالله بن يوسف الوابل ، ثم عين له مساعداً الشيخ/ صالح بن محمد التويجري ، وبقي الشيخ/الوابل يزاول القضاء وتدريس الطلبة ، الذين من جملتهم الشيخ/ حسن العتمي والشيخ/ هاشم النعمي ، وقليل من مثل الشيخ الوابل في علمه وزهده وورعه وعفته وقناعته..." [٢] .

٦ـ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة) :

قال الله تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٣] . وقال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٤] .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخصال التي ذكرها الله كثيراً في كتابه الكريم وحث عليها الرسول (ﷺ) في أعماله وأقواله . وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخصال التي نسمع بها ونقرأ عنها اليوم في هذه البلاد الطيبة الطاهرة، هي ما عُرف في كتب التاريخ والتراث الإسلامي بـ " الحسبة " ، ومن يتصفح المصادر والمراجع التاريخية التي تعرضت للحسبة كمؤسسة إدارية دينية على مر العصور

---

(١) أي في وسط سوق أبها التجاري من الغرب ، والمحكمة الشرعية الآن تقع في مبان حكومية خاصة بوزارة العدل ، وتقع إلى الشمال من مباني المكتبة العامة ، ومباني الإدارة الرئيسية للهاتف السعودي ، **ومصادرنا هي: مقابلات الباحث لبعض العارفين بمخطط مدينة أبها قديما إلى جانب خبرته كونه يعيش في مدينة أبها منذ عقود (أي من عام ١٣٩٦هـ)** .

(٢) مذكرة الأستاذ / محمد أنور المؤرخة في (١٤١٥/١٢/١٥هـ ، وأصلها وصورتها توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٨٧/٥ـ٦) . وللمزيد من التفصيلات عن حياة الشيخ/ الوابل انظر كتابنا: **تاريخ التعليم في منطقة عسير ، الجزء الأول** ، ص ١٥٨ـ ١٦١ ، ٢٦١ـ ٢٦٥ ؛ وكتاب الشيخ/ هاشم النعمي . **شذا العبير** ، ص ٢١٧ـ ٢٢٠ . وفي حديث آخر للأستاذ/ محمد أحمد أنور قال فيه : "... وتطور الوضع في المؤسسات الحكومية لإنجاز الطلبات وتسليم المكاتبات ، كل هذا التطور بدأ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبدأ البترول يضخ ضخاً تجارياً معتدلاً ثم شب عمرو عن الطوق كما يقول المثل ، وكانت الطفرة في التعيينات والوظائف وتطوير الوزارات" . المصدر: مذكرة الأستاذ أنور الآنفة الذكر .

(٣) سورة آل عمران . آية (١٠٤) .

(٤) سورة آل عمران . آية (١١٠) .

الإسـلامية يجدها قد أفاضـت في الحديث من حيث صفات وأخلاق المحتسب ، وكذلك الأعمال المنوطة بالمحتسبين من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [١] .

وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلاد العربية هي نفسها إدارة الحسبة التي كانت معروفة عند المسـلمين الأوائل خلال العصـور الإسلامية المختلفة، ومن أهم المهـام التي تسـعى على تحقيقهـا في هذه البـلاد الطاهرة منذ عهد الملـك عبدالعزيز (يرحمـه الله) حتـى الآن . هي على ما يلي : **(١)** إرشـاد الناس نحو فعل الخير. **(٢)** تنبيههـم إلى خطـورة المنكرات ونهيهم عـن الوقوع فيها . **(٣)** منـع ارتكاب المحرمات والممنوعـات شـرعاً . **(٤)** محاربـة العـادات والتقاليـد السـيئة والبدع المنكـرة. **(٥)** الحرص على المظهر الحسـن المشـرف اللائق بالبلاد بصـفتها قلب العالم الإسـلامي وقدوته ومحط أنظار المسلمين ٠

وكان أول معرفة بلاد عسير بهذه المؤسسة الإدارية في عام (١٣٦٠هـ) ، عندما قام الشـيخ/ محمد البيز بزيارة لإقليم عسـير فلم يجد في أبها إدارة مختصة مسؤولة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لذلك قام الشيخ بتشكيل هيئة مؤلفة من قاضي أبها رئيسـاً ، وإمام مسـجد " القرى " مندوباً من قبل الإمارة ، ومدير شـرطة أبها ، ورئيس البلدية أعضـاء، وأن يكون مدير الشـرطة سـكرتيراً لها ، كما اقترحـت اللجنة أن يتم تعيين عشرة مرشدين لتوزيعهم في الإقليم ، خمسة منهم في السراة ، وخمسة في تهامة علـى أن يكـون توزيعهم على المراكز بنظر الإمارة بالاشـتراك مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٢] .

وفي عام (١٣٦٣هـ) أمر الملك عبد العزيز رئيس القضاة بالحجاز الشيخ / عبدالله بن حسن آل الشيخ باختيار دعاة من طلبة العلم للتوجه إلى عسير لبث العلم ، والتجول في القرى والأرياف لتعليم وتبصير الناس بأمور دينهم ، وإزالة المنكرات ، وكانوا عبارة عن رئيس وسـتة أشـخاص هم : **(١)** سـليمان بن أحمد بن عثمان رئيسـاً. **(٢)** حمد بن عبدالله ابن حرقان عضـواً (وجه إلى السـقا ببلاد عسـير) . **(٣)** عبدالله بن عبد العزيـز بن مبارك عضـواً (وجـه إلى بلاد شـهران وقرى تندحـه) . **(٤)** محمد أمين السناري. عضواً (وجه إلى بلاد قحطان ورفيدة) . **(٥)** محمد الطيب بن محمد يوسف

---

(١) للاطلاع على مصـادر أساسية في نظام الحسبة خلال العصور الإسلامية المختلفة . انظر: الماوردي (علي بـن محمـد البغدادي) : **الأحكام السلطانية في الولايات الدينية** (بيروت : دار الكتاب العربي ، د. ت) ص ٣٩١ وما بعدها ؛ ابن الأخوة القرشي (محمد بن أحمد) : **معالم القربة في أحكام الحسبة** . تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي (القاهرة: ١٩٧٦م) ص٢٦ وما بعدها٠

(٢) وثيقـة رقـم (٣٥) في (١٣٦٠/٧/٢٩هـ) ، معهـد الإدارة العامة ، مركز الوثائق . للمزيد من التفصيـلات عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكذلك الدعوة والإرشـاد في منطقة عسـير ، انظر: غيثان بن جريس. أبها حاضرة عسير ، ص ٣٠٩ ـ ٣٢٨ ٠

-عضواً (وجه إلى بلاد قحطان ورفيدة وظهران الجنوب) . (٦) يوسف بن حامد شيخ -عضواً (وجه إلى شعف شهران). (٧) إبراهيم جبريل عضواً (وجه إلى قرى بارق بتهامة عسير) [١]. وسميت هيئة الوعظ والإرشاد ، وكانت مهمتها التجول ، على أن يمكث كل عضو خمسة عشر يوماً بالقرية ثم ينتقل لغيرها ليعلم الناس خلالها أصول العقيدة، ويختار من أهالي القرية من يقوم بإمامتهم على الشروط الشرعية بعد تعلميه من شروط الإمامة ما يلزم [٢].

أسست هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رسمياً بأمر ملكي من الملك عبدالعزيز حملة الشيخ/ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ، الذي افتتح رئاسة الهيئة بأبها بتاريخ (١٣٧٣/٧/١هـ) ، وعين الشيخ/ علي بن فراج العقلا رئيساً لها اعتباراً من (١٣٧٣/٧/١هـ) . استمر في عمله حتى (١٣٧٧/٦/٣٠هـ) ، تلا ذلك افتتاح مركز فرعي للهيئة بخميس مشيط، ثم توالي افتتاح العديد من المراكز في أنحاء المنطقة قبل نهاية عام (١٣٧٣هـ) ، وكانت تتبع رئاسة الهيئة بالحجاز[٣].

٧ـ البلدية :

تنظيم المدن وتخطيطها والمحافظة على نظافتها من اختصاص البلديات ، ومدينة أبها، حاضرة منطقة عسير ، من أقدم البلديات في المملكة ومن أنشطها في البناء والتعمير، تم تأسيسها في أواخر عام (١٣٥٧هـ) ، بعد أن قام رئيس مالية أبها ومعاون المفتش العام بأبها برفع تقرير مفصل بضرورة تأسيسها ، نظراً لأن وارداتها تكفي مصروفاتها ، وقد درس المجلس المالي أهمية ذلك ووافق عليه بالقرار رقم (١٨٥) في (١٣٥٧/٨/٤هـ) . ثم رفع الأمر لمقام صاحب السمو الملكي النائب العام لجلالة الملك للموافقة على التأسيس بالخطاب رقم (١٠٧٩) في (١٣٥٧/٨/٢٩هـ) . حيث أحيل إلى مجلس الشورى لدراسته[٤]. وبعد أن اطلع مجلس الشورى على ميزانية بلدية أبها وضرورة تأسيس بلدية مستقلة عن المالية وافق على ذلك بخطابه رقم (٢٥٥) في

---

(١) مذكرة من الأستاذ/ محمد أحمد أنور ، تقع في ثمان صفحات ، توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١/٢٠٨٤ ـ ٨/٢٠٨٤) (٢١٠٦/ ١ـ ٦) .ونشرت أيضا في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الأول)** .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . كما يوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث مذكرة في بضع صفحات عن تطور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة عسير ، حصل عليها من الشيخ/ محمد الأحمد رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوجد ضمن وثائق الباحث تحت رقم (١/٢٠٤٢ ـ ١٠/٢٠٤٢) .

(٤) وثيقة رقم(١٠٧٩) في ١٣٥٧/٨/٢٩هـ من وكيل وزارة المالية إلى صاحب السمو الملكي النائب العام ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق . وللمزيد يوجد لدى الباحث العديد من الوثائق (غير المنشورة) وهي توضح العديد من الجوانب التنظيمية والتطويرية للبلديات في منطقة عسير منذ نشأتها في عهد الدولة السعودية الحالية ، وأرقامها ضمن مكتبته هي: (١/١٧٩٣ ـ ٥/١٧٩٣) (١/٢٠٠٦ـ ٦/٢٠٠٦) .

(١٤ـــ ١٥/٩/١٣٥٧هـ) ، بحيث تكـون ميزانية بلدية أبها (٤١٠٢٠قرشـاً) للواردات و (٣٢١٦٠قرشـا) للمصـروفات ،ورفعت الأوراق لمجلس الوكلاء (الوزراء) الذي أصـدر قـراره رقم (٣٨٧ في ٢١ـــ ٢٢/٩/١٣٥٧هـ) بالموافقة على الموازنـة المذكورة ، وأن يكون تعيين أعضـاء البلدية بالانتخاب بموجب النظام ، وأن يعهد إلى المجلس الإداري ترشيح أربعة أشـخاص للرئاسة ورفع أسـمائهم للحكومة لتختار شخصاً من بينهم[١] . أنشئت البلديـة للقيام بأعمال النظافة والتنويـرات وغيرها . وتعتمد البلدية في ميزانياتها إلى حد كبير على رسـوم الأسـواق والتنظيفـات والتعميرات والإنشـاءات ، وفيما يلي نقدم الاقتراح الذي تقدم به المجلس البلدي في أبها عام (١٣٥٧هـ) بشـأن رسـوم التنظيفات في مدينة أبها [٢] .

١- إن تخمين البيوت الموجودة في البلدة هي:

م	الحي	عدد البيوت
١	القرى	١٦٥
٢	مناظر	١٥٠
٣	الربوع	٩٠
٤	القابل	٣٥
٥	الخشع	٣٠
٦	المفتاحة	٣٠
٧	النصب	٢٥
	المجموع	٥٢٥ بيتاً

٢- أن يجعل الرسم على عشر طبقات وتوزع جملة البيوت على عشر درجات بعد اعتبار (٢٥) بيتاً صغرى من المجموع ٠

٣- أن لا يعفى من رسـم التنظيفات إلا العجزة المقعدين والمعوزين ، والمكاتب الرسـمية الحكومية ، والمساجد فقط .

٤- أن يكون استحصال رسم التنظيفات في بيوت الكروة (المؤجرة) على مالك البيت ، وعليه هو أن يستحصله من المستأجر .

---

(١) قرار مجلس الوكلاء رقم (٣٨٧) في (٢٢/٩/١٣٥٧هـ) معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق ، ويوجد صورة من هذا القرار ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٩٠/أ) ٠

(٢) وثيقـة بتاريخ (٣٠/١٢/١٣٥٧هـ) توجد ضـمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٩٠ـ ١٧٩١) ، وهي أصـلاً موجودة ضمن محفوظات مالية أبها . وقد نشرت هذه الوثيقة كاملة في كتابنا : أبها حاضرة عسير، ص٥١٢٠

٥- توزيع الدرجات العشر على النحو الآتي:

الدرجة	الرسم	عدد البيوت	المجموع
الأولى	٦٦	١٠	٦٦٠ قرشا
الثانية	٦٠	١٥	٩٠٠ قرشٍ
الثالثة	٥٤	٢٥	١٣٥٠ قرشاً
الرابعة	٤٨	٤٠	١٩٢٠ قرشاً
الخامسة	٤٢	٦٠	٢٥٢٠ قرشاً
السادسة	٣٦	٧٥	٢٦٥٠ قرشا
السابعة	٢٤	١٢٥	٣٠٠٠ قرشٍ
الثامنة	١٢	٦٠	٧٢٠ قرشاً
التاسعة	٩	٥٠	٤٥٠ قرشاً
العاشرة	٦	٤٠	٢٤٠ قرشا
المجموع		٥٢٥	١٤٤١٠ قرش(٥).

٦- أن يقوم أعضاءٍ البلدية بتوزيع البيوت بأسماء أصحابها على الدرجات مبتدئين من الأعلى فنازلاً ، ويحسن أن يحضر معهم في الجلسة التي تخصص لهذه العملية عمد ومختاري المحلات لأخذ آرائهم في توزيع الدرجات .

٧- يعلن للأهالي أن التنظيف البلدي هو للشوارع العامة وطرقات المرور فقط، والشوارع الغير نافذة والطرق الداخلية يقوم بتنظيفها أهلها، ويحظر على العموم رمي القاذورات في الطرق العامة ومن يتكرر منه فيجازى نقدياً وفق النظام .

٨- أن تعمل البلدية على ترتيب أماكن معينة في المحلات يضع فيها الأهالي قاذوراتهم ثم تقوم البلدية بنقلها إلى خارج البلاد .

٩- أن تعتمد البلدية حرق كل ما يجتمع خارج البلاد من القاذورات فلا تتركها تتراكم وتخل بالصحة العامة .

١٠- أن يكون السير على هذه المواد مؤقتاً ريثما يصل من مكة نظام التنظيفات المرعي هناك فيطبق بعينه[١] .

(*) وفي عام (١٣٦٠هـ) ناقش مجلس الشورى ميزانية بلدية أبها وقرر ما يلي :

١- الموافقة على جباية رسوم خميس مشيط وسوق أحد رفيدة وأسواق الشعف الثلاثة بطريق التعهد والالتزام . على أن تكلف البلدية بالبحث عن ملتزم لهذه الرسوم يستعد بتقديم الكفالة اللازمة .

---

(١) المصدر نفسه .

٢- الموافقة على إلغاء رســوم كل من سوق بللسمر وبللحمر ، وسبت بني رزام للأسباب الــواردة ، وأن تفكـر البلديــة في إيجاد منابــع أخرى للواردات بدلا عن رســوم هذه الأسواق تتلاءم مع حالة البلاد ، ولا تحدث تذمراً لدى الأهالي[١] .

٣- الموافقة على عدم وضع رسم على التعميرات في هذا الوقت للأسباب الموضحة .

٤- بالنســبة إلى تشــكيلات بلديــة أبهــا ومصــروفاتها فــإن المجلس يوافق علــى إلغاء العضــوين الدائمين ، كما يوافق على تشــكيل المجلس البلدي فخرياً من الأشــخاص الواردة أسماؤها في اقتراح الهيئة[٢] .

٥- يوافــق المجلس على إســناد أعمــال البلدية جميعها إلى الكاتــب الأول وإلغاء وظيفة الكاتبين الآخرين .

٦- يوافق المجلس على إلغاء الأربعة الحراس المخصصين لحراسة السوق وأن يوكل أمر الحراســة إلى إدارة الأمن لأنها هي الدائرة المختصــة بذلك ، كما يوافق على إلغاء أحد الحرس الاثنين المخصصــين لحراسة الطرق باسم التخريجية وارداً وصادراً ، وأن يعهد بهذا العمل لواحد منهم ، ويضم إلى الفراش وظيفة المراسلة .

٧- يوافق المجلس على تكليف البلدية بالقيام بأمر التنظيفات ، واستحصــال رسومها ، وعلى توسيع نطاق عمل التنظيفات ، وإيجاد ستة كناسين لتنظيف البلدة فقط ، مع عدم تكليف البلدية بتنظيف الدوائر الحكومية لأن هذه لها خدم مختصون للقيام بأمر التنظيف .

٨- يوافق المجلس على زيادة التنويرات ، ووضــع فوانيس في الشــوارع والطرقات ، إما عن طريق البلدية أو عن طريق التعهد[٣] .

٩- الموافقــة على ما قامت به بلدية أبها من مصــروفات لإعاشــة بعض الفقراء الذين أصيبوا بالجدري عام (١٣٥٩هـ) ، حيث تم صرفه استناداً على أوامر عالية .

١٠- الموافقة على ميزانية البلدية لعام (١٣٦٠هـ) ، حيث بلغ مجموعة الواردات المتوقعة (٨٥٠٧٩) قرشاً سعودياً ومجموع المصروفات مبلغ (٨٥٠٧٩) قرشاً سعودياً[٤] .

---

(١) وثيقة ضمن أوراق مكتبة الباحث ، حصل عليها من محفوظات مالية أبها ، وتوجد لديه تحت رقم (١٧٩٢ـ ١٧٩٣) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) وثيقة ضمن أوراق مكتبة الباحث ، حصل عليها من محفوظات مالية أبها ، وتوجد لديه تحت رقم (١٧٩٢ـ ١٧٩٣) .

(٤) وأول ميزانية عثرنا عليها لبلدية أبها كانت عام (١٣٥٥هـ) ، حيث كانت تقدر بالقروش وتشمل راتب رئيس البلدية ، وكاتبها ، وبعض العمال والموظفين الآخرين ، ومقدارها (١٤٣٠) قرشاً ، وفي عام (١٣٥٧هـ) بلغت الميزانية (٤١٠٢٠) قرشاً ، ومصروفاتها في العام نفسه (٣٢١٦٠) قرشاً ، وهذه المبالغ جميعها حصيلة ما تجنيه إدارة البلدية من الضــرائب التي كانت تسـتوفيها من واردات أسواق المنطقة . **المصدر: وثائق ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٩٣/٢ـ١) (٢٠٠٦/٢)** .

١١- لاحظ المجلس عدم وجود المبلغ الاحتياطي الذي يجب أن يكون مدوراً في البلديات حسب الأوامر السامية الصادرة في ذلك ، ويرى المجلس أن عدم وضع هذا المبلغ في الميزانية راجع إلى أن البلدية لم تزل في دور التكوين. فإذا تدرجت إلى ما هو أرقى وأكبر من وضعيتها الحاضرة يلاحظ وضع ذلك ٠

رفع مجلس الشورى قراراته الموضحة أعلاه بخطابه رقم (١٠٦) وتاريخ (١٣٦٠/٧/١٥هـ) إلى مجلس الوكلاء (الوزراء) الذي درسه وقرر الموافقة على ما ورد فيه من مواد ما عدا المادتين رقم (٢) و (٣) فإن المجلس لا يرى الموافقة عليها [1].

كما تولى رئاسة البلدية في عهد الملك عبدالعزيز كل من **(١)** سليمان بن حسن ميمش (١٣٥٨هـ ـ١٣٦٨هـ) **(٢)** أحمد بن محمد أبو هليل (١٣٦٨هـ ـ ١٣٧٣هـ) . **(٣)** حسين بن عبدالله قدح (١٣٧٣هـ ـ ١٣٧٦هـ) .

٨ ـ إدارة المالية في عسير :

تأسست المالية في أبها عام (١٣٤١هـ) ، وتولى القيام بأعمالها كل من محمد بن عبدالله حجازي ثم سعد آل إبراهيم ثم عبدالرحمن المبيريك . وفي جمادى الأولى (١٣٤٢هـ) كلف بها الشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة [2].وقد بدأت بمسمى مالية أبها ، ثم مالية عسير ، ثم فرع وزارة المالية [3].

وفي عام (١٣٥٤هـ) أنشئ فرع لوزارة المالية بأبها يقوم بجمع الزكاة ، وتحصيل الضرائب والجمارك وغيرها بالمنطقة الجنوبية من المملكة "عسير" وكان فرع وزارة المالية يقوم في أبها بجميع متطلبات المنطقة خصوصاً في بداية نشأته ، فنجد أن المالية تقوم بجمع الأموال المتحصلة وإنفاقها على الالتزامات الحكومية من رواتب وإعانات ومصروفات حكومية منوعة ، ويتم ذلك بشكل مباشر بين الأمير ومديرية المالية. أو جلالة الملك ومدير المالية بعسير ، ثم تطور هذا الوضع في الخمسينيات ، حيث ربطت مالية أبها بشكل مباشر بوزارة المالية فلا يمكن صرف أي مستحق مهما كان بسيطاً إلا

---

(١) وثيقة ضمن أوراق مكتبة الباحث ، حصل عليها من محفوظات مالية أبها ، وتوجد لديه تحت رقم (١٧٩٢ـ ١٣) كما يوجد هذا القرار ضمن وثائق التاريخ الحديث في دارة الملك عبدالعزيز ، ويوجد صورة منه ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٩٤/أ) . كما يوجد لدى الباحث أيضاً أوراق متناثرة بعنوان : " النشرة النصفية لإحصاءات البلديات ، النصف الثاني من عام "١٣٩٠هـ" وتوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٧٥٣) ٠

(٢) مذكرة وصلتنا من الأستاذ/ محمد بن عبدالوهاب أبو ملحة ،والمؤرخة في (١٤١٦/١/١٦هـ) ، توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٦/٢٠٠٧) . وللمزيد من التفصيلات انظر: . خير الدين الزركلي . **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز** ، ج١ ، ص٣٧٥؛ عبدالله الشهيل ، **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة**، ص ٢١٦ وما بعدها ٠وهناك كتاب عن(عبدالوهاب أبو ملحة) صدر في طبعتين ٠

(٣) مذكرة الأستاذ / محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة الآنفة الذكر . انظر أيضاً ، غيثان بن علي بن جريس . أبها حاضرة عسير ، ص٤٤٣ وما بعدها ٠

في حدود الصــلاحيات التي تقررها وزارة المالية ، وأصــبحت المالية تقوم بجمع الزكاة من حبوب وثمار ومواشٍ وتوزعها على مســتحقيها في نفس القرية ، دون إدخالها ضــمن أموال الدولة وخصوصاً بعد تدفق البترول بشكل كبير[١] .

أعيد تنظيم ماليات المنطقة الجنوبية بقرار وزير المالية رقم (١) في (١٤/١/١٣٥٩هـ) الذي أشار إلى ربط ماليات كل من جازان والقنفذة ونجران وبيشة بمالية أبها إداريا وماليا ، فتشـكلت مالية أبها من مدير المالية ويتبعه التفتيش والمحاسبة والتحريرات والصندوق والمســتودعات وإدارة الملفات وأمين الطوابع ومحاســبة الإعاشــات ومأمور تفتيش المراكز المالية وهي: رجال ألمع ، وبني شــهر ، ومحايل ، وبــارق ، والمجاردة ، وظهران الجنوب[٢] . ويبين القرار سبب ربط هذه الماليات بمالية أبها بأنه (من أجل إيجاد إدارة مالية محليةٍ تتولى توحيد حســاباتها ومســك القيود لتأدي الميزانية على الأسس الجديدة) ، وتحقيقاً للمرونة الإدارية مُنح مدير مالية أبها صــلاحيات تقارب صــلاحيات وزير المالية إذ نص القــرار علــى أن : (... رئيس مالية أبهــا آمر إعطاء ثاني ينوب عن مقــام الوزارة بتوقيع أوامر العطاء ضمن اعتمادات الموازنة والتعليمات والأوامر المرعية ...) [٣] .

يتكون جهاز مالية أبها عند افتتاحه من رئيس المالية ، ومحاســب ، وأمين صــندوق ، وعــدد من الكتاب ويربــط بمالية أبها عدد من الفروع المنتشــرة في الإقليم هي: مالية نجــران ، مالية بيشــة ، مالية النماص ، مالية القنفذة ، ماليــة ظهران الجنوب ، مالية محايل [٤] . وتقوم المالية بالإشراف على موظفي جميع الإدارات الحكومية بعسير، حيث تتولى صرف رواتبهم ، وحسم التقاعدات عليهم ،واستحداث الوظائف التي تحتاجها كل إدارة ، وتعيين الموظفين في الوظائف الشــاغرة. وكانت رواتب الموظفين تعمل في جداول الرواتــب وتســلم إليهم بعــد أخذ توقيع كل موظف بالاســتلام وذلك بعد تصــديق هذه الجداول من أمير المنطقة ، وبعد أن بدأ عهد التنظيم الدقيق ابتداءً من الســبعينيات ، أصبحت كل إدارة تقوم بإعداد جداول الرواتب عن طريق موظف مختص ، ثم الذهاب إلى المالية لاســتلامها كاملة ، ثم يعود إلى إدارته لصرف مستحقات منسوبيه ، وأصبح دور الماليــة في تحديــد ميزانيــة أي إدارة وحفظ الأمــوال لديها ، بينما تقــوم كل إدارة باستلام مخصصاتها الشهرية منها[٥] .

---

(١) مذكرة الأستاذ/ محمد بن عبدالوهاب أبو ملحة الآنفة الذكر . انظر أيضاً ، غيثان بن علي بن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص٤٤٣ وما بعدها .

(٢) مذكرة الأســتاذ أبو ملحة الســابقة الذكر . راجع كذلك : عبدالله الشهيل . **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة** ، ٢١٧ وما بعدها ، إبراهيم العتيبي . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز** ، ص ٣٠٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مذكرة الأستاذ / محمد بن عبدالوهاب أبو ملحة الآنفة الذكر .

(٥) مقابلة مع الشيخ / عبدالله بن إلياس والأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور في منزل ابن إلياس الكائن بحي

بعد أن أسست فروع المالية المتعددة ، أصبحت كل مالية تقوم بإعداد ميزانية شاملة للمنطقة التي تشرف عليها بموجب تشكيلات وأنظمة معينة لترفع إلى وزارة المالية لإقرارها[1] ، وبعد موافقة الوزارة على ميزانية الإقليم الشاملة للشؤون المالية ، واستحقاقات الموظفين ، تقوم بإبلاغ مالية المنطقة بموافقتها على الميزانية لاعتمادها والسير بموجبها ، وكذلك تحديد ميزانية كل إمارة من الإمارات الفرعية التابعة لها وتبليغها بذلك[2] ، وتشمل الميزانية البنود التالية: (١) مخصصات الإمارة ـ رواتب ومنصرفات متفرقة . (٢) مخصصات القضاء والمطاوعة. (٣) مخصصات المالية. (٤) نقليات وسفريات . (٥) الشؤون العسكرية . (٦) القواعد المتنوعة ، وقد بلغت ميزانية منطقة نجران بموجب التنظيم السابق حوالي (١٣٠٨٢٨٣)قرشاً سعودياً في عام (١٣٥٦هـ) [3] ، وميزانية منطقة بيشة (٤١٨٩٠٢) قرشاً سعودياً لعام (١٣٥٥هـ) ، وذلك بعد اعتمادها من المجلس المالي ثم مجلس الوكلاء ، الذي يقرر اللازم نحو كل ميزانية تقدم إليه[4] ، وتقوم المالية بالإشراف على الشؤون التجارية في المنطقة من حيث الالتزام بالتسعيرة الرسمية وتحديد المكاييل والموازين وتحديد نصابها وتنسق واردات المنطقة ومصروفاتها[5] .

الخالدية في(١٥/١٠/١٤١٤هـ). وعبدالله بن إلياس من الأشخاص الذين عملوا بجد وإخلاص في مالية أبها لعدة سنوات ، انظر. تفصيلات أكثر عن مالية أبها وعن ابن إلياس. غيثان بن علي بن جريس . "أوراق من تاريخ عسير في فترة حكم الملك عبدالعزيز كما أملاها الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن (ابن إلياس) " . مجلة بيادر ، العدد(٢٢) (رمضان/١٤١٨هـ) ،ص ٥٣ـ ٨٥ .

(١) المصدر نفسه . يوجد لدى الباحث العديد من الوثائق المتعلقة بمالية أبها وهي تحت الأرقام التالية : (٨٤١ـ ٨٤٤. ٨٥١، ٨٧٦، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٩٥، ١٤٠١، ١٤٨٢) .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) وثيقة رقم (١٢/١/٨٩ في ١٣٥٦/٥/٦هـ) معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق .

(٤) وثيقة رقم (٨٦٧) في (١٣٥٥/٨/١٦هـ ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق . ولمزيد من الاطلاع على عدد من الميزانيات التي صرفت في كل من عسير ، وجازان ونجران وبيشة خلال العقدين السادس والسابع من القرن الهجري الماضي ، انظر، غيثان بن علي بن جريس " قراءة في مخصصات مقاطعة جازان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبدالعزيز " . **مجلة بيادر** ، العدد (٢٥) شوال/١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ص ١١ـ ١٣٩ ، وجميع مواد العدد خاصة بالاحتفال المئوي لمرور مائة عام على تأسيس المملكة. كما يوجد أيضاً لدى الباحث عشرات الوثائق (غير منشورة) ، والتي تصور ميزانيات عديدة في جنوبي البلاد السعودية خلال النصف الأخير من القرن الهجري الماضي وأرقامها ضمن مكتبته هي: (٨٤١، ٨٤٤، ٨٥١، ٨٧٦، ٩٥٢، ٩٨٣، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٨١، ١٠٩٥، ١٤٠١، ١٤٨٢) .

(٥) المصادر نفسها .

أ- الواردات والمصروفات :

١ - الواردات :

نوضح أن مالية أبها كانت تعتمد في وارداتها على البنود التالية :

أ- الزكاة :

تمثل الدخل الرئيســي للمالية حيث تجبى من جميع الســكان ، المزارعين والرعاة ، فيؤخذ من كل منهما ما يستحق شرعاً في أمواله ، وتجمع إلى مقر المالية بأبها ، وتدخل إلى بيت المال وتنفقها الدولة في شـؤونها المختلفة ، وطريقة جباية الزكاة تتم بما يسمى " الخرص " حيث يقوم رئيس المالية بأبها باختيار عدد من الأشخاص يسمون (عاملة) أو (خراص) يقومــون بالطواف علــى القرى لجمع الزكاة ، ويرفع أســماءهم إلى أمير المنطقــة للموافقة على تكليفهــم ، ثم ينطلقون بطريقة منظمة لجمع الزكاة المســتحقة لدى الأهالي ، وضــبطها في ســجلات رســمية أعدت لذلك ، ويعين لكل قبيلة فرقة من العاملــة لخرص المزروعــات ، ولها رئيس يســمى (أمير العاملــة) ، وكاتب ، وقابض ، ومراقب من المالية ، ومراقب من الإمارة ، ومجموعة من الأخويا (الجنود المدنيين) ٠ كانت عاملة تثليث عام (١٣٦٠هـ) تتكون من ســبعة عشــر شخصاً هم : أحمد الحمدان أميراً لهم ، وعلي بن زيد قابضــاً ، ومحمد بن حســين كاتباً ، وناصــر بن عوض مراقباً للمالية ، وفرج الفرقاح مراقباً من إمارة المنطقة ، وعبدالعزيز الدهام رئيســاً للأخويا وعددهم (١١) خوياً [١] . وتوقيعه بشــكل مســتقل ، ثم تطور الحال بحيث تؤخذ الزكاة من كل قرية بشكل إجمالي [٢] ، ويوقع نائب القرية عن الجميع في مقدار الزكاة ، ونوعها ، وتواريخها ، وعلى ســبيل المثال كان إجمالي خرص قبيلة ربيعة ورفيدة في صــيف عام (١٣٦٤هـ) (١٩٨٩صــاعاً من الشــعير) و (١٠٩٨صــاعاً من الحنطــة) تم جمعها من خمسة وثلاثين قرية . وقرية شرمة وزكاتها (٣٦) صاعاً من الحنطة و (٦٣) صاعاً من الشــعير، وآل مجمل وزكاتها (٣٢) صــاعاً من الشعير و (١٨) صاعاً من الحنطة ، وآل محمود وزكاتها (٩٢) صاعاً من الشعير و (١٨) صاعاً من الحنطة ، وآل بجاد وزكاتها

---

(١) لمزيد من التفصــيلات ، انظر: إســماعيل البشــري . **إقليم عسير في عهــد الملك عبدالعزيــز** ، ص٢٠٤ وما بعدها ؛ ويوجد لدى الباحث عشــرات الوثائق (غير المنشــورة) تصــور عدداً من العشــائر والقبائل وهي تقدم مقادير معينة من زكاة مزارعها ومواشيها ، وأرقام هذه الوثائق في مكتبة الباحث هي : (٥، ١٣، ١٤، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٣، ٤٦، ٥٠، ٥٤،١٦٤، ٢٨٤، ٤٢٧، ٤٥١، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٤٥، ٥٥٢، ٩٧٠، ١٠٠٣، ١٠١٥، ١٠٢٠، ١٦٠٧، ١٦٠٩، ٢٢٠٢) ٠

(٢) المصــادر نفســها . لمزيد من التوضــيحات انظر : غيثان بن علي بن جريس . **أبها حاضرة عسير** ، ص٦٦، وما بعدها . كما يوجد لدى الباحث مذكرة (غير منشــورة) من الأســتاذ/ يحيى بن حسن بن مستور ، وهو يتحدث عن الخراص وطريقة جمعهم للزكاة في عســير ، خلال عهد الملك عبدالعزيز. وهذه المذكرة توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٤/٢٠٦٩ـ ١٦/٢٠٦٩) ٠

(٢٧) صاعاً من الشعير وصاعين من الحنطة ، وآل الفال (٢٦) صاعاً من الشعير وستة من الحنطة ، وآل مقلفا (١٥) من الشعير وخمسة من الحنطة، وآل مقزعة (١٣) من الشعير وصاع من الحنطة ، وامزهرا (٥) من الشعير و(٥) من الحنطة ، وآل غازي صاعين من الشعير وصاع من الحنطة ، وآل جديعي (٩٥) من الشعير و(٤٧) من الحنطة ، وآل يعلا (٨٩) من الشعير و(٤٦) من الحنطة ، والمسقوي (٨٨) من الشعير و (٤١) من الحنطة ، ورحبان (٢٥) من الشعير و(٢٥) من الحنطة ، وآل بكرة (٢٤) من الشعير و(٢٤) من الحنطة ، وامرهوة (١٠١) من الشعير و(١٠١) من الحنطة ، ومزمة (٢٥) من الشعير و(٤٠) من الحنطة ، ومرمدة (٤٤) من الشعير و(٣٦) من الحنطة ، والمحفلة (٦٢) من الشعير و (١٨) من الحنطة ، وامسمادنة(٦٦) من الشعير و(٥١) من الحنطة ، وآل امشراع (٧٤) من الشعير و(٣٧) من الحنطة ، وآل امسعلي (١٠١) من الشعير و(٢٣) من الحنطة ، وامجو (١٠٣) من الشعير و(٤٧) من الحنطة ، وتيهان (١٤٢) من الشعير و(٦٩) من الحنطة ، وامشرف (١٢) من الشعير و(٦٦) من الحنطة ، وامصاولي (٢٤٣) من الشعير و (١٩٢) من الحنطة ، وزبنة (٢٥) من الشعير و(١٦) من الحنطة ، ومزهر (٦٥) من الشعير و (١٩) من الحنطة ، وظبوعي (١٢) من الشعير وثلاثة من الحنطة ، وامحظن (١٢) من الشعير والمفصلة ثلاثة من الشعير ، وآل صدامي ثلاثة من الشعير ، والعطف ثلاثة من الشعير ، والطلحة (١٢) من الشعير[١] .

وحرصاً على المواطنين من ظلم الخراص أو التلاعب بأموالهم ، فإن المالية كانت تصدر تعليمات مشددة تبين فيها كل ما يتصل بهذه البنود بشكل مفصل ، وتدفعها إلى أمير كل عاملة ، ليكون ومن معه ملتزماً بما فيها من تعليمات وبنود ، وتوزع كذلك على مشايخ القبائل لمتابعة ذلك حين الخرص دفعاً للاستغلال ، وكانت الرواتب الخاصة بموظفي الدولة تصرف لموظفي عسير من مالية أبها أو فروعها[٢] ، وفي حالة عدم توفر المبالغ اللازمة فإنها تصرف لهم الرواتب من الزكاة المتحصلة كالحب والسمن والغنم وغير ذلك ، وقد تؤخر الرواتب لمدة خمسة أشهر أو ستة حتى يدفع منها شهرين ، وذلك قبل أن يمن الله على الجزيرة بالبترول [٣] .

---

(١) انظر ، إسماعيل البشري ، **إقليم عسير** ، ص ٢٠٥. يوجد لدى الباحث عدد من الوثائق الاقتصادية (غير المنشورة) تذكر أسماء عدد من العشائر والقبائل في منطقة عسير خلال عهد الملك عبدالعزيز ، وهي تؤدي مقادير زكاة أموالها إلى مالية أبها ، وأرقام تلك الوثائق ضمن مكتبة الباحث (٢٨، ٣٤، ٣٦، ٤٦، ١٦٤، ٤٢٧، ٥٣٨، ٥٥٢، ٩٧٠، ١٠١٥، ١٦٠٧، ١٦٠٩، ٢٢٠٢) .

(٢) المصادر نفسها . انظر أيضاً كتابنا : **أبها حاضرة عسير** ، ص٦٦ ـ ٦٧ ، ومذكرة الأستاذ / يحيى بن حسن بن مستور السابقة الذكر، ورقمها ضمن مكتبة الباحث (٢٠٦٩/١٤ـ ٢٠٦٩/١٦) .

(٣) المصادر نفسها .

ب ـ الجمارك :

كانت مالية أبها تقوم باستحصـــال ضـــريبة من التجار الذين يصــدرون شيئاً من الحاصـلات إلى المناطق الأخرى بالمملكة ، والرسوم الجمركية تؤخذ حتى على " اللبان " ومقدار الجمرك المحصل لحمولة جمل = نصف ريال فقط ، عام (١٣٤٩هـ) [١].

ج ـ الطوابع :

تبـاع من قبل المالية ليصــرف ريعها على بعض المشــاريع المحلية التي تسـمى بها ، فمثلاً طوابع الإســعاف يصرف دخلها على شؤون الصحة والإسعاف والأدوية وغيرها ، وطوابع الطرق تصرف على صيانة الطرق وتوسعتها وهكذا[٢].

د ـ الضرائب :

الضرائب تشمل كل شيء تقريباً فهناك رسوم الحيوانات التي تؤخذ على مالكيها تم تحديدها بموجب قرار المجلس المالي رقم (١٧٣) في (١٣٥١/٤/١٤هـ) بحيث يستوفى علــى رأســ الغنم قرش ونصــف أمــيري، ورأس الجمل اثنين وعشــرين قرشــاً أميرياً ، وعلى البقر والبغال أحد عشــر قرشــاً أميرياً ، وعلى الحمار خمسة قروش ونصف قرش أميري[٣] ، أما ضــرائب الأســواق التي تؤخذ على ما يرد إلى السوق من جميع الأصناف صـغيراً كان أو كبيراً ، فكان رئيس المالية يعهد إلى شخص معين بشرط أن يكون عاقلاً وعادلاً باستحصــال رســوم الأســواق الأســبوعية التي تقــام في جميع أنحــاء المنطقة ، وذلــك على طريقة الالتــزام حيث يدفع للمالية بعد الاتفاق معهــا مبلغاً معيناً ، ثم يقوم هو بطريقته الخاصــة باستحصال الرسوم لنفســه ، بحيث يضمن أكبر قدر ممكن من الكسب، لأنه يحرص على أخذ الضريبة على علف المواشي وحطب البيوت وغير ذلك[٤]. وقد تسبب نظام الالتزام في أن بعض الموردين للسلع الرئيسية مثل السمن حاول التهرب من دفع الرســوم المقررة، عن طريق تهريب الســمن إلى الأسواق المحلية ، ودفعه لبعض التجار المتعاونين معه لبيعه له أو شــرائه منه، وأصــدر مجلس الوكلاء قراره رقم (٢٦) وتاريخ (١٣٥٩/٤/٢٦هـ) بشــأن القضاء على مثل هذه الظاهرة ، وذلك بتكليف جميع موردي السمن بإنزاله في سوق واحدة ، ويقوم بعرضه على الباعة دلال يخصص لذلك،

---

(١) إســماعيل البشــري . إقليم عســير ، ص٢٠٦؛ يوجد لدى الباحث بعض الوثائق التي حصل عليها من رئيس ماليــة أبها ، الأســتاذ/ محمد بن عبدالوهاب أبو ملحة ، وهي تصــور بعض الرســوم الجمركية التي كانت تؤخذ على التجارة في المملكة العربية السعودية ، وخاصة في بعض المراكز على طول الطرق التجارية البرية والبحرية ، وأرقامها ضمن مكتبة الباحث هي: (٨٤٥، ٩٤٣، ٩٨٣، ١٠٢٣، ١٠٣٦، ١٠٤٣، ١٠٨٦) .

(٢) انظر ، إسماعيل البشري ، إقليم عسير ، ص ٢٠٦ .

(٣) وثيقة رقم (١٠٧) ضرائب في (١٣٥١/٤/١٩هـ ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق .

(٤) وثيقة رقم (١٨١) وتاريخ (١٣٦٠/٨/١٩هـ) مادة رقم (٢٢١) ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق .

يعين له على كل ريال من القيمة ربع قرش، وقرر أيضاً بعدم بيع السمن في الدكاكين وإنما يخصص مكان معين لبيعه ، ويخطر البائعون بعدم الشراء إلا في هذا المحل وبعد دفع الرسم ، وإلا فيكونوا عرضة للجزاء [١]. ومن هذا القرار يتبين لنا مدى حرص الحكومة السعودية في أول نشأتها على أي مصدر للمال نظراً لحاجتها الملحة لذلك[٢].

وهناك ضرائب التنظيفات تستحصل رسومها من الأهالي ـ مع إعفاء الطبقة الفقيرة منها ـ وتدفع حاصلاتها للبلدية لصرفها في مجالات النظافة والإنارة والتنظيم، إضافة إلى رسوم التعميرات ، التي تؤخذ على من يريد إنشاء بيت أو عمارة ، ويعفى منها من يقوم بالترميم والإصلاح فقط [٣].

أما ضريبة الجهاد فقد كانت تؤخذ على القرى بحسب عدد أفرادها ، وكان يحدد الجهاد المقرر لكل قرية ، ويعين عليها مبلغاً تقوم بدفعه باسم الجهاد للحكومة ويؤخذ على كل فرد عاقل قادر على الجهاد [٤]وهناك رسم الصحة والبلدية الذي ألغي بموجب الأمر السامي رقم (٦٨١٥) في (١٣٥٦/٨/١٩هـ) [٥].

٢ـ المصروفات :

أما المصروفات فتشمل رواتب الموظفين والعسكريين والإعانات والشؤون المحلية ، ومن الجدير بالذكر أنه في بداية عهد الملك عبدالعزيز كانت تصرف الرواتب على شكل أشياء عينية ، وكانت رواتب يومية تشمل استحقاق الأمير ومعاونيه وضيوفه وخدمه وخيوله[٦]. وقد تصرف للأمير ومعاونيه رواتب نقدية شهرية وتشمل الضيافة والعلف والمطوع والأخويا[٧].

إلا أنه في أواخر عهد الملك عبدالعزيز بعد أن تدفق البترول وازداد الدخل العام للدولة نلمح في هذه الفترة بعض التطورات الشاملة في المملكة والتي عمت حتى منطقة عسير ، حيث

---

(١) وثيقة رقم (٢٦ ضرائب ورسوم) وتاريخ (١٣٥٩/٤/٢٦هـ) ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق ٠

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر، إسماعيل البشري . إقليم عسير ، ص ٢٠٦ـ ٢٠٧ ٠

(٣) وثيقة رقم (١٨١) وتاريخ ١٣٦٠/٨/١٩هـ) ، مادة رقم (٤٠٣) ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق ٠

(٤) وثيقة رقم (١١٦٠) ضرائب ورسوم في (١٣٥٤/٨/٢٤هـ) ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق ، كما يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق التي توضح ضرائب الجهاد على عدد كبير من القبائل في منطقة عسير خلال سنوات مختلفة من عهد الملك عبدالعزيز ، وأرقام تلك الوثائق ضمن مكتبة الباحث هي: (٤، ٨٠، ٢٦٧، ٢٩٨، ١٠٠٦، ١٠٢٣، ١٠٤٠، ١٠٤٥) ٠

(٥) وثيقة رقم (١١٦٢) ضرائب ورسوم في (١٣٥٧/٩/٢٣هـ) ، معهد الإدارة العامة ، مركز الوثائق ٠

(٦) وثيقة رقم (٨٤٢) ، في ١٣٥٧/٣/١٤هـ) بيان الرواتب اليومية للأمير ومن معه ، دارة الملك عبدالعزيز ٠

(٧) وثيقة رقم (٣٨١) ، في (١٣٥٣/٤/٢٢هـ) من الملك عبد العزيز إلى سليمان بن جبرين أمير بيشة ، دارة الملك عبدالعزيز ٠

ألغيت الضـرائب عموماً ووزعت الزكاة على مسـتحقيها في قراهم دون إعادتها إلى المالية ، وأصبحت مرتبات الموظفين وغيرهم تعتمد مع الميزانية السنوية بمبالغ نقدية محددة ، حيث تصرف لهم في إداراتهم عن طريق مندوب خاص لكل إدارة [١] .

ولاستكمال الحديث عن الإدارة المالية في منطقة عسير خلال عهد الملك عبدالعزيز ، وخصوصاً فيما يتعلق بأسماء بعض الموظفين الذين عملوا في إدارة مالية أبها وفي غيرها مـن الفروع التابعة إدارياً لأبها ، فقد حصـلت على مذكرة مـن مدير مالية أبها حالياً ، الأسـتاذ / محمد بـن عبدالوهاب أبو ملحة ، وقـد دون بها معلومات مفيـدة قائلاً [٢] : "... كان يعمـل بالماليـة في مدينة أبها وفروعها الأخرى رجال على مسـتوى من الحنكة والدرايـة والخـبرة في الأعمـال الإدارية والمالية وجميعهم كانوا تحت رئاسـة الشـيخ/ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة . ونذكر منهم من يردني أسـماؤهم : الشـيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن إلياس[٣] ، والشـيخ/ عبدالله علي مسـفر[٤] ، والشـيخ / محمد البسام ، والشـيخ/ محمد رضـا ، والشـيخ/ أحمد حيدر ، والأسـتاذ/ أحمد عبيد، والأستاذ/ محمد نصـيف ، والأسـتاذ / عمر حلمي ، والشـيخ/ سـعيد محمد الغمار ، والأستاذ/ عمر مهدي ، والأسـتاذ/ حسـين سـمكري، والشـيخ/ محمد البريكان ، والشـيخ /علي المغيدي، والشيخ/ محمد المغيدي ، والأستاذ / خليل محمد ، والشيخ/ عبدالله الشريف الحازمي، والأسـتاذ/ علي الشـريف، والأسـتاذ / عبدالله بن معتق ، والشيخ/علي بن خنفور، والأسـتاذ/ يونس بن حمد ، والشيخ/ أحمدأبو هليل، والشيخ/ صالح أبو هليل ، والشـيخ/ الحسن بن محمد العثمان ، والشيخ/ محمد صالح التركي ، والأستاذ/ عبده إبراهيم عداوي ، والأستاذ/ أحمد سالم مروعي[٥]، والأستاذ / حامد عباس ، والشيخ/ محمد حيدر ، والشيخ/عبدالقادر خرشد ، والأستاذ / محمود أحمد ، والأستاذ / محمد ريس ، والأسـتاذ/ محمد سعيد مطر، والشـيخ/ حمزة منظور ، والأستاذ/ حسن مفتي ، والشـيخ / إبراهيم بن علي الحفظي ، والأسـتاذ/ علي سلطان ، والأستاذ/ إسماعيل بداوي، والشـيخ / محمد سـعيد كمال ، والأسـتاذ / عبدالله محيا ، والشـيخ/ محمد بن عزيز، والشـيخ/ مصطفى بن عزيز ، والأسـتاذ/ عبدالله أحمد بداوي، والأستاذ/ عبدالله العمير، والأسـتاذ/ نور الدين عطرجي، والشـيخ/ يحيى الحسني ، والأستاذ/

(١) انظر ، إسماعيل البشري ، **إقليم عسير** ، ص٢٠٧ وما بعدها .

(٢) أصـل وصـورة المذكـرة التـي وصـلتنا مـن الأسـتاذ/ محمـد بـن عبدالوهـاب أبـو ملحـة ، والمؤرخـة في (١٤١٦/١/١٦هـ) ، توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٠٧/١ـ٢٠٠٧/٥) .

(٣) انظر ، غيثان بن علي بن جريس "أوراق من تاريخ عسير..." **مجلة بيادر** . العدد (٢٢) (رمضان/١٤١٨هـ) ، ص٥٣ وما بعدها .

(٤) صاحب كتاب: **السراج المنير في سيرة أمراء عسير** .

(٥) مذكرة الأستاذ / محمد أبو ملحة السابقة الذكر .

ناصـر كابلي، والأسـتاذ/ محمد البربر ، والأستاذ/ سـليمان الرواف، والأستاذ/ صالح خليفـة ، والأسـتاذ/ حمد الميمان ، والأسـتاذ/ سـليمان رجـب، والأسـتاذ/على جنيد ، والأستاذ/ حسين حكيم خودان بن مطر ، والأستاذ/ عوض بن عبدالله ، والأستاذ/ رجب أسـعد الفرد ، والشيخ/ حمد العبدلي ، والأسـتاذ/محمد البيومي، والأستاذ/ محمد بن يوسـف ، والأسـتاذ / أبو طالب ، والشـيخ/ محمد بن لاحق ، والشـيخ/ أحمد أبوشـقارة ، والأسـتاذ/ محمد صـالح ، والأسـتاذ/ عبدالله المتبولي ، والأسـتاذ/عبدالله باذيب ، والأستاذ/ سراج عابد، والأستاذ/ أحمد سيت ، والأستاذ/ علي سلطان ، والشيخ/ محمد حابس[١] ، والأستاذ/ محمد أحمد بداوي ، والأستاذ/ أحمد سيف الدين ، والشيخ/ أحمد بهكلـي . وهـؤلاء الموظفون منهم من عمل في أبها ثم عين بفـروع المالية ، ومنهم من عمل أساساً في الماليات الأخرى وفروعها بالمنطقة . وهناك كثير من الموظفين لم ترد أسماؤهم وكلهم لهم مساهمة كبيرة في خدمة هذا الكيان الغالي ، وأغلبُ الأسماءِ الواردة قد رحلوا عن هذه الحياة تاركين بصـماتهم لترسـم للأجيال طريقاً نيراً مضـيئاً بالسعادة والأمن والاستقرار في ظل عهدنا الزاهر تحت قيادة مولانا خادم الحرمين الشريفين "[٢] .

٩- الخدمات الصحية وتوفرها :

تعددت وتنوعت الأمراض التي كانت منتشرة بين الناس في القرون الماضية ، ومن أهمها: أمراض الطاعون ، والجدري، والحصـبة ، والكوليرا ، والتيفوئيد ، والبلهارسـيا ، وأمراض أخرى تصـيب الرأس، أو العِيون ، أو البطن، أو الأسـنان ، وأمراض الأطفال أو النساء أثناء حملهـن أو ولادتهن . وغالباً كانت الأسـباب الرئيسـية للإصـابة بمثل تلـك الأمراض ، إما المجاعات التي تفتك بالناس، أو عدم توفر النظافة في الأطعمة والملابس والأكسـية التي كان يستخدمها ويحتاجها النـاس ، إلى جانب عدم توفر الرعاية الصحية السليمة لحماية السكان مـن تلك الأمراض المختلفة . وطرق العلاج التي كانت تتبع في معالجة المرضـى سـاذجة في أدويتها وأساليب ممارستها ، فلا يستخدم إلا بعض قشور وأوراق الأشجار، وأحياناً تستخدم طريقة الكي بالنار، وهناك أمراض تصـيب الإنسـان وتفتك به دون أن يقدم له أية مساعدة طبيـة ، بـل هناك أوبئة يموت علـى إثرها بعض الناس نتيجة لسـوء المعالجة التي تقدم لهم أثناء مرضـهم . وكل هذه الأمور تحدث نتيجة جهل النـاس بوسائل الطب الصحيحة ، وعدم وجود أطباء متخصصـين يشـرفون على المرضـى ، وعدم وجود مستشفيات ومراكز صحية يوجد بها أدوات وأجهزة طبية يستخدمها المختصون أثناء معالجتهم المرضى[٣] .

---

(١) نفس المذكرة السابقة .

(٢) مذكرة الأستاذ/ محمد أبو ملحة السابقة الذكر .

(٣) مذكرة من الأسـتاذ / محمد أحمد أنور ، أصـلها وصورتها ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٨٧) . ويذكر لنا الأسـتاذ/ محمد أنور تفصـيلات عن الصـحة في أبها فيقول : " بدأت الصـحة في أبها بطبيب

لكي ندون معلومات أكثر دقة عن سـير الخدمات الصحية في حاضرة أبها على وجه الخصـوص ، وفي منطقة عسـير على وجه العموم في العصـر موضـوع الدراسـة ، فقد طلبنا تفصـيلات دقيقة من الأسـتاذ/ يحيى بن حسن بن مستور، وأجابنا بمذكرة طويلة فصـل فيها التطور التاريخي للرعاية الصـحية منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) حتى السبعينيات من ذلك القرن نفسه[1]. ولأهمية هذه المعلومات فوسف نوردها ببعض التصرف في الصفحات التالية : حيث أشار إلى تفشي الجدري في منطقة عسير خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الهجري الماضي، ولم يكـن يوجـد في مدينة أبها آنـذاك طبيب مختص يقوم على عـلاج الناس. وفي عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٥م) قدم من عدن ، عن طريق جـازان ، طبيب هندي يدعى(عطاء) ، وقد جلب معه بعض الأدوية واللقاحات ضـد مرض الجدري، وعند وصوله إلى أبها قام بتطعيم موظفي الإمارة والجنود ، وطلاب المدرسة السعودية الأميرية [2]، ومن رغب في التطعيم من بقية الناس في حاضرة أبها[3].

ويذكر ابن مسـتور تفصـيلات عن إنشـاء أول طبابة في أبها ، حيث كان افتتاحها حـوالي (١٣٥٦هـ/١٩٣٥م)، وقـد أنشـئت بطبيبٍ واحـد ، وممرض ، وثلاثـة عمال ، وأخذت دار عمر حلمي، الكائن في حي القرى ، مقراً لها[4]. وظلت تلك الطبابة تمارس

سـوري اسـمه (خـيري) ، وكان ذلك في عام (١٣٤٦هـ) ، ومعـه موظف يدعى أحمد أبو شـقاره من أهالي أبها، ثم جاء بعد الدكتور/ خيري أطباء سـوريون عديدون من ضـمنهم الدكتور/ عبدالعليم الأتاسـي، ثم الدكتور/ أكرم بيطار، ثم الدكتور/ فؤاد أبوغزالة ، ثم أضـيف لهم كتاب ومحاسـبون وممرضـون ، وكانت الصحة في مبنى كبير يسمى بيت طلعت وفاء ، أول مدير شرطة عين بأبها عام (١٣٥٥هـ) ، بجوار الجامع الكبير في رأس الملح ، كما كان يسمى في ذلك الحين ، ولم تكن الإمكاناتٍ الطبية مثلها الآن ، وأذكر طبيب أسـنان يدعى عبد السـتار العلمي جلس مدة طويلة يتقاضـى راتباً ضـخماً، وبدون عمل، في انتظار وصـول المعدات الطبية من كرسي وما يستلزم عمله كطبيب أسنان ، ثم تطور الحال بأطباء ومساعدين وممرضين وممرضـات إلى ما هو موجود الآن . ولم يكن هناك عقبات ولا مشـاكل نعتقد أن الطبيب العادي يسـتطيع مكافحة كل مرض علماً بأن أسـماء كثير من الأمراض المسـماة الآن لم تكن موجودة ولا معروفة . وكان أهم الأمراض (الجدري والحصبة والسل) ، وكانت تقوم مقام السرطان الآن ، ومن يصاب بمثل هذه الأمراض يتحاشاه الناس ويبتعدون عنه ... " ، أصل وصورة مذكرة محمد أنور لدى الباحث تحت رقم (١٧٨٧) ٠

(١) أصل وصورة المذكرة التي زودنا بها الأستاذ/ يحيى بن مستور توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٦٨) . كما قابلنا الأستاذ/ ابن مستور ، بخصوص النواحي الصحية ، في منزله بأبها في (١٤١٥/١١/١٠هـ) ٠

(٢) لمزيد من التفصيلات عن المدرسة السعودية (الأميرية) في أبها ، التي تم افتتاحها عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٥م) انظر، كتابنا: **تاريخ التعليم في منطقة عسير** ، ج١، ص٥٢ وما بعدها .

(٣) المصدر : مذكرة يحيى بن حسن بن مستور ، السابقة الذكر ، والمؤرخة في (١٤١٥/١١/١٠هـ) .

(٤) يذكر أن عمر حلمي كان أميناً للصندوق بمالية أبها ، وتلك الدار التي استخدمت من قبل أول طبابة في أبها صارت آنذاك ملكاً للمالية برغبة من عمر حلمي الذي صار عليه فروقات من الخزانة فأعطى داره المذكورة للماليـة عوضـاً عما نقص من أموال . وكان موقع تلك الـدار في حي القرى ، والمقام به حاليا مجمع الدوائر الحكومية في مدينة أبها ، والواقع إلى الجهة الغربية من مبنى إمارة عسير الحالي، مذكرة يحيى بن حسن بن مستور الآنفة الذكر ٠

نشـاطها المحدد وتركزت أعمالها على معاينة من يراد توظيفه في الجيش أو الشـرطة، أو معالجة المرضـى من المسـاجين المبعوثين إليهم من قبل الإمارة أو الشرطة ، والأدوية المسـتخدمة مسـاحيق تجهز بواسطة مساعد الصيدلي وشـيء من الحبوب المتنوعة في أحجامها وأشـكالها ، وبعض الإبر (الحقن) العلاجية ، وقطرات بسيطة للعيون ، مثل قطرة تسمى (أرجيرول) ، وصبغات اليود المطهرة للجروح ، وبعض المراهم[1] .

ويشـير ابـن مسـتور إلى أول من عمـل في طبابة أبهـا فيذكر الطبيـب عبدالعليم الأتاسي، سوري الجنسية ، والطبيب فؤاد أبو غزالة ، ثم يقول: " ... ولعل غيرهما شارك في عمـل الطبابة منذ تأسيسـها ، لكن لا أعرف بالتحديد أسـماءهم ، أما غير الأطباء من الممرضـين وغيرهم فالمسموع من بعض الرواة قديماً أن بعض أفراد أسر الراقدي، ومحمـد شـعبان ، وعلي بن محمـد العبيدي ، وعبدالله الغرابي عملـوا في طباطة أبها ، وظلت على هذا الحال، وتحت مسمى (طبابة) إلى عام (١٣٦١هـ/١٩٤١م) . وفي عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م) طورت تلك الطبابة إلى مسـمى (مديرية صـحة عسير) ، وكانت مرتبطة إدارياً بالمديرية العامة للصـحة في مكة المكرمة .والطبيب / أكرم البيطار أول من تولى إدارة مديرية صحة عسير مع فريق آخر من الموظفين والأطباء منهم الطبيب/ عادل فارس، وطبيب أسنان آخر ، والصيدلي/ أكرم الشاطبي ، وأربعة كتاب هم : علي علـوان ، مأمور إدارة ، وسـليمان بن أحمد ابن ميمش ، مسـاعد مأمـور إدارة ، ويحيى بن حسـن بن مسـتور ، كاتب آله ومقيد أوراق ، وفهد العصـيمي ، مأمور إحصـاء [2] . وأربعة ممرضين هم : عبدالله الغرابي ، ومحمد جلبان ، وسعد عداوي ، وحسن قدسي؛ وممرض سـيار هو: مشـبب أبوعشـي[3] ، وعشـرة خدام آخرين ، وبواب لمبنى المديرية يدعى معيض العبيدي " .

---

(١) مذكرة وصلتنا من الأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور ، الأصل والصورة من هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث الخاصـة تحت رقم (٢/٢٠٦٨) . وأضـاف ابن مسـتور تفصـيلات عن رداءة النواحي الصـحية في منطقة عسـير بشـكل عام ، وقال: إن الرجل يمرض أو يسقط وينكسر ولا يجد الرعاية الصحية التي تساعده علـى الشـفاء ، وأحياناً إذا مرض أحد أعيان أو وجهاء البلاد ، ووصـل خبره إلى الملـك/ عبدالعزيز بن عبد الرحمن فقد يتم إرسـال أطباء له من الرياض أو مكة المكرمة للقيام على معالجته . وهذا ما حدث مع شـيخ بني مغيد السابق، علي بن مشيبة ، حيث سقط وانكسر ثم تضاعف عليه الكسر وعندما علم الملك عبدالعزيز أرسـل له طبيباً من مكة المكرمة ، سـوري الجنسـية ، يدعى أكرم شـومان ، لكي يعالجه ، لكن لم يصـل ذلك الطبيب إلى أبها إلا بعد أن كان الشيخ/ ابن مشيبة قد فارق الحياة . مذكرة ابن مستور الآنفة الذكر.

(٢) مذكرة يحيى بن حسـن بن مسـتور ، السابقة الذكر ، والمؤرخة في (١٤١٥/١١/١٠هـ) ، وتوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٦٨) .

(٣) يقصـد بممرض سـيار ، أي يحمل معه بعض الأدوية ويتجول بها في الضـواحي وبعض القرى القريبة ، كي يعالج أو يسعف من يحتاج إلى الرعاية الصحية .

ويضـيـف الأستاذ / ابن مسـتور تفصـيلات متنوعة عن مقر إدارة الصحة في تلك الفـترة المبكرة فيشـير إلى أن المبنى الخاص بالمديرية آنذاك كان يقـع في حي نعمان، وكان مبنيـاً بالحجـر والطـين ، وملكيته في أول الأمـر كانت لأول مدير شـرطة في أبها خلال العهد السـعودي الحالي ، الأستاذ / طلعت وفاء[١] ، ثم صارت ملكيته إلى مديرية الشؤون الصحية بعد أن عوض المالك الأساسي ، وكان ذلك المبنى من أحسن المباني في أبها وأوسـعها حتى أصـبح يحتوي على كافة فروع المديرية من إدارة وتمريض وصيدلية ومستودعات وغيرها [٢] .

يتحدث الراوي أيضــاً عن مقدار أجور الأطبـاء والعمال في مجال المهنة الطبية[٣] ، وعن الأدوات التي كانت تسـتخدم في العلاج ، وكذلك المعدات والأثاث في مبنى مديرية الصـحة ، كما أشــار إلى أنـواع العلاجات والأدويـة التي كانت تسـتخدم ، وجميع هذه الإمكانات التي نوه إليها كانت قليلة في كمياتها وبسيطة في نوعياتها .

فلا تزيد أجور الأطباء عن الألف ريال في الشـهر أما بقية الموظفين من ممرضـين وعمـال وموظفـين فكانت تتراوح بين المائة حتى السـتمائة ريال خلال الشـهر الواحد . والأدوية وأنواع العلاجات المستخدمة كانت بسيطة في نوعها وكميتها . ويشير إلى الأيدي العاملـة مـن الأطباء والصـيادلة فيقول : " والفنيـون من أطباء وصـيادلة ، وجميعهم سـوريون ، كانوا على جانب كبير من الانضـباط ، ويتحلون بالاسـتقامة ، ويتصفون في مظهرهـم وملابسـهم ومنازلهـم وعملهم بالنظافـة التامة ، ويؤثرون علـى من يتعامل معهم فلا يقبلون منه الأدنى " [٤] .

يتحـدث ابن مسـتور في مذكرته عـن قدرة بعض الأطبـاء العلمية بأبهـا في أواخر الخمسينيات والستينيات من القرن الهجري الماضي ، فيذكر رواية سمعها من الدكتور/ عبدالعليـم الأتاسـي[٥] ، حـول إجراء عملية بتر قـدم مريض نفذها الأتاسـي في العقد السادس من القرن الهجري الماضي ، ويشير إلى قول الطبيب عندما قدم إليه المريض في الطبابة بأبها ، وكان بقدمه جرح ملتهب متورم ، والطبابة غير مهيأة للتنويم ، ولا يوجد بها أجهزة ولا معدات مما اضـطره ، (هكذا كلام الطبيب) إلى أن يذهب للمهندسين

---

(١) طلعت وفاء ، كما سبق الحديث معنا في موضوع الشرطة ، أنه أول من تولى إدارة الشرطة في أبها خلال عهد الملك عبدالعزيز ، ثم تدرج في المناصب حتى أصبح مديراً للأمن العام ، ويعد من المؤسسين للأمن العام في المملكة العربية السعودية .

(٢) مذكرة ابن مستور السابقة الذكر / ورقمها ضمن أوراق مكتبة الباحث (٢٠٦٨/٢ـ٣) .

(٣) يقصد بالراوي هنا أي الأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور .

(٤) مذكرة ابن مستور السابقة الذكر، ورقمها ضمن أوراق مكتبة الباحث ، (٢٠٦٨/٢٣) .

(٥) الدكتـور عبدالعليم الأتاسـي (سـوري الجنسـية) ، تزوج من إحدى نسـاء أبها ، وكان يعمـل في طبابة أبها في الخمسينيات من القرن الهجري الماضي ، ثم ترك العمل بها منذ خمسين سنة وعاد إلى سوريا فاستوطن بها .

والصاغة في السوق ، وجمع من موجوداتهم مشاريط ومناشير وسكاكين وملاقط ، ثم أحرقها بالنار ونظفها ، ثم قام ببتر رجل المريض يعاونه الصيدلي بالتخدير، والممرض بالخدمة المساندة وأحضر له سريراً وفراشاً في الطبابة ، وقام الطبيب على خدمته حتى شفي ثم ساعده في صنع رجل له تقوم مقام القدم المبتورة[١] .

نظراً لاحتواء مذكرة ابن مستور على الكثير من التفصيلات الجيدة ، فقد حرصنا في الصفحات التالية أن نوردها كما قدمها الراوي إلينا حتى نرى كيف سرى التطور الصحي في حاضرة أبها بعد أن كانت الخدمات الطبية في بادئ الأمر بسيطة وبدائية . فيذكر: " أن مديرية صحة عسير استمرت تمارس أنشطتها في المقر السالف الذكر حتى عام (١٣٧٠هـ) . وتعاقب على العمل فيها الأطباء : أكرم بيطار ، مديراً ، والطبيب/ عادل فارس ، والطبيب/ أحمد شلبي ، كما عمل بها الطبيب/كامل الواسعي " [٢] .

وفي تلك الفترة حدثت نقلة من الطبابة إلى المديرية ، بتشكيلها الجديد ومقرها المناسب ، والأفكار المتجددة التي هيأت لانطلاقه إلى مدى أوسع من جهود الطبابة المحدودة فشملت نشاطاتها جوانب عديدة منها: (١) تكون عندهم جهاز إداري ومالي في نطاق التعيينات وإثبات القيد والتنقلات والمهمات والمصاريف المقررة من ماء وقرطاسية ونثريات . (٢) تقارير طبية بالنسبة للجنود عند تعيينهم كمستجدين في الجيش والشرطة ، وعمل جولات تفتيشية على الثكنات ومضاجع الجنود والسجون ، وما يختص بمعالجتهم وجولات على المدارس والأسواق، وقد كان لهم أنشطة في الأسواق ملموسة ، وكانوا يكدسون كميات كبيرة من الفاكهة والخضروات التي تجلب قبل أن تنضج فيتلفونه[٣].

وفي عام (١٣٧٢هـ) عين الدكتور/واصل رسلان مديراً للشؤون الصحية ، بحاضرة أبها[٤]، وقد أحضر معه عدداً من الأطباء والممرضين والفنيين للمختبر ، واستؤجرت دار ذات أشجار كثيفة يربط بينها أجنحة بها غرف واسعة ومتعددة، وممرات وسلالم تربط الأدوار الأرضية بالعلوية والملاحق. ومن الموظفين الفنيين والإداريين القدامى شكل الدكتور / رسلان جهازاً إدارياً وفنياً وزعهم على الأبنية والأجنحة ، وكذلك أنشأ

---

(١) مذكرة يحيى بن حسن بن مستور حول الشؤون الصحية في أبها ، ورقمها ضمن أوراق مكتبة الباحث الخاصة (٢٠٦٨/٣ـ ٤) . ويوجد بالمذكرة روايات أخرى عديدة تدل على إجراء العديد من العمليات في الستينيات والسبعينيات من القرن الهجري الماضي.

(٢) كل من أكرم بيطار، وعادل فارس ، وأحمد شلبي سوريو الجنسية ، أما كامل الواسعي فمصري الجنسية .

(٣) مذكرة ابن مستور ، السابقة الذكر ، ورقمها ضمن أوراق مكتبة الباحث الخاصة (٢٠٦٨/٥) .

(٤) واصل رسلان (سوري الجنسية) وجراح ماهر وعلى جانب من الدراية وحسن الإدارة ، مذكرة ابن مستور السابقة الذكر .

غرفـة عمليات مجهزة بالمعدات الضـرورية اللازمة ، وكان يديرها الفني عبدالمحسـن القفيدي[١] .

كما افتتح مختبر بأجهزته وفنييه ومسـتلزماته ، وخصص جناح للتنويم ، وأنشئت عيادات للأطباء ، وهم قلة ، وطبابة أسنان مع صيدلية، وقسم للإدارة . وكان الدكتور/ واصـل رسـلان (يدير ويشـرف على) [٢] العمل الفني والطبـي والإداري ، وازداد عدد الموظفين الإداريين والفنيين بما يتلاءم مع حجم العمل [في] [٣] ذلك الوقت حيث كان محدوداً"[٤] .

---

(١) يذكر الأسـتاذ / ابن مسـتور تفصـيلات أوسـع عن عبد المحسـن القفيدي فيقول : "... كان يتمتع بمقدرة فائقة كمسـاعد فني في التخدير والتعقيم والتطهير، ومتابعة حـالات الجراحة من تغيير وتمريض وخلاف ذلـك ، وكان مخلصـا في عملـه متفانيا في أداء واجبه . وظل على ذلك سـنوات حتى بعد افتتاح مستشـفى أبها العام ، وكان الأستاذ/ عبدالمحسن يؤدي أدواره مع دكتور الحنجرة ودكتور العيون والعمليات الصغرى والكبرى مستعيناً ببعض الفنيين ، ولم يتطرق إليه السأم أو الملل حتى أحيل للتقاعد ، وهو بحق من الرجال السـعوديين المخلصـين" . مذكرة ابن مسـتور السابقة الذكر ، ورقمها ضـمن أوراق الباحث تحت المجموعة رقم (٢٠٦٨/٦ـ٧) .

(٢) ما بين الحاصرتين تعديل من الباحث .

(٣) أضيفت لاستقامة العبارة .

(٤) مذكرة الأستاذ مستور الآنفة الذكر .

رابعاً : مدونة الأستاذ / يحيى بن حسن بن مستور عن جوانب تاريخية حضارية في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) [(١)]. تحرير وتنسيق ، أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مدخل .	٢٧٣
ثانياً :	مدونة الأستاذ يحيى بن حسن بن مستور عن جوانب تاريخية حضارية في عسير (ق١٤هـ/ ٢٠م).	٢٧٤
ثالثاً :	خاتمة القول .	٢٨٩

أولاً : مدخل :

تعددت طرق ومناهج تدوين التاريخ والحضارات عند الشعوب السابقة على ظهور الإسلام ، وكذلك في العصور الإسلامية المبكرة ، مثلما تعددت مصادر جمع المادة العلمية التاريخية . ومن تلك المصادر ولعل من أهمها التدوين عن طريق الرواية الشفاهية ، وربما سجلت الرواية لتصبح مذكرة مكتوبة وغير منشورة[(٢)]. وهذا ما أردنا فعله في الصفحات التالية لنؤرخ خلال العقود المتوسطة من القرن الرابع عشر الهجري(القرن العشرين الميلادي) .وذلك عندما التقينا بأحد رجال مدينة أبها ، وهو الأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور[(٣)] ، وطلبنا منه تزويدنا ببعض المعارف الأساسية والحضارية لتاريخ مدينة أبها خاصة ومنطقة عسير عامة ، وقد تجاوب معنا شفاهة ، ثم دون الكثير من المعلومات وفي مجالات مختلفة، وبالتالي نشرنا الكثير من مذكراته

---

(١) تم نشر صفحات من هذه المدونة في كتاب: **تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ـ ١٣٨٦هـ)** (جدة: دار البلاد ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، وفي مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، عدد (٢) ، ص٢٩ وما بعدها ٠ والأستاذ يحيى بن مستور من الرجال المخلصين لدينه وبلاده ، عمل في العديد من الأعمال الحكومية والأهلية ، ويمتاز بذاكرة جيدة ، وطريقة سلسة وممتعة في سرد أحداث الزمان الذي عاصره في منطقة عسير منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهو بحق علم من أعلام منطقة عسير، يستحق أن يكتب عنه بحث أو دراسة علمية ، آمل من أبنائه وبناته أن يجمعوا أوراقه ووثائقه لعله يأتي في المستقبل من يدرسها ويوثقها ٠

(٢) الرواية الشفاهية من أهم المصادر في تدوين علمي الحديث والتاريخ عند المسلمين ، لكن الأهم في الرواية هو التأكد من صحة سندها، ومن صدق الراوي في روايته ؛ لهذا نجد علماء الحديث قد وضعوا صفات ومعايير لراوي الأحاديث عن طريق علم الإسناد ، بل دونت المؤلفات العديدة في علم الجرح والتعديل ، وفي علم الإسناد ، أما علم التاريخ فلم يحظ بالرعاية والاجتهاد وصحة التدوين مثلما حظي به علم الحديث عند المسلمين الأوائل ٠

(٣) هو يحيى بن حسن بن مستور آل محيا من مواليد مدينة أبها عام (١٣٤٩هـ) ، تدرج في العديد من المناصب الإدارية بحاضرة أبها ، ومازال على قيد الحياة حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ونسأل الله له حسن الخاتمة والفوز بجنات النعيم . أوردنا له ترجمة في حاشية رقم (٢٦) من الفصل الأول في كتابنا : **أبها حاضرة عسير ... دراسة وثائقية** . كما يوجد في مكتبتنا وثائق توضح حياته العلمية ، وتوجد ضمن وثائقنا تحت رقم (٢١٠٠) ٠

في مؤلفين مختلفين هما: (تاريخ التعليم في منطقة عسير] (١٣٥٤ـ ١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤ـ ١٩٦٦م) [١]. الجزء الأول ، وكتاب (**أبها حاضرة عسير.. دراسة وثائقية**) [٢]، وبقي لدينا معلومات قيمة لم تنشر في الدراستين السابقتي الذكر، ولأهميتها التاريخية والحضارية لمنطقة عسير عامة ولمدينة أبها بصفة خاصة، ثم لتغطيتها لجوانب لم نعد نعرف عنها شيئاً منذ الثلاثينيات إلى التسعينيات في القرن الهجري الماضي (العشرين الميلادي)[٣]، رأينا إيرادها في الصفحات التالية ، مع العلم أننا سوف ننشرها كما وصلتنا من الأستاذ/ ابن مستور ، مع إجراء بعض التعديلات المحدودة كي تعم الفائدة على جميع القراء الكرام[٤] ٠

ثانياً : مدونة الأستاذ يحيى بن حسن بن مستور عن جوانب تاريخية حضارية في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) [٥] :

يورد ابن مستور قوله : " بعد سقوط الدولة العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى ، وانسحاب متصرفها من عسير في بداية عام (١٣٣٦هـ) ، وتسليمها الحكم للأمراء المحليين ، وما نتج عن تحول الحكم من دولة مكنتها قواتها من السيطرة ليس على عسير فحسب ، بل على كافة أطراف الجزيرة العربية وخلافها كما هو معلوم ومدون في التواريخ إلى سلطة أصغر ذات إمكانات محدودة [٦]، لاسيما وأنها في عهد الدولة العثمانية كانت تعيش في الظل[٧] ، وفجأة وجدت نفسها ليس فقط خارج الظل، بل في الصفوف الأمامية في ظل هذه الظروف ، وفي خضم هذه الأجواء المشحونة

---

(١) هذا الكتاب طبع في مدينة جدة ، بمطابع دار البلاد عام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ٠

(٢) هذا الكتاب طبع في مدينة الرياض ، بمطابع الفرزدق عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ٠

(٣) يوجد صورة من هذه الأوراق ضمن أوراق مكتبة الباحث رقم (٢٢٤٥) ٠

(٤) جالست وسمعت من الأستاذ ابن مستور من عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، واستفدت من أخباره ورواياته الشيء الكثير . بل عاصرت رموزاً آخرين خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وكانوا في مستوى الأستاذ يحيى بن مستور وأفضل معرفياً وثقافياً وخلقياً أمثال : محمد النعمي ، وهاشم النعمي ،ومحمد بن حميد ، وأحمد مطاعن ، وحسين الأشول ، وعلي علوان ، ويحيى الألمعي وغيرهم كثير. ومثل أولئك الرعيل يستحقون أن تدون مآثرهم وجهودهم في خدمة أهلهم وبلادهم ٠

(٥) الشيء الجميل أنني اتصلت ببعض المثقفين والرواد الأوائل في منطقة عسير منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وجمعت الكثير من أخبارهم ورواياتهم ، بل بعضهم زودني بالعديد من وثائقهم ومدوناتهم ، وسوف أعكف قريباً على ترتيبها ونشرها في مجلدين أو ثلاثة مجلدات (بإذن الله تعالى) ٠

(٦) تاريخ متصرفية عسير السياسي والحضاري مازال يحتاج إلى جهود كبيرة لدراسته وتوثيقه . وهناك آلاف الوثائق في الأرشيف العثماني في استانبول وفي مصر جديرة بالجمع والترجمة والدراسة والتحليل ٠

(٧) للمزيد من التفصيلات عن أوضاع منطقة عسير قبل وأثناء الحكم العثماني ، انظر: علي أحمد عيسى عسيري. عسير من (١٢٤٩هـ/ ١٨٢٣م ـ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) (أبها : نادي أبها الأدبي ، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص١٢ وما بعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس، **صفحات من تاريخ عسير** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، ص١٣ وما بعدها . للمؤلف نفسه " وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩ـ١٣٣٧هـ) مجلة العرب ج٣ـ ٤ (سنة ٢٨) (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص١٥٤ـ ١٧٠ ٠

بالتوترات اجتاحت المنطقة عاصفة هوجاء من القلاقل والفتن احتواها وعمل على تهدئتها وانضمامها للحكم السعودي ، كما هو معلوم فاستقرت الأمور ، وهدأت عاصفة الاضطرابات ، وصارت الأمور بحمد الله ، ثم بحسن توجيه وإدارة من كان يوفدهم جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) من الأمراء ، والقضاة ، والدعاة ، والمصلحين أصبحت الأمور تسير من حسن إلى أحسن [١].

(*) **يعد استتباب الأمن ، وقطع دابر الجريمة بإقامة الحدود على قُطاع الطرق ، وتحكيم شرع الله فيهم من قبل السلطات السعودية اتجهت جهود المخلصين من السلطات السعودية إلى الإصلاح ، وبناء ما تهدم من كيان المجتمع العسيري في الفترة الانتقالية[٢]، فاتخذت الخطوات التالية لسبر انطلاق قافلة التعليم فبدأت كالآتي:**

١- قام كل من القضاة محمد بن إسماعيل، والشيخ فيصل آل مبارك ، والشيخ سليمان بن جمهور والشيخ عبدالعزيز الثميري الذين شغلوا القضاء في أواخر الأربعينيات، وخلال الخمسينيات من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)[٣]، بالإضافة إلى خطب الجمعة التي تقام أسبوعيا بحلقة درس خاصة لطلاب العلم ، منهم من أقامها في داره كابن جمهور كما حدثني بذلك عبدالله بن محمد بن زياد الذي قال لي أنه كان يعطيهم درسا يوميا في داره بعد العصر ويغريهم بالحضور، ويربطهم بالدرس فيعطيهم شهريا مكافأة نقدية ، ومن المؤكد أنها من المالية بأمر من الحكومة كتشجيع، ومنهم من أقامها بالمسجد ، وأحيانا في شكل مواعظ أسبوعية في الأسواق ، وأماكن تجمع الناس واستمر الأمر على هذا المنوال آخذا في التوسع في حلقات الدرس اليومية والمتعددة طيلة أيام الأسبوع ، وكانت حلقة الدرس المفتوحة بحضور الأمير تحت قصر الإمارة آنذاك في

---

(١) هناك العديد من الكتب المنشورة التي بينت أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل توحيد المملكة العربية السعودية ، ووضحت أيضاً ما كان يسود البلاد من الفتن والقلاقل والاضطرابات ، كما يوجد لدى الباحث مئات الوثائق (غير المنشورة) والتي تصور ذلك العصر وخاصة في جنوب البلاد السعودية . وتاريخ نهاية المتصرفية العثمانية حتى دخول بلاد عسير تحت حكم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل جديرة بالبحث والدراسة والتوثيق .

(٢) تعرضت بعض المؤلفات إلى الأساليب التي اتخذت في محاربة الفوضى والفتن في بداية الدولة السعودية الحديثة، ومن تلك المؤلفات ، كتب خير الدين الزركلي ، وفؤاد حمزة ، وحافظ وهبة ، وأمين الريحاني وغيرهم .

(٣) للمزيد من التفصيلات عن أولئك القضاة انظر كتاب: **شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة ما بين (١٢١٥-١٤١٥هـ)** (منشورات نادي أبها الأدبي ، ١٤١٥هـ) . وانظر كتابنا: **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ) ص ١٦٨ وما بعدها ، كما انظر الكتاب نفسه في طبعته الثانية عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) . وانظر أيضاً تاريخ القضاء في منطقة عسير ، لسعيد بن جفشر القحطاني ، المنشور في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ج٢١، ص ١٧٨- ٢٦٥ .

أعلى ساحة السوق التي استمرت خلال الستينيات والسبعينيات وربما جانب من الثمانينيات[١].

٢- خـلال الأربعينيـات وأوائل الخمسـينيات قامت الجهات المعنيـة هنا متمثلة ﰲ الإمارة والمالية وربما القضاة بإيجاد مدرسة " كتاب " مكونة من ناصر بن فرج من رجال ألمع[٢]، وعبدالرحمن المطوع من حجاز عسير[٣]، والبواب عبد الله السقا لتعليم الأولاد القـراءة والكتابة على الطريقـة البدائية القديمة بدءا بالحـروف ، ثم تركيب الكلمات مرورا بالحركات : الرفع والنصـب والكسر والسكون ، ثم الانتقال لتلاوة القرآن، وهذا ما كان سـائداً ﰲ الجزيرة العربية ، وخلافها وربما بعض الأرقام الحسـابية البسيطة. وكانـت تلك المدرسـة عبارة عن فصـلين أول وفيه المبتدئون يعلمهـم العم عبدالرحمن وأعمارهم تتراوح بين الخامسة والثامنة ، ثم يُنقلون إلى فصل العم ناصر لتلاوة القرآن وأعمارهم ما بين الثامنة إلى الخامسـة عشرة وشغلهم الشاغل تدارس القرآن ، فمنهم من قرأ الثلث ، ومنهم نصف المصحف ، ومنهم من قرأ ثلاثة أرباعه ، فإذا ختم القرآن تخرج وعمل والده وليمة للمدرسـين والجيران والأصدقاء وأرحام والده وكسا المدرسين كأعطية ومكافأة ، ثم ينضـم بعد ذلك إلى والده لمسـاعدته ﰲ الزراعة ، أو رعي الماشية أو ﰲ التجـارة ، أو ﰲ حرفـة يحترفهـا والده ، ولهـذه الحفلة طقوس، وأهازيج خاصـة يرددها رفاقه الطلبة ، ويحضـرون إلى داره لابسـين أحسن ملابسهم ﰲ طابور يرددون أهازيجهـم وهي حمد الله ، وشـكر المدرس ، والبسـمة تنفرج بها شـفاههم ، والبشـر يعلـووجوههـم ، وسـرور والد الـذي ختم القرآن لا حـدّ له ، ويعد الطالـب المتخرج بلغ نهايته إلا أن معلوماته وحصـيلته من شتى فنون المعرفة التي تشتمل عليها المناهج اليوم محدودة[٤] . وخلال عام (١٣٥٤هـ) ، وذلك عندما عين طلعت بك وفاء مديراً لشـرطة

---

(١) ويعد الشـيخ عبدالله يوسـف الوابل من أكثر العلماء الذين بذلوا ما ﰲ وسـعهم من أجل تعليم الناس أمور دينهم ، فلقـد كان يقضـي جـل نهاره وجزءا من ليلـه ﰲ خدمة الدين وتعليم الناس ما جهلـوا ﰲ دينهم ، كما كان يقيم حلقات الدروس المتتالية ﰲ المسجد وكذلك ﰲ منزله . أيضا الشيخ عبدالله القرعاوي بذل جهوداً جبارة ﰲ توعية الناس وتدريسـهم أمور الدين ، كما بذلوا جهوداً أخرى ﰲ نشـر المدارس بالمنطقة الجنوبية بهدف تعليم الناس أمور العقيدة والجوانب الشـرعية الأخرى . للمزيد من التفصـيلات ، انظر: كتاب **شذا العبير** ، ص٢١٧، وانظر كتابنا: **تاريخ التعليم بمنطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)** الجزء الأول ، ص ٢٦٠ وما بعدها .

(٢) انظر ترجمة للأستاذ ناصر بن فرج ﰲ كتاب ، تاريخ التعليم ﰲ منطقة عسير ج١ ، ص٢٤٤، كما يوجد ضمن أوراق مكتبة الباحث ترجمة له تحت رقم (١١١٧) .

(٣) انظر كتاب ، **تاريخ التعليم ﰲ منطقة عسير** ، ج١ ، ص٢٤٦ وما بعدها ، كما يوجد عدة وثائق ضمن مكتبة الباحث، وجميعها تذكر نبذة عن حياة عبدالرحمن المطوع، وتوجد تحت الأرقام (١٣٧٠- ١٣٩١). وللمزيد انظـر محمـد بن أحمد معـبرّ . **وثائق غيثان بـن جريس الخاصـة** ، (الرياض: مطابع الحميضـي ، ١٤٣٥-١٤٣٦هـ/٢٠١٤-٢٠١٥م) ، ج١ ، ص ٤٧٩- ٥٠٠ .

(٤) هذه المعلومات قد وردت ﰲ كتابنا : تاريخ التعليم ﰲ منطقة عسير . الجزء الأول . ص ٥٢ وما بعدها . وطريقة حفل ختم القرآن والفرح والابتهاج بالختام قديمة تعود إلى العصـور الإسـلامية المبكرة والوسيطة ، ولم تكن ﰲ حاضرة دون أخرى وإنما كانت عادة تمارس ﰲ معظم الحواضر والمدن الإسلامية الكبرى والصغرى .

أبها بعد انتهاء مهمته من ضمن اللجنة الملكية الموفدة من قبل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) لتصحيح الأوضاع في منطقة عسير ، ونجران، وجازان ، وبعد انتهاء مهمته مع اللجنة المشتركة لترسيم الحدود بين اليمن والسعودية عام (١٣٥٣هـ) قام هذا الرجل تطوعاً بعمل جلل قد لا يعرفه إلا القليل ، لأنه خارج نطاق عمله كمدير للشرطة [١] ، وبعيداً عن مجال اختصاصه الأمر الذي يعطي الدليل المادي على ما يتمتع به من أحاسيس تفيض نبلاً ، وعواطف تجيش بالخير تجاه مليكه ، ووطنه وبني جنسه فعندما شاهد بأم عينه أنه يوجد بالمدينة "كتاب" مدرسة واحدة فقط ، يعلم فيها العم ناصر بن فرج والعم عبدالرحمن المطوع ، وهو اللقب الذي كان يطلق عليهما ، وتعرف مهنتهما به ، وشاهد هذه البراعم لا تتلقى من التعليم إلا تلاوة القرآن ، وهذه واحدة من أكبر النعم بالإضافة إلى شيء بسيط من القراءة والكتابة على الطريقة البغدادية التي كانت سائدة في أبها ، وخلافها في الخمسينيات من القرن الهجري الماضي ، ومعلوم أن تثبيت القرآن وعلوم السنة وخلافها من شتى فنون المعرفة لا تثبت في الذهن وترسخ إلا بالتوسع كما وكيفا في التعليم الذي يعرف بالابتدائي ، ثم الإعدادي ، فالثانوي ، وبعد ذلك الجامعي . تدرج طلعت وفاء في إقناع الأستاذين / ناصر بن فرج وعبد الرحمن المطوع (جزاهما الله أحسن الجزاء ورحمهما رحمة واسعة) بالتوسع في التدريس، وتنويع مواده بزيادة المدرسين ، واستطاع من جهة ثانية إقناع المتعلمين من موظفي المالية ، وكاتبي العدل وهم قلة بالتطوع لإعطاء مواد دراسية في المدرسة ، والالتزام بالحضور إلى المدرسة والمشاركة في إعطاء الدروس اليومية في الوقت المحدد بالإضافة إلى أعمالهم الأساسية [٢] . فاقتنع الموظف بالمالية يونس بن أحمد ، وابنه مدني بن يونس وهما من المدينة المنورة وكان الأول محاسباً بالمالية ، وكذلك الموظف محمد صالح سلامة ، ولعله من مكة المكرمة ، وكذلك الموظف بالمالية سليمان رجب بالإضافة إلى كاتب عدل أبها عبدالله باذيب وهو من مكة [٣] . وحولوا بجهودهم الذاتية ، وبمحض رغبتهم ، ونزولاً ، واستجابة لاقتراح مدير الشرطة من مدرسة "بدائية" (كتاب) إلى مدرسة نظامية ، وجهزوا جدول حصص يشتمل على أكثر المواد التي تدرس الآن في التعليم الابتدائي وقاموا ما بين عامي (١٣٥٤هـ) وعام (١٣٥٥هـ) بإجراء هذا

(١) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الشرطة في مدينة أبها ، وعن السيد طلعت وفاء ، انظر كتابنا: **أبها حاضرة عسير ـ دارسة وثائقية** . (الفصل السادس) . وانظر أيضاً : تاريخ الحياة الإدارية في عسير في عهد الملك عبد العزيز في دراسة سابقة من هذا القسم .

(٢) غفر الله لك يا أستاذ يحيى بن مستور أن دونت لنا شيئاً من محاسن هذا الرجل (طلعت وفاء) ، ومن المؤكد أن هناك أعلاماً مثله خدموا البلاد وأهلها منذ الخمسينيات إلى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ونأمل أن نرى بعض المؤرخين أو طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ . فيؤرخوا لأولئك الرجال الأعلام في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (الباحة ، والقنفذة ، وبيشة ، وعسير، وجازان ، ونجران) .

(٣) حبذا أن تدرس تراجم وجهود هؤلاء الأعلام ، الذين كانوا رواداً في بدايات التعليم النظامي الحديث في عسير .

التحـول . وهذه النقلة في طريقة التدريس تركت انطباعاً حسـناً عنـد الطلبة ، وأولياء أمورهـم ، ولـدى أعيان المدينة ، وكبار المسـؤولين : من أمير ، وقاض، وصـادف اقتران ذلك بالتحاقي بالمدرسة كطالب في عام (١٣٥٥هـ) ولكوني في تلك السنة صغير السن ، وكان يدرسنا في الأولى العم عبد الرحمن المطوع ، ومن المؤكد أن هؤلاء المتطوعين كانوا يدرسـون الكبار الذين كان يطلق عليهم ذلك الوقت الختام، ولعل هذه التسـمية جاءت من كونهم أكملوا قراءة المصحف كاملاً فكانت تطلق عليهم هذه الصفة إلا أني سمعت هـذا الكلام ، وأكده لي من عايشـه وعاصـره مـن الختام وهما الأخ سـليمان بن أحمد ميمش ، ومحمد بن إبراهيم ، الأول كان أحد كبار موظفي الشؤون الصحية الإداريين ، وقد تقاعد منذ بضـع سنوات، والثاني أحد موظفي الجوازات السابقين حيث كان يعمل مأمور قسم الإقامة وقد تقاعد هو الأخير منذ مدة[١] ، فقد كانا من ضمن الطلبة الذين تلقوا التدريس على أيدي هؤلاء المتطوعين ، سـالفي الذكر الذين اشـتركوا في التدريس أيام الكتاب ، مساهمة منهم في الرفع من قدرات الطلبة ، وتطوعاً بدون أي مقابل مادي سـوى الرغبة في فعل الخير اسـتجابة لطلب مدير الشـرطة طلعت وفاء [٢] ، وكان معهم أيضـا مدير اللاسـلكي أحمد عبيد ، وكان دور طلعت وفاء بارزاً في المدينة ، ثم واصـل جهوده المشـكورة لتحويل المدرسـة (كتاب) إلى مدرسـة نظامية تابعة لمديرية المعارف العامة ، وكانت ذلك الوقت تتخذ من مكة المكرمة مقراً لها في عهد الملك عبد العزيز آل سـعود شأنها في ذلك شـأن المصالح الحكومية الرئيسية فقد كان الأمن العام بمديريته العامـة ، ووزارة الماليـة وكان على رأس هذه المصـالح الأمير فيصـل بن عبد العزيز آل سعود عندما كان نائباً عاماً لجلالة الملك في الحجاز . علماً بأن " الكتاب " قبل تحويله إلى مدرسـة نظامية كان تأسيسه ورواتب المعلمين والبواب ، ومصروفاتهم ومتابعة سير أعمالهم كان من قبل إمارة عسير ، ومالية أبها ، وقاضيها التابعين للحكومة السعودية إلا أن عدم ارتباطها بمديرية المعارف العامة جعل إمكاناتها محدودة وعطاءها ضئيلاً لعدم وجـود الدعـم المادي ، والمعنوي ، فاتصـل طلعت وفاء بمدير المعارف العام بمكة السـيد محمد طاهر الدباغ ، واسـتطاع إقناعه بالعمل على افتتاح مدرسة ابتدائية نظامية تحل محل الكتاب ، فرشـح عبدالرحيم الأهدل ، وعبدالمالك الطرابلسـي ، ومحمد إسماعيل الإبي بعد الحصـول على موافقة النائب العام في مكة ذلك الوقت جلالة الأمير فيصـل حسـبما علمت من المدير الأسـتاذ عبدالمالك ، وبعد الموافقة أحضـرهم طلعت وفاء معه

---

(١) هـذه المذكـرة التـي نحن بصـدد تحريرها ونشـرها لابن مسـتور مدونة منـذ العقد الثاني في هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . وهؤلاء الأعلام الذين ذكرهم قد انتقلوا إلى الرفيق الأعلى ، وقد قابلتهم آنذاك وكانوا من الرعيل الجميل الجاد العصامي الذين بذلوا ما في وسعهم لخدمة أنفسهم وبلادهم .

(٢) غفر الله لك يا طلعت وفاء وغفر لأولئك الرجال الذين ساهموا في تعليم أبناء منطقة عسير خلا خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

إلى أبها في سيارة كانت وزارة المالية تجهزها لرجال الحكومة في تنقلاتهم[١] .

بمجرد قدومهم إلى أبها في شهر شوال سنة (١٣٥٥هـ) كانت المدرسة السابقة تشغل غرفتين في مبنى بلدية أبها المكون من طابقين ، الأرضي دكاكين تشرف على السوق " سوق الثلاثاء " ، وكان في وسط المدينة جنوبي ساحة السوق ، ويحاذيها بل ملاصقا لها مبنى مسجد برازان من الجنوب ، وبعد معرفة مستويات الطلبة شكلوا منهم ثلاثة فصول الأول للمبتدئ ، والثاني لمن يحسن كتابة الحروف الأبجدية ، والثالث للختام الذين سبقت الإشارة إليهم ، واستأجرت المالية منزل والدي حسن بن مستور (رحمه الله) ، وكانت من أنسب الدور ذلك الوقت ، وأكثرها ملاءمة للمدرسة فهي تشتمل على صالة داخلية بطول (١٥×٤) أمتار يخرج فيها من ناحيتها الشرقية والغربية ست غرف كبيرة اتخذت فصولا ، وإدارة ، وبها فناء خلفي وملاحق غطت حاجة المدرسة ذلك الوقت ، وفي عام (١٣٥٧هـ) بعد أن تشكل الفصل الرابع " السنة الرابعة " نقلت المدرسة إلى دار عبدالله هبيش الواقع بحي نعمان باعتباره طابقين ولعله أكثر غرفا لمواجهة نمو الطلبة ، وتزايد أعدادهم ، وفي عام (١٣٥٨هـ) بعد إيجاد الفصل الخامس نقلت المدرسة إلى دار الشيخ عبدالوهاب أبي ملحة الواقعة شمالي ساحة البحار المجاورة بل الملاصقة لداره التي كان يتخذها الشيخ سكنا له ، والمكونة من ثلاثة طوابق ، وهي القائمة حاليا والمقامة بالمونة المحلية ، والتي آلت ملكيتها مؤخرا للدولة واتخذت هي ومحتوياتها "كمتحف للآثار" ، والحقيقة أنها جديرة بذلك فهي من خيرة مباني أبها، بل عسير عامة وتمثل النمط المحلي في أسمى صوره ، وكان الفصل " السنة " الأولى ، والثانية في الطابق الأرضي قريب من الأفنية ، والفصول الثالث ، والرابع ، والخامس في الطابق الثاني[٢] ، وكذلك الإدارة ، وكانت الدرجة (السلم) تنتهي في شمالي صالة مستطيلة تقع الفصول على جهتيها الشرقية والغربية ، ومقر الإدارة في نهاية الصالة جنوباً بحيث يتمكن المراقب ، أو المدير من الإشراف على كل ما يجري في المدرسة [٣] .

---

(١) للمزيد من المعلومات عن عبد الرحيم الأهدل ، وعبدالمالك الطرابلسي ، ومحمد إسماعيل الآبي، انظر : **كتاب تاريخ التعليم في منطقة عسير**، ج١ ، ص٢٢٧، كما يوجد ضمن مكتبة الباحث العديد من الوثائق الخاصة ببعض تلك الشخصيات ، وتوجد تحت الأرقام الآتية (١٢٩٩ـ١٣٠٨) مجموعة رقم (١) . وندعو للأستاذ طلعت وفاء بالرحمة الذي كان له دور إيجابي في إقناع المسؤولين بمديرية المعارف بفتح مدرسة نظامية في أبها ، وقد فتحت مدارس نظامية أخرى في الظفير ببلاد غامد ، وفي بيشة ، وجازان ، والقنفذة.

(٢) غفر الله لك يا أستاذ يحيى بن مستور ، فقد أفدتني كثيراً عن طبيعة وسط مدينة أبها المعمارية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وقد سجلت الكثير من معلوماتك عن هذه الناحية في كتاب: **(أبها حاضرة عسير : دراسة وثائقية)** . ونلاحظ الآن عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) إن منزلي أبو ملحة وابن هبيش مازالت بعض أجزائهما ماثلة للعيان ، وقريبا منهما ساحة البحار ومبنى إمارة منطقة عسير ، وإلى شمالهما مباني أمانة منطقة عسير الجديدة . وفي الغرب سوق الثلاثاء ، ويبنى حديثا سوق الثلاثاء الجديد . وتاريخ العمارة في مدينة أبها قديما وحديثا موضوع مهم وخصب يستحق أن يدون في عدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٣) إذا ما حاولنا معرفة إمكانات الناس في العصور الماضية ، وخاصة في بناء المنازل ومرافقها ، وكذلك في تأثيثها وتزيينها ، فإننا بلا شك سوف نلاحظ (البساطة) في البناء وفي المواد المستخدمة ، وجميع

والمدرس يتمكن من الانتقال للفصــول ، والاطلاع على الجدول ، وأخذ ما يلزم من الطباشير ، والمقررات ، الأمر الذي جعل حركة التدريس ، وانتقال المدرسين تسير بيسر وســهولة ، وكان المدير عبد المالك يؤدي دروس بعضِ الحصــص لاســيما دروس الدين ، والتاريــخ، وكان يحلق بنا في آفاق المعرفة مســتغلاً تعطش الطلبة إلى شــرحه ويجذبهم إلى معلوماته الغزيرة ، وله طريقته الأبوية الحانية إلى استمالة الطالب للإنصات إليه ، وكان في ربيع عمره وأوج شبابه حباه الله بعقلية راجحة ، وقدرات علمية فائقة خاصة في التاريخ ، وعلوم الكتاب ، والســنة، وكان لإخلاصــه الكبير، وتفانيه في واجبه ، وتقديسه المهمة الكبيرة الملقاة على عاتقه ليس فقط تعليم الناشئة ، بل تقويم سلوكهم ، وتهذيبٍ طباعهــم ، وتتويــج التعليم بالتربية الحســنة لأن هــذا ما كان يتحلى به هو شخصــياً ، فيؤثــر بالعمل قبل العلم ، ويقرن القول بالفعل ، فســلوكه مســتقيم ، وســيرته حســنة ، أدرك بفراســته ومن خلال حنكته وتجاربه التي يقابلها ما يســمى اليوم بالتربية ، وعلم النفس ، فالمؤمن ينظر بنظر الله كما في الحديث . سبر أغوار الطلاب ، وما يحيط بهم من أهل ومجتمع فعرف الغني ، ومتوســط الحال ، والفقير من أولياء أمور الطلبة ، وما يعترضــ الطلبة من صــعاب فعمل على تذليلها واستشــف من خــلال تعامله مع المجتمع والطلبة أن البون شاسع في طبقات الطلاب ، وأن من بينهم صعب المراس ، ولين العريكة والمنضبط ، وغير المنضبط ، والمجتهد ، والمقصر، وأن الطلبة من يشغله أهله لمساعدتهمٍ في أعمالهم اليومية من زراعة ، ورعي الغنم ، وأعمال حرفية في الســوق ، فعمل جاهداً علــى احتــواء هذه العوامل غير المتجانســة ، التي لا تتفق ورســالة التعليم ، وما يجب أن يكون عليه من انضباط ، وتفرغٍ ففتح صدره لأولياء أمور الطلاب ، واستمع منهم ، ومن خــلال تعاملــه مع الطلبة يومياً عرف عن طباعهم الشــيء الكثير ، فأخذ يعالــج الأمور ، ويذلل الصــعاب ، ويمهد الطريق من خلال تدريســه ومن خلال مواعظه ، وإرشاداته ، وتوجيهاتــه اليومية حتى اســتقامت الأمور ، وأخذت دروب التدريســ تتجه إلى الطريق الســوي شيئاً فشــيئاً ، واستعمل هو والمدرســون النفس الطويل والتذرع بالمرونة والصبر حتى انتظمت الأمور ، وأخذت طرق التدريس تســير في مسارها الطبيعيٍ وبذلك تحولت طرق تدريس الكتاب بجهوده ، وقســوته ، ومحدوديته عطاءً وانضــباطاً إلى آفاق أرحب ومجالات أوسع وانضباط أكثر حسب الطرق الحديثة[1] .

الإمكانات الأخرى . وللمزيد من التفصــيلات عن الحياة الاجتماعية وأنواعها في عســير ، انظر غيثان بن جريســ . **عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصاديــة (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ/١٦٨٨ـ ١٩٨٠م)** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ص٣٥ وما بعدها .

(١) عندمــا نقلب صــفحات التاريــخ ونطالع اختلافات وصــفات المعلمين والمتعلمين في الماضــي ، ثم نقارنها بما نشــاهده مــن اختلافات عند بعض المدرســين وطلاب العلم في يومنا الحالي ، فإننــا لن نجد وجه مقارنة ، حيث كان الأوائل (رحمهم الله) قمماً بل جهابذة في ســلوكياتهم وعلمهم ســواءً أكانوا معلمين أم متعلمين. ومن هذه الخلاصــة التي يســجلها ابن مستور فهو يذكر صــوراً من حياة الناس وتاريخهم الحضاري ، كما يوضح دور المعلم الصالح والقدوة الذي يخلص في عمله من أجل خدمة الناس وحل مشاكلهم .

مادام سياق الكلام عن شيء من سلوكيات ، وقدرات الشيخ عبدالمالك وهو المربي الكبير ، والأستاذ القدير، فإن من الإنصاف ذكر شيء عن الأستاذ محمد إسماعيل الإبي فالرجل نشأ ، وترعرع في اليمن " قضاء إب " ولظروف سياسية أفرزتها الأوضاع الدولية بعد حرب إسرائيل الأولى أخرج أهله من اليمن فتطوع أحد باليمن ولعله " ابن الوزير " ، وله مكانته في بلاط إمام اليمن السابق يحيى حميد الدين ، وأخذ الأستاذ المذكور محمد إسماعيل الإبي ، ومعه أخته وقام بتسليمهما إلى إمام الحرم أبي السمح في مكة المكرمة ، حيث أشرف على تربيته وتعليمه ، وما فطر عليه محمد إسماعيل من ذكاء مفرط ، ولأن عمل الإمام المذكور " أبي السمح " في الحرم المكي ، ومن المؤكد أن داره وهي التي نشأ فيها الأستاذ محمد إسماعيل الإبي يغلب عليها الطابع الديني ، وفي ظل هذه الأجواء كانت نشأة محمد المذكور ، فقطع شوطاً كبيراً في العلم ، والمعرفة وأصبح لا يبارى في علوم الأدب ، والشعر ، والتاريخ ، ولا يجارى في العلوم الشرعية ، وذلك في زمانه ، وأمثاله المتعلمون قلة ، مما ساعده وأهله على أن يؤلف مقطوعات شعرية ، ومواد نثرية للطلاب في شكل حوار ، ويوزع الأدوار على الطلاب بما يبدعه من شعر ، ونثر وقصص، ومسرحيات ، وأنشطة طلابية متنوعة فهو ينبوع للعلم والمعرفة يرتوي بنبعه الصافي كل من خالطه أو عاشره في المدرسة ، أو داره أو الشارع، وصار قلب المدرسة النابض ، ونجمها الساطع بما يثيره من إبداعات في حواراته ، ومناقشاته، وصار المدرسون ، وكبار السن من الطلبة يلازمونه للاستفادة من معلوماته الثرة ، ومعارفه الغزيرة التي ما فتئ يبذلها لهم ليلاً ، ونهاراً ، ولا يبخل بإتحافهم بكل طريف ، ومفيد. وكان من ضمن من لازمه ملازمة الشيء ظله : كل من الأستاذ محمد أحمد أنور[1] ، والأستاذ موسى بن ناصر وهما ممن كان يعمل في الكتاب ثم تم إلحاقهما بمدرسة أبها الأميرية بترشيح من المدير عبدالمالك الطرابلسي ، ولازمه أيضاً من ضمن أول دفعة تخرجت عام (١٣٦٠هـ) كل من الطالبين النجيبين : السيد محمد إبراهيم النعمي، ومفرح بن محمد الخلفي[2] وقد رشحا مدرسين وبعثا لمديرية المعارف العامة حيث أجريت لهما مقابلة واختبار من قبل مدير المعارف العامة ذلك الوقت السيد محمد طاهر الدباغ ، ووافق على تعيينهما مدرسين وكان تخرج أول دفعة من السنة الخامسة قبل افتتاح السنة السادسة ثمانية أشخاص هم : (١) سعيد عبد الوهاب أبو ملحة. (٢) سليمان أحمد ميمش. (٣) السيد أحمد إبراهيم النعمي. (٤) محمد عبده

---

(١) انظر ترجمة مطولة للأستاذ/ محمد أحمد أنور في كتاب : **تاريخ التعليم في منطقة عسير** ، الجزء الأول ، ص ٣٣١ وما بعدها .

(٢) وعن كل من الأستاذين / محمد إبراهيم النعمي ومفرح بن محمد الخلفي انظر الملحق رقم (٤) في كتاب : **أبها حاضرة عسير ... دراسة وثائقية** . وهذا الملحق نبذة كتبها لنا الأستاذ / محمد أحمد أنور أورد فيها ترجمة مختصرة لكل من الأستاذين الآنفي الذكر .

عسـيري . وقد عين هو الآخر مدرسـاً . (٥) مفرح بن محمـد الخلفي . (٦) يحيى بن حسن بن مستور . (٧) سليمان أحمد فايع . (٨) إبراهيم بكر رجب . وأعطوا جميعهم شـهادات التخرج موقعة من مدير المدرسة والمدرسين ، وذلك بخط مدير مدرسة رجال ألمع الأستاذ محمد عمر رفيع وحلاها بجمل مختارة [1] ، واستعمل فيها الخط الفارسي ، والرقعة، والنسخ . وكانت المدرسة تسمى بالأميرية ثم تحول مسماها مؤخراً إلى المدرسة السعودية وهي أول مدرسة نظامية افتتحت في أبها استمرت من أواخر عام (١٣٥٥هـ) إلى عام (١٣٥٧هـ) تخرج الطلاب من السنة الخامسة والمقررات مكثفة ، والإقبال من الطلبة كبير ، والمنافسـة على أشـدها ، والمدة المقررة للدراسة من حيث الساعات نهارا ، والسـنة الدراسية السـنوية أطول ، ووسائل اللهو واللعب شبه معدومة حتى إن الطالب ليحاسب على عبثه ، ولعبه الذي ينجم عنه مضيعة لوقته أو أضرار للآخرين، فمجالات العبث واللهو واللعب ضيقة ، ومحصورة في أضيق الحدود [2] ، فالغالب على الحياة طابع الجد يدخل الطالب المدرسـة فيحس بهيمنة النظام ، وحياة الجد يصـغي إلى المدرس باهتمـام زائد ، يحـترم المدرس كاحترامه أبـاه ، ويجد ثمرة ذلك لـدى المدرس عطفاً وحنواً . يسود المدرسة جو من الاحترام المتبادل يتجمع الطلبة في فناء المدرسة صباحاً ، والغالب منهم ممسـك كتابه للاستذكار وبعض منهم يمارس شيئاً من الألعاب الخفيفة دون إحداث ضـجة أو ضوضـاء ، فالمدير عبدالمالك واقف بالمرصـاد لكل من تسـول له نفسـه وتجاوز حد الاعتدال باللعب ، لاسـيما إذا وصـل هذا التجاوز إلى إلحاق الضرر بالآخرين ، أو اقتراف ما يخل بالمروءة ، ويثلم الشرف ، وكانت الدراسة تبدأ بعد شروق الشـمس مباشـرة ، وعند الانصـراف يشـكل الطلبة طابوراً وعليهم عرفاء ، ومراقبون يصـطحبونهم إلى المسـجد الجامـع ، لأنه قريب من المدرسـة، فيتوضـأ الطلبة ، ومن ثم يتقاطرون إلى المسـجد للصـلاة ، والمراقبون ينظمون مسـيراتهم ، ويلاحظون عدم تشويشـهم على المصـلين ، وبعد الصلاة ينصـرف كل منهم إلى داره [3] ، وفي فترة من

(١) مقابلـة مع الأسـتاذ / يحيى بن حسـن مسـتور بمنزله الكائن بحي شمسـان بمدينة أبهـا ، كذلك من نبذة كتابية زودنا بها ، انظر: <u>تاريخ التعليم في منطقة عسير</u> ، ص٥٧، أيضاً انظر ترجمة الأستاذ/ محمد عمر رفيع ، المصـدر نفسـه ، ص ٢٥٤ وما بعدها . ونجد ابن مستور يذكر بعض المعلومات عن الأستاذ إسماعيل الإبي ، ثم يذكر أسـماء الطلاب الذين تخرجوا في الدفعة الأولى بالمدرسـة . وأقول : نحن في أمس الحاجة إلى معرفـة التاريخ العلمي والثقافي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، والاطلاع على منجزات المعلمين المحليين والمتعاقديـن الذين قدموا الكثير من خبرتهم ومعارفهم وتجاربهـم لأبناء وبنات هذه البلاد . وما نراه من تقدم وتطور في ميدان العلم والمعرفة في منطقة عسير وما جاورها ، هو بتوفيق الله عز وجل ـ ثم ما قدمته وتقدمه الدولة ـ وفقها الله ـ لهذه البلاد ، ثم لأولئك المعلمين الأوائل المخلصـين الذين بذلوا ما في وسـعهم لنشر العلم والمعرفة بين سكان جنوب المملكة العربية السعودية .

(٢) الله المستعان ، ليس هناك وجه مقارنة بين الماضي والحاضر من حيث مضيعة الوقت ، ووسائل اللهو واللعب ، فهي اليوم أكثر وأكبر وأشد فتكاً بالناس وأوقاتهم .

(٣) حبـذا أن نـرى مؤرخين وباحثين جادين يخرجون لنا دراسـات مقارنـة عن تاريخ التعليم قديمـاً وحديثاً ،

الفترات كانت الدراسة فترتين : صباحية إلى الظهر ، ومسائية إلى العصر ، وأحياناً عند استمرار الدراسة إلى ما بعد صلاة الظهر يؤدي الجميع صلاة الظهر في بهو المدرسة جماعة يؤمهم الأستاذ/ عبدالمالك ، ويوجد أمام المدرسة فناء فسيح لأنشطة الطلاب في الحفلات التي تقام في مناسبات الأعياد ، وينتشر الطلاب في ساحة البحار الموجودة الآن موقفاً للإمارة ، لأن مبنى المدرسة يشرف عليها من الناحية الشمالية ، وهو المبنى القائم الآن بجوار قصر الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة [١].

أما أثاث المدرسة ، وأدواتها فهي طاولات مستطيلة مشتركة لخمسة طلاب بها خمسة أدراج يقابلها كرسي مشترك لخمسة طلاب ، وهي من صنع محلي ، كما يوجد في كل فصل (سبورة) مع طباشير ، وتوزع الإدارة على الطلاب الكتب المقررة ، وأذكر من المؤلفين عبدالله المطلق للمقررات الدينية ، والمطالعة أحمد السباعي ، كما أذكر من المقررات درساً تحت مسمى التهذيب يختار فيه آيات قرآنية كريمة ، وأحاديث شريفة ، وشعر ، وقصص تصور القيم الرفيعة ، وتحث على المثل العليا ، ودرساً للصحة يشتمل على مبادئ النظافة ، وطرق الوقاية ، وكانت المقررات مكثفة . وإدارة المدرسة تخصص رحلات برية يخرج الطلبة والمدرسون في احد البساتين المشهورة حول مدينة أبها كالبصرة، وعلى ضفاف وادي أبها حيث الغدران والمياه . والطلاب تحت رعاية المدرسين فنحن ندرس ذلك الوقت الفقه في كتاب عمدة الفقه، والمعروف أنه يدرس حالياً في الثانوية العامة ، ونقطع شوطاً كبيراً في دراسة النحو (القواعد) ، ودرس الإنشاء بما يعرف اليوم بمادة التعبير ، وكانت تدرس الجغرافيا تحت مسمى " تقويم البلدان " ، وكفاءة المدرسين العلمية والتربوية عالية، فما نقص من المقررات يختارون من أمهات الكتب قطعاً مناسبة ، وينقلها الطالب في دفتره ، وندرس من الحساب الأعمال الأربعة : جمع ، وطرح ، وضرب ، وقسمة " ، والكسور العشرية والاعتيادية ، وكانت الاختبارات شهرية ، ويعاد الترتيب على المقاعد بحسب الدرجات شهرياً ، مما يخلق منافسة بين الطالب ، كما أن المقررات جميعها حفظ " عن ظهر غيب " ، وتستهل الدراسة يومياً بالقرآن الكريم ، ولمدة حصة كاملة[٢].

مع ذكر الإيجابيات والسلبيات لكل عصر ، ثم الخروج ببعض التوصيات والنتائج التي قد يستفيد منها المخططون وصناع القرار في وزارة التعليم . وتفيد أيضاً طلاب وطالبات المعرفة في وقتنا الحاضر .

(١) شاهد الباحث المبنى الذي كان مستخدماً بالمدرسة ، وكذلك المبنى المجاور له ، ومازالت تلك المباني ماثلة للعيان حتى الآن ، (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) مقراً لمتحف عسير الإقليمي .

(٢) هذه المعلومات قد سمعها الباحث من ابن مستور ودون أغلبها في كتاب تاريخ التعليم في منطقة عسير . (الجزء الأول) .

وقد استمرت المدرسة على هذا المنوال حتى تخرج الطلاب منها من السنة الخامسة ولمدة عشــر ســنوات ، ولم يحدث فيها الفصل السادس إلا في عام (١٣٦٥هـ) ، حيث لم يتخرج من أول سنة إلا شخص واحد وهو السيد محمد إبراهيم النعمي ، وأول دفعة من السادســة تخرجت عــام (١٣٦٦هـ) ، وكان عددهم اثنى عشــر طالباً كان منهم محمد النعمــي وســعيد بن عبدالله بن مســفر الــذي روى لي المعلومة ، والأول هــو رئيس كتابة العــدل بمنطقة أبها ، والثاني (ســعيد بن مســفر) زميله في المدرســة وفي العمل ، وكان رئيــس كتابــة العدل هو الآخر خلفــاً (لمحمد النعمي) حتى طلب التقاعد منذ ســنة[1] ، ولقــد كان لمجهودات هذين الرجلين البارزة في تنمية كتابة العدل بأبها منذ كانت نواة ، وتحســين أداء الخدمة فيها بما يتماشــى مع التعليمات كان لذلك الأثر الكبير في توسيع العمــل فيها ، ورقيه كماً وكيفاً . وهذان الرجلان أيضــاً صــاحبا التدرج في كتابة العدل وبناء العمل الإداري والهيكل التنظيمي، وتوسيع قاعدته أفقياً ، ورفع درجة الأداء رأسياً حتى وصــلت إلى درجة ومستوى ترضــي كل منصف ، خاصة وأنها تشتمل على مقدرات الدولة والأمة ، وكان لما يتحليان به من إخلاص ونزاهة ، واستقامة ، وما يتمتعان به من قدرات إدارية ، وما اكتسباه من خبرات لتسيير الأمور بالطرق الشرعية حسبما رسمته حكومتنا السنية ، كان لذلك أكبر الأثر في سير الأمور في الدرب السوي[2] .

وللحقيقة وللتاريخ فإن المتخرجين من هذه المدرســة " الأميرية ســابقاً ، السعودية حالياً " على مدار خمســة عشــر عامــاً من (١٣٦٠هـ) إلى عــام (١٣٧٥هـ) كان أغلبهم علــى هذا المنوال يتصــفون بما وُصــف به كاتبــا العدل ، واســتطاعوا اكتســاب قدرات إدارية، وخبرات بالشــؤون المالية وخلافها من خلال ممارستهم شتى الأعمال المختلفة، الأمــر الذي هيأهم للقيام بالأعمال الإدارية والمالية المتنوعة في جهاز الإمارة ، ومكاتب المحكمــة، والشــرطة ، والجوازات ، والأحــوال المدنية ، والمســاعدة في إدارة دفة أعمال " ماليــة أبهــا " وهــذه الإدارات وغيرهــا التــي كانت قائمة خــلال عقود الســتينيات ، والســبعينيات، والثمانينيــات الهجريــة ، فلقد كان من بينهم ســيف عبــده الألمعي عند ممارســته إدارة معتمدية المعارف بأبها كمساعد للمعتمد عيسى فهيم في أثناء تحويلها من مديرية مدرسة إلى معتمدية ، فاختار نخبة من المدرسين الأكفاء للاستعانة بهم في الأعمال الإدارية ، وشــكل بهم أقســاماً ارتفع بهم الأداء ، وســاعد على تحسن العطاء ، ومكن الإدارة الجديدة من أداء واجبها كاملاً وحقق الفائدة المرجوة من التجديد ريثما تحدث الوظائف اللازمة ، لأن الأستاذ عيسى فهيم وإن كان يتمتع بقدرات علمية عالية

---

(١) رحم الله هؤلاء الأعلام فقد توفاهم الله ، ونأمل من أبنائهم أن يدونوا بعض جهودهم وأعمالهم في خدمة أهلهم وبلادهم .

(٢) عرف الباحث محمد النعمي وسعيد بن مسفر وكلاهما يتصفان بالخلق الحميد ، ولطف المعشر ، وحسن الخلق .

فلقد كان للأستاذ سيف الألمعي في المساعدة الكبيرة في الشؤون الإدارية والمالية دور بارز. ومنهم الأستاذ محمد بن عبدالله الحميّد رئيس النادي الأدبي حالياً الذي أدى دوره بنجاح : مدرساً ، ثم وكيلاً للمدرسة الفيصلية ، ثم مديراً لها ثم مديراً للتعليم بأبها[1] ، ومنهم أيضاً محمد حسين قدح الذي تدرج في وظائف هامة في وزارة المالية حتى وصل مدير عام أملاك الدولة بوزارة المالية ، ومنهم سعيد مبارك مروح الذي تدرج في وزارة المالية حتى وصل درجة " خبير مالي " في الوزارة ، ومنهم إسماعيل محمد المعني الذي وصل درجة سفير في " اليمن " بعد أن تدرج في وزارة الخارجية السعودية، ومنهم الشيخ سعيد بن عبدالوهاب أبو ملحة الذي تدرج في الوظائف المالية بمالية أبها حتى وصل " مدير الزكاة والدخل " ، ومنها أسندت إليه رئاسة ماليات الجنوب بعسير ، فأدارها على أكمل وجه ، ومنهم يحيى حسن مستور الذي شغل على التوالي مديرية الجوازات والجنسية ، فرئاسة بلدية مدينها أبها ، ثم مدير مشروع كهرباء أبها وذلك لمدة عشرين سنة ، ومنهم عشرات المدرسين ، ووكلاء إدارات المدارس ، ومفتشون مركزيون في إدارة المدرسة كما يطلق عليهم سابقاً ، و" موجهو تربية " حالياً ومديرو المدارس ـ والموجهون وهم كثر . وقد ساهموا في إدارة دفة العمل الإداري في جهاز الإمارة " إمارة عسير " بكفاءة عالية ونزاهة : كعبد الله بن محمد بن زياد ، ويحيى بن علي الحفظي، وهادي بن حسن ، وصالح الفرحان ، وخلافهم [2] . وما قلته عن الإمارة ينسحب على جهاز المحكمة الإداري فعبد القادر الحفظي ، والسيد محمد إبراهيم النعمي ، وإبراهيم الشعفي ، وغيرهم كان لهم دور بارز في إدارة دفة أعمال المحاكم خلال العقود الثلاثة المشار إليها وربما فترة من التسعينيات [3] .

ولا يفوتني إضافة الشؤون الصحية ، فإن أحدهم وهو سليمان بن أحمد ميمش بما اكتسبه من خبرات إدارية ومالية ظل محور العمل ، ومرتكزه الإداري كعضد مساند لمديري الشؤون الصحية المتعاقبين خلال حقبة العقود الأربعة المشار إليها ، ومنهم حسين

---

(١) رحمك الله يامحمد بن حميد فقد عملت معه في نادي أبها الأدبي سنوات عديدة ، وسافرت معه بضع مرات ، فكان عاقلاً رشيداً عطوفاً مساعداً لمن يحتاج المساعدة ،كما كان مثقفاً وأديباً وعلى قدر كبير من العلاقات والصلات الاجتماعية . ٠

(٢) اسأل الله لك الثواب والأجر يا يحيي بن مستور فقد حفظت لنا شذرات من تاريخ حاضرة أبها الحديث ، كما ذكرت أسماء أعلام جادون مخلصون خدموا دينهم وبلادهم ، وكان لهم الأثر الطيب على تنوير وتمهيد الطريق للأجيال التي جاءت بعدهم . ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس سير هؤلاء الأعلام ، ويوثق تاريخ منطقة عسير من خلال ما قدموه ومن عاصرهم من أهل البلاد ، أو من الرجال الذين جاءوا إلى عسير للعمل فيها ، وبعضهم من داخل المملكة العربية السعودية وآخرون من دول عربية وإسلامية أخرى .

(٣) لقد فصلنا الحديث عن المؤسسات الإدارية السالفة الذكر ، وعن بعض الرجال الذين وردت أسماؤهم ، وذلك في كتاب : **أبها حاضرة عسير .. دراسة وثائقية** . أقول إن الأقسام العلمية في جامعة الملك خالد وبخاصة أقسام : التاريخ ، واللغة العربية وآدابها ، والجغرافيا ، والإعلام ، وعلم الاجتماع وغيرها عليها مسؤولية فتدرس أرض وسكان منطقة عسير خلال العصر الحديث والمعاصر ٠

ابن ظافر الأشول الذي وصل درجة عالية في شركة أرامكو وتدرج في وزارة الزراعة حتى وصل درجة " مدير عام " وهو الآن عضو في نادي أبها الأدبي " ومنهم العضو الثاني للنادي وهو أحمد إبراهيم مطاعن فقد اشتغل رئيساً لأحد أقسام الشرطة ، وعمل في وزارة الصحة ، وأسندت إليه رئاسة بلدية مدينة أبها فترة من الزمن. ولأن مالية أبها كانت مركزاً مالياً يمون جميع الإدارات الحكومية بالمال من رواتب ومصروفات ، ومقررات ، وإليها تنتهي قرارات التعيين وطي القيد ، والترقية ، ومصاريف جميع المصالح الحكومية ، فإنها محط أنظار وآمال الجميع ، لارتباط المصالح العامة ، والخاصة بها ، والمال - كما هو معلوم - عصب الحياة ، فقد عمل بها بالإضافة إلى من كانت توفدهم وزارة المالية ومقرها " مكة المكرمة " من الموظفين القياديين الحجازيين الأكفاء : كإبراهيم إسلام ، وعمر مهدي ، وياسين طه ، وعبدالقادر خورشد ، وحسين سمكري ، وعمل مع هؤلاء من خريجي المدرسة المذكورة ، وفي الفترة المشار إليها كل من عبدالله بن عبدالرحمن المطوع ، وعبدالله بن علي بن خنفور ، ويحيى بن محمد السرحاني ، ويحيى بن حسن مستور ، واستطاعوا مسايرة رؤسائهم ، وزملائهم من مكة واكتساب الخبرات في إدارة الأمور المالية ، وحققوا الفائدة المرجوة منهم على أكمل وجه[١] .

أما ضباط الدفاع والأمن العام فبلغت أعدادهم العشرات ، ما بين رواد، وعقداء، وعمداء ، وألوية ، بل عمل أحدهم وهو اللواء محمد الغرابي في شرطة الرياض أكثر من عشرين سنة أكثرها مديراً لشرطة الرياض، وقد تسلم أحدهم وتقلد أكبر رتبة عسكرية وهي " فريق " وأسند إليه مدير شرطة جدة ، وقيادة قوة المواسم وهو الفريق دليم بن علي عسيري ، وهذا ما أسعفتني الذاكر بإيرادهم ، ومن المؤكد أن الأعداد أكثر مما ذكرت ، وعسى أن يكون إيرادي لبعض الأسماء يشع ومضة نور لمن يعرف شيئاً عن الباقين فيسهم بما لديه ممن لم ترد أسماؤهم [٢] .

هذه الكوكبة المباركة التي استطاعت بتوفيق الله ، ثم بفضل ما غرس فيها من بذرة مباركة انعكست على ما بذلوه من عطاء مقرون بالإخلاص ، والنزاهة في تغطية أعمال إدارات أبها الحكومية من خلال العقود الثلاثة المشار إليها سلفاً ، حلت تدريجياً

---

(١) عن إدارة المالية بأبها فقد اطلعنا على عشرات الوثائق المتعلقة بشؤون الأموال في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري ، وجميع تلك الوثائق توجد ضمن أوراق مكتبة الباحث ، كما زودنا مدير مالية أبها، الأستاذ/ محمد بن عبدالوهاب أبو ملحة ، بنبذة مختصرة عن التطور التاريخي للمالية منذ تأسيسها. وتوجد هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث تحت رقم (٢٠٠٧) . وجميع هؤلاء الأعلام يستحقون أن تكتب سيرهم وتوثق ، آمل من طلابنا في برامج الدراسات العليا بقسم التاريخ أن يتولوا مثل هذا العمل العلمي .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن الدفاع والمدرسة الحربية في أبها خلال القرن الهجري الماضي ، انظر: كتاب **تاريخ التعليم في منطقة عسير** ، الجزء الأول ، ص١٨٦ وما بعدها . ما ذكرت يا أستاذ يحيى بن مستور مهم وجميل جداً ، وسوف يفتح الباب لطلاب العلم وباحثين في قادم الأيام فيدرسوا تاريخ هؤلاء الأعلام ، وما قدموا لدينهم وبلادهم ٠

مع من سبقهم في إدارة الأعمال الحكومية المتنوعة خلال العقد الرابع ، والخامس في القرن الهجري الماضي ممن تلقوا دراستهم في المدرسة الرشدية في أواخر عهد الدولة العثمانية ، وقد علمت من بعضهم مثل: العم عبدالله إلياس ، وسعيد الغماز ، وعلي المغيدي ، أنهم كانوا يدرسون باللغة التركية ، وأن مدة الدراسة ست سنوات سنتان ابتدائي ، وسنتان متوسط ، وسنتان عالي . هكذا كان سير دراستهم ومدتها ، ومن حسن الحظ أن اللغة كما هو معلوم التركية كانت بالأحرف العربية قبل أن يحولها " أتاتورك" للأحرف اللاتينية ، لهذا كانت خطوطهم حسنة ، واستطاعوا تحسين تعبيرهم من خلال الممارسة وصقل مواهبهم بمخالطة المتعلمين في زمانهم[١] .

وهؤلاء الدارسون أيام الدولة العثمانية هم جيل معاناة شظف العيش ، ومقاساة اضطرابات الأحوال الأمنية ، ومكابدة قسوة الحياة لتدني الأمور المعيشية والصحية، فهذه الأمور متضافرة أدت إلى شل حركة العلم والتعليم ، إلا في أضيق الحدود . فقد كان على رأس قائمة المذكورين العم عبدالله عبد الرحمن إلياس ، وزملاؤه في الدراسة ورفاق دربه في العمل : كل من محمد رضا ، والحسن بن عثمان ، وسعيد الغماز ، والشريف عبدالله ، والشريف علي ، والوالد حسن بن مستور هؤلاء الأشخاص المحدودون وقد يكون معهم من لم يحضرني اسمه الآن في حدود ثلاثة أو أربعة أشخاص يؤدون أعمالاً مساندة[٢] ، وكان على رأس الجميع رئيس مالية أبها الشيخ عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة ، فقد استطاعوا بعزيمة الرجال القوية وهمة صادقة مقرونة بالإخلاص أن ينشئوا جهاز للمالية خلال عقد من منتصف الأربعينيات إلى منتصف الخمسينيات في القرن الهجري الماضي ، وكانت أعباء ذلك الجهاز تفوق جهود عشرات الموظفين، منهم المعنيون باستقبال زكوات الحبوب والمواشي لمنطقة عسير المترامية الأطراف من ظهران جنوباً إلى زهران شمالاً ومن تثليث شرقاً إلى درب بني شعبة غرباً مئات القرى ، ويقطنها مئات الآلاف من الأفراد في مساحة لا تقل عن (٤٠٠×٤٠٠) كيلومتر، وتنظيم صرفها على متطلبات الحكومة من إمارات وأخوياء ، وعساكر دفاع ، وشرط، ودوريات ، وأفراد هجانة التي كانت تؤدي أعمال رجال الشرطة قبل إيجادها ، ولعلها منسوبة إلى الهجن وهي " الجمال واسطة تنقلاتهم " ، وذروة الجهود بذلوها أعوام (١٣٥٢هـ

---

(١) سمع الباحث معلومات مشابهة لما ذكر ابن مستور من رجلين عاشا منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وماتا في العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وهما: الشيخ/ عبدالمالك بن عبدالقادر الطرابلسي ، والشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن إلياس. وتاريخ المدرسة الرشيدة في أبها، وتاريخ الحياة العلمية والتعليمية والثقافية في عسير خلال المتصرفية العثمانية من الموضوعات الجديدة ، والمهمة فتكون عناوين لكتب أو رسائل علمية موثقة.

(٢) أعلام لهم تاريخ ، وعنهم ذكر في وثائق مالية عسير ، حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون سيرهم وجهودهم ، وما قدموا لبلادهم وأهلهم .

و ١٣٥٣هـ و ١٣٥٤هـ) عند تجهيز العسـاكر النظامية في شـكل أخوياء ، ورجال القبائل الذين استنفروا للدفاع ، وهم بالآلاف في قمع حركة الإدريسي ، والمساهمة في إطفاء نار الخلافـات المتأججة مع اليمن عام (١٣٥٣هـ) ، وجزء مـن (١٣٥٤هـ) ، ومنهم القائد حيدر أفندي الذي أسـندت إليه قيادة الدفاع بأبها في أوائل العقد السـادس من القرن الهجـري الماضـي حتى حـل محله القائد عزيز بـك الذي جيء به من مكـة المكرمة[1] . أمـا الأول فهو من مواليد أبها ومتخرج من الرشـدية، وربما درس الأمور العسـكرية في الأسـتانة ومنهم أيضـا محمد أحمد قدسي الذي شغل منصـب مدير شرطة جازان في أواخر الخمسينيات وجيء به قائداً لقوة شرطة أبها في أوائل الستينيات ، ثم رقي مديراً لشرطة أبها بعد وفاة المدير السابق حسين حلمي[2] .

ومنهـم حسـين عبدالله قـدح الذي أنشـأ جهـاز إمـارة القنفـذة الإداري في عهد الأمير " ابن زعير " في أوائل الخمسـينيات الهجرية من القرن الماضـي ، ومنها نقل إلى إمـارة جازان في عهد الأمير الشـويعر ، وقد نقل إلى جهاز إمـارة أبها الإداري في أوائل السـبعينيات الهجرية ، وشـغل رئاسـة بلدية أبها فترة من الزمن . ومنهم من أسرة آل خنفور ثلاثة هم رشـدي ، وعلي بن عبدالله ، وعبدالله بن علي بن حسـن قاموا بأعمال كتابيـة في الماليـات متنوعة ، وكان أبرزهم الأخـير حيث عمل إداريا ، ومحاسـبا بارزا في الجيش في الخمسـينيات ، وفي أبها في السـتينيات ، ومنهـم محمد دماك الذي عمل في سـلك الشـرطة، ووصـل رتبة رايد ، وأحمد حيدر ، ومحمد حيدر ، ومحمد بن عزيز ، وقريبه محمد أمين بن عزيز وحسـين أفندي، ومنهـم من أدار مراكز مرموقة كأحمد أبو هليل الذي أدار رئاسـة ديوان إمارة عسير في العقد السادس الهجري من القرن الماضي، ثم رئاسة مالية أبها في العقد السابع بالإضافة إلى أعماله السابقة في إدارة مالية القنفذة " مديـر ماليـة وجمـارك " في العقـد الخامس مـن القرن نفسـه ، ومنهم أخوه (صـالح أبوهليـل) الـذي تدرج في الأعمال المالية حتى وصـل " مدير عام خزينـة " بوزارة المالية التي حل محلها مؤسسـة النقد حاليا ، وذلك في السـتينيات الهجرية ومنهم أيضا حسين أفندي الذي اشترك في لجنة تحديد حدود اليمن عام (١٣٥٣هـ) ، ومنهم حسين بن علي النحاس الذي عمل في إدارة الشـؤون الإدارية والمالية في شـرطة أبها منذ تأسيسـها عام

---

(١) نشرت مئات الوثائق التي مصدرها مالية عسير ، أو ماليات الجنوب ، كما دونت عدد من الكتب والدراسات التي تؤرخ لمالية عسير ، والرجال الذين عملوا فيها منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ومازال هناك آلاف الوثائـق والسـجلات المحفوظة في وزارة الماليـة، ودار المحفوظات للوثائق ، وفيها مـادة علمية كبيرة تعكس تاريخ وحضارة جنوب المملكة العربية السعودية في عصر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وأولاده الملوك سعود وفيصل وخالد .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن الشرطة ، انظر ما ذكرنا عنها في كتابنا : **أبها حاضرة عسير.. دراسة وثائقية** (الفصل السادس) .

(١٣٥٥هـ) حتى أواخر العقد السادس من هذا القرن ، وشد من أزر مديري الشرطة بدءاً من طلعت بك وفا ، فسالم شوقي ، ثم صالح باخطمة في الخمسينيات ، وحسين حلمي في الستينيات ، وكان دوره بارزاً في تدعيم الأمور المالية والإدارية ، ومساهمته في إدارة الأحوال الجنائية كانت ملموسة الأمر الذي أكسبه ثقة مديري الشرطة المشار إليهم [١].

ثالثاً : خاتمة القول :

إن مجموعة المعاناة المشار إليها سلفاً استطاعت إدارة الأعمال الإدارية ، والمالية طيلة عقد الأربعينيات، والخمسينيات في كافة إدارات ومصالح أبها الحكومية العسكرية والمدنية ، فبالإضافة إلى الأحوال السيئة التي صاحبت أوقات تعليمهم أيام الدولة العثمانية فإن إداراتهم لهذه الأعمال كانت في ظل ظروف في منتهى القسوة ، فكابدوا معاناة في التعليم ، ومقاساة في أوقات العمل للأسباب المشروحة سلفاً واستطاعوا بعون الله إيصال السفينة إلى منتصف الطريق. كذلك جيل عبد المالك طرابلسي رائد ومؤسس أول مدرسة نظامية عامٍ (١٣٥٥هـ) وخريجو هذه المدرسة ـ المسماة المدرسة الأميرية التي حول اسمها مؤخراً إلى المدرسة السعودية ـ تابعوا المسيرة بتوجيه ، ومساندة من المجموعة السابقة واستطاعوا تغطية ما تتطلبه الأعمال الحكومية في شتى الإدارات ، والمصالح التي كانت قائمة ذلك الوقت طيلة العقود الثلاثة السادس ، والسابع ، والثامن الهجرية حسبما سبق شرحه ، وتمكنوا بفضل الله من إيصال السفينة إلى بر الأمان في منتصف التسعينيات وبالتحديد في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) افتتح في أبها فرعي جامعتي الإمام محمد بن سعود ، وجامعة الملك سعود ، وتبعه كلية للمعلمين ، وكليات تربية البنات ، وكلية العلوم الطبية ، والكليات التقنية ، والمعهد الثانوي للمراقبين، والمعهد الثانوي الصناعي ، والمعهد الثانوي التجاري. وهذه المؤسسات التعليمية وفروعها وأقسامها التي ربما تربو على ثلاثين تخصصاً متنوعاً يغذيها مئات المدارس الابتدائية[٢]. فعشرات المتوسطات ، والثانويات مما شكل رافداً غزيراً وينبوعاً ثراً دفع بالآلاف من المتخرجين الذين أخذت أفواجهم تتبارى في الانتظام لإدارة دفة الأعمال في المصانع الحكومية في شتى التخصصات من إدارية ، ومالية ، وطبية ، وقانونية ، وفنية ، وزراعية ، ومهنية ، وهندسية ، وصناعية ، وتعليمية وغيرها . وانعكس ذلك على الساحة الأدبية وانطبعت بصماته على صعيد الثقافة العامة ، والوعي العام) [٣].

---

(١) هناك عشرات الرجال الذين عاشوا في مدينة أبها خلال القرن الرابع عشر الهجري ، وكان لهم صولة في كثير من الأمور السياسية والحضارية، وحبذا لو قام أحد الباحثين فتصدى لموضوع دراسة عنهم ، وعما خلفوا من آثار حسنة للأجيال التالية لهم.

(٢) للمزيد عن بدايات التعليم العالي في منطقة عسير ، انظر ندوة التعليم العالي في عسير (ربع قرن من الإنجاز والعطاء) (مطبوعات جامعة الملك خالد ، ١٤٢٣هـ) (٣٨٨صفحة) . كما انظر كتاب : **موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٤٢ـ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)**. الأجزاء (١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣) .

(٣) تاريخ التعليم النظامي العالي في منطقة عسير ، ومناطق الطائف، والباحة ، والقنفذة ، وبيشة ، ونجران،

للحقيقة والتاريخ فإن أنشــطة وزارة المعارف ، والرئاســة العامة لتعليم البنات بوحي من سياسة حكومتنا الرشيدة ، وبفضل خطة حكيمة مدروسة ، وبتوفيق قبل ذلك من الله استطاعت إيصال رسالتها ، وتوسيع نطاق خدماتها التعليمية التي غطت السهل ، والجبل، والمــدن والقرى ، والهجر ، والبادية التي أخذت علــى عاتقها ملاحقة الطالبات والطلاب بخدماتها التعليمية أينما كانوا وحيثما وجدوا ومهما رحلوا ، وبعدت بهم الشقة فلا مناص من متابعتهم ولا مفر من خدمةٍ المجتمع حتى صــار التعليم كالهواءِ يســايرهم أينما حلوا ويعايشهم حيثما ذهبوا صغاراً ، وكباراً ، أطفالاً ، وشباناً ، ورجالاً ، وكهولاً ونساءً أو رجالاً فتحقق بذلك ما تصبوا إليه حكومتنا المباركة أيدها الله برجالها المخلصين ٠

وانتشر التعليم ، ودخل معه الوعي ، والعلم ، والمعرفة ، والثقافة إلى كل بيت بفضل الله ثم بعون الحكومة الرشــيدة ، وذلك بتعيين آلاف المدرســين ، والمدرســات ، وبحسن تصرف وزارة المعارف ، والرئاسة العامة لتعليم البنات . ومع نور العلم والمعرفة تحسنت الأوضــاع الاقتصــادية ، ونمت الأحــوال المادية فانعكــس ذلك على الأحوال المعيشــية ، وتشــييد المســاكن بعد أن شــقت لها الطرق ، وأوصــلت لها خدمات الكهرباء ، والهاتف وصــار تحولاً بل نقلة كبيرة فأصــبحت المدن ، والقرى ، والهجر متساوية لا تلمس الفرق بينها ، وهذا من فضــل الله ثم بفضــل رعاية واهتمام حكومتنــا الموفقة ، وما بذلته من جهود مضــنية ، وما أنفقته من مبالغ ســخية وما أنشــأته من منشآت ضخمة ، فلها من المواطنين الشكر ، والتقدير ، ومن العلي القدير (إن شاء الله) الأجر الوفير[١] .

وجازان موضــوعات مهمة ، ولم تدرس حتى الآن دراســات علمية موثقة ، آمل من الجامعات في هذه البلاد أن تدعم وتشجع دراسته وبحثه .

(١) عفر الله لك يا يحيى بن مســتور على هذه المدونة المليئة بالحقائق التاريخية ، التي ســوف تســاعد الباحثين الجادين على التوسع في كثير من المحاور المذكورة ، كما أن تاريخ التطور والتنمية التي تمر به مناطق عسير وجازان ، ونجران والباحة وما حولها جديرة أن تدرس وتوثق في عشرات الكتب والبحوث ٠

خامساً : قراءة في كتاب: تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز من عام (١٤٠٢-١٤٢٢هـ/١٩٨٢ـ٢٠٠٢م).عرض وتعليق الدكتور عبدالمنعم علي إبراهيم[١].

أولاً: عنوان الكتاب :

تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز من عام (١٤٠٢ـ ١٤٢٢هـ/١٩٨٢ـ٢٠٠٢م). لمؤلفه الأستاذ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس ، والناشر هو جامعة الملك خالد بأبها ، المملكة العربية السعودية ، عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) [٢]. وكانت طباعة وصف هذا الكتاب في مدينة الرياض ، قسم النشر العلمي بمطابع الملك سعود[٣]. كما نشر المؤلف كتابه في طبعة خاصة بنفس

---

(١) الدكتور عبدالمنعم علي إبراهيم ،عمل سابقاً في قسم العلوم الاجتماعية ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية ، جامعة الملك خالد ، نال الدكتوراه من جامعة كنت الحكومية بالولايات المتحدة الأمريكية في عام (١٩٨٩م) ، ثم عمل بالتدريس في عدد من الجامعات الأمريكية والعربية ، كما اشتغل مصنفاً وخبيراً عربياً في مجال رعاية الشباب من جامعة الدول العربية وعمل عضواً بلجنة الخبراء العرب لرعاية الشباب بمجلس وزراء الشباب والرياضة العرب . له مجموعة كبيرة من الدراسات والأبحاث العلمية والمؤلفات في مجالات التنمية وجغرافية المدن والمساحة والتعليم والسكان والدراسات التطبيقية بمنطقة عسير وأشرف على العديد من الأبحاث التطبيقية الطلابية المطلوبة لنيل درجة البكالوريوس وخاصة في مجال التعليم والخدمات بمنطقة عسير . عرفت الدكتور عبدالمنعم لمدة تزيد عن عشر سنوات ، وهو أستاذ مميز في تخصصه ، وعلى قدر كبير من الأدب ، وحسن الخلق ، ولطف المعشر . (ابن جريس) ٠

(٢) تم إنجاز هذه القراءة سنة صدور الكتاب (طبعة جامعة الملك خالد ، عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) .

(٣) أصدرت هذا الكتاب جامعة الملك خالد بمنطقة عسير ضمن سلسلة من الدراسات والمؤلفات التي أصدرتها وزارة التعليم العالي والجامعات السعودية بمناسبة مرور (٢٠) عاما على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم بالمملكة (١٤٠٢ـ ١٤٢٢هـ) ، وفي إطار الاحتفالات التي عمت المملكة بهذه المناسبة وشملت المنجزات التي تحققت خلال تلك الفترة في شتى جوانب الحياة بالمملكة ، ومختلف مجالات النهضة الحضارية .

	المصادر والمراجع	العدد
عدد الصفحات : (٢٩٨)صفحة (٢٨×٢١سم)		
عدد الجداول الإحصائية : (١٠١)	تقارير ووثائق غير منشورة	(٢٢)
عدد الأشكال التوضيحية : (٣)	أبحاث ووثائق منشورة	(٢٣)
عدد الملاحق الوثائقية : (١٧)	مقابلات شخصية	(٢١)
عدد الحواشي والتعليقات: (٤٥٠)	مصادر ومراجع عربية منشورة	(٤٣)
	أبحاث غير منشورة	(٦)

العنوان والمحتوى صدرت بتاريخ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

ثانياً : عن المؤلِف والمؤلَف :

الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس مؤرخ وباحث له مؤلف شديد الحرص على التاريخ والتوثيق بصبر وعزم لا يكل ، ثر العطاء العلمي لا يخرج له إصدار إلا ويكون له آخر تحت الطبع، لا يؤمن بمقولة كثير من أفراد الصفوة (المثقفين !!) في بلادنا العربية خاصة ، بأن التزامنا وارتباطاتنا الاجتماعية تقلل عطاءنا البحثي والأكاديمي، بل تمنعه . ويميز أبحاث المؤلف د. غيثان وفاء صادق واعتزاز شديد بأمته ووطنه وموطنه عسير ، ولا يخرج به ذلك عن الموضوعية والأمانة العلمية [1] .

وهو هنا يكتب عن فترة حَظيت بإنجازات كثيرة وكبيرة وسريعة ، في مختلف مجالات التنمية والنهضة الحضارية بالمملكة . ويكتب تحديداً عن مجال هو نفسه أحد ثمراته وشاهد له ، ألا وهو التعليم بمنطقة عسير خلال عقدين من الزمان ، شكلا أكثر من نصف عمره التعليمي والعملي ، حيث ولد وتعلم وما زال يعيش ويعمل بمنطقة عسير. ورغم احتفالية المناسبة (المملكة احتفلت كلها بمرور (٢٠) عاماً من عهد خادم الحرمين الشريفين) وعلى الرغم مما درجت عليه العادة في كثير من بلدان العالم في مثل هذه المناسبات أن تزخرف الحقائق وأن يضاف لها أحياناً ما ليس فيها ليزيدها تلألؤاً وبهاءً ، إلا أن المؤلف التزم بالموضوعية والحرص على استخلاص الحقائق المجردة ، بل وترك للقارئ في كثير من الأحيان أمر تقييم حجم العطاء والجهد المبذول والنتائج ، حيث اختار لدراسته المنهج الوصفي التحليلي الذي من عيوبه أن المعلومات والبيانات تبدو من خلاله أحياناً باردة وجامدة بغير تفسير أو تحليل ، وقد ساعده في ذلك أن الجهد فعلاً كبير والنتائج بحق عظيمة ، وليست الإشادة بالحق نفاقاً أو مجاملة وإنما هي حفز لمزيد من الجهد والعطاء والإنجاز ٠

وبالطبع لم يبلغ الإنجاز التنموي الكمال ـ ولن يبلغه ـ مثله مثل أي جهد بشري ، وبخاصة في ضوء المستجدات والمتغيرات السريعة والمتلاحقة ، لكنه دافع للمسؤولين والمعنيين لبذل المزيد من الجهد وترقية الأداء لمواكبة تلك المتغيرات والمستجدات الاجتماعية والمكانية ، (وكاتب هذه السطور أحد المعاصرين والراصدين لهذه الإنجازات ولمدة طويلة من العمل في مجال التعليم والعيش بمنطقة عسير) . وفي الكتاب دعوة صريحة مغلظة للاهتمام بالرصد والتوثيق المستمرين لحوادث التاريخ وآثارها المكانية ، وبخاصة مع توفر التقنية الحديثة المساعدة في ذلك ، وعدم الاعتماد على

---

(١) للمزيد عن الدكتور غيثان انظر كتب عديدة أصدرها محمد بن أحمد بن معبّر ، مثل : كتاب (**مؤرخ تهامة والسراة غيثان بن علي بن جريس)**، **ووثائق غيثان بن جريس الخاصة (ثمانية مجلدات) وغيرها** ٠

ذاكرة من كان على رأس العمل أو كان من المتعاقدين . وقد نجح المؤلف إلى حد كبير في تخطي العقبة الكؤود المعروفة ، ألا وهي مشكلة الود الذي كثيراً ما يكون مفقوداً بين الباحثين وصناع القرار أو خزنة البيانات والمعلومات في كل دول العالم ، خاصة دول العالم الثالث ، وكثير من الدول العربية على وجه أخص ؟ (فالكبار) يتهربون من الإجابة ، و(الصغار) غالباً ما يعطونك مطبوعات قديمة أو بيانات ناقصة متعللين بأن (هذه هو ما عندنا) . وكثيراً ما يشترك الكبار والصغار في عدم الاهتمام بالتوثيق أصلاً أو عدم التقدير للبحث العلمي عامة .

لكن المؤلف استفاد من صلاته الاجتماعية الواسعة وروحه الودود فطرة على تذليل هذه العقبة ، على الرغم من أنه اشتكى من بعضها وأن الشكوى انعكست في أن بعض البيانات والمعلومات التي أوردها لا تغطي كل الفترة التي رصدها ، كما أن بعض البيانات تتباين بحسب المصادر التي أخذت منها مما اضطره إلى بذل جهد أكبر في المقارنة والتمحيص الشديدين وتكرار مراجعة المعنيين .

لكن مع كل ذلك يبقى الكتاب سفراً وثائقياً جامعاً ، يلمُ شعث المعلومات والبيانات عن تطور التعليم بمنطقة عسير المتناثرة في كل الأماكن والإدارات والأضابير والأدراج ، وكثير منها بغير تصنيف أو ترتيب ، مما يجعله سفراً لا غنى عنه لأي باحث أو عامل في هذا المجال الحيوي ، ولأي دارس أمين لحقبة هامة من تاريخ المملكة العربية السعودية، ولمكان عزيز من هذا البلد الطيب المبارك بإذن الله ، (ملحوظة من غير تعصب للجغرافيا ، وهي تخصص كاتب هذه المراجعة ، ألاحظ غياب خارطة توضح موقع منطقة عسير لفائدة القارئ ، فلابد للزمان وحوادثه من أن تجرى في مكان، والخارطة هي صورة المكان ، ولذلك أصبحت قاسماً مشتركاً بين معظم العلوم) .

وفي البداية يشير الكاتب بعجالة إلى مسيرة التعليم في المملكة ومنطقة عسير وتطورها كماً وكيفاً ، رأسياً وجغرافياً ، وبخاصة منذ أن عين (وقتها) الأمير فهد بن عبدالعزيز كأول وزير المعارف بالمملكة في عام (١٣٧٣هـ) ، لكنه يركز بعدها تحديداً على العقدين الأولين من عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢ـ١٤٢٢هـ) ، وتطور التعليم خلالها بمنطقة عسير بجنوب وغرب المملكة العربية السعودية . وعسير منطقة أعاقتها ظروف التطرف الموقعي النسبي ،وعطلتها صعوبة التضاريس ، وقلة الموارد وفقر التراكيب الجيولوجية ، وأخرتها الأمية والجهل الذي كان متفشياً ، ومنعها كل ذلك لمدة طويلة من اللحاق تنموياً بكثير من مناطق المملكة، حتى قيام الدولة السعودية الثالثة وخصوصاً خلال عهد الفهد حيث شهدت المنطقة تطوراً تنموياً سريعاً ومتلاحقاً ونهضة حضارية متكاملة مازال فيضها ينداح ليغطي كل أنحاء المنطقة . ويعتبر التعليم من أبرز وأجل مظاهر ونتائج تلك النهضة الحضارية الشاملة

بعسـير وأسرعها انتشاراً ، حتى صار متاحاً وبالمجان لكل راغب من كل مدينة أو قرية أو هجـرة . (حكى لنا بعض خريجينا من طلاب قسـم العلـوم الاجتماعية بأنه تم تعيينهم للعمل بالتدريس في أماكن ما كانوا قد سـمعوا بها ، ولا كانوا يعرفون أنها تقع في المملكة أو عسير ، ناهيك عن وجود مدارس بها) ، كما غطى التعليم بالمنطقة - في تقدير المؤلف - مختلف فروع المعرفة الإنسـانية ، وبما يوائم الواقع الاجتماعي للمملكة ومنطقة عسـير ويحقق تنمية الموارد البشرية ، ويوفر الكوادر الوطنية المؤهلة والقادرة على القيام بأعباء التنمية المسـتدامة والتطور الحضـاري ، وعلى الرغم من ذلك (حسـب علمي) لم يسبق الدكتور غيثان بن جريس باحث أو مؤرخ آخر أو حتى جهة حكومية واحدة بمحاولة الرصد والتأريخ المتكامل والعرض لمسيرة التعليم بمنطقة عسير في سفر جامع كما فعل هو بكتابه هذا ، إضـافة إلى مؤلفات له عن تاريخ التعليم بعسـير للفترة (١٣٥٤ـ ١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤ـ ١٩٦٦م) من إصدارات دار البلاد للطباعة والنشر بتاريخ (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ودراسة عن التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسـير خلال القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي منشورة بمجلة بيادر الصادرة عن نادي أبها الأدبي ٠

ثالثاً : خطة الكتاب :

يضـم الكتـاب أربعـة فصـول تسـبقها مقدمـة وتتلوها خاتمـة بأهـم النتائج والتوصيات ويلحق بها (١٧) ملحقاً وثائقياً ثم ثبت بالمصادر والمراجع التي استند إليها الباحث في دراسته ، وفيما يلي نستعرض بإيجاز محتوى الكتاب .

١ــ مقدمة الكاتب :

عدد الصفحات (٨) صفحات ، كأي دراسة علمية عرَّف الباحث فيها بموضوع دراسته وحـدده من حيـث المكان والزمـان ، ثم أبـان أهمية الدراسـة ومبرراتها وعدد مصـادرها والصعوبات التي واجهته في جمع بياناتها ومعلوماتها ، وأبان المنهج الذي اتبعه في الدراسة ٠

٢ـ الفصل الأول :

العنوان : التعليم العام للبنين في منطقة عسير :

عدد الصـفحات : (١٠٢) صـفحة ٠ يتناول تطور التعليم النظامي في المنطقة قبل عهـد الملك فهد ، ثم يركز بصـورة رئيسـية علـى التطور الذي حدث خـلال عهد الملك فهد رأسـياً وجغرافيا ، من خلال تتبع تطور وتوزيع الإدارات التعليمية السـت القائمة في المنطقة(الإدارة العامة للتعليم بأبها ، وإدارات تعليم بيشة ، والنماص ، ومحايل ، وسراة عبيدة، ورجال ألمع) التي تغطي كل حضر وريف من منطقة عسير . يحتوي هذا الفصل على (٥٤) جدولا إحصـائياً توضـح تطور اعداد المدارس والفصول والطلاب والمعلمين

والكثافة الطلابية في الفصول ونسبة المعلمين إلى الطلاب وغير ذلك من ضروريات العملية التعليمية ، وذلك في جميع مراحل التعليم العام ، إضافة إلى معاهد وبرامج محو الأمية (تعليم الكبار) ، إضافةٍ إلى التعليم الأهلي الذي تشرف عليه إدارات التعليم تلك . كما يرصد الفصل أيضاً تطور ميزانيات التعليم (مصروفات نقل الطلاب ، والمكافآت ، والإعانات ، والمشاريع ، الإنشائية ، والصيانة ، والأجور ، والرواتب إلخ ...) ، وفي كل ذلك يحسب المؤلف متوسط معدلات النمو والزيادة ، ويرصد خلال ذلك أيضاً تطور عملية توطين الوظائف (السعودة) المعتمدة في خطط التنمية السعودية التي انعكست في تناقص أعداد المعلمين باطراد وإحلال الكوادر الوطنية محلهم .

وفي تقديري أن حجم الإنجاز في هذا المجال كان سيتضح أكثر لو أن المؤلف بيَّن نسبة من نالوا حظاً في فرص التعليم العام بعسير إلى من لم ينالوا هذه الفرصة ممن هم في نفس المرحلة العمرية . ففي كثير من بلدان العالم تتزايد أعداد الملتحقين بالمدارس والمؤسسات التعليمية باستمرار ، لكن مع ذلك يكون حجم الفاقد التربوي وعدد من لم يحظوا بتلك الفرص كبيراً أيضاً . وبما أن المؤلف اعتمد على التقارير التي وصلته من إدارات التعليم بمنطقة عسير بصورة رئيسية وأورد ما أمدته به من بيانات ، فيمكن استنتاج أن تلك الإدارات نفسها لا تملك مثل تلك البيانات المهمة والضرورية للمعنيين بالتخطط للتعليم ، أو أن المؤلف لم يطلبها ضمن البيانات التي طلبها منهم . وفي كل حال يبقى هذا مجالاً يحتاج إلى رصد وتوثيق ٠

٣ـ الفصل الثاني :

العنوان : التعليم العام للبنات في عسير :

عدد الصفحات: (٥٦) صفحة . لمختلف الأسباب الاجتماعية فقد تأخر التعليم النظامي للبنات في المملكة عامة عن مثيله تعليم البنين . وفي منطقة عسير وظروفها الاجتماعية كان الفارق بينهما حوالي ثلاثين عاماً (لاحظ الفارق بين عدد الصفحات والجداول الإحصائية للفصل الأول وعدد صفحات وجداول هذا الفصل) حيث تم إنشاء أول مدرسة نظامية للبنات في مدينة أبها حاضرة عسير في عام (١٣٨٠ـ ١٣٨١هـ) . لكنه أيضاً ومثلما حدث من تطور سريع للتعليم للجنسين في المملكة عامة خلال عهد الملك فهد فقد حدث تطور مماثل في منطقة عسير ، حيث انتشرت مدارس البنات رأسياً (كل مراحل التعليم العام) وجغرافيا (غطت مختلف أنحاء منطقة عسير) ، حتى تم إنشاء أربع إدارات تعليمية خاصة بها لتشرف على تلك المدارس .

وعلى غرار عرض تطور تعليم البنين في الفصل الأول فقد ركز المؤلف في هذا الفصل على عرض التطور الكمي والجغرافي لتعليم البنات ، بدأ برياض الأطفال ، ثم

مراحل التعليم العام الثلاث ، ومعاهد إعداد المعلمات ، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم النسائية ، والتعليم الخاص ، ومدارس محو الأمية ، إضافة إلى التعليم الأهلي للبنات ، كما رصد المؤلف أيضاً أعداد المعلمات وبخاصة السعوديات وعملية تطوين الوظائف في هذا المجال إضافة إلى رصد تطور ميزانيات تعليم البنات بالمنطقة . وقد دعم المؤلف رصده بعشرين جدولاً إحصائياً .

وهنا ـ وكما ذكرنا في استعراضنا للفصل الأول ـ فإن الأمر يحتاج إلى معرفة نسبة من وجدن فرصة التعليم إلى من لم يحظين بهذه الفرصة ، بل إن ذلك ضروري وهام بالنسبة لمراحل التعليم العام المختلفة ، والتعليم المهني والفني والتعليم العالي، وبالنسبة للجنسين . كما أنه من الضروري معرفة مدى مناسبة التعليم الذي تتلقاه المرأة مع احتياجات سوق العمل وبخاصة في ضوء الضوابط الشرعية والاجتماعية . وبالطبع فإن هذا خارج موضوع هذا الكتاب وفق ما حدده المؤلف في مقدمته ٠

٤ ـ الفصل الثالث :

العنوان : التعليم المهني والفني العام :

عدد الصفحات : (٣٤) صفحة ٠ لاينال التعليم المهني والفني في كثير من بلادنا العربية أسبقية عالية في خطط التعليم وإن نالها فإن ذلك لا يتجاوز أضابير الخطط إلى أرض الواقع، بل أنه أيضا لا ينال أهمية اجتماعية كبيرة ، وكثيرا ما يعتبر ملاذ من لا ملاذ تعليمي له ، لكن في المملكة بذلت جهود توعية كبيرة للتبصير بأهمية وضرورة هذا القطاع التنموي ودوره في إعداد وتوفير الكوادر والعمالة الماهرة المؤهلة في مختلف المجالات الفنية والمهنية والحرفية ، ومن الجنسين ، وقدمت حوافز ومغريات مادية كبيرة للدراسين في هذه المجال الحيوي .

في هذا الفصل يستعرض المؤلف التطور الذي حدث في مجال التعليم المهني والفني بمنطقة عسير من خلال تطور إعداد ومراكز التدريب المهني ، والمعاهد الثانوية الصناعية ، والمعاهد الثانوية للمراقبين الفنيين ، والمعاهد الثانوية التجارية ، والمعهد الصحي الثانوي والتعليم النسوي . بالإضافة إلى رصد تطور أعداد المدرسين والدارسين والخريجين وتطور الميزانيات المرصودة (مكافآت شهرية للدارسين ، وبدلات وإعاشة وملابس وأحذية ، وتأمين المواصلات ، ومكافآت التخرج) وأنواع التدريب ، كل ذلك من خلال ثلاثة عشر جدولاً إحصائياً ٠

وهنا يضطر القارئ أيضاً إلى حساب نسبة الملتحقين بالتعليم الفني والمهني إلى نسبة الملتحقين بالتعليم الفني والمهني إلى نسبة الملتحقين بمجالات التعليم العام الأخرى ، وعلى الرغم من أن صغر حجم هذا الفصل الرابع نسبياً من حيث عدد الصفحات والجداول الإحصائية ، إلا أن هذا يجب أن لا يُخفي التطور المطرد الحاصل في هذا المجال ومستقبله

الواعد ، وبخاصة بعدما بدأ يقال عن تشبع سوق العمل السعودي بخريجي الكليات النظرية، إضافة إلى زيادة تقبل المجتمع العسيري أو الجنوبي السعودي للعمل الحرفي والفني .

٥ ـ الفصل الرابع :

العنوان : التعليم العالي بمنطقة عسير :

عدد الصفحات : (٥٨) صفحة . تناول المؤلف بإيجاز بدايات وتطور التعليم العالي بمنطقة عسير قبل عهد الملك فهد ، وفي إطار تطوره في المملكة بصورة عامة . بعدها ركز على التطور الكبير الذي حققه التعليم العالي خلال عهد الملك فهد . فقد بدأ التعليم بعسير والمنطقة الجنوبية من المملكة عامة بإنشاء فرعين لجامعتي الملك سعود والإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، وذلك لمقابلة احتياجات الأعداد المتزايدة من خريجي المدارس الثانوية والمؤهلة للالتحاق بالتعليم الجامعي ، وفي إطار التخطيط التنموي السعودي الهادف إلى إيصال التنمية ، والخدمات خاصة ، إلى المواطن في موطنه ما أمكن ، لا انتظار انتقاله هو إليها . يوثق المؤلف تطور فرعي الجامعتين المذكورتين إلى أن دمجنا وأنشأت منهما جامعة الملك خالد بتاريخ (١١/٣/١٤١٩هـ(١٩٩٩م) ، كما يركز على مسيرة جامعة الملك خالد خلال السنوات الأولى لإنشائها . ويرصد خلال ذلك كله تطور أعداد الطلاب والخريجين وأعضاء هيئة التدريس والمحاضرين والمعيدين ، إضافة إلى المباني والميزانيات والكليات والأقسام والتخصصات العلمية والهياكل الإدارية ، ثم يتناول المؤلف بعد ذلك وعلى نفس النمط تطور مؤسسات التعليم العالي الأخرى بالمنطقة ككلية التربية للبنات ، وكلية المعلمين ، والكلية التقنية المتوسطة، وكلية المعلمين ببيشة ، وكلية العلوم الصحية بأبها ، والكليات المتوسطة للبنات .

٦ـ الخاتمة :

عدد الصفحات (٥) صفحات . من رصده الدقيق واستقرائه لمسيرة التعليم بشتى مراحله وأنواعه بمنطقة عسير خلص المؤلف إلى أن التعليم العام والعالي بالمنطقة قد قام ومازال يقوم وخاصة خلال العقدين الأولين من عهد الملك فهد (١٤٠٢ـ ١٤٢٢هـ) بدور كبير وملموس في إثراء الجوانب الحضارية المختلفة ورفع المستوى الفكري والثقافي في شتى مناحيه ، لكن مازال المأمول أكبر والمسؤولية أعظم . ومن ثم ختم المؤلف سفره التاريخي ببعض المقترحات (٢٦توصية) التي قدر أنها يمكن أن تفيد في دعم التعليم العام والعالي بعسير وبالمملكة عامة . ومن أهم ما نادى به في تلك التوصيات:

١- ضرورة التنسيق والتعاون المستمر بين كافة مؤسسات التعليم العام والعالي لدعم مسيرة التعليم بالمنطقة ، وعدم جعلها جزراً معزولة عن بعضها البعض .

٢- ربط مؤسســات التعليم العام والعالي بالمجتمع (على مســتوى أولياء الأمور والأسر والمجتمع عامة) ، من خلال اللقاءات والتواصل المستمر والندوات الثقافية والفكرية المختلفة والبرامج المشتركة وبرامج التعليم المستمر والانتساب والتعليم عن بعد ٠

٣- دعــم ميزانيــة البحث العلمــي وتوجيهه لخدمــة احتياجات تنميــة المجتمع ، وحث وتشجيع القطاع الخاص على الإسهام في ذلك .

٤- دعــم المكتبــات والعامل والمختبرات بالكتــب والدوريات والمراجــع العلمية والمعدات والتجهيزات الحديثة والمتطورة ٠

٥- دعــم وحفــز النشــاط اللاصــفي ، وتنميــة مواهب وقــدرات الطــلاب في مختلف المجالات، واستثمار أوقات فراغهم ٠

٦- التأكيد على الهوية الإســلامية وقيم المجتمع السعودي من خلال الخطط والبرامج والنشاطات التعليمية ٠

٧- ابتعاث العاملين في مجالات التعليم المختلفة ، وبخاصة في المجالين التقني والفني وتقنيات البحث العلمي للاستفادة من تجارب وخبرات الأمم المتقدمة في هذه المجالات .

رابعاً : خلاصة القول:

ولفائــدة القــارئ ، فقد حــدد المؤلف موضــوعه بالتعليم العام والعالي (وبخاصــة الحكومي) ، وقد أوفى هذا الجانب حقه من الرصــد والتأريخ وفق البيانات والمعلومات المتاحة ، لكن هناك مجال تعليمي مهم مكمل للصورة بدأ ينتشر بقوة في منطقة عسير، ألا وهو مجال التعليم غير النظامي ممثلاً في الدورات الخاصــة في مجالات الحاســوب والبرمجــة واللغــات الأجنبيــة وغير ذلك من برامــج التطور الذاتــي ، وعلى الرغم من أهميــة هــذا الجانب من التعليــم إلا أنه يطغى عليه الجانب التجــاري ، وربما بأكثر من المحتوى والمضمون مما يستدعي تحديد وتوحيد الجهة التي تشرف عليه لضمان توجيهه في خدمــة رســالة التعليم بالمنطقة ، وهو يحتاج لدراســة من باحث مــؤرخ مثل الدكتور غيثــان بن جريــس. ويلاحظ أن المؤلف قــد فات عليه الحديث عن كلية الأمير ســلطان لعلوم الســياحة والفندقة ، وهي أول كلية متخصصة في هذا المجال على مستوى المملكة ودول مجلــس التعــاون الخليجــي عامة ، وقد أقيمت في عســير التي تعتــبر أكبر منطقة للسياحة الصيفية بالمملكة ٠



القسم الرابع

اللغة الهجين:
دراسة لسانية اجتماعية
(جنوب المملكة العربية السعودية أنموذجا)

القسم الرابع

اللغة الهجين: دراسة لسانية اجتماعية (جنوب المملكة العربية السعودية أنموذجاً)[١] ، أ. د. عباس بن علي السوسوة[٢]

---

(١) الأخ الدكتور عباس السوسوة سلمني هذا البحث لنشره في موسوعة: **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** في شهر شوال عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) . وكان عنوانه : **اللغة الهجين في السعودية : دراسة لسانية اجتماعية**. وعند قراءته وجدت معظم مادته عن مناطق جنوب المملكة العربية السعودية ، لهذا تم تغيير العنوان إلى (اللغة الهجين : دراسة لسانية اجتماعية) (جنوب المملكة العربية السعودية أنموذجا) ، وبالتالي صار هناك ترابط قوي بين مادة البحث وعنوانه . وأكرر شكري للأخ السوسوة على دراسته هذا الموضوع المهم، وآمل أن يكون لبنة رئيسية للكثير من الباحثين وطالبات وطلاب الدراسات العليا وبخاصة في الجامعات المحلية في بلاد السروات وتهامة . (ابن جريس) .

(٢) عرفت الأستاذ عباس السوسوة منذ عشر سنوات ، وهو أستاذ قدير في علم اللغة العربية وبخاصة اللسانيات، كما أنه على قدر كبير من الخلق الحسن ، ولطف المعشر والتواضع . للمزيد عن سيرته انظر محمد بن أحمد بن معبّر . **سيرة كتاب : احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) . وللدكتور السوسوة عدد من البحوث العلمية المنشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الطبعتان الأولى والثانية) الأجزاء من (١٠ـ ٢٤) ، وله كتب وبحوث أخرى عديدة منشورة في دور نشر وأوعية علمية أخرى . (ابن جريس) .

أولاً: مدخل:

يدرس البحثُ العربيةَ الهجينَ لغةَ التواصل بين العمّال الوافدين من شبه القارّة الهندية تحديدًا، وبين المواطنين، دراسةً وصفيّةً قائمة على الملاحظة المباشرة، ويبيّن أسباب نشأتها، ومستوياتها، ويذكر أهم خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، مجتهدًا في بيان طرق التهجين عند طرفيه: المواطن السعودي بمحكيته/ محكياته العربية، والوافد بلغته/ لغاته المنتمية إلى الفصيلة الهندية الإيرانية[١]، مركزًا على التطبيق أكثر من التنظير.

ثانياً: في الطريق إلى الهجين:

ذهبت للحج في ذي القعدة(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) .أنزلتنا الشركة في المدينة المنورة خمسة أيام، ولاحظت أن أكثر المتعاملين مع الحجاج من الهند وباكستان وبنجلادش، في المساكن والمطاعم والدكاكين بمختلف أحجامها وسلعها، حتى بوّاب عمارتنا بنغالي استفدت منه ألفاظا وتعبيرات غير قليلة[٢]. ووجدت لافتات لمطاعم ومحلات كتبت بالخطين: الديفَنَجري، والأردي، ومما يبرز هذه الكثرة أن التعليمات في الحرم النبوي كتبت بالعربية والأردية[٣]، وكانت الحالة كذلك عند الانتقال إلى مكة؛ فالفندق الذي نزلنا فيه يديره يمنيّان بمساعدة أربعة (٤) بنغاليين[٤].

---

(١) من خلال معاصرتي للعمالة الوافدة إلى المملكة العربية السعودية خلال الخمسين عاماً الماضية . وجدت أن العمالة الآسيوية (الكوريون ، والصينيون ، والفلبينيون، والهنود ، والبنجاليون ، والباكستانيون وغيرهم) لم تزدد أعدادهم في البلاد السعودية إلا منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). ودراسة تاريخهم وآثارهم وتأثرهم في المملكة العربية السعودية موضوع جدير بالبحث والدراسة في بحوث عديدة . (ابن جريس) .

(٢) المتجول في مناكب البلاد السعودية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها يلاحظ الكثير من اللافتات التجارية مكتوبة باللغة العربية وكثير منها تكتب بلغات أجنبية بعضها غربية أوربية وأخرى شرقية آسيوية . وهذا الميدان مجال واسع لإنجاز عشرات الدراسات العلمية عنه . (ابن جريس) .

(٣) في رجب (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) زرت الحرم النبوي فوجدت التعليمات أضيف إليها اللغات الفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية في مواعيد زيارة الروضة الشريفة .

(٤) أنت يا دكتور عباس تذكر إشارات بسيطة عن شيء من التاريخ الاجتماعي واللغوي الحديث والمعاصر في مكة

لم نجد مشكلة في التفاهم مع غير العربِ؛ لأن الجمل الغالبة استفهامية تبدأ ب: كم، بكم، عندك؟، فيه؟، معاك؟، والأرقام تُنطق كما في المحكيّات مع إبدال في أصوات: (ث) و(خ) و(ح).ووجدنا مثل: ايك ريال، اتنين كيلو. ووجدت لافتات كتبت بالعربية على غير ما ألفنا مثل: المطعم هندي، والمقصود المطعم الهندي. كانت المرة الأولى التي لمست فيها ظاهرة الهجين في السعودية، دون التعمّق فيها[١].

ولما قدمت في (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). للعمل أستاذًا في جامعة الملك خالد بأبها، أتيح لي الوقت الكافي للتعمّق فيها. سكنت في عمارة فيها ست شقق، سكنها ست أسر يمنية، تحتها سوبر ماركت لمواطن، يعمل فيه هندي لغته الماراثية ويعرف الإنجليزية ومعه سراج الباكستاني وأبو طاهر ونجم الدين البنغاليان، وشمس الدين الهندي، ومكتب خدمات حج وعمرة له يديره البنغالي إبراهيم إضافة إلى مسئوليته عن الشقق والنظافة واستلام الإيجارات، ودكان خضر يديره يمنيان. ومتوسط إقامة الفرد فيهم في المملكة (٦) سنين. وغير بعيد من السكن تعرفت بمعشوق علي وابنه إبراهيم وصهره ملازم في مخبز التمييز، وهم أفغان لغتهم البشتوية، ومثلهم جيرانهم في مطعم الحجاز لغتهم البلوشية[٢].

كنت ألاحظ المالك في زياراته لمكتبه العقاري و بقالته، يحادثهم بغير محكيته العسيرية، أعني باللغة الهجين، ثم قابلتها في الجامعة مع عمال النظافة والصيانة، وفي حافلات النقل بين المدن مع النيباليين والفلبينيين، وفي المستشفى، وفي كل المرافق والأسواق، بل في المزارع والمراعي. كان سكننا وما يحيط به مجمعًا مصغرًا لظاهرة الهجين.كان البنغالي أبو القاسم الصادق الأمين (هذا اسمه لا وصف له) كثيرًا ما يزور بلدييه في البقالة والمكتب. ويشتري لمنزل كفيله حاجاتهم، واستعنت به في مشاوير أسرية، وهو أسبقهم إقامة، وأفصحهم في الهجين والعربية. وكنت طيلة (٤) أربع سنين إلّا قليلًا أسجل بالجوال، وأكتب ملاحظات بالقلم، وأستفسر كثيرًا. كل هذا برضاهم التام، إضافة إلى ملاحظتي الشخصية في كل من: محايل عسير والمجاردة وبارق والمخواة والقنفذة والمظيلف وبللسمر و بللحمر ،وتنومة، وفي تلك الفترة كانت فرصة لزيارة أماكن من سراة عَبيدة وأحَد رُفيدة من قحطان، وزيارة إلى صبيا ومنها إلى جبل فيفاء، وكان لي في (٢٣محرم في ١٤٤٠هـ) زيارة لمدينة بريدة بدعوة من ناديها الأدبي،

المكرمة والمدينة المنورة. وهذا موضوع مهم يجب دراسته في بحوث مطولة ليس في الحرمين فقط وإنما في عموم حواضر ومدن المملكة العربية السعودية . وهذه مسؤوليات الجامعات ومراكزها البحثية . (ابن جريس) .

(١) أرجو أن هذه الملحوظات والإشارات المختصرة تجد من يقف عندها ويدرسها في بحوث علمية ميدانية وأكاديمية . (ابن جريس) .

(٢) أكرمك الله يا دكتور عباس ، فأنت في هذه الفقرة ترصد صوراً من تاريخ الناس في مدينة أبها بمنطقة عسير في ثلاثينيات القرن الخامس عشر الهجري وعموم بلاد السروات وتهامة جديرة بالاهتمام والدراسات العلمية الموثقة . (ابن جريس) .

في مدة أربعة أيام أتاح لي أسـتاذي صـالح التويجري اللقاء بوافدين في المزارع وسـوق الجمال فضلًا عمّا لاحظته في مضافات الكرام من أهل القصيم[١]، وما لاحظته هناك أكّد لي صواب ملاحظاتي السابقة. بعدها قررت الاستعانة بتسجيلاتي وملاحظاتي في دراسـة الهجين في السعودية، والاسـتفادة من طلابي في ماجستير اللغويات، في الجمع والملاحظة[٢]، وهذا ما سأوضحه لاحقًا.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

أغلب الدراسـات السابقة عن اللغات الهجين حول العالم نظري وأقلها تطبيقي، وهي ليست بالقليلة كما كنت أظن قبل بضع سنوات، واستعمال محرك البحث(google)يطلعنا على وجود جمعية لدارسي اللغات الهجينة والمولدة لها موقع على المشباك، وهناك أكثر من مجلة لدراستها باللغات الأوربية المختلفة، بل فيها دراسات عن التهجين والتوليد في العربية عمومًا يغلب عليها جانب التنظير والتفلسـف دون التطبيق الفعلي. ويكفي أن نشـير إلى أن الروماني أندريه أفرام له سبعة أبحاث أوردها الباحث إبراهيم أبوحيمد، في مراجع بحثه نشرت بين عامي(١٩٩٣م) و(٢٠٠٣م) ، أطولها في سبع عشرة صفحة وأقصرها في سبع صفحات، فانظرها ثمة[٣].ورسائل ماجستير ودكتوراه لم نستطع التوصل إليها[٤].

لذلك سـنكتفي بالدراسـات التي لغتها العربية، وطبقت على الهجين في بلد عربي تطبيقًا يحللها صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا، كما عند الدسوقي(٢٠٠٠م)، والمعشني(٢٠١٦م)، أو جزئيًّا كما عند أبوحيمد(٢٠١٣م) نفسه.

١- إبراهيـم الدسوقـي: "العربيـة لغة هجين على ألسـنة الهنود في سـلطنة عمان". **مجلـة علوم اللغة**، القاهـرة، مج٣-ع٢(٢٠٠٠م).ص١٥٧-٢١٩. هـو أول بحث بالعربية يدرس هجينًا عربيًّا في قطر عربي درسًـا وصـفيًّا يعتمد الملاحظة المباشرة[٥]، ويحاول الخروج بخصائص واضحة لهذا الشكل الهجين صوتيًّا وصرفيًّا وتركيبيًّا ومعجميًّا.

---

(١) الدكتور عباس السوسـوة ذكر مدناً وحواضـر عديدة في منطقة عسير وبلاد القصيم كان قد زارها وشاهد صـوراً من حياة أهلها . وبعض البلدان جديرة أن يدرس تاريخها الحديث والمعاصـر، وبعضـها ذات تاريخ عريق وقديم . (ابن جريس) .

(٢) يجب على الأسـتاذ الجامعي أن لا يكون محدود النشـاط مقصـور عمله على التدريس، وعقد الامتحانات ، وحضـور اللجـان والمجالـس العلميـة داخل كليتـه أو جامعتـه . لكن عليـه أن يختلط بالناس، وإذا أمكن الاسـتفادة من علمه وتخصصه في خدمة الأرض والمجتمع. وهذا ما فعله أخونا عباس السوسوة في هذه الدراسة العلمية . (ابن جريس) .

(٣) إبراهيم بن عبد العزيز أبوحيمد: **اللغات الهجينة والمولدة** ١٤٨ (السوسوة).

(٤) مـا من شـك أن هناك دراسـات عديدة عن اللغة الهجين بشـكل عـام . لكن مازالت قليلة جـداً في المملكة العربية السعودية . أما في عموم بلاد السروات وتهامة فهي نادرة . (ابن جريس) .

(٥) أرجو أن تأكدت من هذا القول يا دكتور عباس لأن هناك أقساماً وكليات في العالم العربي والإسلامي وفيها أساتذة مميزون ، وربما يكون لهم بحوث في هذا الميدان . (ابن جريس) .

في مقدمته تحدث عن اختلاف نوعية اللغات التي يدرسها اللغويون من حقبة إلى أخرى، ثم هذه الأشكال المسماة باللغات الهجين والمولَّدة، وأورد أربعة تعريفات لها اعتمادًا على بعض الموسوعات، وما أجمعوا عليه من خصائصها، وكيف رصدوا نحو مئة لغة هجين قامت على لغات أوربية في أنحاء العالم، ثم ذكر عوامل ظهور اللغات الهجينة في العربية حسب رأي كيس فرستيخ، خارج الجزيرة العربية بعد الفتوح الإسلامية، ثم انتقل إلى الأسباب التي أدت إليها في عُمان (١٦٩-١٧٠)، وذكر أنها بدأت مع التنمية في عام (١٩٧٠م) ، ثم زادت بعد ارتفاع عوائد تصدير النفط؛ إذ استعانت الدولة ثم المواطنون بكثير من العمال من غير العرب في كل التخصصات تقريبًا، وهم يعملون في مهن يأنف منها العُمانيون[١]، وأجورهم أقل من أجور العرب، ولا يحملون خلافاتهم إلى عُمان كما تفعل العمالة العربية؛ فظهرت اللغة الهجين يستعملها العرب مكرهين لإفهام الآخرين وقضاء أمورهم، وساهم في ترسيخها عدم وجود برامج تعليم هؤلاء الأجانب العربية وعدم اشتراط معرفتها عند التعاقد[٢].

استعان الدسوقي بطلاب كلية الآداب (الفرقة الرابعة) العُمانيين في عام (١٩٩٧/٩٦م) في التسجيل، ثم أفرغ التسجيلات الصوتية إلى نصوص مكتوبة، كتبها بالخط العربي وإلى جوارها الكتابة الصوتية الدولية (١٧٢-١٧٣)، أورد قائمة لها في صفحتين. ثم أخذ يذكر خواص الهجين الصوتية (١٧٤-١٧٨) والصرفية (١٧٨-١٨٤) والتركيبية (١٨٥-٢٠٢) وعن المفردات ومصادرها (٢٠٣-٢٠٦) ،ثم لخّص نتائجه (٢٠٧-٢٠٩)، ثم ذكر نصوصًا خمسة من الهجين أكثرها جمل متفرقة مجردة من سياقاتها (٢١٠-٢١٦)، ثم قائمة المراجع: (١١) بالعربية مؤلفة ومترجمة و(٩) بالإنجليزية.

(*) إضافة إلى إقراري له بالسبق في دراسة هجين عربي، أقرّ أيضا باستفادتي منه في التحليل الصرفي والنحوي مع مخالفتي له في أمور، سأذكرها - إن شاء الله - عند ذكر منهج دراستي بالتفصيل، أو عندما تأتي مناسبتها[٣]. لكني هنا سأذكر أمورًا عامة آخذها عليه :

---

(١) قضية الأنفة وعدم رغبة العناصر العربية في بعض المهن والحرف والأعمال . هذا موضوع قديم يعود إلى عصور ما قبل الإسلام واستمر خلال العصر الإسلامي حتى وقتنا الحاضر. ومازالت الكثير من القبائل وبعض العناصر العربية في شبه الجزيرة تبتعد عن ممارسة حرف ومهن صناعية واقتصادية عديدة . وهذا الموضوع درس في عدد من الكتب والبحوث ومازال يحتاج إلى دراسات أكثر في جنوب شبه الجزيرة العربية . (ابن جريس) .

(٢) أرجو من جامعاتنا المحلية وأقسامها التاريخية واللغوية والاجتماعية أن تدرس أثر وتأثير العمالة أو العناصر الوافدة إلى المملكة العربية السعودية ، مع الخروج بنتائج وتوصيات تخدم الناس والمجتمع . (ابن جريس) .

(٣) أرجو من إخواننا الأساتذة في أقسام اللغة العربية وآدابها في جامعات الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، والطائف، والباحة ، وبيشة أن يدرسوا ويحللوا اللهجات واللغات التي عرفها سكان السروات وتهامة وتأثروا بها خلال العقود الخمسة الماضية . وهذا ميدان رحب ومهم لإنجاز عشرات البحوث العلمية الموثقة. (ابن جريس).

١- لم يكـن لقائمة الرموز الصـوتية الدولية مـن داع، ولا لكتابـة الكلمات والجمل بها مصـاحبةً للعربية؛ ما دامـت اللغة الهجين تعتمدُ الأصـوات في محكية عُمان، حتى وإن رصـد أن هذا يتحول إلى هذا فكلها عربي. بل ليس في القائمة ولا في النصوص ما يخالف الحروف العربية البتة.

٢- الهجين خليط/ مزيج من عنصر- أو عناصر- عربي وغير عربي، يستعمل في التواصل بين هذين الطرفين. فلا يجدر- في هذه الحالة - أن نعتمد مبدأ الانفصال في التحليل، بل لابدّ من النظر إليه على أنه لغة واحدة نستعمل آلية موحدة في تحليل عناصرها.

٣- يرد دائمًا - على لسـان الباحث الفاضـل-: "على ألسـنة الهنود"، سواء في عنوان دراسته أم في تناوله لكل ظاهرة. وهو سهو غير مسوغ لمن يقرأن العمانيين يستعملونها مع هؤلاء؛ فهما كوجهي ورق العملة لايستطاع استبعاد أحدهما.

٤- لم يحـاول التطـرّق إلى الكيفيـة التي يتـم فيها التهجـين ولا أسـبابه اللغوية لا في الصرف ولا في النحو.

٥- قد لا يوفق في التفسير؛ لعدم تعمّقه في المحكية العُمانية أو لأسباب أخرى:

(*) ففي ص(١٨٢): "انا يجي تلفون" يعكس اسـتخدام الفعل في الإنجليزية؛ لأنه لا يتغير في المضارع إلا مع ضمير الغياب اهـ. وكان التفسير بأثر لغات الوافدين أولى.

(*) في ص(١٨٤)، يزعم أن الجمع يقوم بوظيفة المفرد، كقولهم: "ايش اسم بلاد مال انتا"، ولا صحة لما قال؛ لأن الوافد إنما أخذه من المواطن بهذه الصيغة بمعنى البلد والقرية والدولة مفردًا. وهي في عُمان كما في اليمن والسعودية أيضًا[1].

(*) في(١٩٥)، يفذلـك حـذف أداة النـداء دون داع، فهـي ظاهرة شـائعة في لغة الحياة اليومية في البلدان العربية، وفي النحو العربي الفصَيح، وفي القرآن الكريم، وفي الأدب شعره ونثره أيضًا. وهذه الملاحظات وغيرها لا تقلل من قيمة هذا العمل؛ فللريادة عثراتها، وينطبق عليه قول ابن مالك في ألفية ابن مُعطٍ الزواوي:

"فهو بسبق حائز تفضيلا   مستوجب ثنائي الجميلا".

٢- إبراهيـم بـن عبـد العزيـز أبوحيمـد: "اللغات الهجينـة والمولدة- دراسـة لغوية اجتماعية" **مجلة الدراسات اللغوية**، الرياض. مجلد ١٥، عدد١، محرم- ربيع الأول١٤٣٤هـ = فبراير٢٠١٣،ص٨٥-١٥٣.

---

(١) أتجول في بلدان المملكة العربية السعودية منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن. وكتبت العديد من الدراسات المطبوعة والمنثورة عن جنوب المملكة وسـمعت وشـاهدت انتشـار لهجات العمالة الوافدة في كل مكان وناحية، وليس هناك بحوث علمية موثقة في هذا الجانب، أرجو أن نرى باحثين جادين يدرسون هذه الموضوعات. (ابن جريس).

هــو عمل علمي قيّم، يتأمل هذه اللغات وكيف درســها الغربيــون، ويناقش نتائجهم ويحاول الخروج بآراء شخصية، وزاد فذكر تجربته مع اللغة (شبه الهجينة) في الرياض. وعنده قائمة مراجع بالإنجليزية طويلة متنوعة ما بين رسائل جامعية وكتب ومقالات في دوريــات، مرتبة ألفبائيًّا حســب المؤلف. وأنا أقرّ أنني لم ألتفت لهذا العمل حين نشــره، ولــو قد فعلتُ إذن كان قد وفّر عليّ كثيرًا من العناء والوقــت من الناحية النظرية، وقد اكتشفت قيمته وأنا في مرحلة تبييض البحث، وأفدت منه إفادات محدودة[١].

ومحاور بحثه كما يلي: لغات الاتصــال واللغات الهجينــة (٨٦-٩٠)، مكانة اللغات الهجينــة وأهمية دراســتها (٩٠-٩٥)، تعريفها (٩٥- ٩٨)،خصائصــها (٩٨-١٠٢)، تعريــف اللغات المولدة (١٠٢-١٠٣)، الفرق بين المولدة والهجينة (١٠٣-١٠٥)،التحوّل من اللغة الهجينة إلى المولدة (١٠٥-١٠٧)،أماكن وجود اللغات الهجينة والمولدة (١٠٧-١١٨)،ثم أورد خمس نظريات حول نشأتها(١٢٣-١٤٣) متوصلاً إلى أنه لا توجد نظرية واحدة تفســر كل اللغات الهجينة؛ فظروف نشــأتها تختلف. لذا فكل نظرية إنما تفســر نشأة بعض الهجين[٢]. ثم لخص الباحث بحثه في صفحتين ونصف(١٤٤-١٤٦) وأتبعه بالمراجع العربية عددها اثنا عشــر منها أربعة معاجم لغوية وثلاثة كتب مترجمة وأربعة مؤلفة، ثم المراجع بالإنجليزية في ست صفحات(١٤٨-١٥٣).

(*) **لنا على هذا العمل القيم هذه الملاحظات:**

١- أنه ممتاز من الناحية النظرية.

٢- في بعض المواضع إطالة غير مسوغة؛ إذ يورد عدة تعريفات غير قصيرة للهجين أو المولد ثم يعقب أنها واحدة ثم يستخلص منها ما اتفقت عليه!! وفي إيجازه خصائص اللغات الهجينة أوصلها إلى ٢٣فقط!

٣- في نحــو ثلاث صــفحات شــرح تجربته مــع لغة العمال(شــبه الهجينــة) في مدينة الرياض، فذكر أن الغرض منه معرفة مدى توفر خصــائص الهجين فيها، وليس الغرض دراســة وصــفية تحليلية لمســتوياتها الصوتية والصــرفية والنحوية. راقب ســلوك ثلاثة منهم: اندونيســي وبنغالي وهندي أربعة (٤) أشهر، بمعدل يوم واحد كل أســبوعين لمدة نصف ساعة. وأشــهد أنه صادق في غرضه(١٠٠٪). لكنه بوضع

(١) شكر الله لك يا دكتور عباس ، في طرحك العلمي الذي يتصف بالأمانة وحفظ الحقوق لأهلها . (ابن جريس) .

(٢) اللغة الهجينة والمولدة تختلف من مكان لآخر حســب ظروف الزمان والمكان التي تحيط بها . فإن تأملنا في هذه اللغة في بلاد الســروات وتهامة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) فلا ننكر وجودها لكنها قليلة لقلة العناصر العجمية في هذه الأوطان. ومنذ تسعينيات القرن الهجري الماضي بدأت تظهر وتنتشر بشكل كبير في أنحاء البلاد لكثرة العمالة الوافدة غير العربية ، ومن ثم أصبحوا من الشرائح الكبيرة في المجتمع، ونتج عن ذلك لهجات ولغات هجينة كثيرة على مستوى الأفراد والجماعات . (ابن جريس) .

جدول مقارن في (١٤) أربع عشـرة خصيصـة تطابقتا في اثنتي عشـرة منها، إنما يثبت الهجنة لاشبه الهجنة.

٤- لا ذكر للمواطن العربي في تجربته، فهل إذا اتصـل العامل الوافد بالمواطن ستكون لغة التفاهم شبه الهجينة التي لم يذكر أي سمة لغوية لها، أم غيرها؟

٥- وصـلت قائمة المراجع الإنجليزية إلى (٦٩) تسـعة وسـتين مرجعًا، وكان الأفضـل وضع نحو نصفها تحت مسمى: "قراءات إضافية"؛ فبعضها يتناسخ مع بعض حتى عند المؤلف الواحد. وقد مر بنا سبعة (٧)لأندريه أفرام، وفيها ثمانية (٨) لديريك بيكرتون وخمسـة (٥) لسـارة روبرت، وفيها علم اللغة الاجتماعي لهدسون، مع أن محمود عياد ترجمه إلى العربية عام (١٩٨٩م) !

٦- خلت قائمته من بحث إبراهيم الدسوقي نهائيًّا، ولا ذكر له في محاور البحث!

<u>٣ـ محمد سالم المعشني</u> : "دراسة في الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية للغة الهجـين في عُمان". **<u>مجلـة العلوم الإنسانية - جامعـة السودان للعلـوم والتكنولوجيا</u>**، مجلد ١٧، العدد الأول ٢٠١٦م، ص٢٦٠-٢٧٦.

للعمل مستخلصـان عربي وإنجليزي، وهدفه توضـيح أهم الخصائص المذكورة في العنوان، ومدى اختلافها عن عامية عُمان وعن الفصحى، ومنهجه الجمع الذاتي بنفسه مـن وافدين من مهـن مختلفة يلاقيهم يوميا بدءًا من البيت فالسـوق فالشـارع وانتهاء بالجامعة التي يدرس فيها. ويزعم أنه أول دراسـة من نوعها!!!، جعله في مقدمة وخمسة مباحث، ثم أتبعها بإحدى عشرة نتيجة، وقائمة مراجع: خمسة مترجمة وخمسة مؤلفة.!!

ذكر في المقدمة أن هذه الظاهرة بدأت مع بداية النهضة عام (١٩٧٠م) ثم تزايدت بسـبب كثرة المسـتقدمين من شـبه القارة الهندية وشرق آسـيا للعمل في تخصصات لا يعرفهـا العمانيـون، أو يأنفون من مزاولتها، وحتى يضـمن المواطن قضـاء عمله معهم اضـطر أن يجاريهـم بهذه اللغـة[١]. أمـا المباحث الخمسـة فهي: (١) الوصـف العام لأصـواتها، (٢) حـروف المضـارعة والمشـتقات والتأنيـث والتعريف، (٣) الضـمائر: شخصـية وإشـارية وموصـولة وإسـنادها إلى الأفعـال، (٤) الجمـل المثبتـة والمنفيـة

---

(١) شـاهدت اللغة الهجينة من العمال الوافدين منذ التسـعينيات في القرن الهجري الماضي (٢٠م). بمناطق عسير، وجازان، ونجران، وبخاصة مدنها وحواضرها الكبيرة فكان هناك عمالة آسيوية من الصين وكوريا والفلبين. وعناصر أخرى غربية وبعض الأجناس العربية من بلاد الشام، ومصر، وبلاد المغرب، والسودان. وفي العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ الأفراد والشركات والمؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية تسـتقدم أعدادا كثيرة من بلدان الهند، وباكسـتان، وبنجلاديش، ونيبال وغيرها. ومازالوا أكثر العناصر الوافدة الموجودة في البلاد حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢ه/٢٠٢١م). (ابن جريس).

والاستفهامية، (٥) المطابقة بين عناصر الجملة، اكتفى بالمطابقة بين العدد والمعدود.

(*) **نلاحظ على هذه الدراسة ما يأتي:**

أ - زعمه أنه أول(!!!) دراسة من نوعها. وقد رأينا سَبْقَ إبراهيم الدسوقي في دراسة الهجين العربي في عُمان قبله بنحو ستة عشر عامًا، وقد عمل في نفس جامعته وكليته ست سنين، وعمله منشور في دار نشر تتعامل كثيرًا مع المشتغلين في جامعته. الواقع أن عمله هو عمل الدسوقي ممسوخًا. وهو يشبه ما قيل في (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري: "وهو كتاب (العين) إلّا أنه قد صبغه"، مع فارق أن الأزهري صبغه بالإطالة في المناقشات وذكر أقوال اللغويين الأقدمين وزيادة كبيرة في الأرجاز وشواهد الشعر، وهو-على الأقل-يعترف بكتاب اسمه: (العين) سواء نسبه لليث بن المظفر أو للخليل بن أحمد الفراهيدي[1].

ب- في الدراسة تطويل غير مسوَّغ علميًّا؛ إذ حجمها الكلي سبع عشرة صفحة من القطع الكبير، فإذا ضاعفتها من عندك صارت أربعًا وثلاثين صفحة من القطع المعتاد. فإذا أزال القارئ الحشو صارت ثماني صفحات من القطع المتوسط وفي حديثه عن الضمائر المنفصلة ثم المتصلة في الرفع، والنصب، والجر، يقسم كل صنف إلى تسعة أنماط (في الأمر يجعله خمسة) يقول عن كل واحد: لا يوجد، لا يسند، ويعيد المثال نفسه!! مستعينًا – ولا عيب في ذلك- بالنحو الواضح-دون أن يذكره-.أما كان الأحرى أن يجمل ذلك في سطر واحد؟!

ج - بسبب من ضعف الحاسّة اللسانية والرغبة في مخالفة من استفاد منه ولم يذكره، وقع في التناقض وخطأ التفسير؛ ففي نتائجه أن ليس في الهجين من حروف المضارعة غير الياء التي قد تتحول إلى همزة مكسورة، مع سبق قوله في ص(٢٦٥) : "ليس في الهجين شيء من حروف المضارعة". وفي ص(٢٦٣) يزعم أن السين تتحول! إلى شين، وليس عنده غير(شُكر) .والصحيح أن لغات هندية عديدة السكر فيها (شَكَر)، وكنت أسمع زملاءنا العراقيين الذين كانوا يعملون في الجامعات اليمنية ينطقونه هكذا كما عند الهنود، فلا تحول إذن. ويزعم أن الضاد تتحول إلى زاي أو دال، وفي صفحة (٢٦٤) يزعم أن الظاء تتحول إلى زاي!!! وفيه نظر؛ فبحسب خبرتي المتواضعة فإن الزملاء العمانيين الذين التقيت بهم لا ينطقون إلا صوتًا واحدًا:/ظ/.ويزعم أن الياء

---

(١) تعترض يا دكتور على الباحث المعشني عندما قال على بحثه أنه أول دراسة في بابها. وللأسف نلاحظ هذه العبارة تكتب في مقدمة كثير من البحوث والكتب والرسائل العلمية وبخاصة عندنا في عالمنا العربي . ويجب على كل باحث أن يتجنب القول بهذا الجزم في الدراسات النظرية ، ومن يفعل ذلك فهو يسلك الطريق الصحيح ، ويجنب نفسه من الوقوع في أخطاء أو أقوال غير صحيحة ولادقيقة. (ابن جريس).

قد ينطق همزة كما في "إمشي" بدل "يمشي"! والصواب: /يَ/ المضارعة هي المسيطرة في الهجين، وقد ترد: /ءِ/ على قلة؛ فهي مسألة تناوب سوابق صرفية لا مسألة إبدال صوت مفرد بآخر.

ما جاء صحيحًا عنده، بل ما جاء خطأً ـ غير ما ذكرناه قبل ـ فالفضل فيه للمتقدم. وهذا يثبت أن ليس شرطًا أن يكون ابن البلد أفضل من الغريب في دراسة ظواهر لغوية محلية.

رابعاً: أهداف دراستنا للعربية الهجين في جنوب البلاد السعودية:

١- من مجالات اللسانيات الاجتماعية التي تستحق الدرس؛ لتضاف إلى الدراسات التي درست أشكالًا من الهجين، سواء في العربية أو في غيرها، ويروم أن يأتي بجديد فيه.

٢- معرفة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية واللغوية التي أدت إلى نشأة العربية الهجينة في السعودية وانتشارها[١].

٣- معرفة خصائص هذا الهجين صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا ومفرداتيًّا.

٤- محاولة تفسير كيف يتم التهجين بين المحكية العربية، وبين بعض لغات الفصيلة الهندية الإيرانية، في بعض الظواهر. وهذا ـ فيما أحسب ـ جديد لم يبحث فيه من درس هجينا عربيًّا، إلى أن يثبت العكس[٢].

٥- تقديم البحث إلى المسئولين في وزارة التعليم ووزارة العمل ومن له علاقة بهذا الشأن، لعلهم يجدون حلًّا في تعليم العربية للعمالة الوافدة أو لأصناف منها[٣].

خامساً: منهج البحث وإجراءاته:

(*) اتبع البحث المنهجين: الوصفي والتقابلي معًا، وإليك التوضيح:

١- قام البحث على الملاحظة الميدانية المباشرة، مستعينًا بالتسجيل الصوتي، وأحيانًا بالفيديو، عفويًّا في أكثر الحالات، وقصديًّا في حالات مع إخبار المعني بذلك وموافقته عليه[٤]. فالمكان محدد، هو: المملكة العربية السعودية، والزمن محدد،

---

(١) ربما غلبنا الهجين على الهجينة، على أساس أن فعيل بمعنى فعيلة، متذكرين قوله تعالى: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (السوسوة) . إن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وأحيانا الحربية والعسكرية من العوامل الرئيسية التي تخلق لغة هجين في أي بلد أو ناحية . والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخنا الحديث والمعاصر. (ابن جريس) .

(٢) حصرت الكلام على الفصيلة الهندية الإيرانية . وفي بلاد السروات وتهامة ، أو عموم المملكة العربية السعودية العديد من الأجناس العربية وغير العربية وجديرة أن تدرس لهجاتها ولغاتها وكيف تأثرت وأثرت في المجتمعات السعودية . (ابن جريس) .

(٣) هذه توصية جيدة لوزارتي التعليم والموارد البشرية ، ولمؤسسات أخرى عديدة حكومية وأهلية . أرجو أن يطلعوا عليها ويستفيدوا مما توصلت إليه هذه الدراسة . كما أرجو من مراكز البحوث في الجامعات المحلية أن تضاعف جهودها في إنجاز بحوث علمية تخدم الأرض والناس . (ابن جريس) .

(٤) حذفنا كل المصور لعدم موافقتهم على نشره. (السوسوة) .

الأعوام: (١٤٣٤-١٤٤٠هـ)، والصيغة المدروسة هي العربية الهجينة/ الهجين، لغة التواصل بين المواطن السعودي والعمالة الوافدة من جمهوريات الهند وباكستان وبنغلادش وأفغانستان ونيبال وسريلانكا[١].

٢- استعنت في العامين الأخيرين بعشرة من طلابي السعوديين، كلهم حاصل على الماجستير في اللغويات/ اللسانيات، بعد أن أفهمت كل واحد أهداف البحث، وكيفية التسجيل بأنواعه كل في منطقته، وأن يذكر ملاحظاته عن المادة التي جمع. أما الهجين، فكلهم يتعامل به أحيانًا مع الوافدين. وبعد ذلك استفسرت كل فرد عمَّا غمض عليَّ أو التبس في التسجيلات وغيرها. وهؤلاء يتوزعون على إمارات: عسير ونجران وجيزان ومكة المكرمة[٢]، وإليك أسماءهم:

أ ـ علي محمد شعبان آل مسودة، ماجستير لسانيات ١٤٣٧هـ.
ب ـ عبد الرحمن علي حسن آل فُطيح، ماجستير لسانيات١٤٤٠هـ.
ج ـ رياض محمد أحمد آل حمود، ماجستير لسانيات ١٤٣٨هـ.
د ـ صالح بن عبد الله وائل التويجري، ماجستير في النقد والأدب، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر(١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
هـ ـ عيسى محمد الفيفي، ماجستير لسانيات (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).
و ـ أحمد معتق القحطاني، ماجستير لسانيات (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).
ز ـ سعيد معتق القحطاني، ماجستير لسانيات(١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).
ح ـ حمد إبراهيم علي حسن الويني، ماجستير لسانيات (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).
ط ـ عبد الله محمد علي هتان، ماجستير لسانيات جامعة عدن(٢٠١٤م)، درس عندي في تمهيدي الدكتوراه(٣٧-١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).
ي ـ حمود يحيى علي الشعلي، ماجستير لسانيات (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)[٣].

٣- بما أنّ اللغة الهجين مزيج من المحكية السعودية ولغات الوافدين، فكان استعمال

---

(١) بقية الجنسيات الآسيوية يتعاملون معها بهذا الهجين، وإنما خصصنا أولئك بالذكر لأنهم الأكثر عددًا، ولأن كل النصوص منقولة عنهم في تعاملهم مع المواطنين. (السوسوة) . أرجو أن نرى دراسات أعمق وأطول في هذا الميدان وعلى أجناس أخرى في جنوبي السعودية . (ابن جريس) .

(٢) يستثنى منهم الرابع في قائمة مساعدي البحث، فهو من بريدة في إمارة القصيم، أستاذي الذي علمني النحو عام ١٩٧٥م، في مدرسة الشعب الثانوية في مدينة تعز. والشكر مبذول للجميع على ما قدموا، مع تخصيص مزيد منه للأربعة الأول. (السوسوة) . أشكرك يا دكتور سوسوة على هذا المنهج في جمعك المادة واستعانتك بطلابك وحفظ حقوقهم العلمية. وهذا ما نحتاجه في كثير من دراساتنا الحديثة والمعاصرة . (ابن جريس) .

(٣) أرجو يا دكتور عباس أن يكون بحثك هذا دافعاً ومشجعاً لهؤلاء الطلاب فيبذلوا قصارى جهودهم في دراسة بلدانهم وبخاصة الطلاب الذين يقطنون مناطق عسير ، وجازان، ونجران وما جاورها من بلدان السروات وتهامة فهي ميادين بكر لإنجاز دراسة علمية موثقة في شتى المعارف. (ابن جريس) .

المنهج التقابلي حتميًّا؛ لبيان الفروق والاختلافات بين عنصري الهجين، وخصصت اللغــات الهنديــة والأردية والفارســية والبنغاليــة – فيما اتفقت فيــه من ظواهر- بالمقابلــة مــع المحكية أحيانًــا ومع المســتوى الفصــيح أحيانًا، راجعًا إلى المصــادر الأصيلة عنها مؤلفة ومترجمة، مستفيدًا من المعرفة الطيبة بهذه اللغات[١].

٤- رجعت إلى المصــادر الحكومية في الإحصــائيات ونحوها، وإلى غيرها من مصادر مكتوبة وشفوية، أفدت من الكل، ووضعت كلًّا في موضعه الذي أحسبه مناسبًا[٢].

سادساً: تعريف بطرفي العربية الهجين:

١ـ الطرف الأول:

العمّــال الوافــدون من جمهوريات الهند وباكســتان وبنغلادش وأفغانســتان ونيبال وســريلانكا. ولغاتهم متعددة تعود إلى الفصــيلة الهندية الإيرانية (باستثناء التاميلية في ســريلانكا والهند فتعود إلى الأسرة الدرافيدية) من أسرة اللغات الهندية الأوربية، وهي فرعان:

(*) **الفرع الإيراني: وأشهر لغاته**[٣]: الفارسية الحديثة المنتشرة في إيران وأفغانستان وتاجيكســتان ومناطــق مــن الهنــد وتركســتان والقفقــاز، والتاجيكية في تاجيكســتان وأفغانســتان، والكردية في العراق وتركيا وســوريا[٤]، والبشــتوية والبلوشــية كلتاهما في باكستان وأفغانستان.

(*) **الفــرع الهنــدي: أهــم لغاتــه**: الهنديــة والأرديــة والبنغاليــة في الهنــد وباكســتان وبنغلادش، والســندية في الهند وباكســتان، والبنجابية فيهما، ثم المراثية والراجســتانية والأسامية والكجراتية والكشميرية في الهند، والسنهالية في سريلانكا، والنيبالية في نيبال.

وسيرى القارئ أننا في التحليل الصرفي والنحوي لم نفرق بين هندوستاني وأردي؛ لأنهما "لغة واحدة آخذة في الانقســام. ويطلق عليها عند المســلمين لغة الأوردو، أي لغة الجيش، وتســمى عند الهندوس باســم الهندوســتاني. يكتب المســلمون الأردية بالخط

---

(١) وفي حــال التأكــد من أن اللفظ المعين هندي أو فارســي أو أردي، بالإمكان الرجــوع إلى قائمة المراجع، فقد تخففنا منها في هوامش البحث. (السوسوة).

(٢) أشــكرك يا عباس السوســوة أن لفت أنظارنا وأنظار الباحثين وطالبات وطلاب الدراســات العليا إلى هذا الميدان المهم الجدير بالاهتمام والبحث والدراسة. (ابن جريس).

(٣) ينظر (EncyclopediaBritannica)، تاريخ الدخول ١١صباح٢٥ مايو٢٠١٩، وينظر محمود فهمي حجازي: مدخــل إلى علم اللغة،ط٨،القاهرة: دار قباء ١٩٩٧م،ص١٩٢-١٩٤وص ١٨٦ ،وعفاف زيدان وآخرون: اللغة الفارســية نحوها وأدبها وبلاغتها، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصــرية١٩٧٦م، الصفحات ب- هـ، وتيواري: أسرة اللغات الهندية الإيرانية، ص ٥-٩.

(٤) لم نصادف في ملاحظاتنا من لغته الكردية قط.

العربي، مما يتيح الإفادة من ألفاظ فارسية وعربية كثيرة (...) أما الهندوس، فيكتبون الهندوستانية بالخط الديفنجاري القديم"[١]. ويؤيد اللساني الهندي أ. د. كابل موني تيواري (ت٢٠٢١م)-وهو من طائفة البراهمَن- ذلك في كتاب كامل[٢].

٢ـ الطرف الثاني المواطن السعودي:

لغته المحكية العربية. وتنوعاتها كثيرة، لكن ما يجمع بينها من خصائص أكثر، وكلها قد استقرّ فيها خصائص لغوية قديمة ذكرها علماء العربية القدامى، وصفات من العربية الفصحى المشتركة، وكلها معجمها المشترك واحد أو يكاد، وكلها فيها ألفاظ مقترضة قديمة وحديثة ماداموا يتعاملون مع غيرهم من البشر. ومستويات المحكية التي يتواصلون بها مع أبناء بلادهم-حسب علمي القاصر المتواضع ثلاثة: **(أ)** عامية الأميين مع أبناء قريتهم وعشيرتهم في أمور الحياة اليومية، **(ب)** عامية المتنورين مع أبناء المناطق الأخرى ومع العرب في أمور الحياة اليومية، **(ج)** عامية المثقفين في أمور العلم والثقافة والأدب والفقه، وهذا المستوى لا يتوفر إلا للمثقف الذي نال قسطا طيبًا من العلوم[٣].

والهجين خارج عنها، رغم اعتماد طرفي التواصل على أخذ أمور كثيرة من المستوى الأول، ليكون أشبه شيء بخلق جديد مع أمور كثيرة من لغات الوافدين يستعملونها دون وعي مسبق، وليس للطرفين غير الملكة التي أودعها الله تعالى فيهم ليحلوا مشكلة التفاهم. وكأنهم – دون اتفاق مسبق- يخترعون لغة صناعية كالإسبرانتو والإيدو، والتشبيه مع الفارق[٤].

سابعاً: أسباب نشأة العربية الهجين في السعودية:

حسب كثير من المصادر الشفوية من زملائنا المواطنين في الجامعة لم تكن الهجين قبل خمس وثلاثين سنة تشكّل ظاهرة في المملكة، رغم أن ظهور النفط كان سابقًا بعقود، ورغم وجود عمالة وافدة غير عربية؛ لأن هذه العمالة لم تكن كبيرة بالمقابلة مع العمالة العربية؛ ولأن أغلب المواطنين كل في منطقته كان يعمل-وأفراد أسرته- بيديه

---

(١) محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ١٨٥.وصوابه: الخط الديفَنَجري. ولعله سهو طباعي. وانظر: الموسوعة البريطانية. (السوسوة) ٠

(٢) تيواري: قواعد اللغة الهندوستانية: باتنا: منشورات امرابوركر، المقدمة ص١-٣. يؤكد أن هندي منسوب إلى الهند، وجمعه: هندو(بضمة طويلة) بغير سين، وما جاءت هندوس إلا من الترجمة الانجليزية هندو+ س.فراجعه. (السوسوة) ٠

(٣) للتفصيل في شرح هذه المصطلحات، ينظر: السوسوة: دراسات في المحكية اليمنية٤٣ -٧١. (السوسوة) ٠

(٤) سمعت وجربت التواصل في الخطاب مع عناصر عجمية من شرق آسيا. والإنسان مضطر أن يكسر ويلحن ويتلاعب بألفاظه ومفرداته واصطلاحاته اللغوية من أجل أن يعرف الإنسان الوافد أو الوافدين ما يتطلع إليه المواطن السعودي ، وما يرغب أن يلم به ويعرفه العنصر الوافد ، من أجل تحقيقه وإنجازه على مستوى العمل والوظيفة . وإن تحدثنا عمن يتكلم العربية من العرب سعودي أو غيره فإن هناك تأثرا وتأثيرا بينهم من حيث المفردات ومعانيها وطريقة لفظها ٠ (ابن جريس) .

في الزراعة والرعي والحرف الأخرى[١]. فما العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى أن تصبح اللغة الهجينة ظاهرة؟

(*) **إنها تتلخص في الآتي:**

١- **زيادة عائدات النفط زيادة هائلة**؛ لارتفاع أسعاره بعد حرب رمضان (١٣٩٣هـ/ أكتوبر١٩٧٣م) . واتجاه الدولة إلى تنمية المناطق من جميع النواحي، فاستقدمت العمالة من كل الدول في كل المهن تقريبًا. وتخبرنا الإحصاءات الحكومية أن هذه العمالة تستحوذ على(٤٢٪) من الوظائف، وقد بلغ عددهم في (٢٠٠٤م) خمسة ملايين ومئتي ألف، وأن عددهم في بداية (٢٠١٨م) (٩٥٧٨٠٥٥). والذي يهمنا أن عدد الهنود مليون وثلاث مئة ألف، والبنغال مليون، والباكستانيين نحو تسع مئة ألف[٢]. والغريب عدم وجود إحصاء للأفغان.!

٢- تحسّنت أحوال المواطنين المادية كثيرًا فهجروا الزراعة والرعي والحرف التقليدية شيئًا فشيئًا. وفضلوا الأعمال الحكومية المختلفة والتجارة- على أن يكونوا مشرفين لا بائعين.

٣- كان لدى المواطنين ــ في مناطق دون أخرى ـ نظرة دونية إلى بعض الحرف والمشتغلين بها، أخذت تستفحل شيئًا فشيئًا مع الزيادة في تحسّن أحوالهم حتى عمت جميع المناطق أو كادت. فكانت العمالة الوافدة الحل في كل الأعمال الحقير منها والجليل[٣].

ولا أجد أفضل من المؤرخ المعاصر لنا الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس يرصد هذه الظاهرة في حوليته: **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)**، ففي حديثه عن عسير والقنفذة يذكر أن[٤] العناصر البشرية الوافدة بعد (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) تزايدت حتى أصبحت عسير

---

(١) لمعرفة تفصيلات أكثر عن التحولات التاريخية الاجتماعية والاقتصادية في المملكة العربية السعودية وبخاصة جنوبها (سروات وتهامة) . انظر كتباً وبحوثاً عديدة لغيثان بن جريس ، ومنها : (١) **عسير دراسة تاريخية في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ)**. (٢) **منطقة الباحة (الجزء الأول)**. (٣) **منطقة نجران (الجزء الأول)**. (٤) **منطقة جازان (جزءان)** (٥) **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ)**. (٦) **موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب** (طبعتان) (٢٣ مجلداً) . جميعها مطبوعة ورقيا ، وموجودة رقميا على الرابط الآتي (Prof-ghithan.com) .

(٢) المصدر نشرة سوق العمل في ٢٨يناير٢٠١٩م. ينظر:(www.alriyadh.com/1684474)، تاريخ الاطلاع: (٢٥مايو ٢٠١٩)، السابعة صباحًا. (السوسوة) .

(٣) ينظر: غيثان علي جريس: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، صدر منه (٢٣) مجلدًا،بين (٢٠٠٥-٢٠٢١م)، يخصص المجلد لمنطقة أو أكثر. وفي هذا الصدد، نجد في بعض المساجد المؤذن ومقيم الشعائر وافدًا؛ إذ يعمد المواطن المعين رسميًّا إلى الاتفاق مع وافد يعطيه نحو خمس راتبه الشهري ليقوم بدلا منه بعمله! (السوسوة) .

(٤) غيثان بن علي جريس: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ٢٥٣/٢. (السوسوة) . أشرت يا عباس السوسوة إلى عدد من المحاور الرئيسية في النقاط المدونة أعلاه وكل محور يستحق أن يدرس ويوثق في عشرات الكتب والبحوث . (ابن جريس) .

وغيرهـا مليئة بعشـرات الأجناس في القطاعـين الحكومي والخاص على حد سـواء. ويذكر أن العسـيريين كانوا يعتمدون على أنفسـهم، في ممارسـة جميع المهن من: صناعات معدنية وخشـبية وجلدية وفخارية ونسـيج وغيرها، ثـم أخذوا يهجرونها واحدة تلـو الأخرى، ويحل الوافـدون فيها حتى في الزراعة والرعي والاحتطـاب(١). وفي حديثه عن نجران، يقول: إنها ـــ حتى نهاية الثمانينيـات الهجرية ـــ كانت مكتفية ذاتيًا في معظم مسـتلزمات الحياة من الطعام والفراش والسلاح والحلي والأدوات المنزلية ولوازم الحرث والزراعة وتشييد المنازل وحفر الآبار، باسـتغلال المواد المتوفـرة في البيئة، وكان من أهلهـا النجار والحداد والخراز والبرام والصائغ والحائك وغيرهم. ولم يكن يستورد إلا الأشياء التي لا تزرع أو تصنع فيها، وهي قليلة كالتوابل والقهوة مثلا. ونفس الظاهرة تتكرَّر في غيرها من المناطق(٢).

٤- أدت هذه العوامل مجتمعة إلى أن يصـير المواطن في موقف المحتاج إلى الوافد في قضـاء أمـور كثيرة في حياته- مـع أن المواطن هو الأقوى مـن الناحية المالية- فكيف يتفاهم/ يتواصل معه؟، بأي لغة أم بأي مستوى؟ وكان الوضع اللغوي بينهما كما يلي:

أ ـ المواطن يتحدث محكية عربية لا يعرفها الوافد.
ب ـ الوافد يتحدث لغة لا يعرفها المواطن.

كان الحل أن الوافد يسـتعمل الأصوات العربية مغيرًا من أصوات لغته الأم، يوفق أحيانًا ويخفق أحيانًا(٣)، لكن يُتسامح معه فيها فيما لا يُتسامح فيه مع المواطن، ويقلّد المواطن في طرق بنـاء الكلمة، لكن بناءها في لغته مختلف في كثير مـن الأمور، فيحدث هجين فيه من المحكية العربية أشـياء ومن لغته الأم أشياء. أما الجملة من حيث نظامها وتوزيع مكوناتها والعلاقات بـين عناصـرها فهي هجين من العنصـرين، بل بعضـه خلق جديد لا يوجـد في إحداهما(٤)، ويقلّده المواطن فيها. وبمرور الوقت صار الهجين-عمومًا- وسيط التفاهم بينهما.

وهذا الوضـع لا يرضـي بعض المثقفين، فيقول: "هذه العمالـة الكثيرة جعلت أبناء المناطق يسـيئون للغتهم بتكسيرها والتلاعب في حروفها ومفرداتها، من أجل إيصال ما يرغبون قوله إلى هذه العمالة الأجنبية"(٥).ويقول آخر: "في الخمسين عامًا الأخيرة جاء

---

(١) نفسه ٢/ ٢٨٠، ٢٨٣. (السوسوة) . هذا الموضوع ميدان واسع يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والكتب العلمية . (ابن جريس) .

(٢) **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ١/ ١٤٧-١٤٨. و٢/ ٤١٩-٤٢٠ و٤/ ٢٢٥، ٢٥٧.،و٥/ ٢٠٩، ٢١١، ٢٥٥. و١٤/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) لاحظنا أن لغات الوافدين تفرق فونيميًّا بين باء مجهورة ومهموسـة، لكن المهموسـة لا تسـتعمل في الهجين. ولغاتهم تفرق بين فاء مهموسة ومجهورة، لكن المجهورة لا تستعمل في الهجين. (السوسوة) .

(٤) عن عنصر الخلق في الهجين عمومًا، انظر: بيكرتون، (Bastard Tongues; pp3-9). (السوسوة) .

(٥) غيثان جريس: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**،٥/ ٢٥٥، ومثله في: ١١/ ٦٠-٦١و٣٦٢-٣٦٣. (السوسـوة)

إلى المنطقة كثير من العاملين لا يتكلم أكثرهم العربية، ومن ثم بدأ أهل البلاد يحرّفون ويكسّرون لغتهم المحلية أو العربية حتى يفهم عليهم المخاطبون من هؤلاء العجم"[(١)].

ثامناً: الهجين والمولد لغةً واصطلاحًا:

شخصيًّا، لا أحب في العلم تعريف المصطلح لغة؛ لأنه ما صار مصطلحًا إلّا بتجاوزه المعنى اللغوي المتداول خارج نطاق المختصين، ودونك المعاني اللغوية للهمز والرفع والجر والنصب... إلخ. ما الفائدة من ذكرها؟، لكنّا خشينا إن تجاوزناها أن يؤخذ ذلك علينا. فنقول –وبالله التوفيق–:

١ـ الهجين لغةً:

في لسان العرب: "الهجنة من الكلام: ما يعيبك، والهجين: العربي ابن الأمة لأنه معيب (...) الهجين: الذي أبوه خير من أمه (...) قيل لولد العربي من غير العربية هجين لأن الغالب على ألوان العرب الأدمة (...) الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصان عربي"[(٢)].

وجاء فيه عن المولد: "رجل مولد إذا كان عربيًّا غير محض(...) سمي المولد من الكلام مولدًا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى(...) بينة مولدة ليست بمحققة، وجاءنا بكتاب مولد أي مفتعَل"[(٣)]. وفي المعجم الوسيط: "المولد من الكلام: كل لفظ عربي الأصل ثم تغير في الاستعمال"[(٤)].

٢ـ اللغة الهجين اصطلاحا:

أجمع اللسانيّون الغربيّون على استعمال (pidgin) لما ترجمه الباحثون العرب باللغة الهجين، لم أرَ بينهم خلافًا على اللفظ. وذكر المعجم التأصيلي(على الهواء) أن لفظ(بيجين) ظهر عام (١٨٥٩م) ، ويعود إلى النطق الصيني لكلمة تجارة (-busi ness) في الإنجليزية، ثم جرى بعد ذلك تعميم المصطلح ليشمل أي لغة مبسطة[(٥)].

. هذا هو الواقع وما عرفته وسمعته أثناء تجوالي في مناطق عديدة من المملكة العربية السعودية وبخاصة بلاد السراة وتهامة . آمل أن نرى باحثين جادين يخدمون هذا الميدان معرفيا وبحثيا . (ابن جريس) .

(١) **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ٣٢١/٩.

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**. مادة (هـ.ج.ن) صفحة ٤٦٢٥، **وأخذ المعجم الوسيط**، ص ٧٥ المعنيين ٢و٣منه.

(٣) لسان العرب (و.ل.د) صفحة ٤٩١٦.

(٤) **المعجم الوسيط**، ص ١٠٥٦ .وهذا معنى اصطلاحي قديم. أما المعنى الاصطلاحي للغة الهجين واللغة المولدة، فليس فيه بالطبع، بل إنه غير موجود حتى في "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (٢٠٠٨م) الذي أشرف عليه أحمد مختار عمر، وجمعت مواده ورتبت اعتمادًا على المشباك والحاسوب؛ فتأمل!

(٥) Online etymology dictionary-pidgin، (٨صباح الأحد ١٢مايو٢٠١٩) ، وانظر: إبراهيم أبوحيمد٩٥-٩٦.

ويعرفها موقع(language varieties) التابع لجامعة نيوإنجلاند في أستراليا بأنها: لغة جديدة تنشأ في المواقف التي يحتاج فيها متكلمون من لغات مختلفة لا يتشاركون لغة معينة. تأتي مفردات الهجين من لغة واحدة مخصوصة (lexifier) محدودة تماما في الاستعمال، وقابلة للتنوع في البنية. والهجين الثابت: تطوّر قواعدها النحوية الخاصة المختلفة تماما عن السابقة (...) وقد تتعلم كلغة ثانية، وتستعمل في التواصل بين أناس يتكلمون لغات مختلفة، مثل الهجين النيجيري والهجين السيلاني[١]، وقريب منه تعريف بيتر بيكر[٢]، ويرى ج. هولم أن تعريف الهجين – والمولد- لا يمكن أن يُفهم دون نظر في العوامل الاجتماعية التي منها:

أ ـ أنها ليست لغة أم لأحد في المجتمع اللغوي الذي تستخدم فيه.
ب ـ تتضمّن نشأتها في موقف اتصال اجتماعي كالتجارة وغيرها.
ج ـ تنشأ في ظل عدم تكافؤ القوى بسبب المسافة الاجتماعية بين أصحاب المجتمع الأصلي الذين نشأت بينهم اللغة وبين من يتحدث بها[٣].

ونرى ذلك منطبقًا على العربية الهجين في السعودية، مع استدراك أن ميزان القوى فيها مائل لغةً لغير صالح أبناء المجتمع السعودي، بسبب كثرة العناصر الوافدة وعملهم في كل المجالات، وأنفة المواطنين من مزاولة الأعمال اليدوية ومجاراة الوافدين–إلَّا من شذّ – في لغة التواصل الهجين.

ولم تتحول هذه العربية الهجين إلى لغة مولدة رغم استعمالها في المنطقة منذ (٥٠–٣٥) عامًا على وجه التقريب؛ لأنه لم ينشأ عليها أطفال مواطنون تصبح لغتهم الأم، ولم تتجاوز وظيفة التواصل العملي كثيرًا، فتعالوا لنرى ما تختلف فيه المولدة عن الهجين.

(*) **اللغة المولدة (creole) اصطلاحًا:**

يذكر موقع جامعة نيو انجلاند أن الهجين قد تصبح مولدة إذا بدأ الأطفال في تعلمها على أنها لغتهم الأولى. والمولدة أخذت معظم مفرداتها من لغة أخرى لكن

---

(١) (www.une.edu)، ٧صباح الإثنين ١٥يوليو٢٠١٩م،وهو مؤرخ بـ ١٥ أغسطس٢٠١٧م.

(2) (Bakker; p-pidgins;2008.P 25).

(٣) (Holm;J:An introduction to pidgin & Creole;Cambridge univ press;2004;p68)، وانظر: إبراهيم أبو حيمد ٩٦.ورمزي منير بعلبكي: **معجم المصطلحات اللغوية** ٣٨٠،ومحمد حسن عبد العزيز: **علم اللغة الاجتماعي**(القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠٩م)، ٨٧–٨٨.وانفرد عبدالرحمن الحاج صالح بترجمتها إلى اللغات العلجية!، انظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة،ص٣٥.ووصف مجموعة من الدارسين لَغة التواصل المكتوبة في وسائل التواصل بالهجين وبالعربيزي، وهي ليست موضوعنا. انظر: "لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة"، الرياض ١٤٣٦هـ.

لهــا قواعدهــا النحويــة المتفردة. والمولــدة- بعكس الهجين- ليســت مقيدة باســتعمال معين(...) ومن أمثلتها المولد الجامايكي، والمولد الهاوايي الإنجليزي[١]، وانظر مزيدًا من التفصيل إن شئت في المرجع التالية[٢].

تاسعاً: درجات استعمال العربية الهجين في جنوب البلاد السعودية:

ليس كل المواطنين والوافدين على حد سواء في استعمال الهجين، وإليك التفصيل:

١- كبار السن من الجيل القديم من المواطنين لايستعملونها.

٢- الوافد الذي قدم شــابًّا وطال مكوثه في مجتمع من كبار السن، نجده يتكلم المحكية بطلاقة، لأن هؤلاء الكبار لا يجارونه في لغته الفردية. ولقد وجدتُ بنغاليين في بلاد قحطان وشهران يتكلمون كالقحاطنة والشهرانية تمامًا حتى في تنغيم الجملة، لهذا الســبب. وهناك فلبينية كانت عند عجوز نجديــة لا تتحدث بغير لهجتها النجدية، فصارت الفلبينية نجدية اللغة[٣]. ومع ذلك يستطيع الوافد الشاب استعمال الهجين مع غير من سكن معهم.

- للمواطن الخيار أن يســتعمل الهجين أو لا يستعمله مع الوافد في قضاء حوائجه من بيع وشــراء وبناء وخدمات إلخ، والأغلب-كما لاحظنا- أخذه بالخيار الأول رغبة في سرعة الإنجاز، وإيقانًا أنها أكثر إفهامًا له.

- إذا قدم الوافد وقد جاوز ســن الثلاثين صــعب عليه اكتســاب المحكية، حتى لو طال به الزمن مع المواطنين، ولا خيار أمامه غير الهجين.

- للقدرات الفردية أثرها في فهم الوافد للمحكية إضــافة إلى شدة التعرض لها، وهذا يجعله فصــيحًا فيها إضــافة إلى طلاقته في الهجين على حد سواء. ففي مكتبة نادي أبها الثقافي الأدبي فرّاش وَفَدَ كبيرًا يعمل فيها منذ خمســة عشــر عامًــا، وهو بطيء الفهم جدًّا إذا قورن ببلدييه الشــبّان في إدارة النادي الذين هم فصحاء في استعمال الهجين[٤].

---

(١) ينظر المرجع: (www.une.edu). (السوسوة) . أشكرك يا دكتور عباس على طرح مثل هذا الموضوع المهم،

(2) Muskyne&Norval smith: the study of pidgin and creole languages(JHON BINJAMIN PUBLISHING – AMSTERDAM-1994 pp1-14.BIckerton; Derek:bastard tongues.NewYork :hill&wang inc, 2009.Pp2-22.

وإبراهيــم أبوحيمد: **اللغات الهجينة والمولــدة** ١٠٣-١٠٦.ومحمد علي الخولي: **دراسات لغوية**، عمان: دار الفلاح١٩٨٩م، ص٣١.

(٣) المصدر: الأستاذ صالح التويجري في ١٠ شوال ١٤٤٠.

(٤) لاحظ ذلك: أبو عثمان الجاحظ(ت ٢٥٥): **البيان والتبيين** ١/ ٧٠-٧١.

(*) **أدنى درجات الهجين أن تجد كلمات يفصل بينها سكتات أو وقفات، تخمن أن بينها إسنادًا من نوع ما، وهذا ما نجده عند الوافد الجديد بغض النظر إن كان حديث السن أو قديمة، وبغض النظر عن قدراته الفردية.**

من ذلك أني ذهبت إلى السوق كي أخفف شعر رأسي، فلم أجد الحلاق الذي أعرف، بل وجدت شابًّا مجهولاً فسألته: فين زميلك الثاني؟، فأجاب: واحد - راح-أكَل. (يقصد: الثاني ذهب كي يأكل).

(*) **ومنه**: أن أحد المشايخ أحضر له قريبُه مقاولاً باكستانيًّا للاتفاق على حفر بالوعة للعمارة، فأخذ الشيخ يشرح له بمحكية فصيحة حتى ظن أن مقصده قد فُهم، لكن المقاول رد: شيك – أنا ما في معلوم!، فتدخل قريب الشيخ موجهًا كلامه للمقاول: "صديق- اسمع- أنا في بيّاره هنا- إنتا في إحفُر؟، معلوم؟"، فردّ: "معلوم صديك". (يقصد: يا صديق؛ اسمع، عندي بيّارة هنا، هل توافق على حفرها؟)[1].

(*) **وأفصح درجات الهجين، أو قل متوسطها إن صح التعبير، أن يتوفر فيه الأمور الآتية، حسبما أجمع عليه مساعدو البحث العشرة[2]:**

١- ليس فيه (ال)، وإذا وجدت ففي غير موقعها في العربية غالبًا.
٢- استعمال ياء المضارعة في أماكن الهمزة والنون والتاء.
٣- استعمال (في) لمصاحبة الفعل غالبا. (أتحفظ على تعبيرهم، وسترى التوضيح في أثناء التحليل).
٤- (إذا/إزا) أداة شرط تقوم بوظائف أدوات الشرط الأخرى في المحكيات.

وإذا تساءلنا أيوجد اختلافات في استعمال الهجين من منطقة إلى أخرى؟ فالجواب نعم، ولكنها أقرب إلى الاختلافات الأسلوبية. كأن يقال في منطقة: أجار، وفي ثانية إجار، وفي ثالثة إيجار، وربما قالوا في رابعة: كرى. وكأن يُضم ياء المضارعة مع عين الفعل في منطقة مثل: يُشرُب ويُعمُل، وفي منطقةَ بكسر الياء وعين الفعل، لكن القاعدة واحدة فيها جميعًا: استعمال ياء المضارعة دون أخواتها من الحروف. وقل في غيرها من الظواهر كذلك[3].

(١) المصدر: الأستاذ أحمد علي الغرباني، (١٠ صباح الخميس ١٣ربيع الثاني١٤٣٩هـ) ،في مكتبة نادي أبها الأدبي.
(٢) انظر أسماؤهم وعناوين دراساتهم أو رسائلهم العلمية في صفحات سابقة من هذا البحث. (ابن جريس).
(٣) هذا البحث موجه للمتخصصين في علوم اللغة، وسيكون من الاستخفاف بهم وبالعلم أن نذكر البديهيات، كالمجهور والمهموس والفونيم وغيرها في تحليلنا. لذا لزم التنبيه. (السوسوة) ٠

عاشراً: الخصائص الصوتية للهجين:

نســتطيع أن نعد هذه اللغة الهجين-وهي مختلطة اسـتعمالاً ودلالة من محكية عربية ولغات هندية وفارسية- لغة واحدة ذات تنوعات مختلفة في وحداتها الصوتية/ فونيماتها.

فأما الصوامت المشتركة فهي:/ ء/ ب/ ت/ ج/ د/ ر/ ز/ س/ ش/ ص/ط/ ف/ ق/ك/ ل/ م/ ن/ هـ/ و/ي/.وهذه قلما يحدث في نطقها اختلافات، رغم تعدد اللغات غـير العربيــة. وقلنا: "قلما" احترازًا من ترقيق الصــاد ســينًا، والطاء تــاءً. أمّا وجود القاف في القائمة، فليس سـهوًا ولا خطأ؛ فهو عند المواطنين- على اختلاف لهجاتهم- صــامت، مجهور، طبقــي، انفجاري، وهو المقابل المجهور للـكاف المهموس /g/، وهو في محكيات عُمان ونصف اليمن والمدن المصرية وحدة الجيم.

أما إذا حدثت اختلافات، فهي من قبيل الصور الصوتية للوحدة الصوتية الواحدة (allophones)؛ فالجيم- حتى عند المواطنين-لها صورتان:

أ ـ صامت مجهور غاري انفجاري/dj/.

ب ـ صامت مجهور غاري احتكاكي/j/. وهو المقابل المجهور للشين المهموس.

ج ـ والصورة الثالثة أن يكون زايًا عند بعض الأجانب، مثل: زريده، وزديد وزيزان= جريدة وجديد وجيزان.

والراء عند المواطن: صــامت مجهور لثوي مكرر (ومســتلب في سياقات) ،ونادرًا ما يكون انعكاسيًّا عند بعض الوافدين.

(*) أمــا الصــوامت التــي لا توجد في اللغــات الهنديــة الإيرانية فيمكــن عدها من الديافــون، في اللغة الهجــين. والديافــون(diaphone)، كما عرفه الأصــواتي الإنجليزي دانيال جونز: أسرة من الأصوات تتكون من الصوت الذي ينطقه متكلم في مجموعة معينة من الكلمات مع الأصوات الأخرى المختلفة التي يستعملها متكلمون في نفس اللغة[١].

وفي كتابه الآخر[٢] يقول: يندرج تحت الديافون نوعان من الأصوات:

١- الصــوت الذي يســتعمله جماعة من المتكلمين بالإضــافة إلى الأصوات الأخرى التي تحل محله في نطق متكلمين آخرين. وكل صورة عضو للديافون نفسه.

٢- الصــوت الذي يستعمله شخص في أسلوب معين مع صوت - أو أصوات أخرى- يحل محله في أسلوب آخر[٣].

---

(١) ينظر: JONES;Daniel: THE PHONEME ITS NATURE AND USE: OXFORD UNIV PRESS;1962 P196.

(2) JONES;Daniel: AN OUTLINE OF ENGLSH PHONETICS: OXFORD UNIV PRESS 1967;PP53-54.

(٣) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٤ ص٢٨٥-٢٦٢، ففيه تفصيل غير ما ذكرنا.

هذا ما ينطبق على الهجين الذي ندرسه. فإليك ديافونات الهجين:

- **/ث/صورته الأولى:** مهموس، احتكاكي، بين أسناني.
- **صورتـه الثانيـة:** مهموس انفجاري، أسـناني، مرقق- المقابل للطـاء المفخمة. ومنه في الأعداد اتنين،تلاته،تمنيه/طمنيه، تمانين، تمنطاش. وفي غيرها: تياب وتوب وتلاجه.
- **/ح/صورته الأولى:** مهموس احتكاكي حلقي.
- **صورتـه الثانيـة:** مهموس احتكاكي حنجـري. وقد لاحظنا الصـورتين معا في كلام الوافـد في موقف واحد، ومنه: الحمـد للّه/ الهمد للّه، محمد/مهمد، واحد/واهد، هفريًـة/ حفريًة، محايل/ مهايل،أحسن/أحسـن،هبُوه/ حبـوه. وقل مثل ذلك في: هليبوهيوان وحُرمة وحوش ودلحين.
- **/خ/صورته الأولى:** مهموس طبقي احتكاكي.
- **صورتـه الثانيـة:** مهموس طبقي انفجاري. ونجد العضـوين في كلام الفرد الواحد: خمسة/ كمسة، خلاص/كلاص، خميس/كميس، خمسين/كمسين، خراب/كراب، أخي/أكي، ركيس/رخيص.
- **/ذ/صورته الأولى:** مجهور، بين أسناني، احتكاكي، مرقق.
- **صورته الثانية:** مجهور، أسـناني، انفجاري. وتواترهما في المفردات قليل أصـلاً في المحكية، هاذا/هادا، ذلحين/دلحين. ويكون الزاي عضوا ثالثا أحيانا في مثل: هازا شطّة في؟ زبيحة.
- **/ظ/صورتـه الأولى:** مجهور، بين أسـناني، احتكاكي، مفخم. وهو في المحكية محل وحدتي الضاد والظاء في المستوى الفصيح.
- **صورتـه الثانيـة:** مجهور، لثوي، احتكاكي، صـفيري. مثـل: رياز/الرياض، زروري/ ظروري،زلم/ظلم،نظر/نَزر، ظمير/زمير.
- **صورته الثالثة:** (وهي أقل) أن يصير دالاً مثل: ضعيف/دعيف، بردو/برضو=أيضًا.
- **/ع/صورته الأولى:** مجهور، حلقي، احتكاكي.
- **صورته الثانية:** الهمزة المحققة في كلمات، وقد توجد في نطق الفرد الواحد في موقف واحد. مثل: علي/ألي، عمارة/أمارة، تعب/تأب، بعدين/بأدين.
- **صورته الثالثة:** الفتحة الطويلة في كلمات أكثرها شيوعاً الأعداد المركبة (١١-١٩) مثل: سـتاش(١٦)، تمنطاش (١٨) ، اربطاش(١٤) إلخ. أما حذف الراء فيها فهو شـائع في محكيات المواطنين أنفسـهم. ويزيد على ذلك كلمـة معلوم بمعنى: فاهم،

موافق، عارف، تصبح مالوم، والضمير بَعِدين/بادين.

- **/غ/صورته الأولى:** مجهور، طبقي، احتكاكي.
- صورته الثانية: مجهور، طبقي، انفجاري، ومنه غنم/قنم، يبقى/يبغى، شغل/شوقل،غريب/قريب= فقير، قالي/غالي[١].

(*) **الحركات في الهجين :**

هي الحركات في العربية: الفتحة القصيرة، والكسرة القصيرة، والضمة القصيرة، والفتحة الطويلة، والكسرة الطويلة، والضمة الطويلة، والخفضة والرفعة طويلتان وقصيرتان /o/ /oo//e/ /ee/. وإذا كان من تنويعات فهي في إطار ما في محكيات المواطنين، لكن يحدث لبعض الحركات إطالة في بعض الألفاظ وهي قليلة مثل: شُغل تنطق شو گلوشو گول،كلَّه: كلّوه، حبُه/حبوه. والأدهى من ذلك العبارة الشهيرة لا حول ولا قوة إلا بالله، تصبح: لا حولا...اَلخ. وَفي مدينة أبها، في حي شَمَسان، جوار جامع الإحسان عمارة نحت بالجبس نحتًا على مدخلها ومصعدها والدور الأول(ما شاء الله لاحولا ولا قوة إلا بالله) خمس مرات، ولما خوطب وكيل العمارة في أن ذلك حرام؛ قال: إيش دخلك[٢]!!

الحادي عشر: الخصائص الصرفية للهجين:

نتناول هنا طرق بناء الكلمة، وما يكون دلاليًّا بمثابة الكلمة الواحدة، كالوحدة المركبة من مضاف ومضاف إليه ونحوها. ونبدأ بأن الهجين لا تصريف لها كالعربية، في حين أن مكونيها من المحكيات العربية، واللغات الأصلية للوافدين فيها سوابق ولواحق للدلالة على معانٍ نحوية ومعجمية، وفي أفعالها تصريف في الصيغ... إلخ ماٍ سنراه من خلق جديد، لا هو عًربي ولا هندي ولا فارسي؛ بل يأخذ من كل مقولة منها بحظ، ويترك منها مقولات.

والعربية -بكل محكياتها التي نعرف- اشتقاقية في المقام الأول وفيها لواصق صرفية للدلالة على وظائف صرفية نحوية، في حين أن اللغات الهندية الإيرانية لغات تعتمد على اللواصق وفيها اشتقاق، وتخلو من وحدات صرفية في مقابل العربية، وفي هذه اللغات وحدات صرفية لا توجد في العربية.

---

(١) شكر الله لك يا دكتور عباس فبلادنا (سراة وتهامة) مليئة بالتراث التاريخي والفكري والحضاري واللغوي، وما ذكرته فقط نماذج قليلة ، وهذه الأوطان تستحق أن تدرس في شتى الميادين ، وهي من مسؤولية الباحثين والجامعات المحلية وكلياتها وأقسامها العلمية .(ابن جريس)٠

(٢) من يتجول في الأسواق والشوارع والأحياء والمدن في بلدان السروات وتهامة فإنه يرى اعلانات وعبارات وكلمات كثيرة غير عربية ، وبعضها عربية لكنها مكتوبة بطرق غير صحيحة في حروفها وألفاظها ومعانيها. (ابن جريس) ٠

١ـ في التعريف والتنكير:

اللغة الهندوسـتانية/ الأردية[١] لا تعرف ما يقابل (ال) التعريف في العربية، سواء كانت للعهد أو للجنس أو للمَح الأصـل. فالكلمات: مكان(بيت) مَندير (معبد) ،مسجد، روتي(خبز) ، شكشَك(مدَرّس) تحتمل التنكير والتعريف، فكلمة كتاب: قد تعني الكتاب المعيّن المعهود، أو جنس الكتب، والمقام (contextof Situation) هو الذي يحدده، لكنهم إذا أرادوا التنكير والعموم أو الإفراد سـبقوه بكلمة إيك (=واحد) ، فقالوا: إيك كتاب، إيك مكان، إيك مَنزِل (=دَورٌ) ، إيك تَلوار=سيفٌ، إيك رَسته (طريقٌ) ...[٢].

والفارسـية كذلـك لا تعـرف مثل (ال) ، وإذا أرادت تنكير اسـم سـبقته بكلمة يَك (واحد) مثل: يك مَرد=رجل، يك زَن= امرأةٌ، يك شير =أسدٌ[٣].

ويعـرف المعـرّف بأمـور، منهـا: أن يكون عَلَمًـا ، أو منـادى،أو مفعولًا بـه مع (را) المفعولية، أو مشارًا إليه[٤].

وفي العربيـة أعلام، مثل: عمر الخيام تقوم الكسـرة الخفيفة مقـام (ال) فيقال: عمرِخيام،حافظِ شيرازي،عمادِ أصفهاني[٥].

أما في الأردية والهندية، فبدون كسرة، فيقال في مثل: الملك فهد، الشيخ زايد: شاه فهد، شيخ زايد[٦].

وهـذا شـائع في الهجـين. وفي المحكيات العربية نجد من اسـمه: علي الشـهراني، حسـن العسيري إلخ، ومثل ذلك يصير في الهجين: علي شهراني، حسن عسيري، أحمد قحطاني، سعيد يمني، عماد مَصري.. إلخ.

وفي غـير الأعلام، تضـاف النكرة إلى معـرف بـ (ال)في المحكيـات العربية، مثل: أول الشـهر، آخر اليوم، صلاة الصبح، راحة البدن، تَصير في الهجين: آخر يوم، صلاة صبح، راحت بدن[٧].

---

(١) يعدهما اللسـانيون الهنود لغة واحدة من حيث قواعد الصـرف والنحو، مع اختلافهما في قسم من المعجم. لذا لزم التنبيه على أن هذا ليس سهوًا منا في الاستعمال. (السوسوة) .

(٢) ينظر TIWARI.K.M: GRAMMAR OF HINDUSANI LANGUAGE(PATNA;AMRAPURKARPUBLISHERS;1981)P33.

(٣) عفاف زيدان وآخرون، اللغة الفارسـية نحوها وأدبها وبلاغتها (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصـرية١٩٧٦)، ١٢.(السوسوة) .

(٤) نفسه ٩٦–٩٧. (السوسوة) .

(٥) نفسه ٩٧. (السوسوة) .

(٦) ينظر:تيواري: قواعد اللغة الهندوستانية ٣٤. (السوسوة) .

(٧) وإذا نظرت في فهرسـت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأردية وجدت:نام سـورت: اسم السورة، صفحه

ولعدم الإحساس في هذه اللغات بأداة التعريف، نجد في الهجين ما لا يوجد في العربية ولا في هذه اللغات أنفسها؛ كأن يقال: أنا انتزار(في انتظارك) في موسم الأقادير. والمراد: في مواسم أغادير. وهي بناية سكنية فندقية، سميت بالبلدة المغربية أغادير.ويقال: معلم سعيد الباكستاني، يقصد: المعلم سعيد الباكستاني. وفي مدينة أبها لافتاتٍ شوارع: المعتصم بن رشيد،الجعفر بن علي، حصين بن همام(يقصد: الحصين بن الحُمام).السبط بن الجوزي. ومثل هذه الظاهرة الجزئية قد رصدت قبل خمسة عشر عامًا تقريبًا[١].

٢ـ في التثنية والجمع:

ليس في الهندية تثنية، بل فيها مفرد وجمع؛ فالتثنية داخلة في الجمع، أما إذا أرادوا تحديد مثنى، فإنهم يسبقون الكلمة بلفظ دو= اثنين؛ فيقال: دو مرد= رجلان، دو أورَت= امرأتــان،دو كُتَّه= كلبان، دو بللي= قطتان، دو رَســته= طريقان، دو كَمبا=عمودان[٢]. وفي الفارسية مثل ذلك، يقولون: دو زَن= امرأتان، دو بِسَر= طفلان[٣].

والجمــع في الفارسـية قياسـي؛ فما كان ذا روح جمــع بإضــافة (ان) على مفرده، مثل:مــردان =رجــال، زَنــان= نســاء، بــادران= آباء،مــادران= أمهــات، أسـبان= فرسان،شيران=أسـود. ومــا كان من الجماد وأسـماء المعاني جمع بإضـافة(ها) على مفرده، مثل: كوه ها= جبال، كتابها= كتب،دانشـها= المعارف، بَخششها=العطايا[٤]. وما كان من أعضـاء البدن زوجًا، أو من النباتات النامية، والأشـياءَ التي تتغير وتتبدل فيجوز الأمــران مثل:روز=نهار/يومجمعه روزها/روزان. وفي الفارسـية كلمات جمعت كالعربية بإضافة ات ،مثل:دِه=قرية،باغ=حديقة جمعتا: دهات، وباغات[٥].

أمــا الهنديــة فليس لها طريقــة واحدة في الجمــع وعلامة الجمع لواصــق حركية؛ فـ(كتــه) =كلب يجمع على كتو، و(دوســتو) = أصــدقاء، وبهنو= أخــوات مفرده بِهِن،

نمبر = رقم الصـفحة. وتجد: سـورة فاتحة، سورة ناس، سورة فلق، إلخ الكتاب الكريم، ولا داعي للتوضيح أكثر. (السوسوة) .

(١) عبـد المؤمن بـن عبد الله القـين: تعقيب على ملاحظـات حزينة، **مجلـة الفيصل**، العدد ٣٤٨، (سـبتمبر ٢٠٠٥م).ونبهنا الأسـتاذ حسين منصور الشـيخ إلى أن المسلسل التلفازي (طاش ما طاش) في حلقات منه كانت الهجين لغة الوافد الشارد.(السوسـوة) أقول إن المتأمل في لغة الناس ولهجاتهم في مناطق عسـير ، والباحة ، وجازان ، ونجران سـوف يلاحظ ميدانا رحبا لإجراء ودراسـات علمية لغوية ميدانية . أرجو من أسـاتذة أقسـام اللغة وآدابها في الجامعات المحلية أن يلتفتوا إلى هذا المجال فيدرس دراسـة توثيقية علمية تحليلية . (ابن جريس) .

(٢) تيواري: **قواعد اللغة الهندوستانية** ٣٦.

(٣) ينظر عفاف زيدان: **اللغة الفارسية** ١٠٠.

(٤) عفاف زيدان ١٠٠-١٠٢.

(٥) المرجع السابق١٠٣.

(بيُـو) = إخوة مفرده باي/ بهاي، وغريبي= فقراء مفرده غريب، و(أميري) = أغنياء مفرده أمير[١]. وكثير من الألفاظ جمعها ومفردها سواء والسياق يحدد المقصود، وفيها ألفاظ عربية مجموعة كما هي. وجدَ فيها إضافة /s/أو/es/إلى بعض الأسماء التي تعد أو يمكن عدها، مثل: روبيز جمعًا لروبية[٢].

المحكيات في السعودية فيها تثنية في الأسماء بإضافة اللاحقة/ين/=/een/ مثل: ريالين، بنتين، سيارتين، طالبين، سنتين، ولدين، كبشين، ثوبين،شهرين، يُومين، دُورين، عمارَتين[٣]. لكن ذلك لايسـرَي على جميع المَفـردات؛ لأن التثنية اندمجت بالجمع. أما إذا أرادوا النص على التثنية، فإنهم يسبقون الكلمة باثنين وثنتين لاسيما في التفريق بين الألفاظ الدالة على الجنس، كقولهم: اثنين رجال وثنتين حَريمَ[٤]. أما أعضاء الجسم المزدوجة كالعينين، فتستعمل بصيغة الجمع مثل: عيونه كبار ويدينه بيظ/بيض[٥].

فتقلص ظاهرة التثنية في المحكيات، ووجود التثنية فيها بتقديم العدد اثنين وثنتين قبل المفـرد، وعدم وجودٍ تثنية في اللغات الهندية الإيرانيـة إلا بذكر (دو) قبل الكلمة، كل هذا جعل في الهجين ألفاظًا منتهية بـ (ين) كالمحكيات، وألغى ثنتين وأبقى على اثنين للجنسين، وما بعده يأتي غالبًا مفردًا، ويأتي بالجمع نادرًا، مثل: اتنين ريال، اتنين سنه،اتنين بزوره، اتنين شـهر، اتنين بنت، اتنين زبون، وليس فيها اتنين ميه بل ميتين، فكأنها وحدة معجمية مسـتقلة، وحتـى الجمع في الهجين لا يسـتعمل بصـيغه في المحكيات العربية، بـل على أنه مفردات تستعمل كما هي: عمارات، بيوت، سيارات، مسلمين، كفار.. إلخ.

ولم نجد في المادة الهجين التي بين أيدينا اسـتعمالاً للواحق الجمع في غير العربية، كالذي نقله الجاحظ عن أبي الجهير الخراسـاني: شـريكاننا في هوازها وشريكاننا في مداينها وكما تجي تكون[٦].

---

(١) ينظر تيواري: <u>**قواعد اللغة الهندوستانية**</u> ٣٨.

(2) SINGH;NAGESHWAR; Morphology of Hindi Language(PATNA; AMRAPURKAR PUBLISHERS;1992)PP49 – 50. SHIROMANI;R:Noun Pluralization in Hindi(Hyderabad:centeral institute of English and ForeignLanguages ;1988) p4.

(٣) محمد بن باتل الحربي:<u>**اللغة المحكية في حوطة بني تميم**</u> ص١٣٩، وسوسن الفيفي:<u>**خصائص الأبنية والتراكيب في لهجة فيفا**</u>، ص٣٣.

(٤) سوسن الفيفي:<u>**خصائص الأبنية والتراكيب**</u>،ص٣٤، وتهاني الوادعي:<u>لهجة ظهران الجنوب</u>، ص٣٦.

(٥) انظر:<u>لهجة ظهران الجنوب</u> ص٣٦-٣٧.ومحمد صالح المشاجرة: <u>**لهجة الأحساء**</u>، إصدارات نادي الأحساء الأدبي ٢٠١٨م،ص٢٤١-٢٤٥.

(٦) ينظر: الجاحظ <u>**البيان والتبيين**</u> ١/١٦١-١٦٢.وملاحظة المحقق الفاضل عن جمعها بِ (ان)في الفارسية، وإغفاله الطريقة الثانية (ها).

٣ـ في التذكير والتأنيث:

اللغات الهندية تفرّق بين الأسماء في الجنس إلى مذكر ومؤنث، وليس فيها محايدٍ، وفيهـا طائفة مـن الأسـماء الجامدة مقسـمة إلى مذكر ومؤنـث[١]. لكن ليس شـرطًا أن يُطابـق المذكـر فيها مـا هو مذكر في المحكيّـات، ولا يُطابق المؤنـثُ المؤنثات العربية. فـ (روتي) = خبز، و(شـولي) = سـوار، مؤنثات في الهندية، في حـين أن مقابليهما في العربية مذكران. ويسـتثنى منها اللغات الكجراتية والماراثية والسـنهالية، ففيها مذكر ومؤنث ومحايد. كما جاء عند لسانيين هنود، وفي موسوعة بريتانيكا المشباكية[٢].

واللغات الإيرانية -بإطلاق- ليس فيها تذكير وتأنيث لا في الأسماء ولا الصفات ولا الضـمائر[٣]، وإنما يسـتفاد ذلك من معاني الكلمات نفسها: سـعاد رفت، محمد رفت، يقابلان: ذهبت سعاد، ذهب محمد، وضمير المفرد الغائب (أو) للجنسين هو وهي[٤].

وكلمة (شـير) تدل على الأسـد واللبؤة، و(شُـتُر) تدل على الجمل وأنثاه، و(خُر) للحمـار والأتان، و(ميش) تدل على الخروف والنعجة، وإذا أريد تمييز الجنس أضـيف بعد كلمة (نر) =للمذكر، و(ماده) للمؤنث، فيقال: خر نر=حمار ذكر، خُر ماده=حمار أنثى=أتان. وإذا أُريد التمييز في حالة المهن وضـعت بعد الكلمة (زن) للأنثى، و(مَرد) للرجل. يقال: نوكَر زن، نوكر مرد=خادمةٌ وخادم[٥].

(*) أمـا المحكيـات العربيـة في السعوديـة، فمـن نافلة القول أنهـا تميز بين المذكـر والمؤنث في الأسمـاء والصفات، والضمائر بجميع أنواعهـا[٦]، وفي الأفعال، لكن المهم في حالتنا هذه أن الهجين ليس فيها تمييز في كل هذه الجوانب، ففيها:

أـ هوّ حُرمه كبير.
ب ـ ماما مرتاح، بابا مرتاح.
ج ـ واحد أخت موجود.
د ـ أخت تعبان كثير.
هـ ـ هادا عماره، شو گلو زيادة.

(١) شيرومني: جمع الأسماء في الهندية ٥.

(٢) موسـوعة بريتانيـكا (اللغـات الهندية) تاريـخ الدخـول ٢٥/٥/ ٢٠١٩، السـاعة ١١ص، وانظـر: تيواري: Indo-IranianLanguages Family, (Patna: Amrapurkar Publishers 2000) P84.

(٣) حليمة منصور: أثر اللغة العربية في اللغة الأردية.. دراسة لغوية، ص٤٩. في البشتوية تذكير وتأنيث في الأسماء.

(٤) عفاف زيدان: اللغة الفارسية ص١٣.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص٩٧-٩٨.

(٦) نستدرك فنقول: إن المحكيات السعودية لا تميز في الجمع بين مذكر ومؤنث في الضمائر والأفعال، فالرجال خرجوا والبنات خرجوا من بيوتهم... إلخ.

و ـ هو حرمه كويّس مسكين.
ز ـ هوّ يبقا (يبغا) فكّوه (هي تريد الانفصال).

٤ - في صيغ الأفعال:

صيغ الأفعال الرئيسية في العربية ولهجاتها ثلاثة: فَعَل، يفعل، افعل. وهي التي اصطلح عليها بالماضي والمضارع والأمر. ولكل منها سوابق صرفية تدخل عليها لتدل على التعدية، أو الصيرورة، أو الطلب وغيرها، وسيكون من التكثر غير العلمي أن نشرح أو نمثل لما أجملناه.

والذي يحسُنُ النظر في لغات الفصيلة الهندية الإيرانية، ففي اللغة الفارسية يلحق بالفعل ضمائر تدل على الفاعل مفردًا وجمعًا، للغائب والمتكلم والمخاطب[١]، فالفعل الماضي آمد=ذهب، يصاغ مع الضمائر على النحو الآتي: آمدم=جئت، آمد=جاءَ، آمديم=جئنا، آمديد=جئتم، آمدند=جاءوا[٢]، وفيها سوابق تفيد استمرار الفعل، مثل: مي رفت= كان يذهب، همي داد=كان يعطي. وغيرها[٣]. وفي نحوها: الماضي المطلق والماضي الناقص أو الاستمراري، والماضي القريب، والبعيد[٤].

(*) ولو قابلنا بين اللغة الهندية والعربية في الفعل فَهِم= سمجها، في بعض التصاريف لوجدنا:

- مي سمجها = أنا فهمت.
- هَملوگ سَمَجهي = نحن فهمنا.
- اوسني سمَجهي= هي فهمت.
- مي سمجها تاهو=أنا أفهم/ أنا فاهم.
- هملوگ سمجهاتي هو= نحن نفهم/ نحن فاهمون.
- مي سمجهونكا= أنا سأفهم.
- هملوگ سمجهنكي= نحن سنفهم[٥].

والخلاصة: إن هذه الاختلافات أدت إلى أن تصير الأفعال الرئيسية في الهجين على النحو الآتي:

---

(١) من قبيل التكثر أن نذكّر أن لا تأنيث فيها، ولكن هذا للتنبيه، ولن نعيده.
(٢) ينظر عفاف زيدان: اللغة الفارسية ص١٠.
(٣) نفسه ص١٧٧.
(٤) نفسه ٣٤–٤٣، وعن المضارع فيها ٤٣–٥٠.
(٥) سينغ، ناجشوار: مورفولوجي ص٥٧–٦٩. وينظر:تيواري: قواعد اللغة الهندوستانية ص٤٦–٤٨.

١ـ فَعَل وأخواته:

وهو السـائد في الدلالة على ما مضـى بجميع تفريعاته، مثل: راح، جا، قال، هَرَب، سـافَر، مـات، أكل. ويغلـب أن لا تلحق به ضـمائر الفاعل بأنواعـه (المتكلم والمخاطب والغائب)، بل يقدم الضمير المنفصل عليه، ومنه.

- أنا راح=رحتُ/رحتَ.
- هو (للجنسين) راح.
- هم سافر=سافروا.

٢ـ يفعل وأخواته:

وهو السـائد في الحال والاسـتقبال وتفريعاته، للمتكلم والمخاطـب والغائب مفردًا وجمعًا، مثل:

- أنا يروح مسجد=أنا أذهب إلى المسجد، أنا ذاهب.
- أنتا يشرب شاهي=أنت تشرب شاهي.
- أنت يِبْكًا يودّي شورته=أنت تريد الذهاب للشرطة.
- كتير باكستاني يروح عُمره= أكثر الباكستانيين يذهبون للعمرة.
- هو يبقا المتر بكم؟=بكم يريد المتر؟/هو يريد المتر بكم.

وأقل منه شيوعًا حذف الياء والهمزة، مثل: أنا سوّي أكل، من فين أنا جيبو فلوس؟ ومثله في القلة استعمال: /ءِ/ مثل:انتا فيه إدفع، انت ارجع مكتب.

٣- صيغة الطلب:

وهي صـيغة الأمر في المحكيّات، والمفضـلة هي التي تشبه (افعل) و(فَعِّل) وما جاء من المعتل الوسـط مثل: روح، سـير، هات. وقد تخرج إلى أن تصـير أفعالا مسـاعدة في الماضي، أو لا تدل على الأمر.

الثاني عشر: الخصائص النحوية للهجين العربي:

(*) للجملـة في اللغـة الفارسية واللغات التي تشترك معهـا في فصيلة واحدة هيكل عام: مسند إليه + مسند + رابطة . وهذه نماذج متنوعة لها[(١)]:

١. مصر+ آبادان+ است = مصر عامرة.
٢. شَب+ تاريك+ است = الليل مظلم.

---

(١) ينظـر: عفـاف زيدان: اللغة الفارسـية ص٧٨–٧٩، ومهدي مشـكاة الدينـي: النظرية اللغوية بين النشـأة والتطور، ترجمه من الفارسية حمدي إبراهيم حسن، جامعة الملك سعود بالرياض ٢٠١٥م، ص ٣٩.

٣. روز+ روشن+ است = النهار مضيء.
٤. هوا+ سَرد+ است = الجو بارد.
٥. آب نيل+خوش+است =ماء النيل عذب.
٦. اللّه+ كريم+ است= الله كريم.
٧. آب دَريا+ تلخ+ است= ماء البحر مالح.
٨. خاموش شـدن+ بهتر ازدروغگفتن+ اسـت= لزوم الصمت أحسن من قول الكذب.
٩. دانش+ گنجي+ است= العلم كنز.
١٠. اين مرد+ زيرك+است= هذا الرجل ذكي.

(*) **يلاحـظ أن المسنـد إليه جـاء اسمًا صريحًـا مفردًا، ومركبًـا من مضاف ومضـاف إليه، وضمـير إشارة مع المشار إليه. وجاءت الرابطة (بمعنى يكون) في نهاية الجملة. ولهذه الرابطة أشكال غير التي ذكرنا، مثل:**

- انان + استادان+ هستند= هؤلاء أساتذة (يكونون) [(١)].

وبعض الجمل التي فيها فعل لايستلزم مفعولاً تأتي بغير رابطة، مثل:

- نور+ آمد= النور جاء.
- شما + شنويد=أنتم تسمعون [(٢)].

والجملة العربية- سواء في المستوى الفصيح أو في المحكيات- ليس فيها ما يشبه هذه الرابطة، فضلاً عن أن يكون موقعها في نهاية الجملة. والجملة في اللغة الهندية والأردية لها الهيكل العام نفسه، فلا بد من الرابطة/he/ وأخواتها، ففيها:

- ميرا نام + عباس+ هي= اسمي عباس.(يكون).
- دوبي+ كها + هِي= دَوبي أين (يكون) [(٣)].

ولعل هذا يفسـر ورود الرابطة (في) في اللغة الهجين موضـوع الدراسة؛ لأنها تقوم مقام الرابطة في اللغات الهندية الإيرانية، إلا أنهم لم يجعلوها في نهاية الجملة. ومنه:

- عمل(فيه) تمام= العمل تمام.
- هادا(في) ركيص= هاذا رخيص.
- أنا (في) مريز= أنا مريض.

---

(١) ينظر المرجع نفسه ص١٢١.
(٢) نفسه ص ٨٠.
(٣) ينظر تيواري: قواعد اللغة الهندوستانية ص٦٢-٦٧.

- أنا (ـ۾) عبّي كرتون= أنا أعبي الكرتون.
- انتَ(ـ۾/فيه) مبسوط= أنت مبسوط.
- أنتا (فيه) روح= أنت تروح.
- دُكتُر عباس (فيه) زواج = الدكتور عباس متزوج.
- هوَ (ـ۾) يكتب= هو يكتب.

وهذه الرابطة تستخدم أيضا ـ۾ النفي، مثل:

- أنا ما (ـ۾) هيوان = أنا لست حيوانًا.
- أنا ما (ـ۾) معلوم كلام عربي=أنا لا أعرف الكلام العربي.

ولـ (ـ۾) اســتعمالات نحوية غير كونها رابطة سنذكرها ـ۾ مواضعها، إن شاء الله. لذلــكَ ليس من الصــواب-من وجهة نظر لســانية وصــفية- أن نزعم أنهــا الجارّة كما جاء عند الدســوقي، سبقت أفعال الأمر والماضــي والمضارع واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة[١].

فصــيلة اللغات الهندية الإيرانية لا تعرف ـ۾ نظامها النحوي الجملة الفعلية، التي تتكون ـ۾ هيكلها العام من: فعل + فاعل+ مفعول به. كما نعرفها ـ۾ العربية. ذلك أنها لا تبــدأ بالفعل، بل الفعــل مكانه غالبًا نهاية الجملة، والجملة الفعلية هي التي تحتوي على فعل. وهي حسب هذا الهيكل:

اقرأ من الشمال S+O+V[٢]، وإن شئت قلت:
فاعل+ مفعول به+ الفعل. ومنه ـ۾ البنغالية:

- آمي+ دود+ بانا+ گرَبو= أنا+ اللبن +أشرب+ سوف= أنا سوف أشرب اللبن.

أمــا الجملــة الفعليــة ـ۾ الفارسية حســب هيكلها العــام الذي قدمنــا، فإنها تستعمل(را) أداة المفعولية مثل:

- طعام را+ خوردم= الطعامَ أكلتُ/ أكلت الطعام.
- محمد + درس را+ نوشت= محمد+ الدرسَ+ كتب.

(١) إبراهيم الدسوقي: **العربية لغة هجين على ألسنة الهنود ـ۾ سلطنة عمان**،١٩٥-١٩٧.
(٢) Tiwari: Indo-Iranian Languages Family, pp166 – 167، وانظــر: مهــدي مشــكاة: **النظرية اللغوية** صفحات ١٨٩، ١١٣، ١١٠.

أما إذا كانت الجملة من غير مفعول، فالفعل في آخر الجملة، مثل:

طار البلبل من القفص= بلبل+ از قفص +بريد. (حرفيًّا: البلبل من القفص طار).
خرج التلميذ من البيت= شاكرده+ از خانه+ بيرونآمد (حرفيًّا: التلميذ من البيت قد خرج) [1].

ولعل هذا يفسر ندرة استعمال الجملة المبدوءة بفعل في الهجين، إذا استثنينا أفعال الطلب: الاستعطاف والرجاء والأمر منها؛ لأنها تستعمل كاستعمال النداء، يعقبه المطلوب.

والآن دعنا ننظر في أنواع الجمل: الاستفهامية والمنفية والشرطية. فأما المثبتة فقد مر بنا كلام عنها فيه كفاية.

(*) **الجملة الاستفهامية:**

وهي نوعان: نوع ليس فيه أداة استفهام، والثاني فيه أداة استفهام.

(*) **النوع الأول:**

فقد حل فيه تنغيم الاستفهام محل الأداة التي تتطلب تصورا مثل الأداتين: هل والهمزة في المستوى الفصيح، وهو موجود في كل اللغات التي نعرف. ومنه في الهجين:

أ ـ سوي طعمية؟ سوي مشكّل؟ سَلَطَة؟

ب ـ انتا يبغا مقلي؟، صامولي؟
ج ـ هاذا للبيع؟ عندك أمواس جِليت أزرق؟
د ـ لازِم كمرا؟
هـ ـ انَت يكتب هازا في مَكَزين؟ (أنت ستكتب هذا في مجلة).

وقد مكثت يومًا في بوفية الشباب، ثلاث ساعات متواصلة – وزبائنها كثر- فلم أسمع فيها من أدوات الاستفهام غير اثنتين: أيش، وكم/ بكم؛ إذ كان التنغيم هو السائد سواء عند البائعين أو الزبائن.

(*) **النوع الثاني: الاستفهام بأداة تتصدر الجملة أو تتذيّلها. ومن ذلك:**

١ - أيش هادا / إيش هادا؟

- ايش يبغا انت؟، أيش شغل هذا؟، ايش مشكلة؟
- ايش فرق شوكل مقربي ولّا باكستاني؟
- ولد اخت انتا، شغل ايش هو؟

---

(١) ينظر عفاف زيدان: **اللغة الفارسية** ص ١٧. ومهدي مشكاة: **النظرية اللغوية** ١٦٣،٢٦٢، ٢٧٨، ٢٨١، ٣٠٠. **وصالح ماجدي: معجم التعابير العصرية**،عربي-فارسي،ص١١-١٦.

وواضح أنها تقابل في الفصيح: ما؟ وماذا؟

٢ - ليش؟

أ ـ ليش هاذا مكان دايم مِكَفِل؟
ب ـ ليش ما في روح سوده؟
ج ـ ليش انت غالي؟
د ـ هو في روح بنجاب ليش؟
هـ ـ ليش انت كَرْكَر زياده؟ = لماذا أنت تثرثر كثيرًا؟

وواضح أنها تقابل في الفصيح: لماذا؟، ولكليهما: (أيش) و(ليش)، وجود في التراث العربي الفصيح والملحون[1]. ومن الغريب أنهما موجودان في الهجين العربي في عمان في دراسة الدسـوقي[2]، الذي أسرف في تشريح مكونات الجمل، في حين غابت (ليش) من دراسـة المعشـني العماني نهائيا!![3]. ولهما في محكيات السعودية أشكال متعددة، منها عليش، ووِشْ، وبِيش[4].

٣ - كيف:

أ ـ كيف الحال؟ كيف حال انته؟
ب ـ كيف انا ما يبگا فلوس؟
ج ـ انا ما دري كيف؟؟

٤ - كم:

أ ـ كم سنة أنت في مملكة؟
ب ـ كم حساب؟ بكم سندوتش طعمية معا جبن وشبس؟
ج ـ هاذا بكم؟/ هاذا كم؟
د ـ كم إيجار محل في السنة؟
هـ ـ بكم فلوس هذا الكبش؟
و ـ كم يشيل أجار؟ كم يبغا أجار؟

---

(١) انظر: عباس علي السوسوة: **قد اليمنية.. دراسات في الأبنية والنحو والاقتراض المعجمي** ٩٦-١٠١.

(٢) انظر: إبراهيم الدسوقي ١٩١-١٩٢.

(٣) انظر: محمد سـالم المعشـني: **دراسة في الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية للغة الهجين في سلطنة عمان** ٢٧١.

(٤) انظر محمد المشاجرة: لهجة الأحساء ٢٠٧، وتهاني الوادعي: **لهجة ظهران الجنوب** ١٦٧-١٧٢، وفي لهجة فيفا ماتنفرد به ٣٦-٣٧.

ز ـ كم سوي متر؟ يعني فلوس كم؟
ح ـ كم إجازة؟
ط ـ كم عمر كلو ولد؟
ي ـ كم بزورة انت يا رمزان؟

٥- أيحين/ متى؟

أ ـ أيحين يجي دُكتر فوزي من عُمرة؟
ب ـ أيحين دجاج جديد يجي حق وطنية؟ (متى يجيء دجاج الوطنية الجديد؟).
ج ـ متى أبو قاسم سفر؟
د ـ متى في خلاص؟ (متى ينتهي؟).
هـ ـ شغل متى في خلاص؟ (الشغل متى ينتهي؟).

٦- فين/ وين/ أين؟

أ ـ فين أبو رياز يروح؟
ب ـ فين إقامة حق حرمة؟
ج ـ أنا فين جيبو فلوس؟ (من أين آتي بالفلوس؟).
د ـ وين يروح انت بعد صلاة جمعة؟

يلاحظ أننا رتبناها حسب شيوعها في الهجين، ولها أشكال أخرى في المحكيات: مِنين/ منوين/ عَلَوِين[1].

٧- من/ مين: للسؤال عن الشخص، مثل:

أ ـ من هو؟ من أنت؟ من هاذا؟
ب ـ من قزاز السيارة كسِّر؟ (من كسر زجاجَ السيارة).

(*) **الجملة المنفية:**

النفي الغالب في الهجين باستعمال الأدوات: لا وما ومش وما فيش.

١- لا: هي أداة للنفي مطلقًا والإنكار مطلقًا. للرد على سؤال قصير أو طويل، يردّ بذلك المواطن والمقيم على حد سواء ومنه:

أ ـ با تسافر هاذي السنة يا سراج؟ لا.
ب ـ هذا المحل الجديد حقّك؟ لا. هاذا حق أفغاني.

(١) تهاني الوادعي: لهجة ظهران الجنوب ١٦٩.

ولها في المحكيات استعمالات أكثر[١].

٢- ما: أمُّ أدوات النفي في العربية الهجين، إذا ما استعملنا عبارة نحاتنا القدماء، لأنّ التراكيب التي ترد فيها متنوعة. ومنها:

أ- هادا عمل كورنيش ما في عَلَيَّا (عمل الكورنيش هذا ليس علي).
ب- مشكلة، بنقالي يشيل، كفيل ما يشيل. (مشكلة البنغالي يتحملها وكفيله لا).
ج- انا ما في معلوم عربي. (أنا لا أعرف العربية).
د- هو ما حصل فايدة زيادة. (لم يجد ربحًا أكثر/ ما وجد ربحًا).
هـ- ما في خوف جدار يطيح. (لا خوف من انهيار الجدار).
و- ما في صكير، هاذا يمكن أكَل عشرين نفر (ليس صغيرًا، هذا يمكن أن يؤكِل عشرين فردًا).

ز- أنت ما يبغى يسوي مساعدة. (أنت لا تريد المساعدة).

فرأيناها أدت وظيفة (لم)، ووظيفة (لا) النافية للجنس، ونفت الماضي والحاضر.
وفي المحكيات شيء من هذا مع اختلاف في ترتيب المكونات[٢].

٣- مش- بضم الميم وبفتحها- وهي: تنفي بقلب معنى ما بعدها[٣]، مثل (غير)؛ فصحيح يقلب في (غير صحيح). ومنه:

- مش معلوم (غير معروف= ليس معروفًا).
- ديزاين مش كويس. (التصميم غير جيد= ليس جيدًا).

٤- مافيش: تنفي وجود الشيء، مثل ليس في المستوى الفصيح. ومنه:

- هادا نفر مهمل؛ زباين ما فيش.
- متبل مافيش/ ما فيش متبل.

وبعض المحكيات ليس فيها الأداتان الثالثة والرابعة.

(*) **الجملة الشرطية:**

مضمونها تعليق حصول حدث على آخر، وأركانها: أداة شرط+تركيب فيه السبب+ تركيب فيه النتيجة. ومنه:

---

(١) ينظر نفس المرجع ١٩٧.
(٢) نفسه ١٩٢-١٩٣.
(٣) عباس علي السوسوة: قد اليمنية ١٠٦.

أ ـ إزا+ ما يكفي+ أنا ـ في كلام انتا.

ب ـ ازا +انتا يبگا حديد كسّر+ أنا ما ـ في ماسول.

ج ـ إزا + أنت حصِل أقل من كدا + أنا سوِي بلاش.

د ـ إزا + ما ـ في شغل مزبوط + انتا ما ياطي فلوس.

(*) **وقد تخلو الجملة من الأداة ـ في مثل:**

أ ـ انت يبغى المتر مية ريال+ بسم الله؛ ما يبغا+ أنا اشوف نفر ثاني.

ب ـ انا يبيع تسعمية +كفيل يسوي مشكلة يطلع برا.

وأكثر ما يستعمل هذا النمط ـ في مواقف المساومة والتفاوض. والملاحظ أن (إزا) تقوم بعمل أدوات الشرط: إن ولو، سواء ـ في المستوى الفصيح أو ـ في المحكيات. ولا يوجد ما يقابل: كلّما ولولا ومِن ومهما.. إلخ[١]، ـ في المادة المجموعة لدينا.

والملاحظ أن agar تقوم ـ في الهندية والفارسية بالتعليق الشرطي الذي تقوم به عدة أدوات ـ في العربية[٢].

الثالث عشر: ـ في العلاقات النحوية:

١ـ المطابقة:

مرّ بنا ـ في الخصائص الصرفية أن لا مطابقة ـ في التعيين بين الصفة والموصوف ـ في التعريف والتنكير، ولا مطابقة ـ في التذكير والتأنيث، والأمر نفسه يصدق على العلاقة بين الفعل وفاعله ـ في العدد؛ فالفعل صيغته واحدة مع الضمائر[٣]. وقد سبق تعليل هذا التهجين قبل قليل. ومنه:

أ ـ انا يروح مسجد.

ب ـ أنت يسوي شغل مزبوط مية مية.

ج ـ هو يركب سيارة.

د ـ هم / همّا ياكل، سوا سوا برِياني.

هـ ـ احنا يفتح محل بعد صلاة زهر.

---

(١) ـ في بعض المحكيات توجد، وبعض ما ـ في الفصيح لا يوجد فيها، وفيها (لا) شرطية وليست ـ في الفصيح. انظر: تهاني الوادعي:١٧٧-١٨٥.

(٢) ينظر: تيواري: فصيلة اللغات الهندية الإيرانية ٨٧. ومهدي مشكاة: النظرية اللغوية ٤٠.

(٣) ينظر ابراهيم الدسوقي ص١٩٩.

ومــن الملاحظ ندرة تردد ضــمير جمــع المتكلم، وجمع الغائب، في الهجين، وســببه أن طرفيــه فردان، وليس أحدهما بمتحدث عن مجموعة في مقابل مجموعة. وقد يقال: (انت) ويراد به: أنتم. ومن البديهي عدم وجود صــيغ خاصــة بالمؤنث، فلا تأنيث للفعل أيضًــا. ولا مطابقة في تمييز العدد بالكلية[1]، بل يذكــر الرقم/العدد يليه المعدود مهما يكن نوعه أو جنسه في حالة إفراد، ومنه:

أ ـ هذا كيس واحد فيه سته موس.

ب ـ ... فيه تمنية حبة دجاج.

ج ــ أنــا (عندي) واحــد بنت كبير، اتنين ولد، ولد كبير ممكن يجي ســبعة ســنة، صغير ممكن تلاتة سنة.

علــى أن من الحق القــول أن المحكيات العربية المختلفة التــي نعرف، فيها مثل هذه الظاهــرة –قبل ظهور الهجين بعقود– في موطنين: الأول: مــع أرقام العملات أيا كانت: ريالين، ثلاثة ريال، خمسة دينار، سبعة جنيه، عشرة درهم، أربعة دولار وأربعة يورو... إلخ. والموطن الثاني: في لغة المطاعم[2] والمقاصف والمطابخ ونحوها:

أ ـ هات واحد/ ثلاثة شاهي، قهوة.

ب ـ هات /أبغى اثنين فاصــولية وواحد كبدة وواحد شكشوكة وأربعة رغيف أسمر. عندك ثلاثة نفر إدام ونفرين ملوخية وثلاثة نفر معصوب... إلخ.

فتم التهجــين بالتقريب فالتعميم خارج هذين الموطنين، خصوصًــا من المحكيات، أما من الوافدين فموجودة في لغاتهم الأصلية[3].

٢ـ الفصل والوصل:

تقوم الضمائر المنفصلة بعمل المتصلة، وإن شئت قلت: لا وجود للمتصلة في الهجين لا في الأفعال ولا في الأسماء. ومنه:

أ ـ أنا راح، هو راح، احنا سافر، وهي في المحكية: رحت، وسافرنا.

(١) إنما قلنا ذلك لأن العربية الفصــحى فيها (بعض) ذلك: ٥ كتب،١١كوكبًا، ٤٠ رجلًا. وفي المحكيّات: ســبعة رجال، ثلتعشر سيارة، أربعين سنة.

(٢) أول من لاحظ ذلك في العربية المعاصــرة شــيخنا الســعيد محمــد بدوي(ت٢٠١٤م) رحمــه الله، في كتابه الرائد "مستويات العربية المعاصرة في مصر"، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٣م. ص ١٨٦. ومثّل لها بـ "إدّيني واحد كباب، أربعة كباب"، وهي في المحكيات أقدم، فلها شواهد من القرن ١٩م.ولاحظها منير عبدُه أحمد: **لغة السوق اليمني**. ص١١٣-١١٦.

(٣) لا أصــدق إطلاقًا ما جاء عند المعشــني ص ٢٧٢عن ألفاظ العقود ١١-١٩:ســلاس أشرة كتاب وتسع عشرة كلم(قلم) إلّا إذا أخذه العامل الأجنبي عن ابن الحاجب وابن يعيش والأشموني وعباس حسن!.

ب ـ شوگل حق انت، بيت هو، يقابل: شغلك أو الشغل حقك، وبيته.

ج ـ اخو انت صغير مين كفيل؟

د ـ ستارة حقو عمارة، يقابل: ستارة العمارة.

هـ ـ انت مايبغا سويانا مساعدة. يقابل: انتا ما تبغى تسوي لي مساعدة.

و ـ اخو انا في شغل.. فيه ولد اخت انا شغل جدة ..كله صديق من قرية حق انا.

ز ـ أربعة حبّه باب حگوه عمارة حگي= أربعة أبواب لحقي العمارة= اربعة أبواب لعمارتي.

ح ـ ليش يبغا فكوه انت؟= ليش تبغى تفكك (تطلقك).

(*) **والواقع أن المحكية واللغات الهندية - دون قصد- اتفقت في ظاهرة الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالأداة (حق) في المحكية[1]، مثل:**

- الكتاب حگ محسن= كتاب محسن. والكتاب حقه = كتابه.
- و(كي/ كا) في أكثر لغات الفصيلة الهندية ومنه:
- آج +كا+ ازادي (يوم الاستقلال)، كأنه =اليوم حق الاستقلال.
- دوست +كا+ كابور=صديق كابور.
- صُبَح ورات+ كي اذكار+ اور دعائي=أذكار الليل والنهار وأدعيتهما.
- اردو+ كي لساني+ تشكيل= نشأة اللغة الأردية [2].
- بَتَر كي سَنَم= حجر المحبوبة.
- بادلا كي آق=لهيب الانتقام. (حرفيًّا: الانتقام حق اللهيب).
- گهَر گهر كي كَهاني= حكاية كل بيت (أسرة).
- لاهو كيدورنگ=لونا الدم [3].
- هارون كا خزانه/خزانة كا هارون=خزانة هارون.

فكل من طرفي الهجين استعان بلغته المحكية هنا، مع فارق عدم وجود (ال) في لغات الوافدين وجواز أن يأتي فيها المضاف إليه قبل المضاف كما هو ظاهر في الأمثلة.

---

(١) ينظر عباس السوسوة: **قد اليمنية** ١١٨، وعنده شواهد تعود إلى اللغة السبئية في القرن الخامس ق.م. وفي العربية من القرن العاشر الهجري. ص ١١٩-١٢١.

(٢) ينظر سنغ: **مورفولوجية اللغة الهندية** ١٠٠، وتيواري: **أسرة اللغات الهندية الايرانية ٤٥، وكتابه قواعد اللغة الهندوستانية** ٩٨-٩٩.

(٣) جدير بالذكر أن القاف الفصيحة ينطقها بعض الوافدين في الأعلام فحسب مثل قاسم.

٣ـ الحذف والذكر:

في الهجـين عناصـر تحذف من الجملـة إذا قوبلت بالمحكية، وهي التي اصـطلحنا عليها بحروف الجرّ وبعض الظروف (وضعت المحذوف بين قوسين)، ومنه:

أ ـ هادا يجي ميتر(بِـ)خمسين...انتا تبقا سوي(بِـ) ميتين.
ب ـ (بـ)كم فلوس سَوي هذا؟
ج ـ اناَ(عندي) واحد بنت كبير(وعندي) اتنين ولد.
د ـ ايجار مهل (بـ) تلاتة الف(في) شهر.
هـ ـ انا شغل في سَعودية (من) تمنطاش سنة، في أبها (من) ستاش.
و ـ انت جيب (من) هادا نمونه.
ز ـ هادا (مثل أول) أول سيمسيم (في) كيس.

مـن أسـبابها وجود أفعال وصـفات في هـذه اللغات لاتحتاج إلى حـروف جر- وما يشـبهها في العربيـة – تصـاحبها. وكثـيرًا ما يحـذف واو العطف وسـنكتفي بمثالين، وسيظهر ذلك في النصوص الملحقة:

- انا يعطيك مخطط(و) انت سوي نفسوه.
- انتا جيبوه الف ريال(و) أنا(بعد) شهر عطيك.

مع وجود مثلها في لغاتهم: سبَهلي= من قبل/ سابقا، سامني= أمام، كي باد= ثم/ من بعد.وهذه الأخيرة فضلوا علَيها المحكية: بعدين.

٤ـ في ظواهر متفرقة:

أـ استعمال المصدر محل الفعل:

١- هو راح أكِل كتير يغمش وبرياني.
٢- ايش شغَل هذا، صديق؟
٣- سعيد، كلام(=تِكلم أن) رَمَزَان يروح إجازة.
٤- ولد أخت أنا (شُغل) جدة= ابن اختي يشتغل في جدة.
٥- هـاذا كفيل عسـكري (عَمَـل) شـرطة هناك=هـذا كفيله عسـكري يعمل في الشرطة.
٦- انت كِركِر زيادة،(كلام) شوي شوي= انت تثرثر كثيرًا، تكلم ببطء[1].
٧- انا كلام منشان عبد الحق= أنا أتكلم من أجل عبد الحق.

---

(١) وانظر: الدسوقي: **العربية لغة هجين** ١٨٣.

٨- انتا في كلام= انت قُل=تكلم انت.

٩- أنا مرّة ما في تأخير= أنا لن أتأخر.

ويمكن أن نعلّل ذلك بأن بعض لغاتهم تفضل المصدر على الفعل في الاستخدام، وفي هذا يقول ظهير أحمد: "طبيعة اللغة الأردية أنها تستخدم فيها المصادر دون الأفعال، فعلى سبيل المثال: (استقبل الطلاب أستاذهم)، نعبر عنه بالأردية: طلبه ني ابني استاد كا استقبال كيا"[(١)].

ب ـ تعدد وظائف(في):

رأينا في بداية الحديث عن الخصائص النحوية أن اللغات الهندية الإيرانية تتميز بوجود الرابطة في بناء الجملة. وكانت (في) —وهي عربية- تقوم بهذه الوظيفة في العربية الهجين، كما في: انا في مبسوط، هو في يكتب... إلخ. وتقوم أيضًا بمصاحبة الفعل للدلالة على أن الفعل عادة، مثل: انت في كلام كل يوم. ويكون معناها: يوجد وموجود، مثل:

١- هازا شطّة في؟ = أتوجد في هذا شطة؟

٢- هازا الزيت في= هذا الزيت موجود.

٣- في جبنة مملحة أبو ٢ كيلو؟ الجواب: في.

والحق أن مثل هذا موجود في المحكيات— مع اختلاف الموقعية أحيانًا، فقد سمعت:

- كان (في) رجل عنده ثلاث بنات= وُجد رجل ...
- الخير واجد (فيه) سمن و(فيه) عسل و(فيه) مواشي.

وإذا تجاوزنا المحكيات إلى النحو الفصيح، وجدنا النحاة يقدرون في مثل: في الدار رجل، بِـ: (مستقرّ) أو (موجود).

الرابع عشر : الخصائص المعجمية للهجين العربي:

معلوم أن الهجين يستعمله طرفان: المواطن العربي السعودي —وأحيانًا العربي غير السعودي - والوافد الذي لغته الأم إحدى لغات الفصيلة الهندية الإيرانية بتنوعاتها. وكل طرف لا يستعمل كل المفردات في لغته الأم ولا يحيط بكثير من معاني ألفاظها. وقد أجمع أغلب الدارسين الذين نظروا في لغات هجين في أماكن كثيرة من العالم على أن قلة المحصول المعجمي من مميزاتها[(٢)].

---

(١) ظهير أحمد: **الألفاظ العربية المستعملة في اللغة الأردية** ١٦٠.

(٢) انظر: Crystal, D: Cambridge Encyclopedia of languages and linguistics, Cambridge Univ Press2008, p 344, 369; Wardhaugh, R: An Introduction to Sociolinguistics, Blackwell, Oxford 2006, p 62، وإبراهيم أبوحيمد ١٢٢، وإبراهيم الدسوقي٢٠٣و٢٠٨.

وهذا القول ملبس، فإن أرادوا أن الهجين بشـكل عام معجمه أقل مما في العربية عامة أو في محكيـة عربية بشـكل مطلق، فلا بأسـ. أو أرادوا أنه أقل ممـا في البنغالية عامة، أو الأردية، أو البشتوية ، أو الهندية عامة فلا بأس. وأما إن أرادوا أن معجم الهجين في موقف اتصـالي محدد بين الطرفين يقصـر عن الوفاء بحاجات الموقف، فلا. فليست الهجين لغة أدبية شعرية كانت أو نثرية، ولا سياسية، ولا علمية؛ بل هي لغة تواصل يومي في أمور تبادل المنافع والخدمات، وهي قائمة بوظيفتها هذه خير قيام، وقد يحدث ما يعوق الفهم والإفهام في التواصل، لكن ذلك يحدث بين أطراف عربية، بل بين مواطنين من منطقة واحدة.

معجـم الهجين مسـتمد في معظمه من المحكيات العربية، وقليـل جدًّا من مفردات اللغـات الهندية الإيرانية (كثير منه مشـترك فيها) ، ومفردات مـن لغات أوربية حديثة كالإنجليزية، والفرنسية، وهذا النوع الأخير منه ما هو شائع أصلا في العربية بمستوياتها المختلفة قبل نشأة الهجين بعقود.

ومـن الجديـر بالذكر أن في لغات الوافديـن مفردات عربية كثيرة يسـتعملونها على أنهـا هنديـة أو بلوشـية...إلخ[١]. وفي دراسـة قديمـة عن الألفـاظ الهنديـة في المحكية اليمنية[٢] ذكرت بعض الألفاظ العربية التي نصـادفها كثيرًا في الأفلام الهندية. ومنها: إنسان (للإنسان كامل الصفات) ، بعدما ، بعز / بعض، ثبوتي، حرامي (ابن حرام) ،جلادي (جلاد) ، حقيقت، محبت، خالي، دنيا، سلام، عدالت (محكمة) إنصاف، خراب، صافي (نظيف) ، مشـكل (مشـكلة) ، محبوبة ، شك، شكريا. وأضـيف إليها: موت، دكان، أمير (غني) دلككي (تدليك) ، قاتل، مجرم، قلم، كتاب، وقت، على سبيل المثال لا الحصر.

وقـد أكـدت موسـوعة بريتانيكا المشـباكية هذه الظاهـرة في الهنديـة[٣]. وفي هذا السـياق، ذكـرت باحثة أن اللغـة الأردية نسـبة الكلمات فيهـا (٥٤٪) عربي، و(٤٠٪) فارسـي و(٥٪) سنسـكريتي[٤]. وفي ذلك نظر؛ فلا مشـاحة في أن المفردات العربية في الأرديـة أكـثر مما في الهنديـة- التي تشـاركها في أكثر قواعد الصـرف والنحو؛ لكنها غفلـت عن أن الفارسـية تشـاركهما في المعجم أيضًـا[٥]، علاوة على عـودة اللغتين إلى مصدر أقدم هو السنسكريتية التي جعلت حظها غاية في الضآلة.

---

(١) ينظـر: ظهير أحمد: **الألفاظ العربية المستعملة في الأردية**.. دراسـة دلالية وفـق نظرية الحقول الدلالية. رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية إسلام آباد ٢٠١١م، ص١٧-٢٠.

(٢) ينظر عباس السوسوة: **دراسات في المحكية اليمنية** ٢٠٠٧، ص١٥٤.

(3) Encyclopedia Britannica.

(٤) ينظر حليمة منصور: **أثر اللغة العربية في اللغة الأردية** ص٤٦.

(٥) في عام (٢٠١٠م) ، في تعز قابلت ألفاظ المعجم الذهبي —فارسي عربي لمحمد التونجي مع جارنا في السكن أ.د. اشـوك كومار سـنها، واحدًا واحدًا، هل هو في الهندية بالمعنى نفسـه أو قريب منه. وبعد أن قطعنا نحو (٤) أشهر وصلنا إلى منتصف المعجم، فإذا نسبة التطابق نحو (٣٢٪) .

وأما اللغة الفارسية، فنصيبها من المفردات العربية أكبر من بقية لغات الفصيلة الهندية الإيرانية، بل إن التأثير العربي في اللغات الأخرى تم عن طريق الفارسية[١].

فالعربية المحكية هي المهيمنة في هذا الجانب بما فيها من مقترض، ولغات الوافدين – في هذا الجانب–هي الأدنى. أما ألفاظ الحقول الدلالية للهجين، فهي نفسها في المحكيات. وسنذكر أشيعها من خلال تجربتنا.

١ـ في الحقل الديني:

الله، رسول الله، نبي، إسلام، صلاة، أزان، حج، زكاة، عمرة، حرام، حلال، جهنم، قرآن، كافر، مسلم، صوم، جنت.

٢ـ في حقل التحيات والمجاملات الاجتماعية :

السلام عليكم، وعليكم سلام، عيد مبارك، مباركو، مبروك، أهلًا وسهلًا، مرحبًا، خُدا حافز (الله حافظ= في رعاية الله)، يا هلا، مع السلامة، كيف الحال، والملاحظ أن أمثالَ: صباح الخير ومساء الخير نادرة.

٣ـ في حقل الأسرة:

ماما، بابا، (يطلقان على الكفيل وزوجته أيضًا) أم كبير= الجدة، عمو، حُرمة/ مَكلَف (المرأة والزوجة)، طلاق، زواز / شادي= الزواج، بزورة (الذرية والأطفال الصغار)، بنت، ولد، اخو/بهاي/ باي، أخت/ بِهِن، قريب.

٤ـ في حقل علاقات العمل:

كفيل وكفالة، رخصة، تصريح، شغل/عمل، راحة، ازازة (إجازة)، جَنجال/ جنجان (مشادّة، نزاع، معركة في لغات الفصيلة جميعًا).

- معاش، قاطوعة (مقاولة)، يومية عامل، يومية معلم، اتفاق، عقد، مالك، مخطط.

٥ـ في حقل الصفات:

تمام، ممتاز، مزبوط، خراب (معطل)، تعبان، مريز، گالي (غالي)، رخيص، موجود، مسكين، مبسوط، مرتاح، هَيوان، ميه ميه، نص نص، سيم سيم (سواء بسواء)، سيدَه/[٢] سيدا (مستقيم مباشرة).

---

(١) ينظر: عفاف زيدان: اللغة الفارسية ص٤. وظهير أحمد: **الألفاظ العربية المستعملة في الأردية**، ص١٩.

(٢) سمعتها من كل المواطنين، وأغلب ما تستعمل في الاتجاهات. وفي اليمن نستعمل مكانها: ساني (من السبئية) ودُغري (تركية)، وقدا (سبئية أيضًا) وعند المثقفين: مباشرة وطوّالي.

٦ــ في مجال الظروف:

بُكـرة، أمس، اليـوم، دَلحين/ذلحين/ الحـين/ هَلحين= الآن، هناك، هنا، سـنة أول= العام السابق، أسبو/ أسبوع.

أما مصادر المفردات فالمحكيات العربية في السعودية بكل ما استقر فيها من عربي ومقترض قديم، ومقترض حديث مصـدره اللغات الإنجليزية والفرنسـية، وهو موجود عنـد طريق مسـتعمل الهجـين في مجال الأجهـزة الكهربائيـة وأدوات العمـل في البناء وغيرها مما لا يقف عند حصـر؛ فالراعي الأغنام والإبـل معجمه، وللعامل في الزراعة أو البنـاء أو السـباكة أو النجـارة أو الخياطة، لكل هؤلاء وغيرهـم ألفاظهم. وكل ذلك مستعمل عند طريق الهجين[١]، وسيظهر بعضه في ملحق البحث.

الخامس عشر: الخاتمة والنتائج:

١- أضـاف البحثُ العربيةَ الهجينَ في السـعودية إلى قائمة اللغـات الهجينة التي دُرست حول العالم[٢].

٢- نشأة هذا الهجين العربي قريبة تتراوح بين ٣٥-٥٠سنة.وكانت نتيجة التفاعل بين لغات العمال الوافدين ومحكية المواطنين[٣].

٣- الوحدات الصـوتية فيها هي المسـتعملة في المحكية العربية، ومنها سـبعة (٧) صـوامت بمثابة ديافونات ذات أعضاء متنوعة. وليس صوابًا القول إن الصوت الفلاني يحل محل آخر.

٤- ليسـ في الهجين تصـريف كامل، وما ورد من مشـتقات فيه إنمـا هو اقتراض معجمي.

---

(١) وجدت إبراهيم الدسـوقي: **العربية لغة هجين** ٢٠٤-٢٠٥، تنكّب الصـواب في نسـبة بعض الألفاظ- وهي قليلة أصـلا- إلى غير موطنها، وهي من المشترك بين الفارسـية والهندية والتركية، ونسب (رَبْشَة) بمعنى إزعاج إلى الإنجليزية، وهي في المحكيات العربية بمعنى: الارتباك والاضـطراب والانزعاج.(السوسـوة) . من يجلس مع عامة الناس في متاجرهم وأعمالهم الاجتماعية والاقتصـادية المختلفة فإنه يسمع الكثير من العبارات والألفاظ واللهجات الهجينة ، وهذه موضـوعات لم تنل حقها من البحث والدراسـة . آمل أن نرى باحثين يدرسونها في بحوثهم وكتبهم ورسائلهم العلمية (ابن جريس) .

(٢) شـكر الله لك يا دكتور عباس لكن مازلنا نتطلع إلى دراسـات تفصـيلية ومطولة في هذا الجانب . أرجو من قسـم اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك خالد ، وغيره من الأقسـام المحلية في جنوبي البلاد السعودية أن يدعم ويشـجع بحوثا ودراسـات علمية تدرس لغات ولهجات أهل البلاد السروية والتهامية من مكة المكرمة والطائف حتى حواضر اليمن الكبيرة . (ابن جريس) .

(٣) العامـل الاقتصـادي من أهم العوامل التي جعلت كثيراً من الوافديـن يأتون إلى بلدان الخليج العربي للعمل في قطاعات تنموية عديدة. ودراسـة آثار العمالة الوافدة في جنوبي المملكة العربية السـعودية خلال العقود الستة الماضية من الموضوعات المهمة والجديدة في ميدان البحث العلمي . (ابن جريس) .

٥- وليس فيها تأنيث ولا تذكير، ولا تثنية، وليس فيها جملة فعلية غالبًا، وفيها الرابطة (في) ذات الوظائف النحوية المتعددة، وظواهر شرحت في مواضعها.

٦- المحصول المعجمي قليل مقابلة باللغات الأخرى، لكنه وافٍ بأغراض التفاهم والعمل.

٧- في العربية الهجين ابتكار خلاق من طرفيه: المواطنِ والوافد، أوضحنا قدرًا منه في مواضعه، وهو يثير كثيرًا من التساؤلات العلمية، حول اكتساب اللغة عمومًا أو اكتساب لغة غريبة نرجو أن نقوم به-أو يقوم به غيرنا - في المستقبل.

٨- المتوقع أن تزول هذه العربية الهجين بزوال أسبابها: كثرة العمالة الوافدة غير العربية، وأَنَفَة المواطن من مزاولة بعض الحرف، وعدم احترامه لمحكيّته العربية، فضلًا عن الفصحى[١].

السادس عشر: ملحق بنصوص من العربية الهجين في جنوب المملكة العربية السعودية:

أولاً: نجران:

١- محادثة مع كهربائي في مركز يَدَمَة-نجران: (٢/ ٢/ ١٤٤٠هـ)، العاشرة صباحًا:

- السلام عليكم صديق.
• وعليكم سلام.
- كيف حال أنته؟
• كويس،الهمد لله.
- أنا يبغى يسوي كهربا بيت.
• أنا معلوم كهربا ميّة مية، عشرة سنة أنا شغل.
- كويس.كم يشيل أجار؟

(١) يا دكتور عباس اختصرت كثيراً في خاتمة بحثك ، وكنت أتمنى أنك أسهبت في النتائج والتوصيات. وقد اتضح لي من خلال رحلاتي في معظم بلدان جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) وفي مدن وحواضر أخرى في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي أن العمالة الوافدة يشكلون نسبة كبيرة من حجم السكان في هذه البلاد . وبعضهم يعيشون فيها منذ عقود ، بل إن منهم من عاش وتزوج وصار من عناصر المجتمعات الرئيسية . ومازالت لهجاتهم ولغاتهم الأصيلة تمارس في منازلهم وأعمالهم . وموضوع دراسة اللغة الهجينة في عموم دول الخليج ، وكذلك تاريخ الوافدين الاجتماعي والاقتصادي وعلاقاتهم مع أهل البلاد الأصليين من الموضوعات الكبيرة التي تستحق أن تدرس دراسات علمية عميقة في عشرات الكتب والبحوث. (ابن جريس) .

- أنا يشوف شغل أول، وبعدين أنا كلام.
- طيب أنت في سيارة موجود والا يمشي سيم سيم.
- لا. أنا يمشي سيم سيم.هذا سيارة أنا أمس خراب،أنا يودي ورشة.
- ياالله.مشينا.
- واحد دگيگة أنا يجيب أغراد.
- طيب بسرعة.
- صديق، أنا يشوف شغل بيت شغل واجد وتعب زيادة، لازم إجار زيادة.
- كم يبغى أجار؟
- أنتا في كلام.
- أنا يعطي ٥٠٠.
- كمس ميه ما في يكفي، هادا شغل زيادة.
- طيب تبغا كم؟
- أنا يبقا تمانميه، بس على شان أنتا صديگ.
- طيب، شغل متى في خلاص؟
- اتنين يوم إن شاء الله خلاص.
- بس يبغا شغل مزبوط.
- أنت يشــوف،إزا ما في شـغل مزبوط أنتا مــا يعطي فلوس، بســ أنا يبغى يجيب أغراد (اغراض) مهل سباكة، أنا يسجل أغراد وانتا يشوف، بعدين يجيب مهل.
- أنا ما في يعرف كتابة، أنته في يگرا؟
- طيب،أنــت يجيب مكايــف ومروهه وواهد ســلك ومفتاه مزوج ومســمار زيادة وتنين لوح وواهد گرا، وبعدين إزا ما يكفي؛ أنا في كلام أنتا.

محادثة مع بائع أغنام في نجران، (٩صباح ٣صفر١٤٤٠هـ):

- صديق،يبغا خروف سمين.
- هذا كروف مليان.
- بكم فلوس؟
- واهد ألف.
- غالي.
- ما في گالي.أنا يبيع راس مال.

- هذا خروف صغير.
- ما في صگير،هذا يمكن أَكَل عشرين نفر.
- خلاص أنا يعطي تسعمية.
- صديق، هذا كفيل مشكلة؛ أنا يبيع تسعميه يسوي جنجان(معركة).وبعدين يودي برّا.
- طيب، يمكن أنا يسوي ذبح ما يحصل كويس؟
- إزا ما يحصل كويس أنا ماسول. هادا واهد نفر أمس يشيل خروف سيم سيم وبعدين يسوي تلفون وبعدين كلام.هادا خروف ميه في الميه كله شهم.
- طيب ودي مصلخ.
- أنا هلحين يودي مسلخ وانتا يسوي فاتوره، وان شا اللّه يحصل مزبوط.

(*) مساعد البحث: عبد الرحمن علي حسن آل فطيح-ماجستير لغويات (١٤٤٠هـ).

ثانياً: عسير:

١ــ قابل المواطن (فلان) المقاول البنغالي، فدار بينهما هذا الحوار:

- سلام عليكم.
- عليكو سلام.
- أنا يبقى سوِّي عمارة واحد دور، ما يدري إنتامالوم؟
- كيف ياكي، أيوه، أنا كلوه مالوم، شُگل على مهدِّس.
- خلاص ما فيه مشكلة، أنا جيبوه مخطط، بادين اتفاق.

(*) ويأتي (فلان) بمخطط العمارة التي ينوي بناءها، ويكمل الحديث مع البنغالي:

- شوف هاذا مخطط عمارة حقي، أنا يبقى نفسوه ما فيه اختلاف.
- كلاص، شوف يا سديق إنتا لازم مالوم، فيه اتنين شوگول موجود، شوگول ميه ميه هادا گالي، بردوه في شوگول مُشِّي، هادا ركيس،كلوه ناس هُبُّوه،إنتايبگى شوگول كويس لازم زيادة فلوس.
- أنا يعطيك مخطط أنت سوي نفسوه، ما فيه زيادة، ما فيه نَقِّص.

- يالله بســم الله، أنا شــيل ميتر ميــه عسرين(١٢٠) ،علشــان إنتا مالــوم أيش مسكلة؟ هادا كلوه أمارا ديكور، بعدين تأب زيادة والله.

– ياخي مية وعشرين كثيرة، لازم مساعدة إذا أنت يبغى شغل.

- يامهمد والله ما في زيادة أنا شــوگول، بادَين إنتا مالوم ميه عســرين ما فيه زياده.

– شوف إنت يبغى المتر مية ريال، توكلنا على الله، ما يبغى أنا شوف نفر ثاني.

- كلاس أنا كلام واهد، أنا شيل ميه عسره،ناگس أنا ما يقدر. إنتا يبگى بسم الله، ما يبگى دور نفر تاني. دنيا على الله.

– لا والله أنا حَصِّــل يا محمد، لكن على شــان أنت معلوم، صديق من زمان، لكن إنت ما يبغى سوِّي أنا مساعدة.

- گسُــم بالله أنا ما يقدر نگس، هادا عماره شوگول زياده، شوگول بادَين إنتا مالوم.

– خلاص ما فيه مشكلة. توكلنا على الله.

(*) **مساعــد البحــث: علــي محمــد شعبان-ماجستــير لغويــات (١٤٣٧هـ)، محايل عسير (٧محرم ١٤٤٠هـ).**

٢-حديث دار بين العامل (قُرُميّات) وكفيله حسين حسن علي، وكان كالآتي:

- سلام عليكو عمُّو.

– عليك السلام، حياك الله يا قرميات،طوّلتو في بنگلادش.

- إنتا ما في مالُوم، دنيا بنگلاديش كلوه مَشاكل.

– أيش المشكلة؟

- هادا هُرمه (حرمة) كلام أنت لازم فُكُّوه (تطلب الطلاق).

– ليش تبغى فكوه إنتا؟

- هادا هرما مشكلة، أنا ما دري كيف، لكن هو كلام فكو بس، ممكن هادا هرمة يبگى فلوس زيادة، الله أعلم.

– ما فيه مشكلة يا قرميات، إذا تبغى سلف نعطيك، وترجِّعها بعدين.

- گوســم بالله إنتا أحسن من العالم، شكرن والله عمو، إنتا لازم سوي إنتا دوآي (دعاء).
- كم تبغى فلوس سلف يا قرميات؟
- إنتا جيبوه ألف ريال، أنا شهر عطيك، ما في تاخّر.
- أبشر يا قرميات.
- شوكرن عمّو، والله أنا ما في تاخَّر، أنا شوگول (شغل) واحد أمارة(عمارة)، بعدين يجي دافا (دفعة)، بعدين أنا آطيك (أعطيك).

مساعد البحث: علي محمد شعبان، محايل٩صفر١٤٤٠هـ.

٣- مشكلـة حدثت بـين المقاول (أبو الكلام)، وصاحـب منشأة تجارية، كان سببها عدم إكمال المقاول العمل المتفق عليه بينه وبين صاحب المنشأة، فاحتكموا إلى الكفيل أحمد، وكان الحوار الآتي:

- صاحب المنشأة جابر: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- الكفيـل أحمـد: وعليكـم السـلام ورحمة الله وبركاتـه، حياكم الله، عسـى ما خلاف، سمعت إن فيه مشكلة بينكم وبين أبو الكلام!
- صاحب المنشأة: والله يا خي مشكلة أبو الكلام مشكلة، ما يبغى يكمل شغله.
- أبو الكلام: لا إله إلا الله، إنتامالوم (معلوم) عمو أهمد، أيش مشـكله، مشـكله صـاحب أمـارة يبگى شـوگول جديد، هـادا أنا بنّي (أبني)، سـتارة هگـوه أمارة، بيدون(بدون كورنيش)، كده أنا سـوِّي اتفاگ، لكين(لكن)هادا أمُّوه (عمّي)، صاحب أمارة كلام لازم سوي كورنيش، هادا ما في أليَّه (عليّ).
- الكفيل: أيش رايك يا جابر؟ الرجّال يقول الكرنيش ما هو عليه.
- صاحب المنشأة: راجعوا عقد الاتفاق، وتعرفون.
- الكفيل: جيب ورقة الاتفاق يا بو الكلام.
- أبـو الـكلام: ورگا "خلِّي وِّلي" (اترك الورقة)، دنيا كلُّو ما يگدر شـوگول زيوه كيده، أنا فين جيبو فلوس، هادا كورنيش ممكن تلاته ألف، ما كفِّي شوگول هادا، خلاص أنا ما يگدر، شوف نفر تاني، أنا ما يگدر.

- الكفيل: كيف يبو الكلام تسوي اتفاق، وبعدين ما تكمل الشغل؟

- أبـو الـكلام: أنا ما في هَيْـوان (حيوان)، أنا ما في مالـوم كلام أربي (عربي)، ممكـن هـذا نفـر يكتب اتفـاگ، أنـا مـا في مالـوم، بادين (بعدين) أنا ما في مسُـول (مسؤول).

- الكفيل: لازم تكمل الشغل، أنت موقع على العقد، كيف؟!

- أبـو الـكلام: هادا نفر يبگى ودي شـورته (شـرطة)، ما في مشـكلة، أنا ما في ماسول.

(*) **لم يثمـر الحوار بـين المتخاصمين، فاضطر صاحب العمـارة إلى التقدم بشكواه إلى قسم الشرطة، فألزم (أبو الكلام) بإكمال العمل المتفق عليه.**

٤ - حديث دار بيني شخصيًا وبين (جهنقير)، الذي يعمل حدّادًا في محايل، وكان التالي:

- جهنقير، أنا يبغى سوي أربعة حبة باب حقوه عمارة حقي. إنتا سوّي؟
- جهنقير: سوي ما في مسكلة، هادا يجي ميتر ميتين كمسين = ٢٥٠.
- غالي يا جهنقير، أنا حصّل رخيص،ليش إنت غالي؟
- جهنقير: ههه،إنتا فكر كلّو هديد (حديد) واهد،إزا إنتا تبقى سوّي ميتين ريال، أنا موجود هادا هديد، لكن كسَّـر، بادين = أنا ما في ماسـول،إنتا دلهين شوف إنتا أيش تبگى.
- أنا أبغى شغل نظيف، شغل حديد تعبان، بعدين كسر أنا ما يبغى.
- جهنقير: طيب شـوف،إنت أگول بسم الله، أنا عطيك هادا ميتر ميتين ريال، إنتا لفّوه سوگ،إزا هصّل أگل من كده، أنا سوي بَلاش، ما يبگى واهد ريال، كلاس؟
- أنا يعطيك زي ما حصلت، متر (١٨٠) ريال.
- جهنقـير: أنـا مزنون (مجنون)، سـوي ميه تمانـين (١٨٠)، لا لا أنا ما يقدر، شوف نفر تاني،إنتا مزاح.
- طيب شوف، أنا يعطيك مية وتسعين، خلاص؟
- جهنقير: كلاس، بسـم الله على إنتا بس، كسـارة (خسارة)، أنا مافيه مَشَكِّل، لازم إنتا مبسوط.

- طيب متى شيل مقاس حقو باب؟
- جهنقير: إن شـا اللّه، بوكرا (بكرة)، هادا بعد سلا جمأة (صلاة الجمعة)، أنا دگوه جوال إنتا، بادين شيلو مقاس.
- خلاص،لا تتأخر.
- جهنقير: لا إله إلا اللّه، أنا مرة ما ﯿﻔ تاخير.

مساعد البحث: علي محمد شعبان، محايل (٣رجب١٤٤٠هـ) .

٥ ـــ كان أحمد يود تركيب ديكورات جبسية لمنزله فذهب إلى الديكوري الباكستاني افتخار، ودار بينهما الحوار التالي:

- أحمد: السلام عليكم ورحمة اللّه.
- افتخار: وأليكو سلام.
- أحمد: أنا يبغى سوي جبس حقو عمارة حقي.
- افتخار: ما ﯿﻔ مشكله يا شيك.
- أحمد: كم متر كامل سقف؟
- افتخار: هازا يجي ميتر كمسا سبعين (٧٥).
- أحمد: غالي يا شيخ، هذا ما ﯿﻔ مغربي.
- افتخار: ياكي (يا أخي)، أيش فرَق شـوگل مگربي ولّا باكستاني؟ أهم شي شوگل مزبوت (مضبوط).
- أحمد: لازم مساعدة يا افتخار.
- افتخار: كلاس (خلاص) ما ﯿﻔ مشـكلة، أنا نزِّل سـير سـبين= (أنزل السـعر سبعين).

مساعد البحث: علي محمد شعبان، (٣محرم١٤٤٠هـ) .

٦ـ الاسم: عبد الحق علي، الجنسية: بنغالي، مقاول، مدة الإقامة ﯿﻔ السعودية (١٨) عاما مركز بللسمر. الساعة: ٩.٢٥ صباح (٣ رجب ١٤٤٠هـ):

- السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، كيف الحال صديق؟
- وعليكم السلام ورحمة اللّه بركاته.
- كيف الحال؟ كويّس؟
- الحمد للّه.

- إيش شغل هذا صديق؟
- أنا سوي بُنيان حوش.
- بس أنت سوي ذلحين بُنيان قاعدة؟
- أنا سَوّي حَفريّة، بعدِين سوّي بلك مدبول، بعدِين ميده، سوّي بنيان على طول.
- ما فيه سوّي قاعدة، ما في خوف ممكن طيح هذا جدار؟
- ما فيه مشكلة،هذا جبل مكان قوي، بعدين بلك مدبول، ما شاء الله يجي زي جبل.
- كم سوّي متر؟، يعني فلوس كم؟
- أنا كلامي شـيل گاطوعة أهسـن (أحسن)،عشـان نفر هازا ما فيه هنا، هذا جدة، أنا كلام سوّي گاطوعة،سوّي مرتاح كله نفر.
- كم فلوس ممكن گاطوعة كله شُغُل؟
- الله كُرِيم، الرزق على الله.
- أنا معلوم، لكن أنا ممكن شـوف سـوّي اتفاق، أنا شوف إذا سـوّي مراعاة، أنا ممكن سوّي اتفاق، شيل رقم جوال،بعدِين سوّي اتفاق، إن شاء الله.
- هذا شيل ستاشر ألف خمسمية (١٦٥٠٠ ريال).
- ما شاء الله اتفاق أنتا كويس.
- الحمـد لله،مـا فيه فلوس زيادة، هازا فيه كل شـي غالي، يوميـة عامل زيادة، يوميه معلم زيادة، مشِّ يمشِّي.
- كم يومية عامل؟
- يوميه عاميل أول سـبعين تمانين ريال، ألهين سوّي زيادة، كله غالـي، ألهين ميه أشره (١١٠)،ميه إشرين (١٢٠)،يوميه عامل مُعلّم ميه كمسين (١٥٠) آخر.
- الله كريم صديق.
- لكـن رزگ علـى الله، الحمد لله، سـعودية كوّيس، فايدة سـعودية كوّيس،أنا تمنتا شـر (١٨) سـنة موجود سـعودية، رزگ الحمد الله، مگصود زيادة، الحمد الله.
- أنتا نفر كوّيس عبد الحق، ما شاء الله.
- الحمد لله، الله كريم.

- يا الله، يا الله. أنا روح مستعجل زيادة، شكرًا عبد الحق.

مساعد البحث: رياض محمد آل حمود–ماجستيرلغويات١٤٣٨هـ.

٧ـ الاسم: رمزان علي كبير، بنغالي مزارع، مدة الإقامة في السعودية١٢ سنة.

مكان اللقاء: مركز بلّلسمر، السابعة والربع مساء (٣صفر١٤٤٠هـ).

- السلام عليكم ورحمة الله.
- • وعليكم السلام ورحمة الله.

- كيفك يا رمزان؟
- • الحمد لله، كوّيس.

- سعيد كلام ممكن رمزان يروح إجازة، متى يروح؟
- • ممكن اتنين أسبوع.

- كم إجازة؟
- • ستة شهر.

- ستة شهر كوّيس عشان بزوره مقصود كوّيس، بابا ماما كله مرتاح، كم بزورة أنتا يا رمزان؟
- • أنا واحد بنت كبير، اتنين ولد.

- ما شاء الله، كم عمر كله ولد؟
- • بنت عمر ممكن عشره، هادا بعدِين ولد كبير ممكن يجي سبعة سنة، صغير هذا ممكن تلاته سنة.

- كم شغل سعودية هنا رمزان؟
- • ممكن سبعة سنة زيادة.

- ما فيه قريب أنتا موجود هنا سعودية؟ نفر قريب من جماعة؟ من صديق هنا موجود؟
- • فيه أخو أنا هادا في شغل في أومار (آلعُمر) ،هادا أخو صغير، فيه ولد أخت أنا شغل جدة، كله صديگ گريب من گرية حگ أنا، هنا هنا ما فيه زيادة.

- ما شاء الله، ولد أخت أنتا في جدة.. شغل إيش هوه؟
- • هذا شغل بگّالة، سوّي ودّي طلبات بيت، سوّي تنزيف (تنظيف)مسجد، شغل هنا هنا هو نفر كوّيس.

- ما شاء الله، ما شاء الله، أخو أنت صغير مين كفيل؟

- هذا كفيل أسكري (عسكري) مهايل (محايل) هادا شغل شرطة هناك.

- أنتا كبير أخو كله رمزان؟
- أنا ولد كبير، بعدِين يجي أختي كله تلاته بنت، بعدِين أخو أنا صغير.

- بابا ماما موت، رمزان؟
- بابا موت، ماما موجود الحمد لله.

- بابا فيه أخو أختي كثير؟
- فيه واحد أختي موجود، هوَ كبير، تعبان زيادة.

- ماما فيه؟ أخو أختي؟
- فيه تلاته أخو، اتنين أختي فيه بزوره كتير.

- ممكن سوّي دلحين صلاة، خلي بعدِين سوّي قِرْقِر زيادة إن شاء الله.
- ما فيه مشكلة.

- السلام عليكم ورحمة الله.
- وعليكم سلام ورحمة الله.

مساعد البحث: رياض محمد أحمد آل حمود، ماجستير لغويات ١٤٣٨هـ.

٨ـ الجمعة (١مارس٢٠١٩م)، بوفية الشباب في شارع شَمَسان-أبها، مديرها فاروق مصطفى (٣٩) عامًا، يساعده محمد حسين (٣٢) عامًا. أتـردّد عليها مذ سنين. وسجلت من كلام الزباين الكثير. أما هذه المرة فاستأذنته في حوار شخصي معه بغرض البحث العلمي فأذن.

وسأل: انت يكتب هازا في زريدة؟، فشرحت أنه في دورية علمية فقال: أيوه، في مقازين(مجلة).

- كم سنة انت في مملكة؟
- دلحين تمنطاش، أنا أول في زيزان، أبها سطاش.

- والأخ محمد؟
- الأخ هازا أول يجي رياز(الرياض) من تلاته سنة.

- أنت متزوج؟
- الحمد لله!أنا اتنين بنت. وانتا؟

- عندي خمس بنات وولدين. المحل الجديد جنبك، حقك؟

- لا. هازا حق أفغاني.

ثم جاء شاب وأكل وشرب وسأله عن الشاشة والكاميرا الأمنية أهي إلزامية. قال: لازم، لازم. أول حرامي يجي يكسّر، يسرق أسطوانة ويمشي... قبل أمس واحد يبيع أسطوانة أقول ما أبغا. ممكن يمسك شرطة، يدرب (يضرب) بعدين هو شيل حقك انت.

ـ كم إيجار المحل؟

- تلاته الف.

- ثلاثة الف في السنة رخيص يا فاروق.

- ايش انت. إيجار مهل تلاتة الف شهر، ستا وتلاتين الف في السنة.

- طيب. ليش هذا مكان(وأشار بيده إلى الجانب الآخر من الشارع)، دايم مِكَّفّل؟

- هازا مهل ملابس، دايمن مسَكّر (مقفل). ديزاين مش كويس؛ زباين ما فيش. ايش هازا؟! اليوم انت گِر گِر زيادة.

سلم الشاب وانصرف فسألت فاروق: من هذا الشاب؟، رد: هازا دكتور إنجليزي في تنومه، يوم واحد دوام، بس يوم الأحد. يجي كل يوم يمزح، فطور وعشاء.

السابع عشر : المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر والمراجع بالعربية مؤلفة ومترجمة :

١- إبراهيم الدسوقي: اللغة العربية لغة هجين على ألسنة الهنود في عُمان، **مجلة علوم اللغة**، القاهرة ٢٠٠٠م مج٣ العدد٢.

٢- إبراهيم بن عبد العزيز أبوحيمد: اللغات الهجينة والمولدة –دراسة لسانية اجتماعية، **مجلة الدراسات اللغوية**، الرياض، مج ١٥،ع ١،محرم –ربيع الأول١٤٣٤هـ =فبراير ٢٠١٣.

٣- ابن منظور (محمد بن مكرم): **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف.(١٩٨١م).

٤- أحمد مختار عمر: **دراسة الصوت اللغوي**، القاهرة: عالم الكتب١٩٩٤م.

٥- بدرية العاروك: **لهجة القصيم**، بريدة: نادي القصيم الأدبي ١٤٣٥هـ.

٦- تهاني جبران الوادعي:**لهجة ظهران الجنوب وصلتها بالفصحى**، رسالة ماجستير جامعة الملك خالد، أبها ١٤٣٧هـ.

٧- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): **البيان والتبيين**، ط٤ تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٧٩.

٨- حليمة منصور: **أثر اللغة العربية في اللغة الأردية دراسة لغوية وأدبية**،رسالة دكتوراه،لاهور:جامعة بنجاب ٢٠٠٥.

٩- رمزي منير بعلبكي: **معجم المصطلحات اللغوية-انكليزي/عربي**،بيروت: دار العلم للملايين١٩٩٠.

١٠- السعيد محمد بدوي: **مستويات العربية المعاصرة في مصر**، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٣.

١١- سوسن يحيى الفيفي: **خصائص الأبنية والتراكيب في لهجة فيفا**، ماجستير جامعة الملك خالد،أبها ١٤٣٤هـ.

١٢- صالح ماجدي: **معجم التعابير العصرية: عربي—فارسي=فرهنك اصطلاحات معاصر**،الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ١٩٩٧م.

١٣- ظهير أحمد: **الألفاظ العربية المستعملة في الأردية.. دراسة دلالية وفق نظرية الحقول الدلالية**، رسالة دكتوراه، إسلام آباد: الجامعة الإسلامية٢٠١١م.

١٤- عباس علي السوسوة: **دراسات في المحكية اليمنية**،ط٢،صنعاء: مركز عبادي٢٠٠٧م.

١٥- ______ **قد اليمنية.. دراسات في الأبنية والتراكيب والاقتراض المعجمي**، صنعاء: مركز عبادي٢٠١٢ .

١٦- عبد الرحمن الحاج صالح: **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، الجزائر**: موفم للنشر٢٠١٢م.

١٧- عبد المؤمن بن عبد الله القين: تعقيب على ملاحظات حزينة، الرياض: **مجلة الفيصل**، العدد ٣٤٨، سبتمبر ٢٠٠٥.

١٨- عفاف السيد زيدان ومحمد نور الدين عبد المنعم ومحمود محروس قشطة ويوسف صلاح الدين: **اللغة الفارسية نحوها وأدبها وبلاغتها**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م.

١٩- غيثان بن علي بن جريس: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (مج ١-١٨)** الرياض: مطابع الحميضي ٢٠٠٤-٢٠١٩م.

٢٠- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الوسيط**، ط٣، ١٩٨٥م.

٢١- محمد بن باتل الحربي: **اللغة المحكية في حوطة بني تميم**، الرياض: مركز حمد الجاسر ٢٠٠٨م.

٢٢- محمد التونجي: **المعجم الذهبي.. فارسي عربي**، دمشق: ٢٠٠٣م.

٢٣- محمد حسن عبد العزيز: **علم اللغة الاجتماعي**، القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠٩م.

٢٤- محمد سالم المعشني: دراسة في الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية للغة الهجين في عُمان، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ٢٠١٦.

٢٥- محمد صالح المشاجرة: **لهجة الأحساء، تأصيل لغوي**، منشورات نادي الأحساء ١٤٣٩هـ.

٢٦- محمد علي الخولي: **دراسات لغوية**، عمّان: دار الفلاح ١٩٨٩م.

٢٧- مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية: **لغة الشباب العربي، في وسائل التواصل الحديثة**، الرياض،١٤٣٦هـ = ٢٠١٤م.

٢٨- منير عبده أحمد علي: **لغة السوق اليمني-دراسة لغوية اجتماعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز اللغات، جامعة تعز٢٠٠٨م.

٢٩- مهدي مشكاة الديني: **النظرية اللغوية بين النشأة والتطور**، ترجمه عن الفارسية: حمدي إبراهيم حسن، الرياض: جامعة الملك سعود٢٠١٥م.

(*) ثانياً : المراجع الشباكية :

1- www.Britanica.com
2- www.une.edu
3- www.etymonline.com
4- www.alriyadh.com/1684474

(*) ثالثاً : المراجع الأجنبية :

1- Abdulhaq: The20th Century Practical Standard Urdu into English (Farid Book Depot, Delhi:1994).

2- Bakker,P: Pidgins, Jhon Benjamin, Amsterdam 2008.

3- Bickerton,D: Bastard Tongues, Hill and Wang inc, New York 2009.

4- Crystal,D: Cambridge Encyclopedia of languages and linguistics, Cambridge Univ Press2008.

5- Holm, J: An Introduction to Pidgin & Creole, Cambridge univ press 2004.
6- Jones, Daniel: An Outline of English Phonetics, Oxford Univ Press 1967.
7- Jones, Daniel: ThePhoneme Its Nature & Use; Oxford Univ Press 1962.
8- MCgegor,R,S: Oxford Hindi English Dictionary,Oxford Univ Press,2000.
9- Musken,P&Norval,S: The Study ofPidgin & Creole Languages, Jhon Benjamin, Amsterdam 2008.
10-Shiromani, Rajkamal: Noun Pluralization in Hindi, Central Institute of English & Foreign Languages, Hyderabad 1988.
11-Singh, Nageshwar: Morphology of Hindi language,Patna:Amrapurkar Publishers, 1992.
12-Tiwari,K,M: Grammar of Hindustani Language;Patna,Amrapurkar Publishers, 1981.
13- Tiwari,K,M: Indo-Iranian Languages Family;Amrapurkar Publishers, 2000.
14- Wardhaugh,R: An Introduction to Sociolinguistics, Blackwell, Oxford 2006.

الثامن عشر: آراء وتعليقات :

دأبـت أن يكـون لي أحياناً آراء أو تعليقات أو نتائج وتوصـيات علـى بعض البحوث المنشورة في عدد من مؤلفاتي. وهذه الدراسة المدونة في هذا القسم من أستاذ متخصص في علم اللغة العربية وبخاصة في فرع اللسانيات . وقد عاد في بحثه إلى عدد من البحوث العلمية المنشورة التي ناقشت جزئيات من اللغة الهجينة في أماكن عديدة ، لكن الجميل والجديد في موضـوعه أنه حصر دراسته الميدانية على بعض البلدان التهامية والسروية وبخاصـة منطقتي نجران وعسـير . وكوني أتجول في أرجاء هـذه الأوطان وأدون وأوثق الكثير من تراثها وحضارتها على مر التاريخ ، فإنني من خلال ما قرأت في هذا البحث أو مادرسته ، وعرفته ، أو سمعت عنه ، أو استشعرته عن أرض وسكان التهاميين والسرويين خرجت بالعديد من الرؤى أو التعليقات ، أو التوصيات التي أسطر بعضها في النقاط الآتية :

١- إن بلدان نجران ، وعسير ، وجازان ، والباحة ، والقنفذة ، وبيشة ، والليث ، والطائف من الأوطان القديمة في تاريخها واستيطانها البشري . ومن ثم فلها تاريخ سياسي وعسـكري، واجتماعي ، واقتصـادي ، وثقافي ومعرفي منذ عصور ما قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسـلامي المبكر ، والوسـيط ، والحديث والمعاصـر. كما أنها

كانـت علـى علاقات تاريخية وحضـارية متنوعـة مع غيرها داخل شـبه الجزيرة العربية وخارجها، واستمرت تلك الصلات منذ القديم إلى وقتنا الحاضر(١).

٢- ظهور الإسلام ، وانتشر في عموم شبه الجزيرة العربية . وأصبحت بلاد تهامة والسـراة جزء مـن الكيان الإسـلامي الكبير منذ عهد الرسـول (ﷺ) حتى وقتنا الحاضر. وعاصر سكان جنوب شبه الجزيرة العربية الكثير من التغيرات الحضـارية والسياسـية ، إلا أن أعالي السـروات من نجران إلى الطائف ظلت محتفظة بتركيبتها السكانية الداخلية(٢)، وبالتالي لم يطرأ عليها تبدلات كثيرة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . وجاءٍ العصر الحديث ثم المعاصر فجرى التغيير في الكثير من ملاح البلاد سياسياً وحضارياً (٣) .

٣- كون هذا البحث الذي نحن بصـدده يدور في فلك اللغة العربية وما طرأ عليها مـن تحولات في العقود الماضـية المتأخـرة، فإنني خرجت بالعديـد من النتائج والتوصيات التي أدون شيئاً منها في المحاور الآتية:

أ- كانـت اللغـة العربية نقية وصـافية إلى حدما خلال القرون الإسـلامية المبكرة والوسيطة والحديثة حتى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وقـد لا يوافقنـي بعض الباحثـين ، ويقولون أنه وفد إلى بلاد السـروات وتهامة عناصر غير عربية ، وبعضها الأعجمية منذ القرن العاشر الهجري (السـادس عشـر الميلادي) ، وربما من قبل ذلك، ثم زادت أعدادهم في القرنـين (١٣ـــ ١٤هـ/١٩ـ ٢٠م) ، وهذا قول صـحيح ، لكن لم يكن لهم تأثير كبير في لغات ولهجات وموروث أهل البلاد المعنوي والمادي(٤).

---

(١) أوردت في المتن خطوطاً عريضـة عن جنوب البلاد السـعوديةٍ (تهامةٍ وسـراة) عبر عصـور التاريخ . وإن توقفنـا عنـد كل ناحية ، أو حقبـة زمنية فإننا نجـد اختلافا وتباينـا في أحداثها التاريخية والحضـارية ، وذلك خاضـع للظروف الطبيعية والسياسية التي مرت بها جزيرة العرب منذ العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر . وعصورها السابقة لعصر الإسلام مازالت شبه مجهولة لنا معاشر الباحثين ، لكن ذلك لا يعني أنها عديمة التاريخ أو الحضارة . (ابن جريس) .

(٢) ذلك بسبب وعورة أرضها ، وانعزال أهلها اجتماعياً . فكل ناحية في هذه البلاد كانت محكومة بقبائلها التي استوطنتها منذ القدم ، ومازالت تعيش فيها حتى اليوم . (ابن جريس) .

(٣) الباحث في الأوضـاع السياسـية لهذه البلاد منذ القرن العاشـر الهجري (السادس عشر الميلادي) يتأكد له ما مرت به بلدان جنوب شـبه الجزيرة بشـكل خاص من تحولات سياسـية وإدارية وحضـارية . وتاريخ وحضـارة هذه البلاد خلال القرون الخمسـة الماضـية وثـق في العديد من الكتب والبحـوث ، ومازال هناك موضوعات كثيرة تستحق أن تدرس بطريقة علمية صحيحة وحيادية . (ابن جريس) .

(٤) هذا ما تأكد لي وأنا أدرس وأبحث في تراث وتاريخ هذه الأوطان منذ أربعة عقود . وهناك بعض العناصـر التركية ، أو الإفريقية ، وربما الهندية وغيرها قد جاءوا إلى بلاد السـراة وتهامة منذ العصـر الإسـلامي الوسيط ، لكنهم أفراد وربما جماعات قليلة ليس لها ذلك التأثير على البلاد وأهلها . (ابن جريس) .

ب ـ بـدأ الوضـع يتغـير تدريجيـاً منـذ بدايـة النصـف الثـاني في القـرن (١٤هــ/٢٠م) ، ثم ازدادت وتيرته من الثمانينيات والتسـعينيات . وفي مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) صـارت العجلة تسـير بسـرعة أكبر مع تحسن الأوضـاع الاقتصـادية والحضـارية الأخرى ، وبالتالي أصبحت العناصر الوافدة (عربية وأعجمية) تفد إلى هذه الأوطان بنسبٍ كبيرة ، وأصبح تأثيرها أكبر وأوسع ثقافياً ولغوياً واجتماعياً واقتصادياً .

ج ـ مـن يتأمـل في التركيبة الاجتماعية اليـوم في المملكة العربية السـعودية ومنها بلدان السـروات وتهامة يجدها تمر بتحولات حضـاريةٍ متسارعة ، ولوسـائل الإعلام وتسـخير الفضـاء محلياً وإقليميـاً وعالمياً دور كبير في تقارب جميع أجزاء العالم، وصـار الأفراد أو الجماعات في كلٍ مكانٍ يعيشـون ضـمن منظومة هذا العـالم الكبـير المترابط معرفيـاً وثقافياً واجتماعياً، بل في معظم مناحي الحياة .

د ـ يبقى على مؤسسـات التعليم العالي بجامعاتها، وكلياتها ، وأقسـامها العلمية، وأساتذتها . وكذلك الوزارات والمؤسسات الأخرى في كل دولة أو ناحية مسؤولية عظيمة ، فالواجب أن تدعم وتشجع تدوين وتوثيق التاريخ المعاصر لهذا العالم على المسـتويات الصـغيرة والكبيرة ، العامة والخاصـة . وإن فعلت ذلك فإنها سـوف تؤسـس بنياناً علميـاً قوياً يسـتفاد منه في صـنع القرارات السياسـية والحضارية من أجل التطور والسير قدماً في شتى مناحي الحياة [١] .

هـ ـ طرح الدكتور السوسوة التأثير والتأثر لغوياً بين الوافدين والمواطنين في جنوب المملكة العربية السـعودية خلال الخمسين عاماً الماضية ، ومازال هذا الموضـوع يحتاج إلى عمل علمي مؤسسـي حتى تصـدر لنا دراسات علميـة جيدة . كما أن هناك ميادين أخرى عديدة تاريخية وحضـارية . مازالت هي الأخرى لم تخدم ، والواجب تشخيصـها، ثم رصد مسيرتها التاريخية ودراسـتها دراسـة علمية تعـود بالفائدة والنفـع على الأرض والناس. (والله من وراء القصد) .

(١) هذا ما يجب العمل والتخطيط من أجله ، لأن أي بناء أو نهضـة يحتاج إلى دراسـات علمية رصـينة ، حتى يقوم البناء والتشييد على قواعد راسخة سليمة وقيمة . (ابن جريس) .



جازان ونجران في كتابات بعض الرحالين الغربيين ورحلتي في القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)

القسم الخامس

جازان ونجران في كتابات بعض الرحالين الغربيين، ورحلتي في القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)

أولاً: مدخل:

أنشر في هذا القسم ثلاثة موضوعات جميعها تدور في فلك الرحلة والرحلات في العصر الحديث والمعاصر. **الأول:** لرحالة أوربي جاء إلى جازان وأجزاء من تهامة اليمن في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م). **والثاني:** رصد صفحات من تاريخ نجران الحديث، كما جاءت في كتابين لرحالين غربيين، هما (فيلبي، وفيليب ليبنز) خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي (٢٠م).

أما الموضوع الثالث: فهو رحلة ميدانية قمت بها في أرجاء محافظة القنفذة في نهاية شهر ذي القعدة (١٤٤٢هـ الموافق لبدايات شهر يوليو/٢٠٢١م).

ثانيا: رحلة من عسير إلى اليمن. لروزيتا فوربس. ترجمة. أ. يحيى بن عبد المطلب السيد (دراسة تصويبية وتعليقات). بقلم. أ. د. غيثان بن علي ابن جريس.

أولاً: تمهيد:

هذه الرحلة التي نحن بصددها في هذه الورقات وجدتها مترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، ومعها ثمان رحلات أخرى جميعها مترجمة، تؤرخ لبلدان عربية عديدة في جنوب ووسط شبه الجزيرة العربية خلال العصر الحديث. وقام بترجمتها الأستاذ يحيى عبد المطلب السيد، ثم جمعها في كتاب بعنوان: **تسع رحلات مجهولة: جنوب ووسط الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر (ظفار، صنعاء، الربع الخالي، حضرموت، اليمن، عسير، تهامة، وسط الجزيرة العربية)**[1]. وكان المركز الثقافي بالقاهرة هو الذي دعم ثم طبع ونشر هذا الكتاب عام (١٤٤١هـ/٢٠١٩م). وعدد صفحاته (٣٤٦) من القطع المتوسط[2].

بذلت بعض الجهود لمعرفة تفصيلات أكثر عن المترجم الأستاذ يحيى عبد المطلب السيد، فلم أعثر على معلومات كثيرة عنه، إلا أنه أشار في مقدمة كتابه (تسع رحلات مجهولة) أنه عاش فترة من الزمن في سلطنة عمان، وقام بالعديد من الرحلات في بعض بلدان شبه الجزيرة العربية، كما عمل في مجال الترجمة منذ زمن لاسيما الترجمة في التاريخ وبعض العلوم الإنسانية الأخرى. ويبدو أن يحيى عبد المطلب مصري الجنسية. ويذكر أن مادة هذه الرحلات التسع الأولية نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة

---

(١) انظر أسماء هذه الرحلات التسع وكتابها في هذا الكتاب المترجم (القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، ص ٧ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) المركز الثقافي الآسيوي، مؤسسة بحثية مستقلة تتبع جمعية خريجي معهد الدراسات والبحوث الآسيوية بالقاهرة. تخضع لقانون الجمعيات الأهلية المصرية. ويهتم المركز بالعديد من الدراسات الآسيوية في شبه الجزيرة العربية، وإيران، وبلاد تركيا والأرمن، والبحوث المتعلقة باليهود في قارة آسيا، وتركستان الشرقية، والشرق الأقصى وغيرها من ميادين الفنون والتراث في بلدان أخرى عربية إسلامية وأجنبية شرقية. (ابن جريس).

الجمعيــة الجغرافيــة الملكية في لندن[١]. وقد قام بجمعها مــن المجلة الآنف ذكرها ، ثم عكف على ترجمتها حتى نشرت في هذه النسخة العربية التي تم الإشارة إليها في سطور سابقة من هذا المحور.

وذكـر المترجـم (يحيى عبدالمطلب) أن من أسـباب اختيار هذه الرحلات التسـع قوله : " إنها لم تنشر من قبل، وهي لرحالة مشهورين ، ولهم إسهاماتهم العلمية في هذا المجـال. كما أنها تمســح حيزاً كبيراً من الخليج والجزيــرة العربية، وربما بعض البلاد التي نادراً ما تناولتها كتب الرحلات[٢]، وهي أيضاً رحلات مجهولة لم تذكرها المصادر ولا الدراســات ، فكأننــي أعلــن عنها لأول مــرة، وأقدمها مترجمة للقــارئ ، والباحث، والمثقف.. " وختم الترجمة مقدمة إقراره بالقصــور وربما النقص فيما قام به من قرأه وترجمة لهذه الرحلات التسع، ويطلب معرفة عيوبه وأخطائه في هذا العمل.

(*) بعـد أن تصفحت صفحات الكتـاب ، وقرأت عناوين الرحـلات التسع، ومؤلفيها، وجـدت المترجم وأيضـاً المركز الثقافي الآسيـوي وقعوا في العديد من الأخطـاء، وأهدروا الكثيرمن الجهد والمال . وذلك لأسباب ، أذكر أهمها في النقاط الآتية :

١- إن المركــز الثقــافي الآســيوي من المراكــز البحثية الجيدة ، ولــه جهود كثيرة في ميــدان البحــوث العلميــة ، إدارة ، وتخطيطــاً ، ودعماً مادياً ومعنويــاً. لكنهم لم يبذلوا جهوداً في مدى صــدق ما ذكر المترجم بأن هذه الرحلات التســع مجهولة ، ولم يســبق ترجمتها ، وهذا قول غير صــحيح ، بل معظمها ســبق أن ترجمت ، وحققــت ونشــرت في كتب أو مجلات علميــة عربية. وقول المترجــم متناقض في مقدمته عندما قال : " من أسباب اختياري لهذه المجموعة ، هو أنها لم تنشر من قبل ، وهي لرحالة مشهورين ، ولهم إسهاماتهم العلمية في هذا المجال " . فكيف تكون رحلات مجهولة ، وهي لرحالة مشهورين ، ولهم إسهاماتهم العلمية [٣].

٢- إن الأســتاذ يحيــى عبدالمطلــب (المترجــم) لم يكن دقيقــاً في ترجمته ، فقد اطلعــت على معظم الرحلات في لغتها الرئيســية (الإنجليزيــة) وقارنتها مع

---

(١) لهذه الجمعية جهود كبيرة في خدمة البحث العلمي وبخاصــة في بلدان العالم العربي والإســلامي . وكانت وزارة المســتعمرات في الحكومــة البريطانية ترعى وتدعم هــذه الجمعية مادياً وسياســياً ومعنوياً وإدارياً ، وتوظف الكثير من الخبراء والأساتذة الكبار لإنجاز أعمال علمية بحثية تساعدهم في سياساتهم العسكرية والاستعمارية . (ابن جريس) .

(٢) هذا كلام غير صــحيح فهناك عشــرات الرحالة والرحلات (عربية وأجنبية) فصــلت الحديث عن بلدان العرب والمسلمين منذ القرن الثالث الهجري حتى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) .

(٣) بعض هذه الرحلات التسع مترجمة منذ عقود ، وبعضها صدرت في كتب أو مجلات علمية محكمة مع إجراء دراســات وتحقيقات على مادتها العلمية الرئيسية . آمل أن يتقصى المركز الثقافي الآسيوي صحة ما ذكرت ، وسوف يجد ذلك قولاً صحيحاً وحقيقياً . (ابن جريس) .

ترجمة الأســتاذ يحيى فكانت مختلفة وأحياناً غير دقيقة ، وعندما ترد أسماء مواضــع وأعلام جغرافية يكون الخطأ أكبر، فلا يذكر اســم المكان الصحيح ، وإنما يدونه بطريقة غير سليمة تبعده عن الصواب.

٣- لا يســع المجال في هذه الورقات أن نوضح ونرصد الأخطاء المشار إليها سابقاً ، علــى جميع الرحلات المترجمة . ومازال هذا الكتاب في نســخته العربية يحتاج إلى جهود كبيرة من المركز الثقافي الآســيوي ومن المترجم نفســه فتصــوب ما جاء فيه من أخطاء ومغالطات كثيرة علمية ، ولغوية وغيرها[١] . وقد قصــرت دراستي على الرحلة رقم (٧) لروزيتا فوربس التي ترجمها المترج باسم : رحلة مــن عســير إلى اليمــن[٢] . وفي مكان آخر من كتابه ســماها: **(رحلــة في منطقة الأوربي في عسير واليمن)** [٣] .

وعنــد رجوعي إلى عنوان الرحلــة باللغة الإنجليزية في مجلــة الجمعية الجغرافية وجدتــه بعنوان : **زيارة إلى إمارة الأدارسة في عسير واليمن** . (Avisit to The Idrisi Terri-tory in Asir and yemen)

ومــن ينظــر إلى ترجمة المترجمة والاســم الصــحيح للرحلة يجد الفرق شاســعاً . والوضع نفسه جاء على معظم الرحلات الأخرى من العنوان إلى تفصيلات كل رحلة[٤] . وفي الصــفحات الآتية سوف أدرج نص الرحلة المترجمة ، مع تصويب الأخطاء والعيوب العلمية والمنهجية واللغوية التي وردت فيها . ثم أشير إلى ترجمة أخرى لهذه الرحلة من إعــداد الدكتور خالد بن عبد الله الكريري[٥] ، وهي أفضــل في منهجها ومســتواها من ترجمة الأستاذ يحيى عبدالمطلب السيد ، وقد نشرت أيضاً عام (٢٠١٩م) .

---

(١) أرجو من المركز الثقافي الآسيوي أن يكون فريق عملٍ متخصص حتى يراجع هذه الرحلات التسع ، ويصوب ما جاء فيها من أخطاء علمية، وهي كثيرة ، وأيضــا يصــحح الترجمة وبخاصــة ما يتعلق بالأعلام البشرية والجغرافية .

(٢) انظر النسخة المترجمة إلى اللغة العربية (تسع رحلات مجهولة)، ص ٢٥ . (ابن جريس) .

(٣) المرجع نفسه ، ص٧٠ لا أعلم ماذا يعني المترجم باسم (منطقة الأوربي في عسير واليمن) .

(٤) أرجو أن يعاد النظر في جميع مادة الكتاب المترجم ، ثم تصوب جميع الأخطاء والمغالطات .

(٥) خالد كريري من بلاد جازان ، وهو من مواليد الرياض عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) درس مراحل تعليمه الأولى ، ثم درجتي البكالوريوس والماجستير في التاريخ بمدينة الرياض. وحصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة برمنجهام ببريطانيا عام (٢٠١٧م) . يعمل حاليا على درجة أســتاذ مســاعد بقســم التاريخ في جامعة الملك عبدالعزيز . شــارك في عدد من الندوات واللقاءات والمؤتمرات العلمية ، هو عضــو في عدد من اللجان العلمية والثقافية داخل الجامعة وخارجها . حصل على بعض الجوائز العلمية . وله عدد من البحوث العلميــة مثل : (١) منهج عاكش الضــمدي في التدوين التاريخــي. (١٤٣٣هـ) . (٢) جدة في كتابات روزيتا فوربس. (٢٠١٧م) .(٣) رحلة في المقاطعة الإدريســية ، تأليــف روزيتا فوربس. ترجمة وتعليق (٢٠١٩م) . (٤) أيام عربية أخرى . (دراسة وترجمة) (٢٠٢١م) . يمتاز الدكتور خالد كريري بدماثة الأخلاق وحسن التعامل. (ابن جريس) .

ثانياً : نص الرحلة كما ترجمها الأستاذ يحيى بن عبدالمطلب السيد (تصويبات وتعليقات) .

عنوان الرحلة في نسخة : **تسع رحلات مجهولة** [١] . (الرحلة السابعة : رحلة من عسير إلى اليمن ، لروزيتا أوربز) [٢] . في نوفمبر من عام (١٩٢٢م) نزلت إلى أرض جازان بصحبة كامل فهمي [٣] . وذلك بعد رحلة بحرية بالقارب عبرت البحر الأحمر من ميناء بورسودان ، حيث استقبلنا استقبالاً طيباً بالإنابة عن الأمير [٤] ، الذي كان على علم بزيارتي المزمعة منذ وقت استقبالنا ابن عمه ونائبه السيد السنوسي [٥] . وكان بصحبته ولده السيد العايد [٦] . إن جازان وميدي أكبر وأهم ميناءين في منطقة عسير، ويبلغ عدد سكانها حوالي (٨٠٠٠) نسمة ، وهنا تزدهر تجارة البن ، والعسل ، واللؤلؤ، والجلود ، وزيت السمسم ، والحبوب ، وبعض رؤوس الماشية ، ولاحظت أن مساكن التجار هنا تتألف من طابقين مبنية من الحجر مرجاني اللون ، يغطيه الجص في بعض الأحيان المزخرف بأشكال بارزة ، أما مساكن الفقراء ، وهم في الغالب من الصيادين . مساكنهم من قش الذرة الملطخ بالطين الصلصالي ، وسمكها في الغالب حوالي قدمين ، تعلق فيها آنية الشرب ، وأحياناً تزخرف الجدران بأشكال من الأرابيسك المزخرف يعلق عليها مشغولات يدوية تصنعها النسوة : من بينها سجاجيد صلاة ، وحصير ، وأطباق ، وقبعات، وسلال، كلها مصنوعة من القش الملون ، أما عن الأثاث في هذه المنازل فأسرة ، وهي إطار من الخشب يعلوه شبكة من الحبال من القش ، وكرسي مصنوع من طبقتين من أوراق شجر الدوم ، مغطاة بقطعة من الحصير والسجاد ، مع جزء من جلد الأغنام [٧] .

---

(١) ذكرت سابقاً أنها ليست رحلات مجهولة ، وإنما هي رحلات سيارة ترجم أغلبها إلى اللغة العربية .

(٢) وقع المترجم في أخطاء في عنوان الرحلة ، واسم المؤلفة فالعنوان الصحيح ، هو (زيارة إلى إمارة الأدارسة في عسير واليمن) ، والاسم الحقيقي لصاحبة الرحلة (روزتا ، أو روزيتا فوربس) وهذا الذي اعتمدته . انظر : النص الإنجليزي في (المجلة الجغرافية البريطانية) أكتوبر (١٩٢٣م) ، ص ٢٧١ وما بعدها . ومادة رحلتها عن الأجزاء التهامية وبخاصة منطقة جازان ، لهذا أوردت الاسم الحقيقي (جازان بدلاً من عسير ..) في عنوان القسم الرئيسي في هذا الكتاب وهو المصطلح الصحيح . والرحالة روزيتا إنجليزية الأصل من مواليد عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) . جابت العديد من قارات آسيا ، وإفريقيا ، وأوربا ، وأمريكا الجنوبية ، وألفت ونشرت كتباً وبحوثاً عديدة. وتوفيت عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) . للمزيد عن سيرتها العلمية ، انظر خالد كريري . " جدة في كتابات روزيتا فوربس " . مجلة الدراسات الشرقية (جامعة نواكشوط ، ٢٠١٧م) .

(٣) يكتب المترجم اسم جازان بهذه الصيغة (جيزان) ، والصحيح ما عدلته على جميع صفحات الرحلة . أما أحمد فهمي الوارد اسمه في الرحلة، فهو مصري الجنسية ، كان يعمل في شركة الحديد المصرية .

(٤) يقصد بالأمير هنا أي الإمام محمد بن علي الإدريسي (١٢٩٣-١٣٤١هـ/١٨٧٦-١٩٢٣م) ، مؤسس الإمارة الإدريسية في صبيا . انظر خير الدين الزركلي . الأعلام (١٩٩٧م) ، ج٦، ص ٣٠٣ .

(٥) السيد السنوسي من أمراء الأسرة الإدريسية ، وقد أخطأ المترجم فلم يكن نائباً للإمام محمد الإدريسي . انظر محمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ج٢، ص ٨٣٤ .

(٦) العابد : كتبه المترجم (العبد) ، وذلك خطأ . والعابد ابن السيد السنوسي .

(٧) ورد في السطور المدونة أعلاه تفصيلات جيدة عن جزئيات من تاريخ الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وقد يصعب أن نجد في مصدر آخر مثل هذه المعلومات . والمترجم قصر بعض الشيء في تعريف بعض المصطلحات والمواضع التي وردت في هذه الشروحات .

ذلـك الجزء من عسـير، وهو يقع مباشـرة تحت حكم الإدريسـي ، علـى الأقل من الناحية الاسمية ، يخضع الإقليم للطريقة الإدريسية وهي طريقة وضع نظمها السنوسي المشـهور ، وهو تلميذ وتابع للجد الأكبر للأمير الحالي[١] ، لمنطقة عسير : الذي ترك كل أشـكال الرفاهيـة ، ويعيش حياة بسـيطة ، حيـاة الزاهد بعيدة عـن أي تأثيرات مادية فارهـة ، ويعمل بـكل إخلاص على تطبيق شـرائع القرآن الكريم : جديـر بالذكر أنه لا يسـمح للغرباء ؛ سـواءً كانوا مسلمين ، أو مسيحيين، أو يهوداً ، بالدخول إلى عسير؛ لأن سـكان الإقليم حتى سـكان المدن منهم متعصبون متشـددون مذهبهم الشافعي ، يقوم على تطبيق مبادئه مجموعة من القضاة ، ولا يعرفون تشريعاً غيره .

هـذا الإدريسـي يترأس المحكمـة التـي ترفـع أمامهـا الدعـاوى القضـائية ، هـذا الرجـل يحصـل مـن الأزهـر علـى أعلـى الشـهادات في العقيـدة والقضـاء . وهـذا الرجـل لا تنظـر إليـه علـى أنـه رجـل السـلام في منطقـة غـرب الجزيـرة العربيـة ، بـل هو مـن أكـثر رجالاتها علمـاً . والمؤسسـة التعليميـة هنا هي مـا يعرف باسـم الكتاتيـب ،ويقـوم بالتدريـس هنـا شـيخ يعلـم القـرآن وأحاديـث الرسـول (ﷺ) وشـيء من الحسـاب ، ويبدأ اليوم التعليمي مع بداية ظهور الشـمس وينتهي مع اختفائهـا ، لأن تكاليف الإضـاءة لا يقدر عليها غير الأغنياء القادرين على شـراء زيت الإضاءة ، وتقرع الطبلة ثلاث مرات تنذر الأهالي بالتزام مساكنهم حتى الفجر[٢] .

إن النظـام والقانـون كانـا يطبقـان جيداً في مخـلاف اليمن ؛ ذلـك الذي يحيط بإقليم الإدريسي، التي تسير من صبيا إلى إقليم جيزان [٣] ، لكن خارج هذا الإقليم فإن الرحالة أو المسافر ، إذا كان رجلاً شخصية مهمة ، لابد أن يصحبه حراس من القبائل، وتطبق كل أحكام القرآن الكريم بحذافيرها ، بقطع رأس القاتل ، والسـارق تقطع يده ، أو يده ورجله ، وذلك حسـب حجم جريمته ، والشريكان في الزنا يدفنان في الرمل حتى امتداد الذراعين ويرجمان ، بالطوب حتى الموت ، والمتشاجر يدفع غرامة قدرها خمسة ريالات، ويجري اختبار الكذب باسـتخدام قضيب من الحديد الساخن على اللسان[٤] .

---

(١) يقصـد بالجد الأكبر، أي محمد بن علي السنوسـي (١٢٠٢ـ ١٢٧٦هـ/١٧٨٧ـ١٨٥٩م) ، مؤسـس الطريقة السنوسية . انظر الزركلي، الأعلام ، ج٦،ص ٢٩٩. وتكتب الرحالة روزيتا في الحاشية قولها (أثناء كتابتي هذا المقال كان الأمير الإدريسـي قد فارق الحياة ، وحل محله في الحكم السـيد مصـطفى) . وكلاهما غير دقيق فالذي جاء إلى الحكم بعد السيد محمد هو ابنه الإمام علي ، وليس ابن عمه السيد مصطفى .

(٢) الترجمة لا بأس بها ، مع أنه يجب أن تكون أكثر شـمولية، ودقة . فالمترجم حرص على الترجمة الحرفية ، وهو معذور لأنه لا يعرف طبيعة الأرض ، ومجرى تاريخها . كما أن معلومات الرحلة قيمة وبخاصة في التاريخ الحضاري الحديث لبلاد جازان خلال الثلث الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٣) صاحبة الرحلة لم تكن صائبة عندما أوردت مصطلح (مخلاف اليمن) ، وإنما البلاد التي تتحدث عنها من صبيا إلى جازان ، تعرف من قديم الزمان بالمخلاف السليماني ، ويقصد به (منطقة جازان اليوم) .

(٤) احتـوت الرحلـة على معلوماتٍ تاريخية اجتماعية جيدة وصـفت من خلالها نشـر الأمـن في ربوع البلاد ، وإعطاء الحقوق لأهلها، وشيئاً من الضبط الإداري الذي مارسه الإدريسي في بلاد جازان .

ويؤدي المسلمون الصلاة خمس مرات في اليوم، والتدخين محرم، ولا توجد هنا مقاهي ، ولا راقصات ، وفرقة المغنين الوحيدة من الدراويش ، شاهدتهم في أقصى جنوب اليمن ، حيث يعيشون مستوى من حياة الحرية .

في عسير لا توجد أضرحة ، والعائلات المثقفة ثقافة دينية من الأسياد هم أصحاب النفوذ خلال هذا الصراع الطويل مع الأتراك، ومع بيت الحسين في أبي عريش تضاءل دورهم ، وأهميتهم في ظل حكم أسرة الأدارسة المتشددين ، والإقليم الذي يمارس عليه الأمير سيادة كبيرة أو صغيرة شريط امتداده حوالي (٢٧٠) ميلاً يمتد بعد البرك جهةٍ الشمال بحوالي عدة أميال ، ويسير نحو الداخل إلى محايل حيث تتحول الحدود جنوباً وتتعدى أبها محايل العاصمة التركية القديمة، التي تقع على مسافة سبعةٍ أميال نحو الشرق ، وتسير محاذية للساحل مسافة حوالي ما بين (٥٠) إلى (٦٠) ميلاً منها ، عبر جبلٍ السراة ، وجبل شاحل وجبل ملهان (j. Milhan) ، وعند آخر نقطة فيه تتحول غرباً ، وتتجاوز جنوب المراوعة ، ويصل الساحل على بعد أميال قليلة من الحديدة[١] .

عندما كنت في عسير عقد الإدريسي معاهدة مع ابن سعود في الرياض بمقتضاها حددت له حدوده الشرقية، ومقابل ضمان هذه الحدود تصبح حرية التجارة بالدخول أو الخروج من موانئ عسير للسلع التي تخص الرياض، ومعظم الزكاة على الماشية من عسير شقت طريقها عبر الجبال لمواجهة خطر المجاعة التي كانت تهدد نجد[٢]. وكانت علاقات الإدريسي طيبة مع الملك حسين ؛ رغم أن الحسين كان يقدم مساعدة سرية لمحمد بن عائض وقبيلة بني مغيد ، لكن في القفل وفي جبل ملحان ، وجبل ريمة دخل الأمير في حرب بسيطة مع الإمام يحيى في صنعاء الذي احتل الإقليم الجبلي ، وهدد الأدارسة من جهة الشمال في صعدة ورغم ذلك فإن قبائل حاشد وبكيل الذين كانوا يسيطرون على الحافة الرئيسية تحالفوا مع الإدريسي ، وذلك لأجل ضمان وتشجيع تداخله مع ابن سعود حتى يقوم ابن سعود بغارة أخرى في اتجاه اليمن[٣] .

(١) أجادت الرحالة رزويتا في رصد معلومات جيدة عن قضايا عديدة في بلاد جازان وبعض بلدان تهامة . لكن المترجم وقع في عدة أخطاء فقال: (في ظل حكم أسرة حسن في أبو عريش) . والصحيح الحسين بن علي بن حيدر (١٢٠٥-١٢٧٣هـ/١٧٩١-١٨٥٧م) ، وهو من أسرة آل خيرات في جازان . وذكر اسمي جبلي الشاهل وملحان فكتبهما (شاحل ، وملهان) . وهما جبلان في اليمن قريباً من ناحيتي حجة والمحويت . انظر، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج١، ص ٨٤٢ .

(٢) واصلت الرحالة روزيتا خطأها في إطلاق اسم عسير على بلاد الإدريسي في جازان ، ولم يوضح المترجم هذا الخطأ الذي تكرر كثيراً في صفحات البحث . والجميل أن الرحلة أشارت إلى بداية الصلات مع الإدريسي وابن سعود، لكنها لم تفصل في ذلك مع أن هناك مصادر ووثائق كثيرة أسهبت الحديث في تلك العلاقات حتى دخلت بلاد جازان تحت حكم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل .

(٣) خرجنا من هذه الفقرة إشارة الرحالة إلى شيء من الحراك السياسي والعسكري بين الإدريسي ، والملك حسين الشريف في الحجاز، والأئمة الزيدية في اليمن وبخاصة قبائل حاشد وبكيل . وهذه التفصيلات

اليوم جهز الإدريسي (١٥،٠٠٠) رجل في الميدان ضد الإمام ، ومعه قبيلة الزرانيق التـي تعيش عند حـدوده الجنوبية ، وهنـاك احتمال أنـه في حالة الظـروف الطارئة ، يسـتطيع أن يرفع هذا العدد إلى (٣٠،٠٠٠) رجل، قدرنا عدد سـكان المنطقة الخاضعة لسلطانه بحوالي مليونين ، وقدرنا دخله من عوائد الجمارك بحوالي (١٢٠،٠٠٠) جنيه اسـترليني في العـام الماضـي ، وتقدر قيمة الأعشـار تقريباً حـوالي (٢٠٠،٠٠٠) جنيه استرليني ، حكم البلاد مقسم بين واحد وعشرين من العمال، وهم مسؤولون مدنيون ، كل واحد مسـؤول عن الإقليم التابع له، لكن في واقع الأمر تقع كل السـلطة الفعلية في يد الإدريسي ، وحيث أن كل شيء يعرض عليه في صبيا وتجري عمليات إدارة الحكومة عن طريق تنقل الإبل بين العاصمة وبين المدن وعواصم الأقاليم[(١)].

تقع صـبيا على بعد حوالي (٢٧) ميلاً من جيزان شمالاً تقديراً تسير السيارة دون اسـتخدام مؤشـر السـرعة ، وهذه المدينة بالإضـافة إلى أهالي القرى التي حولها يبلغ إجمـالي تعـداد المنطقة (٢٠،٠٠٠) نسـمة ، وهي مقسـمة إلى مدينتين مسـتقلتين عن بعضهما ، في حضن اثنين من التلال الصغيرة ، وهما عكوة اليمنية ، وعكوة الشامية[(٢)]. أكـد لنا الأهالي وجـود الزمرد هنا، والمدينة القديمة تتألف مـن أكواخ ذات قمة مدببة (عريش) نفسـها في جيزان ، وتقع عند قاعدة جبل الشامية أما المدينة الجديدة ، التي يعـرف أن بناءها كان على أسـاس تخطيـط الأمير، تزداد حجمـاً وأهمية بطبيعة حال الإدريسـي ووزرائـه ، يحيى زكريـا ، والحكم فرعان من بني المسـارحة ، ومحمد يحيى باصـهي، وهو رجل نشيط وأثرى على حسـاب الدولة ، والرجلان بنيا لأنفسهما مساكن من الطوب اللبن، ومن الحجر المزخرف واجهته بالجص ، والسيد أحمد الإدريسي، هو المؤسـس الحقيقي للطريقة الإدريسية (الأحمدية) قبره في صبيا في قبة صغيرة ، يهتم بها الأهالي، والمكان يتمتع بالاهتمام يشكل بسبب ما لأهل السنة شيئاً من القلق[(٣)].

مدونة في مصـادر ومراجع عديدة . لكن روزيتا نقلت ما سـمعته وشـاهدته أثناء زيارتها لبلاد جازان وما جاورها . كما وقعت صاحبة الرحلة والمترجم في خطأ ذكر أمير عسير ، (محمد بن حسن بن عائض)، والصحيح ما تم تدوينه ، وهو من أمراء آل عائض قبل دخول عسير تحت حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل . وذكر المترجم أسماء بعض الأماكن اليمنية خطأ مثل (القفل) كتبها (الكفل) وريمة (ريما) ، وقد دونت الصواب في المتن . أما الصراع بين اليمن والسعودية في عهد الإمامين عبدالعزيز آل سعود ، ويحيى حميد الدين فقد أسهبت المصادر والمراجع في ذلك .

(١) احتـوت هذه السـطور على لمحات من التاريخ الإداري والمالي والعسـكري لإمارة الإدريسـي . وهذه المحاور مازالت تحتاج إلى دراسات أطول وأعمق تعتمد على مصادر أولية ووثائق جديدة في هذا الباب .

(٢) أخطأت صاحبة الرحلة عندما ذكرت أن العكوتين في بلاد صبيا، وهذا كلام غير دقيق ، فهما جبلان يقعان إلى الشرق من صبيا.

(٣) دونت المؤلفة معلومات لابأس بها عن مواضع عديدة في جازان ، لكن المترجم وقع في أخطاء عديدة عند ترجمته لأسـماء المواضـع فقال عن وادي ضمد (داماد) ، وعيون الحظائر (هافاعر) ، ووادي خلب (خولاب) ، ووادي الدماج (داماغ) ، ووادي تشر(طاشر) ، ووادي بحيص (باحس)، ووادي مور(مر) ، ومدينة اللحية (لاحيا) ووادي سردر (سردور) ، ووادي أنس (أنيس). وكل هذه الأمكنة في بلاد جازان وأجزاء من تهامة اليمن ٠

رغم الجدل والنقاش الذي استمر تقريباً تسع ساعات تخلله احتساء الشاي خمس مرات ، كل واحد أيد بشكل مختلف، ورفض الأمير علناً أن نتوجه شمالاً، ومن هنا اقتنعنا أن نسير في الإقليم الواقع شرقاً وجنوباً؛ إن هذا الحزام المتموج أو المسطح من أرض تهامة الذي تظهر فيه أول التلال فجأة ، ودون أن ترى ارتفاعاً ، ولو خفيفاً تدريجي عند قواعد تلال الحجارة، يقطعه عدد من الأودية التي تسيل هابطة نحو الساحل ، وتدريجياً تلتوي عندما تقترب منه ، وقد رأيت هذه الأودية من الشمال إلى الجنوب ، وادي ضمد ، وادي جيزان ، حيث يلتقيان عند عيون ماء الحفائر الذي من مسافة ميلين يزود الميناء بالمياه ، ووادي خلب له حافة تحمل نفس الاسم ، ووادي الدماج ووادي تعشر الذي يبلغ اتساعه حوالي ثلاثة أميال عند مصبه ، ووادي حيران ، وهو زراعي خصب، وهو ملك للشيخ سيد مسعد، وهذا الرجل من أثرياء عسير ، وادي بحيص تراه من فوق قبة الوالي الصالح باناجي . حيث توجد مقابر دفن فيها مجموعة من اللصوص الذين كانوا يقطعون الطريق هنا ، وادي العين وادي مور ، توجد اللحية بين مصباته الكبيرة الكثيرة ، وادي سردد الذي تغطيه أشجار كثيفة منها ، السنط والطرفاء والتمر الهندي، ثم وادي أنس بالقرب من الحديدة[1] .

بعد وادي جيزان أعلى هذه الأودية في الكثافة السكانية ، حيث توجد عند مدخله على مسافة عشرين ميلاً تسع قرى فضلاً عن مدينة أبو عريش ، وفي الداخل قليلاً توجد ثمان قرى أخرى، يحيط بها سور بسيط ، وعدد سكانها يتراوح ما بين خمسين إلى خمسمائة نسمة ، والغلة الزراعية الأساسية في الوادي هي الذروة ، والدخن والسمسم، وأنواع من الخضروات ، وهنا يزرع القنب الهندي ، إلى جانب النباتات العطرية والفل؛ حيث تشتم رائحة قوية هنا، ومع ارتفاع مستوى سطح الأرض يزرع القمح ، وبعض الشعير، ومن التلال يأتي البن ، والموز ، والورد، والعنب، واللوز، والبابايا ، والتفاح ، والبطيخ ، ويزرع الأرز في منطقة الواعظات ، أما القطن فتزرعه قبائل الحشابرة ، وهو قطن طويل التيلة ، أشجاره مرتفعة ، وحيث أنهم لا يعرفون طريقة غزل ألياف القطن هنا، فإن القطن الخام يقوم برحلة ذهاب وعودة، وتقوم الحكومة بعمليات نسف الصخور الملحية في التلال الصغيرة ، والصناعات الوحيدة هي النسيج باستخدام النول اليدوي ، وأعمال الصباغة ؛ بالإضافة إلى الصناعات المعدنية المشهورة في كل من مدينتي الزيدية وصبيا[2] .

---

(١) لمزيد من التعريفات لهذه المعالم الجغرافية ، انظر، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، للمقحفي . **والمعجم الجغرافي لمنطقة جازان** ، محمد العقيلي. كما أن الرحالة رزويتا وقعت هي الأخرى في بعض الأخطاء العلمية ، فذكرت (قبة الوالي الصالح باناجي) والصحيح (الولي المناجي) ، وهو إبراهيم بن أحمد الزيلعي ، ويوجد قبره في خبت بحيص . انظر أحمد العقيلي . (**العقيليون في المخلاف السليماني وتهامة**) (١٩٩٢م) ، ص٩٥. كما لم نعثر على واد في اليمن يعرف باسم أنس أو أنيس .

(٢) وثقت الرحالة روزيتا معلومات قيمة من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بلاد جازان . وذكر المترجم منطقة الواعظات باسم (الوزات) والصحيح ما تم رصده في المتن . وبلاد جازان مازالت بحاجة إلى دراسة علمية تفصيلية عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

يحمل المقاتلون خناجر مصنوعة محلياً، مطعمة برقائق من الذهب، أو الفضة ، ويد الخنجر من القرون المطعمة بأحجار تقليدية للجواهر ، وهذا السلاح منتشر في التلال، منهـا ما هو العقيق الأبيض، والعقيق الأحمر، والأخضـر التفاحـي ، والعقيقي، وهناك أشـكال من مقابض الخناجر مزخرفة بشـبه حصـوات مطعمة بقطع أشباه الحفريات المتحجرة من نبات السرخس ، وأهل المدينة فئتان ، وهما الأشراف والتجار، ومعظمهم مهاجر من حضـرموت ، المولدون يصـرون على أنهم من العرب ، أما الرقيق فإنهم من الحبشة ، أو من الصومال، والخدم وهم من طبقة الحمالين ، يقدر الشخص منهم على حمل مقدار (٥٠٠) رطل ، وهناك خدم من اليمنيين ، وهؤلاء لا ينتمون إلى الرقيق ، أو إلى الخدم ، ومظهرهم خفيف معتدل القامة ، يحلق شعر ذقنه ، والبشرة لامعة ، لونها أصـفر، يضـع الواحد منهم فوق رأسـه قبعة على شـكل جمجمة مخططة تسمى فوتاح (فوطة) ويحمل سيفاً[١] .

هناك مقولةٍ مؤداها أن المرأة والحلاقين واليهود من الممكن سـفرهم في أمان ، لأنهم لا يحملون سلاحا، ولكني لم أقابل يهودياً حتى وصولي إلى الحديدة ، حيث فيها التقيت مع مجموعة من اليهود ضربهم الفقر، وهم من الحرفيين جاءوا من صنعاء ، وهم مسموح لهم أن يرتدوا لباسـا واحدا يشـبه قميص النوم ، ولا يجلسـون في وجوه وجهاء العرب، وللأمير حرس يتألف من حوالي (٥٠٠) رجل من أقوى رجال أبو عريش وصـبيا ، وهم يمثلون نوعا من الجنس العربي النقي في البلاد ، والرجال من ذوي البنية المتوسطة ، فيهم رشاقة وخفة لون بشرتهم زيتوني ، ملامحهم عادية ، أنوفهم مستقيمة طويلة ، والجباه عريضة يبدأ من عندها شـعر الرأس مسترسـلا إلى الوراء، مجدولة على الكتفين ، وبدو السـاحل مختلفين عـن هذا النمط ، لكن أهل الداخل ملامحهم خشـنة، وقابلت بعض الناس من جبل حراز ذوي أكتاف عريضة بدينة ، وهم لا يختلفون عن أشكال البشر الوحشية في وسط إفريقيا ، أصحاب الشعر المجعد ، والجبهة الضيقة والملامح الضخمة[٢] . أما عن بدو تهامة فيرتدون جزءاً من جلود الأسـد ، وتلتصق في جدائل شـعورهم أعشاب عطرية ، يدهنون أجسادهم بالزيت ، ويحملون الرماح الطويلة؛ رغم وجود البنادق في بلادهم ، والمشتري يختار ما بين الإنجليزي والألماني ، والإيطالي بمقدار (١٢٥) جنيها استرلينياً[٣] .

---

(١) ترصـد الرحالة صـورة مـن التركيبة الاجتماعية في جازان وبخاصـة فئـات المجتمع وبعض طبقاته . أما المترجـم فترجـم مفردة فوطة خطـأ فذكرها (فوتاح) . والفوطة إحدى الألبسـة التـي عرفها الجازانيون وعموم بلاد تهامة ، ومازالت مستخدمة عندهم حتى الآن . وتاريخ اللباس والزينة في تهامة من مكة المكرمة إلى جازان موضوع حضاري مهم يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من الكتب والدراسات العلمية.

(٢) أوردت المؤلفـة معلومات جيدة عن هيئة وأشـكال بعض عناصـر المجتمع في جـازان وما جاورها . والمترجم ترجم كلمات جبل حراز باسم (حواس) ، والصحيح ما تم تدوينه في المتن .

(٣) عند مقارنة الترجمة بالنص الإنجليزي نجد أن المترجم غالباً يسلك الترجمة الحرفية ، وأحياناً تكون طريقة

باستثناء تحالفات جبلية من أمثال قبيلة حاشد، وبكيل فإن البدو على الفطرة، يحملون معهم أحجار سوداء تمائمهم : مسلمون بالاسم ، وليست لهم طريقة محدودة، ولقد رأيتهم يؤدون الصلاة ، يجعلون اتجاه مكة خلف ظهورهم، ورأيت بعضاً منهم يعبد الشمس ، هناك كثيرين يعبدون الطبيعة ، وهم يؤمنون بالفأل الشؤم ، والجن والجنيات التي تظهر في شكل غيلان ، والأهالي من سكان التلال الجبلية يعتبرون جنساً نقياً ، بشرتهم داكنة ، والملامح تشبه الرومانية، نشيطون ، يرتدون الخوذة الزرقاء المعروفة باسم الفوطة وعلى أكتافهم يتدلى جزء من جلد الماعز، وهم لا يتزوجون من غير أهليهم من أهل السهول ، ومعظمهم من الزيدية[١].

وجدنا في مدن تهامة معظم الطرق المشهورة ، بالإضافة إلى طريقة الإدريسي، هناك الرشيدية ، والقادرية ، والصدرية ، والمغانية ، والرفاعية ، لكنني لم ألمس تمسكاً شديداً بالعقيدة ، هم يكرهون الأجانب بشدة ، لذلك كان انتقالنا من قرية إلى أخرى يمثل تعاقب معارك صغيرة ، وبسبب ذلك تحفظهم بهويتهم أكثر، ليس من باب التعصب، وإنما هو حذر من كل غريب . كانوا يصيحون في وجوهنا أننا لسنا أبناء آدم، وأننا لسنا مسلمين ، ورغم أنني سرت في هيئة امرأة مصرية أرتدي الزي التقليدي الأهلي كنت أسمع صيحات لعنات النسوة تطاردني أنني كافرة ، وأنني مسيحية[٢].

إن المرأة الإدريسية من الطبقة العليا معزولة كلياً عن مثيلاتها من الدول العربية التي زرتها[٣]. عدا نظيرتها في الكفرة[٤]. لا يخرجن من بيوتهن إلا للزواج ، أو تصير إلى قبرها ، وكلا الحالتين في حالة العرس أو حالة الموت لا تخرج العروس إلا ليلاً ، وتخرج الجثة ليلاً ، وينظر أهالي المدن إلى أهالي الريف على أنهم وحشيون ، ورغم أنهم يعتمدون عليهم في الحصول على احتياجاتهم الغذائية ،إن الأرض لسكان القبائل

غير صحيحة في علم الترجمة ، وكان الأجدر أن يجمع بين الترجمة الحرفية والترجمة الشمولية أو ترجمة المعنى أو المضمون لما يراد ترجمته . أما تاريخ السلاح في بلاد السروات وتهامة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) فهو موضوع لم يدرس حتى الآن ، أرجو أن نرى من يتخذه ميداناً للبحث والدراسة والتوثيق.

(١) المؤلفة روزيتا أشارت إلى شيء من التاريخ الديني عند بعض البدو وسكان الجبل ، وذكرت جهلهم ببعض أمور الدين. وهذا كلام صحيح فهم يعيشون في عزلة ، ويفتقدون إلى من يقوم على توجيههم وتوعيتهم في أمور دينهم .

(٢) المترجم ذكر الطرق الصوفية في جازان وأشار إلى الرشيدية ، والصدرية ، وغيرهما ، والصحيح هما (الراشدية ، والشاذلية) . وهذه الطرق تحتاج إلى دراسات تحليلية . وتوثيقية . أما حرص أهل البلاد على عدم قبول الغريب ، فذلك موجود منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة . وبخاصة أهل البوادي والجبال فهم شديدون في عدم قبول الغريب، بل كانوا في عزلة في بلادهم ، ويقفون في وجه من يقتحم عليهم أوطانهم ، أو يخالطهم فيها٠

(٣) قالت الرحالة (المرأة الإدريسية) والأفضل أن تقول المرأة الجازانية ، ويقصد بذلك عموم بلاد جازان.

(٤) الكفرة : مجموعة واحات في صحراء ليبيا . انظر طاهر الزاوي . معجم البلدان الليبية (طرابلس ، ١٩٦٨م) ، ص٢٩٢ ٠

، وهم يقومون بتربية أعداد من الماشـية ، ومن الأغنام، ومن الإبل الصـغيرة النحيلة التي لا تستطيع أن تحمل مقدار (٧٠٠) رطل ، وسعر الفدان هنا يتراوح ما بين (١٠٠إلى ٣٠٠) دولار ، وهذا المقياس أكبر منه في المقياس المصري، تنتج الأرض ثلاثة محاصيل من الذرة في العام ، ويصل متوسط إجمالي الإنتاج ما بين (١٢إلى ١٥) أردباً للفدان، وهذا هو إنتاج الأدوية ، وحيث إن الإقليم خصب في إنتاج المحاصيل وتربية الماشية ، فإن الأسعار بسيطة، سـعر الناقة (٤) جنيه اسـترليني وسعر الغنم سـتة بنسات للواحدة ، وسـعر سلة التفاح ($\frac{1}{5}$) فاردنج[1]. والقمح ما بين (٢١) رطلاً إلى (٢٥) رطلاً ، سـعره بنسـان لكل مقدار، والذرة (٣٢٥) رطلاً سـعره أحد عشـر بنسـاً ، ولا توجـد بغال ، ولا توجد إبل للسـباق في الإقليم، ولكن توجد حمير لونها رمادي، مستوردة ، وهي وسيلة النقل الأساسية؛ ذلك لأن سلالة الخيل المحلية قليلة ، وصغيرة الحجم ، وتوجد أعداد من خيول الاستيلاد مستوردة من نجد ، لكن باستثناء هذه الخيول لم أشاهد أنواعاً جيدة من الخيول في الإقليم [2].

المنطقة محرومة من طريق ممهد، وهناك درب يسـير بامتداد مواز للساحل يسير بعيداً عن الشـاطئ بعدد من الياردات ، تسـتطيع سـيارات الأمير السير عليه[3]. وبعد حوالي (٢٠) ميلاً في الداخل هناك درب آخر من صبيا عن طريق أبو عريش ، وحرض والزهرة والزيدية إلى الحديدة[4].

وهناك أيضاً اتصال محدود ، عدا ما يكون بين القرى التي تشكل في مجموعها مدينة أو وادياً، وبسـبب قلة الاتصال فإن شيوخ قرية صغيرة في غالب الأحيان لا يعرفون أسماء زعماء قرية أخرى على بعد أميال من هذه القرية ، وعالمهم محبوس داخل دائرة صحراوية محدودة، وأملهم في الاتصـال بالخارج بوجود بقع منتشرة من حشائش جافة وشجيرات قصيرة وسط الصحراء. لم أشهد أي نوع من الحيوانات البرية غير الغزال ؛ كما شاهدت طائر البشروش على الساحل (شبيه النعام) والصقور، والنسور، والغربان[5].

---

(١) الفارذنج: قطعة نقدية بريطانية قديمة تساوي ربع بنس .(روزيتا) .

(٢) الفقـرة المدونـة أعلاه تناقش وضـع المرأة في بلاد جازان ومـا حولها، فهي تعيش في منزل أهلها ، وبخاصـة النسـاء الحرائر أو من يعشـن في القرى . ولم تكن على اختلاط كبير بالرجال وغيرهم. كما أشارت الرحالة إلى صور من التاريخ الزراعي والأسعار لبعض المواد الغذائية وغيرها . ومادة هذه الرحلة تحتوي على معلومات جيـدة قد لا نجدها في مصـدر آخـر. وأقول إن تاريخ المرأة في جازان ، وأيضـا التاريخ الزراعي والتجارة من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تدرس وتوثق خلال القرون الثلاثة الماضية (ق١١ـ ١٤هـ/ق١٧ـ ٢٠م).

(٣) قصدت روزيتا بسيارات الأمير، أي الأمير محمد الإدريسي.

(٤) أبـو عريش مدينة رئيسـية في منطقة جازان . وحرض ، والزهـرة ، والزيدية ، والحديدة جميعها في تهامة اليمـن . أمـا المترجـم فوقع في عـدد من الأخطاء لذكر بعض الأسـماء ففـي عموم الرحلة ذكر اسـم (أبو عريش) باسم أبو الريش. وقال عن حرض (حرضه)، والزهرة (زور)، والزيدية (زديا) . وقد أصلحت كل هذه الأسماء في المتن. انظر كتاب: تسع رحلات مجهولة (المترجم إلى العربية)، ص ٢٦٠ .

(٥) راجعت هذه الفقرة على النص الأصلي باللغة الإنجليزية ، وكما ذكرت سابقاً ، أن المترجم يجتهد في عمله

كلما دخلنا جنوباً في اليمن ، تتغير طبيعة البلد، القرى بيوتها أكواخ من عيدان القش؛ مثل المسكن الإنجليزي يغطيه نبات اللبلاب ، بالإضافة إلى نبات اليقطين المتسلق ، وحولها حدائق نخيل الدوم ، أو أشجار كثيفة من أنواع الشذابِ ، والقرض، والصندل ، والبروم والميموسا تنتشر وكأنها مظلة كبيرة ، وشاهدت أشكالاً من الزهور البرية، وفي بعض البقع تنمو المحاصيل على امتداد الطريق؛ هذا حيث كانت تهامة تضيق ما بين جبل ملحان والساحل يسيطر على هذا المضيق وادي سردد الخصيب [١].

جدير بالملاحظة أن المناخ لم يتغير كثيراً في تهامة في الفترة التي بقيت فيها هناك ، كان متوسط درجات الحرارة عند الظهيرة حوالي (٨٤) درجة (ف) ، وكانت هناك رياح جنوبية مضادة ، ونادرا أن تهبط الحرارة عن درجة حرارة (٢) أو (٣ ف) عند الفجر، ومتوسطها ما بين (٧٥) إلى (٧٦) ويسقط المطر في يونيو ، ويوليو ، وأغسطس ، وهنا مباشرة يبدأ موسم بذر البذور ، وأحياناً تسقط أمطار في فبراير ، لكنها لا يعتمد عليها .

إن الحياة في اليمن الشمالي في جملتها تختلف عن الحياة في عسير باستخدام القات[٢]، وهذه الشجيرات تنبت في العروض عند ارتفاع (٤٠٠٠) قدم ، وتحتوي أوراقها على مادة منبهة من الكافيين القوي التأثير، وتقوم قوة من إناث الإبل برحلة يومية لنقل هذا النبات من أعالي التلال إلى المدن في الأودية والسهول وهناك تشاهد مساكن من القش؛ حيث أن الجو لا تقدر على وصفه من الحرارة الشديدة ، ومن العرق، ومن رائحةٍ النبات ، والرجالِ هنا يدخنون النارجيلة ، ويمضغون القات ، والشحاذ يستهلك عدداً من الأوراق يومياً[٣]. ويستتبع فترة التنبيه باستخدام القات إلى فترة من القلق والمللِ، والناس هنا يسهرون حتى وقت بعيد من الليلِ ، ومن هنا فإنهم لا يستيقظون مبكراً لأعمالهم ، وأي واحد يريد أن يسافر متعجلاً ينتظر حتى صلاة العشاء، في هذا الوقت

على الترجمة الحرفية، ويظهر في هذه الطريقة خلل ، وأحياناً يجب ترجمة المضمون ، أو خلاصة ما يراد ترجمته مع الحفاظ على أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية .

(١) الرحالة روزيتا خرجت من بلاد جازان إلى تهامة اليمن ، وتشير إلى الطبيعة الجغرافية هناك، وفي اعتقادي أنها ليست بعيدة في تركيبتها عن بلاد تهامة الممتدة من جدة إلى عدن . أما المترجم فقد وقع في بعض الأخطاء عند ذكر بعض المصطلحات مثل: أشجار الشذاب والقرض ذكرهما (سداب ، والأرض) أما شجر الصندل الذي ذكرته روزيتا فلم أهتد إلى معنى ونوع هذا الشجر. أما البروم والميموسا فهما (الوزّال، والسنط) . وذكر اسم جبل ملحان هنا صحيحاً ، مع أنه أورده في صفحة سابقة (ملهان) ووادي سردد ذكره (سردود) . انظر النسخة العربية من كتاب : (تسع رحلات مجهولة) ، ص ٢٦١ .

(٢) أخطأت الرحالة روزيتا عند ذكرها عسير ومقارنتها مع تهامة اليمن . فكل المعلومات المعروفة في رحلتها عن بلاد جازان . وفي الفترة التي وصلت فيها إلى جازان كان الإدريسي هو المسيطر الفعلي على منطقة جازان .

(٣) تقصد إن الفقراء أو الشحاذون لا يحرصون على طلب الصدقة من أكل وشرب ، بقدر حرصهم الحصول على ورقات قليلة من القات.

يكـون تأثير المخدر في أعلى ذروته ، ومن الواضـح أن القــات يؤثر على طبيعة النـاس في جملتها[١] .

إن الحياة في عسـير تتمتع بالاقتصــاد في الإنفاق وبالبســاطة والاعتدال[٢] ، وذلك بخــلاف أسـلوب الحياة في اليمــن ، والرجل المســن من الأسـياد يجمع مــن الزوجات مائــة تقريباً ، وذلك لتحصـيل عدد من الفوائد ، والطلاق هنا أمر سـهل ، وشــرعة في الإســلام[٣] . وهو أمر شائع هنا في جنوب ميدي ، ويوجد عدد من الأضرحة في المنيرة ، وفي المراوعة ، ويتجمع حولها الحراس وهؤلاء معروفين بالقوة البدنية الخارقة[٤] .

أما المســاجد مثل التي في اللحية فهي مساجد كبيرة ويزينها القباب[٥] . وهنا تكثر المقاهــي لأجل التسـلية والتدخين ، إنها حياة آكلي اللوتسـ[٦] . وبذلك المجهود في العمل قليل ، وترى النسوة في الشوارع يرتدين ملابس بسيطة ، يحملن في الخصر مجموعة من الأجراس التي تحدث صوتاً كلما تحركن[٧] .

وصـلنا عنـد مجموعة من الآثـار القديمة في رحلتنا ؛ مثلاً في ابن عباس شــاهدت لوحة عليها نقوش بالخط المســماري[٨] . وفي ميدي شاهدت إناءً من المرمر أخرجوه من بين الحفريات قبيل وصـولنا ، وفي حرض[٩] . شــاهدت بعض أشكال الكلاب من الحجر في أحجــام مختلفة ، أخرجوها من بين الحفريات أيضــاً ، ورأيت بعض النقود السـبئية والحميرية ، وهذه شاهدتها كثيراً ، وفي الإقليم الذي تغطيه الأعشاب حول ميدي شاهدت مجموعة من القبور تعود إلى عصــر ما قبل الإســلام ، وهي كتل من حجر (المونوثليت)

---

(١) شـجر القات من الآفات التي ابتليت بها بلاد تهامة من جازان إلى عدن ، وهناك بحوث ودراسـات عديدة في هذا الموضوع . ومازال القات حتى الآن من المشاكل التي يعاني منها أهل البلاد صحياً واقتصادياً .

(٢) الصحيح أن تقول الرحالة (الحياة في جازان ...) ، وكما أشرنا جل رحلتها عن بلاد جازان وليست عسير.

(٣) لا يستطيع الرجل المسلم أن يجمع بين أربع زوجات ، لكنه يستطيع أن يطلق ويتزوج ما يريد ، متى رغب ذلك

(٤) وقـع المترجـم في عدد من الأخطاء لبعض المواضـع في تهامة اليمن وبخاصــة في الحديـدة وماحولها ، مثل: المنيرة ذكرها (مونيرا) .والمراوعة (مروا) . انظر النسخة المترجمة (تسع رحلات مجهولة) ، ص ٢٦٢ .

(٥) ذكر المترجم مدينة اللحية باسـم (لحية) . وقد دونت المصطلحات الصحيحة في المتن . انظر كتاب (تسع رحلات مجهولة) . النسخ المترجمة ، ص ٢٦٢ .

(٦) قصـد المترجم بذلك ، حياة اسـترخاء ، وسـبب ذلك الهروب من الواقع والبحث عن المتعة التي تنسي من يتناول القات أحزانه وهمومه.

(٧) أشارت الرحالة إلى شيء من حياة الناس الاجتماعية في تهامة اليمن خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبلاد تهامة من مكة إلى عدن تستحق أن يدرس تاريخها الاجتماعي خلال القرون الماضية المتأخرة .

(٨) ابـن عباس الذي أشــارت إليه روزيتا ، هو ميناء صـغير قريباً من مدينة الحديـدة في تهامة اليمن . انظر المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج٢، ص ٩٩٧ . أما ذكر الرحالة نقوشاً بالخط المسماري ، فربما ذلك غير صحيح ، وقد تكون نقوش يمنية بخط المسند .

(٩) ذكر المترجم كلمة (حرض) هنا بشـكل صـحيح . مع أنه ذكر في صـفحة سابقة (حرضة) والصحيح ما تم تدوينه سابقاً ولاحقاً في المتن .

دون وجـود نقوش ، ترتفع عن الأرض ما بين ثمانية إلى ثلاثة أقدام، والقبور في خطوط بفضل استخدام كتل صخرية أخرى[١].

ثالثاً : وقفة مع ترجمة يحيى بن عبدالمطلب السيد وترجمة أخرى لخالد ابن عبدالله الكريري .

أشـرت في صفحات سـابقة إلى جهد الأسـتاذ يحيى بن عبدالمطلب السيد والمركز الثقافي الآسـيوي بخصـوص ترجمة تسـع رحلات مجهولـة[٢]، ثم طباعتها ونشـرها. واخترت فقط رحلة واحدة هي: زيارة إلى إمارة الأدارسة في عسير واليمن .

بعـد أن فرغـت من قراءة الكتاب بشـكل عام ، ثم فحصـت بعضـ الرحلات التي تخص بلاد السروات وتهامة ، من مكة والطائف إلى جازان ونجران ، وعددها اثنتان ، إحداهما رحلة روزيتا إلى جازان ، وليست إلى عسير[٣]. ورحلة في تهامة وعسير وجبال تهامة ، لمؤلفها ولفرد ثسيجر الإنجليزي[٤].

رأيت من باب الإنصاف أن أقرأ ترجمة الأستاذ عبدالمطلب يحيى لرحلة رزويتا، ثم أقرأ النسـخة الأصـل باللغة الإنجليزية . ووجدت هناك أخطاء كثيرة في ترجمة الكثير من المواضـع الجغرافية ، كما أن النسـخة المترجمة نفسها لم تخدم بشكل جيد فتُدرس ويعلق عليها في الحواشـي ، أو في نهاية الصـفحات المترجمة . وأثنـاء العزم على كتابة صـفحات نقدية محدودة عن بعضـ المغالطات والأخطاء التي سـجلتها مؤلفة الرحلة ، ودونها المترجم وقع في يدي ترجمة ودراسـة أخرى لهـذه الرحلة بقلم الدكتور خالد بن عبـدالله الكريري[٥]. وقـد ترجم عنوان الرحلة كمـا دونته مؤلفة الرحلـة (زيارة إلى إمارة الأدارسـة في عسير واليمن) ثم قام بنشر هذه الرحلة المترجمة ضمن منشورات جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي عام (٢٠١٩م) [٦].

---

(١) بلاد جازان وعموم تهامة اليمن مازالت بحاجة ماسـة إلى دراسـات علمية عديدة عن نقوشها ورسوماتها وآثارها المدفونة والسطحية .

(٢) للرحالة الإنجليزي روزيتا فوربس . وسـجلت بعض الملحوظات على هذه الرحلة التي صـدرت ضمن كتاب: **المركز الثقافي الآسيوي بالقاهرة عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) .**

(٣) سوف أتحدث عن هذه النقطة أكثر في صفحات تالية .

(٤) نشـرت هـذه الرحلـة باللغـة الإنجليزيـة في المجلـة الجغرافيـة البريطانية ، ديسـمبر عـام (١٩٤٧م) ، ص١٨٨ـ٢٠٠ ٠ وقام الدكتور أحمد عمر الزيلعي بترجمتها إلى العربية ونشرت في مجلة الدارة . العدد (١) السنة (١٤) الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ، شوال ١٤٠٨هـ/الموافق مايو /١٩٨٨م) ، ٩٣ـ١٢٣ ٠ ونشرها الأستاذ / يحيى عبدالمطلب السيد (معربة) في كتابه: تسع رحلات مجهولة . وأخذت رقم (الرحلة الثامنة) في الكتاب نفسه. وترجمة الدكتور الزيلعي أفضل وأجود من حيث مستوى الترجمة والتعليقات ٠

(٥) سبق الإشارة إلى شيء من سيرته الذاتية في بداية هذا البحث .

(٦) قدم خالد الكريري خلاصة هذه الرحلة في اللقاء العلمي السنوي التاسع عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول

قمت بمقارنة ترجمة يحيى عبد المطلب السـيد مع ترجمة خالد الكريري . فوجدت صـفحات الترجمة في كتاب: تسع صـفحات مجهولة . (١٥) صفحة . وصفحات ترجمة الكريري (٢٦) صـفحة . واتضـح أن يحيى عبد المطلب قصـر عمله فقط على الترجمة دون أي إضافات أو تعليقات أو تصويبات . أما خالد الكريري فقد بذلك جهداً جيداً في الترجمة . ثم أضـاف (٧٨) حاشـية جاءت في ثمان صـفحات في نهاية النص المترجم أورد فيهـا الكثير من التعليقات والتصـويبات التي جاءت في نصـوص الرحالة روزيتا . وترجمـة الدكتور الكريري امتازت بالجودة وشـيء من الدقـة والاتقان مقارنة بترجمة الأسـتاذ يحيى عبد المطلـب . والجميل في ذلك أن الكريري أسـتاذ في التاريخ الحديث والمعاصـر، ومعظم دراسـاته وبحوثه عن منطقة جازان . كما أن عنـده اهتماماً ببعض بحوث الرحالة روزيتا، فقد نشر عنها دراسة أخرى عن جدة[١] .

(*) من خـلال هذا الرصد المختصر خرجت ببعض الخلاصات على ترجمة رحلـة روزيتا فوربس عنـد خالد الكريـري ويحيى عبد المطلب السيـد، وأسجل أهمها في النقاط الآتية :

١- الباحثان بذلا جهوداً جيدة في ترجمة هذه الرحلة ،وصـدرت ترجمتهما تقريباً في عـام واحـد (٢٠١٩م). مع أن ترجمة الكريري أفضـل وأعمـق من ترجمة يحيـى عبد المطلـب . ونسـتخلص من هـذا التزامن في الترجمة والنشـر عدم التعـاون والتنسـيق بـين الجامعات ، ومراكـز البحوث والجمعيات والكراسـي العلمية حتى لا يكون هنـاك أعمال علمية واحدة مكررة تصدر في أكثر من مكان ، وتهدر عليها الأموال والأوقات الكبيرة . ولو كان هنـاك تعاون في تبادل المنافع العلمية لما حصـل مثل هذه الازدواجية . وللأسـف أنها منتشرة بشكل كبير في عالمنا العربي والإسـلامي وبخاصة في الرسـائل العلمية ،وترجمة بعض الكتب والدراسات ، أو تحقيق بعض المخطوطات وغير ذلك من ميادين المعرفة .

٢- كنـت أتمنى مـن المترجمين (الكريري ، ويحيى عبد المطلب) أن يقدما دراسـة تفصـيلية عن طبيعة عسـير وجازان السياسية والعسـكرية أثناء زيارة روزيتا لإمارة الإدريسي في جازان . فالكريري أشار إلى ذلك إشارة محدودة في إحدى حواشي دراسته . مع أنه سجل عنوان الرحلة بشكل سليم . أما يحيى عبد المطلب فقد أخطأ عندما سـماء عمله (رحلة من عسير إلى اليمن) . وربما يقول قائل

مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصـور ، بدولة الكويت ، عام (٢٠١٩م) ، ونشـرت الرحلة كاملة في مداولات اللقاء ، صفحة ٥٢٣- ٥٤٩ .

(١) عنـوان هذه الدراسـة " جـدة في كتابات روزيتا فوربس " . **مجلة الدراسات التاريخية** ، جامعة نواكشـوط (٢٠١٧م) .

فلماذا اتبعته في خطئه وسميت هذه الدراسة (رحلة من عسير إلى اليمن. لروزيتا فوربس). وقد فعلت ذلك لأن معظم الدارسة قراءة وتصويب وتعليق على ما دونه في متن ترجمته . ثم إنني كتبت العنوان الرئيسي للقسم : جازان ونجران في كتابات بعض الرحالين الغربيين ... ، ورحلة روزيتا هي فعلاً عن بلاد جازان وليست عن عسير. حتى لو قلنا أن جازان كانت تتبع إدارياً لعسير في عصر المتصرفية العثمانية في عسير (١٢٨٩ـ ١٣٣٧هـ/ ١٨٧٣ـ ١٩١٩م) . فذلك أمر نسبي ثم إن زمن زيارة روزيتا لجازانٍ ، كان الحاكم الفعلي لمنطقة جازان هو الإمام الإدريسي ، ولم يكن متصالحاً من قبل مع الدولة العثمانية وولاتها في أبها. ثم إن بلاد جازان وعسير كانت تمر في مرحلة تشكل سياسي وإداري جديد بعد خروج العثمانيين من شبه الجزيرة العربية ، وبدايات حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل على بلاد تهامة والسراة ، الممتدة من الطائف ومكة إلى جازان ونجران .

٣- إن الرحالة روزيتا ، وإن وقعت في بعض الأخطاء العلمية مثل إطلاق اسم عسير . على إمارة الأدارسة ، قد حفظت لنا مادة علمية تاريخية وحضارية عن بلاد المخلاف السليماني (منطقة جازان) خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) [١].

---

(١) الرحالة الغربيون حفظوا لنا مادة علمية كثيرة وجديدة عن عموم بلدان السروات وتهامة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) . وكتبهم مجال خصب جيد لعمل العديد من الدراسات العلمية في هذا الباب .

ثانيـاً: صفحـات مـن تاريـخ نجـران الحديـث في كتابـيّ الرحالتـين فيلبي وفيليـب ليبنز (دراسة تاريخيـة مقارنة)[١]. بقلم . د. زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري[٢].

---

(١) معظم هذه الدراسة نشرت في **مجلة الجمعية التاريخية السعودية** عدد (٣٦) السنة (١٨) (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ص١٣١ـ ١٩٢ . ثم تم مراجعتها مرة أخرى وتصويب بعض الجزئيات فيها ، وإضافة تفصيلات أخرى عليها ، مع تدوين سيرة ذاتية مختصرة لصاحب البحث . (ابن جريس) .

(٢) الدكتور زهير الشهري من مواليد (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) في قرية أروى ببلاد قريش في محافظة تنومة بسروات بني شهر في منطقة عسير . أنجز تعليمه المبكر من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية في تنومة . ثم حصل على درجة البكالوريوس في التاريخ من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها ، والماجستير من كلية العلوم الإنسانية في جامعة الملك خالد ، والدكتوراه من كلية الآداب في جامعة الملك سعود بالرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . عمل في التعليم العام سنوات عدية ، ثم إنتقل إلى التعليم العالي بقسم التاريخ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، وهو حاليا (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) يعمل في كلية العلوم الاجتماعية بالجامعة . وهو على درجة أستاذ مشارك في التاريخ الحديث . شارك في العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية الداخلية والخارجية . كما يعمل مستشارا ، أو متعاونا ، وأحيانا رئيسا في عدد من المؤسسات الأكاديمية والعلمية والمعرفية في مدينة الرياض . أشرف على عدد من الرسائل العلمية ، وناقش أخرى في جامعته وجامعات محلية أخرى . له عدد من الكتب المطبوعة والمنشورة ، مثل: (١) **التجارة في متصرفية عسير (١٢٨٩ـ١٣٣٧هـ/١٨٧٢ـ١٩١٨م) (١٤٣٢هـ)** . (٢) **الجوانب الإنسانية والاجتماعية في رسائل الملك عبدالعزيز إلى بعض الشخصيات والإدارات في عسير(١٣٣٨ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٠ـ١٩٥٣م)**. (٣) **مالية أبها في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل . (دراسة وثائقية في الأوضاع الاقتصادية والتنظيمات المالية في جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٣٨ـ١٣٨٣هـ/١٩٢٠ـ١٩٥٣م)**. (٤) **سياسة الملك عبدالعزيز في حل مشكلات ساحل البحر الأحمر الأمنية (١٣٤٤ـ١٣٧٣هـ/١٩٢٥ـ١٩٥٣م)** (١٤٤٢هـ) . كما نشر حوالي عشرة بحوث علمية أخرى في عدد من المجلات العلمية المحكمة . والدكتور زهير من طلابي النابهين الجادين العصاميين عرفته منذ عقدين من الزمان . كما أنه رجل جاد ومتعاون ولطيف المعشر وصاحب خلق حميد مع أصحابه وأصدقائه وكل من يتعامل معه . ونسأل الله لنا وله التوفيق والإخلاص في جميع الأعمال والأقوال . (ابن جريس) .

أولاً : مقدمة :

كان لندرة المصادر المحلية وبُعد نجران المكاني عن المناطق الحضارية الكبرى دور في قصور الكتابات في تاريخ نجران السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، من العصور الإسلامية حتى العصر الحديث ، شأنها في ذلك شأن مناطق أخرى في الجزيرة العربية[١].

وتشكل كتابات الرحالة الاوربيين مصدراً مهماً من مصادر تاريخ المنطقة الحديث ؛ نظراً لما دونوه خلال مشاهداتهم في البلاد من معلومات دينية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية حيث وجدت البلاد اهتماماً جيداً من بعض أولئك الرحالة[٢]؛ لما تتمتع به نجران من إرث تاريخي واسع ومن كنوز أثرية عريقة، فتتابعت زيارات بعضهم منذ القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن العشرين، حيث وجدوا فيها ضالتهم وما يشبع نهمهم، كمناطق رحبة للمغامرة، والاكتشاف، والكتابة، إلى جانب تحقيق أهدافهم السياسية، والدينية، والاقتصادية[٣].

ومنها هاتان الرحلتان رحلة جون فيلبي سنة (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) توسعت في الحديث عن تاريخ وحضارة المنطقة التي تضمنها كتابه الموسوم : بـ" **مرتفعات الجزيرة العربية**"[٤]، حيث تمثل هذه الكتابة نموذجاً متميزاً ساعده على ذلك: قيام دولة موحدة

---

(١) بلاد نجران أحسن من غيرها من حيث ذكرها في المصادر المحلية وبخاصة اليمنية . ولو قارنا نجران مع بلدان أخرى في السروات وتهامة لوجدناها مذكورة بشكل أفضل من غيرها . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن ذكر نجران وغيرها من بلدان السروات وتهامة عند الجغرافيين والرحالة المتقدمين والمتأخرين انظر أجزاء عديدة من كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ، لغيثان بن جريس (طبعتان) (٢٣) مجلداً. كما انظر محمد بن أحمد مُعَبِّر. **الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) . مجلدان (١١٠٠صفحة) . (ابن جريس) .

(٣) حبذا يا زهير أن تدرس بلاد نجران عند الرحالين الغربيين خلال القرن (١٢هـ/١٨م) . (ابن جريس) .

(٤) قامت مكتبة العبيكان مشكورة بترجمة هذا الكتاب ، وراجع النسخة العربية وكتب تقديمها الدكتور غيثان بن علي بن جريس، وصدر الكتاب في مجلدين (١٤٤٩صفحة) (من القطع المتوسط) . (ابن جريس) .

حققت الأمن والاستقرار في ربوعها الواسعة ، وعلاقته القوية مع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ـــ رحمه الله ـ ، وتجاربه الواسعة في الكتابة عن مناطق شبه الجزيرة العربية ، وإلمامه بالكتابات السابقة عن المنطقة، ومعرفته بأساليب التعامل مع السكان ، فنجح في تقديم نتاج علمي غزير في هذا المؤلف عن نجران بشكل خاص ، وعن كافة المناطق الجنوبية الغربية للمملكة العربية السعودية بشكل عام(١) .

أما الرحلة الثانية فكانت للرحالة البلجيكي "فيليب ليبنز" الذي ألف كتابه: "**رحلة استكشافية في الجزيرة العربية**"، حيث عُرف هذا المؤلف بالمثابرة والاهتمام بالتاريخ ، وتوثيق المعالم العمرانية والأثرية بالصور، كما تميز بالسهولة والبساطة في كتاباته يدعم ذلك حسه المعرفي العالي وقوة ملاحظته لما يدور حوله(٢) .

(*) **ويمكن تحديد أهداف هذه الدراسة فيما يأتي :**

١- القاء الضوء على كتابات فيلبي وفيليب ليبنز عن نجران التي شملت المجالات الجغرافية ، والدينية ، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية، والتاريخ والآثار، خلال فترة مهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث بشكل كشف لنا زوايا تاريخية جديدة ومهمة يمكن الاستفادة منها والبناء عليها ، بحيث تسهم في نمو المعرفة والوعي بتاريخ بلاد نجران بشكل خاص وتاريخنا الوطني السعودي بشكل عام.

٢- تحليل كتابات فيلبي وفيليب ليبنز عن نجران من حيث مجالاتها وأساليبها ودلالاتها العلمية والتاريخية وغاياتها ، وجوانب القصور فيها.

٣- المقارنة بين كتابات فيلبي وفيليب ليبنز من حيث المادة العلمية وأسلوبهما في الكتابة ، والعوامل المؤثرة في ما قدماه من كتابات عن نجران.

ثانياً : الموقع الجغرافي لنجران :

تقع نجران في الجزء الجنوبي من إقليم الهضاب الداخلية التابعة لجنوب غرب المملكة، وتقع إلى الشمال مباشرة من خط الحدودِ بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية عند خط عرض (٢٠-١٧) شمالا ، وتمتد حتى خط عرض (١٠-

---

(١) يعد كتاب (مرتفعات الجزيرة العربية) من أفضل الكتب التي أرخت لبلدان السروات وتهامة خلال العصر الحديث . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن فيليب ليبنز وكتابه انظر غيثان بن جريس " بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز " بحث منشور في اللقاء الثالث لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م)، نشر في مداولات اللقاء ، ص ٥٢٣- ٥٩٤. كما نشر في كتاب للمؤلف بعنوان : **صفحات من تاريخ عسير** (الرياض: مطابع الحميضي ، ٣٤- ١٤٣٥ه/٢٠١٣- ٢٠١٤م) . الجزءان الأول والثاني ، ص ٢٧٥- ٣٤٨. انظر أيضاً محمد بن معبر . الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي، ج٢، ص ٥٠٩- ٥٥٥ . (ابن جريس) .

١٨ش)، مسافة تقرب من (١٥٠كم) (شمال-جنوب) ، وذلك إلى الشرق من مرتفعات قحطان ووادعة وشمال اليمن عند خط طول (٣٠-٤٣) شرقاً ، إلى أن تصل هضبة الوجيد الواقعة على حافة الربع الخالي شرقاً مسافة تقرب من (١٥٠) كم (شرق - غرب) أيضاً وتبلغ مساحتها أكثر من (٢٠٠٠٠) كلم٢ [(١)].

تجمع الكثير من المصادر على أن أصل التسمية يعود إلى نجران بن زيدان ـ وقيل زيد - بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ لأنه كان أول من نزلها وعمَّرها ، وقيل لأنه رأى رؤيا هالته وأفزعته حتى انتهى إلى هذا الوادي ونزل به فسمي نجران به إلى يومنا هذا) [(٢)].

تقع نجران في منبسط من الأرض تحيط به مجموعة من السلاسل الجبلية من جهاته الثلاث عدا الجهة الشرقية المنبسطة نحو رمال الربع الخالي، حيث ترتفع عن سطح البحر قرابة ثمانية آلاف قدم، ويأتي الوادي ليخترق قراها من جهة الغرب حتى تصب مسايله شرقاً تجاه الربع الخالي[(٣)]. واشتهرت المنطقة منذ القدم بخصوبة أرضها الزراعية فتكاثرت القرى التي ذكرتها المصادر القديمة على ضفتي الوادي[(٤)]. وقديماً كانت نجران تمثل حلقة وصل مهمة بين أقطار الجزيرة العربية : الحجاز، واليمن، ونجد، إضافة إلى وقوعها على مفترق طرق التجارة القديمة مما أعطاها بُعداً استراتيجياً بالغ الأهمية حيث كانت إحدى المحطات الكبرى لقوافل التجارة المتجهة

---

(١) عبدالرحمن صادق الشريف ، **جغرافية المملكة العربية السعودية "إقليم جنوب غرب المملكة"** ، (الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢ ، ص٣٩١. (زهير) . وبلاد نجران وما جاورها من أرض السروات وبخاصة أوطان وادعة وقحطان مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسات علمية مطولة ودقيقة وعميقة . (ابن جريس) .

(٢) ابن خرداذبة ، عبيدالله ، **المسالك والممالك** ، (دار صادر ، بيروت ، (د،ت)) ، ص١٣٣ ؛ الأصطخري ، إبراهيم بن محمد ، **مسالك الممالك** ، (دار صادر ، بيروت ، (د.ت)) ، ص٢٣ ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد ، صورة الأرض ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٩٢م) ، ص٤٣ ؛ البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، **معجم ما استعجم** ، (بيروت ، عالم الكتاب ، ١٤٠٣هـ/١٢٩٩م) ؛ الحموي، ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان ، (بيروت، دار الفكر ، (د، ت)) ، ج٥ ، ص٢٦٦ ؛ القزويني ، زكريا محمد ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، (دار صادر ، بيروت (د.ت)) ، ص١٢٦ . انظر أيضاً غيثان بن جريس . **نجران (دراسة تاريخية حضارية (ق١ـ ق٤هـ/ق٧ـ ق١٠م) (طبعتان)** (الرياض: مطابع الحميضي ، (١٤٢٥هـ) و (١٤٣٤هـ) (الجزء الأول) .

(٣) حمزة ، فؤاد ، في بلاد عسير ، (الرياض ، مكتبة النصر الحديثة ، ط٢ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ص١٨١ ؛ الأكوع ، محمد بن علي ، اليمن الخضراء مهد الحضارة ، (صنعاء ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، ٢٠٠٤م) ، ص١٣٤ ؛ مريح ، صالح بن محمد ، نجران (سلسلة هذه بلادنا) ، (الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ص١٣ ؛ جريس ، غيثان بن علي ، نجران دراسة تاريخية حضارية ، (ق١ ـ ق٤هـ/ق٧) ، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج١ ، ص٢٥ ؛ العمري ، هادي صالح ، **طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه** ، (صنعاء ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) ، ص٥٧ .

(٤) الهمداني ، الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد علي الأكوع ، (صنعاء ، مكتبة الارشاد ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م) ، ص٢٨٣.

للحجاز ونجد والعراق[١]؛ وهذا ما وفر للرحالة مادة علمية متنوعة ذات إرث حضـاري متنوع ومتراكم.

ثالثاً : دخول نجران تحت الحكم السعودي :

لا تختلـف نجران كثـيراً في أوضـاعها السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية عن مناطق أخرى سـاد فيها الحكم القبلي بأعرافه وتقاليده ، حيث كانت تتمتع باسـتقلال داخلـي تـام في العهد العثمـاني ولم تتدخل الحكومات العربية الجديدة في شـأنها حتى عهـد الملـك عبدالعزيـز بـن عبدالرحمـن الفيصـل[٢] ، ولم تكن بمنأى عـن الأحداث المحيطة بها فوصـلت اليها قوات الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصـل أواخر عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) ، ولكنها لم تتمكن من الاسـتيلاء عليهـا[٣] ، ثم ما لبثت أن غزتها جيوش الامـام يحي حميد الديـن عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) بقيادة ابنـه الإمام أحمد وتمكنت من احتلالها بعد مقاومة عنيفة[٤]. وبناء قلعة عسـكرية على جبل رعوم لتكون مقـراً للجيش الغازي[٥] . وفي ظل هذه الظروف العصـيبة اسـتنجد أهل نجران بالملك

---

(١) الهمـداني ، **صفـة جزيـرة العـرب** ، ص٢٨٣ وما بعدها ، العلوي ، علي بن محمد ، سـيرة الهادي إلى الحق يحي بن الحسين ، تحقيق : سهيل زكار، (دار الفكر ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ، ص٦٨ وما بعدها ؛ الأكوع ، اليمن الخضراء ، ص١٣٤ ؛ البلادي ، عاتق بن غيث ، **بين مكة وحضرموت ، رحلات ومشاهدات** ، (مكة المكرمة ، دار مكة للنشر والتوزيع) ، ١٤٠٢هـ ، ص١٩١.

(٢) الشعفي ، محمد سعيد ، **العلاقات السعودية اليمنية في سني ١٣٥١-١٣٥٣هـ/١٩٣٣/١٩٣٤م (من خلال ما نشر في جريدة المقطم المصرية** (الرياض ، مطابع الشريف ، ١٤١٤هـ) ، ص١٧١.

(٣) حمـزة ، في بلاد عسـير ، ص١٧٥ ؛ آل زلفة ، محمد بن عبدالله ، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز : دورها السياسـي والاقتصـادي، والعسكـري في بنـاء الدولـة السعوديـة الحديثة** ، (الرياض ، مطابع الفرزدق ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ص١١٩.

(٤) حمـزة ، **في بلاد عسير** ، ص ١١ ؛ الماحي ، سـيد ، نجران : **الأرض والانسان والتاريخ** ، المطابع الأهلية للأوفسـت ، الرياض ، (د.ت) ، ص١٢ ؛ الشـماحي ، عبدالله بن عبدالوهاب ، اليمن : **الانسان والحضارة**، (بـيروت ، منشـورات المدينة ، ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ط٣ ، ص١٩٤ ٠ الخترش، فتوح عبدالمحسـن ، **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية** ، (الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٩٨٣م) ، ص١٦٢ ؛ الأكوع ، إسماعيل ابن علي ، **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، (دمشق ، دار الفكر ، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج٣ ، ص١٧١٧.

(٥) قلعـة رعـوم : قلعة صـخرية تاريخية تقع على قمة جبل رعوم الذي يتوسـط قرية (الحصَـن) في نجران ، وقد بنى الجيش اليمني هذه القلعة عندما غزا نجران سـنة (١٣٥٢/١٩٣م) لاسـتخدامها كنقطة مراقبة واستكشـاف ، وتم اختيار جبل رعوم لموقعه الاسـتراتيجي وصعوبة الوصـول اليه حيث يبلغ ارتفاعه (٤٥٠م) تقريباً ، وظلت هذه القلعة حتى انتصـر الجيش السـعودي بقيادة الأمير سعود على القوات اليمنية وعقد معاهدة الطائف بعد ذلك عام (١٣٥٣هـ) بين المملكة العربية السـعودية واليمن وانتهت الاعتداءات وسـاد السلم بين الطرفين ، وتحولت القلعة الى نقطة مراقبة أمنية للدوريات السعودية حتى عام (١٣٧٢ه) لتتحول بعدها الى معلم سياحي وأثري ، والقلعة مبنية من الحجر والطين وتحتوي على غرفتين وخزان مياه منحوت في الصـخر والقلعة مسـقوفة بخشب النخيل والسـدر ويؤدي لها طريق واحد على شكل درج ، وهي محاطة بسور خارجي كبير مشيد من الحجارة المربعة ويزينه من أعلاه شرفات دفاعية وبداخله خمس غرف مبنية من الطين والحجارة والجص وسـقفها من خشـب النخيل والأثل والسدر ولا تزال واضحة المعالم حتى الآن. للمزيد : صـحيفة الشـرق الأوسـط : العدد ١١٤٤١ ،(٩ ربيع ثاني ١٤٣١ه / ٢٦ مارس ٢٠١٠م) ؛ صـحيفة

عبدالعزيز فأرسلوا اثنين من أعيان رجال يام جابر بن مانع أبو ساق[١]، وحسن بن سلطان بن منيف[٢]؛ لمقابلة الملك عبدالعزيز وطلب مساعدته[٣].

في هذه الفترة كان التوتر في العلاقات السعودية اليمنية في ذروته بسبب اتصال أهل نجران بالملك عبدالعزيز، واحتلال جيوش امام اليمن لمناطق في تهامة جازان الخاضعة لنفوذ الملك السعودي، ورغم محاولات عقد الصلح بين الطرفين، ومراسلات الملك عبدالعزيز لإمام اليمن وتجديد رغبته في حل الأزمة سلمياً إلا أن كل تلك الجهود لم يكتب لها النجاح فجهز الملك عبدالعزيز جيشين كبيرين أحدهما بقيادة الأمير سعود واتجه إلى نجران حيث تمكنت القوات السعودية بقيادته من طرد الجيش اليمني من نجران وقد واجهت تلك القوات صعوبة شديدة في التقدم في المواقع المرتفعة حول صعدة بسبب صعوبتها وتعذر تموين القوات فيها، والجيش الثاني بقيادة الأمير فيصل الذي حقق انتصارات كبيرة في تهامة واحتل الشريط الساحلي على البحر الأحمر حتى الحديدة[٤]، وهو ما أجبر الامام يحي على الرضوخ للصلح فوقع الطرفان اتفاقية الطائف عام (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٦م) [٥].

اليوم ، العدد ١٥٢٤٨، (٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ/١٥ مارس ٢٠١٥م) ؛ ومقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء شيخ شمل قبيلة الوعلة يام ، من مواليد عام (١٣٦٠هـ) في هجرة الفلاح بوادي الصحن بمحافظة يدمة ، له العديد من المهام والمسؤوليات في منطقة نجران منها عضوية لجنة اصلاح ذات البين في امارة منطقة نجران ، وهو من المهتمين بتاريخ وانساب المنطقة. تاريخ ومكان المقابلة ، مدينة الرياض (١٤٣٨/٣/١٧هـ).

(١) جابر بن حسين أبو ساق : شيخ شمل قبائل آل فاطمة يام إحدى البطون الكبيرة لقبيلة يام التي تتفرع في الأصل إلى ثلاث قبائل هي (آل فاطمة ، ومواجد ، وجشم) ، ولد في قرية صاغر بمنطقة نجران في شهر محرم من عام (١٢٨٦هـ) ، وكانت علاقة أسرته مع آل سعود منذ عهد الدولة السعودية الأولى ، واشتهر بهذا اللقب (أبو ساق) الذي أطلقه عليه الملك عبدالعزيز . نشأ في أسرة تحظى بزعامة قبلية ، وكان مبادراً لدعوة الملك عبدالعزيز لتوحيد أرجاء المملكة ، وكانت وفاته في شهر رمضان عام (١٣٨٦هـ). وللمزيد عن شخصيته انظر : السبيت ، عبدالرحمن وآخرون ، **كنت مع عبدالعزيز (مقابلة شخصية مع الشيخ محمد بن زعير)** ، (الرياض ، مطبوعات الحرس الوطني ، ١٩٨٨م) ، ص٢٣٧-٢٣٩ ؛ آل زلفة ، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ، ص١٧٤ ؛ صحيفة الرياض ، العدد ٩٣٨١ ، ٣٠ شوال ، ١٤١٥هـ / ٣٠ مارس ١٩٩٥م.

(٢) حسن بن سلطان بن منيف : شيخ قبائل جشم يام يعد من الشخصيات المعروفة التي لها الكثير من المواقف في نجران قبيل عهد الملك عبدالعزيز ، للمزيد : انظر : طحنون ، محمد ، **نجران : تاريخ وانسان**، (بيروت، لبنان ،مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع) ، ٢٠١٥م ، ص٢٢٥-٢٣٣.

(٣) حمزة ، في بلاد عسير ، ص ١١ ؛ الماحي ، نجران ، ص١٢ ؛ الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية ، ص١٨٦ ؛ آل زلفة ، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ، ص ؛ الأكوع ، **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، ص١٧١٧.

(٤) المانع ، محمد ، **توحيد المملكة العربية السعودية** ، ترجمة : عبدالله العثيمين ، (الدمام ، مطابع المطوع ، ١٤٠٢ه) ، ص٢١٣؛ حمزة ، في بلاد عسير ، ص ١١ ؛ الشماحي ، اليمن، ص١٩٤ ؛ الماحي ، نجران، ص١٢ ؛ الأكوع ، **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، ص١٧١٨؛ سعيد أمين ، **اليمن وتاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري** ، **(سلسلة كتب تاريخ العرب الحديث** (٩) ، ١٣٧٨ه/١٩٥٩م) ، ص٩٦.

(٥) حمزة ، في بلاد عسير ، ص ١١ ؛ الشماحي ، اليمن، ص١٩٤ ؛ الماحي ، نجران، ص١٢ ؛ الأكوع ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ص١٧١٨؛ وانظر نص معاهدة الطائف في : الخترش ، العلاقات السعودية اليمنية، ص٣٠٧-٣١٩.

مما سبق يمكن القول أن رغبة أهل نجران في الحكم السعودي كانت نتيجة لمظاهر الاستبداد الذي كانت تعيشه المنطقة خلال فترة خضوعها للحكم الإمامي؛ مما أدى إلى نفور الأهالي من تعامل السلطات الامامية ورغبتهم الجادة في التمتع بحكم قوي مستقر يوفر لهم أسباب العدالة والأمن والرخاء كما هو الحال في المناطق المجاورة لنجران.

رابعاً : التعريف بالمؤلفين الرحالين :

١ـ سانت جون فيلبي :

ينتمي سانت جون فيلبي إلى أسرة انجليزية أرثوذكسية من إقليم إيسكس (ESSEX) في شرقي لندن وفي الجنوب الشرقي من بريطانيا[١]. ولد عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) ، من أسرة انجليزية محافظة في مصحة سانت جون[٢] في جزيرة سيلان (سيرلانكا حالياً) وبعد عودته إلى بلاده إنجلترا التحق بمدرسة "وستمنستر" متدرجاً في مراحل التعليم حتى تخرجه من جامعة كمبردج عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)[٣].وكغيره من خريجي الجامعة توجه فيلبي بطلب الالتحاق بخدمة التاج البريطاني عن طريق حكومة الهند البريطانية حيث اجتاز الامتحانات المطلوبة للعمل[٤]. واستكمالاً لمتطلباته درس في جامعة كمبردج اللغتين الفارسية والهندية لعام واحد[٥].

توجه فيلبي عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) إلى الهند للعمل فيها ووجدها فرصة لمواصلة طموحاته العلمية والعملية حيث تعلم بها اللغة البنجابية والأردية ثم العربية وتعلم أيضاً القرآن الكريم، كما تدرج بكفاءة عالية في عدد من الوظائف الإدارية والإعلامية[٦]. وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام(١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) وتطور الأوضاع في الشرق، واعتماداً على مواهب فيلبي ومعارفه الدينية واللغوية والتراثية كلف بالتوجه إلى العراق للمساعدة في إدارة الشؤون البريطانية بها بعد انسحاب العثمانيين منها[٧]،كانت

(1) ELIZABETH M MONROE , PHILBY OF ARABIA FIRST PUB LISHED BY FABER AND TABER , LONDON , 1973 , PP , 11,12.

(٢) يبدو أن فيلبي قد أضاف إلى اسمه هذا اللقب الشرفي سانت جون (ST.JOHN) من اسم المصحة التي ولد بها . فيلبي ، سانت جون ، **بعثة إلى نجد ١٣٣٦-١٣٣٧هـ/١٩١٧-١٩١٨م** ، ترجمه وعلق عليه عبدالله الصالح العثيمين ، ط١ ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ص٥٣.

(٣) حماد ، خيري ، **عبدالله فلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث** ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، أبريل ، ١٩٦١م) ، ص٢٩ ، ٣٠.

(٤) العُمري ، عمر بن صالح ، عبدالله فلبي : حياته وآثاره ، **مجلة دارة الملك عبدالعزيز** ، ع٣ ، س٢٥ ، ١٤٢٠هـ، ص٦.

(5) , op , cit , pp 14-17. ELIZABETH

(٦) العُمري ، المرجع السابق ، ص٧.

(٧) حماد ، **عبدالله فيلبي** ، ص٣٠-٣١.

العراق تحت إدارة السير بيرسي كوكس[١] أحد الرجالات البارزين في إدارة الشؤون البريطانية في الشرق[٢].

من العراق بدأت صلات فيلبي بالجزيرة العربية بشكل عام وبالملك عبدالعزيز بشكل خاص، وقد شارك في اللقاء الأول الذي عقد بين الملك عبدالعزيز وبيرسي كوكس في العقير في أواخر عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) [٣]. وعندما أرادت بريطانيا القيام بجولة مباحثات مع عدد من الزعامات العربية في الجزيرة العربية وتقريب وجهات النظر بما يخدم المصالح البريطانية فيها وقع اختيار كوكس لرئاسة البعثة على مساعده الشخصي فيلبي[٤]، فكانت هذه البداية الحقيقية لرحلاته ومؤلفاته عن الجزيرة العربية.

تقلد فيلبي بعدها عدداً من الوظائف في الحكومة البريطانية، وكان معاصراً لأحداث الحربين العالميتين، ثم قدم إلى الجزيرة العربية في تشرين الأول عام (١٣٣٥هـ/١٩١٧م) قادماً من البصرة فاتجه إلى الأحساء، ومنها إلى الرياض حيث كان لقائه الأول بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وصار من المقربين له، ثم التحق في خدمته وأعلن اسلامه في عام (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) وتسمى بالحاج عبدالله فيلبي[٥]. أمضى هذا الرجل في جزيرة العرب ما ينوف عن الأربعين عاماً من حياته متنقلا في أرجائها؛ مما جعله متعمقاً في تاريخها وحضارتها ملماً بتقاليد أهلها وعاداتهم، ومعاصرا لفترة مهمة من تاريخ هذه البلاد التي شهدت متغيرات حضارية كبيرة وقفزات تنموية هائلة، وتوفي في بيروت عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً[٦].

---

(١) بيرسي كوكس (١٨٨٤-١٩٣٧م) سياسي بريطاني شارك في رسم السياسية البريطانية في البلاد العربية بعد نهاية الدولة العثمانية حيث شارك قوات الثورة العربية الكبرى في محاربة قوات الدولة العثمانية، وتولى منصب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي.
Tripp , Charles , A History of Iraq , 3rd ed , New yourk , Cambridge up , 2007 , p44؛
للمزيد عن حياة كوكس انظر:
The Life of Sir Percy Cox by Philip Graves , Second Im Pression , Hutchinson , CO , London.

(٢) العُمري ، المرجع السابق ، ص٧.

(٣) الزركلي ، خير الدين ، **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز** ،(بيروت ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٩٢م)، ط٥،ج١، ٢٨٤ .

(٤) للمزيد عن هذه البعثة انظر التقرير الخاص بالبعثة الذي كتبه فيلبي وقام د عبدالله الصالح العثيمين بالتقديم له وترجمته. انظر : فيلبي ، بعثه إلى نجد ، ص٧٣-٢٢٣.

(٥) المانع ، **توحيد المملكة العربية السعودية** ، ص٢٧٦.

(٦) فيلبي ، جون ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ج١ ، ص٦٢٠. (زهير). الرحالة فيلبي يستحق أن تدرس رحلاته وأعماله في عدد من الكتب والرسائل العلمية . وقد أسدى لبلاد شبه الجزيرة العربية أفضالا وجهودا كبيرة تفوق غيره ممن كتب ووثق شيئاً من تاريخ وحضارة هذه البلاد . (ابن جريس) .

للرحالة فيلبي إنتاج غزير من المؤلفات يزيد عددها على خمسة عشر كتاباً ، إضافة على عدد من المقالات المتنوعة وجميعها كتبت بلغته الأم التي يتحدثها وهي الإنجليزية، وهــو ما أشــاد به عــدد من النقــاد والمؤرخين الذين وصــفوه بصــاحب الإنتــاج الغزير والريادة في الكتابة التاريخية عن المملكة العربية السعودية، يؤكد هذا الأمر الشيخ حمد الجاســر بقوله عنه: " أسدى للجزيرة يداً قصر عن مدها إليها من سواه"[١]، كما ذكر المــؤرخ الأمريكي (جورج رنتز)[٢]، عن فيلبي: "أنه أكــثر الغربيين إنتاجاً في تاريخ هذه البلاد"[٣] .

٢ـ فيليب ليبنز :

ضــابط بلجيكي مغامر عمــل ملاحظاً لــلأمم المتحدة في فلســطين[٤] ثم قدم إلى الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ومارس مهنة الطب في أحيان كثيرة[٥] ، وكان ضمن فريق من الرحالة المستكشفين بقيادة جون فلبي إلى مناطق واسعة في وســط وجنوب، وجنوب غرب الجزيرة العربية أوفدها الملك عبدالعزيز بهدف رصد ودراســة العديد من الجوانب الجغرافية والبقايــا الأثرية والنقوش القديمة، وكان ذلك في عــام (١٣٧١هــ/١٩٥١م)[٦]. وقد تميز هذا الرحالة بحــب المغامرة، كما كان مهتماً بقــراءة التاريخ متخصصــاً بتصــوير ما يمــر في طريقه من المعــالم العمرانية والبقايا الأثريــة والنقوش القديمــة، إلى جانب أنه قــد أجاد اللغتين الفرنســية والانجليزية مع معرفته الجيدة باللغة العربية والتي اكتسبها خلال إقامته في البلاد العربية[٧].

(١) الجاســر ، حمد ، فيلبي : رحلاته في البلاد العربية ، مجلة العرب ، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، مج٢٤ ، ص١٠٥ ؛ العُمري ، المرجع السابق، ص٢٩-٥٣.

(٢) رنتر : مؤرخ أمريكي ولد في بنسـلفانيا سـنة (١٩١٢م) ، مكث في الفلبين عامين منذ (١٩٣٠م) ، ثم انتقل للتدريس في حلب ثلاث سـنوات تعلم خلالها اللغة العربية وحصـل على الماجسـتير من جامعة كاليفورنيا ، وكان عنـوان رسـالته (المماليك في القرن الرابع عشـر) ثـم انتقل وعمل بالقاهرة ، وأكمل دراسـته فكانت اطروحته للدكتوراه تحت عنوان (محمد بن عبدالوهاب ١٧٠٣-١٧٩٣م وبداية امبراطورية التوحيد) ، عمل كذلك في شـركة (ارامكو) سـبعة عشر عاماً وأنشأ قسـم البحوث والترجمة المتخصص في تاريخ الجزيرة العربيــة ، وقـد جمع الكثير من المعلومات عن الجزيرة العربية. رنتز، جورج ، فيلبي مؤرخا للمملكة العربية السعودية ، ترجمة وتعليق ، د حسين بن محمد الغامدي ، مجلة الدرعية ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ربيع الآخر ١٤١٩ه/أغسطس ١٩٩٨م ، ص٦١-٦٥.

(٣) رنتز ، المرجع السابق ، ص٦١.

(٤) ليبنز ، فيليب ، **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية** ، ترجمة : محمد حناش ، راجعها وعلق عليها ، فهد بن عبدالله السماري ، (دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، ص١٥.

(٥) ذكر هذا في أكثر من موضع من كتابه.

(٦) انظر : خطاب تكليف البعثة في كتاب : ليبنز : رحلة استكشافية ، ص١٨.

(٧) جريـس ، غيثـان ، **صفحات مـن تاريخ عسير** ، (جدة ، دار البلاد للطباعة والنشـر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ط١، ص٢٩٣ ؛ ليبنز ، رحلة استكشافية ، ص٧.

التعريف بكتابي الرحالتين :

١ـ كتاب فيلبي (مرتفعات الجزيرة العربية) :

تناول كتاب فيلبي "**مرتفعات الجزيرة العربية**" المناطق الجنوبية للمملكة العربية السعودية ، إلى جانب خط سير المؤلف من الربع الخالي حتى مكة المكرمة عبر الطريق الداخلي ، وتم وصف رحلة العودة من جنوب المملكة إلى مكة عبر الطريق الساحلي فشملت بذلك مرتفعات تهامة وسهولها. والكتاب يتكون من مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلاً مقسمة على ستة أبواب خصص لكل باب منطقة جغرافية، ولكل فصل مدينة أو قرية أو جزءٌ صغيرٌ من معالم جنوب غرب الجزيرة العربية ، واحتوى الكتاب على عدد من الصور ، والرسوم ، والخرائط ، والجداول ، والكشافات في صفحات يبلغ عددها (١٤٤٩) صفحة[(١)] .

بدأت كتابات فيلبي عن نجران من الباب الثالث الذي خصص له عنوان "بلاد يام" لوصف زيارته لنجران وجغرافية المنطقة وسكانها وتاريخها ومعالمها ابتداءً من الفصل الحادي عشر حتى السادس عشر، ثم تحدث في الباب الرابع عن "النجد المرتفع" للحديث عن حبونا[(٢)] ،وسكانها وآثارها والكتابة كذلك عن المكارمة[(٣)] ، وتاريخهم ابتداءً من الفصل السابع عشر حتى الفصل الثالث والعشرون. ومن الرصد المعلوماتي المهم

---

(١) انظر دراسة علمية تفصيلية موثقة لغيثان بن علي بن جريس "جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي" قدمت في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة من (١١ـ ١٢/١٠/١٤٢٥هـ الموافق ٢٤ـ ٢٥/١١/ ٢٠٠٤م) ، ونشرت في كتاب مداولات الندوة بعنوان : **العالم العربي في الكتابات التاريخية المعاصرة . حصاد (١٢)** القاهرة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص ٢٤١ـ ٢٧٦ . كما نشر البحث في كتاب لابن جريس بعنوان : **دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية** (نادي جازان الأدبي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ص ١٤١ـ ١٨٨٠ (ابن جريس) .

(٢) حبونا : ترد في معاجم الجغرافيا العربية بلفظ حبونن بفتح أوله وثانيه وإسكان الواو وقد ذكرها البكري في القرن الرابع الهجري على أنها ديار مذحج لكن الهمداني قبله يعددها ضمن مساكن يام ، أما اليوم فهي من ديار يام وتسكنها قبيلة لسلوم احدى بطون مواجد يام ، وقد شملتها اليوم مظاهر التطور والعمران حتى أصبحت حبونا احدى المحافظات الرئيسية في منطقة نجران. للمزيد عن حبونا في الماضي والحاضر انظر : الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص١٦٤ ، ٢٢٨ ؛ البكري ، **معجم ما استعجم** ، ص٤٢١ ؛ ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج٢ ، ص٢١٥ ؛ حمزة ، في بلاد عسير، ص١٨٥ ؛ البلادي، **بين مكة وحضرموت** ، ص١٩٩-٢٠٦؛ ابن مريح ، نجران ، ص٧٦ .

(٣) عندما تغلب الأئمة الزيدية على الاسماعيليين في اليمن بعد عدة قرون اضطر بعض الإسماعيليين الى الهجرة الى أماكن مختلفة ، واستقر بعضهم في نجران التي أصبح المكارمة زعماءها الدينيين ، بقيت هذه الزعامة لهم حتى دخلت نجران تحت الحكم السعودي . العثيمين ، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية ، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م) ، ط١٢، ج١، ص٢٨؛ وللمزيد انظر: الحسين ، يحيى ، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق سعيد عاشور ، (القاهرة، ١٣٨٨ه) ؛ الواسعي، عبدالواسع بن يحي، **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن** ، (صنعاء ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤١٤ه/١٩٨٤م).

الذي تضـمنه كتاب فيلبي: أسـماء العلامـات الحدودية بين المملكة العربية السـعودية واليمن مع بيان ارتفاع كل عمود عن مستوى سطح البحر ، والمسافات بين المدن والقرى المختلفة ، إلى جانب شـجرة نسـب دعـاة المكارمة من طائفة الإسـماعيلية في نجران ، إضافة إلى قائمة غير مكتملة بأسماء القرى والقبائل في المنطقة[١] .

كتاب فيليب ليبنز : (رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية) :

تحـدث لينبنـز في كتابه "**رحلـة استكشافيـة**" عـن زيارته لعدة مناطـق في الجزيرة العربية ومنها نجران، كتبه في الأصـل باللغة الفرنسـية ، ثم ترجمـه إلى اللغة العربية د محمـد الحناشـ، وراجعه د فهد السـماري ، وقامت دارة الملـك عبدالعزيز بطباعته ونشـره بمناسـبة مرور مائة عام على تأسـيس المملكة العربية السعودية. احتوى الكتاب علـى تقديمٍ خادم الحرمين الشـريفين الملك سـلمان بن عبدالعزيـز حفظه الله عندما كان أمـيراً لمنطقـة الرياض ، ومقدمة لمراجع الكتاب وأهميته ومـا احتواه من معلومات قيمة ، ومراحل الحصول على نسخة الكتاب الأصلية وترجمته حتى إخراجه للقراء[٢] . كما تضمن الكتاب تقديماً من جون فيلبي للنسخة الأصلية تحدث فيها عن الفكرة التي انطلقت منها الرحلة والدعم السـخي الذي لقيه من الحكومة السعودية – وهو ما يثبته الخطـاب المرفـق بالكتاب من ديوان الملـك عبدالعزيز للحاج فيلبي[٣] ملخصـاً في هذا الكتاب التخطيط للرحلة ودوافعها ومراحلها مع بقية أعضاء البعثة[٤] . وللنسخة الأصل مقدمة أخرى لكونزاك رايكمان أسـتاذ اللغات الشـرقية بجامعة لوفان تحدث فيها عن انطباعاته في تلك الرحله[٥] .

سادساً : رحلات (فيلبي، وفيليب ليبنز في نجران :

زار فيلبـي نجران مرتين كانت الزيـارة الأولى عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦هـ) وسـجل أحـداث تلـك الفـترة في كتابـه (Arabia Highlands) باللغـة الإنجليزيـة وقد طبع في جامعـة " كورنـل أثـاكا " بالولايـات المتحدة الامريكيـة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ثم ترجم أخيراً باللغـة العربية بعنوان: "**مرتفعات الجزيرة العربيـة** "وقامت مكتبة العبيكان

---

(١) كما ذكرت سابقاً ، كتاب **فيلبي** (**مرتفعات الجزيرة العربية**) ومؤلفات أخرى له تستحق أن يجرى عليها دراسات علمية تحليلية (ابن جريس) .

(٢) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص٧.

(٣) المرجع نفسه ، ص١٨.

(٤) المرجع نفسه ، ص١١.

(٥) المرجع نفسه ، ص١٥.(زهير) . الرحالة الغربيين قدموا لنا معاشر الباحثين في بلاد السراة وتهامة مادة عليمة يصـعب أن تجدها في أي مصـدر آخر انظر كتاب محمد بن معبر . **الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي** (الجزء الأول) .(ابن جريس) .

بطباعته ونشره عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) . وقد اعتمدت هذه الدراسة على هذه النسخة التي ترجمها د حسن مصطفى حسن ، وقام بالمراجعة العلمية والتدقيق للترجمة الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن آل عبدالجبار ، وراجعه وكتب تقديمه وعلق عليه الدكتور غيثان بن علي بن جريس . أما رحلته الثانية فقد كانت بصحبة بعثة استكشافية كتب تفاصيلها أحد أعضاءها وهو البلجيكي فيليب ليبنز في كتابه : "**رحلة استكشافية في الجزيرة العربية**" ٠

وصل فيلبي إلى وادي حِمى[١] ٠ في (٦ ربيع الآخر ١٣٣٦ه الموافق ٢٥/يونيو ١٩٣٦م) ــ ماه شعيب الحمى ــ قادماً من تثليث[٢] في بلاد قحطان ، ثم مر بشعيب نعوان وقطنٍ حتى وصل بئر الحصينية على الضفة اليسرى لوادي حبونا[٣] ٠ وبعد أن مكث يوماً واصل سيره جنوباً حتى وصل إل قمة جبل تصلال شرقي نجرانٍ ، وبعد أن تجول فيها بعض الوقت ووصف موقع كعبة نجران[٤] ٠ اتجه إلى نجران ماراً بهضبة الشعثاء[٥] ، وبئر العريسة[٦] ٠وشعيب دخول وهضبة منار[٧] ٠ وشعيب الأثايبة[٨] ، حتى وصل إلى

---

(١) وادي حمى : من الأودية المهمة الممتدة في محافظات ثار ويدمة وحبونا وبه مركز حمى ، ويزخر بعدد من المواقع التاريخية من أهمها آبار حمى التاريخية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء**٠.

(٢) تثليث: المحافظة السادسة من محافظات منطقة عسير وتبعد عن مدينة أبها باتجاه الشرق مسافة (٢٣٥) كلم ، وهي أقدم حواضر قبيلة قحطان ، يتبعها عدد من المدن والقرى والهجر وتمثل محافظة تثليث (٣٠٪) من محافظة منطقة عسير حيث تمتد من محافظة خميس مشيط وسراة عبيدة في الجنوب الى محافظة رنية في الشمال وشرقيها في محافظة وادي الدواسر وإمارة نجران وغربيها محافظات طريب وبيشة وخميس مشيط ، سميت تثليث نسبة الى واديها العملاق الذي يبلغ طوله (٤٥٠)كلم. الحربي علي ، **المعجم الجغرافي في البلاد السعودية (منطقة عسير)** ، (بيروت ، مطابع الخليفة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٢٩٦-٣٠٥ ٠

(٣) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٠٣ .

(٤) كعبة نجران : عندما استولى بنو الحارث بن كعب المذحجيين على نجران قبل ظهور الإسلام بقرون ظهرت فيهم أسرة آل عبدالمدان بن الديان الحارثي ، وهم من سادات بني الحارث بن كعب فتولوا السلطة في نجران ؛ ولما تمتعوا به من شجاعة وفروسية ذاع صيتهم واتسعت شهرتهم ، وبلغ بهم الاعتداد بأنفسهم أن شيدوا كعبة سموها "كعبة نجران" بناها عبدالمدان ابن الديان الحارثي على شكل مربع متساو الأضلاع وكان الغرض من بنائها منافسة الكعبة الشريفة بمكة المكرمة. للمزيد انظر: ابن هشام ، ابومحمد عبدالملك، **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، بيروت ، دار القلم ، د.ت ،ج٢ ، ص٦٠٣ ؛ الحموي ، **معجم البلدان** ، ج٥ ، ص٢٦٩ ؛ الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص٢٦٨ ؛ جريس ، غيثان ، **نجران (دراسة تاريخية حضارية ق١-ق٥٤/ق٧-ق١٠م)** ، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ط٢، ص٥٦-٦٠. (زهير) وفي اتصال هاتفي مع أ. محمد آل هتيلة في (١٦/١١/١٤٤٢هـ) ذكر أنه بعد وقوفه على جبل تصلال لم يجد أي أثر لكعبة نجران هناك ، كما ذكر فيلبي ويعتقد أن المراد بكعبة نجران هو معبد الكأية في الأخدود. (ابن جريس) ٠

(٥) الشعثاء : تقع حالياً قرب مطار نجران. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ٠

(٦) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٢٣ ؛ والعريّسة أحد الأحياء العمرانية الناهضة شرق مدينة نجران. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ، مقابلة سبق ذكرها.

(٧) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٢٤.

(٨) مجرى الأثايبة : أحد الروافد الرئيسية لوادي نجران ولا يزال يعرف باسمه حتى اليوم ، ويضم قرى ومزارع عامرة اشتهرت بجودة منتوجاتها ، وقد أمتد اليه النطاق العمراني لنجران الحديثة اليوم. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ٠

أول القــرى النجرانيــة التي واجهته في طريقه وهي قرية آل منجم[١] لكنه اكتفى بالمرور بهذه القرية وتجاوزها إلى قرية زبيد حيث أمضــى بها أول ليلة له في نجران في ضــيافة مركز للشرطة السعودية[٢]٠ وفي صبيحة اليوم التالي ـــ الجمعة ـ أخذ طريقه بمحاذاة الوادي حتى وصــل إلى قصــر الامارة في أبي الســعود[٣]، حيث أعد له اســتقبال رسمي وأعـد له جناح مسـتقل كان مقـر إقامته طوال وجـوده في المنطقـة[٤]٠ زار معظم قرى وبلـدات نجران فمرة نجده في الحَضَـن وأخـرى يزور آثار نجران قـرب قرية القابل، ومــن ثم تجاوزها إلى بلدة رجــلا، وفي يوم آخر يتجه إلى الموفجة[٥] وخشــيوة[٦] وقرية العان[٧]٠ بعدهــا اتجــه عبر رجلا وآل منجم حتى وصــل بئر الخضــراء ومنها بدأ رحلة طويلة في الجزء الجنوبي من اليمن[٨]٠

لم يمكـث فيلبــي في نجــران مدة طويلــة بعد عودته من شــبوة فقد اتخــذ له دليلاً جديــداً للتوجه إلى القســم الجبلي مــن بلادٍ يام في بلدتي بــدر[٩]٠ وحبونا، التي أطلق عليها مســمى "النجــد المرتفع"، وكان محقاً كونها مناطق جبلية مرتفعة ضــمن نطاق سلسلة جبال السروات. وقد بدأ رحلته بالمرور أعلى مجرى الأثايبة، ثم اخترق عدداً من السلاســل الجبلية الوعرة حتى الوصول إلى شعيب الرغام[١٠] ٠ ثم واصل طريقه ليعبر

---

(١) آل منجــم في قريــة عامرة وحي متطور تسـكنه عشــيرة آل منجم من يام. انظر: حمــزة، **في بلاد عسير**، ص١٨٥.

(٢) فيلبي، **مرتفعات الجزيرة العربية**، ج١، ص٤٢٥.

(٣) قصر أبو السعود: قصر طيني كبير تم بناؤه في بداية الحكم السعودي لنجران، وكان مقراً للحاكم الإداري وبقيــة الأجهــزة الحكومية في ذلك الوقت، وهو اليوم معلم أثري وســياحي بارز ووجهة مهمة للســياح وزوار المنطقة. انظر: آل مريح، نجران، ص٢٨.

(٤) فيلبي، **مرتفعات الجزيرة العربية**، ج١، ص٤٢٨.

(٥) الموفجــة: قريــة زراعية جميلة غزيرة المياه كثيرة البســاتين تقع في حلق وادي نجران بعد الســد. البلادي، بين مكة وحضرموت، ص١٩١.

(٦) خشيوة: قرية تقع الى الجنوب من وادي نجران، وتدعى حالياً حي المنصورة. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء**. سبق ذكرها ٠

(٧) العان: من أشهر الجبال في منطقة نجران يقع جنوب غرب مدينة نجران قرب الحدود السعودية اليمنية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء**، مقابلة سبق ذكرها.

(٨) فيلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص٤٣٨؛ وعن هذه الرحلة انظر لنفس المؤلف: بنات سبأ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص٢٣ وما بعدها.

(٩) بدر: محافظة تقع وادي حبونا شــمال شــرق نجران على الحدود الإدارية لمنطقة عسير. انظر: البلادي: المرجع السابق، ص ٢٠٤؛ الشريف، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ج٢، ص٤٠٩

(١٠) شــعيب الرغام: مجرى واد مليء بأشــجار الســدر والطلح يخترق سلاســل جبلية وعرة إلى الشــمال من نجــران بالقرب من الطريقً المؤدي من نجران إلى خميس مشــيط. **مقابلــة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** ٠

مسالك أخرى عددها المؤلف في كتابه مثل : سلسلة الصخي[(١)] وشعيب عرقان[(٢)]. حتى وصل إلى مجرى وادي حبونا متوقفاً في محطات كثيرة إما للراحة ، أو لجمع الرسومات ، أو النقوش الحميرية[(٣)] والثمودية[(٤)]. التي صادفها بكثرة، وسجل لنا كل تفاصيلها[(٥)]. ومن هناك توجه إلى وادي ثار[(٦)]. بهدف الوقوف على ما قيل له عن كثرة النقوش والرسوم المنتشرة بهذا المكان[(٧)]. ثم أخذ طريقه إلى حبونا بعدد من الأودية والجبال حتى وصل شعيب سليم[(٨)]. حتى وصل إلى ماء ثميلة ، وهو أحد موارد البدو المشهورة في المنطقة[(٩)]. ، ثم اتجه عبر شعيب قفلة حتى عودته إلى معسكر في وادي تريمة[(١٠)]. في حبونا[(١١)]. وفي صبيحة اليوم التالي كانت وجهته عبر دلتا الحبابة حتى وصوله واحة حبونا[(١٢)].

---

(١) سلسلة الصخي : جبال ممتدة بشعاب وأودية من غرب نجران باتجاه النقعاء وحبونا وباتجاه الجهة الشمالية الغربية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** .

(٢) شعيب عرقان : من الأودية الكبيرة التي تمتد بعد سلسلة وادي صخي. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(٣) تعد النقوش الحميرية من أهم نقوش المسند القديمة ومن أهم النقوش الحميرية في نجران موقع الأخدود الأثري الذي يقع في قرية القابل جنوب وادي نجران ، الذي يشمل مباني وأنقاضا أثرية تحمل نقوشا معينية وسبئية ، بلغ عدد النقوش العربية الجنوبية القديمة التي تم حصرها في الموسم الأول للمسح والتنقيب في الأخدود حوالي (٣٧) نقشا حجريا إلى جانب ثلاثة نقوش حميرية سطرها أقيال الملك الحميري (يوسف أسار يثأر) عندما أقدموا على غزو نجران مع ملك الجيش الحبشي بظفار وهذه النقوش الثلاثة مؤرخة جميعها بعام (٦٣٣م) حميري أي حوالي عام (٥١٨م). للمزيد انظر : **وزارة المعارف (وكالة الآثار والمتاحف) ، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية** ، (الرياض ، مطابع دار الهلال للأوفست) ، ص٨٨.

(٤) بلغ مجموع النصوص الثمودية التي أمكن حصرها من منطقة نجران نحو (٣٠٠) نقش وعلى الرغم من كثرتها فإنها قصيرة ومعظمها أسماء أعلام، إلى جانب ورود أسماء بعض المعبودات كما ترد كثيراً كلمة (ودد) بمعنى أحب ، أو (ود) ومن أهم المواقع في منطقة نجران التي عثر فيها على نقوش ثمودية هي : جبال ثغر المسماة جبل أم رقيبة ، جبل عان النعام ، جبل واسط ، نجد سهي ، النظيم ، جبال الكوكب ، جبال قارة. للمزيد انظر : **وزارة المعارف ، سلسلة آثار المملكة** ، ص٨٦.

(٥) للمزيد انظر : فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٢٤-٦٣١.

(٦) وادي ثار : يبدأ من الجبال الغربية بموازاة وادي حبونا من الشمال ، وله عدة روافد ويتجه الى الجنوب الشرقي حتى يلتقي بوادي حبونا شرق عمود الرحبة. جريس ، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران)** ، (الرياض ، مطابع الحميضي ، ١٤٣٢- ١٤٣٣هـ/٢٠١١-٢٠١٢م) ، ج٣، ص٢٦٢.

(٧) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(٨) ربما يقصد فيلبي موطن قبيلة آل سليم من يام الذين يقطنون عدة أماكن في حبونا. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء** .

(٩) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(١٠) وادي تريمة : أحد الأودية العظيمة في منطقة نجران ينحدر من الرحاب في محافظة بدر الجنوب ويصب في محافظة حبونا. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(١١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(١٢) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٣٣.

وفي حبونـا أمضـى بعض الوقت في ضـيافة أميرهـا المحلي محمد بن ناصـر[١]. متجولاً بين قراها ومزارعها عدة أيام، ثم أخذ طريقه عبر منحنيات وادي حبونا متجهاً إلى بلـدة المجمع[٢]. مـاراً بقرى النقعاء[٣]، والمروة ، ومسـعودة ، والحصـن، وشـعيب صحيان[٤]، والحرشـف[٥]، وحزقة ، ودوح، والسـليمة ، والعـزم ، والجفـة[٦]، ثم أخذ طريقه عبر مجموعة من السلاسـل الجبلية الوعرة ومسـايل المياه حتى وصل الى قرية الخضـيرة التابعة لحبونا[٧]. فعسكر هناك بعض الوقت ، ثم سار عبر وادي حبونا ماراً بقرية الخانق[٨]، حتى وصل إلى ظهران[٩]، التابعة لمنطقة عسير[١٠].

بعـد أن أمضـى بعض الوقت في ظهران غادرها متجهـاً إلى بلدة بدر التي كانت في ذلك الوقت مركزاً لدعاة الإسـماعيلية من المكارمة التي أسـماها وطن السفاحين[١١]. فأقام في ضـيافة أميرها ابراهيم النشـمي[١٢]، عـدة أيام[١٣]، ليتعـرف على أحوالها الاقتصـادية والسـكانية والعمرانية ، ثم غادرها منهياً رحلته إلى منطقة نجران آخذاً

---

(١) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٣٣.

(٢) المجمع : أحد روافد حبونا وهي اليوم بلدة عامرة بالسكان. انظر : البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص٢٠٥.

(٣) النقعاء : قرية تقع الى الشـرق من محافظة حبونا بمسـافة تقارب (٥٠)كلم. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .**

(٤) شـعيب صـيحان : جبل ضـخم يحد محافظة حبونا من الشـمال ويتفرع منه العديد من الشعاب والأودية. **مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .**

(٥) الحرشـف : جبل ضـخم يقع الى الشمال من جبل صـيحان. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(٦) الجفة : قرية تقع الى الغرب من محافظة حبونا. مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(٧) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٦٤.

(٨) الخانق : أحد مراكز محافظة حبونا الواقعة في الجهة الغربية منها. مقابلة شخصـية مع الشـيخ سـالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(٩) ظهران الجنوب : يقع في الجنوب الشرقي لمنطقة عسير على الحدود اليمنية ويبعد عن أبها مسافة (١٦٠) كم ويحدها من الغرب منطقة جازان ومن الشـمال محافظة سراة عبيده ومن الجنوب الجمهورية اليمنية. الحربـي ، علـي ، **المعجم الجغرافي للبـلاد العربية السعودية (منطقة عسـير)** ، (بيروت مطابع الخليفة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ج٢ ، ص١٠٥٢.

(١٠) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٦٨.

(١١) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٧٣.

(١٢) إبراهيم النشمي : ولد في شقراء بالوشم سنة (١٣١٢هـ) من رجال الملك عبدالعزيز المعروفين ، شارك في كثير من حملات الملك عبدالعزيز مثل حصـار المدينة وفتحها عام (١٣٤٤هـ) وكلف بمهمات عسكرية على الحدود الشـمالية وأخرى في الجنوب، كما تولى إلى جانب امارة نجران إمارات ينبع والعلا وتربة والخرج ومات عام (١٣٩٨هـ). للمزيد عن حياته. الحميد ، عبداللطيف بن محمد ، **إبراهيم عبدالرحمن النشمي (١٣١٣-١٣٩٨هـ حياته وأعماله**، (د.ن ، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م).

(١٣) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٦٧٧.

طريقه إلى بلاد قحطان مرة أخرى[١].

أما فيليب ليبنز فقد استعرض في كتابه مراحل زيارته لنجران برفقة فيلبي وعالمي الآثار: جاك رايكمان وكنزاك رايكمان، واتخذت رحلتهم الطريق نفسه الذي سلكه فيلبي في زيارته السابقة لنجران عبر بلاد قحطان حتى وصولهم إلى يدمة[٢] ثم إلى بئر الحصينية[٣] فأسفل وادي حبونا[٤] ثم السير حتى الوصول إلى جبل تصلال[٥] ثم آبار الخضراء[٦] حتى استقرارهم أخيراً في نجران. دون ليبنز أهمية نجران التي اعتبرها "مركزاً اقتصادياً وإدارياً مهماً لقبيلة يام"[٧]، وذكر أن عرضها (٤٠) كيلو متراً، وعدد سكانها قرابة (٨٠٠٠) نسمة حسب تقديره الشخصي[٨] ووصف فيليب ليبنز كل ما صادفه في طريقه من جوانب الحياة المختلفة في نجران فأشار إلى الغطاء النباتي وأنواع الأشجار التي تصادفه في رحلته كالسمر، والأراك[٩] ـ الراك ـ باللهجة المحلية[١٠].

سابعاً : المقارنة بين رحلتي فيلبي وفيليب ليبنز :

١- التضاريس والبيئة :

أعطى فيلبي للتضاريس والبيئية اهتماماً كبيراً ودقة بالغة فوصف كل ما شاهده في طريقه من سهول، وجبال، وتلال، وأودية، يؤكد هذا الأمر عندما يصف رحلته ويحدد بدقة كبيرة درجة ارتفاع تلك التضاريس عن سطح البحر أو موقعها بالنسبة لخطوط

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص٦٩٣.

(٢) ليبنز: **رحلة استكشافية**، ص١٢٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٤.

(٤) المرجع نفسه، ص١٢٤.

(٥) المرجع نفسه، ص١٢٦.

(٦) المرجع نفسه، ص١٢٧.

(٧) المرجع نفسه، ص١٢٩.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٢٩. (زهير). هذا التقرير الذي ذكره فيليب ليبنز ليس دقيقاً، وقرأت عن رحالة أجانب جاءوا إلى بلاد السروات وتهامة في القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) وذكروا إحصائيات غير دقيقة عن سكان البلاد التي مروا عليها. (ابن جريس).

(٩) الأراك: شجرة أوراقها تظهر طعماً طيباً برائحة زكية عند تذوقه وتمتد جذوره تحت الأرض، وزهوره صفراء صغيرة يمتد في الصيف على شكل عناقيد كعناقيد العنب وثمره ولونه أحمر يشبه ثمر العوسج والغرقد وعند نضجه يصبح لونه أسود ترعى الأبل أغصانه، وتأكل البشر والطيور من ثمره، ويسمى الكباث، كما يكتسب حليب الماشية التي تأكلها رائحة زكية، ويعد الأراك من أفضل الأشجار التي يتخذ منها السواك. ابن البيطار، أبو محمد بن عبدالله، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، (بيروت، دار الكتب العلمية)، المجلد الأول، ص٢٨؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٦٣.

(١٠) ليبنز، **رحلة استكشافية**، ص١٢٢، وللمزيد عن جغرافية نجران انظر: ملحق الخرائط.

الطول ودوائر العرض ، فعند اختراقه لشـعيب نعوان[١]وصف السهل الذي عبره قائلاً "وانطلقنا بسـرعة جيدة فوق سـهل رملي رائع ، منقط هنا وهناك بكتل من صـخر رملي مكسر ، يتآكل ببطء ولكنه بكل تأكيد يذوب داخل رمال الصحراء .... "[٢] وفي موقع آخر يصـف وقوفه على قمة جبل أبو همدان[٣]قائلاً : "شـمخت قمة أبو همدان إلى (١٢٠٠) قدم فوق مسـتوى وادي نهوقة[٤] الذي تقع أسـفلها" ، إلى أن يقول: "كان التل والسلسـلة التـي وقف عليها من جرانيت مع مسـاحات متكررة من (مواتـرز) ، على عكس جلاميد وادي نهوقة إلى الخلف ... "[٥] ، ثم يصف إحدى القمم الجبلية المشهورة : "رافقني هذا الزائـر إلى السـهل إلى حيث تقع مقبرة قديمة خالية من النقوشـ ، وربما يعود تاريخها إلى العصـور الوسطى ، إلى عند قمة جبل السـودة ، وإلى جوارها سلسلة الجبل الأحمر ذات القمـم المتعددة التي تسـد الوادي من هـذه الناحية وتكّون جرفـاً عالياً ينحدر من ورائـه وادي سـقام الواسـع عبر خليج عريضـ في الجبال ليصـل إلى وادي نجران عند رجلا ..... "[٦] .ويصـف أيضاً تجمعاً غريباً لصخور جرانيتية على حد تعبيره : "يحتوي التجمع عند طرفه الشمالي على ثلاثة جلاميد (X) ، (X ١) ، (X ٢) ، تمتد على زاوية (١١٠) درجة من عند (X) لمسافة (١١) خطوة ، أو قل ٢٧,٥ قدم"[٧] .

في الجـزء الثاني من كتاب: (**مرتفعات الجزيرة العربية**) يقدم وصـفاً دقيقاً لمجرى وادي حبونـا في قولـه "كان سـطح الـوادي رمليـا ومكسـواً بغابـات كثيفة من أشـجار وشـجيرات خفيفـة ... كان سـيل الـوادي ٢٠٠ ياردة"[٨] ، ثـم يتحدث بالتفصـيل عن الصورة التي شاهدها لواحة حبونا التي كانت "على هيئة كتلة كثيفة من أشجار النخيل بامتداد متوسط إلى جانب ما يقدر بست من القرى الصغيرة المنتشرة بين المزارع"[٩]، مسـتطرداً في وصـف قراها وحصونها ومسايلها ، وما يحيط بها من قمم جبلية شاهقة أكسـبتها طبيعة تضاريسـية وعرة عبر عنها فيلبي وهو يتسلق تلك القمم الضخمة مثل

---

(١) نعـوان : واد صـغير يقـع في الجنـوب الغربـي لوادي حمـى. **مقابلـة شخصيـة مع الشيـخ سـالم بن محمد بـن فلاح الشدقاء** .

(٢) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٥٣٣.

(٣) جبل أبو همدان : قمة جبلية ضخمة تطل على القرى الجنوبية لوادي نجران. آل مريح ، نجران ، ص٦٤.

(٤) نهوقة : واد متسع أول ما يلي نجران من جهة السراة بينها وبين جبل رير الضخم الذي يشرف على مدينة الأخدود ، في أعلاه الى اليمن تقع جنوبي نجران. البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص١٩٢.

(٥) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٤٣٥.

(٦) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٧٦.

(٧) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٠١.

(٨) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢ ، ص٦٣١.

(٩) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٤٩.

جبل أم خرق[١] ، وسلسلة شرقان[٢] ، وقمة قلعة العان[٣] .

اتبع هذا الرحالة منهجاً ثابتاً في وصف جغرافية بلاد نجران من قرى ومزارع بشكل موسع ودقيق يجعل القارئ يتصور تلك الرحلة وهو ما يتجلى عند وصفه لقرى الضفة الغربية لوادي نجران : كالحصن ، والبديع ، والقابل ، ورجلا وغيرها[٤] ، ومن أمثلة وصفه ما يتحدث به في موضع آخر عن منظر رآه لقرية زور وادعة فيقول: " تسيطر هضبة بارزة على سفح أبي همدان على منظر رائع لهذه الواحة الجميلة والتي تباهت ذات يوم بقلعة جميلة وهي الآن مدمرة ... " [٥]. كان فيلبي حريصاً أكثر على أن يذكر سكان كل قرية يمر بها أو يصفها مع ربطها بالقبيلة الأم التي تنتمي اليها[٦] ، بل نجده يقدم للقارئ في نهاية القسم الأول قائمة مصنفة بأسماء قرى نجران : " لكل المزارع و الآبار والوحدات ذات الأسماء التي تكون واحة نجران"[٧] .

ويدون وصفاً دقيقاً لبلدة حبونا متحدثاً عن أهم قراها ومزارعها مثل شط الخضرة، وقابل منيف ، الحصن الأعلى التي تسكنها اليوم بطون قبيلة لسلوم إحدى فروع قبيلة مواجد يام[٨] ، ثم ينتقل للحديث عن واحة المجمع في وادي حبونا ليعدد قراها، ويحدد مواقعها ، ويصف مزارعها[٩] . لم يغفل فيلبي أحوال الطقس اليومية قال:" ساء الطقس في وقت متأخر من العصر وغطت الأجواء غيوم كثيفة غريبة إلى الوادي يحملها نسيم جنوبي غربي لطيف هجمت علينا العاصفة ، وكانت محملة بالرمال ... "[١٠] ، وفي يوم آخر يصف وضع الطقس عند زيارته للأخدود : " ذهبت رياح قوية لمدة ساعة ، وذلك قبل غروب الشمس ، وكانت السماء ممتلئة بالسحب عند قدوم المساء ، غير أن المطر كان حينها بعض قطرات .. "[١١] .

---

(١) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٥٠.

(٢) المرجع نفسه ، ج٢، ص ٦٥٢

(٣) وهي غير عان نجران الجبل المشهور. وللمزيد عن مشاهداته في حبونا. انظر ، فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ص٦٤٩-٦٥٣.

(٤) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٤٢.

(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٤٩.

(٦) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٤٣-٥٥٠.

(٧) المرجع نفسه ، ج١، ص٦٠٨-٦١٢.

(٨) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢، ص٦٥١. وتتكون هذه القبيلة من عدة بطون وفروع ، انظر : حمزة، **في بلاد عسير** ، ص١٧٨ ؛ البلادي ، **بين مكة وحضرموت** ، ص١٢٧.

(٩) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢، ص٦٥٧.

(١٠) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٦٤.

(١١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٦٨.

وفي مواطــن كثيرة نجــد هذا الرحال يورد تفاصــيل كثــيرة عن الغطــاء النباتي ، ذاكراً أنواعاً من النباتات التي تنمو في الجبال والسهول مثل نباتات النجعة[١] ، والأراك -الــراك[٢] ، والســمر ، والســلم[٣] ، أو تلــك التي تعيشــ على ضــفاف وادي نجران مثل الحلفاء[٤] ، والقصــب[٥] ، والأثل[٦] ، والطرفاء[٧] ، والزعتر ، والنعناع البري وغيرها[٨] . وفي مجــال آخــر نجده ينتقــل إلى وصــف الكائنات الحية التــي تعيشــ في المنطقة من زواحف، وطيور، وحشرات، وحيوانات، ولعل ولعه بصيد تلك الأحياء وتربيتها، وإرسالها إلى المتاحــف المتخصصــة في بريطانيا ، أكبر دافع لاهتمامــه هذا ، ومن هذا قوله عند مروره في وادي نعوان " تحصلنا على زوج من غزال الآدمي في هذا الوادي أثناء عبورنا، كمــا جمعــت قرناً لغزال ميــت"[٩] ، إلى جانب حيــوان الوبر الذي كان يقطن الصــخور الجراتينية في وادي ثار[١٠] ٠ وعند زيارته لآل منجم وهو يتحدث عن بعض الأطفال الذين احضــروا له بعض أصــناف الحيوانات والزواحف: "ليعودوا ومعهم ضفادع ، وسحالي ، وثعابين"[١١] ويذكر أنه خلال خمســة أشهر شــحن (١٧) صندوقاً من العينات النباتية، والحيوانية ، والطيور ، والحشرات ، والصخور حتى تودع في المتحف البريطاني[١٢] .

أما فيليب ليبنز فوصف بشكل موجز الكثير مما واجهه ولفت نظره من معالم طبيعية في نجران، ففي طريقه من أبها إلى نجران وصف الهضاب مثل هضاب عشارية[١٣] والأودية

---

(١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٠٠.
(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٣.
(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢١.
(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢٨.
(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٣٦.
(٦) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٢.
(٧) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٤٤.
(٨) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٤٩.
(٩) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٠٠.
(١٠) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٦٣٨.
(١١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢٧.
(١٢) كما ذكر فيلبي أن أحد مرافقي الرحالة هاليفي قام بنشــر كتاب عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م عن رحلته لجنوب الجزيرة لجنوب شــبه الجزيرة احتوى مقاطع مهمة عن نجران وان كانت غير دقيقة ، ومن نجران شــحن إلى جدة (١٤) صــندوقاً من العينات ليتم إرســالها إلى المتحف البريطاني وهي حصــيلة عدة أشــهر من الجمع الدؤوب. المرجع نفســه ، ج١ ، ص٣١٤-٣١٩ ؛ ويمكن الاطلاع على شــهادة المتخصصــين عن أهمية اكتشافات فلبي في تحديد طبيعة المنطقة وذلك خلال تكريمه. انظر :
philby , john , The Land of Sheba , Geographical Journal .107-132 , 1-12 , (1938) 92 ,
(١٣) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٢٢.

مثـل وادي نجران ووادي نهوقة[١] ، والجبال مثل جبل نهوقة[٢]وجبل عرايـر[٣] ، وأشـار إلى بعض المنحدرات والرمال والشـعبان مثل : شـعيب السـلم[٤] ،كما ذكر بعض الأشجار التي شاهدها ولفتت نظره خاصة الشوكية منها[٥] ، ووصف طبيعة الأرض وتكويناتها وأشكالها ، وأسهب في الحديث عن صحراء الربع الخالي عند المرور في بعض أجزائها [٦] .

٢ - التاريخ والآثار :

يُعد اهتمام فيلبي بالتاريخ القديم محوراً مهماً في جميع كتاباته التاريخية مما يدل على اسـتيعابه لتاريخ المنطقة القديم وتركيزه على تتبع آثاره ونقوشه ، فقد ألف في عام ١٩٤٧م كتـاب (The Background of islam) وذكر بعضـ الأحداث والتطورات التي شـهدتها الجزيرة العربية قبل ظهور الرسول ﷺ إلى جانب مجموعة أخرى من الكتب والمقالات التي نشـرها وتعد مصدراً أولياً مهماً لتاريخ الجزيرة العربية القديم[٧] ٠ومثّل غنى نجران بالآثار التاريخية مصـدر إلهام لهذا الرجل الموسوعي وحافزاً له لأن يقدم في مجال البحث التاريخي أو الدراسـات الأثرية إضافة جديدة واكتشافات نوعية يحقق بها الريادة على من سـبقوه ، سـاعده في ذلك المامه الجيد بتاريخ المنطقة منذ العصور القديمة وهو ما أفرد له مسـاحة كبيرة اسـتعرض من خلالها تاريخ نجران ، عزز هذا الأمر الدعم الذي وجده من الحكومة السعودية.

حرصـ فيلبي منذ خطواته الأولى في نجران الاتجاه فوراً إلى الموقع التاريخي الذي احتضـن ما عرف من مصـادر التراث الإسـلامي بكعبة نجران[٨] ، وخصـص فصـلاً كاملاً للحديث عن هذا المعلم التاريخي ، وذكر زيارته لجبل تصـلال حيث قيل أن كعبة نجران كانت قائمة في احدى سـفوحه، وقدم وصفاً دقيقاً لمقبرة قديمة وأضرحة مبنية من الحجارة الجرانيتيه[٩]ثم انتقل إلى الحديث بإسـهاب عن ما أسـماه بــ "الطريق

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٣٧ ٠

(٢) المرجع نفسه ، ص١٣٧.

(٣) المرجع نفسه ، ص١٣٨.

(٤) المرجع نفسه ، ص١٢٢.

(٥) المرجع نفسه ، ص١٤٤.

(٦) المرجع نفسه ، ص١٥٣. ٢وما بعدها ٠

(٧) آل عبدالجبار ، عبدالله بن عبدالرحمن ، دراسـة تحليلية لكتاب (مرتفعات جزيرة العرب) لجون فيلبي ، **بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ج٢ ، ص٩٥٠.

(٨) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٤١١.

(٩) المرجع نفسه ،ج١، ص٤١٤. (زهير). موقع كعبة نجران مازال مدار جدل عند بعض الباحثين المتأخرين . آمل أن تصدر دراسة أثرية تفصل الحديث في هذا الموضوع . (ابن جريس) ٠

الموكبي"(١)، ومفسـراً وجود "مسـاحة مسـتطيلة طولها ثلاث خطوات ونصف على خط اتجـاه شـرق – غـرب، وخمس خطوات تجاه شـمال – جنـوب ، كانت محاطـة ببلوكات حجريـة"(٢)، أي أنه قد يكـون معبداً(٣)، والملاحظ أن فلبي في نهايـة بحثه هذا قد جزم باكتشـافه كعبة نجران: "لم يعد لديّ أي شـكوك بأنني حقيقة قد اكتشفت كعبة نجران المفقودة منذ القدم، وبها نصف المطاف"(٤)،واستنتاج تاريخي مخالف للروايات والدلائل التاريخية التي اختلفت في ماهية هذا البناء بين قائل أن الغرض منه كان للعبادة ، وآخر يرى أنه مجرد بناء كبير غرضـه إقامة الاحتفالات والاسـتقبالات التـي يقيمها بنو عبد المدان زعماء نجران ، والأخير رجحه ابن الكلبي(٥)،وهو الرأي الأقرب للصحة كون بني عبدالمدان سادة بني الحارث بن كعب كانوا على الوثنية وليست النصرانية حسب اعتقاد البعض ، فكيف لهم أن يبنوا كنيسة للنصارى وليسوا على هذه الديانة أصلاً(٦)٠

أمـا المعلم الثـاني الأكثر أهمية فيتعلـق بأطلال الأخدود الأثرية وقد خصـص لها المؤلف فصـلاً مسـتقلاً ، أسـهب فيه بالحديث عن جغرافية طريق الأخـدود ، والقرى والمزارع الواقعة عليه(٧)، ثم اسـتعرض نتائج زيارته للأخدود فبدأ بالحديث عن القلعة الضخمة التي رجح أن يعود تاريخ بنائها إلى الأيام الأولى لتاريخ دولة معين(٨)، وتساءل عن سـبب انهيار جدرانها ورجح أن يكون للـزلازل والكوارث الطبيعية دور كبير في هذا الخراب الكبير أكثر من الحملات العسـكرية(٩)،واسـتطرد بإسـهاب في وصـف شكلها المستطيل ونتوءات جدرانها وأطوالها ومدخلها الرئيسي(١٠)،وتتبع محتوياتها في النقوش

---

(١) أو الطريق الدائري كما وصـفه في هامش الكتاب (ج١، ص٤١٥) وهي مصـطلحات نصرانية دينية تعودها المؤلفون الأوربيون ولا يمكن الركون إليها كحقائق تاريخية ثابتة ٠

(٢) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤١٥.

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٥.

(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤١٦.

(٥) انظر : الكلبي ، هشام بن محمد ، **كتاب الأصنام** ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢ ، ١٢٤٣هـ ، ١٩٢٤م ، ص٤٥.

(٦) طرح الأسـتاذ عبداللطيف علاقي عدداً من التسـاؤلات المهمة حول حقيقة كعبة نجران التي رجح فيها أن يكـون هذا البناء مجـرد غرفة لاجتماعات القوم. للمزيد عن هذه التسـاؤلات انظر : علاقي ، عبداللطيف طاهر ، **نجران : الواحة والإنسان** ، (جدة ، مطبعة الصلاح ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٦٧.

(٧) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٥٩ وما بعدها.

(٨) يقصـد بذلـك أيام الملك المعيني – كرب إيل وتـر – عام ٦٩٠ ق.م التي خلفت الكثير من مظاهر التدمير في الأخدود. للمزيد انظر : الانصـاري ، عبدالرحمن وصـالح آل مريح ، **نجران منطلق القوافل** ، (الرياض ، دار القوافل للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص١٣ ؛ فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٢.

(٩) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٢.

(١٠) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٢.

الحميرية ـ المسند ـ الزخارف ، ورسومات الجمل والحصان والثعابين وغيرها[١] .

وتحدث المؤلف عن مجموعتين من المباني الفخمة داخل القلعة أرضيتها مبلطة بألواح كبيرة ، ورجح أن تكون ضمنها كاتدرائية مسيحية أو معبد وثني على حد تعبيره[٢] ،وبينها مساحة ضخمة رجح أن تكون ساحة للسوق المحلي[٣] ،وذكر حجارة الرحى الحجرية الشهرية التي تم اكتشافها في الزاوية الشمالية للمدينة[٤] ،ودون وصفاً مفصلاً لامتداد المدينة غير المنتظم والسور المحيط بها[٥] ،والمواد التي استخدمت في بنائه كالحجارة المشذبة واللبن والطوب المحروق[٦] ، وحاول الوصول الى دلائل أكثر وضوحاً في نظام الري القديم وتخزين المياه[٧] ، وزار ضمن المواقع التاريخية بئراً قديمة "بئر قبيات"[٨] ،وبقايا ضريح عبدالله بن الثامر[٩] ،والذي ذكر المؤلف أنه كان مزاراً لأصحاب البدع والخرافات قبل أن تزيله السلطات السعودية[١٠] .

ويذكر هذا الرحالة أنه جمع في رحلته تلك ما لايقل عن (١٣٢) مجموعة من النقوش[١١] ،وقطع أثرية "تشتمل على رأس من البرونز وكف حيوان وقطعة من ميزاب معبد .... "[١٢] ،ومن نتائج دراساته تلك الخريطة التي وضعها المؤلف لمدينة الأخدود[١٣] ، والتي قدر مساحتها بـ(٧٥) هكتار[١٤] ، إضافة لما جمعه من نقوش حميرية وثمودية وعربية وعبرية من مواقع مختلفة من نجران كالأخدود وحبونا وجبال العان وبوهمدان والسودة وشعيب بران ووادي نهوقة وبئر الخضراء وغيرها[١٥] .

---

(١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٣.

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٢٤.

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٢٤.

(٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١١.

(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١١.

(٦) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٦ ، ص٥٢٣.

(٧) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٢.

(٨) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٦.

(٩) للمزيد عن هذه الشخصية المرتبطة بحادثة الأخدود المشهورة .انظر : ابن هشام ، محمد عبدالملك ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، بيروت ، دار القلم ، د.ت ، ج١ ، ص٣٤-٣٧.

(١٠) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٧.

(١١) وقد نشرها في مؤلفه الذي كتبه بالإنجليزية بعنوان النقوش في نجران الذي طبع في لندن سنة ١٩٤٤م. انظر : فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٢٠.

(١٢) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١ ، ص٥١٨.

(١٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٥. انظر الخريطة التي رسمها فيلبي للأخدود في ملحق الخرائط.

(١٤) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥١٩.

(١٥) انظر فيلبي : **بنات سبأ** ، ص٤٣ ، فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥١٢ ، ص٥٢٧ ، ص٥٧٠ ؛ ج٢ ، ص٦٢٤ ، ٦٢٥

امتدت زيارات فيلبي إلى مواقع أخرى لم يسـبقه اليه أحد فزار قصر العان ــ قلعة المكارمة ــ كما أسـماها[١]، وزار مجموعة آبار قديمة قرب قرى الحضـن جنوب نجران ورجح وجود قرية أثرية تعود إلى العصـور الوسـطى[٢]. وفي زيارته لـوادي ثار (١٢٠) كيلاً شـمال نجران، شـاهد مجموعة كبيرة من النقوش الثمودية المدونة على الصخور السـوداء التي وصـفها بـ "الرائعة"، واستغرق في تسـجيلها في مذكراته ساعتين من الزمن[٣]، وتضـمنت مشاهداته صـوراً صـخرية للأبقار والجمال والضأن، ومجموعة من المقابر والآبار القديمة، وأكوام من الحجارة تدل على بقايا أثرية قديمة[٤].

اهتـم فيلبـي بالتاريخ الحديث لبلاد نجـران وأهم أحداثه فـأورد بعض الروايات المتعلقـة بالحـرب الحدودية بين السـعودية واليمن عـام (١٣٥٢هـ/١٩٣٤م) والاحتلال اليمنـي لنجـران قبل طردهم مـن قبل القوات السـعودية وجهود الأمير سـعود والأمير فيصـل ــ رحمهما الله ــ ابني عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود في تحرير الأراضي السـعودية، كما تتبع حملة الأمير سـعود في المناطق الداخلية وأوضـح صـعوبات التنقل والامداد التي واجهت تقدم جيشـه؛ بسبب وعورة الطرق والتضاريس الجبلية الصعبة، وحـدد المواقـع الجبلية التي عبرها الجيش السـعودي وآثار المعسـكرات والسـيارات في المعابر الجبلية مثل ممر شـطبة، إلى جانب الأشـخاص الذين أسهموا في نجاح الحملة والقبائل التي ساندتها والقرى اليمنية التي سيطر عليها الجيش السعودي[٥].

أمـا ليبنز فقد كان من أبرز المهام التي قدمت من أجلها البعثة الاستكشـافية إلى نجران زيارة مدينة الأخدود الأثرية الواقعة على الضـفة الجنوبية لوادي نجران، ومن أجل ذلك تحدث المؤلف بإسـهاب عن تفاصـيل زيارته وزملائه لهذه المنطقة التاريخية منـذ اتخاذهـم معسـكراً بالقرب مـن أسـوارها حتى رحيلهـم باتجاه الربـع الخالي. وأمضـى "ليبنز" ورفاقه رايكمان وجاك وفيلبي ما بين أربعة وخمسـة أيام بين أنقاض الأخدود[٦]، التـي وصـفها بالمدينـة السـبئية الغربية[٧]، فقد حدد موقعها على الضـفة

---

(١) فيلبي، **مرتفعات الجزيرة العربية**، ج١، ص٥٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص٥٨٠.

(٣) المرجع نفسه، ج٢، ص٦٣٦.

(٤) المرجع نفسه، ج٢، ص٦٣٧-٦٤٧، والذي نفهمه من كتابات فلبي عند زيارته للمنطقة الممتدة من ثار إلى حبونا أنها كانت مليئة بالنقوش والرسوم القديمة التي حرص على جمع أكبر قدر ممكن منها ونسخه في مذكراته.

(٥) فيلبـي، المرجـع السـابق، ج٢، صـ٦٢٩؛ وللمزيد عن الحرب السـعودية اليمنية انظـر: آل زلفة، المرجع السـابق؛ ابـن سـعود، مشـاري، **العلاقات بين المملكـة العربية السعوديـة والمملكـة المتوكليـة اليمنيـة**، (الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

(٦) ليبنز، **رحلة استكشافية**، ص١٣٢.

(٧) المرجع نفسه، ص١٣١.

الجنوبية لوادي نجران "في منتصف الطريق بين مجرى الوادي الرملي ومرتفعات صخور الجبال الممتدة نحو اليمن[١]، واستعرض أحداثاً مهمة مرت بها هذه المدينة منذ تعرضها لحملة الملك الحميري ذو نواس حتى مقدم الأحباش إلى اليمن بسبب محرقتها[٢].

قدر ليبنز مساحة المدينة بتسعة هكتارات داخل المدينة التي يبلغ طول أسوارها (٣٠٠م) تقريباً، وخمسين هكتاراً إلى خارجها حيث توجد بعض آثار المساكن[٣]، واعترف بمحدودية إمكانية بعثته التي لم تكن لتستطيع القيام بحفريات أثرية كبيرة لكشف أطلال المدينة التي اكتفى هو ورفاقه بدراسة سطحية لمحتوياتها[٤]، ودون هذا الرحالة عدداً من مشاهداته ومكتشفاته من البقايا الأثرية لمدينة الأخدود قائلاً: "فقد كنا نسير فوق المجهول من القبور والكنوز الأثرية والأحجار الطبيعية وقطع الخزف التي كانت تتحطم أو تتكسر تحت وطء الأقدام.."[٥]. ومن أهم مكتشفاته تلك لوحاً من الجرانيت يتجاوز عرضه الثلاثة أمتار وعمقه المتر الواحد[٦]، وقطعاً أخرى من المرمر والفخار وكؤوس الزجاج التي يعود بعضها إلى العصر السبئي حسب قوله[٧].

أما آثار المدينة الثابتة فقد وصف أسوار المدينة بالقوية: "في تتابع دقيق على شكل أسنان ذات زوايا مستقيمة[٨]، تساءل عن منازل المدينة التي قدر ارتفاع بيوتها لأكثر من طابق وسيطرة اللبن الطيني والحجارة المحلية أو الطين المحروق على مادة بنائها[٩]، كما تحدث عن زيارته مع رفاقه لما تبقى من آثار قنوات الري المتصلة بمدينة الأخدود التي قدر مساحتها بعشرة هكتارات[١٠].

كان هذ الرحال كثير الاهتمام بالنقوش التي وجدها في أماكن متفرقة في طريقة مثل يدمة[١١]، وتصلال[١٢]، ونهوقة[١٣]، وكان معظمها بالخط المسند ــ الحميري

(١) المرجع نفسه، ١٣٤.
(٢) المرجع نفسه، ص١٣٣.
(٣) المرجع نفسه، ص١٣٣.
(٤) المرجع نفسه، ص١٣٤.
(٥) المرجع نفسه، ص١٣٤.
(٦) المرجع نفسه، ص١٣٥.
(٧) المرجع نفسه، ص١٣٧.
(٨) المرجع نفسه، ص١٣٥.
(٩) المرجع نفسه، ص١٣٥.
(١٠) المرجع نفسه، ص١٤٣.
(١١) المرجع نفسه، ص١٢٢.
(١٢) المرجع نفسه، ص١٢٧.
(١٣) المرجع نفسه، ص١٣٨.

حسـب وصـفه ـ والثمودي[١]، والكوفي[٢]، غير أنه وجد بعضها باليوناني قرب يدمه[٣]، وقدر ليبنز عدد النقوش التي عثر عليها مع رفاقه في منطقة الأخدود وحدها بعشـرين نقشـا خطت بالكتابة السبئية ـ الخط المسند ـ وعدد قليل من الرسوم من بينها رسمة لثعبان وأخرى لحصـان وثالثة ليد ورجل[٤]، وتضـمنت كتاباته جانبا توثيقيا مهما يبرز لنـا جوانب من تلك الفترة التاريخية يتمثل في الصـور الوثائقية النـادرة التي التقطها أثناء زيارته لنجران وقد خصـها بسـبع صور مميزة بعضـها لمعالم عمرانية مثل قصر الامارة في البلد[٥]، وقصر شيخ مواجد يام يحيى بن نصيب[٦]، وأخرى لبقايا أثرية مثل صورتين للأخدود[٧]، وصورة منظر عام لوادي نجران التقطها من إحدى القمم الجبلية الشاهقة[٨] .

٣- الأوضاع الإدارية :

زار فيلبي نجران عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) ، واستقبله أميرها إبراهيم النشمي وقدم له كل التسـهيلات الممكنة لإنجاح رحلته كونه قدم إلى المنطقة بدعم رسـمي من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، وأشاد فيلبي بهذا الرجل وبحسن إدارته للمنطقة في مواضع كثيرة من كتابه" ، و"بنات سبأ"[٩] .

وأشـار إلى الأمن الذي سـاد المنطقة في عهد ابن سعود فقال: "..وكانت صدمة لي أن يلاحـظ المـرء أن النـاسـ هنا، علـى عكس أولئك في حضـرموت وفي الصـحـراء يسـيرون بحرية وأمان دون سـلاح"[١٠]، وفي موقع آخر يكتب وهو في وادي نهوقة فيقول "... دهشـت حينما علمت أن هؤلاء المعسـكرين في أجمل مواقع الوادي وأكثرها ظلا ، وبجوار نقطة الشرطة، لم يكونوا من أهل نجران ولكنهم كانوا من المهاجرين القادمين من أرض وعيلة اليمنية ، قدموا إلى هنا للاسـتمتاع بالسـلم والأمان الذي جلبه النظام السعودي[١١] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٢٢.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٣٨.
(٣) المرجع نفسه ، ص١٢٣.
(٤) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص ١٣٦ .
(٥) المرجع نفسه ، ص١٢٧.
(٦) المرجع نفسه ، ص١٥١.
(٧) المرجع نفسه ، ص١٣٢.
(٨) المرجع نفسه ، ص١٣٩.
(٩) فيلبي ، **بنات سبأ** ، ص٣٧.
(١٠) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٤٧٤.
(١١) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٨٢.

وأعطى فيلبي معلومات دقيقة عن مراكز الشرطة المكلفة بإقرار الأمن، وعددها ستة مراكز متناثرة في قرى : آل منجم، وزبيد، ورجلا، والاخدود، والحضن، ونهوقة، والموفجة، وشعب بران[١]، إضافة إلى قصر الإمارة في البلد – أبا السعود – الذي يضم حامية عسكرية من (١٠٠) فرد[٢] وذكر بعضاً من المهام التي يمارسها الأمير مثل إشرافه على أيام السوق، وجلوسه طيلة فترة الصباح للاستماع لشكاوى المواطنين، وتعيين الأمراء المحليين في مراكز حبونا وبدر وغيرهما[٣]. وأشار إلى بعض الأوضاع المادية والاجتماعية لموظفي الحكومة العاملين في مراكز الشرطة والامارة حيث كانت رواتب بعضهم تتأخر أربعة أشهر[٤]. وعدد بالاسم بعض الإدارات الحكومية القائمة وقت مجيئه لنجران مثل إدارة المالية[٥]، واللاسلكي[٦]، الامارة[٧] والشرطة، والقضاء[٨].

ان ليبنز كثير الإشارة إلى جوانب الحكم الإداري في المنطقة فتحدث عن زيارته مع رفاقه في أكثر من مرة لأمير المنطقة حينها تركي بن ماضي[٩]، وحضوره لإحدى

---

(١) المرجع نفسه، ج١، ص٤٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص٤٢٥.

(٣) المرجع نفسه، ج٢، ص٦٥١.

(٤) المرجع نفسه، ج١، ص٤٣٧.

(٥) تأسست مالية نجران عام (١٣٥٢هـ)، وكان مقرها في القصر الحكومي أبا السعود بباب صنعاء بالبلد وسط نجران وكان هذا المقر في بدايته عبارة عن مكتبين وثلاثة موظفين وترتبط إداريا وماليا بمالية أبها. وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ومراحل تطور النظام المالي في المملكة، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص٥٦؛ الشهري، زهير بن عبدالله، **مالية أبها في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م) دراسة وثائقية عن الأوضاع الاقتصادية والتنظيمات المالية في جنوب المملكة العربية السعودية**، (الرياض، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الحادي عشر ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص٢٠٣.

(٦) منذ نشأة الدولة اهتم الملك عبدالعزيز باللاسلكي لتيسير التواصل الإداري حيث شملت في بدايتها المناطق الكبيرة وفي مطلع الخمسينات الهجرية دخلت هذه الاتصالات مرحلتها الثانية ليشمل اللاسلكي والبريد أغلب مناطق المملكة فأبرمت الدولة عقوداً للأجهزة السلكية من صنع "ماركوني" البريطانية ثم شركة "سيمنز" الألمانية و "آر.سي. إيه R.C.A" و "لوكنز" الامريكيتين، وقد بلغ عدد محطات اللاسلكي في عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م مئة محطة شملت أبها والقنفذة وجازان ونجران وبيشة. حمزة، البلاد السعودية، ص١١٤؛ النجعي، علي، **الاتصالات السعودية في العصر الأول، من بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام بدارة الملك عبدالعزيز**، (٧-١١شوال ١٤١٩هـ/٢٤-٢٨ يناير ١٩٩٩م)، ص١٦؛ النجعي، علي، القوة الثالثة، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١٢٧.

(٧) كانت منطقة نجران ترتبط من الناحية الإدارية للنائب العام في الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود منذ عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ثم رُبطت بوزارة الداخلية عند إعادة تشكيلها عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، وتتكون إمارة نجران في عام (١٣٦١هـ/١٩٤١م) من امارات : بدر الجنوب، وحبونا، والحصينية، والخضراء، والموفجة. للمزيد انظر : جريس، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، ج٣، ص١٨٥-١٨٦.

(٨) فيلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص٤٧٠.

(٩) تركي بن ماضي : ولد في روضة سدير عام (١٣٢٢هـ)، وفي عام (١٣٤٢هـ) صدر أمر الملك عبدالعزيز بتعيينه كاتبا بإمارة عسير، ثم صدر أمر الملك عبدالعزيز تسلم القنفذة عام (١٣٤٣هـ) وما بين عام

جلســات استقباله للمواطنين وكيفية تعاطيه مع شكاواهم اليومية كما أشار إلى مراكز الشرطة والجمارك الحدودية التي كانت منازل من الخيام[١] ٠

٤- الأوضاع الاجتماعية :

دون فيلبــي تفاصـيل كثيرة عن الحياة الاجتماعية فقد كان مهتماً بتدوين أسـماء العشـائر وأماكنها وأنشطتها[٢] ، كما أبدى اهتماما بتسلسل أنسابها وهو ما خصص له عددا من الصفحات عندما أسهب في ذكر أنساب بطون يام الرئيسية معتمدا على ما أخذه من كبار شيوخ القبائل[٣] ٠

ذكر التركيبة السـكانية والعناصر المكونة للمجتمع في نجران فكتب عن الأسر اليهودية، التـي ارتبط بصـداقة مع أحد رجالاتهم وقام بزيارته وقبل ضـيافته واسـتعرض بعضـا من عاداتهـم وتقاليدهـم وأنشـطتهم الحرفيـة مثل : صـناعة الفضـة ، والسـلاح ، والحدادة، والبيطـرة وغيرهـا[٤] ، وحدد أماكـن إقامتهم في قرى نجـران[٥] ٠ كما أشـاد بالمعاملة التي يجدونهـا من المحيط الذي يعيشـون فيه[٦] ، يؤكد هذا الأمر ما تذكره الروايات الشـفوية أن اليهـود ظلوا يعيشـون في نجران كذميين لا يتـم إيذاؤهم أو التحرش بهم بـل كانوا جزءً من النسـيج الاجتماعـي بكل تفاصـيله وتنوعه وثرائه ، وكان من أشـهرهم "هـارون" الذي كان ماهرا في صـناعة السـيوف والجنابي، كما عُرف بكونه " مصـرفا محليا" حيث كان يوصـي الآباء أبناءهم الذاهبين للعمل في نجران بإعطاء اليهودي هارون أموالهم ليحفظها لهم خوفا من السرقة أو الضياع في ظل الحياة البسيطة في تلك الفترة وعدم وجود المصارف[٧] ٠

توسـع في الحديث عن سلسلة أنساب عدد من الأسر اليهودية التي قدم بعضها من مناطق حراز، وصـعدة ، ووادي الفرع باليمن[٨] والبعض الآخر من العراق حسـب زعم

(١٣٤٥-١٣٥١هـ) كان ضـمن الوفود الرسـمية التي ذهبت إلى اليمن من أجل التوصـل إلى حلول المشـكلة الحدودية بـين المملكـة واليمـن ، وفي عام (١٣٥٢هـ) صـدر الأمـر الملكي بتعيينـه أميرا لغامـد وزهران، وفي عـام (١٣٥٦هــ) تم تعيينـه أميرا لنجـران ثم أميراً لعسـير عام (١٣٧١هـ) واسـتمر حتـى مات عام (١٣٨٥هـ). وللمزيد انظر : الماضي ، تركي ، **من مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية، (١٣٤٢-١٣٧١هـ/١٩٢٤-١٩٥٤م)** ، (الرياض ، دار الشـبل للنشـر والتوزيع والطباعة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ط١ ؛ الماضي ، فوزان ، بنو تميم عبر التاريخ ، (الرياض ، مطابع الحميضي ، ١٤٢٢ه)..

(١) ليبنز ، المرجع السابق ، ص١٤٩.

(٢) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١ ، ص٤٢٢ ؛ ج٢، ص٦٥١.

(٣) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٦٩ ؛ ج٢، ص٤٧٤.

(٤) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣٨.

(٥) مثـل عوكلـة وآل منجم ، وقـد أورد معلومة في غاية الأهمية تتضـمن أن المجتمع في نجران لا يسـمح لليهود بتملك الأرض. فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٥٣٧.

(٦) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٦٤ ؛ ج١، ص٤٣٦.

(٧) **صحيفة الحياة** ، الأربعاء ٢٢صفر ١٤٣٥ه / ٢٥ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٣م.

(٨) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٥٣٩ ، ص٥٤٠.

فيلبي[١] وختم حديثه عنهم بتقدير عدد اليهود في نجران بـ (٨٠) نسمة[٢] وتطرق للحديث عن رغبتهم في الهجرة إلى فلسطين في ظل دخول الموقف في فلسطين مرحلة خطيرة ؛ إلى جانب التراجع النسبي في الطلب على صناعاتهم في ظل سيادة الأمن تحت الحكم السعودي فقد تحولت السيوف على سبيل المثال إلى شفرات محاريث وأصبحت المحاريث المحلية تصنع من الخشب[٣] .

من الواضح أن هذه الجالية قد خرجت من اليمن ؛ نتيجة أن الغالبية الساحقة منهم من أصول يمنية فجدهم الأكبر هارون من مواطني حراز في اليمن الذي انتقل بعد ذلك إلى أملح في بلاد الوعلة في جنوب وادي الفرع ثم تناسل وتكاثر أبناؤه الخمسة منهم سعيد وسالم اللذين وصلا نجران ، كما أن هناك مجموعة يمنية تعرف باسم العوعوي[٤] ويؤيد هذا الأمر الروايات الشفوية التي تذكر أنه بعد زيادة التوتر في العلاقات العربية الإسرائيلية والضغوط الشعبية العربية على الحكومات وجد اليهود في نجران أنفسهم مثل كل الجاليات اليهودية في العالم العربي في موقف صعب بين المضي قدماً في حياتهم أو الانسحاب والهجرة إلى أماكن أخرى إذ قدم كبيرهم إلى أمير نجران وقتها واستأذن في الخروج مع أهله إلى صعدة في اليمن حيث بقية أهلهم وأبناء عمومتهم مؤكداً أنهم لم يتعرضوا للأذى أو المضايقة ؛ لكنهم قرروا الابتعاد حتى لا يحرجوا الدولة التي يقطنون بها منذ مئات السنين خاصة بعدما صدموا من تصرفات إسرائيل ضد الفلسطينيين حينها[٥] .

خرج غالبية اليهود من اليمن إلى فلسطين[٦] ، وبناءً على مقومات اللغة والكثير من العادات والتقاليد ؛ والرغبة في العيش حياة كريمة آمنة ، والمحافظة على أملاكهم ومصالحهم فإننا نرجح وبشكل كبير أن عدداً محدوداً من هذه الجالية اعتنقوا الإسلام وانصهروا مع المجتمع بشكل طبيعي.

---

(١) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٤١.

(٢) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٤١.

(٣) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣٦.

(٤) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣٨ ، ص٥٤٠.

(٥) صحيفة الحياة ، الأربعاء ٢٢صفر ١٤٣٥هـ/٢٥ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٣م.

(٦) قامت الحركة الصهيونية بتقصي أحوال اليهود في اليمن من خلال ارسال أشخاص يقومون بتتبع ورصد حياة اليهود فيها ، تمهيداً لتهجيرهم ، وقد بدأت الهجرة اليهودية من اليمن في عام (١٨٨١م) واستمرت حتى عام (١٩٦٧م) واتخذت عدة مراحل تفاوتت فيها أعداد اليهود المهاجرين ، وقد اشتهرت عمليات التهجير تلك بما عرف باسم "البساط السحري" حيث تم فيها تجميع اليهود من مختلف المناطق اليمنية في معسكرات أنشأت خصيصاً لاستقبالهم في مدينة عدن وبعد ذلك تم ترحيلهم بواسطة الطائرات إلى فلسطين. للمزيد انظر : ماكرو ، إريك ، اليمن والغرب ١٥٧١-(١٩٦٢م) ، نقله إلى العربية وعلق عليه د حسن عبدالله العمري ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ط٢ ، ص١٧٥؛ أحمد ، بدور محمد ناصر ، اليمن والقضية الفلسطينية (١٩١٨-١٩٦٢م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، الجمهورية اليمنية ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، ص٦١.

وفي زيارة فيلبي لبلدة بدر تعرف على عدد من أبناء أســرة المكارمة ؛ مما ســهل له الحصــول على معلومات كثيرة حول أوضــاعهم الاجتماعية والاقتصــادية فنجده ينقل معلومــات دقيقــة حول عدد أســرهم وأفرادهم[١] ومخصصــاتهم الماليــة[٢] ومكانتهم الدينية ، وتاريخهم المذهبي حتى استقرارهم في بدر وانتقالهم الى نجران[٣] وعلاقاتهم السياسية مع القوى السياسية المجاورة لهم قبل الحكم السعودي[٤] .

كما اهتم بالكتابة عن العمران في نجران كما هو الحال عندما وصف ما شاهده من قصــور طينية من حيث ارتفاعاتها وطوابقها[٥] وبلغــت درجة اعجابه بالبناء النجراني أن شــبهه بـــ "القلعة الرهيبة"[٦] ولفتت نظره القصــور الطينيــة في وادي حبونا فقال: " ... كانت بعض المســاكن البرجية شــديدة الجاذبية في هذه الواحة وســاحرة المنظر ... "[٧]، كمــا أشــار إلى مســاكن أخرى عاشــ فيها أهل نجران مثل الخيام أو العشــش المبنية من شجر الأراك بعيداً عن مزارع النخيل لتحاشي أمراض الحمى التي تنتشر في ضفاف الوادي أثناء مواسم السيول والأمطار[٨] .

أشــار هــذا الرحالــة إلى نواحي اجتماعيــة أخرى مثــل أنواع الطعــام المعروف في نجران في ذلك الوقت مثل : لحم الضــأن والأرز[٩] ،وأطباق الخضــروات التي شاهدها على مائدة الأمير[١٠] وطبق العنب المفضــل كثيراً لفيلبي[١١] والعصيدة (المعصوب)[١٢] ،

---

(١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢، ص٦٨٠.

(٢) المرجع نفســه ، ج٢، ص٦٧٩ ؛ كانت تصــرف هذه المخصصــات من مالية أبها ومالية نجران فمخصصات شــيخ شــمل قبائل يام نجران جابر أبو ساق بعد صدور الأمر الملكي عن طريق امارة نجران ، فكان يصرف له أربعمائة ريال من مالية أبها ومائتا ريال من مالية نجران ، إلى جانب مبلغ مســتقل بلغ خمســة وعشرين ريالاً بشــكل ســنوي ، كما صــدر الأمر الملكي المبلغ لمالية نجران برقم ١ في (١٣٦٤/٣/٢٩هـ١٩٤٥/٣/٤م) بصــرف مبلغ مائتي ريال عربي لكل من ســالم بن سلطان بن منيف شيخ شمل قبائل جشم يام ، وجابر بن حســن بن نصــيب شيخ شمل قبائل مواجد يام كمبالغ إضافية على رواتبهم السنوية من زكاة المواشي ، إلى جانب أن وزارة المالية كانت حريصــة على صــرف براوي المكارمة ومشايخ نجران وتعميد مالية أبها بذلك. الشهري ، **مالية أبها في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م)** ، ص٣٥٢-٣٥٣.

(٣) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج٢، ص٦٨٢ – ٦٨٧

(٤) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٧٨.

(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ٤٢٦ ، ص٤٧٢.

(٦) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٢٧.

(٧) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٦٦.

(٨) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٤٢٨.

(٩) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٣٠ ، ٥٣٨ ؛ ج٢ ، ص٦٥٢.

(١٠) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٣٠.

(١١) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٧٠.

(١٢) العصــيدة : وجبة معروفة ومنتشــرة في المناطق الجنوبية ومنها نجران ، وغالباً ما تتكون من طحين الذرة

والحســاء (المرق) [١]، والتمر والبلح [٢]وعصيدة القمح المملوءة بالسمن[٣]، وذكر بعض الأواني المستخدمة حينها كالحصير ، والقحف، وسلة اللحم[٤]، والصحن وغيرها[٥] .

وذكر الكرم النجراني عندما وصــف وجبة الإفطار التــي قدمها له أمير حبونا من الأرز ولحم الضــأن بالإفطار الممتاز[٦] ، بينما وصــف وجبة "العصــيدة والمرق" المحلية بـــ"غــير المثير للشــهية" ، وأنهــا الحد الأدنى من الكرم على حــد تعبيره[٧] وكان دقيق الوصف حينما تحدث عن طريقة تحضير الوليمة وطريقة تناول الناس للطعام ، وحرص المضيف على أن يضع أفضل الطعام عند ضيفه كدليل عملي على اهتمامه بإكرامه[٨] .

وحظيــت النســاء باهتمــام في كتابات فيلبي فوصــف زيهــن المحلي[٩] ولاحظ أن للنســاء الكبيرات في السن ألبسة خاصة تميزهن عن النساء الشابات[١٠] وتطرق بإعجاب كبير لطريقة تسريحهن لشعورهن[١١] ، كما أورد وصفاً عاماً للنساء اللاتي شاهدهن في السوق[١٢] .

حيث يتم وضعه في قدر من الماء ويغلى ويحرك بقطعة خشبية تسمى "المسوط" أو "المحراك" حتى تستوي ثم تقدم مع السمن أو المرق أو اللبن. الماحي ، نجران، ص١٢٥ ؛ جريس ، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، ج٣ ، ص٣١٢.

(١) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٥٦٦.

(٢) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٣٣.

(٣) المرجع نفســه ، ج٢، صــ٦٥٣ ؛ وقد تعــد كذلك من الذرة حيث توضــع بعد خبزها في التنــور في إناء خاص وتهرس حتى تصــبح لينة ثم يصــب فوقها "المرق" وتقدم بشــكل أكبر في المناســبات. آل مريح ، نجران ، ص١٠٩.

(٤) ســلة اللحــم : وتُعرف بعدة أســماء منها الدّرجة وتصــنع من ســعف النخيــل المتداخل ولهــا قاعدة دائرية وتتســع فوهتهــا كلمــا اتجــه صــانعها إلى أعلــى ، وهــي تســتعمل لحفظ المــواد الغذائيــة ولحمــل الأمتعة فــوق الرأســ ، وعُــرف كذلــك المطــرح وهو يشــبه الدّرجــة لكنه أصــغر منه في الحجم ويســتخدم لوضــع الأطعمة وبخاصة الخبز. آل مريح ، المرجع السابق ، ص٩٩.

(٥) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص٤٧٠.

(٦) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٥٢.

(٧) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٧٠.

(٨) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٧١.

(٩) المرجــع نفســه ، ج١، صــ٤٣٧ ؛ وقــد تنوعت الحلي في نجران فشــملت القلائد المصــنوعة مــن الخرز مثل الظفــار والعقيق الأبيض والأســود والأحمر وكذلك اللؤلؤ والزجاج والجزع ، وتشــكل الحلي المصــنوعة من الفضــة الغالبية العظمى من زينة المرأة في نجران ومنها ما يوضــع حول العنق مثل اللبة واللازم والصــمط والتــي تطلــى بالذهــب أحياناً أو تطعم بالفصــوص ، ومنها ما يوضــع على الراس مثل الدنعــة ، الى جانب الخرصــان ، كما تحلى الأيدي بالحداود والمطال التي تصــنع على شــكل أســاور تحيط بالمعصــم كما تحلى الأصــابع بالخواتم والأرجل بالخلاخل كما يتم ارتداء الحزام حول الخصر. للمزيد انظر : وزارة المعارف ، سلسلة آثار المملكة ، ص١٤٤.

(١٠) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص ٥٣١ .

(١١) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣١ ؛ ج١ ، ص٥٩٨.

(١٢) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٣٢ .

أما فيليب ليبنز فقد أعطى اهتماماً بالغاً بالنواحي الاجتماعية للمجتمع النجراني فتحــدث عن حياة البدو : "الذين كانوا يتحركون بين قطعان الماعز والغنم والجمال"[١] ووصــف عاداتهم في سقيا مواشيهم وطريقتهم في جلب الماء فقد "كان الرجال والنساء يتقاطعون حول البئر، رافعين قربهم ومنشــدين أغاني قصــيرة أوصائحين بصوت عال من حناجرهم"[٢] ولباس نســائهم الذي يغلب عليه اللون الأســود أحيانــاً[٣] أو الثياب: "ذات اللون الأزرق والداكن والبرتقالي"[٤] ، وأزياء الفتيات اللاتي كن: "يلبســن بذلات جميلــة ذات خطوط عمودية صــفراء وســوداء"[٥] ، إضــافة إلى الحلــي وأدوات الزينة المصنوعة من الفضة[٦]

أشــار إلى المســاكن التي يقيمها بعضــهم في وســط المزارع والمصــنوعة من أعواد النخل[٧] ثم انتقل إلى الحديث عن مقر ســكن الشــيخ يحيي بن نصــيب – وقد أســماه نســيب – لمعالجته من مرض ألم به فوصف مقر سكنه المكون من برجين محاطين بسور من اللبن جميعها مبنية من اللبن والحجر حسب قوله[٨] أحدهما دخله شخصياً ووصف الممر الذي دخله، ومفتاح القصر المصنوع من الخشب ، وذكر أنه يتكون من سبعة طوابق و(٩٨) درجاً ويبلغ ارتفاعه قرابة الـ (٢٠) متراً[٩] كما تحدث عن اســتخدامات غرف وطوابق القصــر فقد كان: "لكل طابق استخدامه المحدد ، فالمخزن لتجميع المحصول، والشقق للنساء والأطفال، وفي القمة يوجد الديوان المفروش بالسجاد المؤدي الى السطح المحاط بسور قصير"[١٠] ،كما وصف مشاهداته حول الحرف اليدوية التي امتهنها بعض النسوة النجرانيات ومنها : "سك الذهب المرصع فوق سجاد أخضر ..."[١١] .

لم يغفل هذا الرحالة استعراض صور من معاناة الناس في ذلك العصر مثل الحديث عن بعض الأمراض والأوبئة التي كان يعاني منها المجتمع في نجران وفي مقدمتها ما كان يســمى بــ "حمى الواحة" والمعروفة في العصر الحديث بالملاريا ، كانت مرضاً منتشراً

---

(١) ليبنز ، رحلة استكشافية ، ص١٢٥.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٢٦.
(٣) المرجع نفسه ، ص١٢٣.
(٤) المرجع نفسه ، ص١٢٦.
(٥) المرجع نفسه ، ص١٤٦.
(٦) المرجع نفسه ، ص١٢٦.
(٧) المرجع نفسه ، ص١٣٠.
(٨) المرجع نفسه ، ص١٥٠.
(٩) المرجع نفسه ، ص١٥٠.
(١٠) المرجع نفسه ، ص١٥٠.
(١١) المرجع نفسه ، ص١٣١.

في المناطـق القريبــة من الوادي[١] أو تلك التي يعاني منها بعض أفراد ذلك المجتمع مثل أمراض البواسير وألم الأسنان[٢] والجذام[٣] ، أو الجرب[٤] .

وكان هذا الرحالة يذكر بعض الجوانب الاجتماعية التي شاهدها مثل الأطعمة التي تناولها كلحم الخروف، والأرز[٥]و: "قطع الحامض، والبصــل، والخل، وقشــدة الحليب المعطر، وقطع اللحم"[٦]، وأشــار إلى طريقة اســتقبال الضيوف في نجران التي وصفها بالبروتوكولية[٧] .

٥- بعض الأوضاع الاقتصادية :

دون فيلبي الكثير من المعلومات المتعلقة بالموارد الاقتصــادية ، والأسواق ، والعملات، والسلع وغيرها، وقال عن محصول الذرة : "وتزداد سيقان الذرة متانة أثناء النمو وتطول ، وقد يتجاوز ارتفاعها من (١٢-١٥) قدماً ... "[٨] واستعرض أهم المنتجات الزراعية التي تم حصــادها أثناء زيارته للمنطقة فيقول: "... انتهى حصــاد التمر الذي كنا قد تركناه في بداية نموه عندما غادرنا نجران في شــهر يوليو الماضي ، كما أفسحت العناب البيضاء الصــيفية المجال إلى الأعناب الســوداء الوفية الآن في كل من الفرع وصــعدة ، وأصبحت محاصيل الذرة التي كانت في بداية نموها في شهر يوليو جاهزة للحصاد الآن..."[٩]

وفي حبونا يقول: "... كانت قريتها الرئيسية عند مركز الدائرة خلف أشجار النخيل ووســط حقول كبيرة للذرة ..."[١٠] وفي المجمع يقول: "... كانت معظم حقول الدخن قد تم حصــادها وتم نقل المحصول إلى موقع مركزي لأجل غربلته ..."[١١] وأورد معلومات دقيقة عن محصول الزكاة من التمر أثناء زيارته لنجران فقدره بــ (١٥٠٠) فرق[١٢] أي

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٤٢.
(٢) المرجع نفسه ، ص١٤٢.
(٣) المرجع نفسه ، ص١٣٩.
(٤) المرجع نفسه ، ص١٣٧.
(٥) المرجع نفسه ، ص١٤٣،١٤٤ .
(٦) المرجع نفسه ، ص١٤٩.
(٧) المرجع نفسه ، ص١٤٣.
(٨) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٤٠١.
(٩) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٦٩ .
(١٠) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٥٠.
(١١) المرجع نفسه ، ج٢، ص٦٦١ .
(١٢) الفرق : يساوي ثلاثة أصواع أو اثني عشر مداً ، عسيري ، علي بن أحمد ، **عسير من (١٢٤٩-١٢٨٩هـ/١٨٣٣-١٨٧٢م) "دراسة تاريخية"** ، (د.ط) ، (الرياض ، شــركة العبيكان للطباعة والنشــر ، إصدارات نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص٤١٠.

(٣٦٠٠٠) صــاع وهو ما يعادل (١٤٤٠،٠٠٠) كجم[١]، وذكر أن أمير بلدة بدر أحضر زكاة بدو منطقته البالغ (١٦٠٠) ريال، وبين مشاركة شيوخ القبائل المحليين في جمع الزكاة[٢] .

وأعطى وصــفاً مثيراً لمكان الســوق الأســبوعي الرئيســي في نجران الذي كان يقام كل يوم خميس فيقول: "... أرض الاســتعراض الكبيرة المكشــوفة أو الساحة المخصصة للمعســكرات والتي تمتد من عند الجدار الجنوبي لقصــر أبا الســعود إلى حيث الحافة العريضة للغطاء النباتي ..." [٣] ووصف طريقة إقامة التجار للدكاكين أو المتاجر فمنها ما يبنى باللبن، وأخرى مؤقتة مبنية من الخيام. [٤] وعدد أصــنافاً متنوعة من البضائع المســتوردة من بلدان عربية كاليمن، ومصر، أو أجنبية مثل: روسيا، وفرنسا، واليابان فكان من ضمن مشــاهداته: التبغ، والصابون، والكبريت، والمراهم، والأقمشة، وبعض الأواني الفخاريــة[٥]، وأدوات الزينــة، وأنواع متعددة من الســلاح أهمها: الخنـاجر[٦]، إضــافة إلى المنتجات الغذائية التي تملأ السوق مثل: الحبوب، والبُن، والقشر، والمواشي وغيرها[٧]، وذكر أن عملية المقايضــة العينية هي الســمة السائدة لعملية البيع والشراء في الســوق: "فمثلاً المد[٨] (صــاعان) من الدخن يباع بمقابل أو مقايضة فنجان مملوء

(١) فيلبي، **مرتفعات الجزيرة العربية**، ج١، ص٤٠٠.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص٤٣٣.

(٣) المرجع نفسه، ج١، ص٤٣٦.

(٤) المرجع نفسه، ج١، ص٤٣٦.

(٥) من أكثر الصــناعات تميزاً منذ القدم، ورغم أن صــناعة الفخار في نجران خلال العصر الإسلامي المبكر كانت ضــمن السمات العامة لفخار حضــارة جنوب الجزيرة العربية وامتداداً لفخار الفترة البيزنطية فقد كان لها طابعها الخاص بعناصــرها ومميزاتها المســتقلة، فقد تم العثور في نجران على كميات من الفخار الملون والمزجج والخزف الذي يحمل ســمات العصرين الأموي والعباسي، ولا يزال يصنع في وقتنا الحاضر في نجــران العديــد مــن الأواني الفخارية ومنها: البرمة: قدر الطبخ، التنور: فــرن للخبز، والزير: وعاء لتبريد وحفظ الماء، المدهن: وعاء لتقديم الكل، الجمنة: وعاء لإعداد القهوة. وزارة المعارف، سلسلة آثار المملكة، ص١٣٥-١٣٦.

(٦) تعد من أهم وأبرز الصــناعات في نجران حتى وقتنا الحاضــر بصــفتها رمزاً للأصــالة ومصــدراً للفخر وزيــاً للمناســبات، وعلــى الأرجــح أن هذه الصــناعة عُرفت منذ فترة ســابقة لحضــارة جنــوب الجزيرة العربيــة، وهذا ما تؤيده الرســوم الصــخرية في منطقــة بئر حما وبدمة حيث يظهر الكثير من الأشــخاص وهــم يتقلــدون الخناجر والســيوف. وقد كانت الخناجــر قديماً رمزاً للشــجاعة والرجولة، وســلاحاً يتم الدفــاع بهــا عن النفس، ويصــنع الخنجر مــن الحديد بمقبض يصــنع من قرون بعض الحيوانات ويحلى بقطعة فضــية أو ذهبية، ويصــنع الغمد من الخشب المغطى بالجلد أو بصفائح من الفضة أو بهما معاً. وفي نجران حالياً ســوق تختص بصــناعة وصيانة وبيع وشــراء الخناجر. وزارة المعارف، سلســلة آثار المملكة، ص١٣٩-١٤٠. (زهير) للمزيد عن صــناعة الخناجر في نجران انظر غيثان بن جريس. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ج٢١، ص ٦٥-٨٧ (ابن جريس).

(٧) فيلبي، **مرتفعات الجزيرة العربية**، ج١، ص٥٣٠.

(٨) المد: يســاوي ثلاثة أقق، والأقة تســاوي ٢،٧٥ رطل. عســيري، المرجع الســابق، ص٤١٠؛ المعبدي، مبارك، **بعض ملامح الأسواق في تهامة عسير خلال الحكم العثماني الثاني (١٢٦٥-١٣٣٥هـ/١٨٤٠-١٩١٦م)**، (د.م.ن)، ص٣٢.

بالـبن أو أي أشـياء أخـرى .... "[١] وأورد معلومات مهمة كذلك عن النشـاط التجاري المتبادل بين نجران والبلدات اليمنية المجاورة لها من الجنوب وأقربها بلدة الفرع حيث كانت تنشـط معها تجارة الفواكه لاسـيما العنب ، والحبوب ، والـبُن ، والأواني المنزلية وغيرها[٢] .

كمـا تحدث عـن إمكانية قيام بعض الصـناعات مثل اسـتخراج (البوكسـيت) أو خـام الألمنيوم بكميات تجاريـة كبيرة قدرها بحوالي (٧٠٠٠) مليـون طن من حبونا[٣] وكتـب عن التطورات التي طـرأت على تداول العملة المعدنية في نجران حيث كان الناس يعتمـدون على الريال العربي قبل مجيئه بعشـرة أعوام[٤] ، ثم حـدث تغير آخر بدخول الريال السـعودي على مدير مالية نجران في ذلك الوقت[٥] ؛ غير أنه لم يجد القبول من التجار والمواطنين ؛ بسـبب الاختلاف في سعر الصرف مما اضطر السلطات الحكومية إعادة النظر مجدداً في سـعر صـرف العملة الجديدة مقابل القديمة[٦] ، لكنه في موضع آخـر من كتابه يتحـدث عن امتلاك بعض التجـار لعملة الماريا تريزا الشـهيرة وهو ما يعطي انطباعاً واضحاً على أنها من العملات التي كانت تتداول في زمنه رغم التطورات التـي طرأت على العملة السـعودية في تلك الفترة[٧] . وذكر أنواعـاً أخرى من العملات المعدنية التي كانت شائعة في المنطقة آنذاك من عملات النيكل أو الـ(٢٢) قرش نيكلي والقرش الميري[٨] وعملات يمنية أخرى كالبقشة ، والشامي[٩] .

وقـدم فيلبي سـرداً دقيقاً للموازين والمقاييس السـائدة في المنطقـة فيقول "... أن معيار المقاييس هو الصاع ويقسم إلى ثلاثة أسداس وستة أشطار (جمع شطر) أو(١٢) ربعة يكون الصـاعان مداً واحداً ويكون لك (١٢) مداً فرقاً واحداً ، يكون الوزن السائد هو الرطـل (تقريباً رطل واحد) ويزن حوالي(٢٠) ريالاً وتكون رطلان ونصـف الرطل أقة واحدة (أكثر من الكيلو جرام بقليل) ..."[١٠] .

(١) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١، ص٥٧٤.
(٢) المرجع نفسه ، ج١، ص٤٦٢ ؛ ج١ ، ص٥٣٠ ؛ ج١ ، ص٥٦٤
(٣) المرجع نفسه ، ج٢، ص٧٣٠.
(٤) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧٦ .
(٥) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٦١ .
(٦) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧١ .
(٧) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧٦ .
(٨) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٦٢ ، ص٥٧١ .
(٩) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٧٢ .
(١٠) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٩٨ .

تحدث ليبنز عن جوانب مهمة من حياة الحاضرة في وادي نجران فأشار إلى إنتاجهم الزراعــي الذي تركــز على غابات النخيل وحقــول الذرة البيضــاء[١]وطريقتهم في حرث وســقيا مزارعهم التي كانت تعتمد على تركيب قطعة من الحديد على ظهور الثيران[٢] أو الجمال أحياناً أخرى[٣] وحماية حقولهم المليئة بالذرة البيضاء بالمقلاع : "وهي أداة تشبه المنجنيــق"[٤] . وأعطــى ليبنز معلومات مهمة عن النشــاط التجــاري المتبادل بين نجران باعتبارها منطقة ســعودية حدودية مع المناطق اليمنية المجاورة، فذكر أن منافذ التجارة مع اليمن كانت أربعة أحدها في نهوقة[٥] تمر بها بضــائع متنوعة كالقهوة والعنب المجفف – الزبيب – والفحم الخشبي : " لكن دون أن تفلت من دفع رسوم مركز الجمارك الذي يتألف من خيمتين كبيرتين داخل الأشــجار"[٦] وقدم تقريراً مفصــلاً لإحدى مشــاهداته اليومية لســوق نجران الأسبوعي في البلد فتوجه إلى: "مكان تتكاثر فيه الجمال والحمير المحملة بالأكياس والعلف والقِرب[٧]وحزم الخشب (الحطب) ...." [٨] .

وأشار إلى أصناف البضائع المعروضة في السوق كالحيوانات الداجنة[٩] فيقول : "... حزم الخشــب وأنواع الحبوب وخاصة الأرز، والخضــروات ، والطماطم ، والباذنجان ، والتوابل ، والفحم الخشبي ، وأعواد الكبريت ، والأقمشة القطنية ..." [١٠]، إضافة إلى: "القماش، والأحذية الصــيفية، والدخان، والخوخ (الكليفورني) المعلب، بالإضــافة الى الأســلحة المنقوشــة بعناية ..."[١١] مستشهداً في الوقت نفســه بطريقة التبادل التجاري التــي اعتمدت بشــكل رئيســ على عملة الريال الفضــي العربــي ، وأحيانــاً عملة الماريا تريزا[١٢] وكلها عملات نقدية كان النــاس يحملونها في: "كيس صغير من القماش"[١٣] .

---

(١) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٣٠.

(٢) المحــراث : قطعة خشــبية يربط بها المحراث الحديــدي وتجرها البقر لحرث المزارع. مقابلة شخصــية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء .

(٣) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٣١.

(٤) المرجع نفسه ، ص١٥٢.

(٥) المرجع نفسه ، ص١٤٤.

(٦) المرجع نفسه ، ص١٤٤.

(٧) قــرَب : أوعيــة لحمــل المياه وعادة ما تصــنع من الجلود. مقابلة شخصــية مع الشــيخ ســالم بن محمد بن فَلاح الشدقاء ، مقابلة سبق ذكرها.

(٨) ليبنز ، **رحلة استكشافية** ، ص١٤٨.

(٩) المرجع نفسه ، ص١٤٨.

(١٠) المرجع نفسه ، ص١٤٨-١٤٩.

(١١) المرجع نفسه ، ص١٤٩.

(١٢) المرجع نفسه ، ص١٤٩.

(١٣) المرجع نفسه ، ص١٤٨.

٦- المنطقة الحدودية : [١]

ذكر فيلبي أن الغرض الرئيسي لزيارته المنطقة كان رسم نقاط الحدود السياسية بين المملكة العربية السعودية واليمن وذلك بتكليف الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود رحمه الله الذي وثق في قدرات فيلبي العلمية والمعرفية الواسعة. ودون تفصيلات كثيرة لمهمته تلك[٢]، وحدد بالاسم ومقادير الارتفاع عن سطح البحر مواقع كانت محل خلاف سعودي يمني تم حلها عند الترسيم السابق للحدود ، مثل الخلاف على مقبرة صغيرة على الجانب الأيمن لشعب مروان[٣]، وأخرى وضعت فيها علامات حدودية فاصلة مثل تلك العلامة التي أقيمت من كومة أحجار في بطن شعيب مروان[٤]،وأخرى في مضيق الدغماء[٥]، وعلامات أخرى رسمها المؤلف وذكرها مثل : تلال أسعر، والضرك ، وفرد[٦]، ومسيل الراك[٧]، وقمة زبرة المطلة على وادي نهوقة[٨]،وراس غربة[٩]، وشحاط الغميرة ومقاشع ومقبرة آل ثعلة وكلها تحتوي أعمدة حدودية تفصل بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية[١٠].

ذكر هذا الرحالة أنه استعان في مهمته بعدد من المعاونين والخبراء بعضهم من أبناء المنطقة وآخرين من موظفي الحكومة وهو ما نلمسه في مواضع متعددة من كتابه[١١]وقد كان لهؤلاء المساعدين أثر بلا شك على الدقة التي تميز بها فيلبي في تحديد مسميات المواضع التي غرست بها العلامات الحدودية ، وتحديد مواقعها بالنسبة لمحيطها الجغرافي أو لجهاتها الأصلية ، علاوة على ما تميز به من مهارة فائقة في تحديد مقدار الارتفاع عن سطح البحر أو المواقع المحيطة بها، ومن ذلك قوله حينما صعد إلى:

---

(١) للمزيد عن هذه المهمة انظر فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٤٦٧ وما بعدها.

(٢) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٢٢ - ٥٩٩.

(٣) هكذا ذكره لكن الشائع عند أهل نجران أن أسمه شعيب بران وليس مروان كما ذكره فلبي ، وهو أحد روافد وادي نجران الجنوبية معظمه في اليمن ضمن الحيز السعودي. انظر : فلبي ، المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٢ ؛ البلادي ، **بين مكة وحضرموت** ، ص١٩٧.

(٤) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٥٢.

(٥) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٣.

(٦) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٤ . والمواقع السابق ذكرها في المتن تشكل اليوم معالم حدودية فاصلة بين المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية في الجبال الواقعة إلى الجنوب الغربي من وادي نجران.

(٧) لم يعرف مكان بهذا الاسم وإنما عرف جبل فريض الراكة. القباع ، **العلاقات السعودية اليمنية** ؛ آل زلفة، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** . انظر : فيلبي ، المرجع نفسه ، ج١ ، ص ٥٥٥.

(٨) والصحيح رأس عربة كما ورد في : القباع ، **العلاقات السعودية اليمنية** ؛ آل زلفة ، **عسير في عهد الملك عبدالعزيز** ؛ **فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٥٦.

(٩) فيلبي ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، ج١ ، ص٥٥٧.

(١٠) المرجع نفسه ، ج١، ص٥٥٧.

(١١) المرجع نفسه ، ج١ ، ص٥٥٢-٥٥٩.

" قمــة زبرة التي ترتفع إلى حوالي(٤٠٠) قدم فوق سـطح الهضـبة، وحوالي(٦٥٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر.... "[١].

ومن الواضــح أن فيلبي كان أميناً في مهمة مســح العلامات الحدودية وتثبيتها على الخرائط بدليل أنه لم يهمل تاريخ عمل اللجان المختلفة في ترسيم الحدود ودور القبائل في ذلك ، إلى جانب أنه استقى معلوماته من بعض شيوخ القبائل والمرشدين الذين قاموا بالمشـاركة في أعمال اللجان تنفيـذاً لتعليمات الملك عبدالعزيــز ، وانتقد أعمال اللجنة الخاصــة بوضع العلامات الحدودية التي ذكر مرشــدوه عدم ذهاب أعضاء اللجنة إلى المناطق المرتفعة واكتفائهم بالإشــراف على وضــع العلامات عن بُعد، ودلل على قصور أداء بعض أعضــائها في عدم وضــع العلامات في أماكنها بوضع أحد الأعمدة الحدودية في جيب سترته للذكرى[٢] .

ثامناً : تقييم كتابات فيلبي وفيليب ليبنز عن نجران :

عندمــا نقــارن الرحالة فيلبي بغـيره من الرحالة والمؤلفين ســواءً من سـبقوه أو من أتى بعده سـنجده صــاحب الريادة بين هؤلاء جميعاً ، فهو أكثرهم خبرة وأغزرهم إنتاجاً وأطولهم بقاءً في أراضي المملكة العربية السعودية ، وهو ما جعله صاحب خبرات ومعارف متنوعة ومتعددة يدعم هذه الريادة إجادته للعربية ، كما أن المدة التي قضاها في المنطقة سـاعده علـى التعرف على عــادات مجتمعها وتقاليــده ، إلى جانب نضــج ثقافته العلمية الواسـعة وخاصــة في النواحي التاريخية والجغرافية وهو ما نلمسه من خلال كتاباته التي تحتوي على تفاصـيل مثيرة ودقيقة حتى في أبسـط جوانب الحياة اليومية. أما ليبنز فهو لا يختلـف عن غيره مــن الرحالة الأوربيين الذيــن زاروا المنطقة العربيــة ، غير أنه تميز بروح المغامرة ، وسرعة فهم ما يدور حوله، إلى جانب خبرات معرفية جيدة ساعدته على إخراج كتاباته بشكل جميل تميز ببساطة الأسلوب ، وسلاسة العرض، وسهولة الاطلاع.

(*) وفيما يلي ومن خلال التحليل والمقارنة ومن عدة جهات نحاول الوصول إلى نتائج دقيقة نستطيع من خلالها الحكم على كتابات الرحالتين:

١- اعتمد المؤلفان في جمع مادتيهما العلمية على المشـاهدات الشخصية والرواية الشـفهية التي استقياها من محاورتهما للسكان المحليين ، إلى جانب ثقافتهما المتنوعــة خاصــة في مجــال التاريــخ والآثــار. وقد ســاعد دعم حكومــة الملك عبدالعزيز لهؤلاء الرحالة ، وتعاون مسـئولي الدولة وشـيوخ وأعيان القبائل في

(١) المرجع نفسه ، ج١، ص ٥٥٦ .
(٢) المرجع نفسه ،ج١ ، ص٥٥٤ـ ٥٥٩.

نجـران في تسـهيل مهام رحلاتهـم ، وجمع أكبر قدر من المـادة العلمية ؛ مما ساعد على إخراج كتاباتهما بشكل مكتمل وغير مسبوق.

٢- كان لـكل من الرحالتـين طريقته في الكتابة بناءً على المقومات والاستعدادات الخاصة لكل منهما ، وفي هذا الشأن تميز فيلبي في كتاباته بسعة الاطلاع وتنوع المعارف ، وعمق التحليل ، وتنوع الخبرات ، ودقة الملاحظة ، وهو ما يتضح من خـلال قراءة مؤلفاته التي يخوض فيها في جزئيات وتفاصـيل دقيقة لا تتأتى لباحثين آخرين ، كما تميز أسلوب فلبي بالدقة في جمع المعلومات الجغرافية أو التعـرف على النواحي الاجتماعية، وهذا لا يتأتى له إلا من خلال جمع المعلومة مـن الأهالي المحليين ومن أكثر من مصـدر ، كما تميز أسـلوبه في الكتابة عن رحلتـه في نجـران بالعمـق في التحليـل والاسترسـال في الوصـف ، والاهتمام بالتفاصـيل الدقيقة فيدون كل ما يصـادفه من معالم ومواقف. أما ليبنز فقد تميز أسلوبه بالرشاقة والبساطة في الوصف مما يسهل مهمة القارئ العادي في فهم محتوى كتابته ، ومما يميزه أيضاً حسه المعرفي العالي ، وقوة ملاحظته لما يدور حوله مما انعكس بشـكل إيجابي على تسجيله لبعض العادات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية التي كان يمارسها المجتمع النجراني في تلك الفترة.

٣- وحتى تبرز المقارنة بشكل واضح ودقيق فمن الناحية الجغرافية: واضح حرص المؤلفان فيلبي وليبنز على منح الجوانب الجغرافية في رحلتيهما اهتماماً واسعاً ، إلا أن فيلبـي بـز نظيره ليبنـز بناءً على خبراته الواسـعة في هـذا الجانب ، ومهارته المتنوعة في علم الجغرافيا والرحلات فنجده يورد بدقة متناهية وصف تضاريس ومسميات المناطق والأودية والجبال التي يزورها وتحديد ارتفاعاتها عـن سـطح البحر مسـتفيداً مما يوفر له مـن تقنيات حديثة في هـذا المجال ، وهـو جانب لم يمنحه ليبنـز اهتماماً كبيراً. وعند وصـفه لطريق الرحلة نجد أن فيلبي يسـهب كثيراً في وصف جغرافيا الطرق التي يسلكها من وإلى نجران مسـتفيداً من مرشـديه، بعكس ليبنز الذي قدم وصـفاً مقتضباً لطريق رحلته دون الخوض في تفاصـيل واسعة في هذا المجال. أما أحوال الطقس والمناخ فإن ليبنز تميز بالإيجاز على عكس فيلبي الذي كان كثير الحديث عن ما يصـادفه مـن تقلبات الطقس، أو في الحديث عن الأحـوال المناخية للمناطق التي زارها في حدود منطقة نجران.

وامتـد اهتمام ليبنز بالغطاء النباتي والثروة الحيوانية في نجران فنجده يشـير في أكثر من موضع في كتابه إلى أنواع متعددة من النباتات التي تعيش في البيئة النجرانية ، أما فيلبي فإنه كعادته كان كثير الإسهاب حتى في هذا المجال نظراً لاهتمامه الشخصي

بجمـع أنــواع متعددة من هذه الكائنات وإرسـالها إلى المتاحـف البريطانية. أما الحياة الاجتماعية فقد أولياها فيلبي وليبنز اهتماماً بالغاً من خلال تناول العديد من جوانبها ، إلى جانب تفاصيل مثيرة في هذا المجال ، فتحدث فيلبي في أكثر من موضع عن عناصر سكان نجران مثل اهتمامه بأنساب قبائل يام التي تسكن مساحات واسعة من نجران ، وعن أسرة المكارمة دعاة المذهب الإسماعيلي في نجران ، إلى جانب اهتمامه بالحديث عن الطائفة اليهودية التي سكنت المنطقة ، ويشترك فيلبي وليبنز في وصف صور متنوعة من عادات وتقاليد المجتمع النجراني مثل عادة إكرام الضـيف وأنواع الأطباق الغذائية المنتشـرة في هذا المجتمع ، الى جانب طريقة البادية في سـقيا مواشيهم على الآبار غير أن ليبنز يتفوق على فيلبي في عدم اصـدار أحكام مسـبقة على تلـك العادات والتقاليد التي تختلف عن ما تعوداه في المجتمعات الأوربية.

كمـا نجد الرحالتين يشـتركان في وصـف المنـازل النجرانية التي شـاهدها أثناء زيارتهمـا لنجـران أو حبونـا وذكـر أنـواع بعضـها لا زال موجـوداً كالقصـور الطينية والحجرية أو ما اندثر مثل تلك المبنية من الأشجار. واهتم المؤلفان بالمجال الاقتصادي في نجران ومنحاه مساحة واسعة من كتاباتهما ، فهما دائماً الحديث عن حرفتي الرعي والزراعة الأبرز بين سكان المجتمع النجراني في ذلك الوقت ، وهو ما نقرأه عند ذكرهما للأصناف والمزروعات أو أنواع الحيوانات الداجنة التي اهتم أهل نجران بتربيتها. كما توافقا في الكتابة عن النشـاط التجاري خاصـة في مجال التبـادل التجاري بين نجران والمناطق اليمنية المجاورة لها فقد أوردا معلومات غاية في الأهمية في هذا المجال تتصل بنقاط العبور المشتركة وأصناف البضائع المتبادلة. واشترك الرحالان في إيراد معلومات وافرة عن سوق نجران الرئيس في البلد ، كالحديث عن أنواع السلع والبضائع والعملات المتداولة بين مرتادي السـوق من تجار ومسـتهلكين. ومن الواضـح أن فيلبي قدم الكثير من المعلومات في هذا الجانب من خلال تقديمه معلومات أكثر شـملت المكاييل والموازين ورصد المتغيرات والحوادث التي طرأت على العملة في نجران.

وفي المجـال الإداري أعطـى فيلبي معلومـات دقيقة وقيمة عنهـا في منطقة نجران كالإشـارة إلى أبرز الإدارات الحكومية القائمة في نجران عند مجيئه ، وذكر أهم مهام الأمير وأنشطته اليومية أو الحديث عن مراكز الشرطة المنتشرة في قرى نجران والتطرق لعدد موظفيها وأبرز مهامهم الأمنية. بل امتدت كتاباته في هذا الجانب إلى تناول احدى أبرز مهام موظفي الدولة المتعلقة بجني محصـول الزكاة ، كما تطرق لأحوال الموظفين من الناحيتين الاجتماعية والاقتصـادية. وفي المقابل نجد معلومات ليبنز في هذا المجال مقتضـبة غير أنها كانت في غاية الأهمية كالإشـارة إلى مهام أمير المنطقة ، إضافة الى عرض بعض المهام الرسمية لمراكز الشرطة والجمارك الحدودية.

حظي مجال التاريخ والآثار بمساحات واسعة من كتابات فيلبي وفيليب ليبنز ، فقد اشتركا في زيارة منطقة الأخدود الأثرية ووصف معالمها وذكر أبرز آثارها المتبقية ، وإن كان قد تميز ليبنز بعمق تحليله ودقة وصفه في هذا الجانب ؛ نظراً لكونه وقف بنفسه على دراسة أجزاء مهمة من تلك البقايا الأثرية ، إضافة إلى اهتمامه بجمع النقوش وفك رموزها ، وتصنيف أنواعها ، على عكس فيلبي الذي ركز في رحلته الأولى على جمع ونسخ أكبر قدر يجده من النقوش.

وفي الموضوع نفسه يبرز تميز فيلبي من خلال توسعه في الكتابة عن الآثار بحيث لم يقتصر على قرية الأخدود وحسب ، بل نجده يحرص على زيارة معالم أخرى ذات أهمية تاريخية مثل كعبة نجران ، وقصر العان وغيرها مستلهماً ذلك كله من ثقافة تاريخية واسعة عن تاريخ نجران ، وهو ما يذكره هذا الرحالة من خلال عرضه التاريخي لأهم الحملات العسكرية التي تعرضت لها مدينة الأخدود منذ عهد معين وحتى الطور الأخير لمملكة حمير.

تاسعاً : الخاتمة :

(*) من خلال دراسة نجران في كتابات جون فيلبي وفيليب ليبنز بالتحليل والمقارنة خرجت الدراسة بالنتائج والتوصيات التالية :

أهمية كتابات فيلبي وليبنز في تاريخ المملكة العربية السعودية بشكل عام ومنطقة نجران بشكل خاص فقد قدما خدمة جليلة للباحثين في فترة تاريخية مهمة من خلال توثيق معلومات قيمة متنوعة عن منطقة لها بعدها التاريخي والسياسي في عصرنا الحديث عزز هذه القيمة ما يأتي :

١- قيام دولة موحدة حققت الأمن والاستقرار في الجزيرة العربية.

٢- أهمية الفترة التاريخية التي دونت فيها هذه الكتابات وهي فترة تأسيس المملكة العربية السعودية ومرورها بتحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية كثيرة رصدت هذه الكتابات الكثير منها.

٣- دعم الملك عبدالعزيز لهذين الرحالتين بكل ما يساعد على نجاح مهمتيهما.

٤- تنوع المجالات التي تناولتها كتابات فيلبي وليبنز بين الجغرافية ، والبيئية ، والإدارية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، إلى جانب تاريخ وآثار منطقة نجران ، وهذا ما يزيد أهميتها وقيمتها.

٥- أن المقارنة بين كتابات الباحثين يكشف لنا الكثير من المعلومات عن منطقة نجران والعوامل التي ساعدت على كتابتها في تلك الفترة.

٦- إن كتابـات فيلبي وليبنز تفتح آفاقاً أوسـع للدراسـة والبحـث في تاريخ نجران الحديث لا ينقصـها سـوى الجرأة والحرص على تقديم الجديد في تاريخ هذه المنطقة ، فعلى الرغم من الجهود التي قام بها هؤلاء الرحالة والنتائج الجيدة التـي حققوها من خلال دراسـة تاريخها وحضـارتها وجمع نقوشـها ، غير أن تلك الجهود مقارنة بضـخامة إرث وآثـار المنطقة لا تزال في بدايتها ، ولا تزال الحاجة ماسـة في دراسـات نوعية ترصد وتستقصـي تاريخ وحضارة المنطقة وتحولاتها ، إلى جانب الحاجة إلى تبني مشروع بحثي ضخم يفك طلاسم تلك الكنوز الأثرية التي تكسو معظمها الرمال.

٧- آمـل أن نرى جامعـة نجران تؤسـس مركز بحوث متخصـص مدعـوم مادياً وإدارياً ومعرفياً ، يقوم بدراسـة تاريخ وآثار وحضارة بلاد نجران منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر.

٨- مـازال هناك مصـادر ومراجع عديـدة مكتوبة بلغات أجنبيـة قديمة وحديثة، وتحتـوي علـى مواد تاريخية وحضـارية عن نجـران ، وهي جديـرة بالترجمة والتحليل والتعليق . وهذه مسؤوليات الكليات والأقسام العلمية المتخصصة .

عاشراً : مصادر البحث ومراجعه :

أولاً: المراجع العربية :

١- الأصـطخري ، إبراهيـم بن محمـد ، **مسالك الممالـك** ، (بيروت ، دار صـادر ، (د.ت)).

٢- الأكوع ، إسماعيل بن علي ، **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، (دمشق ، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج٣.

٣- الأكـوع ، محمـد بن علي ، **اليمـن الخضراء مهـد الحضارة** ، (صـنعاء ، وزارة الثقافة والسياحة ، ٢٠٠٤م).

٤- البكـري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، **معجم ما استعجم** ، (بيروت ، عالم الكتاب ، ١٤٠٣هـ/١٢٩٩م).

٥- البـلادي ، عاتق بن غيث ، **بين مكـة وحضرموت : رحـلات ومشاهدات** ، (مكة المكرمة ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٢هـ).

٦- ابن البيطار، أبومحمد بن عبدالله ، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية** ، بيروت، لبنـان، دار الكتب العلمية ، د.ت) ، المجلد الأول.

٧- الحسين ، يحيى ، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، (القاهرة ، ١٣٨٨هـ).

٨- ابن جريس ، غيثان ، **القول المكتوب في تاريخ الجنوب: عسير ونجران** ، (الرياض، مطابع الحميضي ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (الجزء الثالث) ط٢(١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

٩- ابن جريس ، غيثان ، **صفحات من تاريخ عسير** ، (جدة ، دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣ه/١٩٩٣م) ، ط١.

١٠- ابن جريس ، غيثان بن علي ، **نجران دراسة تاريخية حضارية ، (ق١ – ق٤ه / ق٧ – ق١٠م)** ، (الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ج١.

١١- حماد، خيري، **عبدالله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث**، (بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، أبريل ، ١٩٦١م) .

١٢- حمزة ، فؤاد ، **في بلاد عسير** ، (الرياض ، مكتبة النصر الحديثة ، ط٢ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

١٣- الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، **معجم البلدان** ، (بيروت ، دار الفكر ، (د، ت) ، ج٥.

١٤- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد ، **صورة الأرض** ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٩٢م) .

١٥- الحربي، علي، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية(منطقة عسير)**،(بيروت، مطابع الخليفة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١ ، ج٢.

١٦- الحميد ، عبداللطيف بن محمد ، **إبراهيم بن عبدالرحمن النشمي(١٣١٣-١٣٩٨هـ) حياته أعماله** ، (د.ن ، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م).

١٧- الخترش، فتوح عبدالمحسن، **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية**، (الكويت، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط١ ، ١٩٨٣م).

١٨- ابن خرداذبة ، عبيدالله ، **المسالك والممالك** ، (بيروت ، دار صادر ، (د ، ت) .

١٩- السبيت، عبدالرحمن وآخرون، **كنت مع عبدالعزيز (مقابلة شخصية مع الشيخ محمد بن زعير)**، (الرياض ،مطبوعات الحرس الوطني ، ١٩٨٨م) .

٢٠- ابن سعود، مشاري، **العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية**، (الرياض، جامعة الملك سعود،١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٢١- سعيد، أمين ، **اليمن وتاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري**، (**سلسلة كتب تاريخ العرب** الحديث (٩)، (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).

٢٢- الشريف، عبدالرحمن صادق، **جغرافية المملكة العربية السعودية "إقليم جنوب غرب المملكة"**، (الرياض، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢.

٢٣- الشـماحي، عبـدالله بـن عبدالوهـاب، **اليمـن، الانسـان والحضارة**، (بـيروت، منشورات المدينة، ط٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٢٤- الشـعفي، محمد سـعيد، **العلاقـات السعوديـة اليمنيـة في سنـي ١٣٥١-١٣٥٣هـ /١٩٣٣/١٩٣٤م** (مـن خلال ما نشـر في جريدة المقطم المصـرية) ، (الرياض، مطابع الشريف ، ط١ ، ١٤١٤هـ) .

٢٥- الشـهري، زهـير بـن عبـدالله ، **ماليـة أبهـا في عهـد الملـك عبدالعزيـز ١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩٢٠-١٩٥٣م "دراسـة وثائقيـة عـن الأوضـاع الاقتصاديـة والتنظيمـات الماليـة في جنـوب المملكـة العربيـة السعودية**، الجمعيـة التاريخية السعودية، (الرياض ، الإصدار الحادي عشر ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

٢٦- الزركلي، خير الدين، شـبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٩٢م)، ط٥، ج١.

٢٧- آل زلفـة، محمد بن عبدالله ، **عسير في عهد الملـك عبدالعزيز: دورها السياسي والاقتصـادي، والعسكـري في بنـاء الدولـة السعوديـة الحديثـة** ، (الرياضـ ، مطابع الفرزدق ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢٨- العثيمين ، عبدالله الصــالح، تاريخ المملكة العربية السـعودية، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م)، ط١٢، ج١.

٢٩- علاقي ، عبداللطيف طاهر، **نجران : الواحة والإنسان**، (جدة ، مطبعة الصلاح ، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٣٠- العلـوي، علي بن محمـد، **سيرة الهـادي إلى الحق يحـي بن الحسـين** ، تحقيق: سهيل زكار ، (دار الفكر، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٣١- عسـيري ، علـي بـن أحمـد ، **عسـير مـن ١٢٤٩-١٢٨٩ه/١٨٣٣-١٨٧٢م "دراسـة تاريخية"** ، (الرياض ، إصـدارات نادي أبها الأدبي ، شـركة العبيكان للطباعة والنشر ، ، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م).

٣٢- العمـري ، هادي صـالح ، **طريق البخور القـديم من نجران إلى البـتراء وآثار اليمـن الاقتصاديـة عليـه**، (صـنعاء، إصـدارات وزارة الثقافـة والسـياحة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

٣٣- فلبي، جون ، **بعثه إلى نجد ، ١٣٣٦-١٣٣٧هـ/١٩١٧-١٩١٨م** ، ترجمه وعلق عليه عبدالله الصالح العثيمين ، (ط١ ، الرياض ، ١٤١٨هـ).

٣٤- فلبي ، جون ، **بنات سبأ** ، مكتبة العبيكان ، (الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م).

٣٥- فلبي ، جون ، **مرتفعات الجزيرة العربية** ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ط١ ، ج١.

٣٦- الماحي ، سيد ، **نجران الأرض والانسان والتاريخ** ، (الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست ، (د.ت)).

٣٧- ماكرو، إريك، **اليمن والغرب ١٥٧١-١٩٦٢م**، نقله إلى العربية وعلق عليه د حسين عبدالله العمري، (دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ط٢.

٣٨- الماضي، تركي، **من مذكرات تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية،(١٣٤٢-١٣٧١هـ/١٩٢٤- ١٩٥٤م)** (الرياض ، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ط١.

٣٩- الماضي ، فوزان ، **بنو تميم عبر التاريخ** ، (الرياض ، مطابع الحميضي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ).

٤٠- المانع ، محمد ، **توحيد المملكة العربية السعودية** ، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين ، ط١ ، (الدمام ، ١٤٠٢هـ).

٤١- مريح، صالح بن محمد، **نجران (سلسلة هذه بلادنا)**، (الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب،١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٤٢- المعبدي، مبارك، **بعض ملامح الأسواق في تهامة عسير خلال الحكم العثماني الثاني ١٢٦٥- ١٣٣٥هـ/١٨٤٠- ١٩١٦م** ، (د.م.ن).

٤٣- القزويني ، زكريا محمد ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، (بيروت ، دار صادر ، (د.ت).

٤٤- ليبنز ، فيليب ، **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية** ، ترجمة : محمد حناش ، راجعها وعلق عليها ، فهد بن عبدالله السماري ، (الرياض ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٤٥- ابن هشام ، محمد بن عبدالملك ، **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، (بيروت ، دار القلم ، د.ت) ، ج١.

٤٦- الهمداني، الحســن بن أحمد، **صفة جزيرة العــرب**، تحقيق، محمد علي الأكوع، (صنعاء، مكتبة الارشاد، صنعاء ط١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م).

٤٧- طحنــون، محمد ، **نجــران: تاريخ وإنســان**، (بيروت، مؤسســة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).

٤٨- الواســعي، عبدالواســع بن يحيــي، **تاريخ اليمــن المسمى فرجة الهمــوم والحزن في حــوادث وتاريــخ اليمــن**، (صــنعاء ، الــدار اليمنيــة للنشــر والتوزيــع ، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م).

٤٩- وزارة المعــارف (وكالة الآثار والمتاحف) ، سلســلة آثار المملكة العربية الســعودية (آثار منطقة نجران) ، (الرياض ، مطابع دار الهلال للأوفست).

٥٠- الانصــاري، عبدالرحمن وصالح آل مريح، **نجران منطلق القوافل**، (الرياض، دار القوافل للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

ثانياً: البحوث العلمية :

٥١- الجاسر ، حمد ، فلبي : رحلاته في البلاد العربية ، مجلة العرب ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، مج٢٤.

٥٢- رنتز، جورج ، فيلبي مؤرخاً للمملكة العربية الســعودية، ترجمة وتعليق، د حســين بــن محمــد الغامدي، مجلة الدرعية ، الســنة الأولى ، العدد الثاني ، ربيع الآخر ١٤١٩هـ/أغسطس ١٩٩٨م.

٥٣- آل عبدالجبار، عبدالله بن عبدالرحمن، دراسة تحليلية لكتاب(مرتفعات جزيرة العــرب) لجون فلبي، بحوث ندوة الرحلات إلى شــبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض(٢٤-٢٧ رجب/١٤٢١هـ الموافق٢١-٢٤ أكتوبر/٢٠٠٠م) ، دارة الملك عبدالعزيز ، ج٢.

٥٤- العُمري، عمر بن صالح، عبدالله فلبي: حياته وآثاره، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، ع٣، س١٤٢٠،٢٥هـ.

٥٥- النجعي، علي، الاتصــالات السعودية في العصــر الأول ، من بحوث مؤتمر المملكة العربية الســعودية في مائة عام، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ٧-١١شــوال ١٤١٩هـ/٢٤-٢٨ يناير ١٩٩٩م .

٥٦- النجعي ، علي ، القوة الثالثة ، (الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

57- ELIZABETH M MONROE , PHILBY OF ARABIA FIRST PUB LISHED BY FABER AND FABER , LONDON , 1973

58- The Life of Sir Percy Cox by Philip Graves , Second Im Pression, Hutchinson , Co , London.philby , john , The Land of Sheba , Geographical Journal , 92 (1938).

59- Tripp , Charles , A History of Iraq , 3rd ed , New yourk , Cambridge up , 2007

رابعاً: الرسائل العلمية :

٦٠- أحمد، بدور محمد ناصر، اليمن والقضية الفلسطينية (١٩١-١٩٦٢م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجمهورية اليمنية، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

خامساً: الصحف :

٦١- صحيفة الرياض ، العدد ٩٣٨١ ، (٣٠ شوال، ١٤١٥هـ /٣٠ مارس ١٩٩٥م).

٦٢- صحيفة الشرق الأوسط ، العدد ١١٤٤١ ، ٩ ربيع ثاني ١٤٣١هـ / ٢٦ مارس ٢٠١٠م.

٦٣- صحيفة الحياة ، الأربعاء ٢٥ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٣م / ٢٢ صفر ١٤٣٥ه.

٦٤- صحيفة اليوم ، العدد ١٥٢٤٨ ، ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / ١٥ مارس ٢٠١٥م.

سادساً: المقابلات الشخصية :

٦٥- مقابلة شخصية مع الشيخ سالم بن محمد بن فلاح الشدقاء. تاريخ ومكان المقابلة ، مدينة الرياض ١٧/٣/١٤٣٨هـ.

رابعا: رحلتي في محافظة القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (مشاهدات وتوثيقات)

أولاً: تمهيد:

محافظة القنفذة إحدى المحافظات الرئيسية في الأجزاء التهامية من جنوب المملكة العربية السعودية [١]. ومعظم أراضيها ساحلية وسهلية خبتية ولا تخلو بعض أجزائها من مرتفعات وهضاب قليلة ومحدودة في مساحاتها وارتفاعاتها[٢].كانت بلاد القنفذة من

---

(١) تتبع هذه المحافظة إدارياً إمارة منطقة مكة المكرمة ، وكانت في السابق محافظة واسعة تشمل بلاد البرك والعرضيات ، وفي العقود الماضية المتأخرة انفصلت بلاد العرضيات من محافظة القنفذة وصارت محافظة مستقلة تتبع أيضا إمارة مكة المكرمة . وقبلها انفصلت بلاد البرك فصارت تتبع إداريا منطقة عسير ، ثم تحولت من مركز إلى محافظة . وبما أن كتابي: **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م)** يدرس منطقة القنفذة بمفهومها الواسع، فقد كان لبلاد العرضيات والبرك ذكرٌ جيدٌ في هذا الكتاب في طبعته الأولى ، ومازالت هذه المادة منشورة في الكتاب نفسه في طبعته الثانية (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(٢) لو بقيت بلاد العرضيات مركزاً من مراكز محافظة القنفذة ، فلن نقول ونؤكد على محدودية مساحة

دوقة شمالاً إلى البرك جنوباً ومن ساحل البحر غرباً إلى مرتفعات العرضيات وما جاورها شرقاً ضمن اهتماماتي البحثية والعلمية منذ عشرينيات هذا القرن. (ق١٥هـ/٢١م) . ونتج عن ذلك إصدار كتاب علمي بعنوان: **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ/ ق١٦ـ ق٢١م) (دراسة تاريخية حضارية)** . بدأت في جمع مادته العلمية منذ عام (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ولم أفرغ من إتمامه إلا عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) . اشتمل هذا السفر على تفصيلات جغرافية وتاريخية حضارية خلال العصر الحديث والمعاصر(ق١٠ـ ق ١٥هـ/ ق١٦ـ ق٢١م) [(١)]. وبعد مرور عشر سنوات على صدور الطبعة الأولى ، اتضح لي الوقوع في أخطاء علمية بدون قصد، كما أفادني وزودني بعض الإخوان بالتصويبات المطلوبة . وكان من الواجب عليّ أن أصحح أخطائي ، ثم اجتهد في رصد المعلومة الصحيحة والحقيقية، وهذا ما سعيت إلى تحقيقه في هذه الطبعة (الطبعة الثانية) . لهذا قررت القيام برحلة ميدانية في محافظة القنفذة الحالية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

استغرقت هذه الرحلة ستة أيام منذ خروجي من مدينة أبها صباح الثلاثاء (١٤٤٢/١١/١٩هـ الموافق ٢٠٢١/٦/٢٩م) حتى رجوعي إلى منزلي في أبها يوم الأحد (١٤٤٢/١١/٢٤هـ الموافق ٢٠٢١/٧/٤م) . ذهبت من أبها عبر عقبة شعار ثم محافظات محايل، وبارق ، والمجاردة حتى دخلت مركز خميس حرب ، وسبت الجارة التابعين لمحافظة القنفذة ، وقضيت فيهما يوماً ونصف اليوم . ثم واصلت رحلتي إلى مركز أحد بني زيد ثم مدينة القنفذة ، واتخذت من المدينة مقراً للإقامة . ومكثت ثلاثة أيام ونصف انتقلت في مراكز المحافظة (المظيلف ، ودوقة ، والقوز ، وثلاثاء الخرم ، ومركزي حلي وكنانة في وادي حلي) ، بالإضافة إلى جولاتي المتقطعة في مدينة القنفذة الأم . ويوم الأحد (١٤٤٢/١١/٢٤هـ الموافق ٢٠٢١/٧/٤م) عدت إلى مدينة أبها من خلال الطريق الساحلي العابر لمحافظتي البرك والدرب حتى وصلت إلى عقبة ضلع في حاضرة أبها.[(٢)]

وارتفاعات هذه البلاد ، لأن بلاد العرضيات تقع عند سفوح السروات الغربية ، وفيها جبال عالية وهضاب ومرتفعات يصعب أن نطلق عليها محدودة الارتفاع . **المصدر: مشاهدات الباحث لعموم بلاد القنفذة والعرضيات خلال الأربعين عاماً الماضية . ومازالت بلاد العرضيات تحتاج إلى دراسات علمية مطولة ورصينة ، أرجو أن نرى من مؤرخي وجغرافيي وآثاري تلك البلاد من يقوم بهذا العمل العلمي المهم .**

(١) من يطالع الكتاب في طبعته الأولى (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) يجد أنه احتوى على توضيحات جغرافية ، ثم دراسات تاريخية سياسية ، وإدارية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وثقافية وفكرية وتعليمية . كما نشر في نهايته العديد من الصور والوثائق الجديدة في بابها والمتنوعة في معلوماتها التاريخية والحضارية . بالإضافة إلى مذكرة في (١٩) صفحة بخط اليد من مؤرخ القنفذة الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه (يرحمه الله) كان قد دونها بناءً على طلب مني ، وقد أبدع وأفادنا كثيراً بهذه الخلاصة الوافية الشافية عن محافظة القنفذة . وهذه المذكرة أعدت طباعة مادتها ثم أرفقت معها مذكرة الشيخ الفقيه المكتوبة بخط اليد ونشرتها في الملحق رقم (٤٢) من كتاب (بلاد القنفذة ...)، الطبعة الثانية .

(٢) ورد في السطور المدونة أعلاه أسماء مدن ومحافظات ومعالم جغرافية أخرى. وبعضها أسماء قديمة وردت عند بعض الجغرافيين الأوائل. كما ذكرها مؤرخون وجغرافيون متأخرون . وهي أوطان ذات تاريخ وحضارة

اجتهدت في هذه الرحلة البعد عن التكرار فلا أذكر معلومات عن بلاد القنفذة سبق أن درســتها ووثقتها في الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). وحرصت على أن أوثق معلومات تاريخية وحضــارية جديدة عن محافظة القنفذة في عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ولا يمنع أن أذكر بعض التفصــيلات التاريخية القديمة بعض الشيء من باب الترابط العلمي واستيفاء بعض الجوانب التاريخية والحضارية المهمة[١] .

ثانياً : مدينة القنفذة ومراكزها :

١ـ مدينة القنفذة :

أشارت كتب التاريخ والتراث المتقدمة إلى بداية مدينة القنفذة ، ورصدت صفحات من تاريخها خلال القرون الخمسة الماضية (ق١٠ـ ق١٥هـ/ ق١٦ـ ق٢١م) . كما احتوت الوثائــق التاريخية العربية والأجنبية على تفصــيلات أخرى جديرة بالبحث والتوثيق[٢] . وقد دون الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه شيئاً من ذلك[٣] . وهذا الكتاب في طبعتيه الأولى والثاني أشار إلى جوانب عديدة من تاريخ وحضارة هذه المدينة[٤] .

وأثنــاء زيارتــي المدينة عــام (١٤٤٢هــ/٢٠٢١م) رأيتها مدينة جميلة متحضــرة . فحاراتهــا القديمــة مــازال أكثرها يحمل نفس الأســماء القديمة ، ولــكل حارة أو حي عمــدة . ومــن تلك الحــارات أو الأحياء : الناعمية ، والشــامية ، والرتبة (مشــرف) ، والخالدية ، والشرقية . وهناك أحياء حديثة مثل : الحي الغربي ، ومخطط البرج ، وحي الأزهــار، وحي الإســكان، وحي الشــاطئ رقم (١) وغيرها[٥] . ومن خلال مشــاهداتي

، من البرك حتى عقبة ضلع ، وتستحق من يدرسها دراسات علمية موثقة . آمل أن نرى من طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية من يتولاها بالبحث العلمي الرصين والعميق .

(١) لا أدعي في هذا العمل العلمي (القديم أو الحديث) الكمال ، وإنما أرجو الأجر والثواب من رب العباد. كما أرجو أن يكــون لبنــة علمية تفيد طالبات وطلاب العلم وبخاصــة الباحثين والمؤرخين الذين يجتهدون في دراســة تاريخ وحضــارة بلاد تهامة الممتدة من مكة المكرمة إلى حواضــر اليمن التهامية الرئيســية كالحديدة وعدن وغيرهما. وقد التقيت بالعديد من أعلام محافظة القنفذة فأحسنوا إليّ وساعدوني بالتوجيه وتصحيح الكثير من المعلومات الواردة في هذه الرحلة وسوف أذكر اسم كل واحد منهم في الحواشي القادمة من هذا الرصد العلمي .

(٢) مــازال هناك مئات الوثائق المهمة والجديدة وغير منشــورة عن تاريخ وحضــارة بــلاد القنفذة منذ القرن (١١هـ/١٧م) آمل أن تجمع وتدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية .

(٣) انظر عدداً من دراســات حســن إبراهيم الفقيه المنشــورة عن بلاد القنفذة . وانظر مذكرته المنشــورة في الملحق رقم (٤٢) من كتاب (بلاد القنفذة ...) في طبعتيه الأولى والثانية .

(٤) اهتم المؤرخون من قديم الزمان وفي عصــرنا الحديث والمعاصــر في رصــدهم ومدوناتهم للمدن الرئيسية والمراكز الحضــارية . ومدينة القنفذة مذكورة في العديد من المصــادر والمراجع المتقدمة والمتأخرة . أما المراكز التابعة لها فهي مهمشة وغير مذكورة في كتب التاريخ والحضارة . مع أنها بلدان تحتوي على الكثير من الموارد الطبيعية ، وهي مستوطنات بشرية منذ قديم الزمان ، لكن تاريخها مهمل وغير موثق. وهذه مشكلة سارية على جميع بلاد السروات وتهامة وبخاصة البعيدة عن المدن أو الحواضر أو المراكز الحضارية الكبيرة والرئيسية .

(٥) لم أذكــر كل أحيــاء أو حــارات مدينــة القنفذة وإنما ذكــرت بعضــها ، وطبوغرافية المدينــة ومخططاتها

لأجزاء المدينة رأيت مركز المدينة القديمة، والمعروف باسم (السوق القديم) مازالٍ قائماً يسكنه الكثير من الناس ، وفيه أنشطة اقتصادية عديدة . وتحتوي المدينة حاليا علـى مخططات عمرانية حديثة ، مثل: (١) مخطط البرج جنوب شرق المدينة . (٢) مخطط الشاطئ الأول شمال المدينة ، وهو امتداد لمخطط الخالدية (مخطط قديم) وفيه الكثير من الأبنية الحديثة مثل : كليات الهندسة ، والطب ، والحاسب الآلي. وإدارة السجون ، والكثير من العمائر الخاصة. (٣) مخطط الشاطئ رقم (٢) ، وهو امتداد لمخطط الشاطئ الأول ، ويطل على ساحل (الكورنيش) حنيش الذي به مركز خفر السواحل . ومازال العمل جاريا في إصلاحه ورصفه ، ويبلغ طوله حوالي (١٥كم) . وهذا الشاطئ (الكورنيش) سوف يكون الأقرب إلى مطار القنفذة [١] . والساحل الغربي للمدينة هو امتداد لساحل (كورنيش) حنيش ، وقد خطط تخطيطا جيداً ، ويلتقي مع (الكورنيش) الجنوبي الذي يمتد إلى مخطط البرج . كما أنشئت البحيرات الشمالية من كورنيش حنيش وجنوب مخطط الشاطئ رقم (١) لتكون ثلاث بحيرات داخل المدينة ومساحاتها تزيد عن مئة ألف متر مربع . ويلاحظ أن المخططات الشمالية في المدينة سوف يكون لها مستقبل تنموي زاهر [٢] . والشوارع الرئيسية في المدينة الطريق الدولي الذي يعبر المدينة من شمالها إلى جنوبها وعرضه حوالي (٦٠م) وشارع الكورنيش وهو مزدوج وعرضه من (٣٠-٤٠م) . وشوارع أخرى في المدينة كبيرة ومزدوجة مثل: (١) شارع الرياض. (٢) شارع الملك عبدالعزيز . (٣) شارع الملك فيصل . أما الشوارع الأخرى فهي كثيرة يصعب حصرها فلا تخلو حارة أو مخطط من شوارع عديدة يتراوح عرضها من (١٠م) أو (١٢م) إلى (٢٠م) و(٣٠م) .

في المدينة العديد من الحدائق ، والأسواق المتفاوتة في مساحاتها وبضائعها، فلا يخلو شارع أو محطة بترول من أسواق صغيرة ومتوسطة المساحة . أما الأسواق الكبير فهي الأخرى عديدة مثل: (١) سوق البندر مول جنوب المدينة بمخطط البرج.

وأحيائها ، وحاراتها القديمة والحديثة تستحق أن تدرس في كتابٍ علمي رصين يوثق بالصور الفوتوغرافية . آمل من الباحثين ومؤرخي تهامة أو بلاد القنفذة أن يوثقوا شيئًا من ذلك في بعض بحوثهم العلمية. المصدر: مشاهدات الباحث بالإضافة إلى مقابلة مع الدكتور محمدبن علي العجلاني في منزله بحي الخالدية في مدينة القنفذة في (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) .

(١) زرت هذا الساحل (الكورنيش) في رحلتي الأخيرة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) عدة مرات ، وأعتقد أنه عند اكتمال عمرانه سوف يكون من أجمل المنتجعات السياحية التهامية البحرية في جنوبي المملكة العربية السعودية . المصدر : مقابلة مع الدكتور محمد بن علي العجلاني في منزله بمدينة القنفذة في (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) . وقد ذكر لي معلومات جيدة عن مدينة القنفذة في الوقت الحاضر .

(٢) شاهدت مخطط الإسكان الجديد شمال المدينة ، ويوجد فيه أكثر من مِئة وحدة سكنية ، وصار مأهولاً بالسكان ، وفيه جميع الخدمات الضرورية . وقد سكنت في فندق قريبا من هذا المخطط خلال إقامتي ورحلتي في المحافظة من الأربعاء (١٤٤٢/١١/٢٠هـ) حتى الأحد (١٤٤٢/١١/٢٤هـ).

(٢) أســواق الهنيــدي وســط المدينــة . (٣) أســواق عديدة في مخطـط الرفاعي على الكورنيش الغربي . (٤) أسواق العثيم ، والنهضة، وإكسترا ، وسنتر بوينت وغيرها [١] .

أما المؤسســات الحكومية والأهليــة فهي كثيرة في مدينة القنفـذة ، وتخدم المدينة وجميع مراكز المحافظة . ومقرات الكثير منها حكومية وأخرى مســتأجرة . وقد أشــرت إلى كثير من هذه الإدارات في القســم الثاني من كتاب(بلاد القنفذة...)[٢]. والعمارة الخاصــة والحكوميــة كثـيرة وتــتراوح أدوارها مــن طابقٍ وطابقين إلى خمســة وســتة طوابق. وربما هناك عمائر أطول من ذلك لكنها قليلة جداً. وجميعها مشـيدة بالحديد والخرسانة. وربما وجد منازل صغيرة وقليلة مبنية من البلك ، وأحياناً البلك والزنك[٣].

مــن أنــواع العمارة في مدينة القنفذة المســاجد والجوامع ، فهــي كثيرة وتتفاوت في مســاحاتها وتشــييدها ، ومــن الجوامع التي شــاهدتها أثناء تجــوالي في المدينة . (١) الجامع الكبير جنوب غرب المدينة ، ومســاحته تقريبا (٨٠×٨٠مٍ) . ويوجد فيه مغسلة أمــوات . (٢) جامع العجلاني في حي الخالديةٍ ومســاحته تقريبــاً (٤٠×٥٠م). (٣) جامع الإسكان شمال المدينة (٣٠×٤٠م) تقريباً. (٤) جامع الطاعة على الشارع العام (الدولِي) شــرق المدينة (٤٠×٥٠م). (٥) جامع الهنيدي جنوبِ المدينة (٤٠×٤٠م) تقريباً. (٦)جامع الأميرة جنوب شرق المدينة (٥٠×٥٠م) تقريباً. (٧) جامع بامهدي في حي الخالدية (٢٠×٤٠م). (٨) جامع الوالدين في حي الخالدية (٢٠×٤٠م) [٤].

لم أناقــش الأنشــطة التجاريــة أو الاقتصــادية ومواقعها في المدينة مثــل: البنوك، والشــقق المفروشــة والفنــادق والشــاليهات أو المنتجعات. كمــا أن مقرات الصــناعات والحرفِ متوفرة في المدينة مثل ورش السيارات ، وإصلاح المعدات أو الآلات أو التقنيات. وأيضــاً أنشطة الحياة العلمية والتعليمية والثقافية مثل: المدارس ، والكليات ، والمعاهد ، والمكتبــات ، وبيوت الثقافــة ، والمتاحف وغيرها . وجميعها موجودة ومتفاوتة في طاقاتها البشرية والمادية والعملية والفنية[٥] .

---

(١) من الصعب حصر جميع التجارات والأسواق في مدينة القنفذة . وتاريخ التجارة الحديثة في مدينة القنفذة يستحق أن يكون عنوانا لكتاب أور سالة علمية .

(٢) مازال التاريخ الإداري والتنموي الحديث في مدينة القنفذة يستحق أن يدرس في عمل علمي موسع ، ويصدر في هيئة رسالة علمية أو كتاب .

(٣) مشــاهدات الباحث خلال جولاته في مدينة القنفذة أثناء رحلته الأخيرة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وتاريخ العمران يستحق أن يدرس ويوثق في كتاب علمي كبير مع الحرص على دعمه بالصور الفوتوغرافية القديمة والحديثة .

(٤) لم يشمل تدويني كل المساجد والجوامع في مدينة القنفذة . وتاريخ المساجد والمراكز الدينية في عموم تهامة من مكة إلى جازان موضوع جديد يستحق أن يوثق في عدد من الرسائل والكتب العلمية .

(٥) أشــرت فقط إلى هذه النقاط ووجودها في مدينة القنفذة ، فهي حاضــرة مهمة ونشـطة ويتوفر فيها جميع

٢ـ مراكز القنفذة الرئيسية :

أ ـ مركز القوز :

أخذ مركز القوز اسمه من بلدة القوز القديمة ، وصارت هذه البلدة مدينة في وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وتبعد عن مدينة القنفذة في الناحية الجنوبية الشرقية حوالي (٣٠) كيلا . وتقع على الطريق العام (الدولي) الذي يربط مكة المكرمة بجازان. لن أفصل الحديث عن تاريخ وحضارة المدينة أو المركز بشكل عام. فالأستاذ غازي بن أحمد بن علي الفقيه أصدر كتاباً جيداً بعنوان : **القوز تاريخ المكان وسيرة الإنسان (دراسة تاريخية اجتماعية حضارية)** . يقع في (٥٤٥) صفحة من القطع المتوسط. ووثق فيه الكثير من التفصيلات الجغرافية ، والتاريخية والحضارية القديمة والحديثة والمعاصرة[١] .

أثناء رحلتي في محافظة القنفذة زرت مدينة القوز وبعض بلدات وقرى المركز مثل بلدة الحبيل ، وقرى عديدة أخرى فوجدت المدينة وقراها الكبيرة متحضرة في عماراتها وشوارعها وخدماتها الضرورية . ففيها الأبنية الحكومية والأهلية التي تتراوح أدوارها من طابق وطابقين إلى ثلاثة وأربعة وأحياناً خمسة طوابق . كما يوجد في مدينة القوز وبلدة الحبيل مخططات عمرانية جديدة ، وبعضها أصبحت مليئة بالعمائر ومرافقها الحديثة. أما الشوارع ، فهناك الشارع العام (الدولي) الذي يخرج من القنفذة تجاه جازان ، فهو يسير بين مدينة القوز وبلدة الحبيل ، ويتفرع منه بعض الطرق شرقاً وغرباً إلى قرى وبلدات عديدة في مركز القوز[٢] .

توجد معظم المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية في مدينة القوز ، ولا تخلو بعض البلدات أو القرى الكبيرة في المركز من إدارات حكومية وأحياناً أهلية[٣] . وفي حاضرة

الخدمات التي يحتاجها الناس . وقد يأتي باحثٌ جادٌ في قادم الأيام يعكف على دراسة تاريخها الحضاري الحديث والمعاصر ، ويستحق هذا الجانب المهم أن يخدم تاريخياً وتوثيقياً. آمل أن نرى من يقوم بذلك من الباحثين أو من بناتنا وأبنائنا طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية .

(١) غازي الفقيه باحث يحمل درجة الماجستير في التاريخ ، له بحوث وكتب عديدة مطبوعة ومنشورة . وهذا الكتاب يعد مرجعاً جيداً لمركز القوز (الأرض والناس) ، بذل صاحبه جهداً مباركاً توخى فيه الحيادية والنزاهة والمصداقية ، وأوصي بالاطلاع على هذا العمل العلمي لمن يرغب معرفة تاريخ وحضارة مركز القوز في العصر الحديث والمعاصر. والكتاب مطبوع ومنشور ، في مطابع الحميضي بالرياض ، عام (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) .

(٢) أقول إن تاريخ التنمية الحضارية الذي تعيشه بلاد القوز وقراها يستحق أن يصدر عنه بحوث علمية موثقة مدعومة بالصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية . كما التقيت ببعض أعلام مدينة القوز ومنهم الأستاذ إبراهيم بن علي بلقاسم الفقيه (مدير التعليم بمحافظة القنفذة سابقاً) وذكر لي بعض المعلومات التاريخية والحضارية عن بلاد القوز وبخاصة في وقتنا الحاضر .

(٣) التاريخ الإداري الحديث لمركز القوز موضوع جديد لم يدرس في عمل علمي مطول وموثق . آمل أن يكون عنواناً لكتاب، أو رسالة علمية في أحدى الجامعات السعودية .

القوز وبلدة الحبيل وبعض القرى القريبة من الشارع العام (الدولي) الكثير من المراكز التجاريــة الحديثة الكبيرة والصـغيرة ، ومحلات اقتصــادية أخـرى حرفية ، ومهنية ، وزراعيــة ، وتقنية ، وخدماتية . ومن الأســواق الكبيرة في القوز ســوق الحربي ، وســوق حويس ، وســوق الجمعية التعاونية بالحبيل، ومســتودعات أخرى عديدة تبيع بضــائعها بالجملة والمفرق [١] .

بعض الأســواق الشـعبية في مركز القوز تمارس نشــاطاتها الاقتصــادية وبخاصة سوق الخميس الشعبي وسط مدينة القوز، وقد أجرى عليه بعض التطويرات العمرانية ، ومساحته ربما تزيد عن (٢٠٠×٢٠٠م) . وسوق ثلاثاء يبه ، وهو مقارب لسوق الخميس في القوز من حيث المســاحة والنشــاطات التجارية التي تمارس في هذين السوقين يومي الثلاثاء والخميس من كل أسبوع[٢] .

(*) من خلال سيري في مركز القوز أكثر من عشر ساعات ظهر لي الكثير من المشاهدات والانطباعات التي أدونها في النقاط الآتية :

١. مــا من شــك أن مركــز القوز يأتــي في المرتبــة الثانية بعد مدينــة القنفذة من حيث عدد الســكان[٣] ، وتوفر الخدمات الحكومية والأهلية ، وأيضــاً النشــاط الاقتصادي وبخاصة التجارة وأحياناً الحرف والصناعات التقليدية [٤] .

٢. تعــدد الطرق الفرعية المسـفلتة التي تربط قرى مركز القوز ببعضــها. وهناك طرق كبيرة وأحياناً رئيسية تربط بين مدينة القوز وبلدة الحبيل، ومدينة القوز مــع ثلاثاء يبــة ، وطرق أخرى عديدة تخرج من مركــز القوز إلى مدن ومراكز أخرى عديدة جنوب وشرق وشمال البلاد .

٣. يتبــع مركــز القوز بعضــ الشــواطئ البحرية ، ومــن أهمها الواجهــة البحرية

---

(١) إن التاريــخ التجــاري الحديث في مركز القوز أو في عموم محافظة القنفذة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) لم يجد حتى الآن من يدرسه ويوثقه في عمل علمي موثق وموسع .

(٢) يذكر أنه كان في بلاد القوز (مركز القوز) العديد من الأســواق الأســبوعية القديمة ، ومعظمها اندثرت في وقتنا الحاضــر، ماعدا الســوقين الآنفي الذكر . ونشــاطات هذين السـوقين خفت كثيراً في وقتنا الحاضر، لتعــدد الأســواق الحديثة الصـغيرة والكبيرة . حبذا أن نرى باحثــاً جاداً يدرس ويوثق أســواق مركز القوز الشـعبية (الأسـبوعية) والحديثــة اليوميــة منــذ منتصــف القــرن (١٤هــ/٢٠م) حتــى وقتنا الحاضــر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). ومن يفعل ذلك سيطلعنا معاشر الباحثين على معلومات علمية جديدة وجيدة .

(٣) وقفت وشاهدت عشرات القرى التابعة لمركز القوز المكتظة بالسكان ، وكثير منها تقع على جنبي وادي يبة .

(٤) شاهدت العديد من الحرف والصناعات الحديثة والقديمة في مدينة القوز وبلدة الحبيل وما حولهما مثل: (١) صناعة السرر المحلية. (٢) صناعة القطران.(٣) مهنة عصر السمسم ، والأدوات الفخارية ، وبعض مهن الخياطة ، والصباغة ، والصياغة . ويعمل في هذه الحرف بعض سكان البلاد وأحياناً العمالة الوافدة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية .

المعروفة بـ (شاطئ الجميعات) ، يقع في الناحية الجنوبية من المركز ويربط بين الشاطئ والطريق العام (الدولي) طريق مسفلت جيد ، وفي هذا الشاطئ مظلات ومنتجعات سياحية للسواح والزوار، ولا يخلو جانبا الطريق التي تصل إلى هذا الشاطئ من خبوت وغابات مليئة بالحشائش والأشجار الخضراء الكبيرة [١] .

٤. بلاد القوز مخدومة بشكل لابأس به تنموياً وحضارياً، لكن مازالت بحاجة إلى مؤسسات تعليم عالية فهي تفتقد إلى ذلك. كما تخلو من وجود شركات كبيرة تستثمر في أراضيها الزراعية الجيدة ، وشواطئها الجميلة ، وأيضا الاستفادة من سهولة أرضها وانبساطها وما تحتوي عليه من موارد طبيعية وبشرية[٢] .

ب ـ مركز المظيلف :

جاء اسم المركز من اسم بلدة المظيلف التي تبعد عن مدينة القنفذة شمالاً حوالي (٤٥) كم . ولا ندري متى ظهر اسم (المظيلف) ، ويذكر بعض العارفين من أهل هذه البلاد أن الاسم ربما ظهر في بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكان هناك بئر يرتادها المسافرين وبعض الحجاج ، وعلى مقربةٍ من البئر تل صخري عرف باسم (مظيلف) ، ربما لأن أظلاف المواشي تصدر أصواتاً وأحياناً تتكسر إذا مشت عليها ، ومن ثم عرفت بهذا الاسم (المظيلف) [٣] .

أقول إن الاسم ربما يكون له صلة بأظلاف المواشي، كما ذكر بعض أهل البلاد ، لكن هذه الناحية بموقعها الجغرافي المميز ، فهي تربط بين الساحل والخبت وسفوح السروات الغربية ، لابد أن تكون معروفة منذ زمن بعيد . وإذا كانت كتب الرحالة والجغرافيين الأوائل أشارت إلى العديد من المحطات التجارية التهامية ، فإنها لم تشر إلى بلدة المظيلف ، وبعضها ذكرت الأودية القريبة من البلدة مثل أودية قرماء، والأحسبة ، ولومة وغيرها[٤] . والذي جعل اسم المظيلف يطغى على ما حوله ، حتى أصبح يعرف باسم (مركز المظيلف) ، هو سوقها الأسبوعي يوم الأحد ، فموقع الأرض وتوسطها جعلت

---

(١) زيارة الباحث ومشاهدته لهذا الشاطئ في (٢٢/١١/١٤٤٢هـ) .

(٢) مركز القوز وعموم بلاد تهامة الممتدة من جازان إلى مكة المكرمة تتميز بالكثير من العوامل والمؤهلات الجيدة التي تساعد على قيام حضارة تنموية حديثة متنوعة في مجالاتها وأهدافها . أرجو من أصحاب رؤوس الأموال في المملكة العربية السعودية أن يلتفتوا إلى هذا الأمر ، ومن يفعل ذلك فسوف يجد ضالته في تطوير استثماراته، وخدمة أرض وسكان هذه البلاد الجديرة بالاهتمام والتطوير .

(٣) مقابلة مع حامد عبدالله محمد الزبيدي في منزله بقرية حدب زُبيد في (٢١/١١/١٤٤٢هـ) . **كما انظر مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٤٠ .

(٤) لمزيد من التفصيلات انظر بعض الجغرافيين والرحالة المتقدمين والمتأخرين ، وقد ذكرت الكثير منهم في كتاب (بلاد القنفذة..) ، القسم الثالث ، في طبعتيه الأولى والثانية .

الكثير من القبائل والناس يرتادون هذا المجمع التجاري الأسـبوعي . ومما جعل السوق يعرف ويشتهر أنه وجد الرعاية والصيانة والحماية من شيوخ قبيلة زُبيد ممثلة في أسرة آل مرزوق ، الذين كانوا ومازالوا أصـحاب هذه الناحية وشـيوخها[١] . والأسـتاذ عاتق بين غيث البلادي فصـل الحديث عن التركيبة البشرية وأجزاء من التركيبة الجغرافية لبـلاد المظيلف (مركـز المظيلف) . وهو صـاحب ريادة في هذا الجانـب[٢] . ومازالت نواحي المظيلف (أرضـاً وسكاناً) تحتاج إلى من يدرسـها تاريخياً وأثرياً وحضارياً منذ بداية العصر الحديث إلى وقتنا الحاضر[٣] .

والمظيلف متأخرة نوعاً ما عن بلاد القوز تنموياً ، فهي لا تخلو من شـوارع رئيسـية مسـفلتة غـير الطريق العام (الـدولي) ، وطريق آخر مزدوج بعرضـ (٤٠-٥٠م) يربط مدينـة المظيلف مع الشـاطئ (الكورنيشـ)[٤] . وطريق آخر مـزدوج يخرج من المدينة تجاه المخواة والعرضـيات ، وهو طريق رئيسـي مزدحم يرتاده الكثير من المسـافرين ، ويربـط بـين أجزاء من السـهول التهامية وبلـدان عديدة في مناطق عسـير ، والباحة ، والعرضـيات[٥] . ويتخلل مركز المظيلف العديد من الطرق الكثيرة ذات المسار الواحد ، وتتفاوت في أطوالها ، وعرضها . ومازال هناك نواحي في المركز تستحق الخدمة والرعاية وبخاصة في طرق المواصلات الفرعية ، أو الداخلية ، ومشاريع خدماتية أخرى[٦] .

العمارة في المركز تتراوح من طابق متوسط أو صغير المساحة في القرى إلى طابقين وثلاثة وأحياناً أربعة وبخاصـة في مدينة المظيلف. وتتنوع الأبنية من مسـاكن خاصـة ، وهـي الأكـثر، إلى عمـارات حكومية أو تجارية أخـرى مثل المدارس، وبعض المؤسسـات الحكومية الأخرى ، ومحلات تجارية (دكاكين صـغيرة ومتوسـطة ، وورش للسـيارات ، ومحطات للبترول) ومعظمها في مدينة المظيلف ، وعلى الشـارعين العام (الدولي) أو

---

(١) بلـدة المظيلـف ومشـيخة آل مرزوق الزُبيديين لهذه البلاد موضـوع جديد لم يدرسـ . أرجو من أفراد هذه الأسرة الكريمة أن يتعاونوا مع بعض المؤرخين والباحثين الجادين الحياديين فيخرجوا دراسة علمية موثقة عن الأرض وشيوخها وأهل البلاد .

(٢) انظـر كتابـه : **بـين مكـة واليمـن (رحـلات ومشاهـدات)** (مكـة المكرمـة : دار مكـة للطباعة والنشـر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص٨٠-١٠٨ .

(٣) آمل أن نرى من مؤرخي تهامة من مكة إلى جازان من يقوم بهذا العمل العلمي . كما أرجو أن يكون للكليات الجامعية في محافظة القنفذة دور علمي يصب في خدمة المحافظة بحثياً وتوثيقياً .

(٤) هذا الشـاطئ مخدوم ببعض الألعاب ، وجلسـات ، ومظلات ، وعلى مقربة منه إدارة سلاح الحدود . وهذا الطريق الذي يربط بين المدينة والشاطئ جيد في هيئته الإنشائية ، وسوف يكون له وللمدينة مستقبل تنموي جيد (بإذن الله تعالى) .

(٥) هذا الطريق قديم ، وقد جرى عليه إصلاحات وتوسيعات بين المخواة والمظيلف حتى صار مزدوجاً . ومازال جزء منه في بلاد العرضـيات من المخواة إلى محايل وأبها يحتاج إلى توسـعة حتى يصبح مزدوجا ، لأهميته ، وكثافة المسافرين عليه .

(٦) المصدر : رحلة الباحث ومشاهداته يوم الخميس (١٤٤٢/١١/٢١هـ الموافق ٢٠٢١/٧/١م) .

طريق المظيلف المخواة . وشاهدت العديد من الاستراحات وصالات الأفراح المتفاوتة في مساحاتها ، وتزويقها . وفي المدينة بعض الأسواق الحديثة الكبيرة نوعاً ما مثل أسواق البكري، وأسواق الحازمي ، وجرين مول . ومازال سوق الأحد الأسبوعي يقام في مدينة المظيلف كل أحد . وتقوم بلدية المظيلف حاليا بإنشاء سوق شعبي حديث جنوب شرق المدينة ، ومساحته تزيد عن (٢٠٠×٢٠٠م) وقد ينتقل مكان السوق من وسط المدينة إلى هذا الموقع الجديد قريباً[١] .

في مدينة المظيلف على الطرق الرئيسية بعض الشقق المفروشة والوحدات السكنية، والمستوصفات الأهلية ، بالإضافة إلى محلات حرفية وتجارية ومهنية عديدة . ولا تخلو المدينة من بوفيهات ومطاعم تتفاوت في الكبر والصغر ، وأهمها وأكثرها على الطريق العام (الدولي) أو عند المثلث الذي يربط طريق المخواة المظيلف مع الشارع العام . وهناك العديد من المساجد وبعض الجوامع مثل: **(١)** جامع الدعوة على الطريق العام (الدولي) . **(٢)** جامع مليص على الطريق الدولي . **(٣)** جامع العدل طريق المخواة . **(٤)** جامع السوق وسط المدينة . **(٥)** جامع الفرقان على الطريق العام جنوب المدينة. **(٦)** جامع البحرة جنوب شرق المدينة[٢] .

من معالم مركز المظيلف التاريخية والأثرية مدينة عشم. وتبعد عن وسط المدينة الحديثة حوالي (١٥) كيلا. وهي من المدن التاريخية القديمة . وقد بذل الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه جهوداً كبيرة ومباركة فدرس شيئاً من تاريخ المدينة ووثق بعض آثارها ونقوشها وأصدر في ذلك سفراً علمياً كبيراً[٣] . وقد زرت المدينة في (١٤٤٢/١١/٢١هـ) فوجدتها محاطة بسياج حديدي من قبل هيئة السياحة ، ورأيت أثر لبعض التنقيبات الحديثة غير المكتملة[٤] ، وإلى جوارها غرفة بمساحة (٨×٨م) وفيها بعض الملتقطات

---

(١) مشاهدات الباحث يوم الخميس (١٤٤٢/١١/٢١هـ). وتاريخ الأسواق الأسبوعية في محافظة القنفذة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) يستحق أن يدرس ويوثق في بحوث ودراسات عديدة .

(٢) هذه نماذج من الجوامع الكبيرة التي شاهدت بعضها أو أخبرني بعض الرواة عنها. وهي تتفاوت في مساحاتها ومواقعها ومادة بنائها. والحديث عن العمارة بشكل عام وبخاصة القرى القديمة والحديثة وما جرى من تطورات على العمران الحديث في عموم تهامة من مكة إلى جازان موضوع يستحق الدراسة والتوثيق في عدد من البحوث العلمية .

(٣) انظر هذا الكتاب بعنوان : **مواقع أثرية في تهامة : مخلاف عشم** (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) (٥٥٣ صفحة) .

(٤) للأسف أن هذه التنقيبات ليست بعيدة التاريخ ، وسألت من كان معي عن هذا التوقف في أعمال التنقيبات فقالوا إن جائحة كورونا من أسباب التوقف والتأجيل . وآمل أن تواصل الفرق العلمية تنقيبها العلمي ، كما نأمل من هيئة السياحة والآثار ، والجامعات المحلية وبخاصة جامعتي الملك عبدالعزيز وأم القرى أن تسخر بعض طاقاتها العلمية لدراسة تاريخ وآثار البلاد التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى محافظة القنفذة .

الأثريــة المجموعة من بعضــ المواقع في المدينة ، ومحفوظة بطريقــة بدائية وغير عملية ولا علميــة ، بــل موقعها في الغرفة الآنف ذكرها يجعلها في خطر الضـيـاع أو النهب ، لأن الغرفة غير مقفلة بشكل جيد[١] .

وبلاد المظيلف لا تخلو من عوامل طبيعية وجغرافية تساعد في التطوير، فهي تشتمل على شــاطئ بحري لابأس به ، كما لا تخلو من الآثار التاريخية الجيدة ، ومدينة عشــم خــير مثال علــى ذلك. ويوجد فيهــا بعض الخبــوت الرملية الجيدة لرياضــة التطعيس وللســياحة والنزهة في فصل الشــتاء. كما أن موقعها استراتيجي فهي ملتقى الكثير من المناطق والبلدان. لهذا فهي بحاجة إلى تنمية وتطوير أكبر وأفضــل يســاعد على جذب الســواح والــزوار إليها من الســروات ، والحجاز ،ومن مناطق أخــرى عديدة في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي [٢] .

ج ــ مركز دوقة :

يطلق مصطلح (دوقة) على الوادي الذي تبدأ منابعه من سروات منطقة الباحة . وقد بحثت في بعض معاجم اللغة عن معنى هذا الاســم فلم أجد شــرحاً واضحاً لذلك . وورد اسم دوقة عند بعض الرحالة والجغرافيين المتقدمين[٣] . ودوقة قرية قديمة عرفت بهذا الاســم الذي أخذته من اســم الوادي ، ويطلق عليها اليوم دوقة القديمة ، أو دوقة الساحل ، أو دوقة ابن خير ، وتقع على الساحل ، وتبعد عن البحر حوالي (١٠ــ ١٢كم) ، وعن الطريق العام (الدولي) (٤-٥ كم) [٤] .

ظهرت دوقة الثانية ، أو الجديدة ، التي تقع شــرق الطريق العام (الدولي) ، وهي حديثــة النشــأة . وللتفريق بين الدوقتين، عرفت دوقة التي غــرب الطريق العام بالأولى

---

(١) هذا الإهمال وعدم الاكتراث الذي رأيت على هذه الملتقطات الأثرية ، في مدينة عشــم شــاهدت ما يشــابه ذلك في معظم المواقع الأثرية التي زرتها خلال الأربعين عاماً الماضية في عموم بلاد السروات وتهامة . وهذه البلاد مازلنا نجهل الكثير من تاريخها القديم والإســلامي المبكر والوســيط. وإن حفظت آثار ونقوش هذه الأوطان ثم درســت فقد نجد ضــالتنا ونطلع على صــفحات من تاريخها وحضــارتها المبكرة من خلال هذه المصادر العلمية المادية . ومازلنا بحاجة إلى وعي واهتمام كبيرين للآثار السطحية والمدفونة في بلادنا .

(٢) ليست المظيلف وحدها التي تمتلك مقومات جيدة للسياحة وتطويرها . وإنما عموم بلدان السروات وتهامة مــن الطائــف ومكــة إلى جازان ونجــران تتميز بالكثير مــن المؤهلات التــي تجعلها مهوى كثــير من الزوار والسواح داخل المملكة العربية السعودية وخارجها

(٣) ذكرهــا الهمــداني في كتابه: صفــة جزيــرة العرب (الرياض، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م) ص١٣٤١، ٣٨٢ . وياقوت الحموي، **معجم البلدان** (بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، ج٢، ص ٤٨٥. كما ذكرها عدد من مؤرخي الحجاز واليمن في العصــر الإســلامي الوســيط وفي العصــر الحديث جاء ذكرها في العديد من الوثائق والمصــادر والمراجــع العربيــة والأجنبيــة . وتاريخ أودية دوقة ، والأحســبة ، وقنونا ، ويبة ، وحلي ، وجميعها تصــب في ساحل البحر الأحمر في محافظة القنفذة ، تستحق أن يصدر عنها عدد من الدراسات العلمية الموثقة .

(٤) **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١.٢٠م) ، ج١٩٨، ص٢٥٤ .**

، ودوقة الأخرى شرق الطريق بالثانية[١] . والدوقتان وما جاورهما من القرى والمعالم الجغرافية الأخرى إحدى مراكز محافظة القنفذة . ويبعد شمالاً عن مدينة القنفذة (٦٥) كيلاً . وهو آخر مراكز المحافظة من الشمال، ويحده من الشمال محافظة الليث، ومن الجنوب مركز المظيلف ، ومن الشرق الحدود الإدارية التهامية لمنطقة الباحة ، ومن الغرب ساحل البحر الأحمر . وتقدر مساحته بـ (٤١٣كم٢) ، وعدد السكان حوالي سبعة وعشرين ألفاً[٢]. دون البلادي في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أكثر من عشر صفحات عن بلاد دوقة ، وفصل الحديث فيها عن الجغرافيا وشيئاً من تاريخ الناس. وأشار إلى لمحات يسيرة من تنمية هذه الناحية وتطويرها[٣] .

عند زيارتي لمركز دوقة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) شاهدت أموراً عديدة أذكر أهمها في النقاط الآتية :

١- في هذا المركز الكثير من القرى وعدد من العشائر الكنانية وغيرها . وأكبرها بلدة دوقة الأولى وهي أقل من مدينة المظيلف في التنمية الحضارية ، وفيها إدارة المركز وعدد قليل من المؤسسات الإدارية . ويربط بينها وبين الطريق العام (الدولي) شارع مزدوج عرضه تقريبا (٢٥- ٣٠م) ، وذكر لي بعض العارفين أنه من أوائل الطرق المسفلتة في محافظة القنفذة منذ نهاية القرن الماضي (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٤] . وهناك قرى أخرى في طول المركز وعرضه وتتفاوت في مساحاتها وعدد سكانها وخدماتها التنموية[٥] .

٢- عمارات المركز السكنية والحكومية والأهلية مسلحة البناء من الإسمنت والخرسانة والحديد . وطوابقها من طابق واحد إلى ثلاثة، ولها بعض المرافق مثل الأحواش ، ومستودعات وخزانات مياه وغيرها . وتكاد تكون العمارة

---

(١) يذكر أن دوقة الجديدة أو الثانية شرق الطريق العام عرفت بهذا الاسم عندما تأسست فيها أول مدرسة حكومية حديثة عام (١٣٧٣هـ) فأطلق على المدرسة (مدرسة دوقة الثانية) حتى يكون الاسم مختلفاً عن اسم مدرسة دوقة الأولى . ومنذ ذلك الوقت عرفت الناحية باسم (دوقة الثانية) . مقابلة مع الأستاذين يوسف بن حسن بن يوسف آل علي الخيري ، وحسن الشهابي في منزل الأول بدوقة الأولى في (١٤٤٢/١١/٢١هـ). وهذان الأستاذان الكريمان من وجهاء وأعيان مركز دوقة ، ولهما إسهامات جيدة في خدمة أهلهم وبلادهم .

(٢) مقابلة مع الأستاذين يوسف بن حسن الخيري ، وحسن بن محمد الشهابي في دوقة الأولى في (١٤٤٢/١١/٢١هـ/٢٠٢١م) . كما انظر **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/ ٢٠- ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٣) انظر عاتق البلادي ، بين مكة واليمن ، ص ٦٧- ٧٨ .

(٤) **المصدر : مقابلة مع حسن الشهابي في منزل يوسف الخيري في دوقة الأولى في (١٤٤٢/١١/٢١هـ) .**

(٥) زودني يوسف بن حسن الخيري بمذكرة من أربع صفحات ، **يوجد منها نسخة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠- ٢١م)**، ج١٩٨، ص ٢٥٤- ٢٥٧ .

في دوقة الأولى أكبر وأفضــل في التشــييد والديكورات والتزويــق[١] . ويذكر أن هناك مخطط معتمد من البلدية ، لكنه لم يتم استلامه حتى الآن (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) [٢] .

هناك أبنية أخرى حديثة مثل بعض الأسواق الصغيرة والمتوسطة على الطريق العــام (الــدولي) وفي دوقة الأولى. واســتراحات وصــالات احتفــالات ، وهي قليلــة ، ومتفاوتــة في مســاحاتها ومرافقها . ويذكر أنه كان هناك ســوق الأحد الأســبوعي في دوقة الأولى ، وقد تلاشــى واندثر منذ عقدين . وفي مثلث مركز دوقة ســوق الجمعة الأسبوعي ، وهو من الأســواق النشطة التي يرتادها الكثير مــن المتســوقين في محافظة القنفــذة ، وتقــوم البلدية ببناء مقــر حديث لهذا السوق على الطريق العام (الدولي) ، ولم ينته تشييده بعد . ولا يخلو المركز من بعض المؤسســات التجارية على الطريق الذي يربــط الطريق العام (الدولي) بالدوقتــين الأولى والثانية. ومن المؤسســات الحكومية التي عرفتها وشــاهدت بعضــها عدد من مدارس التعليم العام وجميعها أبنية حكومية . ومستوصــفان حكوميــان أحدهمــا في دوقة الأولى ، والآخــر في دوقة الثانيــة ، ومقر المركز ، ومركز للتنمية الاجتماعية وعدد من محطات الوقود وبعض الأســواق التجارية الصغيرة في المثلث وشمال المركز[٣] .

٣- مــن معالم مركــز دوقة بعض الصــحاري (الخبوت) وأهمهــا جزء من خبت الدوايا جنوب وادي دوقة ، وهو أرض واســعة جداً ، يزرع فيه بعض المحاصــيل الزراعية مثل: الذرة ، والسمسم ، والدخن . وشاهدت في بعض أجزائه أعداداً كثــيرة من الإبل ، وبعض الأشــجار المتفاوتة في النــوع والأحجام . وهناك خبت آخر يســمى (خبت المطيريح) ، شمال وادي دوقة ، والجزء الشرقي منه يحده حدبة بني شــهاب غرباً ، وأجزاء من تهامة الباحة شــرقاً . ويشبه خبت الدوايا في مكوناته الجغرافية[٤] .

---

(١) لم تعد دوقة الأولى قرية وإنما أصبحت مجموعة قرى عديدة وحديثة تكونت منها البلدة . ويلاحظ أن قرى دوقــة القديمــة كانت في الوادي ، وعند وصــول التطــور والتنمية الحديثة إلى مركز دوقة بدأ انتقال ســكان القرى تدريجياً من داخل الوادي إلى أعلاه وجوانبه ، وذلك تجنباً لسيول الوادي، ومسايرة التطور العمراني الحديث من حيث التخطيط وتوفير الخدمات اللازمة .

(٢) أخــبرني بعض الأعلام في مركــز دوقة بأن هذا المخطط الآنف ذكره في دوقة الأولى يتردد ذكره منذ أربعة عقــود وحتــى هذا العام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) لم يتحقق تســليمه والاســتفادة منه . مع أن بلاد دوقة ســهلة ومنبسطة ، ولا تحتاج إلى جهود كبيرة لقيام مخططات عمرانية حديثة .

(٣) **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة** (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) ، ج١٩٨، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(٤) شاهدت أجزاء من هذين الخبتين (الدوايا ، والمطيريح) في ٢١/١١/١٤٤٢هـ) .

٤- يوجد في المركز عدد من المقابر ، وأغلبها يشترك فيها قرى عديدة . ويذكر أن هناك مقبرة أثرية جنوب بلدة دوقة على طريق الحاج القديم ، ولم أقف عليها ، تسمى مقبرة (أمهات زينة) [١] . كما شاهدت بعض المساجد الصغيرة وجامع أو جامعين ، وجميعها صغيرة متواضعة في تشييدها وتزويقها مقارنة بالجوامع والمساجد التي وقفت عليها في القنفذة والمظيلف وأجزاء أخرى من محافظة القنفذة [٢] .

٥- لم أر أمكنة للسياحة والاسترخاء ، مع أن مركز دوقة لا يخلو من مؤهلات طبيعية جميلة تصلح كمواقع للسياحة والانتجاع . ويذكر أن هناك منتجعاً بحرياً شمال دوقة الأولى بحوالي (١٥كيلاً) اسمه رأس محيسن ، وهو يطل على البحر ، ويكثر فيه السمك، ويرتاده الكثير من السواح والمتنزهين [٣] .

د- حلي (مركزا حلي وكنانة) :

وادي حلي من الأودية الكبيرة في بلاد السراة وتهامة ، تبدأ منابعة من سروات منطقة عسير حتى يصب في البحر الأحمر بمحافظة القنفذة . طوله في بلاد القنفذة من الشرق إلى الغرب حوالي (٣٥ــ٤٠كم) ، وعرضه تقريباً (٣ـ ٤كيلاً) . وبلاد حلي في تهامة مذكورة في كتب التراث الإسلامي المبكرة ، كانت مقراً لإمارة محلية يسوس أحوالها السياسية والإدارية أسرة بني حرام الكنانية . وهناك مصادر ومراجع عديدة فصلت الحديث عن تلك الإمارة أو الأسرة خلال القرون الإسلامية الوسيطة[٤] .

---

(١) تاريخ الآثار والمقابر القديمة وطريق الحاج القديم في تهامة الساحلية والسهلية من عدن والحديدة وجازان إلى مكة المكرمة موضوعات مهمة وجديدة في بابها وتستحق أن تدرس في عدد من الرسائل أو البحوث العلمية .

(٢) ذكرت سابقاً ومازلت أنادي بدراسة مساجد وجوامع تهامة من جازان إلى مكة خلال قرن من الزمان (١٣٤٠ــ ١٤٤٢هـ/١٩٢١ــ ٢٠٢١م) . وهذا الموضوع جديد في بابه يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية . وعلى الجامعات والكليات والأقسام العلمية المحلية واجب كبير فتدعم وتدرس وتوثق تاريخ هذا الجانب الحضاري .

(٣) لم أقف على هذا المنتجع السياحي ، ويذكر أنه جبل يشرف على البحر ، وفيه الكثير من الأشجار ، ولا يخلو من بعض الخدمات السياحية . وذكر لي يوسف بن حسن الخيري وحسن الشهابي أن هناك مرسى دوقة القديمة الذي مازال يرتاده بعض الصيادين للأسماك ، وقالا أنه غير مخدوم ولا يرتاده إلا القليل من الناس . وأقول إن مركز دوقة مازال يحتاج إلى بعض الخدمات التنموية الضرورية في الطرق ، وتنميته العمرانية ، ومرسى دوقة القديم وغيرها .

(٤) من المؤلفين والرحالة الأوائل والمتأخرين الذين ذكروا بعض المعلومات التاريخية والحضارية عن بلاد حلي، المعروفة أيضاً بـ (حلي بن يعقوب) أول أفراد أسرة بني حرام الكنانية في حلي . هم : ابن خرداذبة ، والمقدسي ، وأبو الفرج قدامة ، وابن حوقل ، والهمداني ، والإدريسي ، والبكري ، وياقوت الحموي ، وابن المجاور، وابن بطوطة ، وأبوالفداء ، والفاسي ، وبعض مؤرخي أسرة آل فهد المكية ، والخزرجي ، وابن الديبع، وعمارة الحكمي ، وابن حاتم اليامي الهمداني ، والعصامي ، وفلبي ، والبلادي ، والزيلعي وغيرهم . للمزيد انظر صفحات عديدة عن بلاد حلي أو مخلاف حلي ، أو إمارة حلي في العصر الإسلامي الوسيط في القسم الثاني من كتاب (بلاد القنفذة...) . وإمارة حلي في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة مازالت بحاجة إلى دراسات أعمق وأفضل وأطول .

تبعـد ناحية حلي التابعة لمحافظـة القنفذة (٦٥) كيلاً جنوباً عن مركز المحافظة ، ويعبر أرضـها الطريق العام (الدولي) الرابط بين جدة ومكة المكرمة إلى القنفذة ، ثم الدرب فجازان . وتشـتمل هذه الناحية على مركزين إداريين ، هما: (١) مركز حلي في بلدة الصـفة تأسـس عام (١٣٤٣هـ/١٩٧٩م) . وتبلغ مسـاحة أراضي المركزين تقريباً (٦٠٠٠كم٢) ، وعدد سكان عموم البلاد الحلوية حوالي (٤٨٠٠٠ـ ٥٠٠٠٠) نسمة[١] .

ويذكر الشيخ محمد بن حمد العمري [٢] ، شيخ قبائل عموم الساحل بحلي (١٢) قبيلة تسـتوطن بلاد حلي التابعة لمحافظة القنفذة . مع تحديد مواقعهم الجغرافية [٣] . وأشـار إلى أنه يتبع منطقة حلي بمركزيها حوالي (٣٠٠) قرية وهجرة ، ومن أهمها: **(١)** الصفة وبها بعض المؤسسـات الإدارية . **(٢)** سـاحل حلي . **(٣)** حلي قـديم . **(٤)** الكدوة. **(٥)** الفريق والسـلامة . **(٦)** مخشـوش. **(٧)** السبطة . **(٨)** الشعب. **(٩)** الغوانمة . **(١٠)** الخيع . **(١١)** الصـلب . **(١٢)** البيضين . **(١٣)** العصامي. **(١٤)** القاهمة . **(١٥)** بني يحيى. **(١٦)** كياد . **(١٧)** الفلحة . **(١٨)** العينة . **(١٩)** شـيع. **(٢٠)** الخشيعي. **(٢١)** الدراهمـة **(٢٢)** الهيلـة . **(٢٣)** قوز بن عطاف . **(٢٤)** الخوالدة. **(٢٥)** الخضـراء . **(٢٦)** القتاد . **(٢٧)** أبو الرين . **(٢٨)** آل مبارك. **(٢٩)** أم الحاضـر. **(٣٠)** مشـعابة . **(٣١)** الحصـبة . **(٣٢)** بئر الحجر. **(٣٣)** العفاء. **(٣٤)** القضب . **(٣٥)** الشاجن. **(٣٦)** قريـة الهجـرة . **(٣٧)** باقلـة . **(٣٨)** الرونـة . **(٣٩)** شـيع الجديـدة . **(٤٠)** القفل. **(٤١)** الحدبة . **(٤٢)** السحية . **(٤٣)** الحوادثة. **(٤٤)** قرية المعاشية . **(٤٥)** الحيلة بكياد . وغيرها . ومعظم القرى على جانبي وادي حلي الشمالي والجنوبي[٤] .

---

(١) هـذا مـا سـمعته من الشـيخ محمد بـن جابر الأحمـري ، والدكتـور علي بن مقبـول العمري يـوم الجمعة (١٤٤٢/١١/٢٢هــ) . كما زودني الشـيخ محمـد بن حمد العمري بمذكرة في عدة صـفحات عن بلاد حلي بتاريخ (١٤٤٢/١١/٢٧هـ) . يوجد منها نسخة ضمن **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٤٢ـ ٢٥٢ .

(٢) تحدثت مع هذا الشـيخ هاتفياً، ولم أقابله حتى تدوين هذه السـطور، وقد زودني بمذكرة مكتوبة تقع في (١١) صـفحة عن بلاد حلي في العصر الحديث والمعاصر ، وتحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية جيدة عن هذه الناحية ، ويوجد منها نسخة ضمن **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٤٢ـ ٢٥٢ .

(٣) وهـي : (١) قبيلـة عمور السـاحل . (٢) قبيلة العمور بالسـبطة . (٣) قبيلة المشـايخ . (٤) قبيلة الغبشـة . (٥) قبيلـة الصُـحب (الفريـق) . (٦) قبيلة كيـاد. (٧) قبيلة الغوانمة . (٨) قبيلة الصـحب الردحة . (٩) قبيلـة الأحامـرة . (١٠) قبيلة السـلامة . (١١) قبيلة العلاونة . (١٢) قبيلة كنانة . والشـيخ العمري دون موقـع وحـدود كل قبيلة ، وأسـماء وشـيوخ هذه القبائل أثنـاء تدوين مذكرته في شـهر ذي القعدة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وبلاد حلي مازالت بحاجة إلى دراسات تاريخية موثقة في العصر الحديث من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) .

(٤) **المصـدر: مذكـرة الشيخ محمـد العمري ، ونسخة منها في مكتبة د. غيثان بـن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٤٤. وقد زرت بعض هذه القرى عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ووجدت بعضـها مليئة بأنماط العمارات الحديثة وبخاصـة الكبيرة مثل: الصفة ، وكدوة ، والفريق ، والخيع وغيرها . وهناك قرى متواضعة مازالت أكثر أبنيتها شعبية ، وبعضها تجمع بين العمارة الحديثة والمنازل الشعبية .

يوجد في وادي حلي بعض المؤسسات الحكومية والأهلية الحديثة مثل: مركز حلي بالصفة ، وبلدية حلي ، وإدارة الدفاع المدني ، وكتابة العدل بحلي ، وهيئة الهلال الأحمر بالفريق ، ووحدة المباحث الإدارية بكياد ، والبريد السعودي ، ومكتب التعليم، ومكتبة الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات ، وجمعية البر ، وجمعية حافظ ، ولجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بالكدوة ، ولجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بحلي ، ووحدة الكهرباء. ومدارس التعليم العام بجميع مراحلها (١) .

أثناء تجوالي في بلاد حلي يوم الجمعة (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) شاهدت وسمعت عن الكثير من المخططات العمرانية الحديثة، كمخططي الصفة والفريق ، وتخطيطهما حديثاً ، وأصبحا مكتظين بالعمائر الحديثة ، والشوارع الجيدة والمتفاوتة في أطوالها وعرضها . وهناك مخططات أخرى مثل: السلامة ، والشعب ، والخيع ، والكدوة ، والسبطة ، والبيضين ، والعصامي، والعفاء بساحل حلي ، ومخطط العينة بقرى الأحمري ، ومخطط المنطقة المركزية والمؤسسات الرسمية (٢) ٠ وبعض هذه المخططات أصبحت مأهولة بالسكان ، وأخرى مازالت في بداية تطورها ونهضتها العمرانية(٣) .

بلاد حلي زراعية ورعوية جيدة ، لكثافة غطائها النباتي من الحشائش والأشجار. وهناك أراض زراعية طينية تشرب من مياه الوادي الجارية ، وغالباً تحجز بالعقوم الترابية أو الحجرية (٤) . وأراضي رملية خبتية تعتمد على الأمطار(٥) . وذُكر لي أسماء

دراسة تاريخ العمارة في تهامة من مكة المكرمة إلى جازان خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠ـ ١٤٤١هـ/١٩٢١ـ ٢٠٢٠م) موضوع جديد لم يدرس ويوثق. آمل أن نرى من يقوم بهذا العمل العلمي ٠

(١) هذا ما سمعته من بعض أعلام بلاد حلي في مجلس الشيخ محمد بن جابر الأحمري في(١٤٤٢/١١/٢٢هـ). انظر **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٤٥ ٠ والتاريخ الإداري الحديث في حلي أو عموم محافظة القنفذة موضوع جديد يستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية .

(٢) المصدر: مذكرة الشيخ محمد العمري ، ص٣. يوجد منها نسخة في **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ، ج١٩٨ ، ص ٢٤٤ ٠

(٣) من خلال سيري في جميع مراكز محافظة القنفذة وجدت بلاد حلي تأتي في المرتبة الثانية بعد مدينة القنفذة من حيث كثرة المخططات والتطور العمراني المتسارع الذي تمر به هذه الناحية . وأعتقد أنه إذا استمرت على هذا النهج التنموي الحديث ، فسوف تكون مدينة حضارية كبيرة خلال سنوات عديدة قادمة٠

(٤) من العقوم التي سمعت عنها في وادي حلي عقما الرصاص وجعيرة . وهذان العقمان تم تشييدهما والتعارف عليهما منذ عهد الملك عبدِالعزيزِ بن عبدالرحمن الفيصل عندما شكلت لجنة باسم (لجنة الجنوب) ، زارت الوادي ووضعت عرفا وقرارا ينظم قنوات الري وتجمع المياه وإعادة توزيعها حسب الحاجة لبعض سكان الوادي. وكان من نتائج ذلك بناء العقمين اللذين من خلالهما تم توزيع وتنظيم ري أجزاء من أراضي أهل حلي الزراعية. ومن خلال سيري في أجزاء من تهامة من جازان إلى مكة المكرمة شاهدت الكثير من العقوم الحجرية ، والترابية ، والخرسانية . وجميعها تخدم الحياة الزراعية والرعوية لسكان هذه البلاد . **تاريخ العقوم في تهامة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع لم يدرس في هيئة كتاب أو بحث علمي ، وهو يستحق الدراسة والتوثيق .**

(٥) من خبوت وادي حلي خبت حدب ، وخبت الأحامرة ، وخبتي عمور السبطة ، وعمور الساحل وغيرها . والأراضي الزراعية الخبتية والطينية في تهامة مثل الأراضي الزراعية الخبتية والطينية في تهامة مثل

بعض الآبار القديمة في وادي حلي مثل الآبار الهلالية في ساحل حلي ويزيد عددها عن الخمس آبار على طريق الحاج ، وبئر الحطمي في ساحل حلي ويقال أن جباة الزكاة كانوا يردون عليها لأخذ زكاة الأموال ، وبئر الغويدية في قرية الشعب[١] .

ومن مصادر المياه للشرب والزراعة سد وادي حلي ، ويقع في الجزء العلوي للوادي ويبعد عن مركز حلي حوالي (١٥كم) ، وهو من أكبر سدود المملكة يصل ارتفاعه إلى (٨٧) متراً ، وطاقته التخزينية (٢٥٠) مليون متر مكعب، وموقع السد على وادي حلي الذي يزيد طوله من منابعه الرئيسية في السروات أكثر من (١٤٠) كيلاً . والسد من الروافد الهامة لخدمة بلاد حلي في محافظة القنفذة تنموياً واقتصادياً [٢] .

وأوطان حلي مليئة بالأنشطة الاقتصادية المتنوعة ، فهناك بعض الأسر والأفراد يمتلكون قطعاناً من الإبل والمواشي التي تربى ويتاجر ببعضها في أسواق المحافظة الشعبية . وهناك زراعة لبعض المحاصيل مثل: الذرة ، والدخن ، والسمسم ، والخضروات والفواكه وبخاصة المانجو ، والنباتات العطرية ، والحمضيات [٣] . أما الأعمال التجارية فهي الأكثر نشاطاً في وادي حلي، فلا تخلو أي ناحية كبيرة ومكتظة بالسكان من دكاكين تجارية صغيرة ومتوسطة تبيع الكثير من السلع التي يحتاجها الناس[٤] . ويقع على

الأراضي العثرية والمسقوية في السروات من بلاد قحطان ووادعة جنوباً إلى الطائف شمالاً. فالأولى تشرب من مياه الأمطار ، والثانية (الطينية أو المسقوية) تسقى من مياه الآبار . **المصدر : جولتي مع الشيخ محمد بن جابر الأحمري في أجزاء من وادي حلي في (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) . وأيضاً جولاتي في بلاد السراة خلال الأربعين عاماً الماضية . آمل أن نرى باحثة أو باحثاً يقوم بدراسة مقارنة لتاريخ الزراعة في السراة وتهامة خلال قرن من الزمان (١٣٤٠- ١٤٤٠هـ/ ١٩٢٠- ٢٠١٩م) .**

(١) وقفت على بعض هذه الآبار ، وآبار أخرى عديدة في مراكز القوز ، والمظيلف ، وسبت الجارة ، ودوقة . ولم تعد غزيرة المياه كما كانت في السابق، ولم يعد لها أهمية كبيرة عند الناس اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، وذلك لتوفر مصادر مياه أخرى عديدة . وتاريخ الزراعة في وادي حلي منذ ثمانية عقود حتى الآن موضوع جديد لم يدرس حبذا أن يتخذه أحد طلاب الدراسات العليا في جامعتي الملك عبدالعزيز أو أم القرى موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٢) **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)** ، ج ١٩٨ ، ص ٢٤٦. وبلاد القنفذة محظوظة جداً لوجود عدد من السدود المائية في بلادها أو قريب منها . ومن أهمها سد قنونا الذي يقع على الحدود بين محافظتي العرضيات والقنفذة ، وسد حلي فهما يوفرآن مصادر مائية جيدة لأجزاء كثيرة في محافظة القنفذة . وتاريخ السدود في محافظة القنفذة وما حولها موضوع جيد حبذا أن يدرس ويوثق في عمل علمي موثق .

(٣) ليست حلي الوحيدة التي تزرع في أرضها هذه المزروعات ، بل توجد في معظم مراكز المحافظة وبخاصة الساحلية منها مثل القوز ، والمظيلف ، ودوقة. واليوم تراجعت الزراعة في عموم بلدان السروات وتهامة ، واستبدلت بالكثير من الأعمال الوظيفية والمهنية والتجارية .

(٤) الذاهب في أرجاء بلاد تهامة والسراة اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) يجد جميع احتياجات الناس في الأسواق الحديثة . بجميع أنواعها وأحجامها . بخلاف الماضي الذي كانت معظم الأغراض التي تحتاجها الأسر أو الأفراد من أعمال أهل البلاد ومهنهم مثل الصيد ، والزراعة ، والتجارة ، والحرف الصناعية اليدوية المتنوعة . والعكوف على دراسة مقارنة عن حياة الناس الاقتصادية قديماً وحديثاً في محافظة القنفذة أوتهامة بشكل عام موضوع مهم وجديد في بابه .

الطريق العام (الدولي) أسواق متوسطة أو كبيرة نوعاً ما وفيها الكثير من البضائع المختلفة . ومن الأسواق الحديثة التي شاهدتها في حلي مركز التوفير ، ومركز يارا ، ومركز النهضة ، ومتاجر المملكة . وبعض ورش السيارات المتنوعة في أعمالها ، ومحطات عديدة للبترول ، ووحدات سكنية وشقق مفروشة على الطريق العام وفي بعض المخططات الجديدة مثل مخطط الصفة وغيره[١] . ولا تخلو البلاد من استراحات صغيرة ومتوسطة، وبعض قصور الأفراح التي تقام فيها بعض المناسبات الكبيرة[٢] .

عرفت بلاد حلي العديد من الأسواق الشعبية القديمة ، منها ثلاثة توقفت عن العمل خلال العقود الماضية المتأخرة ، وهي: **(١)** سوق الإثنين في قرية مخشوش . **(٢)** سوق خميس الصفة في القرية نفسها . **(٣)** سوق الربوع (الأربعاء) السبطة. وهناك سوق رابع مازال يعمل حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) هو الأحد في كياد ، وقد تم تشييده حديثاً من قبل بلدية حلي ، ومساحته تقريباً (٤٠٠×٤٠٠م)، ويعد من أنشطة الأسواق في محافظة القنفذة ، يرتاده الكثير من المتسوقين في بلاد تهامة وبعض السرويين [٣] .

لا تخلو حلي من بعض المنتجعات والمواقع السياحية والتاريخية ، ففي كثير من سهولها وساحلها خبوت أو غابات جميلة مكتظة بالكثير من الأشجار الصغيرة والكبيرة[٤] . ومنتزه حلي الوطني شرق قرية العينة يمتد على مساحة تزيد عن ستة ملايين متر مربع[٥] . وشاطئ ساحل حلي ، ومناظر عديدة حول سد وادي حلي ، ومتنزهات أخرى شرق حلي بقرية السبطة [٦] ، وجزيرة جبل الصبايا[٧] .

وتحوي ناحية حلي الكثير من المقابر القديمة والحديثة ، الصغيرة والكبيرة ، مثل: المقابر الدائرية شرق قرية العينة ، ومقبرة معشي القافلة في ساحل حلي ، ومقبرة قوز الشاهد في بلاد الأحامرة ، ومما يلفت النظر في بعض تلك المقابر اتساع مساحتها وكثرة المقابر القديمة فيها وبخاصة في بلاد العمور والأحامرة . ولا أعلم ما هو السبب،

---

(١) مشاهدات الباحث أثناء تجواله في نواحي عديدة من بلاد حلي يوم الجمعة (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) .

(٢) المصدر نفسه . مقابلة مع الشيخ محمد بن جابر الأحمري ، والدكتور علي بن مقبول العمري في (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) .

(٣) تاريخ الأسواق الأسبوعية في وادي حلي أو محافظة القنفذة من الموضوعات المهمة للبحث والدراسة . آمل أن تدرس من قبل المؤرخين وطلاب الدراسات العليا في الجامعات السعودية .

(٤) مشاهدات الباحث لبعض هذه الغابات والمنتجعات في (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) انظر الخلاصة التي كتبها الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه والمنشورة في ملحق رقم (٤٢) من كتاب (بلاد القنفذة ....) .

لكن ربما نتيجة حروب طاحنة بين أهل البلاد قديماً[(١)] .

ورأيت في الأجزاء الداخلية من وادي حلي بعض القلاع والتحصينات العسكرية التي يعود تاريخها إلى قرون إسلامية مبكرة. وربما شيدت بسبب حروب على الأراضي والماء . ويبدو أن هذه البلاد كانت محكومة ببعض القوى السياسية المحلية ، ولا يستبعد أنها تعود إلى تاريخ أمراء بني حرام الذين حكموا وادي حلي خلال القرون الإسلامية الوسيطة [(٢)] .

أشـار بعض الـرواة إلى أن بلاد حلـي عرفت العديد مـن الكتاتيب خـلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) قبـل بداية التعليـم النظامي مثـل: (١) كُتّاب أحمد بدوي الشـاعري . (٢) كُتّاب يحيى بن جابر الغانمي المعروف باسـم (الجعر) . (٣) كُتّاب علي بن عمر الغانمي في قرية الغوانمة . (٤) كُتّاب علي بلقاسـم السـيد النهاري في قرية السلامة . (٦) كُتّـاب عمـر حمزة العلوي الملقب بـ (زهيري) . (٧) كُتّـاب عبدالكريم بن علي العلـوي في قريـة منجية . (٨) كُتّـاب عابث بن محمد الشـقيبي في قرية الردحة. (٩) كُتّاب أحمد بن عبدالله الصحبي [(٣)] .

بدأ التعليم النظامي في حلي من بداية سـتينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، ثم تكاثرت المدارس النظامية للبنات والبنين حتى صارت في كل ناحية وقرية أو بلدة كبيرة في عموم الـوادي. ويوجد اليوم (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) مكتب تعليم في بلاد حلي يشـرف على جميع المدارس الحكومية . وهناك معهد مهني على وشـك الافتتاح . ويخلو مركزا حلي وكنانة من كليات جامعية ، وهذا ما يطالب به أهل هذه الناحية ، والسكان بحاجة إلى تأسيس بعض الكليات العلمية العالية التي تخدم بنات وأبناء عموم منطقة حلي وما جاورها من بلدان تهامة [(٤)] .

---

(١) أراضي بلاد العمور والأحامرة في وادي حلي واسعة جداً ، وغنية بمواردها الطبيعية . وقد تحدثت مع بعض أعيانها وشـيوخها ، وسـألتهم هل لهم صلة نسـب مع بني الأحمر وبني عمرو في بلاد رجال الحجر بمنطقة عسـير ؟ فقالوا نحن من كنانة ، وعندما تجولت في بلادهم ، وسـمعت لهجاتهم ، وبعض أسمائهم ، وأسماء بعض المواقع في أراضيهم وجدتها مشابهة لأسماء أعلام بشرية وطبيعية في بلاد رجال الحجر السروية ولا يسـتبعد أنهم أو بعضـهم من الأزد وليسـوا من كنانة . هذا الموضـوع مازال يحتاج إلى مزيد من الدراسات التاريخية والأثرية التي قد توضح جذور هؤلاء الأقوام .

(٢) من خلال ما سـمعت وشـاهدت في حلي السـاحلية والداخلية وجدت الكثير من المصادر المادية الأثرية التي تعكـس صـفحات من تاريخ هـذه الأوطان في قرون تاريخية قديمة وإسـلامية . ومازالت هـذه المواقع والآثار تحتاج إلى دراسات وتفسيرات علمية ، وإن تم ذلك فقد نطلع على بعض الأحداث والتواريخ العلمية المفقودة.

(٣) **المصدر : مذكـرة الشيـخ محمـد العمـري . يوجد صـورة منها في مكتبـة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/ ٢٠-٢١م)** ، ج١٩٨ ، ص ٢٨٤٠ حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ التعليم في حلي وعموم بلاد القنفذة من منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي إلى منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م) .

(٤) تجولـت في البـلاد الممتدة من البرك ومحايل إلى القنفذة والليث ، ووجدتها مكتظة جداً بالسـكان ، وفيها الكثير من الطالبات والطلاب الذين يدرسـون في جامعات المملكة المتفرقة . وبعضـهم يدرسون في الكليات

زودني الشيخ محمد العمري بصفحات عديدة عن بعض الفنون الشعبية التي مارسها وعرفها الأوائل في وادي حلي وما جاوره . وذكر بعض الألعاب الرياضية القديمة. كما وثق لمحات من المفردات والاصطلاحات اللغوية (اللهجات) التي مارسها أو يمارسها أهل حلي ، ولم يغفل الإشارة إلى بعض الأعراف والعادات والتقاليد التي عرفها ومارسها أهل البلاد في الأعياد ، وتوديع الحاج والمسافر ، والسماية (السموة) ، وتقاليد أخرى في حياة الناس العامة والخاصة[1] . ومن خلال تجوالي في أجزاء عديدة من منطقة حلي وجدت الكثير من الفنون الشعبية والألعاب الرياضية وعادات وتقاليد قديمة تلاشت وانقرض الكثير منها، وحل محلها فنون وألعاب وعادات وتقاليد دخيلة مستوردة من داخل وخارج المملكة العربية السعودية[2] .

هـ ـ مركز خميس حرب :

معظم سكان هذه الناحية من قبيلة حرب[3] ، وعرفت بسوقها الأسبوعي الذي يعقد كل خميس فسميت (خميس حرب) . وأهلها في السابق بادية ، وفيهم من يمارس مهنة الزراعة أيضاً[4] . ومركز خميس حرب اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) أحد مراكز محافظة

الجامعية في محافظتي محايل والقنفذة التابعة لجامعتي الملك خالد وأم القرى . وهذه البلاد تستحق أن ينشأ فيها أكثر من جامعة لكثرة سكانها وطلابها وطالباتها .

(١) انظر مذكرة الشيخ محمد العمري ، ص٨ـ ١١ . يوجد صورة منها في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) ، ج١٩٨، ص ٢٤٨ ـ ٢٥٢ .

(٢) إن الذاهب في ربوع بلاد السروات وتهامة من نجران وجازان إلى حواضر الحجاز الكبرى يجد معظم سكانها قبائل عربية قديمة استوطنت هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام ، ومازالت تعيش في مواطنها حتى اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . ومن ثم فهي ذات إرث حضاري كبير في فنونها الشعبية، وألعابها الرياضية القديمة ، ناهيك عن تاريخها وحضارتها في شتى الجوانب . وإذا كان قد وفد إليها الكثير من العناصر البشرية منذ فجر الإسلام حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، لكنها لم تتأثر كثيراً في موروثها الشعبي والثقافي المحلي ، حتى بعد انتشار التعليم العام والعالي الحديث من خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). لكن منذ عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، انفتح سكان العالم بعضهم على بعض بقدر كبير جداً ، وبخاصة في وسائل الاتصال والتواصل ، وأيضاً تقارب أجزاء العالم بالمواصلات الحديثة ، وكل هذا أثر بشكل كبير على موروث أهل البلاد حتى انصرفوا عن كثير من فنونهم الشعبية وألعابهم الرياضية القديمة ، استبدلوها بفنون وألعاب حديثة ، وكان للتمدن والتقنية الحديثة دور كبير في هذه التحولات الاجتماعية والحضارية السريعة . **آمل من جامعاتنا المحلية وكلياتها وأقسامها العلمية أن تدعم وتشجع إنجاز دراسات تاريخية وحضارية تقارن بين حياة مجتمعاتنا المحلية في السراة وتهامة قديماً وحديثاً ، مع ذكر الأسباب والآثار السلبية والإيجابية للتغيرات الحضارية الحديثة التي تمر بها هذه البلاد ، وعموم بلدان المملكة العربية السعودية .**

(٣) تنتشر العديد من العشائر التي تعود في نسبها إلى قبيلة حرب الخولانية في البلاد الممتدة من جازان إلى مكة . وهذه القبائل (العشائر) تستحق أن يدرس تاريخها وبداية قدومها إلى هذه الأوطان التهامية ، وما جرى عليها من تشكيلات وتغيرات ديموغرافية وسياسية وحضارية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة ، والمعاصرة .

(٤) انظر ذكرها عند البلادي في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، فقد أورد بعض المعلومات عنها أثناء ارتحاله فيها ، وقال عنها " خميس حرب قرية صغيرة في فرعة وادي شسع ، تتوسط بين قنونا وبية ... ومزارع حرب

القنفذة الشـرقية [١]، ويبعد عن مدينة القنفذة حوالي (٦٥ـ ٧٠كم) ، وتقدر مساحته بـ (٤٣٦،٦٢كم٢) . يحده من الشـمال بلاد بني عيسـى ممثلة في مركز سبت الجارة ، ومن الجنوب مركز جمعة ربيعة التابع لمحافظة بارق بمنطقة عسير . ومن الشرق مركز ثربـان التابـع لمحافظة المجاردة في عسـير ، ومن الغرب مركز أحد بنـي زيد[٢] . وعدد سكان هذا المركز حوالي عشرة آلاف نسمة[٣] .

يقع خميس حرب على الضـفة الجنوبية لوادي شسـع ، ومن القرى الرئيسـية التي تطل على هذا الوادي خميس حرب (البلدة الرئيسـية) ، والدويمة ، وبحيرة ، والدف، وحـدب الملاحـة ، والمربحة ، واللعباء ، وشسـع[٤] . وقرى أخرى علـى واديي عرف ويبة اللـذان يخترقان المركز ، ومنها: الفالق ، وأم الخشـب ، والسـوداء، والقشـلة وجميعها علـى وادي يبة . وقرى المعقر، والسـلام ، وآل حسـين ، وقـزة ، والمحلقم ، والمريبي على وادي عرف[٥] . وللمركز قرى عديدة في الخبت ، مثل: الحمراء، والوراريد، والوشحاء ، والحصاة ، ووحشة الزير، والخشناء وغيرها[٦] .

قضيت بضع ساعات أتجول في بلدة خميس حرب والقرى القريبة منها فرأيت بعضٍ المدارسٍ للبنات والبنين في أبنية حكومية . كما شاهدت مكتب خدمات البلدية ، ومركزاً صـحياً ، وفرعـاً لجمعيـة البر الخيرية ، ومكتب إشـراف لتحفيظ القـرآن الكريم . ولا يوجد هناك مؤسسات حكومية رئيسية أو خدماتية [٧] .

العمارة في مركز خميس حرب مسلحة ، مثلها مثل المراكز الأخرى ، والأبنية تتراوح من طابق واحد إلى طابقين ، وأحياناً ثلاثة طوابق . ومازال هناك بعض المنازل القديمة

أكثرهـا عشرية ، وهـم بواد رحل إلا القليل منهم " . انظر كتابه : بين مكة واليمن (رحلات ومشـاهدات) ، ص ٣٥٤ ٠ للمزيـد عن بلاد خميس حرب وبخاصـة طبيعتهـا الجغرافية ، عبدالرحمن الشـريف. جغرافية المملكة العربية السعودية : إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض: دار المريخ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ٠

(١) كانت هذه الناحية حتى عشـرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تسـمى (مركز حرب وبني عيسـى) ، لأن خميس حرب ، وسبت الجارة لبني عيسى مجموعة في مركز واحد ٠

(٢) **المصدر : رحلة الباحث ومشاهداته في (١٩ـ ١٤٤٢/١١/٢٠هـ)** ٠

(٣) مذكـرة وصـلتني مـن الدكتـور موسـى حسـين علـي الحربـي ، أحد أعـلام مركـز خميس حـرب ، (في ١٤٤٢/١١/٢٤هـ) ، ويوجد نسخة من هذه المدونة في **مكتبة د. غيثان بن جريس العملية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ٢١م)** ، ج٩٨، ص ٢٢٤ـ ٢٣٠ ٠ وأشـار الدكتور موسـى إلى أن عدد المسـاكن في عموم المركز (٢٤٤٦) ، وعدد الأسر (١١١٠) ، وعدد القرى (٥٤) قرية . المصدر نفسه ٠

(٤) المصدر : مذكرة الدكتور موسى حسين علي الحربي ، ص ١، ٣ ٠

(٥) المصدر نفسه ٠

(٦) المصدر نفسه . لم نذكر جميع قرى المركز ، وإنما اقتصرنا على بعضها وبخاصة الكبيرة ٠

(٧) مشاهدات الباحث في أجزاء من المركز في (١٤٤٢/١١/٢٠هـ) من الإدارات الحكومية التي يحتاجها المركز مجمع قـروي ، أو بلديـة ، ومكتب للتعليم ، ومركز شـرطة ، ومركز للدفاع المدني ، ومراكز صـحية أخرى ، أو مستشـفى ، ووحدة للكهرباء وغيرها . وقد سمعت بعض الأعلام في مركز خميس حرب يطالبون بهذه الإدارات الحكومية ٠

المبنيـة بالبلك ، وهي صـغيرة في أحجامها وعددها . وشـوارع هـذه الناحية تتراوح بين (٤ـ ٧م) في داخل القرى وأجزاء من قريةٍ خميس حرب . أما الطريق الرئيســي الذي يربط القنفذة بخميس حرب ويسـير جنوباً إلى بارق ومحايل فتختلف جودته من مركز أو ناحية لأخرى، لكنه في محيط مركز خميس حرب يبلغ عرضه تقريباً (١٢ـ ١٥م)[١].

يحتـوي المركز على بعض الأسـواق الحديثة داخل بلدةٍ خميـس حرب ، وعلى الطريق الرئيسي المار بالمركز ، لكنها مازالت أسواقاً صغيرة وأحياناً متوسطة ، يباع فيها الكثير من السلع ، ولم أشاهد أسواقاً كبيرة في هذه الناحية . والمطاعم محدودة وصغيرة في خدماتها وإمكاناتهـا[٢]. يوجـد في المركز بعض محطات البترول المحدودة على الطريق الرئيسـي . ومن أكبر معالم المركز السوق الشعبي (سوق خميس حرب) الذي يقع على الشارع العام، قامت بلدية سـبت الجارة بعمارته ، وتركيب بسـطاته ومظلاته على أرض تبلغ مسـاحتها (٢٥٠X٢٥٠م) . وهذا السوق يرتاده الكثير من الناس يوم الخميس ، وبعضهم يأتي إليه من خارج محافظة القنفذة لكثرة ما يعرض فيه من الإبل ، والأبقار ، والمواشي وغيرها من البضائع المهمة والمطلوبة عند كثير من سكان تهامة وأحياناً أهل السراة [٣].

توجد المسـاجد المتفاوتة في مسـاحاتها في عموم قرى المركز ، وقد وقفت عند عدد من المساجد التي تتراوح مساحتها بين (٥مX٥م) إلى (١٠X١٠م) وربما (١٢X١٢م). وهنـاك جوامع في بعض القرى الكبيرة مثـل : خميس حرب ، وملاقي الأودية ، والمعقر، وقزة وغيرها . وربما وصلت مساحات بعضها إلى (٢٥X٢٥م)، أو (٢٥X٣٠م) [٤].

من الأبنية التاريخية والآثارية بخميس حرب القشـلة الواقعة على الضفة الشمالية لوادي يبة ، وهي من عمارات الدولة العثمانية عندما مدت نفوذها على القنفذة والبلاد الممتدة إلى جازان وعسـير[٥]. وهناك ما يعرف بطريق القوافل في الجزء الجنوبي من المركـز ، وهـي آثار الطريق التـي تربط بين القنفذة ومحايل وأبها خـلال القرن الثالث

---

(١) هـذا الطريق الذي يخرج مـن المجاردة نحو خميس حرب حتى القنفذة يحتاج إلى خدمة أفضـل والواجب توسـعته حتـى يصـبح مزدوجـا ، وذلـك لكثافـة الذاهبـين الآيبـين عليـه . **مشاهدات الباحث في (١٩ـ ١٤٤٢/١١/٢٠هـ)** .

(٢) مازال مركز خميس حرب يحتاج إلى خدمات تطويرية وتنموية عديدة ، آمل أن نرى ذلك واقعاً في قادم الأيام ٠

(٣) الأسواق الأسبوعية في تهامة والسراة قديمة ، وكانت مهمة جداً لعموم الناس . وفي الوقت الحاضر انتشرت الأسواق الحديثة ، فتراجعت أهمية الأسواق الأسبوعية الشعبية . لكن مازال بعضها وبخاصة في تهامة من جازان إلى مكة ذو نشاط وأهمية كبيرة . **آمل أن يدرس تاريخ الأسواق في تهامة خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠ـ ١٤٤٢هـ)** ٠

(٤) دخلت عدداً من هذه المسـاجد والجوامع وبخاصـة القريبة من الطريق الرئيسـي الذي يصـل إلى القنفذة والمجاردة ٠

(٥) مشـاهدات الباحث في (١٤٤٢/١١/٢٠هـ) . ينظر أيضـاً مذكرة الدكتور موسى حسين الحربي ، وصورتها ضمن **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٢٧ ٠

عشــر الهجــري ، وبداية القرن (١٤هــ/٢٠م) . عندما كانت القنفذة الميناء الرئيســي لبلدان عديدة في تهامة والسراة[(١)] .

وفي بلاد خميس حرب بعض المنتزهات الطبيعية مثل: (١) متنزه السلام في وادي عرف ، وأكثر أشجاره السيال والسدر. (٢) متنزه شعب السدر ، في الركن الجنوبي من جبال كلال ، وأرضــه منبســطة ، ومليئة بالأشــجار المتنوعة . (٣) متنزه وادي شسع في بلدة خميس حرب وأكثر أشــجاره من السدر والنخيل وأشجار أخرى . (٤) متنزه وادي عرف جنوب مركز خميس حرب وفيه الكثير من الأشجار وبخاصة السدر والسيال[(٢)] .

وإذا كانت الزراعة والرعي قد تراجعت في هذه الناحية ، إلا أنني شاهدت بعض قطعان المواشــي والإبل التي يقوم على رعايتها بعضــ العمالة الوافدة ، كما رأيت بعض المزروعات مثل: الذرة ، والدخن ، والبطيخ ، والطماطم ، والباذنجان ، والشمام وخضروات أخرى . ومعظمها تعتمد على الســيول التي تجري أحيانا في أودية هذه البلاد . وهناك بعض الآبار الارتوازية التي تم حفرها حديثاً وتستخدم مياهها للشرب وري بعض المزروعات[(٣)] .

و ـ مركز سبت الجارة :

مركز ســبت الجارة من مراكز محافظة القنفذة الشــرقية ، كان هذا المركز يمتد إلى بــلاد خميــس حــرب ، وثلاثاء الخرم قبل انفصــالهما بمركزين مســتقلين . ويبعد مركــز ســبت الجارة عــن مدينــة القنفذة حــوالي (٤٠ــ ٤٥كــم) ، ومســاحته تقريباً (٣٥٩،١٥كم٢) ، وعدد ســكانه حوالي (١٦٠٠٠) ألف نســمة . يحده من الشــمال قبيلة

---

(١) شــاهدت جزءاً من هذا الطريق في بعض مراكز محافظات القنفذة ، وبارق ، ومحايل. كما شــاهدت طرقاً قديمة مشــابهة في بعض البلدان الســروية خــلال القرون الثلاثة الماضــية . ويتضــح أن القنفذة كانت من الموانــئ الهامة والرئيســية في قرون ماضــية . وهناك أيضــاً طرق بريــة مهمة تربط الأجزاء الســروية مع التهامية . وهذه الموضــوعات مهمة وجديرة بالبحث والدراســة ، ويوجد عنها وثائق تاريخية غير منشورة في مراكز الوثائق المحلية والإقليمية والعالمية، كما أن البعض من أهل السراة وتهامة ربما يمتلكون شيئاً من هذه المصادر .

(٢) **المصــدر : مذكــرة د. موســى الحربــي ، وصورتهــا في مكتبــة د. غيثــان بــن جريــس ، الوثائــق العامــة (ق ١٥هـ/٢٠ــ ٢١م)** ، ج١٩٨ ، صــ ٢٢٧ــ ٢٢٨ . ينظر أيضــاً (دليل محافظة القنفذة) من إعداد إدارة التعليم بمحافظة القنفذة ، وكان صــدوره في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) ، ص ١٩٣ــ ١٩٩ . لم أشاهد في مركز خميس حرب أماكن للســياحة والنزهة من إعداد البلدية ، ومازالت هذه الناحية تحتاج إلى تنمية وتطوير لبعض المؤسسات الخدماتية الضرورية .

(٣) ليس هناك وجه مقارنة للنشاط الزراعي والرعوي قديماً وحديثاً . ففي السابق كانت عموم بلاد تهامة من جازان إلى مكة المكرمة تعتمد بالدرجة الأولى على هاتين الحرفتين (الرعي والزارعة) وأيضاً الصيد على ساحل البحر. أما اليوم فاختلفت أنشطة الناس ، وأصبحت الأعمال التجارية والوظائف الحكومية والأهلية هــي المهن الرئيســية في البلاد ، ومازال هناك من يمارس مهــن الزراعة والرعي ، لكن على نطاق محدود ، ومختلف من محافظة أو حاضرة أو ناحية لأخرى . تاريخ الرعي ، والصيد ، والزراعة في تهامة من مكة إلى جازان موضوعات جديدة ، حبذا أن تدرس في هذه الأوطان خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠ــ ١٤٤٢هـ) .

غامـد الزناد، [١] ومن الغرب خبت المشـيرب وأجزاء من بـلاد زبيد وبني زيد[٢] ، ومن الجنوب وادي شسع أحد فروع وادي قنونا ، ومن الشرق أجزاء من تهامة بني شهر وبني بحير القرنية. وتمتد أوطان مركز سـبت الجارة إلى صدور عدد من الأودية التي تنتهي في البحـر التابـع لمحافظة القنفذة ، مثـل: (١) وادي قنونا .(٢) وادي أسـبطا . (٣) وادي عبية . (٤) وادي الجارة .(٥) وادي أقس. (٦) وادي لومة [٣].

يسـتوطن هذه الناحية عدد من العشـائر التي تعود في نسبها إلى قبائل بني عيسى مـن بني سـالم ، وهـم معدودون في قبيلـة حرب الخولانيـة [٤]. ومن أشـهر أودية هذا المركز : (١) أجزاء من وادي قنونا [٥] ، ومن قرى هذا الجزء الحازمين، والصليلات ، والدحيض ، والحشـة ، والموثب وغيرها . (٢) وادي الجارة تقع عليه قرية سبت الجارة التي كانت ومازالت المركز الرئيسي لتلك الناحية، ويجاورها قرى أخرى مثل شعب قرن الفطيح ، والسـوداء ، والجربة ، وقرن السـلمى ، والسـريحات ، وجعار ، والصـبحاء ، والعطف ، والملحة ، وقطيطة وغيرها . (٣) وادي أسبطا وعليه من القرى خرم المحرقة والمقعد ، والغمرة ، والشصرة .(٤) وادي عبية وعليه من القرى قرية عبية ووادي العلوم وعليه قرية باسـم الوادي ، وحقو دكان ، ووادي أقس شـمال سبت الجاره بحوالي (٢٥) كيلاً ، ويقع عليه قرى عديدة ، وأكبرها قرية أقس وغيرها[٦].

---

(١) غامد الزناد إحدى القبائل التهامية الغامدية تجاور بعض قبائل العرضيات والقنفذة . وهي بلاد شاسعة ، التقيت ببعض شـيوخها وأعلامها في العقد الرابع من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) ، وأخبرتهم أن بلادهم لها حضـارة وتاريخ مهم وقديم ، لكنه للأسـف لم يدون وطلبت منهم دعم وتشجيع من يوثق تاريخها خلال العصر الحديث والمعاصر .

(٢) هـذه البلـدان تقـع في مركـزي المظيلف وبني زيـد التابعـين لمحافظة القنفـذة . **مشاهـدات الباحـث عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)** .

(٣) المصدر: مشاهدات الباحث في (٢٠/١١/١٤٤٢هـ) . كما زودني الأستاذ حسن بن ردة العيسي، أحد أعلام بني عيسـى بسبت الجاره، بمذكرة في ثلاث صـفحات عن مركز سبت الجارة، وتوجد صورتها في **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)** ، ج٢٩٨، ص ٢٣٤-٢٣٦ .

(٤) للمزيد عن قبائل حرب في محافظة القنفذة خلال العصر الحديث والمعاصر، انظر عاتق بن غيث البلادي ، **بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات)**، ص ٩٣-٩٨ . للمزيد عن أسماء بعض قبائل حرب في بلاد القنفذة وشيوخها انظر البلادي ، ص ٩٤ وما بعدها ، غيثان بن جريس. **صفحات من تاريخ عسير** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤-١٤٣٥هـ/٢٠١٣-٢٠١٤م) ، ج١، ص ١٢٠ . مذكرة الأستاذ حسن بن ردة العيسي صورتها في **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)** ، ج١٩٨، ص ٢٣٦ .

(٥) وادي قنونا طويل وعريض فهو يأتي من أعالي سـفوح السـروات الغربية حتى يصـب في حاضـرة القنفذة. وأجزاء من مركز سـبت الجارة تقع على هذا الوادي الفحل . وهذا الوادي جدير بالدراسـة منذ عصور ما قبل الإسـلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة ، والوسيطة ، والحديثة ، والمعاصرة. يوجد فيه بعض الآثار السطحية والمدفونة الجديرة بالبحث والتنقيب والدراسة .

(٦) الذاهـب في أنحـاء محافظة القنفذة يشـاهد مئات القرى القديمة والحديثة ، الصـغيرة والكبيرة . وبلاد تهامة من رجال ألمع ومحايل والبرك جنوباً إلى تهامة الطائف والليث شمالا تستحق أن تدرس وتوثق قراها ، وجبالها ، وأوديتها، ومعالمها التاريخية في كتاب معجمي يقع في عدة مجلدات . آمل أن نرى مراكز البحوث

من المعالم الأثرية والتاريخية التي شـاهدتها في أجزاء من مركز سبت الجارة آثار بعض المسـتوطنات البشرية القديمة، وقد تلاشـت واندثرت . وهناك آثار بعض القرى والقصور القديمة مثل: (١) قصر آل محايل غرب شعبة الشارقة بقرية قطيطة شيده أحد شـيوخ وأعيان هذه الناحية تقريباً في القرن الثالث عشـر الهجري(التاسـع عشر الميلادي) [١]. (٢) قصـر ابن عويضـة ويعرف أيضاً باسـم (أبو مشنية) على الضفة الشـرقية لوادي الجارة مقابل قرية قرن الفطيح ، ويذكر أن الذي بناه الشـيخ عويضـه بن محمود ، أحد شـيوخ بني عيسـى [٢]. (٣) قرية السريحات الأثرية شمال قرية سبت الجارة بحوالي (١٠كم) ، ومازال بها عدد من المنازل الحجرية الأثرية[٣].

والأبنية في مركز سـبت الجارة حديثة ومسلحة ، فالمنازل الخاصة تتراوح طوابقها من الواحد إلى الثلاثة ، ورأيت عمارات قليلة ترتفع إلى أربعة طوابق[٤]. وهناك العديد مـن المؤسسـات الحكومية والأهليـة والمحلات التجارية الصـغيرة والمتوسـطة ، وبعض مقراتها حكومية رسمية ، وأخرى مستأجرة [٥]. والسوق الأسبوعي الشعبي لهذه الناحية يقع على الطريق الرئيسـي الذي يصـل بين القنفذة والمجاردة ويمر على سبت الجارة ، أنشأته بلدية المركز ، ومساحة أرضه حوالي (٣٥٠ X ٣٥٠م) ، وأجزاء منه مظللة ، ومن مرافقه بعض الغرف والأبنية الإسمنتية [٦].

والجامعات والكليات والأقسام العلمية في جنوب المملكة العربية السعودية تخطط وتدعم وتشجع إنجاز مثل هذا العمل العلمي الموسوعي .

(١) هذا الذي سـمعته من بعض أعيان مركز سـبت الجارة . وذكره أيضاً حسن بن ردة العيسي في المذكرة التي أرسلها لي في (١٤٤٢/١١/٢٣هـ) .

(٢) انظر صورة لهذا القصر في ملحق الصور من كتاب (بلاد القنفذة ...) الطبعة الثانية (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) . صورة رقم (٦٤) . والقرى والقصور التاريخية الأثرية في عموم بلاد السروات وتهامة من نجران وجازان إلى الطائف ومكة ميدان خصـب وكبير للبحث العلمي. أرجو من كليات وأقسـام الجامعات العلمية في هذه البلاد أن تبذل قصارى جهودها لحفظ هذا الموروث ودراسته وتوثيقه .

(٣) **مشاهـدات الباحـث في (١٩-١٤٤٢/١١/٢٠هـ)** . ينظـر أيضـاً مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج١٩٨، ص ٢٣٥ .

(٤) التنمية والحياة العمرانية في سـبت الجارة أفضـل نوعاً ما من مركز خميس حرب ، لكنها تأتي في مراتب متأخـرة مقارنـة بمدينـة القنفذة ، ومراكز القـوز ، وحلي وكنانـة ، والمظيلف . **المصدر: معاصـرة الباحث ومشاهداته في نهاية شهر ذي القعدة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)** .

(٥) تجولت في قرية سـبت الجارة وما جاورها، وشـاهدت بعض الأبنية الحكومية مثل : مدارس البنين والبنات ، والبلدية ، والمستوصـف الطبي ، والشـرطة وغيرها . أما الدكاكين المتنوعة في معروضـاتها ، وبعض ورش السـيارات والبناشـر ، والمطاعم والبوفيهـات وغيرها فهي عمارات تجارية خاصـة . **المصـدر : مشاهدات الباحث يوم (١٤٤٢/١١/٢٠هـ)** .

(٦) ذكر لي بعض الرواة في مركزي خميس حرب وسبت الجارة ، وفي مدينة القنفذة إلى أن السوقين الشعبيين التابعين لهذين المركزين . كانا من أنشط الأسواق التهامية لكثرة من يرتادهما من المتسوقين من بلاد بارق والبرك والمجاردة إلى القنفذة والمخواة والعرضـيات . وقد سـمعت مثل هذه الأقوال على أسواق أخرى عديدة في بلاد تهامة الممتدة من جازان إلى مكة . والأسواق الأسبوعية في هذه البلاد تستحق أن تدرس وتوثق في عشرات الكتب والبحوث .

طرق المواصلات في مركز سبت الجارة أحسن نوعاً ما من طريق خميس حرب، فلا تخلو بلدة سبت الجارة من شوارع محدودة مزدوجة يتراوح عرضها من (١٠-١٢م). وجميع الطرق التي تتصل بأغلب القرى مسار (طريق) جانب واحد يتراوح من (٥-٨م). أما الطريق العام الذي يذهب إلى مركز خميس حرب والقنفذة فهو نفس الطريق الذي ذكرته في بلاد خميس حرب، لكن في وسط بلدة سبت الجارة بعض الإنشاءات، والتوسعات للطريق ليصبح مزدوجاً، وقد يصل عرضه بعد الانتهاء منه إلى (٢٠م) [١]. وهناك طريق بعرض (١٥م) يخرج من سبت الجارة نحو سد قنونا ثم يواصل السير حتى العرضيات، سافرت في جزء كبير منه، وحالته العمرانية جيدة جداً، ويوجد على جوانبه بعض المنازل المحدودة في عمارتها، وقليلاً من المرافق الخدماتية [٢]. وكوني أعرف بلاد تهامة جيداً وتجولت في مناكبها وبخاصة محافظة القنفذة وبلاد العرضيات وما جاورها، أقول إن هذا الطريق من الشرايين الهامة لخدمة سكان العرضيات، آمل أن يتم إصلاحه وتوسعته حتى يصبح مزدوجاً، كما أن بلاد العرضيات تستحق أن يطور طريقها الرئيسي الذي يسير من بارق والمجاردة في عسير إلى لمخواة في منطقة الباحة[٣]. وهناك مطل العقالة على رأس الجبل الذي يفصل بين وادي عبية وأسبطا، فهو عالي الارتفاع، ومناظره جميلة، وجوه في فصل الصيف معتدل[٤].

ز- مركز أحد بني زيد :

أخذ هذا المركز اسمه من اسم القبيلة التي تسكنه (بنوزيد)، ومن اسم السوق الأسبوعي الذي يقام فيه كل يوم أحد[٥]، ويبعد عن مدينة القنفذة شرقاً حوالي

---

(١) **المصدر : مشاهدات الباحث في (١٤٤٢/١١/٢٠هـ)**.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) كانت العرضيات (الشمالية والجنوبية) جزءاً من إمارة ثم محافظة القنفذة في العصر الحديث، وصارت مؤخراً محافظة تتبع إمارة منطقة مكة. وقد كتبت عنها في أكثر من دراسة وعمل علمي، وذكرت هذه الأمنية والتوصية. وحتى الآن لم تتحقق، أرجو أن نرى هذا الخط واسعا ومزدوجاً في المستقبل القريب.

(٤) إن رحلتي في مركزي سبت الجارة وخميس حرب كانت قصيرة لم تتجاوز العشر ساعات في (١٩-١٤٤٢/١١/٢٠هـ)، ولم آت على كل الجوانب التاريخية والحضارية الحديثة والمعاصرة في هذه البلاد. ومازال هناك جوانب كثيرة تستحق البحث والدراسة والتوثيق، مثل: (١) تركيبة السكان وأصولهم. (٢) الأحداث التاريخية السياسية والعسكرية التي عرفتها هذه الناحية في العصر الحديث منذ القرن (١٢-١٤هـ/ق١٨-٢٠م). (٣) التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والمعرفي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). (٤) أعلام البلاد وأعيانها من شيوخ ووجهاء وأرباب حكمة وفكر وثقافة في المئة عام الماضية (١٣٤٠-١٤٤٠هـ). (٥) بدايات ثم تطور التنمية الحضارية التي تعيشها هذه البلاد وبخاصة منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

(٥) شاهدت الكثير من بلدان السروات وتهامة تسمى باسم القبيلة، أو العشيرة، أو الأسرة. ويوجد أمكنة تعرف باسم علم بشري أو جغرافي، فيقال: قرية فلان، أو آل فلان، وربما كان هذا الإنسان ذكراً أو أنثى، أو من علية القوم، أو عامتهم. وهناك أماكن أخرى تسمى باسم جبل، أو وادٍ، أو هضبة، أو بئر، أو علم

(١٥كـم) [١]، ويحـده مركز المظيلف من الشـمال ، ومركز القوز مـن الجنوب ، ومركز سـبت بني عيسـى (سـبت الجارة) من الشـرق ، ومدينة القنفذة من الغرب . وتقدر مساحته بـ (٥٦٠كم٢) [٢]. ويشتمل المركز في عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) على قرى عديدة قد تصـل إلى الأربعين قرية أو تزيد . مع أنها في السـابق كانت أكثر من ذلك ، ونتيجة للتطور والتنمية الحديثة اندمجت الكثير من القرى في بعضها ، وتشكلت مدن وحواضر حديثـة[٣]، ومن قرى مركز أحد بني زيد السـكنية الأحد ، وعمرات ، والعماير القديمة والجديـدة ، ودار ابن جده ، والصـرح ، والجلمة، والقـرن الأحمر، وحداب الخيل ، وأم السـلم ، وآل زيـاد ، والجوابـرة ، والردة ، والعلوب، والصـالحي الجديـد، والفوازعة ، والدار البيضـاء ، ودار الخبت ، والصفاصـيص ، والقاع ، ودار الشيخ ، ورحمان ، ودار الوادي ، والعقدة، والقعرة ، ووادي هارون ، والعمودية، والدعدي، وربيعة وغيرها [٤] .

ويوجـد في المركـز مخططات حديثة ذُكر لي أسـماء بعضـها مثـل مخططي القاع القـديم والحديث ، ومخطط الرفاه ، ومخطط الصـالح[٥]. وقـد تجولت في أجزاء من المركز يوم (١٤٤٢/١١/٢٠هـ) وشاهدت معظم العمائر مسلحة وبعضها في المخططات الآنـف ذكرهـا ، وأخرى في قرى عديـدة ومتفرقة . والأبنية الخاصـة بالسـكن تتراوح ارتفاعاتهـا من طابق إلى أربعة طوابق ، والغالبية من دور ودورين . وفي البلاد عدد من المؤسسـات الإدارية مثل : مركز الناحية ، والشرطة ، ومستوصفان حكوميان ، ومدارس البنـات والبنين ، وجمعية البر الخيرية ، ومن هذه الإدارات ما هو في أبنية مسـتأجرة ، وأخرى حكومية كالمدارس وغيرها[٦] .

جغرافي آخر . وللحروب والأحداث السياسية والعسكرية عبر عصور التاريخ نصيب في تسمية بعض المواقع. وأسـماء الأماكن والأعلام الجغرافية في عموم جنوب شـبه الجزيرة العربية من الموضـوعات التي تستحق الدراسة في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(١) **رحلة الباحث ومشاهداته في أحد بني زيد بمحافظة القنفذة في (١٤٤٢/١١/٢٠هـ)** .

(٢) يطلق على أراضي المركز بنوزيد الشام ، وبنوزيد اليمن . ويقصد بذلك السكان الذين في الناحية الشمالية ، والناحية الجنوبية من المركز . **المصدر: بعض أعلام مركز الأحد في (١٤٤٢/١١/٢٤هـ)** .

(٣) هـذا الـذي عرفته وعاصـرته وشـاهدته في جميـع مناطق وبلـدان تهامة والسـراة منذ تسـعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فهنـاك الكثير من القـرى التي اندثرت ، وأخـرى قامت ، وبعض القـرى القديمة مازالت قائمة وقام إلى جانبها مسـتوطنات بشـرية حديثة . ومع توفر طرق المواصـلات والخدمات التنموية صـار هناك أمكنة ونواحي عديدة تحولت إلى مدن وبلدات عصرية .

(٤) رحلة الباحث ومشـاهداته عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . قلت سـابقاً وأقول الآن إن بلاد تهامة من البرك إلى الليث تسـتحق أن توثـق قراها القديمة والحديثة ، وجبالها ، وأوديتها في معجم جغرافي تفصـيلي ، آمل أن نرى من يقوم بهذا العمل العلمي خدمة لتراث وحضارة هذه الأوطان التهامية .

(٥) هذه المعلومات وصـلتني في (١٤٤٢/١٢/١٢هـ) من الأسـتاذ محب أحمد المعيدي من سكان مركز أحد بني زيد في (١٤٤٢/١٢/٧هـ) .

(٦) مـن خـلال جولاتي في محافظة القنفـذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) شـاهدت معظم مدارس التعليم العام (بنـين وبنـات) في أبنية حكومية . والعمارات المسـتأجرة في هذا الجانب قليلة . أما المؤسسـات الحكومية

مما شاهدت وسمعت عن مركز أحد بني زيد أنه مكتظ بالعمران والسكان ، وفيه الكثير من الأنشطة الاقتصادية التجارية والحرفية الصناعية ، وشيئاً من مهن الرعي والزراعة[١]. ورأيت بعض المحلات التجارية المحدودة في معروضاتها التجارية ومساحاتها ، وغالباً توجد على الدروب الكبيرة في البلاد ، أو الطرق الرئيسية التي تخرج من بلدة الأحد إلى مركز سبت الجارة شرقاً. أو مدينة القنفذة غرباً [٢] . وفي داخل بلدة الأحد سوق الأحد الأسبوعي ، وهو محدود في مساحته وعمارته ويذكر أن هناك سوقاً جديداً تقوم بلدية القنفذة بإنشائه على الطريق العام الذي يربط مدينة القنفذة مع سبت الجارة مروراً بمركز الأحد ، ومساحته تزيد عن (١٥٠X١٥٠م) [٣].

سألت عن بعض المعالم التاريخية والحضارية في المركز ، فأخبرني بعض أعلام هذه الناحية كثرة المساجد في قرى هذه الناحية ، وبعضها قديمة بعض الشيء ، وأغلبها حديثة وتتراوح مساحاتها من (٥X١٥م) و (٢٠X٢٠م) وربما بعضها ، وهي قليلة ، أكثر من ذلك . ومن الآبار القديمة في قرى أحد بني زيد المرحبية ، والحسينية ، وأم النور ، وأم الدبا ، والسلمية ، والراجحية ، والعزيزية ، وزيادة ، والمراجمية ، وحجرة وغيرها [٤] .

ومن المقابر القديمة في بلاد أحد بني زيد : مقبرة بن جلال ، ومقبرة الحوساء ، ومقابر مستورة ، والصفة ، والحضن ، والداربيس ، واليعلية ، وشمال شرق الشعبة ،

الأخرى فالكثير منها مستأجرة وبخاصة في المراكز البعيدة عن مدينة القنفذة . وتاريخ الحياة الإدارية والتنموية وتاريخ العمارة القديمة والحديثة في بلاد تهامة من مكة إلى جازان موضوعات جديدة فلم تطرق وتوثق في أعمال علمية خلال المئة السنة الماضية . أرجو أن تلتفت أقسام التاريخ والجغرافيا والسياحة والإدارة بالجامعات المحلية لدراسة مثل هذه المجالات الجديدة في أبها.

(١) رأيت بعض المحلات التجارية التي تبيع العديد من البضائع الضرورية لأهل البلاد . وهناك أسواق ودكاكين صغيرة يمارس فيها صناعات وحرف عديدة مثل صناعة الأواني الفخارية ، والصناعات الخشبية ، والحدادة ، وصناعة القطران . وأعتقد أن مركز أحد بني زيد من مدينة القنفذة أثر على أرض وسكان هذه الناحية ، فترى الكثير من الناس يذهبون إلى أسواق ومراكز المدينة التجارية والحضارية من أجل التبضع، وقضاء الحوائج . **المصدر: مشاهدات الباحث أثناء رحلته في محافظة القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).**

(٢) الطريق العام (الدولي) الذي يمر من مدينة القنفذة ، وتتجه أحد فروعه إلى أحد بني زيد وسبت الجارة من أكبر وأهم الطرق التي تربط مركز أحد بني زيد مع غيره من النواحي المجاورة . أما طرق المركز الداخلية فأغلبها اتجاه واحد ويتراوح عرضها من (٥-٨م) . وفي داخل بلدة الأحد طرق مزدوجة قصيرة وقليلة .

(٣) شاهدت السوق القديمة وسط بلدة الأحد ، ولم أشاهد السوق الأسبوعي الحديث الذي مازالت البلدية تشيده .

(٤) شاهدت في بلدة الأحد العديد من المساجد الحديثة متوسطة المساحة ، كما رأيت بعض الخزانات المرتفعة فوق سطح الأرض بأمتار عديدة ، تستخدم لتوفير المياه الصالحة للشرب . وفيما يبدو أن مركز أحد بني زيد يعاني الآن (١٤٤٢/٢٠٢١م) من شح في المياه ، ويحتاج تزويده بالمياه المحلاة من مدينة القنفذة ، مع أن هذه الناحية في السابق هي التي كانت تزود مدينة القنفذة بالمياه العذبة الموجودة في الآبار الجوفية ، التي اندثر معظمها حالياً (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . مشاهدات الباحث وما سمعه من بعض أعلام مركز الأحد عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

والدعاشـيس ، والكثيب ، والمصــالحة وغيرها[١]٠ويذكر أن من المباني القديمة بالمركز حضن بن راجح [٢] ٠

ح ـ مركز ثلاثاء الخرم بني عيسى :

عرف هذا المركز باسـم يوم الثلاثاء ، السـوق الأسبوعي الذي يعقد فيه ، وهو اسم مكان ، وربما يكون اسـم نبات[٣] ٠ يبعد المركز عن مدينة القنفذة في الجهة الشـمالية الشرقية حوالي (٦٠كم) . ومساحته تقريباً (١٣٩،٩٧كم٢). ويحده من الشمال أجزاء من غامد الزناد التابعة لمنطقة الباحة ، ومن الجنوب مركز سبت الجارة ، ومن الشرق أجـزاء أخـرى من بلاد سـبت الجارة ، ومـن الغرب مركـز المظيلف . ومعظم سـكانه الرئيسـيين من قبيلة بني عيسـى الحربية[٤] ٠ وعدد سـكان المركز حـوالي (١٢) ألف نسمة [٥] ٠ومساحته تقريباً (١٣٩،٩٧م٢) ٠

تقع أراضـي المركز على وادي لومة الذي يقسـم البلاد [٦]، وجميع قراه على ضفاف هـذا الوادي من الشـمال والجنوب والشـرق. وعددهـا بين (٣٠ـ ٣٥) قريـة ، من أهمها : الحبيـج ، والسـوق ، وخلفـين ، وقرن المجنـة ، ودار الشـيخ ، ولهب ، والحمـراء، وقرن

---

(١) يوجـد الكثـير من المقابـر القديمة والحديثة في طول وعرض محافظة القنفذة . وبعض هـذه المقابر يعود تاريخها إلى الوراء مئات وربما آلاف السنين . وتاريخ المقابر في تهامة من الليث إلى الدرب بمنطقة جازان موضوع جديد لم يدرس إطلاقاً ، ويحتاج إلى دراسات تاريخية وأثرية في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٢) الأبنية القديمة في عموم السـروات وتهامة مثل (البيوت والحصـون والقصور ، والآبار ، والمقابر ، والطرق القديمـة ، والكهـوف ، والمدرجات الزراعية ، والعقوم ، والأسـواق ، والأحمية وغيرها) موضـوعات بكر في أبوابهـا ، ولم تدرس وتوثق في بحوث علمية مطولة وعميقة . **آمل من الجامعات والكليات والأقسام المحلية في جنوب البلاد السعودية أن تدعم وتشجع خدمة مثل هذه الموضوعات بحثياً ٠**

(٣) الخَـرْمُ : بتسـكين الخاء ، وفتح الراء ، وضـم الميم ، أي الثقب ، أو الشـق ، فيقال فـلان مخروم أذنه ، أي مثقوب ، أو مشقوق . والخرم : ما خرم سيل أو طريق في وادي أو جبل . والخُرَّمُ : ضم الخاء ، وتشديد الراء ، وضم الميم ربما من أسماء بعض النبات أو الشجر. وأعتقد أن تسمية هذه الناحية (ثلاثاء الخرم) نسبة إلى بعض جبالها أو هضابها ووهادها المتناثرة في أرضها والمخرومة في بعض أجزائها . ويعرف أيضاً باسم (ثلاثاء الخرم ببني عيسـى) . للمزيد عن لفظة (خرم) . انظر ابن منظور: لسـان العرب (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، ج٤، ص ٧٥ـ ٧٨ . كما شاهدت بعض الهضاب والجبال متوسطة الارتفاع في مركز ثلاثاء الخرم وما حوله عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

(٤) يعيش في أراضي المركز حالياً أجناس أخرى غير قبيلة بني عيسى ، منهم من هو من قبائل أخرى في تهامة والسـراة ، أو من أجزاء أخرى في المملكة العربية السـعودية ، وبعض الأجناس العربية وغير العربية الوافدة من خارج البلاد السـعودية وهذا الوضـع السكاني الذي تعيشـه بلاد ثلاثاء الخرم اليوم سائد في كل المدن والحواضر والبلدات والقرى في عموم المملكة العربية السعودية .

(٥) **مشاهـدات الباحـث لأجزاء من مركزي سبت الجارة وثلاثاء الخرم في (١٤٤٢/١١/٢٠هـ)** . كما وصـلتني مذكرة من الأستاذ علي محمد علي العيسي عن بلاد الخرم في (٢٢ـ ١٤٤٢/١١/٢٣هـ) ويوجد منها صورة ضمن **مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ج١٩٨، ٢٣٧ـ ٢٣٩ ٠

(٦) تأتـي مسـائل وادي لومـة من مرتفعات تهامة منطقة الباحة ، ويسـير في محافظة القنفذة حتى يصـب في البحر . المصدر: وقوف الباحث على أجزاء من هذا الوادي في (١٤٤٢/١١/٢٢هـ) ٠

السـرحة ، وسيالة ، وابن عواض ، والضـميران ، والجرم ، واليانة ، والمجدع [(١)] . وتشتمل هذه الناحية على بعض الصحاري (الخبوت) التهامية التي تصلح بعض أجزائها للرعي وأحياناً للزراعة . ومن تلك السهول (خبوت) : **(١)** خبت ريعان في جنوب غرب المركز . **(٢)** خبوت الركح ، والمشيرب ، والقرارير في الجنوب . **(٣)** وخبوت المزاريب ، ورواجح ، ومنجحات في الجنوب الشرقي . **(٤)** خبت سيالة في الجهة الشمالية الغربية [(٢)] .

والعمارات الحديثة في عمومٍ المركز مبنية بالخرسانة والحديد ، وتتراوح ارتفاعاتها مـن (٢ــ٣) طوابق ، وقليلاً جداً أن ترى أبنية أكـثر من ذلك . ولا تخلو البلاد من بيوتٍ شـعبية مبنيـة بالطـوب أو البلـك . ومعظـم المدارس النظاميـة أبنية حكوميـة ، ونادراً ما تشـاهد مدرسـة مسـتأجرة . أما المؤسسـات الحكومية الأخرى مثل مقرات المركز ، والشـرطة ، وبعض الجمعيات الخيرية والدعوية فهي مستأجرة . وهناك مخطط حديث لوزارة الإسكان شمال غرب المركز . وأسواق هذه الناحية محدودة في مساحاتها وبضائعها المتنوعة ، لكنها تفي بالغرض ، وهناك طرق مسـفلتة متوسطة الجودة تصل بلاد ثلاثاء الخـرم بمدينة القنفذة ومراكز أخـرى في المحافظة وما جاورهـا . وبالمركز العديد من المساجد الصـغيرة وبعض الجوامع الكبيرة . واستراحات وقصور للأفراح والمناسبات ، وبعض النوادي الرياضية الأهلية التي يمارس فيها العديد من الرياضات [(٣)] .

---

(١) لم أذكر جميع قرى المركز وإنما بعضـها . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ٢١م)**، ج١٩٨، صـ ٢٣٧. بالإضـافة إلى مقابلة بعض أعلام ثلاثاء الخـرم بمدينة القنفذة في (١٤٤٢/١١/٢٣هـ) .

(٢) لاحظت أثناء تجوالي في عموم محافظة القنفذة في عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) كثرة الخبوت وأحياناً الغابات أو الهيـاج ومفردهـا (هيجة) ، ومن الخبوت التي شـاهدت بعضـها وسـمعت عن أخـرى . (١) خبت دوقة غرب قرية القديح ، وهناك خبت يقع بين دوقة والمظيلف يعرف باسـم (الدوايا) . (٢) خبت قرماء شـمال وشـرق المظيلف . (٣) خبت نقازة جنوب قرية عقراء بالأحسـبة . (٤) خبت لومة جنوب قرية صبيا بوادي لومـة . (٥) خبـت أم الـدوارج جنوب ثلاثاء يبة . (٦) خبت شـيع على طريق القوز حلي . (٧) خبت شـيع من الرحبة حتى الصـفة بحلي. (٨) يمتد الخبت اليماني من جنوب سـد وادي حلي شرقاً حتى غرب قرية العينة وجنوباً حتى طليحان . وهناك خبوت قديمة تحولت إلى مخططات حديثة ، ومازالت تحمل الأسـماء القديمـة وبخاصـة في مدينة القنفذة ، ومراكز القوز ، وحلي ، ودوقـة والمظيلف . ومن الغابات (الهياج) : (أ) هيجة (غابة) (ب) جعيرة الممتدة من كبري كياد شـرقاً إلى الصـفة غرباً على امتداد الوادي . (٢) غابة المراصع تمتد من آخر الجعيرة إلى بلاد الخوالدة . (ج) غابة جنوب غرب مخشوش القديمة في بلاد حلي . (٤) غابات السـلامة والكدوة القديمة في بلاد حلي وصـارت اليوم مأهولة بالسكان . ومازال هناك العديد من الغابات القائمة حالياً في الجميعات وعنيكر بالقوز ، وفي دوقة وثلاثاء الخرم وغيرها . مصادر هـذه المـادة جمعت من أكثر من شـخص في محافظة القنفذة وبعضـها وصـلني مكتوبـاً ، وجزئيات أخرى بالرواية الشـفاهية، وتاريخ الخبوت والغايات في بلاد تهامة من جازان إلى مكة موضـوع كبير جداً يستحق أن يدرس ويوثق في كتب وبحوث عديدة .

(٣) **المصـدر : مذكـرة مكتوبة في ثلاث صفحات وصلتني من الأستاذ علي محمد علي العيسي في نهاية شهر ذي القعـدة عـام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . ويوجد منها صورة في مكتبـة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)** ، ج١٩٨، ص ٢٣٧ـ ٢٣٩ .

ثالثاً: مقتطفات تاريخية معاصرة عن محافظة القنفذة عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م):

رصـدت مشـاهداتي عـن بـلاد القنفـذة في بدايـة الثلاثينيـات من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [١]، ودونت لمحات عن الطبيعة الجغرافية وشـيئاً من تاريخ الناس آنذاك [٢]. والآن في بدايـات الأربعينيـات مـن القـرن نفسـه أزور هذه الناحية وأسـجل بعض الانطباعات والتوثيقات في نهاية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) [٣].

١ ـ الجغرافيا والناس:

لم تتغـير جغرافيـة بلاد القنفـذة (المحافظة) عما رأيته في رحلتي السـابقة عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م) [٤]. اللهم إلا أن بلاد العرضـيات أصـبحت محافظة مسـتقلة تتبع إمـارة منطقـة مكـة [٥]. كمـا زادت المخططـات العمرانيـة الحديثة في معظـم مراكز المحافظـة وبخاصـة في مدينـة القنفذة وأوطـان القوز وحلي وغيرهـا . وتطورت بعض شواطئ المحافظة عمرانياً مثل شاطئ مدينة القنفذة الشمالي، وشواطئ رأس محيسن، والمظيلـف، والجميعـات في مركز القوز[٦]. وهنـاك العديد مـن الخبوت أو الغايات التي سـادها الجفاف والتصحر، وبعضها زحفت عليها الرمال واندثرت، والبعض من هذه الأراضي الطبيعية وبخاصة القريبة من المدن والبلدات والقرى العمرانية أصبحت الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) مخططات عمرانية حديثة [٧].

لم تسلم الكثير من الطيور والحيوانات البريةٍ من هجر الغابات والخبوت، وبعضها انقرض بسبب التصحر الذي حدث ومازال سارياً على بعض هذه البلدان. كما أن شق الطرق وتشـييد المدن والقرى والمنتجعات السـياحية وبعض الأنشطة العمرانية الأخرى أثرت سلباً على الحياة الفطرية والطبيعية، وهذا مما زاد من نسبة الجفاف والتصحر

---

(١) انظـر غيثـان بن جريس، **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـق١٥هـ/ق١٦ـق٢١م)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (الطبعة الأولى)، ص ٣٠١ـ ٣٥٠ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ما سـوف أدونه في هذه المقتطفات هو خلاصـة مشـاهداتي، وانطباعاتي في نهاية شـهر ذي القعدة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

(٤) كانت تلك الرحلة في منتصـف شـهر ذي الحجة عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م). انظر كتاب: بلاد القنفذة ...، (الطبعة الأولى)، ص٣٠٣ـ ٣٠٤ .

(٥) كانت العرضيات (الجنوبية والشمالية) أثناء زيارتي السابقة عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م) مركزاً يتبع لمحافظة القنفذة. والبرك من قبل كانت تابعة أيضـا لنفس المحافظة، لكنها فصـلت إداريا في بداية العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢١م) وصارت تابعة لمحافظة محايل، والبرك اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) محافظة مستقلة .

(٦) هذا ما رأيته وسمعته أثناء زيارتي المحافظة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

(٧) شـاهدت ذلك واضـحاً في نواحي عديدة في وادي حلي، ومراكز القوز، وثلاثاء الخرم، والمظيلف في نهاية شهر ذي القعدة (١٤٤٢هـ) .

ونفوق الكثير من الكائنات الحية على ساحل البحر وفي أجزاء عديدة داخلية(١).

مازالت تركيبة المحافظة البشرية قائمة على القبائل التي تستوطنها منذ زمن بعيد، ومع التطور التنموي الذي ساد البلاد اندمج السكان بعضهم مع بعض في مجالات التعليم، والوظائف الحكومية والأهلية، وصار التقارب الاجتماعي عن طريق المصاهرة، والتجاور والتشارك في مجالات حضارية عديدة(٢). وجاء إلى المحافظة عناصر عربية سعودية أخرى فأقاموا فيها للعمل الوظيفي، أو التجارة، أو ممارسة أعمال حرفية ومهنية أخرى(٣). لم يقتصر الأمر على هذه الأجناس، وإنما قدم إلى مدينة القنفذة ومراكزها عناصر عربية وغير عربية، وإسلامية وغير إسلامية للعمل المؤقت في أعمال اقتصادية واجتماعية وحضارية أخرى(٤).

٢- مقتطفات من التاريخ الإداري، والاجتماعي، والاقتصادي :

تعد محافظة القنفذة من أكبر محافظات منطقة مكة المكرمة إدارياً. فمدينة القنفذة من أوائل مدن المملكة العربية السعودية الحديثة، كانت ومازالت مركزاً للإمارة ثم المحافظة حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (٥). وفيها اليوم معظم المؤسسات الإدارية

(١) هذا التراجع في جغرافية محافظة القنفذة يكاد يكون سائداً في الأراضي والطبيعة في عموم بلاد السروات وتهامة خلال العقود الخمسة الماضية. ودراسة جغرافية هذه البلاد وما جرى على طبيعتها من تراجع جدير أن تدرس أسبابه مع البحث عن حلول إيجابية لخدمة هذه الأوطان طبيعياً وجمالياً وتنموياً اقتصادياً.

(٢) تاريخ أصول القبائل في بلاد تهامة من البرك إلى الليث مجال خصب للبحث والدراسة والتحليل، مع توثيق ما حصل من تطور حضاري وانصهار اجتماعي لهذه البلاد حتى أصبحت مجتمعاً واحداً تحت مظلة الحكومة الرئيسية (المملكة العربية السعودية).

(٣) بلاد القنفذة لها سواحل وموانئ على البحر الأحمر، لذا فهي مرتادة بالمسافرين والتجار عبر أطوار التاريخ. لكن في العصر الحديث والمعاصر صارت جزءاً من المملكة العربية السعودية وجاء إليها عناصر عربية سعودية للعمل في مؤسساتها الرسمية والأهلية، وآخرون جاءوا للإقامة فيها بشكل مستمر. هذا ما عرفته وتأكد لي من الوثائق والمصادر والمراجع والمشاهدات.

(٤) شاهدت كثرة هذه العناصر من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية أثناء زيارتي السابقة عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م) كما شاهدتهم في رحلتي الأخيرة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). وأغلبهم من اليمن، ومصر، وبلاد الشام، والسودان، وأعداد كثيرة من شرق آسيا، كالبنجاليين، والهنود، والباكستانيين، والنيباليين، وبعض الإندونيسيين، وأجناس أخرى محدودة من بلدان إفريقية أخرى. مشاهدات الباحث في عامي (١٤٣١، ١٤٤٢هـ/٢٠١١، ٢٠٢١م). وتاريخ العناصر العربية والإسلامية وغير الإسلامية التي وفدت إلى الساحل التهامي من مكة المكرمة إلى الدرب خلال المئة عام الماضية (١٣٤٠-١٤٤٢هـ) موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٥) للمزيد عن تاريخ مدينة القنفذة الإداري من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) انظر القسم الثاني من كتاب(بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ...).

والماليــة الرســمية والأهلية[١] . ويتبع لها تســعة مراكز إدارية [٢] . وقــد رأيت جميع هذه المراكز تشتمل على إدارة للمركز تتبع للمحافظ والمحافظة في مدينة القنفذة . وتتفاوت هذه المراكز في مؤسساتها الإدارية والأهلية . فالقوز يشتمل على معظم الإدارات المهمة والضــرورية ، يليــه في النمو والتطــور الإداري مركزي المظيلف وحلــي ، ثم تأتي المراكز الأخرى فلا تخلو من بعض الإدارات الرسمية مثل البلدية والشرطة وغيرها . أما جميع المراكز فهي مليئة بالمدارس الحكومية ، وبعض المؤسسات والجمعيات الخدماتية الأهلية والحضارية.

إن التاريخ الاجتماعي المعاصــر في محافظــة القنفذة غني بمادته العلمية من حياة الفــرد ، والأســرة ، والقرى والمجتمــع القنفذي بمفهومه الواســع . فالمدينة (القنفذة) أكــثر انصــهاراً واندماجــاً وتمازجاً في حيــاة الناس العامــة من علاقات أســرية ، إلى ميادين الطعام والشــراب ، واللباس والزينة ، والأعراف والعــادات والتقاليد والفنون الشــعبية والألعاب الرياضــية ، والتعاملات الحضــارية الأخرى . وذلك بســبب التطور المالي والاقتصــادي الذي تعيشــه البلاد منذ تســعينيات القرن الهجري الماضــي. وإذا نظرنــا إلى التاريخ العمراني الحديث فهــو الآخر أكثر المجالات تنمية وتطوراً [٣] . وتأتي مراكــز المحافظة في مرتبة ثانية بعد المدينة . فحياة الناس الاجتماعية العامة قريبة في أعمالها وممارســاتها الاجتماعية من حياة ســكان المدينة، لكن على نطاق أقل . فهناك تطور وتنمية عمرانية جيدة في شــتى المجالات ، وجميع أفراد وأســر المراكز على علاقة حضارية مستمرة مع المدينة الأم (القنفذة) ، بل بعضهم يمتلك دورا وعقارات متنوعة في قريتــه أو ناحيتــه الأولى ، وأيضــاً في المدينة ، أو في مراكز أخــرى تابعة للمحافظة . كما أن أطعمة النــاس وألبســتهم وعاداتهم تكاد تكون نفس الانماط الحضــارية المعروفة في المدينــة ، لكــن ربمــا على نطاق أدنى قليــلاً . وقد دخلت بعض المنــازل ورأيت الكثير مــن الأفراد والجماعات في مراكــز المحافظة ، وفي مدينة القنفذة فلــم أر فرقاً كبيراً في أنــواع أطعمتهم وألبســتهم وبعض عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم . كما شــاهدت في

---

(١) حبــذا أن نــرى باحثاً جاداً يدرس التاريخ الإداري والمالي لمحافظة القنفذة (الإمارة ســابقاً) منذ دخولها تحت نفوذ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

(٢) تم الإشــارة بشــكل مختصر إلى هذه المراكز في صفحات سابقة من هذه الرحلة ، لكنها مازالت تستحق أن تدرس تاريخيا وحضاريا خلال العصر الحديث والمعاصر. آمل أن نرى طالبة أو طالبا في برامج الدراسات العليــا في الجامعــات المحلية فيدرس بلاد تهامة من الليث إلى البرك ماليا وإداريا خلال قرن من الزمان (١٣٤٠ـ ١٤٤٢هـ) .

(٣) أشرت في السطور المدونة أعلاه إلى نقاط مهمة وعديدة تستحق أن تكون مجالات للعديد من الكتب والبحوث العلمية عن مدينة القنفذة وما جاورها في العصر الحديث والمعاصر . آمل أن نجد من الباحثين من يتولاها بالرعايــة البحثية والتوثيقية . **انظــر أيضاً تفصيلات في القسم الخامس من كتــاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون . (الطبعة الأولى) ، ص ٣١١ـ ٣٢٦ .**

بعض بلدات وقرى المراكز من يمتلك منازل ومرافق عديدة تفوق في الجودة والتزويق بعض البيوت التي شاهدتها أو دخلتها في مدينة القنفذة[٤]. ومما لاشك فيه أن هناك بعض الاختلافات والتباين بين حياة الناس في الماضي والحاضر، وذلك ناتج عن حياة المدينة الحديثة التي أفرزت الكثير من المتغيرات في عادات وتقاليد اللباس والزينة ، والطعام والشراب ، وأحزان وأفراح الناس ، والفنون والأهازيج والألعاب المجتمعية . كما أن اللهجات والمفردات والاصطلاحات اللغوية جرى عليها الكثير من التحورات والتبدلات الحضارية بسبب اتساع رقعة الأرض جغرافيا وبشريا، وأيضا قدوم عناصر بشرية وافدة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، بالإضافة إلى ما أحدثته وسائل التواصل الاجتماعي والإعلامي من تأثير وتداخل كبيرين[٥].

تحظى محافظة القنفذة بأنشطة اقتصادية متنوعة فمهنتا الرعي والصيد مازالتا تمارسان في مواطن عديدة . فهناك صيد بحري لابأس به في مرافئ رأس محيسن ، والمظيلف ، والقنفذة ، والقوز ، وحلي[٦]. أما صيد البر فقد تراجع كثيرا حتى صار نادراً[٧]. ومارس الناس مهنة الرعي لكن بدرجة أقل مما كانت عليه في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . وقد شاهدت الكثير من الحيوانات الأليفة مثل الضأن ، والماعز ، والأبقار ، والإبل التي ترعى في بعض الغايات والخبوت القنفذية، وهناك أحواش وزرائب عديدة في قرى وبلدات المراكز . وشاهدت الكثير من قطعان المواشي والإبل التي تصدر إلى الأسواق الأسبوعية في المحافظة ، وأصحابها من أهل البلاد والملاك لهذه الثروة الحيوانية[٨].

---

(٤) من يقارن حياة الناس الاجتماعية القديمة مع حياتهم اليوم فليس هناك إطلاقاً وجه مقارنة . حيث كان هناك نظم وأعراف وتقاليد قديمة محدودة في القرى ومراكز الاستيطان البشري . والعامل المادي الاقتصادي آنذاك سبب محدودية وتواضع تلك الحياة . أما اليوم فالمال والخير فاض على الناس، فتطورت أحوالهم في شتى المجالات الاجتماعية والحضارية بشكل عام . وعمل دراسة مقارنة بين التاريخ الاجتماعي القديم والحديث والمعاصر في محافظة القنفذة أو بلاد تهامة من الليث إلى البرك موضوع لم يدرس ويستحق أن يوثق في عمل علمي كبير ومفصل .

(٥) مشاهدات الباحث لنواحي وبلدات وقرى عديدة في محافظة القنفذة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . والتحولات الاجتماعية السريعة التي تمر بها البلاد في تهامة والسراة أو عموم المملكة العربية السعودية جدير بالدراسة والتحليل والتوثيق .

(٦) هذا ما شاهدته في بعض هذه المرافئ ، وأخبرني بعض الرواة بممارسة الصيد في عموم مرافئ المحافظة . والذي يعمل في هذه المهنة بعض البحارة الذين يمتلكون قوارب خاصة أو عامة ويساعدهم بعض الأفراد من العمالة الوافدة لممارسة صيد الأسماك المختلفة .

(٧) كان الصيد البري قديماً في عموم تهامة نشطاً ، لحاجة الناس إلى لحوم الطيور والغزلان والأرانب التي يتم اصطيادها ، واستمرت هذه الحرفة في العقود الماضية المتأخرة للنزهة والتسلية ، لكن الدولة أصدرت قوانين صارمة تمنع الصيد ، وذلك لحماية الحياة الفطرية والطيور والحيوانات التي تناقصت أعدادها بشكل كبير ، بل بعضها انقرض بسبب الصيد أو عوامل مناخية وجغرافية وحضارية أخرى .

(٨) يعمل الكثير من العمالة مثل السودانيين والباكستانيين في مهنة الرعي ، وأجرة الفرد الواحد منهم يتراوح

بلاد القنفذة أراض زراعية جيدة التربية ، وأغلبها على أودية كبيرة وصغيرة تجتاز المحافظة من شرقها إلى غربها . والزراعة في الماضي من المهن الرئيسية لأهل البلاد ، وعليها يعتمد نسبة كبيرة من السكان . أما اليوم فازدادت الوظائف الحكومية والفرص الاقتصادية والحضارية التي يعمل فيها أهل البلاد . ومازال البعض من سكان المحافظة يمارسـون زراعة الذرة ، والدخن ، والسمسم، والكثير من الخضروات ، وبعض الفواكه مثـل المانجـو والبرتقال والليمون . ومعظـم اليد العاملة من العمالـة الوافدة من اليمن وبعض الدول العربية وغير العربية . ورأيت العديد من المزارع الخاصــة في وادي حلي ، ومركـز القوز وفيهـا الكثير من المزروعات ، كما زرت بعض الأسـواق التجارية الحديثة ويبـاع فيها الكثير من مزروعات المحافظة المحلية . وتعتمد الزراعة على مياه الأودية أو السـيول، وهناك الكثير من الآبار الارتوازية وبعض الآبار القديمة التي تسـتخدم أيضاً في ري بعض المزارع الطينية (المسقوية)[1].

هناك عشرات الحرف والصناعات والمهن الاقتصادية فلا تخلو ناحية ، أو مدينة، أو بلدة أو قرية كبيرة من ورش صـناعية للسـيارات والأجهزة والآلات الحديثة . ومعظم هــذه الأعمــال في مدينة القنفذة وقلب كل مركز إداري . ونشـاهد علـى جوانب الطرق الرئيسية التي تربط بين المدينة والمراكز ، ووسط كل مدينة أو ناحية محلات اقتصادية عديدة تمارس مهن البيع والشراء ، وأعمال حرفية أخرى مثل غسل الملابس والسيارات، وأعمــال الخياطة ، والحلاقة ، والحدادة ، والصـياغة ، وهندسـة الأدوات الخشـبية ، والفخارية ، والجلدية ، والبلاستيكية وغيرها[2].

(*) **أمـا الحياة التجاريـة الحديثة والمعاصرة فتقـوم في بلاد القنفذة على عدة مؤهلات حضارية اذكر أهمها في النقاط الآتية :**

أ ــ موقـع محافظـة القنفذة الاسـتراتيجي الذي يتصـل بالبحر غرباً ، وحواضـر الحجاز شـمالا ، وجازان وبلاد اليمن جنوب ، والسهول التهامية وبلاد السروات شرقا.

من (١٥٠٠ـ ٢٠٠٠) ريال للشهر. وإلى جانبهم أهل البلاد وأصحاب المواشي ، الذين يشرفون على رعي بهائمهم، وتصـديرها إلى أسـواق المحافظـة . ومحافظات تهامة من صـبيا وبيش في جـازان إلى الليث ودوقة من أنشـط الأسواق التي تعرض مواشيها وبهائمها للبيع في جنوب المملكة العربية السعودية وبخاصة الأجزاء التهامية٠

(١) إن لمهنـة الزراعة في محافظـة القنفذة أو بلاد تهامة من جازان إلى الليث أسـماء وقوانين وأنظمة عديدة منذ بداية الحراثة والزراعة حتى الحصـاد . وللري أيضـا تقاليد واصـطلاحات اجتماعي ولغوية . ناهيك عن مواسم الزراعة والحصاد ، ومسميات الأدوات والقطع الزراعية . حبذا أن نرى باحثين جادين يؤرخون للحياة الزراعية في هذه البلاد قديماً وحديثا ، والعمل أيضاً على إصدار معاجم لغوية للتراث الزراعي الذي مارسه وعرفه أهل البلاد خلال العصر الحديث والمعاصر .

(٢) إن تاريخ ورصد الحياة الحرفية والصناعية الحديثة ومقارنتها مع المهن والصناعات التقليدية القديمة في محافظة القنفذة ، أو في عموم تهامة من مكة إلى جازان موضــوع مهم وجيد فيدرس ويوثق خلاله قرن من الزمن (١٣٤٠ـ ١٤٤٢هـ) ٠

وتربـط بين هذه الناحية وما جاورها طرق رئيسـية كبيرة ونشـطة طوال أيام السـنة . والطـرق الداخليـة بين مدينة القنفـذة والمراكز هـي الأخرى حلقات جيدة بين وسـط المحافظة وأطرافها .

اسـم بعض الطرق ومسافاتهـا التي تربط بين مدينـة القنفذة وغيرها من المراكز والمحافظات والمدن في غرب وجنوب غرب المملكة العربية السعودية

م	أسماء الطرق بين القنفذة وغيرها	مقدار المسافة بالكيلومترات	ملاحظات
١ـ	القنفذة ـ المظيلف	٤٥كم	
٢ـ	القنفذة ـ دوقة	٦٥ كم	
٣ـ	القنفذة ـ الليث	١٦٠كم	
٤ـ	القنفذة ـ جدة	٣٦٠كم	
٥ـ	القنفذة ـ مكة المكرمة	٣٤٠كم	
٦ـ	القنفذة ـ أحد بني زيد	١٥كم	
٧ـ	القنفذة ـ سبت الجارة	٤٠ـ٥٠كم	
٨ـ	القنفذة ـ ثلاثاء الخرم	٦٠كم	
٩ـ	القنفذة ـ العرضيات	١٠٠كم	
١٠ـ	القنفذة ـ خميس حرب	٦٥ـ ٧٠كم	
١١ـ	القنفذة ـ القوز	٣٠كم	
١٢ـ	القنفذة ـ حلي	٦٥كم	
١٣ـ	القنفذة ـ البرك	١٣٠كم	
١٤ـ	القنفذة ـ محايل عسير	١٨٠كم	
١٥ـ	القنفذة ـ المجاردة	١٢٥كم	
١٦ـ	القنفذة ـ جازان	٣٧٥كم	
١٧ـ	القنفذة ـ الباحة	١٤٠كم	
١٨ـ	القنفذة ـ الطائف	٤٣٠كم	
١٩.	القنفذة ـ الدرب ـ أبها	٣٣٠كم	

ب ـ تعدد الأسواق الأسبوعية والأسواق التجارية الحديثة في أنحاء المحافظة جعلها مهوى الكثير من التجار والمتسوقين داخل القنفذة وخارجها . بالإضافة إلى السلع المحلية

التي تصدر إلى الأسواق من المحاصيل الزراعية والثروة السمكية والحيوانية [١].

أثنـاء تجوالي عـام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) في مـدن وبلدات وقرى وأسـواق محافظة القنفـذة ، ثم سـؤالي بعض أعلام هذه البـلاد عن الأسـعار التجاريـة ، وأجور المهن والأعمال الاقتصـادية ، فقد خرجت ببعض المعلومات التاريخية الحضـارية . فأسـعار الأراضـي السـكنية في مدينـة القنفـذة ووسـط مراكز القـوز والمظيلف وحلـي تتراوح أسـعارها من (٣٠٠) ثلاثمائة ألف ريال إلى المليون والمليون والنصف حسب مساحاتها ومواقعها . وربما وجدت أراض وسط مدينة القنفذة على شوارع رئيسية أو على الشاطئ تقـدر أسـعارها بالملايين . وهناك عمارات في مواقع جيدة بهـذه المدن وارتفاعاتها بين الطابق وأربعة طوابق تتراوح أسـعارها من (٥٠٠) و (٦٠٠) ألف ريال إلى ثلاثة وأربعة ملايين ريال . ومثل هذه الأبنية على طرق كبيرة وتجارية في القنفذة والقوز ، وبعضـها ذات مسـاحات كبيرة من ألفين إلى ثلاثة آلاف متر مربع ، وأسـعارها ترتفع إلى عشرة وعشـرين وثلاثين مليون ريال ، وربما زادت عن ذلك . وأسـعار العمارات والأراضـي في المراكـز الأخـرى البعيدة عـن الطريق العام (الـدولي) تكون أسـعارها أقل بكثير من الأسـعار الآنف ذكرها في المدن الرئيسـية مثل القنفذة والقـوز وغيرهما . ورأيت بعض المـزارع الكبيرة التي تقدر مسـاحتها (٥٠٠×٥٠٠م٢) أو (١٠٠٠×١٠٠٠م٢) في القوز ، وحلي، ودوقة ، وسـبت الجارة وأسـعارها تتراوح من (٥٠٠) خمسـمائة ألف ريال إلى أربعة وخمسة ملايين ريال .

وأسـعار الأطعمة والأشـربة واللباس وأدوات الزينة متقاربـة إلى حد ما في المدينة والمراكـز . وأنواعهـا في مدينة القنفذة أكثر وربما أرخصـ في المراكز التجارية الكبيرة أو المسـتودعات . والكيلو من الفواكه ، أو الحبوب ، أو المواد الغذائية الأخرى يتراوح من عشرة ريالات إلى الثلاثين وربما الأربعين والخمسين ريالا ، وهناك سلع مثل حب الهيل ، والعسل ، والسمن المحلي، وتوابل وغيرها فالكيلو الواحد يصل إلى المئة والثلاثمائة ريال . وإذا كانـت المقادير بالأكياس أو المد (الصـاع) فالأسـعار مرتفعة لزيادة الكمية[٢]. وأدوات التشـييد والعمارة المتنوعة تختلف من سلعة إلى أخرى فطن الحديد مثلاً يدخل في خانة الألفي ريال وأكثر. وحملة القلاب من الخرسـانة والبطحاء تتراوح من (٨٠٠ـ ١٠٠٠) ريال . وكيس الإسمنت يصل الثلاثين ريالاً أحياناً ٠

---

(١) تاريخ الأسواق الأسبوعية واليومية الحديثة ، وتاريخ الصادرات والواردات من وإلى القنفذة خلال العصر الحديث والمعاصـر موضـوع جديد لم يدرس في هيئة كتاب أو رسـالة علمية . آمل أن نرى باحثا جاداً يتولى هذه العناوين بالبحث والدراسة والتوثيق ٠

(٢) وقفت على أسـعار بعض الحبوب في مدينة القنفذة وحلي فوجدت كيس الذرة الذي يحتوي على (١٢ـ ١٥) صاعاً بـ (٣٠٠) ريال ، وكيس السمسم بـ (٥٠٠) ريال ، وكيس الدخن من (٣٥٠ـ ٤٠٠) ريال . وفي محلات تجارية أخرى بالمحافظة وجدت مد الدخن من (٢٠ـ ٢٥) ريالا ، ومد الذرة من (٢٠ـ ٢٥) ريالا .

أما أسعار الحيوانات والطيور فالواحد من الإبل من (٥،٠٠٠ـ ١٠،٠٠٠) ريال ، وربما نزل السعر للصغير إلى (٣٥٠٠) ريال ، والأنثى (النياق) تتراوح أسعارها من (١٥،٠٠٠ـ ٣٠،٠٠٠) ريال . والأبقار من (٤٠٠٠ـ ٧٠٠٠) ريال للرأس الواحد ، والضأن من (٦٠٠ـ ١٥٠٠) ريال حسب الحجم والسن والصحة . والماعز من (٨٠٠ـ ٢٠٠٠) ريال . أما الطيور فالدجاجة متوسطة الحجم من (١٥ـ ٣٠) ريالا ، والبط من (٢٠ـ ٦٠) ريالاً ، والأرانب من (٦٠ـ ١٣٠) ريالاً، والحمام من (٥ـ ٣٠ و ٤٠) ريالاً [١] .

تختلف الأطعمة من مكان لآخر فالوجبة الواحدة المتوسطة في المطاعم التجارية تتراوح من عشرة ريالات إلى خمسين وستين ريالا حسب جودة المطعم ونوع الطعام . وهناك بعض المطاعم الكبيرة والجيدة في مدينة القنفذة وفي بعض فنادقها وشققها المفروشة الجيدة وقد تصل الوجبة الواحدة للفرد إلى أكثر من مئة ريال. وهناك بوفيهات ومطاعم صغيرة ورخيصة وأسعارها في خانة (الخمسة ، والعشرة والعشرين ريالا . ومحلات شرب الشاي والقهوة ، وما يعرف حديثاً بـ (الكافيهات) فأسعارها من العشرين إلى الأربعين والخمسين ريالا حسب مقدار الطلب وجودة المكان . والذبيحة الكاملة المطبوخة الجاهزة يتراوح سعرها من (١٠٠٠ـ ١٧٠٠) ريال حسب حجمها ونوعية المطابخ التي أعدتها . والكيلو من السمك يتراوح من (٦٠ـ ١٢٠) ريالا حسب نوع السمك .

دخلت بعض أسواق الألبسة وأدوات الزينة ، وبعض الأدوات المنزلية فوجدت أسعار الألبسة الكاملة المتوسطة النوع للرجل تتراوح من (٥٠٠ـ ١٠٠٠) ريال . وهناك بعض الأحذية والغتر ، والأكوات ، والمشالح تتراوح أسعارها من (٢٠٠ـ ٢٠٠٠) ريال . أما ألبسة النساء فالرخيص منها يقدر بالعشرات والمئات . وهناك ألبسة غالية مثل الذهب والحرير وأدوات الزينة الغالية فأسعارها من المئات إلى الآلاف من الريالات . والأدوات المنزلية بعضها يباع بالريال والريالات ، وأخرى بالعشرات ، وهناك أدوات غالية كالقدور والصحون الكبيرة والجيدة فأسعارها تبلغ مئات الريالات .

وعن الأيدي العاملة فمنهم العامل العادي والمهني وأجرته اليومية من (١٠٠ـ ٣٠٠) ريال حسب نوع العمل والمهنة التي يمارسها ، فأصحاب الخبرة والمهارة تكون أجورهم عالية . وبعض العمال يفضل إنجاز أعماله بالاتفاق الكامل ، أو ما يعرف بـ (القاطوعة) ومقدار الأجور يكون على حجم العمل وصعوبته أو سهولته . وهناك عمال فنيون مثل المهندسين ، والكهربائيين، والسباكين ، والحدادين ، والصباغين ، والنجارين ، فأعمالهم بالاتفاق ، وأحيانا باليوم ، أو بالمتر . وكمية العمل تحكم مقدار الأجرة .

---

(١) وقفت على أسعار بعض المعروضات التجارية ، وسمعت أيضاً من بعض التجار في الأسواق الأسبوعية واليومية في الأيام الأخيرة من شهر ذي القعدة (١٤٤٢هـ) .

وأجور المواصـلات داخل مدينة القنفذة يتراوح من (٥ـ ١٠) ريالات حسـب المشـوار وعـدد الـركاب . وأجرة الراكـب الواحد من القنفـذة إلى جدة (١٢٠) ريـالا ، وإلى أبها أو جـازان مـن (١٠٠ـ ١٥٠) ريالا للفـرد الواحد . والأجور داخل محافظـة القنفذة تقدر بالعشرات حسب المسافة ، والأغراض التي يحملها المسافر معه. أما أجور المعدات فالساعة الواحدة للشـيول (١٥٠) ريالا ، وسـاعة الجـرارات أو التركتورات مـن (٦٠ـ ٩٠) ريالا . ونقل البضـاعة في سـيارة الدينا المتوسـطة بـ (٥٠٠) ريال من القنفذة إلى جدة ، ومثلها إلى جازان ، وقد تكون الأجرة من جدة إلى جازان عبر القنفذة (١٠٠٠ـ ١٣٠٠) ريال[1] .

٣ـ لمحات من تاريخ التعليم ، والثقافة ، والصحة ، والسياحة :

يتوفـر التعليـم العام بجميع مراحلـه للبنات والبنين في مدينة القنفـذة وجميع مراكز المحافظـة الأخرى . وهناك بعض المدارس الأهلية المحدودة في مدينـة القنفذة والقوز[2] . أمـا التعليم العالي فقد بدأ بكلية المعلمين من بدايـة هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . وفي مدينة القنفذة اليوم عدد من الكليات العلمية العالية التابعة إداريا وماليا لجامعة أم القرى . وبلاد تهامة من الليث شمالا إلى البرك والقحمة جنوبا تستحق أن يكون فيها جامعة مستقلة تخدم سكان هذه النواحي المكتظة بالسكان، وفي مدينة القنفذة أيضا كلية للتقنية ومؤسسات فنية أخرى أهلية وحكومية[3] . وأثناء تجوالي في المحافظة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) وجدت عددا كبيرا من أبناء وبنات هذه الناحية يحملون درجات عالية (ماجستير ودكتوراه) ، وبعضهم يعملـون في الكليات الجامعية القائمة في مدينـة القنفذة حاليا ، وآخرون يعملون في التعليم العام ، وهناك أعداد ليست قليلة يعملون في جامعات سعودية أخرى ، أو في بعض الوزارات والمؤسسات الحكومية والأهلية في المملكة العربية السعودية [4] .

---

(١) لم أستقص كل الأسعار والأجور في محافظة القنفذة ومراكزها خلال هذه الرحلة (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، لكنني وثقت بعض النماذج من هذا الموضوع الكبير والمهم ، آمل أن نرى باحثا جادا يدرس تاريخ الأسعار والأجور. في بلاد الساحل من جدة إلى جازان خلال الثمانين عاما الماضية (١٣٦٠ـ ١٤٤٢هـ/١٩٤٠ـ ٢٠٢١م) ٠

(٢) هذا ما عرفته وسـمعته من بعض المسـؤولين في إدارة تعليم القنفذة . وجميع المعلمين والمعلمات سـعوديين ، ومعظـم مقـرات التعليم العام في المحافظة مـن إدارة التعليم ومكاتب التعليـم والمدارس بجميع مراحلها حكومية ، والمدارس المستأجرة قليلة جدا. للمزيد عن التاريخ التعليمي والثقافي والفكري في القنفذة . انظر: القسم الخامس من كتاب (بلاد القنفذة....) الطبعة الأولى ، ص ٣٣٩ـ ٣٤٢ ٠وتاريخ التعليم الحديث في محافظة القنفذة من بداية الخمسينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) موضوع لم يدرس دراسة علمية توثيقية ، آمل أن نرى أحد الباحثين أو المؤرخين الجادين فيعكف على هذا العمل العلمي خدمة لأرض وسكان منطقة القنفذة ٠

(٣) تاريخ التعليم العالي في بلاد تهامة من الليث إلى الدرب مازال محدوداً ومحصـوراً في كليات جامعية قليلة . وهذه الناحية جديرة بزيادة مؤسسات التعليم العالي . كما أن المؤسسات والكليات الموجودة حاليا تستحق التطوير ثم توثيق تاريخها الحديث والمعاصر ٠

(٤) عاصرت التعليم العام والعالي في المملكة العربية السعودية وبخاصة في بلاد السراة وتهامة. وكان محدوداً في النصف الثاني من القرن (١٤هـت/٢٠م)، لكنه قفز قفزات عالية وسريعة خلال الأربعين عاما الماضية

لا تخلـو محافظـة القنفذة ، بل عمـوم تهامة من الليث شـمالاً إلى البرك والقحمة والحريضة جنوباً ، من نشاطات فكرية وثقافية . وأكبر مثال على ذلك أن معظم سكان هذه البلاد انخرطوا في التعليم العام وكثير منهم (رجالاً ونساءً) حصلوا على شهادات جامعية ، وهذا مما رفع مسـتوى الفكر والثقافة عند أهل هذه البلاد . وجميع المدارس والكليـات وإدارات الدعوة والإرشـاد والتوجيه وجمعيات ثقافيـة ودعوية وخيرية أخرى جميعهـا تعمـل علـى رفع فكر وثقافـة أهل البـلاد إلى كل ما فيه خير وصـلاح لدينهم وبلادهم وأهلهم[١] .

في محافظة القنفذة في العصـر الحديث والمعاصـر العديد من الشـعراء ، والأدباء الذيـن يكتبـون القصـة والروايـة . ومنهم مـن عاش ومـازال في المحافظـة حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) وآخـرون انتقلـوا إلى مـدن وحواضـر أخـرى في المملكـة العربية السعودية . وفيهم بعض الباحثين والآثاريين والمؤرخين واللغويين الجيدين الذي أصدروا كتبـاً وأعمـالاً علمية مطبوعة ومنشـورة . وقد اطلعـت على بعض نتاجهـم المعرفي[٢] ، ومازال هناك أجيال صاعدة وجديدة وهم يسعون إلى خدمة بلادهم في ميادين البحث والفكر والثقافة .

مما شـاهدته وقرأت عنه أو سـمعت في محافظة القنفـذة منذ عقدين من الزمان (١٤٢٠ـــ ١٤٤٢هـ/٢٠٠٠ـــ ٢٠٢١م) أن هـذه البلاد تحوي الكثير مـن الموروث الثقافي والحضـاري المادي والمعنوي ، وتسـتحق أن تخدم في ميادين البحث والدراسة والتوثيق، ولن يتم ذلك إلا بإنشـاء بعض المؤسسـات والمراكز العلمية والبحثيـة والثقافية مثل ناد ثقافي وأدبي ، وأيضـاً تأسـيس جامعة تحـوي العديد من الكليـات والمراكز العلمية التيً تركز على خدمة أرض وسكان تهامة من الليث إلى الدرب والشقيق[٣] .

المروي والموثق أن بلاد تهامة قديماً كانت موطناً كبيراً للأوبئة ، وبخاصـة أمراض الملاريـا ، والسـل ، والجـوع ، والفقـر . وبقيـت تعاني من الحاجـة والفاقـة حتى عقود متأخرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبعد شـق الطرق التي تربط هذه البلاد بالسـروات

(١٤٠٠ـ ١٤٤٢هـ/١٩٨٠ـ ٢٠٢١م) حتى أصـبحت مدارس التعليم العام الحكومي والأهلي تقدر بالآلاف . وهناك الآن ست جامعات حكومية من الطائف ومكة إلى جازان ونجران. وبلاد تهامة من الدرب إلى الليث تستحق حالياً أن يكون فيها أكثر من جامعة ، أرجو أن يتحقق ذلك قريباً .

(١) أتجول في ربوع السروات وتهامة منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ووجدت أن هذه المؤسسات الرسمية والأهلية خدمة الأرض والناس ثقافياً ومعرفياً وفكرياً .

(٢) عرفت بعض هؤلاء الأساتذة الذين خدموا بلادهم (محافظة القنفذة) منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومنهم من توفاه الله (رحمهم الله) ، وآخرون مازالوا على قيد الحياة .

(٣) يوجد في هذه البلاد الكثير من الآثار السـطحية والمدفونة ، وثقافات وعلوم ومعارف قديمة ومتنوعة ، وهي جديرة بالجمع والدراسة والتوثيق .

، أو بالحواضـر الرئيسية في المملكة العربية السعودية ، وتطور العلم والتعليم والثقافة ، وتنمية حياة الناس معنوياً ومادياً ، بدأت الحياة تسـير نحو الأفضـل حتى أصبحت هذه البلاد مثل محافظة القنفذة وما جاورها من البلدان تنعم بالخير والنعمة والرفاهية في عهد هذه الحكومة الرشيدة . (المملكة العربية السعودية) [١] .

تشـتمل محافظة القنفذة اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) على العديد من المستشـفيات والمستوصفات الحكومية ، فلا تخلو أي ناحية (مدينة أو مركز) من هذه الخدمة . وفي مدينــة القنفذة ومراكز القــوز ، وحلي ، والمظيلف مراكز طبيــة أهلية تقدم العديد من الخدمات الصحية لأهل البلاد . وفي مدينة القنفذة كليات طبية صحية حكومية تدرس وتخرج العديد من الأطباء والطبيبات. ورأيت في ربوع المحافظة الكثير من الصـيدليات التجاريــة التي تحتوي على صـنوف الأدوية والمسـتلزمات الطبية المتنوعــة . كما قابلت بعض الأطباء من أهل البلاد وهم يعملون في مستشفيات ومستوصفات المحافظة [٢] .

في الوقت الذي زرت فيه محافظة القنفذة في تهامة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) مازال العالم بأسره يعاني من جائحة كورونا (Covid-19) التي بدأ انتشارها في العالم من عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ومازالت حتى الآن (نهاية شـهر ذي الحجة /١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وقد وثقت ونشرت شيئاً من تاريخ هذا الوباء في بلاد السروات وتهامة[٣] .

(*) لاحظـت في رحلتـي الأخـيرة في محافظـة القنفـذة بعض الأمـور التي أدون أهمها عن هذا المرض وأثرة على الأرض والناس .

١- دخلـت بعضـ المجالس الاجتماعية في مدينة القنفذة ، وزرت بعض الأصــدقاء والإخــوان بمنازلهــم في بعض المراكـز ، وذهبت إلى بعض الكليــات الجامعية والمؤسســات الحكومية والتجارية والأهلية ، فســمعت مــن الكثير ممن قابلتهم بموت العديد من سـكان المحافظة بسـبب هذا الوباء (Covid-19) منذ بدايته

---

(١) تتبع تاريخ الأرض والناس في بلاد تهامة من مكة المكرمة إلى جازان (ساحل وسهول داخلية) منذ القرن الثالث عشـر الهجري (التاسع عشـر الميلادي) إلى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) موضوع كبير وميدان خصب وجديد لإنجاز عشرات البحوث العلمية مع توضيح كيف تحولت حياة الناس عبر هذا التاريخ من فقر وجوع إلى رفاهية وتطور وتنمية حديثة .

(٢) لا تقــارن حيــاة تهامة أو بــلاد القنفذة اليوم طبياً عمــا كانت عليه في القرن الماضــي (١٤هـ/٢٠م) . فقد تطورت حياة الناس في المجال الصـحي حتى صـارت بلادهم تشابه مثيلاتها في المدن والمحافظات الأخرى في المملكـة العربية السـعودية . وتاريـخ الطب والتطبيب في عموم السـروات وتهامة منـذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضـر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) موضوع مهم فالواجب دراسته وتوثيقه في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٣) انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية (ق١ ـ ق١٥هـ/ ق٧ـ ق٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ج١٩، ٥١٦ـ ٥٢١ . ج٢٢ ، ص ٥٣٢ ـ ٥٣٤) .

حتى الآن ، نهاية شهر ذي القعدة (١٤٤٢هـ) . ومنهم نساء ورجال وصغار وكبار ، وتوفي بعضهم في مستشفيات ومستوصفات المحافظة ، وآخرون توفاهم الله في مدن وبلدات أخرى في المملكة العربية السعودية [١] .

٢- شاهدت الخوف الشديد الذي عاشه الناس في بدايات المرض في العديد من بلدات السروات وتهامة . ورأيت الخوف مازال عند بعض سكان القنفذة ، لكنه ليس بالدرجة التي عرفها وعاشها الناس في عام (١٤٤١هـ) وبدايات هذا العام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) . ونتيجة للخوف الحالي فالكثير من الناس مازالوا حريصين على لباس الكمامات في التجمعات، وأثناء دخول المساجد ، وصالات الأفراح ، والمراكز الإدارية والتجارية المختلفة[٢] . ورأيت أفراد وجماعات غير قليلة لا يلبسون الكمامة ، ويجلسون بأعداد كبيرة في الاستراحات والمجالس العامة وبعض المناسبات الاجتماعية . ونتج عن ذلك زيادة الحالات المرضية ، والوفيات في عموم بلدان المملكة العربية السعودية[٣] .

٣- معظم الناس ونشاطاتهم المختلفة في محافظة القنفذة عادت إلى سابق عهدها ، وإن كان هناك بعض الحذر والاحترازات ، لكنها ليست كما كانت في البداية، بل رأيت العديد من السكان صاروا يلبسون الكمامات بشكل صوري فتربط على الذقن وأحياناً على الرقبة ، وأصبحت كأداة لبس تعود عليها الإنسان[٤] .

يوجد في محافظة القنفذة الكثير من المعالم الجغرافية الصالحة للسياحة والنزهة مثل الشواطئ البحرية من رأس محيسن شمالاً إلى شواطئ الجميعات وحلي جنوباً . وهناك بعض الغابات والخبوت الجيدة للتخييم ، لكن خدمة هذه الأمكنة مازالت

---

(١) حاولت الحصول على إحصائية دقيقة للمتوفين في محافظة القنفذة من بداية المرض عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . لكنني لم أعثر بشكل دقيق على هذه المعلومات وسمعت أثناء إقامتي في المحافظة عدة أيام موت العديد بهذا المرض في مدينة القنفذة ومركزي حلي والقوز .

(٢) شاهدت هذه الظاهرة في عموم بلدان المملكة العربية السعودية ، وبعد انتشار التطعيم بين الناس ، صار الكثير منهم يتهاونون في الالتزام بالاحترازات الطبية ، والتباعد ، وتجنب التجمعات الكثيرة .

(٣) أدون هذه السطور في نهاية شهر ذي القعدة عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، وقد ارتفعت حالات الوفيات والمرض في منطقة عسير وبخاصة مرتفعاتها بسبب ازدياد أعداد الزوار والمصطافين ، كما زادت الحالات في بعض المدن الكبيرة مثل الرياض وجدة والمنطقة الشرقية . وقد اتصلت هاتفياً ببعض أعلام محافظة القنفذة فأخبروني أن أعداد الوفيات عندهم ارتفعت . وحتى الآن لا يعلم العالم أسرار هذا المرض ، وكل الأخبار عنه قائمة على التخمينات حتى وإن انتشرت بعض الأدوية واللقاحات الطبية .

(٤) الذي جعل هذا الوضع ملاحظاً يعود لأسباب عديدة منها : (١) خوف الناس في البداية من المرض فحرصوا على لبس الكمامة وعدم السلام على بعضهم . (٢) أنظمة الدولة وحرصها وتنبيهها على وجوب لبس الكمامة بشكل مستمر ، وبخاصة في التجمعات ، ومن لا يفعل ذلك فقد يعاقب ويغرم ، وهذا مما جعل الكثير يخاف ويلتزم بالإجراءات والقوانين حتى تحول الأمر عند بعضهم إلى عادة يعيشها أغلب وقته .

بسـيطة، وتحتـاج إلى جهود أكبر من التطويـر والتنمية العمرانيـة . ولا تخلو المحافظة أيضـا من مواقع أثرية وتاريخية مثل مدينة عشـم ، وبعض القرى والقلاع والحصون في مراكـز حلي ، وسـبت الجـارة ، وخميس حرب وغيرها فهي بحاجـة إلى ترميم وتطوير حتى تصبح مكاناً سياحياً لائقاً لمن يزور المحافظة ويتجول في ربوعها . وفي بلاد القنفذة الكثير من الفنون ، والعادات ، والأعراف ، والأسواق الأسبوعية ، والثقافات واللهجات، والآبـار ، والطـرق القديمـة وغيرها وجميـع هذه الميادين مهمة لو سـخرت في خدمة السياحة لخدة أرض وسكان المحافظة[1] .

رابعاً : خلاصة القول :

ذكرت الكثير من النتائج والتوصيات في خاتمة كتاب (بلاد القنفذة ...) الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) [2] . ومازلـت أؤكد على تلك الخلاصـات في الطبعة الثانية من الكتاب نفسـه . وأيضاً أشير إلى أهمية الاهتمام بالمراكز تطويراً وتنمية في مجالات عديـدة ، وقد ذكرت بعضـها في طيات هذه الرحلة . كما أن محافظـة القنفذة مازالت بحاجة ماسـة إلى توثيق تاريخها وآثارها وحضـارتها عبر عصور التاريخ ، آمل أن تقوم الكليات الجامعية الحالية بذلك ، وإن تأسسـت جامعـة في هذه الناحية ، وعموم تهامة من الليث إلى البرك ، فالوضـع سـوف يكون أقوى وأفضل حضـارياً وتنموياً. وفي ختام هذه الرحلة أشكر كل من دعمني واستقبلني وسار معي في مناكب المحافظة ، كما أشكر كل من زودني بمعلومات علمية صـحيحة ، أو من صحح لي بعض الأقوال والروايات ، أو من كان له فضـل وإحسـان في جمع مادة هذه الرحلة القصـيرة . وصلى الله وسلم على رسوله الأمين. حرر في (١٤٤٢/١٢/٢٧هـ الموافق ٦/ أغسطس /٢٠٢١م) .

---

(١) تاريخ السياحة في بلاد تهامة من مكة المكرمة إلى جازان مازال غير مخدوم في ميدان البحث . كما أن هذه البلاد تسـتحق اهتماماً وخدمات أكثر، وإن حدث ذلك فسـوف تكون من البلدان السياحية المهمة في جنوب المملكة العربية السعودية .

(٢) الصادر في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .



القسم السادس

من الذكريات والمشاهدات وسيرة علمية خاصة

(١٣٧٩- ١٤٤٢هـ

١٩٥٩ - ٢٠٢١م)

القسم السادس

من الذكريات والمشاهدات وسيرة علمية خاصة (١٣٧٩-١٤٤٣هـ / ١٩٥٩ - ٢٠٢١م)

أولاً: مدخل:

إن الذكريات والمشاهدات والسير الذاتية من الموضوعات المطروحة في الساحة العلمية والثقافية من قديم الزمن. فالقارئ لكتب التراث العربي والإسلامي منذ فجر الإسلام حتى وقتنا الحاضر. يجد هذه المجالات العلمية مكتوب عنها وموثقة في ميادين حضارية متنوعة. والوضع نفسه موجود في ثقافات وحضارات الأمم الأخرى قبل الإسلام وبعده[1] .

وفي هذا القسم أدون بعض الذكريات والمشاهدات بشكل خاص، وفي بعض الأمكنة التي زرتها وتجولت في أرجائها منذ ولادتي حتى الآن (١٣٧٩ـ١٤٤٣هـ/١٩٥٩ـ ٢٠٢١م)[2]. ولن يكون الحديث عن نفسي، لكنني أحرص على تدوين تاريخ للأرض والناس الذين عاصرتهم، وشاهدتهم ولي ذكريات في أوطانهم[3]. من ثمانينيات القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

---

(١) هذا الذي عرفته وقرأت عنه وأنا أسير في مناكب الأرض داخل المملكة العربية السعودية وخارجها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) لا أدعي الإحاطة بكل المشاهدات والذكريات، لهذا أوردت حرفي (من) في العنوان الرئيسي للقسم، ومحور الذكريات والمشاهدات، وسوف أجتهد في تدوين ما أستطيع وتسعفني به الذاكرة خلال أكثر من ستة عقود. (١٣٧٩ـ ١٤٤٣هـ/١٩٥٩ـ٢٠٢١م) .

(٣) قد يقول قائل إن موسوعتك التي تعمل عليها منذ عشرين عاماً، كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**. والعنوان الرئيسي في هذا القسم (من الذكريات، والمشاهدات ... إلخ) دون تحديد مكان هذه الذكريات، والمفروض أن يحدد في جنوبي البلاد السعودية. وهذا كلام صحيح. ومعظم توثيقي سوف يكون مركزاً على بلاد السروات وتهامة وأيضا سوف أرصد بعض الذكريات والمشاهدات المحدودة التي عاصرت بعضها في أجزاء أخرى داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها، لهذا تركت العنوان مفتوحا، وسيتضح للقارئ الكريم المادة العليمة المدونة بعد الاطلاع عليها.

أمــا المحــور الثــاني ، فهــو موجز لســيرتي العلميــة التي مارســتها ، وعشــت بعض فصــولها منذ التحاقي بالمدرسة الابتدائية عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) حتى الآن . وأكدت على مصــطلح (العلمية) لأن كتابة الســير الذاتية يجب أن تكــون متكاملة اجتماعياً ، واقتصــادياً ، ودينيــاً ، وثقافيــاً ، وعلمياً وفكرياً ، ونفســياً ، وغيرهــا) وهذه تحتاج إلى جهود أكبر وأطول ، مع توفر المادة العلمية المكتوبة أو المروية ، وهذا ما لا أستطيع القيام به الآن ، وقد أجد في المستقبل الوقت الكافي والمصادر الرئيسية والصحيحة التي تعينني على إنجاز ذلك[1] .

(١) لم أســهب الحديث فيما قمت بإنجازه أو المشــاركة فيه من أعمال علمية وإدارية وغيرها داخل المؤسســات التعليميــة التي عملت أو درســت فيها ، أو المجتمعات التي عشــت مــع أهلها داخل المملكة العربية الســعودية وخارجها .

ثانياً: من الذكريات والمشاهدات (١٣٧٩ـ ١٤٤٣هـ / ١٩٥٩ـ ٢٠٢١م):

أولاً: ذكريات ومشاهدات في بلاد النماص (سراة وتهامة بني شهر وبني عمرو في عسير) (١٣٧٩ـ١٣٩٦هـ/ ١٩٥٩ـ ١٩٧٦م).

ولدت في قرية آل مقبول العمرية الأزدية في سروات إمارة (محافظة) النماص عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) . وفي سن الخامسة ذهبت إلى منزل والدي في قرية آل رزيق الشهرية الأزدية ، وبقيت فيها حتى نلت شهادة الثانوية العامة ، القسم الأدبي ، عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) [١].

عشت سبع عشرة سنة في سروات إمارة (محافظة) النماص ، وعرفت وشاهدت الكثير من جوانب الحياة. فأهل البلاد من القرى والقبائل هم الذين يستوطنون ديارهم تحت إمرة شيوخهم ، وإشراف المؤسسات الإدارية الحديثة التي معظمها في قرية أو بلدة النماص ، وبدأت تظهر وتؤسس إدارات أخرى حكومية حديثة في كل من تنومة وبلاد بني عمرو[٢]. ومع حداثة سني في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) شاهدت

---

(١) للمزيد انظر كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** (الرياض: مطابع الحميضي ،١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) ، ج١٤، ص ٤٠٨ـ٤٣٨) . وكتاب: **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)**، (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ،ط٤، ص٤٣٩ـ٤٧٠. للمزيد عن سيرة غيثان بن جريس . انظر محمد بن أحمد بن معبّر. **مؤرّخ تهامة والسراة (غيثان بن علي بن جريس) دراسة توثيقية** (الرياض: مطابع الحميضي ،١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ط٢ (٥٨٤صفحة) . عوض بن عبدالله بن ناحي . **المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧ـ١٤٤٠هـ/١٩٨٧ـ٢٠١٨م)** (الرياض: مطابع الحميضي ،١٤٤٠هـ٢٠١٩م) . (٥٨٤ صفحة).

(٢) التاريخ السياسي والإداري في عموم بلاد الحجر (بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو) سراة وتهامة موضوع لم يدرس وبخاصة في التاريخ الحديث والمعاصر (من بداية القرن الرابع عشر الهجري

الكثـير مـن القـرى وأهلهـا في سـروات النماص من بـلاد تنومـة إلى قرى آل الشـيخ وبنـي رافع في شـمال سـروات بني عمرو ، بـل ذهبت مع مدرسـتي الثانويـة بالنماص عـام (١٣٩٤- ١٣٩٥هــ/ ١٩٧٤-١٩٧٥م) في رحلـة طلابيـة إلى أطـراف مدينة أبها . وفي نهايـة الثمانينيـات وبداية التسـعينيات ذهبت في رحلتين إحداهمـا مع والدتي إلى الحـج ، والأخـرى مع عمي محمد بن عبدالرحمن أبو مارق إلى أسـواق خاط والمجاردة الأسـبوعية في تهامة بني عمرو وبني شـهر ، كما سـافرت في رحلتين أو ثلاث ولفترات قصـيرة لزيارة أخي الأكـبر محمد بن جريس في الرياض ، وخـالي عبدالله بن محمد العمـري الملقـب بــ (ابن جـراد) في مدينة الدمـام ، وزيارة ثلاث أخـوات متزوجات (فاطمة ، وسراء ، وقبلة) في الطائف ، وراس تنورة في المنطقة الشرقية [١] .

(*) وفي النقـاط الآتية أرصـد بعض المشاهدات والذكريـات والانطباعات التـي رأيتهـا وعرفتها من حياة (تاريـخ) الناس آنـذاك ، في مرحلتي الطفولة وبداية الشباب ، وهي على النحو الآتي:

١- كانـت الأرض مليئة بخيراتها ومواردها الطبيعية ، فالميـاه متوفرة بكثرة في الآبار، وتجـرى مياه الغيول والعيون والأودية فترات طويلة خلال العام ، والسـيول تسـقط باسـتمرار ، والبلاد مكسـوة بغطاء نباتي جميل فيه من كل الأشجار ، والشجيرات، والحشـائش ، والنباتـات المتنوعـة . وتـرى جميـع الأراضـي الزراعية (المسـقوية والعثرية) مليئة بالمزروعات المختلفة . وأهل البلاد أنفسهم (نساء ، ورجالاً ، صغاراً وكباراً) هم من يقوم على خدمة مزارعهم من إصـلاح الأرض وحرثها وتسـويتها إلى زراعتها وحماية محاصـيلها وحصدها وخزنها . وتعج الأرض بالكائنات الحية الأخرى . فالناس في السـراة والبادية وتهامـة يملكون الكثير من الحيوانات الأليفة (الإبـل ، والأبقـار، والضـأن ، والماعـز ، والحمـير ، والقطط ، وكلاب الحراسـة وغيرهـا) ، وعندهم أنواع عديدة مـن الطيور المنزلية كالدجـاج ، والبط ، والأوز، والحمـام . وهنـاك كائنـات برية أخرى كثـيرة مثل الأسـود ، والنمـر ، والذئاب ، والثعالـب ، والنيص ، والفهد ، والقرود ، والأرانب ، والغزلان ، والوبران ، والثعابين والعقارب والزواحف بأنواعها[٢] .

حتى الآن ١٤٤٣هـ) . آمل أن يكون موضـوعاً يدرس في هيئة كتاب أو رسـالة ماجستير أو دكتوراه . وجامعتا الملك خالد وبيشـة عليهما وعلى كلياتهما وأقسـامها مسـؤولية كبيرة لخدمة تاريخ وحضـارة منطقة عسير الشرقية، والسروية ، والتهامية .

(١) كل هذه الرحلات والمشـاهدات تقريباً خلال عشـر سـنوات (١٣٨٦ــ ١٣٩٦هـ/١٩٦٦ـ ١٩٧٦م) ، وسـني آنذاك يتراوح بين السابعة والسابعة عشرة .

(٢) كانـت الأرض فعـلاً آنذاك مكتظة بكل هذه النشـاطات والكائنـات الحية ، وكان الناس مثـل خلية النحل يمارسـون أعمالهم في أوطانهم ، ويعتمدون على أنفسـهم في توفير احتياجاتهم الضـرورية . ودراسـة هذه

٢- إن السائر والمشاهد في هذه البلاد المعنية في هذه الصفحات خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) يرى كل عشيرة من قبيلتي بني شهر وبني عمرو، أو من قبائل بلاد تهامة والسراة الممتدة من أبها إلى الطائف تعيش في قراها التي يعود بعضها إلى الوراء مئات السنين. ومادة البناء المستخدمة آنذاك الأحجار والطين، أو الطين فقط في بعض القرى العسيرية القريبة من أبها، أما الأجزاء الشرقية اليدوية فبيوت الشعر هي المعروفة والسائدة، وهناك قليل من الأبنية الحجرية والطينية. أما الأجزاء التهامية في خاط والمجاردة وما جاورها فالعشش، ومفردها عشة كانت المنازل الرئيسية في تلك النواحي. ولا تخلو البلاد من أبنية حجرية. ومن نهاية التسعينيات في القرن الهجري الماضي بدأت العمارة الحديثة المسلحة تظهر في بلدات وقرى وحواضر السروات وتهامة[1].

والأبنية أنواع، فهناك بيوت الناس في القرى[2]، تتكون من غرفة وغرفتين وأحياناً تزيد إلى الثلاث والأربع، ومعظم المنازل من دور واحد، وربما دور وبعض الغرف القليلة والصغيرة على الطابق الأول. وإلى جوار كل منزل مرافق مبنية بالأحجار، أو القش، ثم الزنك من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وغالباً تستخدم سكناً للبهائم، ومخزناً لبعض الأغراض، وهناك بيوت تتكون من حجرات عديدة بعضها سكن للناس، وأخرى مأوى للحيوانات الأليفة، ومستودعات للحبوب والأعلاف. ويوجد في كل قرية وما حولها آبار، وبعض القنوات المائية، ومقابر، وأحمية عامة وخاصة، ومساجد، وطرق ودروب صغيرة تربط بين منازل القرية الواحدة، أو بين القرى المتقاربة والمتجاورة. وهناك دروب تسير إلى الأجزاء الشرقية (البدوية) أو الغربية التهامية. وتلك الطرق كانت قليلة ووعرة فلا يذهب الإنسان إليها إلا مشياً على الأقدام وقد يصطحب معه بعض الدواب مثل الحمير والأبقار والمواشي الأخرى[3].

المحاور المدونة أعلاه منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد في بابه ليس في محافظة النماص. لكن في عموم بلاد السروات وتهامة، من حواضر الحجاز الكبرى إلى بلاد جازان ونجران.

(١) تاريخ العمارة وتاريخ القرى في جنوب البلاد السعودية موضوع مهم حبذا أن يدرس ويوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) عشت السبع عشرة سنة الأولى من عمري في قريتي آل مقبول وآل رزيق، وكنت أشاهد قرى العشائر الأخرى مثل قرى النماص، وآل عمر، وآل سلامة، وبني روق من عشيرة الكلاثمة الشهرية. وقرى آل معوطة، والخاضرة، وعاكسة، وصدريد من عشيرتي بني جبير وكعب. وقرى آل سكوت، وآل غيهب، وآل ساعد، وآل غواله، وآل ذا المظر من عشيرة بني كريم العمرية. وقرى أخرى عديدة عمرية وشهرية في السراة وبعض البوادي وناحيتي خاط والمجاردة. وأقول إن الأبنية والقرى القديمة في عموم السروات وتهامة من الموضوعات الجديدة في أبوابها وتستحق أن تدرس تاريخياً وأثرياً وحضارياً من صدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر. آمل أن نرى بعض المؤرخين والآثاريين الجادين فيدرسونها، أو يوثقون تاريخ بعض القرى القديمة المذكورة في بعض المصادر وكتب التراث المبكرة.

(٣) عاصرت هذه الطرق الصغيرة بل مشيت في بعضها من السراة إلى بعض الأجزاء البدوية الشرقية عندما

ومن الثمانينيات ثم التسعينيات بدأت طريق السيارة تصل إلى بيشة ثم سروات بلقرن (العلاية) حتى النماص وتنومة . وطريق الطائف أبها أيضاً بدأ العمل فيه ترابياً ، وصارت السيارات تصل إلى النماص وأبها لكن بصعوبة شديدة جداً لصعوبة التضاريس ووعورتها[١] .

والحصون والقصور من الأبنية التي عرفتها بلاد (محافظة) النماص ، ونراها متناثرة في عموم السروات وتهامة . وبعض الأعيان والشيوخ والمقتدرين ماديا هم من شيد قصوراً ومنازل كبيرة . ويوجد في أغلب قرى بلاد الحجر ، أو بلاد بني عمرو وبني شهر بيوت كبيرة لها مرافق عديدة وترتفع إلى عدة طوابق [٢] . وهناك حصون عامة داخل القرى ، وأخرى في الأودية والجبال . فالأولى تستخدم مخزناً لأفراد القرية يخزنون فيها حبوب مزارعهم . أما التي على رؤوس الجبال وفي بعض الأودية وعلى أطراف القرى فهي أبراج مراقبة لحماية القرية وأهلها ومزارعهم . وقد رأيت أبراجا أو حصوناً متوسطة الجودة في البناء والارتفاع ، وأصحابها أفراد أو أسر ، وتستخدم للغرضين معاً للحراسة والمراقبة ، وللسكن وخزن بعض الأغراض والحبوب وغيرها [٣] .

٣- كانت معظم الأطعمة والأشربة في سروات النماص وتهامة وما جاورها من منتوجات مزارعهم ومواشيهم . ويوجد في أسواقهم الأسبوعية بعض الأطعمة

كان عمري حوالي (١٢) عاماً ، وكانت فعلاً طرقاً صغيرة وضيقة ووعرة ، بل كل الطرق حتى التي داخل القرى أو تربط بعض القرى المتجاورة بعضها مع بعض ، فلا يزيد عرضها عن نصف متر ، وقليلا يصل إلى المتر والمتر والنصف ، ولا يسلكها إلا الدواب ، أو الناس مشياً على الأقدام . ومازالت آثار بعضها واضحة حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، وبخاصة العقبات التي تربط بين السراة وتهامة ، أو الطريق التي تسير إلى واديي ترج وبيشة وغيرهما شرقا .

(١) جاءت طريق السيارة إلى سروات بني شهر وبني عمرو وما جاورها في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ٢٠م) ، وقد أخذ شقها وتعبيدها سنوات طويلة من ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى بدايات هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) . واليوم ولله الحمد أصبحت الطرق المسفلتة المزدوجة أو الكبيرة تربط أجزاء السروات وتهامة من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها . **المصدر: معاصرة الباحث للتطور والتنمية الذي تعيشه البلاد من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)** .

(٢) هذا ما عرفته وشاهدته في سروات النماص وما جاورها ، والذاهب اليوم في أرجاء السروات وتهامة يشاهد هذه الحصون والقصور مازالت ماثلة للعيان ، لكن بعضها أصابها الخراب واندثرت بالكامل ، وأخرى انهدمت بعض أجزائها . وهذه المعالم التاريخية الحضارية قديمة وتحتاج الرعاية والترميم والصيانة ، والواجب على كل من يستطيع صيانتها وحفظها من الاندثار أن يسارع إلى فعل عمل إيجابي تجاه هذا الموروث المهم .

(٣) إن القرى القديمة الواقعة في الأراضي السروية والبدوية من بلاد بللحمر جنوباً إلى بلاد غامد وزهران شمالاً مازالت مليئة حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بالقصور والحصون القديمة الماثلة للعيان ، لكن في أوضاع رثة ومتهالكة ، فلم تعد مكانا للاستخدام ، ولا مرعية ومحافظ عليها من أهلها سواء كانوا أفرادا أو جماعات . ونلاحظ هيئة الآثار والسياحة منذ عدة سنوات بدأت ترمم وترعى أعدادا قليلة من هذه الآثار المعمارية ، وهذا عمل مبارك ، لكن عموم القرى والحصون والقصور القديمة تحتاج أموالا كثيرة وجهودا كبيرة لحفظ هذا التاريخ والموروث الحضاري العريق . آمل أن نرى هذا التراث مخدوماً بالصيانة والحفظ والرعاية .

القليلة المستوردة من حواضر المملكة العربية السعودية الكبرى مثل الأرز ، والسكر، والشاي ، والقهوة، والتوابل والبهارات وبعض الأطعمة المعلبة . وفي البساتين والمزارع المحلية تزرع بعض الفواكه والخضروات كالفركس ، والتفاح البلدي ، والعنب ، والتين الشوكي (البرشومي) ، والطماطم ، والبطاطس ، والكوسة (القرع) والقضب (البرسيم) . ولا يوجد مطاعم أو أماكن للشرب والطعام اللهم إلا قرية النماص كان فيها دكان واحد يعمل فيه الوافدون من اليمن يقومون بإعداد خبز التميس مع الشاي ، وأحياناً يقدم معه الفول والجبن[1] . والنساء من يقمن بإعداد الأطعمة والأشربة في منازلهن ، وفي اليوم الواحد ثلاث وجبات رئيسية قبل شروق الشمس، وفي وسط النهار، وبعد صلاة المغرب مباشرة ، وأحياناً يتخللها بعض المشروبات أو الأطعمة الخفيفة . وجميع أفراد الأسرة يجتمعون على الوجبة الواحدة ، وتقوم المرأة بتوزيع الطعام على أفراد أسرتها إذا كان خبزاً، وإذا كان أرزاً أو عصيداً وما شابه ذلك فقد يأكل الرجال إذا كانت الأسرة كبيرة ثم يأتي بعدهم النساء، وربما قدم الطعام في صحنين أحدهما للرجال وآخر للنساء. والرجال من يتولى ذبح الذبائح وإعداد الطعام في المناسبات والولائم الكبيرة ، والنساء يساعدن بإعداد الخبز والعصيد مع الذبائح التي أشرف الرجال على إعدادها . والناس ليسوا سواسية في قدراتهم الاقتصادية ، فالفقراء يقتصرون في أطعمتهم على خبز الذرة والشعير وأحياناً الحنطة . أما متوسطو الحال أو من أوضاعهم المادية جيدة فعندهم بعض الأطعمة المتنوعة في أنواعها وطرق طهيها . والكثير من أدوات الشراب والطعام صناعات محلية ، وهناك من يستعمل أدوات مصنوعة من المعدن أو الفخار وأحياناً البلاستيك أو الزجاج تستورد من أسواق الحجاز وموانى البحر الأحمر الشرقية وغيرها[2] .

كانت ألبسة الناس وزينتهم بسيطة ، فالرجل صغيراً أو كبيراً يملك ثوباً أو ثوبين بالكثير، أحدهم لممارسة الأعمال اليومية ، والآخر للأعياد والمناسبات الاجتماعية وصلاة الجمعة . وهناك الكثير من الأفراد يعيشون بثوب واحد، وكبار السن والشباب يغطون رؤوسهم بالغترة (الدسمال) والطاقية ، وبعض الصغار يفعل ذلك أيضاً ، وآخرون تكون رؤوسهم مكشوفة . والأحذية بسيطة مصنوعة من الجلد والبلاستيك، ولا تخلو البلاد من أسر وأفراد ميسوري الحال ، فترى ملابسهم جيدة في أشكالها

---

(١) هذا الذي عرفته وعاصرته من عام (١٣٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م) .

(٢) إن أهل السراة وتهامة لهم تراث وتقاليد في إعداد أطعمتهم وأشربتهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث . وهناك أسماء ومفردات واصطلاحات لغوية محلية يمارسها ويعرفها أهل البلاد . كما أن عندهم وثائق وبعض المرويات التي توارثوها من أسلافهم . وجميع هذا التراث مازال بعضه معروفاً عند كبار السن ، أو معروضاً في بعض المتاحف التاريخية المحلية ويستحق أن يجمع ويدرس ويوثق .

وأنواعها. والنساء مثل الرجال في محدودية اللباس ، وغالباً تكون ألبسة الجميع أثواباً وأردية وأكواتاً وملاحف وأقمشة مختلفة لتغطية الرأس والجسد الخارجي . أما الملابس الداخلية فهي قليلة وأحياناً نادرة أو معدومة عند الرجال وبعض النساء. وللجنسين ملابس تخزن وتحفظ فقط للاحتفالات والمناسبات الاجتماعية العامة . ومن زينة الرجال العقال ، ولبس الأحزمة ، وحمل بعض الأدوات مثل السيوف ، والبنادق، والخناجر. وهناك من يلبس الخواتم في اليد ، وأحياناً توضع الأقلام في الجيب ، أو تحمل المسبحة في اليد . ومنهم من يكتحل بالكحل ويتزين بحمل الريحان وبعض الروائح العطرية على الرأس وفي الجيب. وقد تلبس النظارات على العيون ، وتعالج وتلبس الأسنان بمعدن الذهب أو الفضة . ويتزين النساء بالحناء والأطياب والبخور التي تجلب من الأسواق الشعبية ، ويلبسن الخرز ، والمسك ، والحجول في العنق والأيدي. ولهن عصائب وأحزمة من الفضة أو الذهب ، ولا يملكها كل النساء ، وإنما متوسطي الحال أو الأغنياء ، وقد تستعار الحلي من بعض النساء أثناء الزواجات والاحتفالات والمناسبات العامة . ورأيت عموم الناس في بداية الثمانينيات أكثر فقراً وأقل لباساً وزينة . ومنذ التسعينيات بدأت أحوال أهل البلاد تتحسن فصاروا يتوسعون قليلاً في أنواع ملابسهم وجودتها ، ولم يأت بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا أصبحت أوضاعهم أفضل مما كانوا عليه في السبعينيات والثمانينيات ، وصار الواحد منهم (ذكراً أو أنثى) يحوز أكثر من نوع من اللباس والزينة. بل شاهدت الأسواق أصبحت تعرض وتبيع أنواعاً مختلفة من ألبسة الجسد الداخلية والخارجية ، والكثير منها يستورد من أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وأثناء تدوين هذه السطور زرت بعض الأسواق الشعبية في عسير ، والباحة، وجازان، ونجران . كما اطلعت على أدوات اللباس والزينة القديمة ، المعروض بعضها في الأسواق، أو في بعض المتاحف التاريخية المحلية فوجدتها أصبحت من التراث ، فلا يقبل الناس عليها ، وإنما يشترى بعضها للذكرى كنوع من الموروث التاريخي والحضاري. أما المعروضات في المتاحف فهي فقط للاطلاع والمشاهدة[1] .

من عادات وتقاليد الأسرة والمجتمع قديماً التآلف والترابط والتعاون والتكافل. فأفراد الأسرة تراهم في تعاون مستمر أثناء ممارسة أعمالهم داخل البيوت وخارجها. وأفراد القرية أو العشيرة الواحدة يعملون في مزارعهم وحرفهم المختلفة ، وتسودهم المحبة والتآزر في جميع فنون حياتهم . وإذا مرض الواحد منهم أو جرى له ظرف أو كرب فالجميع معه ومن حوله حتى يتجاوز محنته . وقد عاصرت أبناء قريتي والدتي

---

(١) تاريخ اللباس والزينة في مناطق عسير ، والباحة ، والطائف ، والقنفذة ، وجازان ، ونجران خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع كبير ومهم يستحق الدراسة والتوثيق . وهو يعكس جانبا من تاريخ هذه البلاد الحضاري وبخاصة بعدما كثرت الألبسة في أنواعها أو أشكالها ، فأصبحت الأجيال الجديدة لا تعرف شيئاً عن هذا الموروث الحضاري المهم . كما أن توثيق الأسماء والاصطلاحات اللغوية والمفردات لتلك الألبسة وأدوات الزينة القديمة من الأعمال المهمة الواجب جمعها وتوثيقها .

ووالدي والقرى المجاورة فكانوا متعاونين متقاربين في أفراحهم وأحزانهم، وفي استقبال ضيوفهم، وفي مهن رعيهم وزراعتهم وغيرها [١].

وتقاليد الزواج تبدأ من رغبة الرجل في الزواج، ثم البحث له عن زوجة، والوالد والوالدة أو كبير الأسرة هم من يقومون بالإشراف على سير مراحل الزواج من البداية إلى النهاية، ولم يكن الزواج صعبا من فترة الحصول على الزوجة المناسبة حتى الدخول بها، كما أن الزواج آنذاك كان محصوراً في الأسر أو القرى المتقاربة والمتجاورة، وقليلا من يتزوج من قرى وقبائل بعيدة [٢].

كانت عادات العيد أفضل مما نشاهد اليوم، فالناس قبل حلول العيدين بأيام قلائل يرتبون منازلهم وينظفون ما يحتاج له تنظيف من الأثاث وغيره. ويحرصون على شراء بعض الألبسة وأدوات الزينة لأفراد أسرهم. وإذا جاءت أيام العيد الثلاثة فهم يفرحون خلال النهار بالزيارات لبعضهم البعض والتجمعات وممارسة بعض الألعاب والفنون الشعبية. وكل أسرة تفتح أبواب منزلها من الصباح الباكر، ويستقبلون الزوار من أقاربهم ورجال ونساء قراهم وبلداتهم [٣]. وكنت من سن العاشرة حتى الخامسة عشرة أذهب في أول النهار راجلاً مع والدي أو أحد أخواني لزيارة والدتي وجدتي في قرية آل مقبول، وزيارة عماتي (جمعة وسمهاء) في قرية شوكان بالخاضرة. ودائما يكون معنا هدية عيدية تقدر بخمسة ريالات، وارتفعت إلى عشرة ريالات في التسعينيات [٤]. وعند ذهابنا ورجوعنا نرى الناس في حركة مستمرة تسودهم الفرحة

---

(١) مازال التعاون والتكاتف معروفاً اليوم عند الناس، لكن تطبيقه على أرض الواقع أصبح أقل وأضعف من الماضي. وربما توسع الناس في حياتهم العامة، وتقارب البلدان والثقافات، وظهور موانع وصوارف جديدة جعل هذه العادة الاجتماعية تضعف وتتراجع بين الأفراد والأسر والمجتمعات.

(٢) قبائل بني شهر وبني عمرو متجاورة ومتداخلة في السراة وتهامة، ومثلها قبائل بللحمر وبللسمر، وقبائل بلقرن وشمران وخثعم، وزهران وغامد. ولذا فهم يتزاوجون من بعضهم، ومن الأقرب في الأقرب في مواطن الاستيطان. وقد عاصرت أفراداً من بلاد بني شهر في النماص تزوجوا من قرى عمرية مجاورة أو العكس، لكنهم في السابق لا يذهبون بعيداً حتى في القبيلة الواحدة، وإنما من القرية أو القرى أو العشيرة أو العشائر المتجاورة وأحياناً المتداخل في المنازل والمزارع والأحمية العامة.

(٣) هذا بخلاف الوقت الحاضر فالكثير من الناس اليوم وأحياناً جميعهم يخلدون إلى النوم من بعد صلاة الفجر إلى الظهر وأحياناً العصر. وقد تجولت بمحافظة النماص وغيرها من بلدان منطقة عسير في عيد الأضحى من عامي (١٤٤١ـ١٤٤٢هـ) فلم أجد أي نشاط أو أفراح للعيد، واجتهدت في زيارة بعض الزملاء والأصدقاء من الساعة الثامنة إلى الثالثة عصراً في عدد من القرى بسراة محافظتي تنومة والنماص فلم أجد أحداً يفتح الباب، وكأن بيوتهم ومرافقها خالية من البشر، وهم فعلاً موجودون لكنهم جميعهم نائمون. وشاهدت الوضع نفسه في مدن ومحافظات أخرى في منطقة عسير (سراة وتهامة) وما جاورها.

(٤) عادة العيدية قديمة فالرجال يزورون قريباتهم أيام العيد ويهدونهن بعض النقود. والنساء يزرن أهلهن وبخاصة الوالدين والإخوان والأخوات. ويتبادل النساء الهدايا والزيارات داخل القرية الواحدة وأحياناً في القرى المتجاورة. وهذه العادة تراجعت كثيراً وأصبح الكثير من الناس يكتفي بالاتصال الهاتفي أو أي وسيلة اتصال. وقد يجتمع أفراد الأسرة أو الأسر أو القرية ليلة العيد أو الليلة الثانية، واجتماعاتهم غالباً في الاستراحات وقاعات الحفلات التي انتشرت بكثرة في كل مكان، ويقضون وقتاً سعيداً وفرحة بالعيد.

وبشاشة الوجوه والسلام والترحيب بكل من يقابلون أو يزورون أو يستقبلون .

والوفاة والجنائز لها تقاليد عند أهل السـراة وتهامة ، فالمريض إذا حل به المرض اجتمعـوا حوله أهله وأفـراد قريته يؤنسـونه ويخففون عليه آلامه وأحزانـه . فإذا توفي تعاونـوا في حفـر قبره ، وغسـله وتجهيزه في منزلـه ثم نقله إلى المقبرة والصـلاة عليه ودفنه . ويعودون إلى منزله لإقامة مراسـم العزاء لمدة ثلاثة أيام ، ولا يسـلم أهل الميت مـن العناء والتعب الجسـدي والمادي الذي ينفقونه وقت العـزاء .وأحياناً يقوم الأقارب وأفراد القرية فيذبحون ثور الميت أو بعض الأغنام من مواشيه ، ويقولون هذه (حَفَرَّة) أي صدقة على الميت . وبعض المتوفين يوصي بذلك قبل موته[1].

لا تخلو البلاد من عادات وتقاليد أخرى ، فالقرية أو العشـيرة لها نائب أو شـيخ ، ومن حوله بعض الكبار والعارفين ، ودورهم ضبط الأمن في البلاد ، وإصلاح ذات البين بين المتخاصـمين والمتشـاحنين ، وأيضاً الاتصال مع مؤسسـات الدولة في بلدة النماص مثل الشـرطة ، والإمارة (المحافظـة) والمحكمة وغيرها ، من أجل الحفاظ على الأمن ومراقبـة أحوال البلاد الإدارية والاقتصـادية والاجتماعية والعلمية والتعليمية . وهناك الكثير من القواعد والأعراف التي دونتها العشـائر والقرى من أجل حفظ حقوق الناس ، ومحاربة ومعاقبة من يسعى إلى التعدي على الغير، تدون من قبل شيخ أو نائب القرية أو القبيلة ، ويوقع عليها رموز تلك الناحية ثم يطلع عليها القاضي أو الأمير (المحافظ) ويصدق على ماجاء فيها ، ويحث على الالتزام ببنودها .

وللناسـ فنـون شـعبية وترفيهيـة ، فالرجال يمارسـون ألعاب العرضـة واللعب في الزواجات ، وأيام الأعياد ، واسـتقبال الضـيوف أو المسـافرين والحجاج . ولهم موروث أدبـي من الغناء والأهازيج والأشـعار. وهناك بعض الأفراد الذيـن يحفظون أو يقولون هذا الأدب أثناءممارسـة هذه الفنون [2]. والنسـاء أيضاً يمارسـن فنوناً وألعاباً شعبية

---

(١) تغـير الحال في وقتنا الحاضـر فإذا مرضـ المريض نقلوه إلى أقرب مركز طبي ، وإذا توفي أصـدروا وثيقة تؤكد وفاته ثم ينقل إلى مغاسل للأموات في أقرب مسجد أو جامع ويغسل ويصلى عليه ثم ينقل إلى المقبرة ويدفن ، ويقوم الحاضـرون بالسـلام وتعزية أقاربه في المقبرة ، ثم تقام أيام العزاء في منزل الميت أو قريب منه أو في الشـارع أو في اسـتراحة ، ويقوم الأقارب والأرحام وبعض رجال القرية بإعداد الطعام والشـراب لأهل الميت ومن جاء لمشاركتهم في وفاة ميتهم .

(٢) شـاهدت فنون العرضـة واللعب كانت في أوج نشـاطها خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م)، فهناك الكثير من مناسبات الزواج واستقبال الضيوف التي حضرتها وشاهدتها في البلاد الممتدة من قرية بني رافع شـمال سـروات بني عمرو إلى بلدة تنومة . كان يشارك فيها مئات الرجال وهم في أحسن لباسهم مع توشـحهم أسـلحتهم ، ويرافقهم شـعراء معروفون بقرض الشـعر وقوله ، ويتخلل تلك المناسبات أوقات سـمر في الليل يلعب الناس فيها ما يعرف بـ (اللعب الشـهري) وله عشـاق وشـعراء يبدعون . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بدراسة الفنون الشعبية في بلاد السراة من الطائف إلى نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) فذلك موضوع مهم وجديد في بابه .

متنوعة في العديد من اللقاء ات والمناسبات الاجتماعية المختلفة [١].

عـرف المجتمـع النماصـي وما حوله من قـرى وبلـدات ألعاباً رياضـيـة محلية مثل السـباق على الرجل أو الحمير للرجال، والقفز من مكان عال ، أو القفز بشكل أفقي، أو ممارسة الصيد أو النصع [٢]، والسباحة في الآبار والعيون والأودية ، ولعب كرة القماش، ثـم الكرة الجلدية والبلاسـتيكية . وهناك ألعاب داخل البيـت وأخرى خارجةٍ مثل لعبةٍ المقطار، أو الدسيسـة وغيرهما التي تحتاج إلى ذكاء وفكر [٣]. وللنسـاء كباراً وصـغاراً ألعاب نسوية خاصة بهن يمارسنها في المنزل ، أو أثناء رعي الأغنام . ومن أكثر الألعاب التي شاهدت النساء يمارسنها ، لعبة الملاقطة، لعبة يشترك فيها لاعبان، وأدوات اللعبة حجارة صغيرة ترمى في الهواء ويلتقط غيرها مع الحرص على التقاف الحجر الذي تم رميه ، وإذا سـقط في الأرض يهزم اللاعب ، أو اللاعبة ، وغيرها من الألعاب البسـيطة في أدائها وأدواتها [٤].

جل حياة الناس في سروات بني شهر وبني عمرو خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) الصـيد، والرعي، والزراعة ، وممارسة بعض الحرف والمهن التقليدية ، ونـادراً منهم من يعمـل في التجارة [٥]. وكانـت مهنتا الزراعة والرعي العمل الرئيسـي

---

(١) كانت حياة المرح والترفيه في السـابق جميلة ونظيفة ، فالهدف منها الترويح عن النفس وجلب المنفعة البدنية لـكل مـن يمارس تلـك الفنون، أو الجماهـير الذين يشـاهدون تلك الألعاب والرقصـات الشـعبية . وفي وقتنا الحاضـر تراجـع الاهتمام بذلك الفن الجميل (العرضـة، والطرق واللعب ، والدمـة ، والخطوة ، وغيرها) ، ودخل البلاد فنون وألعاب دخيلة فلا طعم لها ولا نكهة ، وهي خالية من الفن والأدب المحلي الجميل الذي كان يمارسـه الأوائل . بل إن الأجهزة التقنية جلبت معها أغاني وموسـيقى أجنبية لا قيمة لها في بناء الفرد المحلي والحفـاظ علـى تراثه وهويته الأصـلية . حبـذا أن يدرس التراث والفن الشـعبي القديم ثم يقـارن مع ما نراه ونسمعه ونشاهده اليوم مع توضيح الإيجابيات والسلبيات لكل عصر وفن مع توخي الإنصاف والحيادية .

(٢) النصع :وضع هدف من الخشب أو الحجارة على مسافة معينة ثم يرميهٍ اللاعب عن بعد ببعض الحجارة، فـإذا أسـقطه يكـون قد فاز ، وإذا لم يسـتطع إسـقاطه يصـبح مهزوماً . وقد تسـتخدم البنادق في نصـع (إسقاط) هذا الهدف لكن من مسافة أبعد ممن يستخدم اليد .

(٣) دونت شـيئاً من هذه الألعاب الرياضـية في بلدان عديدة من تهامة والسـراة ، وهي منشـورة في موسـوعة (القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب) (٢٣) مجلـداً ، وفي كتب منطقة الباحة ، جزء واحـد ومنطقة جازان (جزءان)، ومنطقة نجران، جزء واحد، وبلاد بني شـهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) (الطبعة الرابعة /١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) .

(٤) عملـت في رعـي البهائم أو الغنم خـلال الثمانينيات ، كما عملت في حماية الـزروع من الطيور والغربان في الوقتٍ نفسـه حتى بداية التسـعينيات . وكنت أجلس مع الكثير من رجال ونسـاءٍ قريتي ورأيتهم يمارسـون ألعاباً بدائية وبسـيطة أدواتها من الطبيعةٍ مثل الحجارة ، والأخشـاب ، وأحياناً القماش الخلق وغير ذلك ، وهدفهم قضاء أوقات مرح وترفيه وأيضاً عدم الركون إلى النوم والكسل .

(٥) للمزيـد عـن تاريخ هذه البلاد خلال القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، انظر ، كتاب : **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ)** (الطبعة الرابعـة /١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) (٥٧٤صـفحة) . وفي موسـوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) دراسات عديدة عن بلاد السراة ، ولهذه البلاد (بني شهر وبني عمرو) ذكر فيها . انظر موقعي الإلكتروني (Prof-ghithan.com)

لجميع الناس أو معظمهم . فالسكان الذين يقطنون أعالي السروات من تنومة إلى قرية بني رافع في الشمال يعملون في الزراعة والكثير منهم يملكون أغناماً وأبقاراً وجمالاً كثيرة[١] . وقد تراجعت الزراعة والرعي مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى صارت اليوم من المهن الثانوية ليس في محافظة النماص وإنما في عموم بلاد تهامة والسراة[٢] .

والحرف التقليدية والمهن اليدوية موجودة في كل منزل وقرية ، فالكثير من الحرف مثل طهي الطعام ، وغسل الملابس ، وتنظيف المنازل ، وخياطة الملابس وصباغتها ، والحلاقة ، وذبح الذبائح ، ودهان البيوت وتزويقها ، ومراقبة الزروع وحمايتها وغيرها من المهن تمارس من قبل عامة الناس، فكل رب أو ربة أسرة تقوم بعمل ما يحتاج أفراد أسرهم ، والأبناء والبنات والإخوان والأخوات يساعدون في هذا الشأن[٣] ، وهناك مهن أو صناعات يدوية مثل الحدادة ، والصياغة، والنجارة ، وأحياناً الخياطة ، وصناعة الفخار والأحجار، وبناء المنازل والقصور ، والدباغة والخرازة وغيرها فهذه الحرف لها متخصصون مهنيون يقومون بمزاولتها في منازلهم ويعرضون مصنوعاتهم للتجارة ، ومنهم من يذهب إلى منازل من يحتاجهم وينجزون ما يطلب منهم بمقابل مادي ، وبعضهم يأخذ جزء من الأجر ، والجزء الآخر يقدمه عوناً ومساعدة لصاحب العمل [٤] .

---

(١) في الفترة المذكورة في هذا المحور (١٣٧٩-١٣٩٦هـ) وما سبقها كانت هذه البلاد من أغنى البلاد في الزراعة والثروة الحيوانية . فالمزارع ومحاصيلها المتنوعة هي العمود الفقري لأهل البلاد ، كانت تكفيهم في حياتهم المعيشية ، ويصدرون بعض حبوبهم إلى الأسواق الأسبوعية . والوضع نفسه على ثرواتهم الحيوانية كانت كثيرة ويصدر الكثير منها إلى جميع المناطق المجاورة إلى مدن الحجاز الرئيسية .

(٢) تاريخ هاتين المهنتين (الزراعة والرعي) منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر في أنحاء السروات وتهامة لم يخدم بحثياً وتوثيقياً . وقد زرت أمكنة كثيرة ، واطلعت على مصادر ومراجع عديدة فوجدت الكثير من المصادر التراثية والأثرية المادية التي تساعد من يعكف على بحث ودراسة هذه الجوانب . آمل أن نرى باحثاً أو أحد طلاب الدراسات العليا فيدرس هذا الميدان دراسة مطولة وموثقة . وهناك الكثير من الوثائق الحديثة المحلية عند بعض الأفراد والأسر وفيها مادة علمية جديدة تدور حول حياة الزراعة والمزارعين والثروات الحيوانية . وقد جمعت بعضاً من هذه المصادر خلال الأربعين عاماً الماضية ، آمل أن أجد الوقت الكافي لدراستها ونشرها .

(٣) قضيت بداية حياتي بين أسر وقرى ريفية ، وشاهدت أيضاً جماعات وقرى في الأجزاء الشرقية والتهامية من سروات بلاد الحجر ، فكانوا جميعهم يعتمدون على أنفسهم في توفير أغراضهم ومستلزماتهم . وكانت ظاهرة التعاون والتكافل تغشاهم في كل أعمالهم اليومية ، فهم يساندون بعضهم بعضاً في تبادل المنافع والأدوات التي تساعدهم على ممارسة مهنهم وحرفهم التقليدية . وتاريخ الحرف اليدوية في البلاد التهامية والسروية خلال العصر الحديث (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢٠م) موضوع لم يدرس ، حبذا أن يوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٤) عرفت الكثير من الأفراد والأسر التي مارست العديد من الصناعات التقليدية في البلاد الممتدة من بلاد بلقرن شمالاً إلى سروات بللسمر جنوباً. وكانوا في نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) العمود الفقري لعامة الناس فهم الذين يصنعون أدواتهم الحديدية ، والخشبية ، والحجرية والفخارية ، والجلدية ، والمعدنية وغيرهم . بل كانوا أعلاماً علمية في مجال تخصصاتهم وحرفهم . ومازال الكثير من أبناء وأحفاد هذه الأسر يعيشون في هذه البلاد الآنف ذكرها ، لكنهم تخلوا عن مهن وصناعات آبائهم وأجدادهم ، بسبب التنمية والتطور الذي ساد أنحاء البلاد السعودية ، ثم دخول الآلة الصناعية التي حلت محل اليد العاملة ، وبالتالي صار التراث الذي صنعته وأنجزته تلك الأجيال من التراث والآثار التاريخية . وهو

لم تكن التجارة نشطة في القرن الهجري الماضي، فسكان القرى يعيشون حياة البساطة ويقتاتون من مزارعهم وحيواناتهم ، وعند أهل البلاد العديد من الأسواق الأسبوعية كسوق ثلاثاء بني عمرو في قرية آل الشيخ ، وربوع السرو ناحية السرو ، وثلاثاء عمارة في قرية ابن جميل في حلباء ، وخميس كفاف في العرق والخضراء بالتناوب ،وثلاثاء النماص في بلدتي النماص وبني بكر بالتناوب ، واثنين العوامر ، وسبت تنومة ، واثنين بللسمر[١] . وفي تهامة بني شهر وبني عمرو عدد من الأسواق مثل: سوق الأحد في خاط ، وسوق أحد عبس في بلاد عبس ، واثنين المجاردة ، وأحد ثربان في بلاد ثربان ، وثلوث المنظر في بلاد الشهارية وغيرها[٢].

كانت هذه الأسواق القديمة متنفساً لأهل القرى والبلدات والأرياف فهم يحرصون على الذهاب إليها والتزود منها لما يحتاجونه لمنازلهم وأسرهم . وهناك بعض الأفراد أو الأسر التي تعمل في التجارة فهم ينقلون بضائعهم إلى الأسواق من أجل عرضها والمتاجرة فيها . ورأيت بعض الأفراد المجاورين لبعض الأسواق التي زرتها في الثمانينيات والتسعينيات فهم يمتلكون دكاكين تؤجر على بعض التجار ، أو يستخدمونها لعرض تجاراتهم فيها [٣].

مما شاهدته في بعض أسواق السراة وتهامة من عام (١٣٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م) ، مثل سوق الثلاثاء في النماص ، وسوق كفاف في العراق والخضراء ، وسوق سبت تنومة ، وسوق الأحد في خاط . إن جل المتسوقين في هذه الأسواق من القرى المجاورة في سروات وتهامة بني شهر وبني عمرو ، وقليل من يرتادها من خارج هذه البلاد . والبضائع المعروضة من التجارات المحلية مثل الحبوب ، والمواشي ومنتوجاتها كالسمن البلدي ، والجلود المحلية ، وبعض المصنوعات الحديدية والخشبية والفخارية المحلية . وهناك سلع مستوردة من مدن وحواضر كبرى داخل شبه الجزيرة العربية

صفحة من تاريخ هذه البلاد في القرون الماضية ، والواجب دراسة أعلامه وطرق ممارسة تلك الحرف والمهن وتوثيقها بالصور الفوتوغرافية في عدد من البحوث العلمية .

(١) زرت معظم هذه الأسواق في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت آنذاك في أوج نشاطها التجاري والثقافي والحضاري . وهذه الأسواق موضوعات بكر لم تدرس حبذا أن يوثق تاريخها خلال العصر الحديث (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢٠م) .

(٢) منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وأنا أتجول في بلاد السراة وتهامة من جازان ونجران إلى مكة والطائف ، وحضرت عشرات الأسواق الأسبوعية في هذه البلاد ، وبعضها يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الإسلام ، وأخرى في العصر الإسلامي المبكر والوسيط ، وبقيت تعمل إلى العصرين الحديث والمعاصر . كما وقفت على بعض الأسواق في الطائف ومناطق الباحة وعسير ونجران فوجدت أنها قديمة جداً ، ولها ذكر في بعض كتب التراث المبكرة . وهذه الأسواق في هذه البلاد مازالت بحاجة ، إلى من ينقب عن آثارها ويدرس ويوثق تاريخها عبر عصور التاريخ الإسلامي .

(٣) عرفت الكثير من تلك الدكاكين والأمكنة في سوق الثلاثاء بالنماص ، وسوق اثنين العوامر ، وسوق سبت تنومة خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم زرت هذه الأسواق في ثلاثينيات هذا القرن فوجدتها اندثرت ، وبعضها تلاشى فلم نجد منها شيئاً .

وخارجها مثل الأقمشــة ، والقهوة ، والتوابل ، وبعض أدوات الزينة ، والأسـلحة ، والأرز والشاي وغيرها [(١)] .

عاصرت وعرفت بعض الأسعار في الأسواق وغيرها ، فالرأس من الضأن والماعز يتراوح سـعره من (٥ـ ١٥٠) ريالاً من بداية الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات[(٢)] . والجمل يباع مـن (٤٠ـ ٣٠٠، و٤٠٠) ريال ، والثور أو البقرة مـن (٢٠ إلى ٢٠٠، و٢٥٠) ريالا . والأطعمة من الحبوب ، والأرز ، والقهوة ، وغيرها من ريال وريالين إلى خمسة وربما عشـرة ريالات . والألبسة تتراوح من الريالات المحدودة إلى العشرة والعشرين للبسة الواحدة .

كانت أسعار الأراضي والمنازل رخيصة جداً فقد يباع منزل أو أرض عثرية أو مسقوية متوسـطة الكـبر في بداية الثمانينيـات بريالات معـدودة ، وقد تباع بالمقايضـة في طعام وشـراب[(٣)] . وزادت أسعارها في بداية التسـعينيات إلى مئات وأحياناً آلاف محدودة . وفي نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) قفزت أسعار بعض الأراضي السـكنية والزراعية والمنازل في مدينة النماص وبعض حواضـر بني شهر وبني عمرو إلى عشرات الآلاف ، وربما وصل بعضها إلى مئات الآلاف حسب مساحتها وموقعها .

لم يكـن هناك أجرة نقديـة في بداية الثمانينيات ، وإنما يعطـى العامل أجرته من الحبوب والمحاصيل الزراعية[(٤)] . وقد اطلعت على أسماء مدرسين ، وبعض موظفي الدولة في النماص وغيرها من بلدان بني عمرو وبني شهر فكانوا يعطون رواتبهم بالقروش ثم الريالات التي تقدر بالعشـرات ، وقليل منهم من يكون راتبه في خانة المئات . وفي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات ارتفعت الرواتب والأجور إلى مئات الريالات[(٥)] .

---

(١) تاريخ الصادرات والواردات في سروات وتهامة عسير خلال القرون الثلاثة الماضية موضوع جديد يستحق أن يدرس في أكثر من رسالة أو عمل علمي موثق ٠

(٢) من منتصـف التسـعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت الأسعار ترتفع ، لأن أحوال الناس المادية . سارت في الصـعود والتحسـن . ومن يقارن ذلك الزمن مع وقتنا الحاضـر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فليس هناك وجهة مقارنة فالأسعار حاليا ارتفعت في كل شيء عشرات المرات٠

(٣) هذا ما وجدته في بعض الوثائق التاريخية المحلية ، وأخبرني به بعض الآبار والأجداد في سروات بني عمرو وبني شهر . ويقال أن هناك أراض زراعية مسقوية بيعت في نهاية عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) بصاع من الحب، وأخرى بريال أو نصف ريال .

(٤) بخاصـة الذيـن يعملـون في بعض المهن المحليـة مثل حرفة البنـاء ، ومهن الحدادة ، والنجـارة ، والدباغة والخرازة ، وأحياناً الخياطة والحلاقة وغيرها ٠

(٥) هناك عشـرات الوثائق التي نشـرتها في عدد من مؤلفاتي خلال الثلاثين عاماً الماضـية ، وفيها مادة علمية تعكس مقدار الأجور والرواتب في منطقة عسير منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى ثمانينيات القرن نفسه ٠

ونقل البضائع والمسافرين تقدر في بداية الثمانينيات بالقروش، وارتفعت إلى ريالات محدودة في نهاية العقد نفسه. وفي منتصف التسعينيات صارت أجرة الراكب من النماص إلى أبها والطائف تتراوح بين العشرة والعشرين ريالاً، وربما ارتفعت إلى الثلاثين ريالا إلى الطائف ومكة المكرمة [١].

وهناك من كان يؤجر بعض الحمير لنقل بعض البضائع من السراة إلى تهامة أو العكس. وكذلك الجمال في الأجزاء الشرقية، وأجرة الجمل أو الحمار مع صاحبه قد تصل إلى خمسة وعشرة وربما عشرين ريالاً وأحياناً تعطى الأجرة عيناً من السلعة التي يتاجر بها مثل الحبوب، والبطاطس وغيره [٢].

عندما كنت طالباً في مدارس بلدة النماص في ثمانينيات التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) أشعر بالراحة والغبطة أيام سوق الثلاثاء في قرية النماص، حيث كنا نعطى بعض الوقت القصير من إدارة المدرسة للذهاب إلى السوق الذي كان على مقربة من مدرستنا فنرى جموع الناس تتحلق حول البضائع المختلفة، والسوق مقسم إلى أقسام عديدة حسب نوع السلعة. فهناك قسم للحبوب، وآخر للتمور، ثم البهائم، والأسلحة وأدوات الزينة، والأقمشة والألبسة، وبعض الفواكه التي تصدر إلى السوق. وأهل البلاد من يقوم على ممارسة البيع والشراء، وأغلب المتسوقين من الرجال، وهناك بعض النساء الكبيرات اللاتي يرتدن السوق لشراء بعض احتياجاتهن. وأغلب المتسوقين يأتون مشياً على الأقدام، ومنهم الذي يمتلك حماراً لركوبه وحمل الأثقال عليه، والسيارات كانت محدودة وقليلة، لكنها موجودة، فيجلب عليها الكثير من السلع والبضائع التي تصل إلى النماص عن طريق بيشة.

وطرق المواصلات قليلة جداً ومحدودة، وأشهرها الطريق الرئيسي الذي يأتي من الطائف إلى بيشة ثم العلاية فالنماص، وطريق آخر من الطائف إلى النماص. وكانت جميعها صعبة ووعرة حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، أما الطرق الأخرى فهي طرق مشاة تسير في كل اتجاه، ولا يسلكها إلا الدواب والناس مشياً على الأقدام[٣].

كان السوق جامعة للناس، فهم يمارسون أعمالهم الاقتصادية، ويعيشون حياة اجتماعية يسودها الحب والإخاء، فيتبادلون الأخبار في بلدانهم، وتعلن الحكومة بعض

---

(١) هذا ما عرفته وعاصرته أثناء سفري من النماص إلى أبها، أو الطائف. وقد تزيد الأجرة قليلاً إلى الرياض والمنطقة الشرقية.

(٢) وقفت على ذلك عندما كنت أذهب مع عمي محمد أبو مارق من سروات النماص إلى أحد خاط في نهاية الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) طرق المواصلات في عموم السروات خلال العصر الحديث حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) موضوع مهم حبذا أن يدرس مع مقارنة أحوال المواصلات قديماً وحديثاً.

إعلاناتهــا الثقافية والرســمية ، وهناك من يرتقي مكاناً عاليــاً من الدعاة وطلبة العلم فيدعون الناس إلى فعل الخير والالتزام بالأطر الشرعية التي تهديهم إلى صلاح الدنيا والآخرة ، وقد تعلن بعض الأخبار الأمنية والتنظيمية لمصلحة البلاد والعباد[١] .

كانت الأوضــاع الصــحية متواضــعة في أنحــاء البلاد ، فلــم يكن هنــاك مراكــز طبية ، إلا مركــزاً واحــداً في قرية النماص خــلال الثمانينيات من القرن (١٤هــ/٢٠م) ، وخدماته وإمكاناته محدودة ، ويعمل فيه فقط طبيب واحد ومعه ممرض وفراش ، كان هذا الطبيب يمر على طلاب المدارس من أجل تطعيمهم ضــد بعض الأمراض مثل الســل، والكوليرا ، والسعال الديكي ، والحصبة[٢] . وعموم الناس في القرى والبوادي والأرياف يتداوون بالكي بالنار .

عاصرت صوراً من تاريخ التعليم والتعلم الحديث في سروات بني عمرو وبني شهر ، ففي نهايــة الثمانينيات وبداية التســعينيات كان في هذه البلاد أكثر من ثلاثين مدرســة نظامية معظمهــا مراحل ابتدائية ، ومدارس مرحلتي المتوســطة والثانوية قليلة جداً[٣] . كما عرفت وزرت بعض المدارس الابتدائية في ســروات النماص مثل المدرستين السعودية والخالدية في قريتي بني بكر والنماص، ومدرســة لشــعب في قرية لشعب الكعبية العمرية ، ومدرسة سبت تنومة [٤] ، ويذكر أنه كان هناك مدارس أخرى عديدة لم أشاهدها بل سمعت عنها[٥] .

إن مدارس النماص التي عرفتها ودرســت فيها (الابتدائية ، والمتوســطة ، والثانوية (١٣٨٥-١٣٩٦هـ/١٩٦٥-١٩٧٦م) ، كانت جميعها في قرية النماص ، وفي مبان مستأجرة للأســتاذين عبدالعزيــز بــن زاهر العســبلي ، ومحمد بن ظافــر بن متعــب الكلثمي[٦] .

---

(١) عاصــرت وشــاهدت تلك النشــاطات الحضــارية والثقافية التي كانت تمارس في ســوق الثلاثاء بالنماص ، وسوق سبت تنومة في بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الأرض والناس في محافظة النماص وما جاورها انظر غيثان بن جريس . **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) (الطبعة الرابعة ، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)** (٥٧٤صفحة) . وانظــر للمؤلف نفســه ، **عسير : دراســة تاريخية حضارية في الحيــاة الاجتماعيــة والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م)** (جدة: دار البلاد للطباعة والنشــر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ١٠٥-١٠٧ ، وللمؤلف أيضــاً ، **دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية. (الجزءان الأول والثاني)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ص ٩٩-١٧٨ .

(٣) تاريخ التعليم في محافظة النماص ، أو ســروات بني عمرو وبني شــهر موضــوع جديد ومهم لم يدرس منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) ، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الميدان المهم .

(٤) زرت هذه المدارس مع أساتذة وطلاب مدرستي المتوسطة في النماص في بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٥) من تلك المدارس (١) مدرســة المجاردة في تهامة . (٢) مدارس الخضــراء ، والظهارة ، وشــمال الســرو ، وبني مشــهور ، وحلباء ، وآل زيدان ، والأصــغاء ، وعاكســة ، ومليح ، والعدوة. وجميعها في سروات بني شهر وبنــي عمــرو . للمزيد من التفصــيلات انظر غيثــان بن جريس **تاريــخ التعليــم في منطقة عســير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)** (جدة: دار البلاط للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج١، ص ٦٣- ٦٩ .

(٦) كنت أعيش في قرية والدي (قرية آل رزيق) شــمال بلدة النماص بحوالي أربعة أكيال ، وتقع على الطريق العام الذي يربط بين الطائف والباحة مع أبها . وهذه القرية إحدى قرى بني جبير الثوابية الشهرية الحجرية الأزدية.

وهذان العلمان كانا المديرين لتلك المدرستين، عبدالعزيز بن زاهر في المرحلة الابتدائية[١]، ومحمد بن متعب للمرحلتين المتوسطة والثانوية[٢]، والأستاذ ظافر بن منصور القشيري تولى إدارة مرحلتي المتوسطة والثانوية لوقت وجيز، ثم صار مديراً لمعهد المعلمين في بلدة النماص[٣].

من خلال قراءتي وما سمعته عن التعليم النظامي في سروات بني عمرو وبني شهر، إن الأستاذ محمد أحمد أنور أول من افتتح مدرسة نظامية في بلدة النماص عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٩م) وقد فصل ذلك في بعض رسائله التي أرسلها لي ونشرتها في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، الجزء الأول[٤]. وكتاب: **من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور)**[٥]. وجاء معه وبعده عدد من المدرسين مثل الأستاذين أحمد ناجي، وإبراهيم الحميضي، ثم جاء بعدهما عدد من المعلمين السعوديين قبل معهد المعلمين كالأستاذ عبدالعزيز بن زاهر، الذي سبق ذكره، والأساتذة إبراهيم بن عثمان الوليدي، وفائز بن محمد البكري، ومحمد بن عبدالرحمن بن ظافر العسبلي، ومحمد بن أحمد الحفظي، وعلي بن عثمان الشهري، وإبراهيم بن عائض الشهري[٦].

---

(١) الأستاذ عبدالعزيز بني زاهر العسبلي من قرية النماص، ومن أوائل المتعلمين في سروات النماص عمل في التدريس سنوات عديدة، ثم انتقل إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوفي في ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) الأستاذ محمد بن ظافر بن متعب الكلثمي من أعيان قبيلة الكلاثمة، سكان مدينة النماص، عمل في التعليم مدة حياته الوظيفية، كان جاداً وحازماً يحرص على مصلحة الطلاب، ولا يتوانى في إنزال العقوبات على من يتهاون في دراسته وأداء واجباته. كان يحمل المرحلة المتوسطة عندما كان مديراً لنا في المرحلة المتوسطة، وأثناء دراستي الثانوية (١٣٩٣-١٣٩٦هـ/١٩٧٣-١٩٧٦م) كان يواصل المرحلة الثانوية، وقد اختبر مع طلاب الثانوية بالنماص في السنة الأولى، وهو وقتها مديراً للمتوسطة، وفي السنة الثانية صار مديراً للثانوية، ، فأصبح يكمل دراسته ويختبر، حسبما علمت، في ثانوية الطائف. وعندما كنا ندرس مرحلة البكالوريوس في أبها، كان أيضاً يدرس المرحلة نفسها منتسباً في كلية الشريعة واللغة العربية بأبها. كان (رحمه الله) ذا شخصية وهيبة قوية على الطلاب والمعلمين، وله جهود تذكر فتشكر في خدمة حاضرة النماص تربوياً وتعليمياً.

(٣) الأستاذ ظافر بن منصور القشيري من أوائل من حصل على درجة البكالوريوس في سروات بلاد بني شهر، تولى إدارة مدارس النماص وبخاصة المعهد العلمي لسنوات عديدة، ومازال على قيد الحياة الآن، وهو منذ زمن حتى اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) شيخ قبيلة بني قشير الشهرية الحجرية. حبذا أن يدون مذكراته وكيف عاصر التعليم في بلاد بني شهر منذ بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

(٤) تم طباعة هذا الجزء طبعتين، الأولى (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (٥٦٧صفحة). والطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٦٣صفحة).

(٥) طبع هذا الكتاب أيضاً طبعتين، الأولى (١٤٣١هـ/٢٠٢٠م) (٦٢٥صفحة). والطبعة الثانية (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) (٥٨٧صفحة).

(٦) سمعت عن بعضهم، والبعض الآخر عرفتهم ودرست على أيديهم مثل فائز بن محمد البكري، ومحمد بن عبدالرحمن العسبلي، ومحمد بن أحمد الحفظي. وبعضهم مازالوا على قيد الحياة إلى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وآخرون توفاهم الله. وأسأل الله عز وجل أن يغفر للأموات والأحياء فقد كانوا قامات جيدة في أخلاقهم وحرصهم على نشر العلم والفكر والثقافة في مدارسهم وبين الناس المعاصرين لهم.

يعد تأسـيس معهـد المعلمين المتوسـط في النماص في بدايـة الثمانينيات درس فيه مجموعـة من طلاب سـروات بني شـهر وبني عمـرو ، وتخرج في الدفعـة الأولى (١٧) طالباً ، هم على النحو الآتي : (١) تركي بن شاكر العسبلي . (٢) حسن عبدالله مفرح آل عليـم . (٣) خالد محمد عبدالله العسـبلي . (٤) سـعيد عبدالرحمن عقيل . (٥) سلمان عبدالرحمن العمري. (٦) ضيف الله سعد ضيف الله . (٧) ظافر عبدالرحمن عبـدالله آل مانـع . (٨) ظافر فائز مفرح الشـهري. (٩) عبدالرحمن محمد عبدالله العمري. (١٠) علي عبدالرحمن فهد. (١١) غرسـان مشـبب غرسـان . (١٢) غرم ظافـر محمد متعب. (١٣) محمد عائض عبدالرحمـن عاطف. (١٤) محمد عبدالله حمدان . (١٥) محمد عثمان مرشـد. (١٦) محمـد يحيى عبدالعزيز العمري. (١٧) يحيى جابر حسن[١] .

وهم مع من سـبقهم من قاد العملية التعليميـة النظامية خلال الثمانينيات وبداية التسـعينيات ، ثـم تلاهـم مدرسـون خريجـون آخرون من نفس المعهد ، انضـموا إلى سـلك التعليم ، وزادت المدارس ، وتزايد أعداد المتعاقدين العرب ، وكان الفلسـطينيون والأردنيون هم الأكثر ، ثم جاء العراقيون ، والمصـريون ، والسـودانيون ، والسـوريون . وهناك بعض الأجانب من أوربا الذين استقدموا لتدريس اللغة الإنجليزية في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٢] .

لم يكن التعليم محصـوراً في حصص الدراسـة اليومية ، إنما كان هناك نشاطات لاصـفية عديدة مثل الرحلات المدرسية في نواحي شعبان وبدعة في سروات النماص[٣] ، وذهبنا أوائل التسعينيات في رحلات إلى متنزهات تنومة ، ورحلة أخرى إلى أرياف مدينة أبها الشـمالية الواقعة على الطريق الرئيسي الذي يخرج من أبها تجاه النماص[٤] . كان

---

(١) هؤلاء الأساتذة خدموا بلادهم وأدوا الأمانة وعملوا جاهدين في خدمة وتطوير التعليم النظامي في سروات بني شـهر وبني عمرو ،وقد عاصـرت وعرفتٍ أغلبهم في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ومازال أغلبهم على قيد الحياة . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدون سيرهم ومن سبقهم في ميدان التربية والتعليم في سروات بلاد الحجر ، وهم يستحقون أن يخلدوا وتكتب تراجمهم في بحوث ودراسات علمية موثقة ٠

(٢) هـذا الذي عرفته وعاصـرته ، وقد درسـنا عدد من المعلمين المبدعين في تحصـيلهم العلمـي ، واذكر منهم الأسـتاذين محمـد أبو الـرب، وجميل السـقا اللذين درسـانا في الابتدائي . والأسـتاذين إسـماعيل ونمر فلسـطينيي الجنسـية في المتوسـطة . والأسـتاذ محمد زهير البارودي في الثانوية . وغيرهم كثيرون لكنني نسيتهم ، أسأل الله أن يغفر لمن علمنا ويرحمه ويتجاوز عنه حياً أو ميتاً ٠

(٣) ناحيتا بدعة وشعبان من الأمكنة ذات المياه الوفيرة ولغطاء النباتي الكثيف والجميل غرب بلدة النماص وفي أجزائها الشرقية . ومازالت معروفة بأسمائها المذكورة أعلاه حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٠م) ، لكن طبيعتها لم تعد جميلة كما كانت في السابق ، وإنما اندثرت معالمها ، وتحولت إلى مواطن سكنية ، وأصاب أجزاء منها الجفاف والتصحر ٠

(٤) ذهبنا في سيارات قوية ذات دفع رباعي لأن الطريق كانت وعرة ، ومازال معظمها ترابياً . لكنها كانت أياماً جميلة بجمال الأرض واخضرارها٠

المعلمون يدربوننا على بعض المسرحيات الطلابية، وعلى كتابة اللوحات الجدارية التي تعلق في ممرات المدرسة ، وفيها من القصص والأشعار والموضوعات العلمية والأدبية القصيرة والنافعة لتكوين شخصيات الطلاب الثقافية(١). وهناك أنشطة ومباريات رياضية تقام في المدرسة بين الحصص الدراسية أو في العصر في فناء المدرسة، أو بعض الأمكنة المخصصة للعب كرة القدم الطائرة(٢).

وهناك بعض القراء والمطاوعة الذين يأتون من الحجاز وأبها والقنفذة والبرك وغيرهما ويلتقون بالناس في مساجدهم ، وأسواقهم ، وبعض تجمعاتهم فيلقون عليهم الدروس والمواعظ(٣). وأحياناً يمر بالبلاد بعض اليمنيين الذين يمتلكون بعض المعارف العلمية والشرعية والثقافيه فيفقهون الناس في أمور دينهم(٤)، وكان للراديو وبدايات التلفزيون أثر إيجابي في توعية الناس وتوسيع مداركهم الثقافية والمعرفية(٥).

في الفترة الممتدة من (١٣٨٦- ١٣٩٦هـ/١٩٦٦- ١٩٧٦م) أصبحت حركة السفر والتنقل من سروات وتهامة رجال الحجر إلى غيرها من البلدان أفضل مما كانت عليه في عقود سابقة . وقد سافر الكثير من شباب هذه الناحية إلى مدن المملكة العربية السعودية الكبيرة من أجل الحصول على أعمال ووظائف حكومية . والكثير منهم التحقوا بأعمال عسكرية وأخرى مدنية . كما ذهب آخرون للدراسة في كليات ومعاهد وجامعات في المناطق الوسطى ، والشرقية ، والغربية(٦). وكان لهؤلاء المسافرين علاقات

---

(١) أذكر بعض المعلمين المتعاقدين الذين كانوا يقرضون الشعر ويكتبون القصص والروايات ، وعندهم فكر وثقافة واسعة ، وقد استفدنا كثيراً من بعضهم في قراءة بعض الكتب والمجلات النافعة .

(٢) تاريخ الرياضة القديمة والحديثة في بلاد السروات وتهامة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات المهمة الجديرة بالبحث والتوثيق . وقد جلبت لنا العديد من الرياضات التي جاءت من المدن الكبيرة في المملكة العربية السعودية أو من خارج البلاد. وكان هناك رياضيون ولاعبون من سروات بني شهر وبني عمرو حققوا نجاحات ومراتب متقدمة مع فرق رياضية عديدة في منطقة عسير .

(٣) شاهدت العديد من الأعلام الذين كانوا يقومون بهذه النشاطات في الأسواق الأسبوعية ، وفي يوم الجمعة في بعض جوامع البلاد .

(٤) رأيت في قرى قبيلتي وما جاورها بعض الرجال اليمنيين المسافرين الذين يتوقفون في مساجد تلك القرى ويلقون بعض المواعظ على المصلين أو من يجتمع معهم في بعض مجالس السمر واللقاءات الاجتماعية .

(٥) لم تكن الثقافة والعلوم منتشرة في كل مكان ، وإنما كانت قليلة ومحدودة في القرى والبلدات الكبيرة . كما أن الراديو والتلفزيون الأبيض والأسود عند بعض الأسر الغنية والمقتدرة ماديا ، وفي التجمعات السكانية الكبيرة مثل : بلدتي النماص، وسبت تنومة وقرى أخرى محدودة وقليلة . كما كان عند بعض الأسر والوجهاء أو المدرسين وغيرهم كتب أو مكتبات صغيرة تحتوي على بعض كتب الشريعة والأدب والتاريخ واللغة العربية. وقد شاهدت بعض هذه الصور الحضارية في بلدة النماص وعند بعض أئمة المساجد والمعلمين المتعاقدين

(٦) عرفت وعاصرت العديد من شباب ورجال سروات بني شهر وبني عمرو ممن سافر إلى أوطان عديدة في أنحاء المملكة العربية السعودية ، وعملوا في قطاعات حكومية عديدة ، وعلا شأن بعضهم في وظائفهم . شاهدت الكثير منهم أثناء سفرات متباعدة قمت بها في الفترة من (١٣٨٦- ١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م) وبخاصة في مدن بيشة ، والطائف ، ومكة المكرمة ، والرياض ، والظهران والدمام ورأس تنورة في المنطقة

مـع أوطانهـم ، فهم يعـودون إليها بين الفينـة والأخرى لزيارة أسـرهم ، والاسـتمتاع بإجازاتهـم في بلادهم وأوطانهم الرئيسـية . ولهذا الذهاب والإيـاب آثار إيجابية على أرض وسـكان السروات وتهامة . فعند عودتهم إلى ديارهم يجلبون معهم فنوناً ومعارفاً حضـارية في اللباس ، والطعام والشـراب ، وفي التعاملات الإنسـانية . ومـن المؤكد أن عندهم رصيداً معرفياً وثقافياً حصلوا عليه من غربتهم وأسفارهم ، ويروونه لأهاليهم وأبناء جلدتهم عندما يعودون إليهم ويذكرون لهم شيئاً مما شاهدوه أو مارسوه أو سمعوه أثناء أسفارهم وإقامتهم في تلك البلاد التي عاشوا وعملوا فيها ردحاً من الزمن[1] .

ثانيـاً : ذكريـات ومشاهـدات في مدينـة أبهـا وغيرهـا بالمملكـة العربيـة السعودية (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م) .

لم أكـن أفكـر في دراسـة الجامعـة بأبهـا ، بعـد الانتهـاء مـن الثانويـة العامـة (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، لأنـه لم يكن في عسـير، ولا جنوب المملكة العربية السـعودية أي تعليـم عالي، وطلاب الثانوية من قبلنا في عموم السـروات وتهامة يذهبون إلى المناطق الغربية والشـرقية والوسـطى للدراسـة في الجامعـات أو الكليات أو المعاهد العسـكرية القائمة هناك [2] . لهذا سـافرت إلى الرياض ، وكانت نتيجتي في الشـهادة الثانوية عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) عالية ومتقدمة ، فحصـلت على بعثة إلى أمريكا تخصـص إدارة الأعمال في وزارة البرق والبريد والهاتف ، وأجريت معي المقابلة وحصلت على الموافقة في شـهر رجب عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) على أن أذهب للدراسـة بعد عيد الأضـحى من ذلـك العـام ، وسـلمت لي أوراق البعثة وجواز السـفر الـذي أحتاج عند السـفر[3] ، ثم

الشرقية . وأقول أسفار وهجرات السرويين والتهاميين من بلادهم إلى بلدان عديدة داخل شبه الجزيرة العربيـة وخارجها خلال القرون الإسلاميـة المبكرة والوسيطـة والحديثة والمعاصرة (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م) من الموضوعات المهمة التي يجب خدمتها علمياً وبحثياً في عشرات الكتب والبحوث .

(١) رأيـت الكثير من أولئك المسـافرين والموظفـين الذين يعودون إلى بلادهم من وقت لآخر ، فترى ملابسـهم وإمكاناتهم المادية أحسن من أهاليهم الذين مكثوا في أوطانهم . بل كان البعض منهم يجلبون معهم هدايا مادية يوزعونها على أقاربهم وأفراد قراهم ، ومن ثم فهم يحظون بالتقدير والاحترام ، ويجتهد أهل البلاد في الترحيب بهم وإكرامهم والاحتفاء بهم . وهذا مما شجع الكثير من أهل البلاد على ترك بلادهم والسفر إلى المدن الكبرى كي يتوظفوا ويكون لهم مالٌ وجاهٌ عند أنفسهم وغيرهم .

(٢) إن دراسـة الأوضـاع التعليمية والثقافية في جنوب المملكة العربية السعودية من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) موضـوع جديد في بابه يسـتحق أن يدرس ويوثق في عدد من الكتب والرسائل العلمية . آمل أن نرى طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات السروات وتهامة يعكفون على دراسة هذا الميدان وتوثيق صفحات من تاريخه.

(٣) بدأ موضـوع الابتعاث في المملكة العربية السـعودية من سـتينيات ثم سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكان بعض الطـلاب يبعثون إلى بعض المؤسسـات التعليمية الداخلية ، ثـم فتح الابتعـاث إلى بعض الجامعات والمعاهد المصـرية. والوثائق والمصـادر تشـير إلى أعداد قليلة ثم ابتعاثها إلى مصر في السبعينيات وبداية الثمانينيات ، ثم بدأت البعثات بأعداد كثيرة في الثمانينيات والتسعينيات إلى بلدان عربية وأجنبية، وكانت

عدت إلى موطن الآباء والأجداد في سروات بني شهر وبني عمرو ، وفي الفترة الممتدة من شهر رجب إلى شهر ذي الحجة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) كان في أسرتي وأقاربي مؤيدون ومعارضون لسفري ، وذلك لصغر سني فلم أتجاوز سبع عشرة سنة وبضعة شهور، وكنت الابن الوحيد لوالدتي فكانت هي وجدتي لأمي (رحمهما الله تعالى) غير راغبتين في سفري[1] ، لهذا قررت عدم السفر ، وذهبت بعد عيد الأضحى إلى الرياض لسحب ملفي ، وهذا ما حصل ، ثم ذهبت أبحث عن مكان للدراسة في بعض الكليات والمعاهد في الرياض ، لكنني سمعت أن هناك كليات جامعية تم فتحها في أبها ، ومن ضمنها كلية الشريعة واللغة العربية ، عندئذ قررت العودة ، والتسجيل في كلية الشريعة، وكان أخي محمد بن علي بن جريس (رحمه الله) يشجعني منذ زمن أن أدخل كلية الشريعة ، ويتمنى أن أصبح قاضياً. سجلت في كلية الشريعة وبدأت الدراسة ، وفي الشهرين الأولين وجدت أن هذه الكلية غير مناسبة ، ثم إنه لم يكن عندي رغبة حقيقية لدخولها والدراسة فيها ، لهذا بدأت أتغيب عن الدراسة ، ووجدت بعض الزملاء الذين عندهم سيارات ، ولا يرغبون الدراسة مثلي، فذهبنا نتجول في أمكنة عديدة من مناطق عسير، وجازان، ومدن الطائف ، ومكة المكرمة ، وجدة . وبعد فترة تزيد عن الشهر ونحن على هذا الحال عدت إلى عميد كلية الشريعة واللغة العربية الشيخ عبدالله المصلح وطلبت منه إعطائي ملفي، حتى ألتحق بكلية التربية التي فتحت في أبها عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٦م) ، لكن الشيخ رفض تسليمي الملف رغبة في بقائي ومواصلتي الدراسة، لكنني اتخذت قراري والانسحاب ، واستمريت أطالبه عدة أسابيع[2]، وأثناء مطالبتي بالانسحاب من الكلية وجدت وظيفة في مكتب الخطوط السعودية بأبها براتب قدره

بريطانيا وأمريكا من الدول التي حظيت بأعداد كثيرة من المبتعثين السعوديين ، ومع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) زادت أعداد المبتعثين إلى الدول الغربية . وأقول إن تاريخ ابتعاث السرويين والتهاميين إلى بلدان عربية وإسلامية وأجنبية من ستينيات القرن الهجري الماضي إلى مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد ومهم فيدرس ويوثق في عدد من البحوث العلمية .

(١) عشت بداية طفولتي مع جدتي سعدى بنت محسن العمري ، ووالدتي رحمة بنت محمد بن سعيد بن زارع العمري في قرية آل مقبول السروات بني عمرو ، وكنت على اتصال مستمر بهما حتى بعد انتقالي إلى منزل والدي في قرية آل رزيق الجبيرية الشهرية . وكانتا رحمهما الله) حريصتين على عدم مفارقتهما أو الغياب عنهما كثيراً ، لهذا قررت عدم السفر في بعثتي الأولى عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

(٢) في هذه الفترة (١٣٩٦-١٣٩٧هـ/١٩٧٦-١٩٧٧م) التي تركت فيها الدراسة ، بقيت أهيم على وجهي لا أدري أين تسير بي الظروف والأقدار ، وكان والدي (رحمه الله) مريضاً في مستشفى أبها ، ولم أكن أعلم ، وقبل وفاته حضر إخواني (محمد ، وعبداله ، ومنصور) يوم وفاته ، وعرفت بالصدفة خبر الوفاة ، ونقله إلى مدينة خميس مشيط لغسله ودفنه ، وذهبت إلى هناك قبل أن يدفن ، ثم أقمنا العزاء عند أخي عبدالله في حي الرونة بالخميس ، وبعد الانتهاء اصطحبني أخي محمد معه إلى المطار العسكري حتى يسافر الرياض وعاتبني على ترك الدراسة والإهمال ، ونصحني بالاهتمام والمواظبة على دراستي ثم أعطاني حوالي ثلاثة آلاف ريال وجدوها مع الوالد ، وقال خذها واستعن بها على قضاء حوائجك، بعدها عدت إلى أبها وانتظمت في الدراسة وشريت سيارة أجرة (تاكسي) موديل (180B) أعمل فيها وقت فراغي ، واستطعت بفضل الله عز وجل إكمال دراستي بتفوق حتى كنت الأول على دفعتي عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

(٢٧٠٠) ريــال ، لكنهــم طلبوا مني حفيظة نفوس ، ولم تكن عندي ، وقد اجتهدت كثيراً في الحصول عليها تم الالتحاق بالوظيفة ، لكن إدارة الأحوال المدنية في النماص رفضت منحي هذه الوثيقة بسـبب عدم اكتمال سـني الثامنة عشرة . خرجت من كلية الشريعة واللغـة العربية ، فرع جامعة الإمام محمد بن سـعود في أبهـا ، والتحقت بكلية التربية ، فرع جامعة الملك سـعود في أبها ، وبدأت دراسـتي في الفصـل الثـاني في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية ، ولم أترك الدراسة حتى تخرجت فيها عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، وتعينـت أول معيـد في قسـم التاريخ بكليـة التربية للبنـين في أبها[١] ، وبعـد عام واحد (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) سافرت إلى أمريكا لدراسة الماجستير في جامعة تكساس في أوستن (University of Texas at Austin) [٢] .

مكثـت أربع سـنوات (١٣٩٦- ١٤٠٠هــ/ ١٩٧٦- ١٩٨٠م) في مدينة أبهـا ، كانت بلدة متواضعة نوعاً ما في طرقها ، وعماراتها ، وأسواقها ، وأحيائها[٣] . فأغلب أبنيتها تتراوح من طابق واحد إلى ثلاثة وقليلاً جداً ترى عمارات تزيد إلى الأربعة وخمسـة والسـبعة طوابق. كانت الكثير من حاراتها مكتظة بالأبنية القديمة ، وبدأت تزاحمها عمارات مسلحة حديثة. وشوارعها الداخلية محدودة في عددها ، وأطوالها ، ومساحاتها . ويخرج منها طرق رئيسية إلى خميس مشـيط ونجران أو بيشـة وطريق آخر إلى تنومة والنماص والطائف ، وطريق ثالث إلى الدرب وجازان . وهذه الطرق الثلاث حلقات الاتصـال الرئيسية بين أبها عاصمة منطقة عسير، وغيرها من المناطق السعودية المجاورة . ولم تكن جميعها سهلة العبور، وإنما بعض أجزائها صـعبة المسالك، لصـعوبة تضاريسـها[٤] . وهنـاك عقبات ودروب للسيارات أنشئت في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، ولم تكن موجودة في تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، وإنما كانت مسالك صغيرة يسير من خلالها المشاة والدواب[٥] .

---

(١) للمزيد عن مسيرتي العلمية والعملية منذ كنت طفلاً حتى وصلت سن الشيخوخة عام (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م). انظـر محمـد بن أحمد مُعَبّر ، **مؤرخ تهامـة والسراة (غيثان بـن علي بن جريس) (دراسـة توثيقية)** ، ط٢ (١٤٣٨هــ/ ٢٠١٧م) (٥٨٤صـفحة) ، عوض بـن عبدالله ناحي. **المؤرخ غيثان بـن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧- ١٤٤٠هـ/ ١٩٨٧- ٢٠١٨م)** ط١ (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م) (٥٨٤صـفحة) ، انظر أيضاً المحور الثاني في هذا القسم .

(٢) سوف أدون نبذة مختصرة عن حياتي وما شاهدته في هذه الجامعة في صفحات تالية من هذا المبحث .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ وحضارة مدينة أبها ، انظر غيثان بن جريس . **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)** (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) (٥٨٤صفحة) .

(٤) عندمـا كنـت طالباً في الكلية ذهبت بسـيارتي التاكسـي (180B) عبر تلـك الطرق مثل أبها خميس مشـيط نجران، وأبها النماص الطائف ، وأبها الدرب جازان . وكان الإسفلت يغطي معظم تلك الطرق ، لكن مازال فيها آنذاك أجزاء متقطعة وغير مسـفلتة . وهذه الطرق الثلاث لها تاريخ خلال العصـر الحديث ، فكانت في السابق دروب بدائية تسلكها الدواب ، وأحياناً السيارات منذ منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م) . وكل طريق تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية خلال القرنين (١٣- ١٤هـ/ ١٩- ٢٠م) ، آمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يدرسون تاريخها وما جرى لها من تحولات وتطورات .

(٥) من تلك الدروب عقبة شعار التي تسير نحو محايل، وكان العمل فيها مستمراً حتى عام (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ،

كانت طبيعة أبها وسروات عسير مليئة بالأشجار والحشائش ، وفي أودية أبها وخميس مشيط ، والبلاد الممتدة إلى سراة عبيدة وظهران الجنوب ، وإلى بيشة وتنومة والنماص الكثير من مزارع البر والشعير والذرة .ويكسو الأراضي (الجبال ، والهضاب، والأودية) غطاء نباتي كثيف ، ولم تمتد إليه بعد أيدي البشر بالتجريف وشق الطرق ، وبناء المستوطنات السكنية ، وغيرها من المشاريع والأنشطة العمرانية [١] .

إن تركيبة السكان في أبها وما جاورها من البلدات والقرى عشائرية و قبلية ، فأهلها الرئيسيون قبائل عربية ماجدة، لكن مع تطور مدينتي أبها وخميس مشيط إداريا ، واقتصاديا ، وعمرانيا، وتعليميا، وصحيا، وحضاريا جعل الكثير من سكان جنوب المملكة العربية السعودية يأتون إليها في زيارات مؤقتة ، ومنهم من استقر فيها . كما جاء إليها عناصر بشرية من أنحاء المملكة للعمل أو السياحة والتنزه ، وآخرون قدموا إليها من خارج البلاد السعودية للعمل وكسب الأرزاق . وأثناء إقامتي في أبها وزياراتي المستمرة لمدينة خميس مشيط (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م) شاهدت العساكر والموظفين وطلاب التعليم العام والجامعي الذين جاءوا من أنحاء المملكة إلى هذه الناحية. ورأيت أجناساً أخرى عربية من الشام ، واليمن ، والسودان ، ومصر، وشمال إفريقيا . وبعض العناصر الأجنبية من أوربا ، وكوريا ، والصين ، والفلبين وغيرها من دول العالم . وجميعهم يعيشون ويعملون في قطاعات حكومية وأهلية عديدة[٢] .

وتم إفتتاحها فيما بعد، وطرق فرعية عديدة من أبها إلى الطائف ، ومنها الذي يتجه شرقاً ، وأخرى غربا ، وكانت معظمها غير مسلوكة بالسيارات . وخلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) اهتمت الدولة بهذه التفريعات فأنشأت عشرات الطرق المسفلتة التي تربط بلاد السروات مع أجزاء البلاد الغربية والشرقية . ونشاهد اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) شبكة طرق ممتازة تربط بين مدن وحواضر وقرى وهجر وبوادي مدن ومناطق المملكة العربية السعودية .

(١) شاهدت طبيعة بلاد السروات من أبها إلى الطائف منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت بلداناً جميلة لما حباها الله من النباتات المتنوعة، والثروات الحيوانية البرية الكبيرة . ومع بدايات النهضة العمرانية الحديثة . منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ الإنسان يسعى إلى قطع الأشجار وتجريف الأراضي المخضرة من أجل التشييد والبناء العمراني ، وهذا مما أثر على الطبيعة ، ورفع نسبة التصحر والجفاف ، وانقراض وهجرة الكثير من الطيور والحيوانات البرية المختلفة .

(٢) عندما كنت طالباً في الجامعة تأملت العاملين في كلياتها ، وذهبت إلى مطار أبها الذي كان يشيد آنذاك، وإلى المدينة العسكرية في خميس مشيط ، وبعض المستشفيات ومؤسسات حكومية وخاصة أخرى فرأيت جل العاملين فيها من أجناس عربية وأجنبية ، والعناصر السعودية العاملة في تلك القطاعات قليلة جداً ، وتتفاوت من مكان لآخر . فالإدارات العسكرية معظمها من السعوديين ، لكن المشرفين والمدربين والفنيين غير سعوديين . أما الأعمال الإنشائية والعمرانية والفنية مثل بناء المستشفيات ، والمطارات، والمقرات الحكومية ، والمساكن الخاصة فالعاملون الفاعلون من الأجناس الوافدة من خارج المملكة العربية السعودية . وكذلك المؤسسات التعليمية وبخاصة الجامعية فالقائمون عليها من عناصر غير سعودية . ودراسة التركيبة البشرية في منطقة عسير ، أو مناطق جنوب المملكة العربية السعودية في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد يستحق أن يكون عنوانا لرسالة علمية أو كتاب توثيقي .

إنٍ أطعمة الناس وأشربتهم وزينتهم ولباسهم في قرى سروات عسير لم يكن مختلفاً كثيراً عن قرى وبلدات محافظة النماص . فجل الأشربة والأطعمة من محاصيلهم وثرواتهم الحيوانية ، وكذلك ألبستهم من صنع أيديهم ، لكنهم يجلبون الأقمشة وبعض الألبسة وأدوات الزينة من الأسواق التجارية الأسبوعية واليومية في البلاد[١] .

أما الألبسة والزينة والطعام والشراب داخل مدينتي أبها وخميس مشيط فلم يكن محدودا كما في الأرياف والبوادي حيث كان هناك العديد من المطاعم والأماكن التجارية التي تبيع أنواعاً مختلفة من الأشربة والأطعمة[٢] . وهناك دكاكين وخياطين وأسواق صغيرة وكبيرة تمارس البيع والشراء للكثير من أنواع اللباس والزينة [٣] . كانتٍ مدينة خميس مشيط أنشط في تجاراتها لأنواع البضائع من أسواق أبها . وكوني طالباً في الكلية فكانت الجامعة تتولى تقديم الطعام والشراب للطلاب بأسعار رمزية تقدر بخمسة ريالات للوجبات الثلاث (الإفطار ، والغداء ، والعشاء) . والوضع نفسه في القطاعات العسكرية التي تقدم الشراب والطعام لمنسوبيها[٤] .

إن عادات وتقاليد الناس في الأعياد ، والزواجات ،والمآتم ، والفنون والرقصات الشعبية ، والألعاب الرياضية، والتكاتف والتعاون ، وإغاثة الملهوف ، ومساعدة الفقير والمحتاج سائدة في المجتمعات السروية والتهامية ، وهي في الأرياف والقرى أوسع وأعمق. ولا تخلو مدينتا أبها وخميس مشيط من جميع هذه التقاليد والعادات حتى وإنٍ بدأت المدنية منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) تغزو حياة الناس وتؤثر عليهم سلباً في ترابطهم وتعاونهم . وقد عاصرت وشاهدت العديد من الأمثلة في حاضرة أبها من (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م) حيث كان الناس في تقاربهم وتعايشهم مثل الناس الذين رأيتهم وعشت بين ظهرانيهم في سروات بني شهر وبني عمرو خلال الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) [٥] .

---

(١) هكذا كانت حياة معظم السرويين والتهاميين وبخاصة الذين يسكنون في القرى والبوادي والأرياف . أما سكان المدن الكبيرة فقد يكون وضعهم مختلفا نوعا ما لتوفر الكثير من الكماليات في المدينة وتداخل الناس واختلاطهم ببعضهم في شتى الأعمال والحرف الاقتصادية . وإجراء دراسة على تاريخ الطعام واللباس في قرى وأرياف منطقة عسير وفي مدنها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات المهمة الجديرة بالدراسة والتحليل والتوثيق . آمل أن نرى طالب دراسات عليا في أقسام التاريخ في جامعات جازان أو الملك خالد ، أو بيشة، أو الباحة فيدرس هذا العنوان دراسة علمية عميقة .

(٢) عرفت وزرت وأكلت في العديد من المطاعم التجارية في مدينتي أبها وخميس مشيط (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م) .

(٣) رأيت وزرت الكثير من الأسواق الصغيرة والكبيرة في خميس مشيط وأبها ، وهي تعرض الكثير من أدوات الزينة والألبسة الداخلية والخارجية بجميع أنواعها .

(٤) هذا ما عاصرته وعرفته في فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها ، والقاعدة الجوية والمدينة العسكرية في خميس مشيط من عام (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨٠م) .

(٥) ما من شك أن هناك فوارق واختلافات بين الأعراف والتقاليد والعادات من مكان لآخر ، لكن إذا

أقمت في السكن الجامعي في مدينة أبها ، وعشت مع الكثير من الطلاب الذين جاءوا من بيئات متعددة من نجران وجازان إلى أبها وخميس مشيط وبيشة والنماص ومحايل والقنفذة والباحة حتى الطائف ومكة المكرمة ، وجميعهم من بلاد تهامة والسراة . ولم أر تقاليد أو عاداتٍ غريبة بين أولئك الطلاب ، لكنهم يختلفون في بعض رقصاتهم وأهازيجهم وأحياناً طرق تعاملهم مع بعضهم البعض ، وأيضاً في لهجاتهم ومفرداتهم واصطلاحاتهم اللغوية . وقد رأيت لكل ناحية من أراضي جنوب المملكة العربية السعودية أنماطاً حياتية ومعيشية متباينة من مكان لآخر ، لكن الجميع يفهمون ويدركون ويتكيفون مع بعضهم في الكثير من التقاليد والأعراف الحضارية[١] .

(*) **كانت أبها وخميس مشيط قبلة الكثير من سكان الجنوب السعودي وبخاصة مناطق عسير، وجازان، ونجران، وذلك لأسباب كثيرة ، أذكر أهمها في النقاط الآتية :**

١- إنها العاصمة الإدارية والسياسية لمعظم بلاد السراة وتهامة منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى العقود الوسيطة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، بصرف النظر عن الأحداث والملابسات التي عاشتها هذه البلاد تاريخيا وحضاريا خلال تلك الحقب التاريخية السابقة[٢].

٢- كانت مدينة أبها العاصمة التي بدأ ثم توسع من خلالها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) أثناء توطيد سلطانه في جنوب المملكة العربية السعودية . والوثائق والمصادر والمراجع تفصل الحديث في هذا الجانب ، كيف كانت الإعدادات والتجهيزات تنطلق من حاضرة أبها إلى أجزاء عديدة في البلاد التهامية والسروية [٣] .

٣- بعد قيام وتوحيد المملكة العربية السعودية صارت أبها مقراً لمعظم المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية الحديثة، وكانت الكثير من تلك المؤسسات تشرف

اجتمع الناس في أطر عامة متقاربة ومتشابهة مثل الطبيعة الجغرافية ، والتركيبة السكانية والاجتماعية فالاختلافات تكون بسيطة وغالباً في جزئيات وليس الأساسيات .

(١) رأيت وعاصرت هذا التباين منذ كنت طالباً مع زملائي في سكن كلية التربية بأبها (١٣٩٦ـ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ١٩٨١م) ، كما رأيت نماذج من ذلك أثناء تجوالي وأسفاري في مناطق عديدة من السراة وتهامة ، ثم تعمقت في معرفة الكثير من حياة وحضارات سكان هذه البلاد بعد أن سرت في بلادهم رحالاً وباحثاً ومتأملاً . وتاريخ الأعراف والعادات في عموم تهامة والسراة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) موضوع مهم وجديد يستحق أن يدرس في بحوث عديدة .

(٢) هناك عشرات الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة التي رصدت تاريخ القوى السياسية التي ظهرت في عسير خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ / ١٩ـ٢٠م) واتخذت من أبها مركز انطلاق ثم امتد نفوذها إلى أجزاء عديدة في السروات وتهامة . ومازال هناك آلاف الوثائق غير المنشورة التي تحوي تفصيلات تاريخية وحضارية كثيرة تصب في خدمة هذا الموضوع المذكور أعلاه .

(٣) حبذا أن يقوم باحث أو طالب دراسات عليا بالعكوف على أهمية مدينة أبها في ترسيخ حكم الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل في سروات عسير وتهائمها ، وفي القنفذة ، ونجران ، وجازان . ومن يتولى هذا الموضوع بالدراسة والتحليل الحيادي والمنصف فإنه سوف يطلعنا على دراسة علمية قيمة .

وتخدم بلدان كثيرة في تهامة والسراة ، وهذا مما جعلها مهوى الكثير من التهاميين والسرويين الذين يترددون عليها لقضاء مصالحهم وحوائجهم المختلفة[١] .

٤- تنامت الحياة الحضارية في حاضرة أبها بما فيها مدينة خميس مشيط وبخاصة في المجالين التجاري والصناعي فأصبحت من كبريات الحواضر السعودية الحديثة، وإليها ومنها تدور عجلة الاقتصاد في نواحي عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية ، بل صارت مقراً للكثير من الأسواق والشركات والحرف والصناعات الكبيرة والصغيرة[٢] .

٥- جغرافية طبيعة سروات حاضرة أبها وما جاورها أكسبتها ميزة حضارية حديثة ، ألا وهي مجال السياحة والترفيه . وقد أدرك أمير منطقة عسير ، خالد الفيصل، ذلك منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فعمل واجتهد في تطوير هذا الجانب ، وقد حقق الكثير من النجاحات في هذا الباب، ومنطقة عسير اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، وعاصمتها مدينة أبها تأتي في مراكز متقدمة في المملكة العربية السعودية سياحياً وترفيهياً [٣] .

٦- قيام مدينة الملك فيصل العسكرية في حاضرة أبها وإنشاء مستشفيات صحية كبيرة في أبها وخميس مشيط ، وإنشاء شركة كهرباء كبيرة في هذه الأوطان جعلها مقصداً للكثير من سكان جنوب المملكة العربية السعودية (رجالاً ونساءً) والباحث في تأسيس هذه المشاريع الثلاثة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وما لها من آثار إيجابية على تنمية منطقة عسير بشكل خاص وجنوب المملكة العربية السعودية بشكل عام فإنه يدرك ثقل وأهمية هذه البلاد على مستوى السراة وتهامة وعلى مستوى المملكة العربية السعودية [٤] .

---

(١) إن دراسة تاريخ المؤسسات الإدارية في أبها منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع مهم فلم يدرس ويوثق في عمل علمي رصين . آمل من جامعة الملك خالد ممثلة في كلياتها وأقسامها وأساتذتها وطلابها أن يستشعروا أهمية هذا الموضوع ثم يدعم ويشجع من يدرسه ويوثقه في عدد من البحوث العلمية .

(٢) بدأ هذا النمو من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ثم تطورت وازدهرت خلال العقود الأربعة الماضية من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وتاريخ الحياة الاقتصادية (التجارية ، والحرفية والصناعية) في حاضرة أبها موضوع جدير بالدراسة والتوثيق ، آمل أن يتولى ذلك باحث جاد فيدرسه دراسة علمية موثقة .

(٣) عاصرت بدايات تطوير السياحة في السروات من الطائف حتى أبها منذ بداية التسعينيات حتى اليوم . ومازال مجال السياحة في هذه البلاد يحتاج جهوداً أكبر مادية ومعنوية حتى تصبح هذه الأوطان من المعالم السياحية العالمية ، وهي تستحق ذلك لما تحتويه من تاريخ وتراث وثقافة وموروث حضاري معنوي ومادي .

(٤) إن تاريخ المدينة العسكرية في خميس مشيط ، وتاريخ الطب والتطبيب، وشركة الكهرباء في منطقة عسير خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٠-١٤٤٣هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م) يعد من الموضوعات الجديدة التي تستحق الرعاية البحثية من كليات وأقسام الجامعات المحلية .

٧- إن إنشاء مؤسسات تعليم عالي في أبها في منتصف التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) جعل مدينة أبها تواصل ريادتها في خدمة وتطوير بلدان السراة وتهامة. وقد عاصرت بدايات تلك الكليات والإدارات الجامعية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، بل كنت من أول ثمارها الإيجابية. ومن يتأمل في مسيرة وتطور التعليم العالي في مناطق عسير، ونجران، وجازان اليوم فإنه يدرك بركات تلك الكليات الأولى التي أسست للتعليم الجامعي في أبها منذ نهاية القرن الهجري الماضي[1].

كان التاريخ الاقتصادي في حاضرة أبها وما جاورها نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) يسير نحو التطور والازدهار. فالزراعة مازالت تمارس على نطاق أقل مما كانت عليه في العقود السابقة[2]، لكن التجارة والحرف الصناعية تتحسن وتزيد نسبتها رأسياً وأفقياً. ففي مدينتي أبها وخميس مشيط وما حولهما الكثير من الدكاكين والمحلات الحرفية التي تمارس صناعات ومهناً عديدة مثل: ورش خدمات السيارات والآلات الأخرى، وهناك الكثير من الحرفيين كالسباكين، والكهربائيين، والحدادين، والنجارين، والصائغين، أو من يتعامل مع بعض المعادن كالذهب والفضة والنحاس وغيرها، وداخل المدينتين (أبها والخميس) خياطون لخياطة ملابس الرجال والنساء، ومحلات لغسل الملابس والمفروشات الخفيفة. وعندما بدأت الحركة العمرانية الحديثة في عسير رأيت بعض البنائين، والدهانين، والمليسين والعمال الحفارين والحمالين للكثير من أدوات البناء، وعمال آخرين يشتغلون في مهن زراعية وتجارية وغيرها[3].

كانت الحياة التجارية في سروات عسير، وبخاصة في مدينتي أبها وخميس مشيط تتطور تدريجيا. ففي وسط الحاضرتين أسواق تجارية حديثة عديدة، يعرض فيها الكثير من السلع المتنوعة مثل المواد الغذائية، والأقمشة والألبسة وأدوات الزينة، والأواني

---

(١) إن دراسة وتوثيق بدايات ثم تطور التعليم العالي في أبها من عام (١٣٩٦ـ ١٤٤٣هـ/١٩٧٦ـ ٢٠٢١م)، ثم الآثار الإيجابية لهذا المجال على أراضي وسكان السروات وتهامة من الموضوعات البكر التي لم تدرس، وجديرة بالبحث والتحليل والتوثيق في مؤلفات وبحوث عديدة.

(٢) كانت الحياة الزراعية نشطة في الكثير من بلدان السروات وتهامة خلال القرون الماضية حتى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم صارت تتراجع، وأصبح الناس يستبدلون الزراعة بأعمال أخرى عديدة كالتعليم، والحصول على وظائف حكومية وأهلية، وهناك من عمل في الأعمال التجارية، لكنهم كانوا قلة مقارنة بما نراه في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). **وتاريخ الزراعة في عسير، أو جازان، أو نجران، أو الباحة أو الطائف خلال العصر الحديث (ق١٠ـ ق١٤هـ/ق١٦ـ ق٢٠م) من العناوين الجديدة والمهمة الجدير بالدراسة والتوثيق في بحوث وكتب عديدة.**

(٣) تاريخ الأيدي العاملة والحرف والصناعات القديمة والحديثة في بلاد السراة وتهامة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع لم يدرس في أي عمل علمي موثق. آمل من أقسام التاريخ في الجامعات المحلية في جنوب البلاد السعودية أن تهتم بهذا الموضوع وتساعد طالبات وطلاب الدراسات العليا على دراسة وتوثيق مثل هذا الميدان الحضاري المهم. ومن يقوم بذلك فإنه سوف يجد الكثير من المصادر والوثائق التي تصب في خدمة هذا العنوان الواسع والكبير.

المنزلية ، والمعدات الزراعية ، والحرفية . والعاملون في تلك الأسـواق من السـعوديين ، وهم قلة ويسـاعدهم الكثير من الوافدين وبخاصة اليمنيين ، ولا تخلو تلك الأسواق من أيد عاملة محدودة من بلدان عربية وإسلامية أخرى[١] .

إن أبنية المحلات التجارية في أبها وخميس مشيط شعبية مشيدة بالطين والحجارة، أو الحجارة والأسمنت ، ثم استبدلت الحجارة بالحديد ، والبلك والإسمنت . ومساحاتها محـدودة فلا يزيد أكبر دكان تجاري عن (١٠×١٠م) ، وأحياناً تكون غرفاً متجاورة أو متداخلة بعضـها في بعض ، ومسـاحة الحجرة الواحدة لا تزيد عـن (٢٥م٢) ، وأحياناً (٣٠م٢) . وحتى نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) نادراً جداً أن ترى سوقاً أو دكاناً تجارياً تصل مساحته إلى (١٥٠م٢) أو (٢٠٠م٢) .

وأغلب السـلع المسـتوردة من مدن الحجاز الرئيسـية ، وبعضـها يأتي من الرياض والمنطقة الشرقية ، وهناك بضائع تصدر من اليمن ، أو من بعض دول عربية وإسلامية وغـير إسـلامية . والسـلع المحليـة في أسـواق الخميس وأبهـا الحبوب ، وبعض السـلع الصناعية المحلية مثل الأدوات الخشبية ، والجلدية ، والفخارية ، والحديدية وغيرها .

والأسواق الأسبوعية في سروات عسير من الأمكنة التجارية المهمة والمحببة عند أهل البلاد . وقد عاصرت خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي سوقي أبها والخميس الشعبيين . فالأول وسط مدينة أبها جنوب مبنى إمارة عسير حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) ، ويعقد كل يوم ثلاثاء . والثاني وسط مدينة خميس مشيط إلى الشمال من الجامع الكبير. ويعقد كل خميس . والسوقان قديمان جداً ويعود تاريخهما إلى الوراء مئات السنين[٢] .

تسـوقت في هذيـن السـوقين مـرات عديـدة في الفـترة مـن (١٣٩٦ـــ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـــ١٩٨١م) ، وشـاهدت معروضـاتهما التجاريـة ، ووقفـت علـى بعض تعاملات الناس فيهما أثناء ممارسـة عملية البيع والشراء . ورأيت كل سلعة مستقلة في موقعها ، وأحياناً تتداخل أمكنة بعض السلع لتعدد التجارات وكثرة المتسوقين . ويأتي إلى

---

(١) كنت أسكن في سكن الطلاب الجامعي بحي الخشع بأبها ، وأذهب إلى أسواق أبها وخميس مشيط ، وأشاهد الكثير من الأسـواق والدكاكين الصـغيرة والكبيرة ، وفيها بعض السـلع المحلية وأكثرها مستوردة من مدن وبلـدان عديـدة داخل المملكة العربية السـعودية وخارجها . كمـا أن الأيدي العاملة غير السـعودية كثيرة ، ويشـاركهم أفـراد قليلون من السـعوديين ، ومعظمهم أصـحاب تلـك المحلات التجاريـة . وفي نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) لم بعـد تنتشـر الأماكن التجاريـة على الطرق الرئيسـية التي تربط أبها مـع مدينة خميس مشـيط ، أو الطرق التي تخرج من هاتين المدينتين إلى مناطق وبلدان مجاورة ، والسـبب تواضـع مسـتوى تلـك الطـرق ، وعدم توفر الخدمات اللازمـة عليها، لكن بعض الدكاكين التجارية المحدودة في مسـاحاتها وبضائعها كانت موجودة في أطراف خميس مشيط وأبها ، وبعض القرى الكبيرة القريبة منهما .

(٢) تاريخ هذين السـوقين خلال العصر الحديث والمعاصـر (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م) موضوع مهم يستحق أن يدرسـ في كتابـين أو بحثين مطولـين. آمل أن نرى بعض طلابنـا في برامج الدراسـات العليا بجامعاتنا المحلية فيدرسون هذين السوقين دراسة علمية موثقة .

هذين السوقين بعض المطاوعة والدعاة الذين يحدثون الناس في أمور دينهم، ويتخذون من بعض الأماكن المرتفعة في السوق، أو من فوق بعض السيارات مكاناً لإلقاء المواعظ. وهناك بعض رجال الدولة والمحتسبين الذين يراقبون حركة التجارة، ويعاقبون من يسعى إلى التطفيف أو الغش أثناء البيع والشراء [١].

كانت الأسعار والأجور قليلة مقارنة بوقتنا الحاضر، فالصاع من الحبوب المتنوعة يتراوح من ثلاثة إلى خمسة وستة ريالات والمواد الغذائية مثل الأرز والسكر، والشاي، والدقيق هي الأخرى متواضعة فلا يصل سعر المد أو الكيلو إلى أكثر من ريالين إلى تسع وعشرة ريالات. والذبيحة الواحدة من الضأن والماعز لا تزيد عن المئة والمئة وخمسين ريالاً وأحياناً تصل إلى المئتي ريال. والرأس من الجمال والبقر يكون في خانة المئات ونادراً يصل الواحد إلى الألف. والدجاجة الواحدة من الخمسة إلى السبعة ريالات. أما المركبات فتتراوح أسعارها من الخمسة والستة آلاف إلى الثلاثين والأربعين ألفاً لسيارات السفر والركاب مثل الهايلوكس، والكرسيدا، والصالونات، والجمسات. والسيارات الكبيرة، الناقلات وغيرها، فأسعارها أعلى لكن معظمها في عشرات الآلاف ونادراً تكون أسعارها في مئات الألوف. والملابس وأدوات الزينة، والأدوات الزراعية والحرفية والتجارية وغيرها فأسعارها بالريالات، ومنها التي ترتفع أسعارها إلى عشرات أو مئات الريالات حسب نوع السلعة وحجمها وأهميتها. أما المعدات الزراعية والمحركات الكبيرة مثل الحراثات، والشيولات، والتركتورات فأسعارها في عشرات الآلاف، ومن النادر وصول بعضها إلى مئات الألوف. والأراضي الزراعية والسكنية تتراوح أسعارها بين عشرات ومئات الألوف حسب موقع كل أرض ومساحتها وأهميتها السكنية أو التجارية. وفي داخل مدينة أبها وخميس مشيط وصلت أسعار بعض الأراضي في بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى مئات الألوف، وبعضها وهي قليلة، دخلت خانة الملايين[٢].

وأجور المنازل والأسواق تقدر بمئات الريالات وأحياناً تكون في خانة آحاد أو عشرات الآلاف. والموقع والمساحة والأهمية تحكم تراوح هذه الأسعار. واذكر أنني استأجرت غرفة شعبية واحدة في حجلاء لمدة شهر عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) بخمسين

---

(١) كانت الأسواق الأسبوعية حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م) أعياداً ومهرجانات كبيرة لكل من يعيش حولها أو يرتادها. بل كانت الحركة التجارية في تلك الأسواق في أوج مجدها ونشاطها، حتى وإن كان هناك أسواق يومية حديثة، لكنها مازالت قليلة ومحدودة. ووضع الأسواق الشعبية اليوم تدهور واندثر أغلبها، والباقي منها تراجع كثيراً عما كانت عليه في السابق. وسوقا أبها وخميس مشيط من تلك الأسواق التي مازالت لكنها ضعيفة مقارنة بالماضي.

(٢) في بداية تطوير مدينة أبها ومدينة خميس مشيط وغيرهما اضطرت الدولة إلى هدم بعض الأبنية وشق بعض الطرق وإقامة بعض المشاريع وقد تم تعويض أصحاب تلك الأملاك، ومنهم من حصل على تعويضات كبيرة تقدر بالملايين. وتخطيط مدينة أبها وتطويرها وكذلك وسط مدينة خميس مشيط في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع مهم وجديد حبذا أن نرى مؤرخا جادا يدرس هذا الموضوع دراسة علمية توثيقية.

ريالاً، وهناك غرف مسـلحة وأخرى شـعبية وسـط مدينتي خميس مشيط وأبها لا تزيد أجرتها عن المئة ريال. والدور الصـغير والشـقة المكونة من عدة غرف تتراوح أسعارها من الألفين إلى الخمسـة والسـبعة آلاف ريال للعام كاملاً. وأجرة الدكاكين التجارية في المواقع الجيدة وسط المدينة تدخل في خانة آلاف الريالات إذا كان الإيجار سنوياً.

أما أجرة الركاب والمسافرين فالراكب الواحد من أبها إلى خميس مشيط بريال واحد، وقد يكون مشـوار السيارة الصغيرة خمسة ريالات. والسـيارة الكبيرة كالصالون تويوتا أو الجمسـ بعشـرة ريالات وأحياناً تزيد الأجـرة قليلاً. والأجرة للراكـب الواحد من أبها إلى جازان، أو بيشـة، أو نجران، أو النماص، أو الطائف تتراوح من عشـرة ريالات إلى ثلاثين وخمسين ريالا حسب طول المسافة وقصرها. وقد تخرج بعض السيارات بالمشوار والاتفاقية وغالباً تكون بين المئة والمئتي ريال إلى النماص، وبيشـة، ونجران، وجازان، والباحة، وقد ترتفع الأجرة إلى المئتين وخمسـين ريالا. أما المشـوار إلى الطائف ومكة أو الرياض فتقدر بمئات الريالات وتتراوح من (٤٠٠ـ ٦٠٠) ريال وأحياناً (٧٠٠) ريال وربما أكثر [١].

وأجرة السـيارات الكبيرة (الناقلات) وغيرها تكون أعلى وتقدر في الغالب بمئات الريـالات مـن مدن الحجـاز كالطائـف ومكة وجدة إلى مدن عسـير وجـازان ونجران وأحيانـاً تدخل خانة الألف والألفـي ريال. أما المعدات الأخرى كالحراثات والشـيولات والجرارات والتركتورات فأجرتها بالسـاعة وتتراوح من العشـرة إلى عشـرين وثلاثين وأربعـين ريالا وربما أكثر قليلا. وقد يتم الاتفاق مع ملاك الناقلات أو المعدات الأخرى على إنجاز العمل المطلوب أو نقل بضاعة معينة بالجملة (الاتفاقية)، ومقدارها غالباً يكون في خانة العشرات أو مئات الريالات [٢].

أمـا أجـور الأيدي العاملة فتختلف من شـخص لآخر حسـب نوع العمـل، فالعامل العادي تكون أجرته باليومية من عشـرة ريالات إلى عشـرين ريالاً وربما أكثر. والفنيون كالسباكين، والكهربائيين، والمهندسين فأجورهم أعلى، لكنها تبقى في خانة العشرات لليـوم الواحـد، وقـد تدخل مئـات الريـالات أو الألف والألفـين وربما أكـثر للاتفاقية (القاطوعة) على إنجاز عمل معين يستغرق أياماً وربما أسابيع [٣].

---

(١) هذا ما عرفته بشـكل مباشـر لأنني كنت صـاحب تاكسـي وذهبت في بعض المشـاوير إلى جازان والنماص والباحة والطائف. وأحياناً تكون الأجرة عالية لمن هو مستعجل ويحتاج سيارة مشوار بشكل سريع.

(٢) كنـت أذهـب إلى مواقف السـيارات في مدينتي أبها وخميس مشـيط (١٣٩٦ـــ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م) وأسمع وأشاهد بعض المساومات والاتفاقات على أجرة بعض المركبات أو الآلات الأخرى.

(٣) أجور الأيدي العاملة في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت قليلة وبسيطة وبدأت تزيد وترتفع مع مطلع القرن (١٥هـ/٢٠م). وهذا الموضـوع يسـتحق البحث والدراسـة في منطقة عسير أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٩٠ـ ١٤٢٠هـ/١٩٧٠ـ ٢٠٠٠م).

أما الرواتب فحسب مستوى الموظف ودرجته الوظيفية، مدنياً أو عسكرياً، لكنها كانت تتراوح من خانة المئات إلى الآلاف لعامة الموظفين، ورواتب أصحاب المراتب العالية تدخل خانة العشرة آلاف وأكثر. وأثناء دراستي ثم عملي في كلية التربية بأبها (١٣٩٦ـ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م)، عرفت رواتب بعض موظفي وأساتذة الكليات الجامعية آنذاك فكانت تتراوح من ثمانمائة وألف ريال لصغار الموظفين إلى الثمانية وعشرة آلاف ريال وتزيد عن ذلك لكبار الموظفين وبعض أعضاء هيئة التدريس [١].

كانت مكافآت الطلاب الجامعيين عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) (٣٢٥) ريالاً شهرياً للدارسين في الأقسام الأدبية، و (٤٠٠) ريال لطلاب الأقسام العلمية، وفي نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ارتفعت إلى (٥٢٥) ريالاً لطلاب القسم الأدبي، و(٦٠٠) ريالٍ لطلاب القسم العلمي. وفي عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) أعطي طالب الأدبي (٨٥٠) ريالاً، وطالب القسم العلمي ألف ريال [٢]. كما عاصرت رواتب المعيدين فعند التخرج في كلية التربية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وعملي معيد، صار الراتب ثلاثة آلاف ريال، وفي العام نفسه ارتفعت رواتب جميع موظفي الدولة بنسبة (١٠٠٪)، وصارت الثلاثة ستة آلاف، ويعطى المعيد الواحد بدلاً للسكن يقدر بـ (١٥٠٠٠) ريال للعام [٣].

لاحظت تقدماً جيداً في الحياة العلمية والثقافية والأدبية في بلاد عسير (سراة وتهامة) وبخاصة حاضرة أبها. فالمدارس العامة (الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية) أصبحت موجودة في كبريات القرى والتجمعات السكانية. وهناك أيضاً معاهداً علمية وللمعلمين في أبها، وخميس مشيط، وبيشة، ومحايل وغيرها. وكل هذه المؤسسات التعليمية قامت بعملها وقدمت خدمات جليلة للطالبات وطلاب البلاد [٤].

في الفترة من (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م) حظيت حاضرة أبها بحدث حضاري مهم وكبير تمثل في افتتاح ثلاث كليات جامعية. التربية والطب بفرع جامعة

---

(١) سمعت أن أجرة بعض مقرات الكليات بأبها كانت تقدر بمئات الألوف، وفي نهاية التسعينيات من القرن (١٤ه/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ارتفعت إلى خانة المليون وأكثر للعام الواحد.

(٢) مازالت هذه المكافآت بهذه الكيفية تمنح لطالبات وطلاب الجامعة حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، وتاريخ وحياة طلاب الجامعة في منطقة عسير (١٣٩٦ـ ١٤٤٢هـ/١٩٧٦ـ ٢٠٢١م) موضوع جديد لم يدرس حبذا أن يدون في أعمال علمية موثقة.

(٣) إن تاريخ الأجور والرواتب في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية من عام (١٣٥٠ـ ١٤٤٣هـ/١٩٣١ـ ٢٠٢١م) موضوع جيد وجديد وله الكثير من الوثائق والمصادر والمراجع، ويستحق أن يكون عنواناً لمشروع بحثي كبير يقوم به فريق عمل من الأكاديميين حبذا أن نرى هذه الأمنية تتحقق إلى واقع.

(٤) درست ووثقت ثم طبعت ونشرت العديد من الدراسات التاريخية لمسيرة التعليم العام في منطقة عسير منذ عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م) حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). ومازال هذا الميدان يحتاج إلى بحوث أطول وأعمق توضح بداياته ثم نموه وتطوره وآثاره الإيجابية على حياة الناس العامة والخاصة. وهذا الموضوع مهم جداً ويجب على المؤرخين والباحثين دراسته وتوثيقه.

الملك سعود بأبها ، وكلية الشريعة واللغة العربية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب . وهذه الكليات أول مؤسسات تعليمية عالية في عموم المنطقة الجنوبية الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً [١] .

كان لهذه الكليات الجامعية أثر كبير على تطور الأرض والإنسان ليس في مدينة أبها وما جاورها ، وإنما في عموم جنوب المملكة العربية السعودية . فقد جلب لها الكثير من الأساتذة والعلماء الكبار من بلدان عربية وغير عربية حتى يتولوا عملية التدريس والتدريب لطلاب السراة وتهامة الذين التحقوا بهذه الكليات العالية ، وفي تخصصات وعلوم مختلفة[٢] .

(*) مما عاصرته وشاهدته وسمعته خلال السنوات الخمس الأولى من تاريخ التعليم العالي في منطقة عسير (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٧٦ـ ١٩٨١م) ، فإنني أدون بعضاً من تلك الذكريات والمشاهدات التاريخية الحضارية ، وهي على النحو الآتي :

١- تطور الحراك الثقافي والتعليمي والعلمي والأدبي في منطقة عسير وبخاصة حاضرة أبها ، عندما أصبح هناك كليات جامعية تحتوي على أقسام كثيرة ، علمية وأدبية ، ويتولى التدريس والتدريب فيها أساتذة عديدون يحملون درجات الماجستير والدكتوراه التي حصلوا عليها من جامعات عربية وإسلامية وأجنبية عريقة ومرموقة [٣] .

٢- لا أنسى أساتذتنا السعوديين ، وكانوا قليلاً جداً ، وفي أعمال إشرافية وإدارية

---

(١) تم افتتاح كلية متوسطة للبنين في أبها ، وتمنح درجة الدبلوم العالي ، عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) . كما انفصلت كلية الشريعة وأصول الدين عن اللغة العربية عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) وصار هناك كلية جديدة، كما أنشئت كلية الطب في العام نفسه ، وتأسست أيضاً كلية التربية للبنات بأبها عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م). للمزيد انظر غيثان بن جريس " التعليم العالي في منطقة عسير بداياته تطوره آفاقه المستقبلية " **بحث منشور ضمن ندوة التعليم العالي في عسير ، ربع قرن من الإنجازات والعطاء (٢ـ ٣/ شعبان /١٤٢١هـ الموافق ٢٩ـ٣٠/أكتوبر / ٢٠٠٠م)** (مطبوعات جامعة الملك خالد (١٤٢٣هـ) . انظر أيضاً الدراسة الأولى في كتاب: **جامعة الملك خالد (١٤١٩ـ ١٤٤٢هـ / ١٩٩٨ـ ٢٠٢١م) (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)** (الجزء الأول) .

(٢) لحسن حظي أني كنت معاصراً وشاهد عيان لهذا التطور الحضاري الكبير، فقد درست في كلية الشريعة وأصول الدين بضعة شهور عام(٩٦ـ ١٣٩٧هـ/٧٦ـ ١٩٧٧م) ، ثم انتقلت إلى كلية التربية ، قسم التاريخ والحضارة ، وتخرجت فيه ثم تعينت معيداً في الكلية نفسها عام (١٤٠٠/ ١٩٨٠) .

(٣) نعم لقد درست ورأيت الكثير من العلماء والأساتذة المبدعين في كلية الشريعة واللغة العربية ، وجميعهم من دول عربية وبخاصة مصر وبلاد الشام . أما الأساتذة في كلية التربية ثم كلية الطب فكان الكثير منهم عرباً درسوا في جامعات عربية وغربية ، وشرقية ، وكانوا على قدر كبير من الأدب وغزارة العلم . كما رأيت أساتذة أجانب من بعض الدول الأوربية وأمريكا في قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية وكلية الطب وكانوا أيضاً علماء بارعين ولا أقول إلا سقى الله تلك الأيام الجميلة ، مع تعدد العقبات والصعوبات التي كانت تواجهنا في دراستنا ونضالنا من أجل التفوق والتميز . كما أقول جزى الله أولئك العلماء والأساتذة خير الجزاء ، فلقد أبلوا بلاءً حسناً في تربيتنا وتعليمنا ونصحنا وتوجيهنا . وكانت أعدادهم بالعشرات، وياحبذا أن يوثق شيء من تاريخهم وجهودهم في خدمة وتطوير التعليم العالي في بلاد عسير خلال السنوات العشر الأولى (١٣٩٦ـ ١٤٠٥هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨٥م) .

وتخطيطيــة ، ومنهم الدكتور مزيد إبراهيم المزيد ، عميد كلية التربية . والشـيخ ، ثم الدكتور فيما بعد عبدالله بن عبدالعزيز المصلح ، والدكتور فهيد عبيد السبيعي، فالأول كان عميداً لكلية الشـريعة واللغة العربية ، والثاني وكيلا للكلية نفسـها . ثم الدكتـور أحمد السـباعي ، أول عميـد لكلية الطب في أبهـا . والدكتور عبدالرحمن الضـحيان ، وعرف فيما بعد باسـم (الجويبر) بدلا من (الضـحيان) أول عميد لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية . ومعهم موظفون سـعوديون وغير سعوديين، وجميعهم بذلوا ما في وسـعهم أثناء التأسـيس ثم النمو والبناء ، فجزاهم الله عن طلابهم وعن مناطق الجنوب السعودي خير الجزاء[١] .

٣- إن البنـاء والتأسـيس لأي شـيء جديد يحتـاج إلى جهود جسـدية وفكرية ومعنوية وماديـة وعلميـة جيدة وكبيرة . فإذا كان التأسـيس هنا لمؤسسـات جامعية جديدة تسـعى إلى تطوير الأرض والإنسـان . وقد شـاهدت بعض الجهـود المبذولة ، فولاة الأمـر ، وفقهم الله ، ويمثلهم أمير منطقة عسـير آنذاك ، الأمير خالد الفيصـل ، ونائبه الأمير فيصـل بن بندر بن عبدالعزيز آل سـعود كانوا لا يتوانون ولا يتوقفون عن متابعة تأسـيس وتطوير ذلك الحدث العظيم والجديد في منطقة عسـير ، كما كانـوا يجتهدون في حل المشـاكل والعقبات التي تظهر بـين الفينة والأخرى . كما أن العاملـين في تلـك الكليات مسـؤولين وموظفين وأعضـاء هيئة تدريس كانوا أيضـا يعملون ليلاً ونهاراً أثناء التأسيس والبناء[٢] .

٤- كانت الجامعتان الأم في الرياض (جامعة الإمام ، وجامعة الملك سـعود) ، وكبار المسـؤولين فيهما على اتصال دائم أثناء التأسيس ثم تطوير تلك الكليات الجامعية في أبها . وكانوا يدركون أن هذه الكليات المحدودة سـوف تكون نواة لانتشـار التعليم العالي في عموم جنوب المملكة العربية السـعودية. لهـذا فلم يدخروا جهداً في دعم وتدريس طلاب هذه البلاد ، ثم تشـجيع المتميزين منهم لمواصـلة دراساتهم العليا، وكذلـك تزويد جميع قطاعات الدولة وبخاصـة في جنوب البلاد السـعودية بكوادر بشرية جامعية تستطيع إدارة عجلة التطوير والتنمية في كل مكان [٣] .

(١) أدون هذه السـطور والحزن والحنين يعصـر فؤادي على تلك الأيام الجميلة . بجمال أرضـها وطيبة ونقاء أهلها، كمـا أنني أشـكر وأدعـو لأولئك الأعلام الذين كانـوا يرعوننا مثل أبنائهـم الذين من أصـلابهم ، وأحيانا كانوا يقسـون علينا ليس للنيل منا ، ولكن لتوجيهنا وبناء شخصـياتنا ، وليس الأمر مقصورا على الأساتذة السعوديين المذكور بعضـهم أعلاه ، ولكن على أعضـاء هيئة التدريس غير السـعوديين ، فقد كان الكثير منهم مثل آبائنا فلا يدخرون جهدا في رعايتنا علميا وفكريا وثقافيا ومعرفيا . غفر الله لمن مات منهم ، ووفق ورزق وحفظ الأحياء .

(٢) لا أقول هذا من فراغ ، وإنما كنت مشـاهداً ومراقباً لتلك التطورات . فالأميران (خالد وفيصـل) يزوران تلـك الكليات باسـتمرار ويتفقـدان احتياجاتهما وحـل معضـلاتها . والعاملون في الكليـات تراهم يعملون باستمرار في كل مكان بهدف التأسيس ودفع عجلة النمو والتطوير الجامعي في البلاد .

(٣) هذا الذي حدث فعلاً. فالناظر اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجد أن جميع قطاعات الدولة العامة والخاصة في

٥- ازدهرت الثقافة والمعرفة في حاضرة أبها مع تأسيس ثم نمو الكليات الجامعية ، فلم يكن عمل هذه المؤسسات التعليمية مقصوراً على مهنة التدريس وكل ما يتعلق بها من متابعات واختبارات ، وإنما ظهرت أنشطة علمية ومعرفية وثقافية أخرى مثل عقد المحاضرات واللقاءات والندوات ثم المؤتمرات داخل الكليات وخارجها . وذهب من فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها من يمثلهما في بعض الاجتماعات واللقاءات الإدارية والعلمية التي كانت تعقد في العاصمة الرياض ، أو في بعض مدن المملكة العربية السعودية الأخرى . وبدأ أعضاء هيئة التدريس في كليات الشريعة واللغة العربية ، والتربية ، والطب يصدرون العديد من الدراسات ، والكتب العلمية في مجال تخصصاتهم ، وكان ضمن نتاجهم العلمي بعض البحوث الخاصة بالأرض والناس في سروات وتهامة منطقة عسير وما جاورها[١] . كما شاهدت الكثير من الأمسيات العلمية والأدبية التي عقدت في أروقة الكليات ، أو في نادي أبها الأدبي ، أو في بعض المحافل واللقاءات العلمية بمدينتي أبها وخميس مشيط [٢] .

٦- قدوم طلاب الكليات من بلدانهم المختلفة في جنوب المملكة العربية السعودية إلى أبها ، وإقامتهم فيها أربع وخمس سنوات حتى حصولهم على درجاتهم العلمية عامي (١٤٠٠ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ـ ١٩٨١م) ، أحدث ذلك نقلة ثقافية ومعرفية لأولئك الطلاب ، وصاروا سفراء لبلدانهم في عاصمة عسير (أبها) ، وجلبوا معهم الكثير من الأعراف واللهجات والتقاليد والمعرفة الحضارية التي تعلموها في أوطانهم الأصلية ، كما نقلوا إلى أهلهم وأقاربهم وقراهم ما عرفوه وتعلموه أو سمعوا عنه في

جنوب المملكة العربية السعودية قادها ويدير شؤونها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أعلام جامعيون تعلم معظمهم في مؤسسات التعليم العالي في أبها . كما أن تلك الكليات الجامعية بذلت ما في وسعها ، فابتعثت معظم المبدعين والمتميزين من طلابها إلى جامعات عربية وأجنبية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها من أجل الحصول على درجات الماجستير والدكتوراه ، وعند عودتهم قادوا مشعل التعليم ليس في حاضرة أبها أو عسير فقط وإنما في عموم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . حبذا أن نرى باحثاً جاداً ومنصفاً فيدرس دور تلك الكليات الجامعية ثم جامعة الملك خالد في نشر التعليم العالي في مناطق عديدة من بلدان السروات وتهامة ، خلال العقود الخمسة الماضية (١٣٩٦ـ ١٤٤٣هـ / ١٩٧٦ـ ٢٠٢٢م) .

(١) أذكر أنه عقد أكثر من ندوة ولقاء في كليتي الشريعة ، واللغة العربية ، والتربية من عام (١٣٩٨ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٨ـ ١٩٨١م) ، قدم فيها بعض الأوراق العلمية والأدبية والدينية والاجتماعية والتاريخية والثقافية . ويوجد في تلك الكليتين مركزان للبحوث العلمية ، وكان لهما إسهامات علمية وبحثية في جوانب متعددة وبخاصة في العلوم الشرعية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والتاريخية ، وفي علوم الحياة وغيرها . والمتأمل يلحظ ارتفاع نسبة الوعي والثقافة عند الكثير من الناس ، وذلك بفعل تلك الأنشطة التي تقدمها تلك الكليات داخل محيطها وخارجه .

(٢) وجدت في مكتبتي بعض الوثائق والمدونات التي رصدت أسماء بعض تلك الأمسيات وما قدم فيها من محاضرات ، أو قصائد شعرية فصيحة، وأحياناً مسابقات علمية وترفيهية . وهناك أيضاً العديد من أسماء البحوث والكتب التي أنجزها بعض أعضاء هيئة التدريس آنذاك ، ومنها الذي طبع بمطابع الجامعتين الأم في الرياض ، أو نشرت من خلال نادي أبها الأدبي ، أو في بعض دور النشر داخل المملكة العربية السعودية.

كلياتهم والمجتمع الذي يحيط بها في مدينتي أبها وخميس مشيط وما حولهما[١] .

٧- نحن طلاب الجامعة الأوائل في أبها ، لم تكن نشاطاتنا وخبراتنا آنذاك محدودة في إطار مدينتي أبها وخميس مشيط ، وإنما توفرت لنا الكثير من الفرص في السفر والترحال تحت إشراف ومظلة الكليات ، وأحيانا اجتهاداً فردياً منا . وأذكر أن الكليات كانت تنسق العديد من الرحلات الطلابية إلى شواطئ جازان ، ومتنزهات النماص ونجران . وكان بعض الطلاب يخرجون في رحلات خاصة إلى تلك الأماكن . كما نفذت رحلات عديدة إلى الحج والأماكن المقدسة ، كما قامت كلية التربية ممثلة في عميدها الدكتور مزيد المزيد وحوالي عشرة أعضاء هيئة تدريس من أقسام علمية وأدبية ،وعشرة طلاب من قسم التاريخ برحلة علمية إلى المدينة المنورة ، وإلى مدائن صالح عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، وقد استغرقت الرحلة حوالي أسبوع تعلمنا فيها الكثير من المعارف والثقافات المختلفة[٢] . ورحلات طلابية أخرى إلى مدن جدة ، والدمام ، والإحساء ، والظهران ، والطائف ، وجميعها تصب في توسيع مدارك الطلاب وثقافاتهم [٣] .

ثالثاً: ذكريات ومشاهدات في أمريكا ثم أبها(السعودية) (١٤٠١-١٤٠٧هـ/ ١٩٨١- ١٩٨٧م) :

قضيت سنة دراسية كاملة (١٤٠٠ـ ١٤٠١هـ/١٩٨٠ـ ١٩٨١م) على درجة معيد في كلية التربية بأبها ، قمت خلالها بتدريس مادة التربية البيئية التي كانت ضمن جدول عميد الكلية ، الدكتور مزيد إبراهيم المزيد ، وبسبب انشغاله وأسفاره المتكررة إلى الجامعة الأم في الرياض ، كلفني القيام بدلا منه تدريس الطلاب المسجلين في هذه

---

(١) أدون هذه الخلاصات لأنني عشتها وعرفتها مع زملائي طلاب الجامعة منذ كنت في قرى الآباء والأجداد في سروات النماص ، وأثناء إقامتي وتنقلاتي في حاضرة أبها لمدة خمس سنوات (١٣٩٦ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦ـ ١٩٨١م) . وذلك الحراك التعليمي والاجتماعي والحضاري خلق أجيالا أكثر خبرة ومعرفة وتعلما من آبائهم وأجدادهم ، بل إنهم طبقة اجتماعية مخضرمة عاصرت الكثير من حياة الأوائل في تعاملاتهم وتعايشهم اليومي المحدود . وكذلك انخرطوا للعيش في مجتمعات أكبر في تعدادها السكاني ومساحاتها الجغرافية ، وبالتالي تعلموا وعاصروا معارف وثقافات أكثر وواسع مما ألفوه في قراهم وبلدانهم الأساسية .

(٢) مازلت أذكر تلك الرحلة ، كما كلفت من الدكتورين محمد الأمين سعيد (سوداني الجنسية) ، وسيد أحمد يونس (مصري الجنسية) بتدوين ما عرفته وشاهدته في تلك الرحلة . وقد دونت صفحات مما شاهدته في المسجد النبوي ، ومقبرة البقيع ، والمساجد السبعة ، ثم سفرنا إلى مدائن صالح وما شاهدناه هناك . وللأسف أن تلك الرحلة المدونة فقدت مني ولم أعثر عليها ، وكانت صفحاتها تزيد عن العشرين ٠

(٣) كنت من الطلاب الذين ذهبوا إلى الحج أكثر من مرة ، واشتركت في العديد من الأنشطة اللاصفية ، باختيار وتوجيه من عميد الكلية، الدكتور مزيد إبراهيم المزيد ، ومن أساتذة آخرين في الكلية . كما شاركت في رحلات طلابية عديدة أرسلت إلى الرياض ، وبعض مدن المنطقة الشرقية ، وزرنا بعض المؤسسات الإدارية والأكاديمية مثل دارة الملك عبدالعزيز ، وجامعة الملك سعود في الرياض . وبعض مصانع البترول ، وجامعة البترول في الظهران والدمام ورأس تنورة . ومازال عندي الكثير من الذكريات التي شاهدتها وعرفتها في حياتي العلمية ورحلاتي الداخلية والخارجية ، آمل أن يمد الله في العمر حتى أستطيع جمعها وتدوينها ثم طباعتها ونشرها ٠

المادة ، لمدة فصلين دراسيين [١].

كوني معيداً في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، فكان لزاماً عليّ أن أذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الماجستير والدكتوراه ، لهذا عملت جاهداً في الحصول على قبول لدراسة اللغة ثم أكملت دراساتي العليا ، وحصلت على بعض القبولات من عدة جامعات أمريكية ، أهمها: **(١)** جامعة تكساس بمدينة أوستن. **(٢)** جامعة تولين (Tulane University) في مدينة نيو أورليانز بولاية لويزيانا. جامعة إنديانا ـ بلومنجتون(Indiana University – Bloomington) بولاية إنديانا [٢].

تمت الموافقة على ابتعاثي إلى جامعة تكساس بمدينة أوستن في عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، وقد عانيت في رحلتي من مطار الظهران إلى مطار لندن هيثرو (Heathrow Airport) ، ومطار جون إف كينيدي (John. F. Kennedy International Airport) ويعرف باسم (J F K) في مدينة نيويورك ، ومطار هيوستن (Houston) الدولي في ولاية تكساس ،وأطلق عليه مؤخراً اسم مطار جورج بوش الدولي (George Bush Intercontinental Airport)

كانت صدمة ثقافية كبيرة لي عندما خرجت من قرى سروات بني شهر ومنطقة عسير المتواضعة إلى هذه المطارات العالمية ، وعندما أصبحت في مطار الظهران وعندي رحلة مباشرة إلى مطار جون إف كينيدي. أخبرنا العاملون في المطار أن الرحلة الغيت بسبب اضراب عمال المطارات في أمريكا، الذين يطالبون بزيادة أجورهم ، وكان رئيس أمريكا آنذاك رونالد ويلسون ريجان (Ronald Wilson Reagan)، عندئذ حولوا رحلتي إلى مطار هيثرو بلندن ، ومن هناك أذهب إلى مطار كينيدي في نيويورك ، وتم ذلك ، لكن في مطار لندن تأخرت أكثر من (٢٤) ساعة حتى حصلت على طائرة هندية ، وعند وصولي إلى مطار كينيدي كانت أغراضي قد أرسلت من الظهران إلى نيويورك ، وواجهت صعوبات كثيرة حتى حصلت عليها في مكاتب شركة بان أمريكان العالمية (Pan American World) ، وعرفت اختصاراً باسم (بانام) (Pan-Am). وبعد حوالي سبع ساعات وجدت حاجياتي ، ووجدت مهندساً أمريكياً أسود يعمل في مراكش بالمغرب ويرغب السفر إلى هيوستن فحجز لي معه على طيران الدلتا الأمريكي

---

(١) أذكر أنني علمت مجموعة من الطلاب في كل فصل بهذه المادة ، وكان معظمهم أكبر مني سناً ، ومنهم الذين توفاهم الله (رحمهم الله تعالى) وآخرون مازالوا على قيد الحياة الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) متقاعدين ، أو بعضهم لم يعمل في وظيفة حكومية إطلاقاً ، وإنما عملوا في بعض التجارات والأعمال الحرة .

(٢) عانيت كثيراً في الحصول على هذه القبولات ، وكان لبعض الأساتذة الزملاء في كلية التربية فضل كبير فقد ساعدوني كثيراً في مراسلاتي لتلك الجامعات وغيرها ، وكان أكثرهم تعاونا معي الأستاذ محمد قاسم توفيق مصري الجنسية ، وعنده جنسية أمريكية أيضاً ، ويحمل درجة ماجستير في علم الاجتماع ، وحسب علمي أنه عاد إلى أمريكا منذ (٣٥) عاماً ، ولا أعلم عنه شيئاً الآن ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

(Delta Airlines) وكان إلى جانبي في مقعد الطائرة، وأوصاني بالحرص على نفسي ومالي، وكانت رحلتنا في الليل ووصولنا سوف يكون حوالي الساعة الثالثة فجراً. وقال لي: امكث في المطار حتى الصباح، ثم اذهب حيث تريد، وكنت أرغب في تسليم أوراق بعثتي إلى المكتب السعودي الثقافي في هيوستن. وعند الساعة السابعة صباحاً ذهبت إلى الملحقية فوجهوني لدراسة اللغة في معهد تجاري في المدينة [١].

ذهبت إلى ذلك المعهد التجاري في أحد أحياء مدينة هيوستن، واستقبلني أخ كريم لا أعرفه من قبل اسمه ماجد الدوسري، ووضع أغراضي التي اصطحبها في شنطة سيارته، وكان يدرس في ذلك المعهد [٢]، وأرشدني إلى إحدى المسؤولات في المعهد فأرسلتني إلى أحد الفصول الدراسية. مكثت حوالي الشهر في ذلك المعهد المملوء بالأجانب، وأغلبهم أسر عربية وخليجية (صغاراً وكباراً، ذكور وإناثاً) يدرسون في ذلك المعهد الركيك في قدراته ومستواه العلمي، ويبدو أن ديدن القائمين عليه هو الكسب التجاري فقط، لأن معظم الذين يأتون إليه لا يرغبون الاستفادة والتعلم الحقيقي، وإنما يقضون أوقاتهم بنوع من الترفيه وعدم الجدية. عندئذ ذهبت إلى مكتب الملحقية السعودية الذي لايبعد كثيراً عن ذلك المعهد، وطلبت منهم أن أذهب إلى معهد اللغة الذي يتبع لجامعة تكساس في أوستن، وعندي قبول من الجامعة لدراسة درجة الماجستير في قسم التاريخ. ولم يكن على المسؤول في الملحق السعودي إلا الترحيب بهذه الفكرة، وساعدني للذهاب إلى معهد جامعة تكساس، وتم ذلك.

انتقلت إلى مدينة أوستن، وسجلت في معهد اللغة التابع للجامعة، واستأجرت غرفة وحماماً ومطبخاً صغيراً بمبلغ (٢٥٠) دولاراً، وبقيت حوالي السنة، انتقلت خلالها إلى سكن آخر أوسع قليلاً بحوالي (٢٨٠) دولاراً، ولم يكن بعيداً عن الجامعة والمعهد. وتعرفت على طالبات وطلاب أجانب كثيرين في ذلك المعهد، بعضهم من دول عربية، أو دول أمريكا اللاتينية، أو من الصين واليابان وبعض دول شرق آسيا. كما تعرفت على موظف أمريكي في المعهد يدعى مرسلس هارتمان، عمره في الخمسين

---

(١) هذه الرحلة من مدينة الظهران في السعودية إلى مدينة هيوستن اختصرتها كثيراً في السطور المدونة أعلاه، لكنني واجهت عقبات كثيرة جداً جداً، فقد أصبت ببعض الآلام الشديدة، في البطن والرأس، ولم أستطع النوم إطلاقاً حوالي ثلاثة أيام وأكثر، وأكلت لحم الخنزير في الطائرة الهندية ولا أعلم أنه لحم خنزير إلا بعد عدة شهور عندما رأيته وذقته في مدينة أوستن تكساس، وأخبرني أحد الزملاء آنذاك بنوع هذا الطعام، وأحداث كثيرة نفسية وجسدية وثقافية وغيرها. قد أفصلها في مدونة مطولة في قادم الأيام، (بإذن الله تعالى).

(٢) أحاول منذ أربعين عاماً معرفة مكان هذا الأخ النبيل الذي أسكنني معه أكثر من شهر، ومازلت أبحث عن مكانه أو رقم هاتفه أو جواله حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، كان وقتها - حسب قوله - موظفاً في مؤسسة النقد السعودي، لكنه جاء إلى أمريكا مرافقاً مع أخته التي حصل لها حادث شنيع في مدينة الرياض، ونقلت على حساب الدولة للعلاج في هيوستن، فهو يرافقها ويقضي وقته بدراسة اللغة الإنجليزية في ذلك المعهد التجاري.

تقريباً، وقد سـاعدني كثيراً واصـطحبني معه إلى بلدان وقرى عديدة في مدن أوسـتن، ودالاس(Dallas) ، وسـان أنطونيـو(San Antonio) في ولاية تكسـاس، كما تعلمت منه علوماً ومعارف عديدة[١].

تعرفت أيضاً على أحد مديري المعهد الأكاديميين ويدعى السيد/ توماس أندرسون، وتجاوز عمره الستين عاماً، وكان هو الآخر يزورني في شقتي الصغيرة مع زوجته باربرا، وهي سيدة كبيرة متدينة، ثم عرضوا عليّ الذهاب معهم إلى الكنيسة كل أحد، فوافقت، وفرحوا بذلك، وكنت ألبس الزي السعودي الوطني، وعند الدخول إلى القس والعاملين في الكنيسة يفرحون كثيراً، ويعاملونني أحسن معاملة، وربما اعتقدوا أنني سوف أميل إلى ديانتهم، لم يعرضـوا عليّ أي شـيء من ذلك، لكن لطفهم، والحرص على أخذي معهـم كل أحـد إلى الكنيسـة يدل على أنهـم يرغبون في تنصـيري، وكنت ولله الحمد محافظاً على ديني وصـلواتي في حلي وترحالي، وأسـأل الله القبـول والجنة. وتعرفت أيضاً على مدرسات ومدرسين آخرين في المعهد من أجل تقوية لغتي والاستفادة العلمية، وكنت أتجنب مخالطة مجالس العرب، وأقضي معظم وقتي في الكتابة والقراءة وسماع أشرطة تعليم اللغة الإنجليزية[٢].

كنت كل الشـهور التي قضـيتها في المعهد أعاني من ضـغط نفسـي كبير، كما أنني أعـاني من مرض القولون العصـبي منذ طفولتي، وقد زادت آلامـي ومعاناتي، عندئذ ذهبت إلى مركز طبي فوضـعوني تحت الفحوصـات الطبية، وبعد أكثر من ثلاثة شهور قالـوا عنـدك قولون عصـبي ولابـد أن تتكيف معـه، لكننـي لم أقتنع بذلك واتصـلت بالملحقية التعليمية وشـرحت لهم حالتي الصـحية والنفسـية فحجزوا لي في مستشفى بمدينـة هيوسـتن، اسـمه (Hospital Houston Methodist) وذهبـت إليه بمفردي وبقيت فيه حوالي (٢٥) يوماً، كنت أغلبها في قسـم الصـحة النفسـية، وكان الطبيب النفسي الذي يزورني إيراني الجنسية، ولم يقدموا لي شيئاً يذكر، اللهم إلا حجزي مع غيري من الأمريكان وغيرهم، وجميعهم يعانون من إدمان مخدرات أو أمراض نفسية، والحمـد لله أني خرجـت سـالماً، فكنت أعيشـ معهم طوال الوقـت. وكان معي مريض كويتـي يتجاوز عمره السـتين عاماً، وبعض أولاده وبناتـه يزورونه من وقت لآخر، أما أنا

---

(١) بعد رجوعي إلى السـعودية عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) كنت على تواصـل مع الأسـتاذ مرسلس الأمريكي، ثم انقطعت اتصـالاتنا، ولا أعرف عنه أي شـيء منذ أكثر من ثلاثين عاماً. يبدو أن مرسلس من آباء وأجداد مهاجرين من الشـرق الأوسـط، ولا يسـتبعد أن أصـولهم يهودية، مع أنه لم يذكر ذلك، لكنه يذكر بعض أسماء أجداده وهي قريبة من الأسماء اليهودية مثل هارتمان، وديفيد، وعازر وغيرها .

(٢) ما دونت أعلاه مختصـراً جداً، وقد أتوسـع في مذكرات وسـيرة ذاتية أطول في قادم الأيام، وكان لابد من تدوين هذه النماذج من السيرة الخاصة حتى أدون فيما بعد لمحات مما عاصرته في البلاد وعن حياة الناس في مدن أمريكا والولايات التي زرتها .

فلم يزرني أحد، وكنت أعيش مرحلة من الخوف والرعب ، وأفكر جاداً في ترك دراستي ورجوعي إلى بلدي .

خرجت من المستشفى وذهبت إلى مدينة أوستن التي تبعد عن مدينة هيوستن حوالي الساعتين وربما أكثر بالباص أو السيارة ، وواصلت دراستي في المعهد ثم دخلت الجامعة ، ودرست فيها فصلين دراسيين ، ونجحت في أغلب المواد التي درستها ، ما عدا مادتين . إحداهما بعنوان : (الثورة الإنجليزية) عند الدكتور لفاك (Lavack) ، والثانية (تاريخ أوربا في العصور الوسطى) ، عند دكتوره نسيت اسمها ، وكانت أعمال وواجبات هاتين المادتين كثيرة ، وجميعها باللغة الإنجليزية ، ولم أستطع تحقيق درجات عالية فيهما ، لهذا قررت الخروج من الجامعة قبل الامتحان ، حتى لا تسجل لي درجات هاتين المادتين ، وينزل معدلي الذي يتراوح بين الممتاز والجيد جداً [١].

بعد مرور حوالي السنة والنصف تزوجت بزوجتي الأولى (أم المثنى) ، وهي بنت خالي عبدالله بن محمد بن سعيد العمري شقيق والدتي ، وكانت عند زواجي بها عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) في الثامنة عشرة من عمرها ، أخذتها معي إلى ولاية تكساس ، مدينة أوستن ، وعاصرت معي مشاكلي في الجامعة ، ورغبتي في الانسحاب منها ، وعندئذ عدت إلى قبولي القديم في جامعة انديانا ببلومنجتون ، واتصلت برئيسة القسم هناك الأستاذ الدكتورة أندرسون ، وقصصت لها مشاكلي، فراجعت ملفي وقبولي السابق ، وقالت سوف أقبلك ، ونحن الآن على أبواب إجازة ، فأحضر جميع أمورك وأغراضك ، وقابل سكرتيرة القسم الأستاذة باربرا ، وقل لها " الدكتورة أندرسون قبلتني بالتليفون " عندئذ شددت الرحال مع زوجتي (جميلة عبدالله محمد العمري) ووصلت الجامعة وذهبت إلى سكرتيرة القسم ، وأخبرتها بما قالت لي رئيسة القسم ، فقالت حياك الله، وأنهت جميع إجراءات قبولي وسكني . وبعد عدة اتصالات من سكرتيرة القسم مع إدارة القبول والتسجيل ، وإدارة الإسكان . بدأت دراستي في قسم الدراسات الشرقية بالجامعة ، وبقيت حوالي عامين ونصف حتى أنهيت درجة الماجستير ، ثم قررت الرجوع، وعدم مواصلة الدكتوراه في أمريكا، ورجعت إلى كليتي (كلية التربية) في أبها وقضيت فيها حوالي عامين ، من عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) إلى عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ثم ذهبت مرة أخرى لدراسة الدكتوراه في بريطانيا [٢].

---

(١) مكثت في أوستن تكساس ، ودرست في المعهد والجامعة حوالي عامين ، لكن مشيئة رب العالمين جعلتني أقرر الخروج من الجامعة ، والعودة إلى السعودية ، أو الذهاب إلى جامعة أخرى . واستقر قراري على الانتقال إلى شمال الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة في جامعة إنديانا في ولاية إنديانا .

(٢) اختصرت أخباراً وأحداثاً ومعلومات كثيرة منذ خروجي من ولاية تكساس إلى ولاية إنديانا ، ثم حصولي على درجة الماجستير ، ورجوعي إلى المملكة العربية السعودية . وقد أسجل سيرتي الخاصة بالتفصيل في عمل علمي آخر ، ونسأل الله التوفيق والسداد .

(*) في الصفحـات الآتية أدون شيئاً مـن التاريخ الحضاري الذي عاصرته ، وعرفـت وشاهـدت جزئيـات كثـيرة منه منذ خروجـي من مطـار الظهران عام (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) حتـى رجوعي إلى مدينـة أبها عـام (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، وهو على النحو الآتي :

١- الدولة السعودية لم تدخر جهداً في بناء الانسان السعودي ، فقد رأيت ذلك واضحاً للعيــان من فتح الكليات الجامعية في عســير عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ثم إرســال الطـلاب المميزين إلى الكثير من الجامعات الكبيرة والعريقة في العالم حتى يترقوا ويتعلمـوا في مجــالات علميــة مختلفة[١] . وهــذا ما عاصــرته وشــاهدته في ولايات وجامعــات عديدة في الولايات المتحــدة الأمريكية[٢] . فقد كان هناك في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أكثر من عشرة آلاف طالب مبتعث في مجالات علمية مدنيــة وعســكرية ، وفي جميع المراحل العلميــة من درجــات البكالوريوس والدبلوم العالي إلى الماجستير والدكتوراه[٣] .

٢- رأيت تجمعات الطلاب الســعوديين في عدد من ولايــات أمريكا ، وكان الكثير منهم يعيشــون ويدرسون مع زوجاتهم وأولادهم . بل جميع مرافقيهم يواصلون دراساتهم من مراحل الروضة إلى مرحلة الجامعة ، وبعض الزوجات كن يدرسن أيضاً دراسات عليــا . والدولة تتولى الصــرف عليهم ، فتعطيهم الرواتب الشــهرية ، وتدعمهم في دراساتهم ، وسفرياتهم ، ورحلاتهم ، ورعايتهم الصحية ، ومن يبدع ويتميز يعطى جوائــز تقديرية على الإبــداع والتميز[٤] . كما أن الكثير من الطلاب كانوا عناصــر

---

(١) إن الباحث في تاريخ الابتعاث السعودي منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن الحكومة بذلك ومازالت تبــذل قصــارى جهودها لتطور الفرد الســعودي علميــا ومعرفيا وثقافيــاً ليس في مؤسســات التعليم العالي الداخليــة ، وإنما أرســلت الكثير مــن طالباتها وطلابها إلى جامعات ومؤسســات عالية مميزة في مشــارق الأرض ومغاربها .

(٢) أثناء بقائي في أمريكا أكثر من أربع سنوات زرت خلالها أكثر من (٣٦) ولاية في أنحاء عديدة من الولايات المتحدة الأمريكية . كما زرت كندا وبعض دول أمريكا اللاتينية . وكان الإنســان الســعودي محترماً ومقدراً أينما حل أو ذهب . كما رأيت الكثير من الطلاب السعوديين الذين درسوا في مجالات علمية عديدة في عدد من الجامعات الأمريكية والكندية ، وعند عودتهم صاروا أعمدة البلاد في التخطيط والتطوير والتنمية التي تعيشها المملكة العربية السعودية منذ أربعين عاماً .

(٣) هذا الذي ســمعته في إدارات الملحقية الثقافية في هيوســتن وقرأت عنه وشاهدت الكثير منهم أثناء دراستي في أمريكا عام (١٤٠١ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨١ـ ١٩٨٥م) .

(٤) هذا الذي عرفته ، وحصلت عليه ، وحصل عليه الكثير من الطلاب السعوديين الذين قابلتهم وعاصرتهم في ولايات تكســاس ، ولويزيانا ، وفلوريدا ، وأوكلاهوما ، وبنســلفانيا ، وجورجيا ، وأوهايو ، وإنديانا ، والينوي، وميشــجن ، وألابامــا ، وميرلانــد وغيرها . لقــد زرت هذه الولايــات ، والتقيت ببعض التجمعات الطلابية السعودية فيها ، وشاهدت الكثير من نشاطاتهم الثقافية والعلمية والاجتماعية وغيرها . آمل أن أدون حياة المسلمين كما رأيتها في أمريكا في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

فاعلة في تجمعاتهم السعودية الخاصة [١]، ولهم مشاركات علمية وثقافية ورياضية في جامعاتهم. ومنهم أعضاء فاعلون في خدمة الإسلام والمسلمين، فكانوا يتولون توجيه المسلمين في مدنهم ومقراتهم، فيصلون بهم الجمع والجماعات، ويعقدون أنكحتهم، ويشرفون على بعض الرحلات الاجتماعية، وينظمون حياة أهلهم وأقاربهم وبعض المسلمين القريبين منهم في مواسم رمضان، وعيدي الفطر والأضحى [٢]. ولا يتأخرون في تقديم العون والمساعدة لمن يحتاجها [٣].

٣- لم أدون حياة الناس العامة كما رأيتها في ولايات عديدة في أمريكا، أو حتى الدول الأخرى المجاورة التي زرت بعضها. فذلك موضوع واسع يدرس في عشرات الكتب ومئات البحوث. والغالب أنهم شعوب متحررة فلا يتورعون عن قضاء أوقاتهم في لعب ومرح ومجون، وهذا جزء من ثقافاتهم الخاصة والعامة. لكنهم يؤمنون ويقدسون الكثير من العادات والتقاليد مثل الانضباط في أعمالهم وكسب أرزاقهم، ومن يتهاون لا يسلم من العقاب، ويحرصون على دقة المواعيد، كما أنهم مؤدبون ولطيفون في تعاملاتهم مع بعضهم البعض. وإذا درسنا تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، فالمدن والحواضر الكبيرة متقدمة كثيراً في هذه الجوانب، لكن هناك قرى وأرياف مازالت متأخرة في التنمية وتطوير الفرد والأسرة [٤].

---

(١) عشت في بعض مدن تكساس ودرست فيها، كما أقمت في ولاية إنديانا فترة من الزمن. وتجمعات السعوديين تتفاوت من مكان إلى آخر. ففي أوستن كانت الأسر والأفراد قليلة جداً، أما هيوستن فعددهم كثير بحكم مقر الملحقية التعليمية السعودية هناك. ومدينة بلومنجتون تكاد تكون أكبر مدينة فيها جاليات سعودية جميعهم من الطلاب، وكان عدد الأسر أكثر من (٦٠) عائلة مع أطفالهم ومعظمهم متقاربون في الإقامة والسكن.

(٢) عشنا أيام جميلة لا تنسى، وإخواننا وزملاؤنا السعوديون في مدينة بلومنجتون كانوا شغلة ساطعة لخدمة أخواتهم وإخوانهم السعوديين. ومنهم من كان خيراً وبركة على المسلمين المتعدلين في تلك المدينة، فهم يخدمونهم من خلال المركز الإسلامي هناك، ويقدمون لهم ما يستطيعون من النصيحة والمعونات المعنوية والمادية. أرجو أن يمد الله في العمر فاكتب عن من عرفناهم وعاصرناهم من السعوديين وغيرهم من المسلمين الصالحين في مدينة أوستن وبلومنجتون (١٤٠١ـ١٤٠٥هـ/١٩٨١ـ١٩٨٢م). وأعرف الكثير من الأعلام الذين قدموا الكثير الكثير لخدمة الإسلام والمسلمين في تلك المدينتين وغيرهما.

(٣) عندما كنت أعيش في أمريكا (١٤٠١ـ١٤٠٥هـ/١٩٨١ـ١٩٨٥م) كان الفرد السعودي والسعودية في قمة الراحة وتسهيل الأمور الرسمية وغير الرسمية. بل الأمريكان أنفسهم (رجالاً ونساءً) يقدرون السعودي والسعودية أينما ذهبوا، ولا يسببون لهم أي مشكلة إطلاقاً. وبقوا على هذا الوضع حتى أحداث (١١) سبتمبر عام (٢٠٠١م)، عندئذ تحول الوضع، وأصبح السعوديون يقابلون عقبات ومشاكل متنوعة، وحصل لبعضهم بعض الاعتداءات، وذلك بسبب الإعلام والكراهية التي بثها بعض الحاقدين والمعادين للعرب عامة وللسعوديين خاصة. هذا الموضوع مجال مهم للدراسة والبحث والتوثيق فتقدم دراسة مقارنة لحياة السعوديين العامة والخاصة في أمريكا من عام (١٣٨٠ـ١٤٤٣هـ/١٩٦٠ـ٢٠٢٢م)، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا العنوان دراسة علمية موثقة.

(٤) أدون هذا الرصد عن بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، لأنني رأيت وشاهدت الكثير من التطورات في المدن والتجمعات السكانية الكبيرة كما زرت قرى وأريافاً تعاني من نواقص عديدة في حياة الناس الضرورية.

لا جدل ولا خلاف في جمال طبيعة البلاد الأمريكية ، واحتوائها على الكثير من المعالم التاريخيــة والأثرية والتراثية. ووجود المدنٍ والأمكنة الترفيهيــة في كل مكان. والأمريكان أيام دراســتي هناك وجدتهم أقل تعصــباً وعنصــرية من غيرهم في العــالم الغربي ، ولا ننكر أن هناك حاقدين ومتعصــبين للأجناس الأخرى لكنهم قليلون آنذاك ، وربما مازال الوضع نفسه حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، لكن السياسات المعادية والحاقدين للإسلام يحرصون على رفع سقف العداوة ضد العرب والمسلمين ونشر الكراهية تجاههم [١].

رأيــت الكثير من الأجناس المســلمة (عرباً وغير عرب) يعيشــون في بلاد أمريكا ، ومنهم من تزوج أمريكيات وأنجبوا منهن ، وآخرون استقروا هناك وانخرطوا في أعمال ووظائف رســمية وغير رسمية . بل شاهدت مجموعات كثيرة يعملون في المهن التجارية، والصــناعية ، والتعليمية وبخاصــة في الجامعات ومراكز الأبحاث . كما سمعت وعرفت بعض العرب ومنهم سعوديون فضلوا الإقامة هناك وعدم الرجوع إلى بلدانهم الرئيسية. ولم يكن كل المسلمين هناك على قلب رجل واحد ، وإنما تراهم أحزابا وجماعات يؤمنون بالكثــير من الآراء والمعتقدات التي يدعون أنها إســلامية صــرفة ، ولا تخلو من العيوب والمغالطــات . والجميــل أن الطلاب الســعوديين الذين يدرســون هنــاك تربطهم أندية ثقافيــة وعلمية واجتماعية ترعاها الدولة الســعودية وتمولها وتوجهها التوجيه الســليم المتوافق على منهج الله واتباع كتابه وسنة رسوله (ﷺ) [٢].

لم أفصل الحديث عن حياة الطلاب أو جميع السعوديين هناك وبخاصة في حياتهم اليوميــة أو معيشــتهم من طعام وشــراب ، أو لباس وزينة ، أو قضــاء أوقــات أفراحهم وفنونهم وأعيادهم ومناسباتهم الاجتماعية ، أو عاداتهم وتقاليدهم الأخرى كالزواج ، وزيارة المريض ودفن الأموات ، ولا رواتبهم ، ومصاريفهم ، وطرق علاجهم وخدماتهم الخاصة والعامة ، وما يعيشونه من سلبيات وإيجابيات في المجتمع الأمريكي الكبير [٣].

---

(١) الشــعب الأمريكي العادي (أفراداً وجماعات) لا مشــكلة عندهم ضد الغير ، والواحد منهم يتعايش مع أي جنس وعنصــر بشري . لكن هناك ساســة وإعلاميون وتجار وصهاينة وماسونيون يجتهدون في توسيع رقعة الخلاف بين الشعب الأمريكي وغيره من الشعوب .

(٢) زرت الكثير من أندية الطلاب في ولايات عديدة من أمريكا، وكانت تدار من خلال الملحقية التعليمية السعودية هناك ، ويحدد في كل ناد من يتولى أموره حسب المنهج والخطط المرسومة . وكان هناك مجلة اسمها (مجلة المبتعث) تشــرف عليها أيضــا الملحقية وتعين من يتولى تحريرها وتحرص على نشر أخبار الطلاب في عموم البــلاد وكل ما يدور عن أحوالهم وأوضــاعهم . حبــذا أن نرى باحثا جاداً يدرس تاريــخ الأندية الطلابية في أمريكا منذ تأسيسها في القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(٣) كل هذه المحاور جديرة بالتقصــي والدراســة والبحث ، ومن يفعل ذلك فسوف يجد مادة علمية كبيرة تدون في عشرات البحوث، آمل أن نرى مؤرخين وباحثين يساهمون ببعض الشيء في هذا المجال .

عـدت في إجـازة إلى مدينـة أبهـا عـام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، وكانـت الرغبة أن أتوقف عن مواصلة الدكتوراه والبحث عن عمل إداري في الجامعة ، أو مواصلة دراستي داخلياً. تركت زوجتي وابني المثنى عند والد الزوجة ، خالي عبدالله بن محمد العمري، في مدينـة الدمام . وقضـيت عدة أسـابيع بين أبهـا والنماص ، ورأيـت الحياة التنموية والحضـارية تتطور في منطقة عسـير ، ولم يكن عندي منزل خاص ، وأوضـاعي المادية ضعيفة، لهذا قررت الرجوع مرة ثانية إلى أمريكا ، لإنهاء بعثتي والرجوع بشكل نهائي. مكثت في أمريكا حوالي الشـهر والنصـف، وتنقلت بين ولايتـي إنديانا ، مقر الجامعة ، وهيوسـتن مقر الملحقية التعليمية السـعودية ، وأخذت جميع حقوقي وشهاداتي وأوراقي الضـرورية مـن الملحقية والجامعة ، وعـدت إلى الرياض ، ثم ذهبـت إلى وكيل جامعة الملك سعود وأخبرته أنني الغيت بعثتي ، وأرغب مواصلة دراستي داخلياً ، فقال: لا يمكن ذلـك في جامعة الملك سـعود ، لكن إذا أردت أن تنقـل إلى أي جامعة محلية فلك ذلك . وأثنـاء ترددي على إدارة الجامعة في الرياضـ ، قابلت عميد كلية التربية في أبها آنذاك الدكتور عبداللطيف حسين فرج (رحمه الله) [1]. وشكوت إليه وضعي وأبديت له رغبتي، وأخبرتـه عـن مقابلتي لوكيل الجامعـة ، فطلب مني التريث حتى يقابـل الوكيل في اليوم الثـاني ويناقشـه عن الأمر، وفي اليـوم الأول أكرمني الدكتـور عبداللطيف فرج وتناولنا وجبـة الغـداء في مطعم الجامعـة . ثم قابلني اليـوم الثاني وأخـبرني أن وكيل الجامعة متمسـك بقوله الذي قال لي من قبل . وقال يا غيثان نحن في نهاية العام، اذهب فباشـر عملك في الكلية ، ولا تعد إلى الكلية إلا مع بداية العام الدراسي القادم . عندئذ عدت إلى أبهـا وفعلت ما وجهني به عميد الكلية . ثم ذهبـت إلى النماص وكان عندي قطعة أرض جاهزة ، وموثقة بصـك شـرعي، فقدمت عليها قرضاً في صندوق التنمية ، وبعت سيارة كرسـيدا شـريتها من الدمام عندما رجعت من أمريكا في إجازتي الأخيرة ، واتفقت مع أخ زميل يعمل في مقاولات البناء والتشـييد على البدء في بناء منزل لي في النماص ، وتم الاتفاق وبداية العمل قبل مباشرتي الدوام في الكلية في أول العام الدراسي الجديد .

بـدأت العمـل في الكلية ، وأخـذت جدولاً كاملاً حوالي (١٥) سـاعة في الأسـبوع ، وبقيـت علـى درجة معيـد ، وجميـع المسـؤولين والعاملـين في الكلية أسـاتذة وموظفين متعاقديـن ، وعميـد الكلية الدكتـور عبداللطيف فرج ، ووكيله عبدالسـلام الجنبي [2]. وهناك عمادة للقبول والتسجيل ويدير شؤونها الدكتور مزيد إبراهيم المزيد ومعه بعض

---

(١) الدكتـور عبداللطيـف فرج من أهل مكة ، وتخصصـه في المجال التربوي ، كان على قـدر كبير من الدماثة وحسن الخلق ، بل كان سهلاً ومتواضعاً في حديثه وتعاملاته مع الناس .

(٢) الدكتور الجنبي من أهل الحجاز ، عمل في إدارة تعليم أبها سنوات عديدة ، ثم التحق بالجامعة وتخصصه أيضاً تربية ، كان ذو أخلاق طيبة ، وتعاملاته مع الآخرين حسنة .

الوكلاء كالدكتورين طلال بكري[١]، وعلي الجنوبي[٢].

عملت في الكلية معيداً حوالي العام والنصف، وقد أرهقت كثيراً، فنصاب التدريس عالٍ، وعندي عمارة تبنى في النماص، وأضطر نهاية كل أسبوع إلى السفر إلى هناك، وزوجتي وابني في أبها، وقد التحقت الزوجة بكلية التربية للبنات بأبها، تخصص انجليزي. كما أن مجتمع العمل كان مزعجاً وغير مستقر، لأن تعيين مناصب عمادات الكليات يجري بالتصويت، وكان هناك صراع شديد بين أعضاء هيئة التدريس السعوديين، وهم قلة في الكلية وفرع الجامعة، على من يتولى منصب عمادة كلية التربية[٣].

في حوالي عام ونصف (١٤٠٥ــ ١٤٠٧هـ/١٩٨٥ـ ١٩٨٧م) عشتها في سروات وتهامة منطقة عسير، وجدت التنمية الحضارية تسير بشكل جيد، فزادت وتوسعت الطرق الصغيرة والكبيرة، وتنوعت وتكاثرت الأسواق اليومية، وانتهت أو مازالت بعض المشاريع التنموية العملاقة في طريقها إلى الانتهاء[٤]. كما زادت ونشطت الحياة التجارية، والصناعية، والثقافية والعلمية والفكرية[٥].

(١) الدكتور طلال بكري من أهل جازان، وتخصصه وسائل تعليمية، عمل في فرع جامعة الملك سعود وكيلاً ثم عميداً للقبول والتسجيل لسنوات عديدة، ثم عمل أيضاً في مجلس الشورى أكثر من دورة وهو الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) في مدينة أبها، وصاحب أخلاق حميدة.

(٢) الدكتور علي الجنوبي من محافظة القطيف وتخصصه علم نفس، مكث سنوات عديدة في أبها، ثم انتقل إلى الوزارة في الرياض، وتوفي منذ سنوات عديدة (رحمه الله).

(٣) إن الحديث عن تلك الفترة مؤلم جداً، لأنني كنت مستخدماً بامتياز من قبل رئيس وأعضاء قسم التاريخ وجميعهم متعاقدون، ومن إدارة وعمادة الكلية أيضاً، فقد كانوا يكلفونني بأعمال كثيرة فوق طاقتي، ولم أستطع الاعتراض، أو الحصول على مخرج من تلك الأزمة. كما أن عميد الكلية عبداللطيف فرج قد انتهت فترة عمادته، وجميع السعوديين لا يرغبون في التجديد له، لكن القرار عند رؤساء الأقسام، وجميعهم أيضاً متعاقدون، ولا يريدون أحداً غير الدكتور عبداللطيف فرج، وجرى التصويت بإشراف وكيل الجامعة للفروع، الأستاذ الدكتور محمد الجار الله، وتم اختيار الدكتور عبداللطيف لفترة ثانية، فكان الأمر مثل الصاعقة على أعضاء هيئة التدريس السعوديين، لكنهم رضخوا في نهاية الأمر لنتيجة التصويت. ومن حسنات وزارة التعليم العالي، فيما بعد، أن جعلت تنصيب أي عميد كلية بالتعيين المباشر من إدارة الجامعة بعد أخذ بعض الإجراءات والاحتياطات الإدارية والأمنية فيمن يعين لهذه المناصب.

(٤) تجولت في ربوع مدن منطقة عسير الرئيسية مثل: أبها، وخميس مشيط، وبيشة، والنماص، ومحايل عسير وغيرها فوجدتها مكتظة بالسكان وفيها معظم الأنشطة الحضارية المختلفة. كما أن الطرق التي تربط بين تلك الأجزاء أصبحت أحسن مما كانت عليه في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وأصبح مطار أبها حلقة وصل نشطة بين منطقة عسير وغيرها من مدن المملكة العربية السعودية. وكانت هناك شركات ومؤسسات حكومية وأهلية جميعها تعمل في كل ما يخدم البلاد والعباد.

(٥) إن المتجول في ربوع عسير آنذاك (١٤٠٥ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٥ـ ١٩٨٧م) يشاهد الأسواق الصغيرة والكبيرة التي تعمل طوال النهار وفي الساعات الأولى من الليل، كما يلاحظ الأسواق الأسبوعية مازالت نشطة وتؤدي خدمات كبيرة لعامة الناس. وهناك الكثير من المحلات الصناعية الحرفية المتنوعة في مهنها وخدماتها. أما التعليم العام فقد تزايدت المدارس بشكل كبير، وأصبح في منطقة عسير إدارات تعليمية عديدة تقوم على خدمة العلم والمتعلمين من الطالبات والطلاب. وكذلك كليات فرعي جامعتي الأمام والملك سعود توسعت في تخصصاتها، وزيادة الطلاب المقبولين بها وارتفاع أعداد أعضاء هيئة التدريس من المتعاقدين

رابعاً: ذكريات ومشاهدات في بريطانيا (١٤٠٧-١٤٠٩هـ/١٩٨٧-١٩٨٩م):

حاولت أثناء إقامتي في أبها الانتقال إلى فرع جامعة الإمام محمد بن سعود في أبها حتى أتمكن من مواصلة درجة الدكتوراه داخليا، لكن ذلك لم يحصل، وكان في ذلك فضل وخير كبيران[١]. كما أن الوضع الاجتماعي وبيئة العمل كانت غير مريحة، لأسباب كثيرة يصعب ذكرها في هذه السطور[٢]، فلم يكن أمامي إلا السفر إلى بريطانيا وإكمال دراستي لدرجة الدكتوراه. بدأت أسعى في الحصول على قبول، لكن معظم الجامعات الإنجليزية تطالبني بدراسة الماجستير مرة ثانية، وبعد جهد كبير حصلت على موافقة لدرجة الدكتوراه في قسم الدراسات الشرقية في جامعة مانشستر (University of Manchester)[٣].

أرسل لي مشرفي الأستاذ الدكتور بوزورث (Bosworth) القبول على درجة الدكتوراه، وبداية الدراسة بعد ستة شهور من تاريخ وصول القبول، فكانت فرصة كبيرة أن اذهب إلى المكتبات الكبرى في الرياض وجدة ومكة والمدينة المنورة من أجل جمع مادة رسالتي الموافق عليها، وعنوانها: **تاريخ الحياة الاجتماعية والحرفية والتجارية في الحجاز خلال العصر العباسي الأول (١٣٢- ٢٣٢هـ/ ٧٤٩- ٨٤٧م)**[٤]، (The Social, Industrial, and Commercial, History of The Hegaz Under The Early Abbasids (132-232/749 847).

استطعت أن أجمع الكثير من الدراسات والبحوث والمصادر التي تصب في خدمة بحثي، ثم فهرست عناوين ما تم جمعه، وصورت ما استطعت تصويره، ثم ذهبت بمفردي إلى بريطانيا وقابلت المشرف الأستاذ الدكتور بوزورث، وأطلعته على ما جمعت من مادة لها علاقة بمشروعي العلمي، فسر بذلك، وعرف أنني طالب جاد

والسعوديين. والوضع نفسه في مؤسسات التعليم العالية الأخرى في المنطقة مثل كلية التربية للبنات بقسميها العلمي والأدبي، وكلية المعلمين ومعاهد ومؤسسات تعليمة عامة وعالية أخرى. وكان للنادي الأدبي دور كبير في تطوير الحياة الثقافية والأدبية والعلمية والتعليمية ليس في مدينة أبها، وإنما في مدن أخرى عديدة في منطقة عسير.

(١) نعم لأن دراسة الماجستير والدكتوراه داخلياً وبخاصة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تأخذ سنوات عديدة، وأعرف بعض زملائي وطلابي الذين مكثوا (١٥) عاماً للحصول على الدرجتين. وهذا وقت طويل ومبالغ فيه.

(٢) ذكرت بعضها في سطور سابقة، ولو فصلت الحديث في هذا الجانب فقد يستغرق عشرات الصفحات.

(٣) كان لأستاذي والمشرف على رسالة الدكتوراه الأستاذ الدكتور س. بوزورث (C.E.Bosworth) فضل كبير عليَّ، فهو عالم جليل له بحوث ودراسات علمية كثيرة وبخاصة عن تاريخ وحضارة بلاد العرب والفرس. وكان رئيس تحرير الموسوعة الإسلامية (الطبعة الثانية). وقد بذل جهوداً كبيرة وطيبة في مساعدتي وتوجيهي أثناء جمع وكتابة رسالتي للدكتوراه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

(٤) عدد صفحات الرسالة (٣٢٦) صفحة، مقاس (A4)، وصدرت من قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر في نهاية عام (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

مجتهد، وأثنى على جهودي ، ثم قال اذهب واقرأ كل ما جمعت ، وابحث في مكتبة جامعة مانشستر وما تستطيع من مكتبات أخرى في بريطانيا ، فأخذت بنصائحه ، ولحقت بي زوجتي وابني المثنى ، وبقيت عامين كاملين في عمل مستمر ، مع ترددي الدائم على المشرف والقسم حتى تمكنت من تقديم بحثي ومناقشته وحصولي على درجة الدكتوراه في نهاية عام (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) [١].

لم أكن بمعزل عن حياة الناس في بريطانيا ، وإنما كنت على صلة مباشرة بالحياة داخل الجامعة ، وفي الأماكن العامة . نعم زوجتي أم المثنى كفتني متابعة حياتنا في الأكل والشرب والخدمات الخاصة وما نحتاجه من خارج البيت ، فكانت هي المسؤولة عن توفير جميع التزاماتنا الخاصة والعامةٍ ، بل هي من يتولى أمور نفسها وابنها المثنى، وكذلك ابنتها (دانية) وكنت فقط مشغولاً بعملي العلمي والبحثي [٢].

كان السعوديون كثيرين في مدينة مانشستر ، وجميعهم طالبات وطلاب ، أما مدينة لندن وما جاورها فهناك الكثير جداً من العرب ومنهم السعوديين . وفي حاضرة مانشستر مسلمين عرب وغير عرب كثيرون ، ومعظمهم من بلاد الشام ، والمغرب العربي ، ومن الهند وباكستان . وكانوا أصحاب عقارات وثروات كثيرة ، بل ترى بعضهم يملكون عشرات المنازل والمحلات التجارية ، والأراضي الزراعية والسكنية . وإن تجولت في بعض شوارع مدن مانشستر ، وبرمنجهام ولندن وغيرها فإنك ترى الهنود والباكستانيين يمثلون نسبة عالية من سكان تلك البلاد ، ومعظمهم يعيشون حياة مالية واقتصادية جيدة[٣].

كان وضع الطلاب السعوديين جيداً ، فلم يكن مختلفاً عما عاصرته وعرفته في أمريكا ، فالجميع مخدومون مالياً واقتصادياً وصحياً . والدولة تبذل ما في وسعها لرعاية جميع طالباتها وطلابها في بريطانيا وغيرها . كما أن الحياة الاقتصادية في بريطانيا كانت يسيرة نوعاً ما . فالسكن المكون من غرفتين أو ثلاث لا يتجاوز أجرته (٢٥٠ـ ٣٠٠) جنيه استرليني ، وأسعار اللباس ، والطعام والشراب، والمواصلات ،

---

(١) لم أفصل أخبار رحلتي في طلب العلم وجمع مادة رسالتي للدكتوراه من بريطانيا والسعودية ، لكنني اجتهدت بشكل كبير ، فلم أضيع يوم أو ليل من مواصلة دراستي وبحثي والاطلاع على كل جديد حتى انهيت البحث في وقت قصير . وكان لزوجتي (جميلة العمري) (أم المثنى) الفضل الكبير في تحقيق ذلك الإنجاز السريع والكبير، فلها جزيل الشكر والعرفان ٠

(٢) هذه الحقيقة وللأمانة وللتاريخ أدون هذه الشهادة ، فهي صاحب فضل ونبل في توفير الجو المناسب لإنجازي دراستي في وقت قصير جداً ، فغفر الله لي ولها ولجميع المسلمين .

(٣) وجدت العرب والمسلمين يعملون في قطاعات اجتماعية واقتصادية عديدة في بلدان بريطانيا وأمريكا وغيرها من دول الغرب . لكن أعدادهم في إنجلترا كثيرة وبخاصة الهنود والباكستانيون فقد جاء الكثير منهم خلال القرون الماضية المتأخرة ، فاستقروا في تلك البلاد ، وحصلوا على الجنسية الإنجليزية ، ومن ثم عاش الأبناء والأحفاد عيشة اقتصادية وحضارية جيدة ٠

والأدوات الدراسية والتعليمية كانت جميعها ميسرة ، وأسعارها معقولة [١]. والطالبة أو الطالب السعودي يصرف لها مكافآت ورواتب شهرية فلم يكن يشعر الواحد بصعوبة الحياة المعيشية[٢].

تربط الطلاب السعوديين رابطة الزمالة والإخوة، فقد عرفنا الكثير منهم من جميع بلدان المملكة العربية السعودية، ولا نشعر بفوارق أو اختلافات في حياتنا العامة والخاصة، وإنما كانوا جميعاً مثل الأسرة الواحدة ، فهم يجتمعون مع عوائلهم نهاية كل أسبوع أو أسبوعين في مركز أو نادي الطلاب [٣]. فيقضون فيه أوقاتاً من الفرحة والتآلف والتراحم والمودة . ولهم أنشطة ترفيهية واجتماعية وثقافية يمارسونها في نواديهم ، وفي مناسباتهم الاجتماعية المختلفة . ويجدون التوجيه والدعم المعنوي والمادي المستمر من السفارة والمكاتب الثقافية والعسكرية السعودية[٤].

عملت مدة إقامتي في بريطانيا عضواً في نادي الطلاب السعودي في مانشستر ، كما كنت عضو هيئة تحرير في مجلة الطالب التي يصدرها نادي الطلاب في بريطانيا، ويشرف عليها المكتب الثقافي هناك. وكنت مع بعض الإخوة الزملاء مثل رئيس أندية الطلاب وبعض أعضاء إدارته نتجول في مدن بريطانيا الكبيرة ، ونلتقي بالطالبات والطلاب السعوديين ونوثق شيئاً من تاريخهم وأنشطتهم الاجتماعية والثقافية وغيرها. وأحياناً نرصد بعض الموضوعات التي تتعلق بالمجتمعات الإنجليزية وعلاقتها بالمسلمين في بريطانيا أو أوربا بشكل عام أو العرب والسعوديين بشكل خاص[٥].

---

(١) حديثي عن بريطانيا خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، والحياة الاقتصادية والمعيشية في كل مكان كانت أفضل مما نراه اليوم، فقد ارتفعت الأسعار والأجور في كل شيء ، فيذكر أن الشقة التي كنا نستأجرها قبل (٣٥) سنة بـ (٢٠٠ــ٣٠٠) جنيه ، تقدر أجرتها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) بـ (١٥٠٠) إلى (٢٠٠٠و ٢٥٠٠) جنيه استرليني .

(٢) أقول هذا الكلام لأنني عشت التجربة في كل من أمريكا وبريطانيا حوالي (٦ـ٧) سنوات في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وزاملت وعرفت الكثير من العرب والمسلمين طلاباً وعمالاً وغيرهم ، فكانوا يعيشون عيشة قاسية جداً لضعف مواردهم الاقتصادية ، والكثير منهم كانوا يدرسون ويعملون في الوقت نفسه من أجل كسب أقواتهم . ولم نكن نحن الطلاب السعوديين وبعض الخليجيين نشعر بتلك الضائقة الشديدة التي كان يعيشها إخواننا وأخواتنا من المسلمين (عرباً وغير عرب) .

(٣) رأيت في كثير من مدن أمريكا وبريطانيا الكبيرة ، ومن المؤكد في الدول الغربية والشرقية التي يعيش فيها طالبات وطلاب سعوديون ، أندية أدبية وثقافية مدعومة من الدولة ، من أجل الحفاظ على هوية الإنسان السعودي الفكرية والثقافية والحضارية .

(٤) لم أجد بحوثاً وكتباً علمية كثيرة موثقة وجيدة ترصد تاريخ السفارات والمكاتب الثقافية والعسكرية السعودية في العالم ، وما تقدمه من جهود كبيرة في خدمة الطالبات والطلاب السعوديين .ومن يدرس هذا المجال فإنه سوف يجد مادة كبيرة صحيحة تصب في خدمة هذا الموضوع .

(٥) عاصرنا الكثير من الأخبار والأحداث الخاصة بالعرب والسعوديين ، وبالمسلمين بشكل عام ووثقنا الكثير منها بالتدوين الدقيق والصورة الفوتوغرافية . وأقول إن مجلة الطالب في بريطانيا مصدر جيد لرصد صفحات من تاريخ الطلاب السعوديين في تلك البلاد. آمل أن تدرس هذه المجلة منذ بدايتها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، ومن يفعل ذلك سوف يطلعنا على علوم ومعارف قيمة .

كان للمراكز الإســلامية والمســاجد في بريطانيا دور كبير في خدمة المســلمين شــرعياً، وثقافيا ، ومعرفيا وحتى اجتماعيا ونفسيا واقتصاديا . وكان للطلاب السعوديين دورٌ رائدٌ في خدمة تلك المراكز والإشــراف عليها ، وجلب الدعم المادي لها من مؤسسات الدولة السعودية وبعض التجار والمقتدرين في المملكة العربية الســعودية[١] . كما أن هذه المراكز التي يعمل فيها بعض السعوديين تعمل وتجتهد في إبلاغ الدين الإسلامي إلى الآخرين باعتدال ووسطية[٢] .

(*) ذهبت إلى بريطانيا وقبلها أمريكا لدراسة التاريخ الإسلامي في جامعاتهم ، ومثلـي كثيرمن الذيـن درسوا تخصصات نظرية في التراث والموروث الإسلامي كاللغة العربية ، لغتها وآدابها وفنونها ، وبعض العلوم الإسلامية الشرعية ومجالات تراثية أخـرى عديدة . وقد يقول قائل كيف يمكن دراسة هذه العلوم في بلدان أجنبية مثل بريطانيـا وغيرهـا من دول الغـرب أو الشرق[٣]. ومن خلال رحلتـي العلمية لدرجتي الماجستيروالدكتوراه ، وما عرفته وشاهدته بخصوص هذا التساؤل ، أدون ما يلي:

١- إن دول الغرب اســتعمرت بلدان العرب والمسلمين عقوداً عديدة ، واجتهدوا في نهب ثــروات بلادهــم ، وموروثهم الحضــاري. ثم بذلوا ما في وســعهم لبنــاء جامعاتهم ومكتباتهم ومؤسســاتهم العلمية والثقافية وحفظوا ما جلبوه من بلدان المسلمين من تــراث معرفي (مخطوطات، ومؤلفات، ووثائــق، وأدوات أثرية وغيرها) ، وبالتالي صارت بلادهم مقصد الكثير من الباحثين والدارسين في مشارق الأرض ومغاربها ، وطلاب الدول العربية والإســلامية في مقدمة أولئك القاصدين[٤] . كما أنهم عملوا واجتهدوا في توفير ذلك التراث العربي والإسلامي لكل من يرغب البحث والدراسة مع إيجاد الآليات والطرق السهلة التي تساعد الباحث في إنجاز عمله العلمي [٥] .

---

(١) من يدرس دعم المملكة العربية السعودية لخدمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، فإنه سوف يجد مئات الكتب والبحوث التي توثق هذا الجانب . ومازال هناك جوانب وجزئيات وموضوعات تستحق البحث والدراسة . آمل من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية أن تخدم هذا الموضوع من خلال رسائل وبحوث أساتذتها وطلابها .

(٢) رأيت الكثير من العلماء والمشــايخ الســعوديين وغيرهم من بلاد الإســلام يأتون إلى دول أوربا وغيرها من أجل نشــر الدين والدعوة الإسلامية الصافية . وحضرت ندوات ومؤتمرات إسلامية كثيرة عقدت في بعض المدن الأمريكية والأوربية من أجل خدمة المسلمين هناك . ولا تخلو تلك البلدان من مسلمين يحملون تيارات وأفــكاراً هدامــة للإســلام ، وتجد من يدعمها ويشــجعها من المســلمين وغير المســلمين . **وتاريخ الندوات والمؤتمــرات الإسلاميــة في الغــرب موضــوع كبير ، وعنــه مادة علميــة ومصادر كثيرة ، وخــرج عنه بعض الكتب والرسائل العلمية ، لكن مازال يستحق أن يدرس دراسات أطول وأعمق وأفضل .**

(٣) نجد بعض طلاب الدراســات العليا في جامعاتنا الســعودية ذهبوا للدراسة إلى دول غربية عديدة ، وآخرون ســافروا إلى بلدان شرقية مثل الصين، والهند ، وروســيا وغيرها . ومثل هذا الموضوع يستحق الاهتمام من أقسامنا ومراكز بحوثنا العلمية .

(٤) زرت العديد من المكتبات الجامعية في الغرب وبخاصــة بعض الدول الأوربية فوجدتها تحوي آلاف المخطوطات والكتب النادرة العربية التي أخذت من بلاد المسلمين أثناء الاحتلال الغربي لبلادهم خلال القرون الماضية المتأخرة .

(٥) إذا قارنا سهولة ويسر الحصول على المعلومة العلمية في بلدان الغرب ودولنا العربية والإسلامية فليس هناك

٢- لم يتوقفوا عند خزن تراثنا وحفظه، وإنما ظهر منهم باحثون جادون درسوا وحققوا وترجموا الكثير من هذا التراث ثم طبعوه ونشروه. ومراكز أبحاثهم وجامعاتهم خصصت ومازالت تدفع الأموال الطائلة لخدمة هذا الجانب. نعم إنهم فعلوا ذلك لخدمة أنفسهم سياسياً واقتصادياً وحضارياً، ومعرفة هذا التراث ودراسته جعلهم أصحاب السيطرة والهيمنة على بلدان المسلمين وفي شتى المجالات. ولا نقول أنهم جميعاً خدموا العلم. بحيادية ونزاهة، لكن فيهم من اتصف بالعدل والإنصاف إلى حدما، وهم قلة وآخرون كثيرون درسوا وحققوا وترجموا الكثير من التراث الإسلامي ولبسوه الكثير من الشروحات والتعليقات والاستنتاجات والتفصيلات الحاقدة المغرضة المعادية [١].

٣- إن حرص الدول العربية والإسلامية، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية، كانت ومازالت ذات قرارات صائبة في ارسال بناتها وأبنائها إلى جامعات الغرب والشرق من أجل الدراسة والحصول على أعلى الشهادات. وقد عرفت على مدار الأربعين عاماً الماضية الكثير من الطلاب الذين نهلوا من مؤسسات الغرب التعليمية وحصلوا على درجتي الماجستير والدكتوراه في شتى العلوم مثل العلوم النظرية والإنسانية، ثم عادوا إلى جامعاتهم وبلدانهم فكانوا أعلاماً منيرة لأهلهم وأبناء بني جلدتهم [٢].

٤- مازال مستوى البحث العلمي أفضل بكثير في دول الغرب، من حيث الجودة والنوعية والدعم والتشجيع. وقد عملت وزرت بعض الجامعات ومراكز بحوث علمية في أمريكا وأوربا فرأيتها تحرص على تعليم مناهج البحث العميق الرصين، ولا تدخر جهداً في دعم وتشجيع المبدعين والمميزين من أهلهم وبني جلدتهم أو من الأجناس الأجنبية الوافدة [٣].

وجه مقارنة. لأن جميع السبل سهلة وميسرة عندهم، وفي البلاد الإسلامية والعربية الكثير من الإجراءات البيروقراطية والتعقيدات التي تأخذ من الباحث وقتاً طويلاً حتى يصل إلى هدفه العلمي المنشود.

(١) قرأت مئات الكتب والبحوث العلمية الغربية عن التراث العربي والإسلامي، وفيها الكثير من الأخطاء والمغالطات عن تاريخ وتراث الإسلام والمسلمين. ومن محاسنهم أنهم درسوا وحققوا الكثير من المخطوطات العربية، ولولم يفعلوا ذلك لضاعت ولم يصلنا شيء منها. كما أنني شاركت وحضرت الكثير من المحاضرات والندوات واللقاءات (السيمنارات) في أمريكا وبلدان أوربية عديدة، وكان بعض المتحدثين يلقي على الناس والطلاب معارف عربية وإسلامية مغلوطة، وقد ناقشت بعضهم فمنهم من تراجع في أقواله، وآخرون استكبروا وأصروا على نتائجهم وأقوالهم.

(٢) ربما يعترض البعض على هذا القول، ويقول إن بعض المبتعثين رجعوا وهم يحملون رؤى وأفكاراً هدامة لدينهم وبلادهم، وهذا كلام صحيح، لكن نسبة هؤلاء قليلة، ولا يقارنون مع أصحاب العقول النيرة والأعضاء الإيجابية الفاعلة لأنفسهم وبلادهم.

(٣) رأيت الكثير من الأجناس العربية والإسلامية من كان يعمل في مراكز بحوث كبيرة وعملاقة في كثير من دول الغرب. بل شاهدت بعضهم يتولون مراكز عالية وقيادية في العديد من الجامعات والأقسام والمراكز العلمية والبحثية. وفي جامعاتنا العربية ـ للأسف ـ نفتقد إلى مثل هذه الجهود والآليات التي تشجع التميز والإبداع بصرف النظر عن اللون والجنس والجنسية.

خامساً : ذكريـات ومشاهدات في عسـيروغيرها من بلـدان المملكة العربية السعودية (١٤١٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٩٠ـ ٢٠٢١م) :

بعد حصــولي على درجة الدكتوراه رجعت إلى كليتــي (كلية التربية بأبها) في نهايــة عــام (١٤٠٩هــ/١٩٨٩م) . وكان التعليم العام في عموم منطقة عســير مزدهراً فهنــاك إدارات تعليم عديدة للبنين في أبها ، وبيشــة ، والنماصـ، ومحايل، ثم ظهر في ســنوات تالية إدارتين جديدتين في سِراة عبيدة ورجال ألمع . وهنـاك إدارة تعليم رئيسية للبنــات في أبها ، وكان يتبعها ســابقاً العديد من مندوبيــات التعليم في بعض محافظات عســير وجازان ثم اســتقلت معظم إدارات تعليم البنات في بعض المحافظات العســيرية مثل بيشة ، والنماص وغيرها [١] .

راقبت وعاصرت مسيرة التعليم العام في منطقة عسير (١٤١٠ـ ١٤٣٣هـ/ ١٩٩٠ـ ٢٠٢٢م) فوجدته قفز قفزات كبيرة أفقياً ورأسـياً في تزايد أعداد الرياض والمدارس الحكومية وأعداد غــير قليلة من المدارس الخاصــة وبعضــها تدرس مناهــج أجنبية بلغات عديــدة خدمة لبعض الجاليات العربية والإسلامية وغير الإسلامية في منطقة عسير[٢] . كما زادت أعداد الطالبات والطلاب حتى أصبحوا في خانة مئات الألوف في عموم بلاد عسير (سراة وتهامة) [٣] .

كانت إدارات تعليم البنين مســتقلة عن إدارات تعليم البنات ، فالأولى تراجع وزارة المعارف التي تحول اسمها إلى وزارة التربية والتعليم ، واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) تعرف باســم (وزارة التعليــم) . وإدارات تعليم البنات تتبع الرئاســة العامــة لتعليم البنات . وفي عشــرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ضــمت جميع إدارات التعليم (بنين وبنات)

---

(١) هــذا الذي عرفته وعاصــرته خلال الســنوات الأولى من العقد الثاني في القرن (١٥هــ/٢٠م) ، فقد كنت عضــو هيئة تدريس بفرع جامعة الملك ســعود بأبها ، ورشحت عضواً في أول مجلس تعليم في منطقة عسير ، كان ذلــك المجلس عام (١٤١٥ـ ١٤١٧هـ) ، ويتكون من مديري تعليم منطقة عســير ، وأنا والدكتور علي بن عيســى الشــعبي (يرحمه الله) أعضــاء ممثلين للتعليم العالي في ذلك المجلــس . كان رئيس ذلك المجلس مدير تعليم عســير في أبها الدكتور حمد بن محمد الشــغرود وعضوية مهدي الراقدي ، مدير تعليم محايل ، وظافر بن حبيب ، مدير تعليم النماص ، ومساعد تعليم بيشة (نسيت اسمه) بدلاً من مدير التعليم آنذاك سيفا بن عامر بن خشيل ، وعبدالرحمن الغوينم أول مدير تعليم في سراة عبيدة ، والشيخ قاسم الشماخي مدير تعليم البنات في عسير ومقره مدينة أبها . هؤلاء الأعلام بذلوا جهوداً عظيمة في تنمية وتطوير التعليم العام في منطقة عسير خلال العقود الثلاثة من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ ٢١م) آمل أن تدرس سيرهم ويكتب عنهم وعن جهودهم وأعمالهم الكثيرة في ميدان التربية والتعليم وخدمة دينهم وأهلهم وبلادهم .

(٢) تجولــت في بعض مدن منطقة عســير مثل أبها ، وخميس مشــيط ، وبيشــة ، ومحايل خــلال ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فوجدت فيها العديد من المدارس التجارية الخاصة . وبعضها مدارس عالمية أو أجنبية تدرس أبناء الكثير من الجاليات الأجنبية المقيمة في بلاد عسير. وهناك مدارس عربية (مصرية وشامية وغيرها) تهتم بتدريس أبناء وبنات بعض الدول العربية كمصر والأردن وسوريا وغيرها .

(٣) من يطالع تقارير إدارات تعليم منطقة عســير ، ويتأمل في إحصــائيات أعداد المدارس والطالبات والطلاب فإنه يجد الأربعين عاماً الماضية مليئة بالإنجازات التنموية الكبيرة التي تدور في فلك التعليم العام في منطقة عسير .

حتى اسـم وزارة التربية والتعليم ، وصـار لكل إدارة مديراً واحداً يشـرف على التعليم في محافظته أو ناحيته ، وله مسـاعدون ومسـاعدات لشـطري البنين والبنات . ومعظم مديري التعليم الذين عرفتهم وعاصـرتهم في عشـرينيات هـذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، وأشرت إليهم في حاشية سابقة ، هم أول من تولى إدارات التعليم في منطقة عسير بعد ضم مدارس البنات والبنين تحت إدارة تعليم واحدة[١] .

أقـول إن تاريـخ التعليم العـام الحكومي والتجاري في منطقة عسـير مـر بالعديد من التحـولات والتطورات الكمية والكيفية ، وهناك الكثير من الوثائق والمدونات التي عاصـرت نشـأة إدارات التعليم أو تأسـيس المدارس وتزويدها بكل اللـوازم والاحتياجات ، أو وجهات النظر والآراء أثناء توحيد إدارات التعليم التي تشرف على مدارس البنات والبنين ، ناهيك عـن أنشـطة ومنجزات كل مدرسـة أو إدارة تعليم ، وأوضـاع وإمكانـات ومؤهلات الكوادر البشـرية التي تشـرف على التعليم في المنطقة (مدرسـين ، ومديري مدارس ، ومشـرفين، ومدربين ، ومديري تعليم ، وموظفين إداريين وفنيين آخرين كثيرين) ، فكل هؤلاء لهم تاريخ، لكنه مازال غير مكتوب وموثق بطريقة علمية سهلة يمكن الرجوع إليه وقت الحاجة[٢] .

أما التعليم العالي في منطقة عسـير ، بل في عموم جنوب المملكة العربية السـعودية فذلـك مجال رحب، وآثـاره الإيجابية كبـيرة وعظيمة على عموم أرض وسـكان جنوب المملكة العربية السعودية . فعند وصولي إلى أبها عام (١٤٠٩ـ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ـ ١٩٩٠م) كانت حاضرة أبها تزخر بالعديد من الكليات الجامعية (التربية والطب) بفرع جامعة الملك سعود بأبها (والشريعة وأصول الدين ، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية) بفرع جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية بالجنوب . وكليات البنات بأقسامها الأدبية والعلمية ، والمعلمين وغيرها . ولم نصل إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا في معظم محافظات عسير كليات جامعية عديدة للبنات ، وسبق أن أنشئت كلية المعلمين في بيشة من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٣] .

---

(١) وثقـت بعض مراحـل التعليـم العـام المبكـر في منطقـة عسـير ، وطبعـت ونشـرت مـا تم توثيقـه ، لكـن مجـال التعليـم العـام في منطقـة عسـير أو أي منطقـة مـن مناطـق جنـوب المملكـة العربيـة السـعودية مـازال غـير مخـدوم مـن حيـث الرصـد والتدويـن . آمـل مـن جامعاتنـا المحليـة أن تشـجع أعضاءها وأقسامها الأكاديمية على دراسة وتوثيق هذا المجال الحيوي المهم .

(٢) خرجت بهذا القول والخلاصـات بعد قضـاء أكثر من خمسين عاماً أشاهد مسيرة التعليم العام في منطقة عسـير ومـا جاورها ، وأجلس وأسـمع من العناصـر البشـرية العاملة في هـذا الميدان التنموي الحضـاري المهم. كما أنني زرت الكثير من المدارس وإدارات التعليم في منطقة عسـير ورأيت أراشـيفها مليئة بالوثائق والتقارير والأوراق التي تعكس شيئاً من تاريخ التعليم العام منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن ، وهذا الموروث جدير بالحفظ والاهتمام ثم الدراسة والتوثيق .

(٣) سـبق أن رصـدت شـيئاً من بداية وتطور هذه المؤسسـات التعليمية العالية في منطقة عسـير. لكن كل كلية قامت في أبها أو أي محافظة من محافظات منطقة عسير مازالت تستحق أن تدرس وتوثق في رسالة علمية

كانــت الكليــات الجامعية في منطقة عســير تتبــع وزارات وجامعــات وهيئات عليا متعددة . فكليتا التربية والطب تراجعان جامعة الملك ســعود . وكليتا الشــريعة وأصــول الدين واللغة العربية والعلوم الاجتماعية تســتمد قراراتها ومرجعيتها من جامعة الإمام محمد بن ســعود الإســلامية . وكليتا المعلمين في أبها وبيشــة تراجعان وزارة المعارف ، (وزارة التربيــة والتعليم) . وكليات البنات تحت مظلة الرئاســة العامة لتعليم البنات ، وأنشــئت كليتا التقنية والصــحية خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وتراجع الأولى مؤسسة التعليم الفني والتدريب المهني ، والثانية وزارة الصحة[1].

كنت حاضــراً في الميــدان التربــوي والتعليمي من عــام (١٤١٠ــ ١٤٢٠هـ/١٩٩٠-١٩٩٩م) ، وكان المســؤول الأول في كليــة التربيــة الدكتور عبدالوهاب بن صــالح بابعير الــذي تــولى عمادة الكلية مــن عام (١٤٠٨ــ ١٤١٦هـ/١٩٨٨ــ ١٩٩٥م) ، ثم جاء بعده وكيلــه الدكتــور محمد بن علــي آل هيازع وبقي في عمادة الكلية حتــى قيام جامعة الملك خالد (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) . وعميد كلية الطب الدكتور عبدالعزيز الصــائغ ، وجاء بعده الدكتور محمد بن يحيى الشــهري ، ثم الدكتور ســعيد بن علي أبو عشــي. وعمداء كلية اللغــة العربيــة والعلوم الاجتماعية الدكاترة ســعد بن عثمان القحطاني ، ثم إســماعيل البشــري ، ثم علي بن محمد العريشــي .وعمداء كلية الشــريعة وأصول الدين الدكاترة سالم القرني ، ثم عبدالعزيز الغامدي، ثم يحيى بن عبدالله السعدي الغامدي. وعمداء القبول والتســجيل بفرع جامعة الملك ســعود الدكتورين طلال بن حســن بكري ، ثم علي ابن عيسى الشعبي . وفي فرع جامعة الإمام بالجنوب الدكتورين عبدالرحمن الضحيان (الجويبر حاليا) ، ثم الدكتور سعد بن حسين بن عثمان[2].

أو كتاب علمي توثيقي مطول. آمل من طالبات وطلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يدرسوا بدايات تطور كل كلية منذ التأسيس حتى الآن(١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(١) هذا الذي عرفته وعاصرته منذ رجوعي بدرجة الدكتوراه عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) حتى نهاية العقد الثاني مــن القــرن (١٥هـ/٢٠م) ، وعنــد قيام جامعة الملك خالد بدأ الوضــع يتغير إلى الأحســن إداريــا وتنمويا وحضــاريا . **حبــذا أن نــرى مؤرخين جادين يعكفون علــى دراسة وتوثيق تاريخ هذه الكليــات منذ نشأتها حتى عام (١٤١٩- ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)** .

(٢) جميع هؤلاء الأعلام بذلوا ما في وســعهم لخدمة التعليم الجامعي في منطقة عســير وما حولها . ويستحقون أن توثــق ســيرهم ، وما قدموه لخدمــة البلاد والعباد تربويا وثقافيا وتعليمياً . للمزيد من التفصــيلات عن تاريخ فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها ، أو منطقة عسير، انظر عدداً من البحوث العلمية المنشورة في كتاب: **ندوة التعليم العالي في عسير: ربع قرن من الإنجاز والعطاء(٢-٣ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٢٩-٣٠ / أكتوبــر /٢٠٠٠م)** . (مطبوعــات جامعة الملك خالد ،١٤٢٣هـ) .حبــذا أن تقوم جامعة الملك خالد بإعادة طباعتــه مع إجراء بعض الإضــافات والتعليقات عليه ، فهو عمل علمي جيد يســتحق الطباعة والنشــر على أوســع نطاق. كما انظر غيثان بن جريس . **تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمــين الشريفــين الملــك فهــد بن عبدالعزيــز من عــام (١٤٠٢ــ ١٤٢٢هـ/١٩٨٢ــ ٢٠٢٠م)** . (مطبوعات جامعة الملك خالد ، ١٤٢٣هـ) ، ص ١٩٧ــ ٢٢٠ .

تولى عمادة كليتي المعلمين بأبها وبيشة بعض الأساتذة مثل: الأستاذين غرم الله دخيل الغامدي، وصالح بن علي، أبوعراد الشهري، والدكتور فهيد عبيد السبيعي في كلية المعلمين بأبها. والأستاذين محمد السبيعي، ومحمد عبدالله آل عمر، والدكتور مهدي القرني في كلية المعلمين ببيشة[1]. وتأسست الكلية التقنية المتوسطة عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، وتعاقب على عمادتها عدد من الأساتذة كان أولهم صالح بن جاسم الدوسري[2]. كما أنشئت كلية العلوم الصحية في أبها عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) والدكتور خليل بن مصلح الثقفي أول عميد لهذه الكلية[3]، ثم تبعه عدد من العمداء حتى ضمت إلى جامعة الملك خالد عام (٢٨ـ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)[4].

أما تعليم البنات الجامعي في منطقة عسير خلال العقد الثاني (١٥هـ/٢٠م) فقد بدأ في أبها في مطلع القرن نفسه، وتطور في أبها وخميس مشيط وبعض محافظات المنطقة حتى صار يتعلم في هذا القطاع عشرات الآلاف من الطالبات، وتخرج أيضاً آلاف المعلمات والموظفات اللاتي ساهمن في تطوير بلادهن وخدمتها[5].

---

(١) الدكتور مهدي القرني بقي عميداً لهذه الكلية حتى ضمت إلى جامعة الملك خالد عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) أما كلية المعلمين في أبها فقد جاء الدكتور فائز عسيري عميداً بعد الدكتور فهيد السبيعي، وبقي مسؤولاً عن الكلية حتى عام (٣٠ـ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م).

(٢) انظر غيثان بن جريس، <u>تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير</u> (مطبوعات جامعة الملك خالد، ١٤٢٣هـ)، ص ٢٤٥. تعاقب على الإشراف أو عمادة كلية التقنية في أبها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) عدد من الأساتذة والمهندسين مثل: الأستاذ سعيد بن سعيد عبيد القحطاني، والدكتور طارق محمد نحاس، والدكتور جمال الحفظي، والدكتور سعد آل عمر، والدكتور عبدالله مرعي، والدكتور سعيد الزهراني، والدكتور الحسن سالم الحفظي، والدكتور ناصر زيدان عسيري. **<u>وأقول إن التعليم الفني والتقني العام والعالي في منطقة عسير يستحق أن يرصد ويوثق في بحوث وكتب عديدة، أرجو من مؤرخي منطقة عسير أن يهتموا بهذا الجانب الحضاري المهم</u>**.

(٣) للمزيد عن بداية كلية العلوم الصحية في أبها، انظر غيثان بن جريس، <u>القول المكتوب في تاريخ الجنوب</u> (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج٢٠، ص٢٣٥ـ٢٤٢.

(٤) جاء إلى عمادة الكلية بعد الدكتور خليل الثقفي، الدكتور يحيى ماطر الخالدي. وأنشئت فيما بعد بعض الكليات الصحية للبنات في عدد من محافظة منطقة عسير، وعددها أربع كليات في أبها، وبيشة، ومحايل عسير، والنماص، وبعد انضمام هذه المؤسسات التعليمة العالية إلى جامعة الملك خالد جرى تحويل هذه الكليات الخاصة بالبنات إلى كليات للعلوم الطبية التطبيقية وأصبح مكانها خميس مشيط بدلاً من أبها، وبيشة، ومحايل عسير، والنماص. للمزيد انظر غيثان بن جريس. <u>القول المكتوب في تاريخ الجنوب</u> (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج١٨، ص ٢٦٠ـ٢٦١.

(٥) تاريخ التعليم العام للبنات في منطقة عسير وعموم بلاد السراة وتهامة مازال غير موثق في بحوث ودراسات علمية. والوضع نفسه ينطبق على التعليم الجامعي فهو الآخر غير مخدوم. وهذا الميدان (العام والعالي) يستحق أن يخصص له فريق عمل من الباحثات والباحثين حتى يجمعون مصادر هذا الجانب ثم يدرس ويرتب ويوثق ويطبع وينشر. وقد ترددت على أراشيف بعض الكليات ومدارس التعليم في منطقة عسير منذ عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) حتى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ورأيت الكثير من الوثائق والسجلات والمصادر النافعة لدراسة هذا الميدان، لكن الكثير منها محفوظة بطريقة غير جيدة، وبعضها أصبح في هيئة رثة، ناهيك عن ضياع وإتلاف الكثير من هذا الموروث الحضاري المهم جداً. انظر غيثان بن جريس. <u>القول المكتوب في تاريخ الجنوب</u>، ج١٨، ص ٢٥٢ـ٢٥٨.

(*) ممـا عاصرته عن التعليـم العام والعالي في منطقـة عسير خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/ ٢٠م) ، أوثق شيئاً من ذلك في النقاط الآتية :

١- كانـت مقـرات التعليم العام تسـير نحو البنـاء الإيجابـي ، فأغلب المدارس مسـتأجرة في العقـود الأخيرة مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكن بعد (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) زادت أبنية المدارس الحكومية في المـدن وكثير من القرى والأرياف . أما التعليم العالي في الوقت نفسه فكان في وضع أدنى بكثير من التعليم العام فجميع مقرات الكليات والإدارات وإسكان الطلاب مستأجرة ، والدولة تدفع ملايين الريالات لهذا الباب . كما أن الكوادر البشرية من مدرسات ومدرسين وأعضاء هيئة تدريس وموظفات وموظفين في القطاعـين (العـام والعـالي) كان متباينـا . ففي مراحـل التعليم العـام (الابتدائي ، والمتوسط ، والثانوي) أصبحت الكوادر السعودية وبخاصة من المعلمين تتحسن وتزيد منذ نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ولم يأت مطلع العشرينيات من القرن نفسه إلا ومعظم المدارس تدار بمعلمين وموظفين سعوديين ، وفي الوقت نفسه مازالت بعض المدارس في الأرياف والأماكن النائية تحوي الكثير من المدرسـات والمدرسـين المتعاقدين . وفي المدن الرئيسـية نفسها بقي هناك بعض الكوادر غير السعودية يتولون دراسة بعض المواد العلمية مثل الرياضـيات وغيرها[1] . أما التعليم العالي فمـازال متأخرا ، ومعظم القائمين عليه (عضوات وأعضاء هيئة التدريس) متعاقدون من أجناس عربية وغير عربية [2] .

٢- شـاهدت الآثـار الإيجابية للتعليـم العام والعالي بـدأت تؤتي ثمارهـا على الأرض والناس . فالكثير من المؤسسـات الإدارية في بلاد عسير ومناطق الجنوب السعودي صاروا من بنات وأبناء البلاد . كما أن المحاضن المعرفية والثقافية والدعوية والأدبية والتعليم وغيرها صارت مرتادة من بنات وأبناء البلاد المتعلمين تعليماً عاماً ، وفيهم نسـبة غير قليلة يحملون شـهادات جامعية. بل صـارت الكليات الجامعية النسائية والرجاليـة تشـتمل على كـوادر سـعودية جنوبية يحملون شـهادات عاليـة من درجة البكالوريوس إلى درجـة الدكتوراه ، ولبعض من حملة الدكتـوراه ترقوا في درجاتهم

(١) كنـت من عام (١٤١٠ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٠ـ ١٩٩٩م) أتجول في حواضـر ومدن وقرى وهجـر وبوادي منطقة عسـير، ورأيت وضـع المدارس والتعليم آنذاك . وأقول إن تاريخ مقرات المدارس والكوادر البشـرية العاملة في التعليم بمنطقة عسير، أو بلاد السروات وتهامة ، موضوع مهم وجديد في بابه حبذا أن يدرس ويوثق من عام (١٣٥٤ـ ١٤٢٠هـ/١٩٣٤ـ ١٩٩٩م) .

(٢) للأسـف إن الكثير من أقسام الكليات بقيت أكثر من (٢٥ـ ٣٠) عاماً يتولى أعمالها وبخاصة الفنية والتعليمية أعضـاء هيئة تدريس غير سـعوديين . وكان لعمداء تلك الكليات وإدارات الجامعة (الإمام ، أو الملك سـعود في الرياض) ، أو جامعة الملك خالد في سنواتها الأولى دوراً سلبياً لهذا الفقر والضآلة في تعيين معيدين وأساتذة يواصـلون دراسـاتهم داخلياً وخارجيا ثم يعودون لقيادة هذه الأقسام. وقد زرت بعض كليات جامعات الجنوب السـعودي من عام (١٤٣٠ـ ١٤٤٣هـ/٢٠١٠ـ ٢٠٢١م) فوجد أقسـاماً وكليات عديدة مـازال الغالبية فيها من عناصـر غير سـعودية ، ولا أعلم حتى الآن ما هو السـبب ، لكن من المؤكد أن هناك عقبات وعراقيل عديدة ، وعلى إدارات الجامعات الرئيسية أن تلتفت لهذا الأمر وتضع له بعض الحلول العملية والنافعة .

العلمية حتى صار منهم أساتذة مشاركون وأساتذة في تخصصاتهم، وأصبح بعضهم ذا نتاج علمي فنشروا الكتب والبحوث باللغة العربية أو الإنجليزية، وشاركوا في الأنشطة المنبرية والعلمية وفي الندوات واللقاءات والمحاضرات العامة [١].

٣- أثر التعليم العام ثم العالي في حياة الناس وبخاصة الطالبات والطلاب، فتوسعت مداركهم وتطلعاتهم، وصاروا ينشرون الوعي المعرفي والثقافي في أسرهم، وقراهم وأريافهم وبواديهم [٢]. كما صار عند الواحدة أو الواحد منهم آمال مستقبلية للحصول على وظيفة حكومية أو أهلية، ثم تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية. ومنهم من كانت تطلعاته عالية جدا فدرسوا جميع مراحل التعليم العام، ثم الجامعة، واستزادوا من العلم والخبرة فارتفعت درجاتهم العلمية والعملية، ومكانتهم المادية والمعنوية، وأصبحوا موظفين أو أساتذة كبارا ليس في قراهم ومواطنهم الأصلية، وإنما في المجتمع الكبير (المملكة العربية السعودية) وقد عرفت ورأيت من وصل إلى مراكز عالية معرفيا ووظيفيا وثقافيا واجتماعيا. وصاروا من قادة وأعيان ورموز الوطن، ومنهم تستمد التوجيهات والخبرات والقرارات في مجالات متعددة تصب في تنمية البلاد وتطويرها [٣].

(*) **والناظر في التعليم العام والعالي من (١٤٢٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٩٩ـ ٢٠٢١م)، يجد القطار الزمني والبشري يسير بخطى ثابتة وجيدة في تطوير الأرض والإنسان ليس في سروات عسير وتهائمها، لكن في عموم البلاد السعودية. وبما أن هذه الورقات تناقش شيئاً من تاريخ الناس في أبها، أو عسير، أو بلاد تهامة والسراة فإنني أسرد في الصفحات الآتية لمحات مما عرفته وتذكرته، وأوصى بدراسته وتوثيقه، وهو على النحو الآتي:**

أ- استشعر ولاة الأمر في هذه الدولة (وفقهم الله تعالى) أهمية هذه الأوطان الجنوبية العربية السعودية، فعينوا لها أمراء مخلصين يقومون على راحة وخدمة

---

(١) إنها عشر سنوات (١٤١٠ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠ـ ١٩٩٩م) عشتها في أبها، وكنت وسط الحراك المعرفي والثقافي والتعليمي. وكانت أروقة الكليات في أبها، ونادي أبها الأدبي، وإمارة منطقة عسير، وبعض المؤسسات الإدارية الأخرى في عمل تعليمي ومعرفي وثقافي مستمر. والكثير من الإخوة الزملاء أساتذة الجامعة في حاضرة أبها لهم دور بارز مع إخوانهم من السعوديين في إدارة الندوات والنشاطات واللقاءات العلمية والمعرفية الإيجابية. وقد يقول قائل أنت لا تدون إلا الأمور الحسنة والإيجابية، ولا تذكر السلبيات والقصور. وأقول إن هذا الرأي صحيح وسليم، فقد كان هناك الكثير من العيوب على مستوى الأفراد والجماعات والكمال لله ـ عز وجل ـ لكن الجو العام كان جيداً ولا أقول إلا لله در تلك الأجيال وذلك الزمن الذي سار بأهله نحو البناء والتميز .

(٢) هو الواقع الذي شاهدته وجربته، وأمثالي كثير من الطالبات والطلاب، فكم من أسرة أو أسر فقيرة مادياً ومعرفياً، جاء لهم بنات وأولاد تعلموا في مراحل مختلفة، واجتهدوا في تطوير أوضاع أسرهم في شتى المجالات. والتعليم والتعلم كان الأساس الذي انطلقوا منه في تنمية أنفسهم وأهليهم وبلدانهم .

(٣) كان المجتمع السعودي الحديث متواضعاً في إمكاناته المادية والمعرفية، لكن الدولة انتبهت لأهمية العنصر البشري وتطويره، فأخذت من وقت مبكر بالعلم والتعلم، ثم دعمت وشجعت وأسست كل المقومات الرئيسية التي تصب في تطوير الإنسان، وكانت النتائج هو الارتقاء بالأفراد والجماعات تربويا وتعليميا .

أهلها في شتى المجالات ، كما أنهم لم يدخروا جهداً في تقديم الدعم المادي والمعنوي لما فيه مصلحة البلاد والعباد[١] . وكون هذه البلاد في أمس الحاجة إلى مؤسسة تعليمية عالية ، وأقصد بذلك جامعة أو جامعات ، عندئذ قامت الحكومة بجمع مؤسسات التعليم العالي الرئيسية في أبها في جامعة مستقلة ، هي جامعة الملك خالد . وكان هذا قرارا موفقا ، وفتحا كبيرا لمعظم مناطق الجنوب السعودي ، وبدأت هذه الجامعة عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، وفي حوالي (٢٤) عاما استطاعت أن تؤسس وترسخ مسيرة التعليم العالي في هذه البلاد ، ولم تكن هذه الجامعة ضيقة الأفق ، وإنما وجهت من قبل حكام البلاد على أن تعمل وتجتهد في تأسيس وتطوير التعليم الجامعي في مناطق عسير، وجازان ، ونجران ، وقد تحقق لها ذلك ، فعملت على بناء وتأسيس جامعات جازان ، ونجران، وبيشة . وهي اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) أربع جامعات في الجنوب السعودي سراة وتهامة ، يدرس فيها أكثر من (١٥٠) ألف طالبة وطالباً[٢] .

ب- إنني أعمل منذ زمن على توثيق كتاب في عدة مجلدات عن تاريخ جامعة الملك خالد وما بذلته ومازالت تبذل في تأسيس وتطوير التعليم العالي في منطقة عسير ، ومنطقة جازان ونجران . آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ هذه الجامعات الأربع (الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، وبيشة) ، فهي تستحق أن يوثق تاريخها في عشرات الكتب والبحوث العلمية .

ج- رأت الدولة ، ووزارة التعليم في المملكة العربية السعودية توحيد ميادين التعليم العالي في كل منطقة . وتكون الجامعات هي المسؤولة المباشرة عن سير هذا المجال من التعليم للرجال والنساء . وقد قامت جامعة الملك خالد ثم تلتها جامعات جازان، ونجران ، وبيشة في الطرق والآليات لضم كليات البنات والكليات الصحية تحت مظلة إدارة الجامعة الرئيسية ماديا وعلمياً وإدارياً [٣] . وقد بدأ هذا العمل من عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ، واستغرق سنوات عديدة. واليوم نرى

---

(١) إن التاريخ الإداري في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية خلال العصر الحديث والمعاصر من الموضوعات المهمة والكبيرة التي يجب دراستها وتوثيق ما مرت به من مراحل تأسيسيه وتطويرية منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(٢) إنني أعمل منذ زمن على توثيق كتاب في عدة مجلدات عن تاريخ جامعة الملك خالد وما بذلته ومازالت تبذل في تأسيس وتطوير التعليم العالي في منطقة عسير ، ومنطقتي جازان ونجران . **آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ هذه الجامعات الأربع (الملك خالد ، وجازان، ونجران ، وبيشة)** فهي تستحق أن توثق في **عشرات الكتب والبحوث .**

(٣) اطلعت على مئات الوثائق والسجلات التي ترصد جهود جامعة الملك خالد في التخطيط والترتيب لضم كليات البنات والعلوم الصحية إلى الجامعة ، وأيضا بعض الجهود التي بذلتها في نجران ، للهدف نفسه، قبل قيام جامعة نجران . وتاريخ جامعة الملك خالد وما بذلته من أعمال وجهود في توحيد كليات التعليم العالي في عسير ، وما أشرقت عليه وحققته أثناء تأسيس جامعات جازان ، ونجران ، وبيشة ، موضوعات مهمة جداً تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من الرسائل العلمية .

معظم قطاعات التعليم العالي في عسير تحت إدارة جامعتي الملك خالد وبيشة، والوضع نفسه في منطقتي جازان ونجران .

د- إن تاريخ الجامعات الأربع (الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، وبيشة) من الأعمال الكبيرة والحديثة التي بذلت عليها الدولة المليارات من أجل تطوير أرض وإنسان جنوب المملكة العربية السعودية . ومن يتجول اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فإنه يشاهد مقرات حكومية عملاقة لهذه المؤسسات ، ويجد فيها مئات الكليات ، والأقسام ، والبرامج المتنوعة في تخصصاتها ودرجاتها العلمية ، ويرى مئات عضوات وأعضاء هيئة التدريس السعوديين الذين هم ثمرة مؤسسات التعليم العالي التي قامت في حاضرة أبها منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/١٢م) . كما يجد الكثير من الرصيد المعرفي والإبداعي لكليات وأقسام هذه الجامعات ، ليس في جنوب المملكة العربية السعودية ، أو حتى عموم البلاد، وإنما خارج الحدود ، فلها اتصالات وشراكات واختراعات وبصمات في جامعات ومؤسسات تعليمية عالية عربية وإسلامية وأجنبية في مشارق الأرض ومغاربها[1] .

رأيت أشياء كثيرة تغيرت وتطورت في أبها وما حولها ، وفي عموم عسير والسروات وتهامة . فالمؤسسات الإدارية زادت ونمت. فإمارة عسير في عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) تشغل مبنى مؤقتاً في جمعية الملك فيصل الخيرية وسط مدينة أبها. وعمارة الإمارة الحالية آنذاك يجري تشييدها ، ثم انتقلت مكاتب الإمارة إليها في منتصف العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) . وتحولت أسماء الإمارات في إنحاء البلاد إلى محافظات[2] . وكانت أكبر محافظات منطقة عسير آنذاك خميس مشيط ، وبيشة ، ومحايل عسير،

---

(١) لم أقل هذه الخلاصات من فراغ ، وإنما هي مدونات إنسان خبير عاصر التعليم العالي منذ عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ومازال يقرأ ، ويرصد ، ويشاهد، ويشارك في مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير تحديداً وفي عموم بلدان السراة وتهامة . وللحق إن الإنسان يعجز أن يلم بكل ما تم تحقيقه وإنجازه لإنسان جنوب المملكة العربية السعودية من خلال مؤسسات التعليم العام والعالي ، ولكل مجال آثار إيجابية كبيرة جداً ، لكن الجامعات المحلية لها القدح المعلى في خدمة الوطن في الجانب العلمي والمعرفي والثقافي بالدرجة الأولى ، ثم في مجالات وقطاعات حضارية أخرى . **وما زلت أنادي وأحث صناع القرار في هذه الجامعات المحلية فيبذلوا ما في وسعهم على تأسيس مراكز أبحاث جيدة مدعومة بالمال والعقول النيرة لخدمة تراث هذه البلاد العريقة بآثارها وأقسامها ومكوناتها البشرية والطبيعية .**

(٢) هذا التحول الإداري جرى على جميع مناطق المملكة العربية السعودية منذ عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م))، وفي عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) صارت بلاد المملكة العربية السعودية (١٣) منطقة ، وكل منطقة تشرف على العديد من المحافظات . ومنذ ثلاثين عاما وأنا أتجول في عموم السروات وتهامة ، وزرت الكثير من مناطق ومحافظات ومراكز هذه البلاد ، ودونت ووثقت صفحات من تاريخ وحضارة بعضها . فأقول إن كل ناحية أو محافظة تستحق أن تدرس ويوثق تاريخها في كتب وبحوث عديدة. أرجو من جامعات الجنوب السعودي أن تدعم وتؤسس مراكز بحوث علمية تخدم وتدرس أحوال هذه البلاد بشرياً وجغرافياً وحضارياً.

والنماص، وظهـران الجنـوب، ويتبعها العديد من المراكـز الإدارية ، ثـم تزايد أعداد المحافظات حتى أصبحت اليوم (١٤٤٣هـ / ٢٠٢١) حوالي (١٧) محافظة ، وعشـرات المراكز [١]. وجميع المحافظات مقرات حكومية . ومراكزها في أبنية مستأجرة وحكومية . والوضع نفسـه لجميع المؤسسـات الإدارية الأخرى ، ففيها المقرات الرسـمية وأخرى مسـتأجرة ، لكنها متوفرة في جميع المحافظات الكبيرة والصغيرة [٢]، وقد تكون مقرات البلديات في أنحاء منطقة عسير أفضل الأبنية الحكومية وأكثرها عدداً وجودة [٣].

ومما لفت نظري خلال العقود الثلاثة الماضية (١٤١٠ـ ١٤٤٣هـ/ ١٩٩٠ـ ٢٠٢١م)، مقـرات مؤسسـات التعليم العام والعـالي ، فجميع إدارات التعليم في السـروات وتهامة حكوميـة ، ومعظـم مدارس التعليم العـام للبنـين والبنـات. وأغلب المـدن أو المقرات الجامعية أصـبحت حكومية ، وبعضها مازال في طور البناء والتشييد . كذلك مؤسسات تعليمية أخرى مثل كليات التقنية ومعاهدها فجميعها رسـمية ، وهناك مؤسسات عالية أهليـة مثل كليات ابن رشـد ، والغد ، والبترجي في مدينتي أبها وخميس مشـيط مازال بعضها في أبنية مستأجرة [٤].

وعمـارات الأسـواق الحديثـة ، والأسـبوعية ، والمستشـفيات الحكوميـة والأهلية ، والمطـارات ، وشـبكة الطرق البريـة ، ومقـرات بعض الشـركات والمدن الصـناعية أو الاقتصـادية أو الطبيـة ، والمـدن ، والأحيـاء ، والمخططات العمرانيـة ، وقيام مجمعات

---

(١) محافظات منطقة عسير اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) حوالي (١٧) محافظة ، هي : (١) خميس مشيط . (٢) بيشة . (٣) محايل عسير. (٤) النماص. (٥) تثليث . (٦) ظهران الجنوب. (٧) سراة عبيدة . (٨) رجال ألمع . (٩) بلقـرن . (١٠) أحـد رفيدة. (١١) تنومة . (١٢) المجـاردة . (١٣) بارق. (١٤) البرك . (١٥) طريب . (١٦) الحرجة. (١٧) الأمواه .

(٢) هذا ما عرفته وشـاهدته وأنا أتنقل في ربوع منطقة عسـير (سـراة وتهامة) منذ عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٣) مما يلفت نظر السائح في منطقة عسير ، أو في مناطق عديدة في جنوب المملكة العربية السعودية أن مقرات البلديات أفضـل الأبنية الحكومية مسـاحة وتشـييداً ، ولم أر أفضـل من مقراتها بين المؤسسات الحكومية مـن الطائف ومكـة إلى جازان ونجران . وتاريخ العمـارة الحديثة في هذه البلاد يسـتحق أن يوثق بالكتابة والصـورة الفوتوغرافيـة . وأجرى دراسـة مقارنـة بين العمارة القديمـة والحديثة في منطقة عسـير أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . موضوع جديد في بابه يستحق العناية من قبل الباحثين ومراكز البحوث العلمية في جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية العالية ٠

(٤) زرت الكثير من هذه المقرات وبخاصـة المدن الجامعية في عسـير ، والباحة ، وجازان ، ونجران فرأيتها في أبنية حكومية واسـعة وفخمة وحديثة. كما شـاهدت كليات التقنية هي الأخرى في مقرات رسـمية . وتاريخ العمـارة الحكومية الحديثة في مناطق الجنوب السـعودي من الموضـوعات الجديدة التـي لم تدرس ، حبذا أن نرى مؤرخين جادين يهتمون بهذا الموضـوع في بحوثهم ودراسـاتهم . والتعليم العام والعالي والأهلي في مناطق وحواضـر السـراة وتهامة أيضـا من الموضوعات البكر في مجال الدراسـة والتوثيق. حبذا أن يظهر باحثـون ومؤرخـون جادون يدرسـون بدايات هـذا المجال ثم المراحـل التي مر بها حتـى الآن ، والخروج في النهاية بتوصيات ونتائج تصب في خدمة مسيرة التعليم والارتقاء به لخدمة الأرض والناس .

سكنية خاصة وتجارية . كل هذه المجالات صارت في كل منطقة ومحافظة ومدينة كبيرة في عموم جنوب البلاد السعودية[١].

إن تاريخ الناس الحضاري تغير كثيراً ، فأغلب الناس في الأرياف هاجروا إلى المدن، وأهل السروات من ظهران الجنوب إلى الطائف تركوا أوطانهم أيام البرد ونزلوا إلى البلاد التهامية الممتدة من مكة إلى جازان ، وبعضهم رحلوا إلى المدن الكبيرة في المملكة العربية السعودية وبخاصة المنطقة الغربية واستقروا فيها[٢]. ومن يعرف مدينتي أبها وخميس مشيط قبل ثلاثين عاماً ويشاهدهما اليوم يلاحظ الفرق الكبير في زيادة السكان ، والتوسع في البناء ، والتنوع في الأنشطة الصناعية والتجارية والثقافية والتعليمية والسياحية [٣].

(*) مشاهداتي وذكرياتي ومعاصرتي للحراك التاريخي والحضاري الحديث والمعاصر (١٤١٠ـ ١٤٤٣هـ / ١٩٩٠ـ ٢٠٢١م) في مدن وحواضر وقرى منطقة عسير بشكل خاص، وأراضي تهامة والسراة بشكل عام ، وربما نشير إلى بعض المناطق والحواضر في المملكة العربية السعودية ، أوثق بعض النقاط الآتية :

١- إن منطقة عسير ، ومناطق جنوب المملكة العربية السعودية. تعد من كبريات أجزاء البلاد السعودية في مساحتها، وعدد سكانها ، ومواردها السياحية والطبيعية ، وفي موروثها التاريخ والأثري والحضاري . وصار أهلها من الذكور والإناث يتقلدون أعمالا كثيرة ومهمة ، صغيرة وكبيرة ، في جميع قطاعات الدولة محلياً وإقليمياً وحتى عالمياً . والذاهب في أرجاء المملكة يجد الكثير من التهاميين والسرويين الذين

---

(١) إن ما ذكرته أعلاه ليس إلا صوراً قليلة وعامة مما شاهدته خلال العقود الثلاثة الماضية ، وأنا أرحل وأتجول في بلاد السراة وتهامة من نجران إلى الطائف ، ومن مكة المكرمة إلى جازان . وكل محور من هذه المحاور يستحق أن يوثق تاريخه في بحوث وكتب عديدة . وإذا أخذت مدينتي أبها وخميس مشيط كنموذج من بلدان الجنوب السعودي فإنك تشاهد الكثير من الأسواق الصغيرة والكبيرة الحديثة والأسبوعية ، وترى المخططات العمرانية والمجمعات السكنية الكثيرة ، وأيضا المدن والأحياء والقرى والمستشفيات والطرق الكبيرة المتفاوتة في أطوالها وجودتها.

(٢) هجرة أهل الجنوب السعودي من أوطانهم قديمة ، وأهداف الهجرة تتغير من زمن لآخر، لكن في العقود الأخيرة من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن زادت بنسبة كبيرة ، ولم تكن أسفارهم وهجرتهم داخليا فحسب ، وإنما امتدت إلى بلدان عديدة في مشارق الأرض ومغاربها . للمزيد من التفصيلات في هذا الموضوع انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ج٢٣، ص ٨٨ـ ١٦٧ .

(٣) كل مجال من هذه المجالات جدير بالبحث والدراسة في عشرات البحوث العلمية الرصينة والعميقة . ونشاهد اليوم ـ ولله الحمد ـ أعداداً من الجامعات في السراة وتهامة وفيها عشرات الكليات والأقسام ، ومئات الأساتذة وطلاب الدراسات العليا ، وعلى الجميع أن يخدموا هذه البلاد معرفياً وبحثياً. وللأسف فإن خدمة البحث العلمي ودعمه مادياً ومعنوياً مازال ضعيفاً ومتأخراً في مؤسساتنا التعليمية العالية ، والواجب عليها أن تلتفت لهذا الأمر وترعاه حتى يثمر ويعود بالفائدة على الأرض والسكان .

يعيشون في حواضــر ومدن وأمكنة عديدة ، ومنهم المقيمون بشكل مستمر ، وآخرون لفـترات محـدودة أو متقطعة . كما أن حيــاة التقارب الاجتماعي ، والاقتصــادي ، والســياحي ارتفعت نســبها بــين التهاميين والســرويين وغيرهم من ســكان البلاد السعودية[١] .

٢- ما عاصرته ومارسه الآباء والأجداد من عادات وتقاليد وموروث اجتماعي . ومن هو في جيلي ، أو بعدنا بعقد أو عقدين وربما ثلاثة عقود أدركوا وعاشــوا شــيئاً من تلك الأعراف والتاريخ الاجتماعي والاقتصــادي القديم . ومع تقارب العالم وتوسع حياة النـاس المعيشــية والمادية والتعليمية والثقافية بدأ الكثير من التراث المادي والمعنوي القــديم يتراجــع، بل تضــاءلت الكثير مــن التقاليد الســابقة في الطعام والشــراب ، واللبــاس والزينــة ، وبعضــ الأعــراف في الأحزان والأفــراح ، والفنــون والتراث الاجتماعي والترفيهي ، وظهر موروث حضــاري جديد ممزوج بالكثير من التقاليد والمعارف الوافدة من داخل المملكة العربية الســعودية ومن خارجها . وصــار معظم النـاس اليوم في منطقة عســير ، وغيرها من مناطق المملكة يعيشون حياة مصبوغة بآثار العولمة التي جلبت الكثير من الثقافات والحضــارات الحديثة التي تختلف عن حياة أهلنا الأوائل، وعشنا أيضاً جزءاً منها[٢] .

٣- ارتفع كثيراً مستوى المعيشة من سكن ، وأكل وشرب ، ولباس ، وسفريات ، وخدمات صــحية ، وشــراء جميع لــوازم الحياة للأفــراد والجماعات . والنـاظر في الأســعار والأجور اليوم يجدها قفزت بشــكل كبير ومخيف . فالأرض متوسطة المساحة، التي كان سعرها في بداية هذا القرن في عشرات الآلاف ، أو بداية مئات الآلاف أصبحت اليــوم تقارب خانة المليون ، وأحياناً تزيد عن ذلك . والوضــع نفســه على العمارات السكنية والتجارية . والألبسة وأدوات الزينة تباع في الماضي بالريالات أو بالعشرات ، أو بعض مئات الريالات .واليوم ارتفعت أضعافاً كثيرة . وأسعار المواشي أو الحبوب أو أدوات البنـاء، أو الآلات والأدوات الاقتصــادية والصــناعية صارت جميعها عالية

---

(١) كانت حياة التقارب موجودة من عهود قديمة ، ثم زادت بنسبة عالية بعد توحيد المملكة العربية السعودية ، ومع مســيرة التطور والتنمية الذي تعيشه المملكة خلال الأربعين عاماً الماضية صار التداخل والتواصل أكبر في الكثير من مفاصــل الحياة الحضــارية. والاتصــال التاريخي والحضــاري الحديث والمعاصر بين أهالي جنوب المملكة وغيرهم من ســكان البلاد الســعودية موضوع مهم وكبير يستحق البحث والدراسة والتوثيق ، وهناك الكثير من المصادر والمراجع المتوفرة التي تصب في خدمة هذا المجال .

(٢) إنني أدون هذه السطور عام (١٤٤٣هـ /٢٠٢١م) ، وأشاهد الانفتاح والاختلاف البين والكبير في فنون الأكل والشــرب، والســكن ، والســفر والإقامة ، والعمل والإجازة ، واللباس والزينة ، والترفيه والتنزه ، والتســوق ، والبحــث عــن الوظيفة وكســب الــرزق ، وحتى في علاقتنــا الدينيــة والمجتمعية من تجمعــات في الأعياد ، وزواجات، وصــلوات ، واســتقبال الضــيوف ، وزيارة المرضى ، وحضــور الجنائز ، والشكاوي والإصلاح بين الخصوم ، وكل مناحي الحياة العامة والخاصة ، داخل البيت وخارجه .

السعر، وبعضها زادت أسعارها عشر مرات وأكثر عما كانت عليه في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ - ٢٠م). والأجور للناقلات الجوية أو البرية، أو للعمارات السكنية والتجارية، وكذلك الأيدي العاملة أصبحت مرتفعة جداً، والفرق كبير جداً عما كانت عليه في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [١].

٤- إن إقامتي خلال الثلاثين عاماً الماضية في مدينة أبها، لكنني تنقلت وسافرت كثيراً داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وشاهدت أن بلاد الجنوب السعودي تسبق غيرها في الكثير من المؤهلات، وأهمها تنوع تضاريسها، وجمال طبيعتها، وهمة إنسانها بالإسهامات المتعددة في بناء نفسه وأهله وبلاده في محيط أرضه (السراة وتهامة) أو في أنحاء وطنه (المملكة العربية السعودية). وأقول أن جميع السرويين والتهاميين يستحقون منا أرباب القلم والبحث والتراث والتاريخ العمل والوفاء بجد وإخلاص لحفظ صفحات من أمجادهم وموروثهم الحضاري منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

سادساً: خلاصة القول:

عرجت على ذكريات ومشاهدات عامة وكثيرة في هذه الصفحات المسطرة في هذا المحور. وأعلم أنني لم أوف الموضوع حقه من التقصي والرصد، لكن أحسب أنني ذكرت صوراً ولمحات عرفتها وعاصرتها خلال العقود الستة الماضية. أرجو أن تكون أقوالي ومدوناتي صادقة وواضحة، كما أرجو من المولى - عز وجل - أن لا يحرمني أجر هذا العمل الذي يعكس جزءاً يسيراً جداً من تاريخ وحضارة بلادنا وأهلنا في جنوب المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص. وآمل أن يأتي بعدي من يجد معارف مفيدة تفيد في خدمة تراث وحضارة هذه البلاد الجنوبية العربية السعودية في عصرنا الحديث والمعاصر [٢].

---

(١) تاريخ الأجور والأسعار لجميع البضائع والأعمال الاقتصادية والمعيشية خلال السنوات القريبة الماضية (١٤٣٠-١٤٤٣هـ/٢٠١٠-٢٠٢١م) موضوع جدير بالدراسة والتوثيق، وإن أجريت دراسة مقارنة بين هذه الفترة وآخر عقد في القرن الماضي (١٤هـ/٢٠م) فذلك أهم وأفضل.

(٢) عشت معظم حياتي العلمية أجمع وأوثق وأدرس حياة الأرض والناس في عموم شبه الجزيرة العربية وبخاصة الأجزاء التهامية والسروية. وذلك إيماناً واعتقاداً مني أنها بحاجة إلى من يجمع ويدرس تراثها وموروثها الحضاري عبر عصور التاريخ. ومهما بذلت وبذل غيري فلن نستطيع الإلمام بكنوز هذه البلاد المدفونة والسطحية، القديمة والحديثة. أرجو من جامعاتنا المحلية أن تبذل ما في وسعها لخدمة ما تحويه هذه الأوطان من تاريخ، وحضارة، وثقافة، وفكر، وآثار، وموروث وغيره من صنوف المعرفة.

ثالثـا: خلاصـة السـيرة العلميـة لـ (غيثـان بـن علـي بـن جريـس) (١٣٧٩ـ ١٣٤٣هـ/١٩٥٩ـ٢٠٢٢م) :

أولاً: المولد والنشأة العلمية :

١ـ تاريخ الميلاد ومكانه :

ولـد غيثان بـن علي بن جريس عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) في قرية آل مقبول بمنزل أجداده لأمه ، ، بلاد بني عمرو بمنطقة عسـير[١] ، واسـمه بالكامل: غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الثوابي الجبيري الشـهري الحجري الهنوئي الأزدي . وعندما وصل إلى سن الخامسة من عمره انتقل إلى منزل والده في قرية آل رزيق ببلاد بني شهر وبقي بها حتى حصل على الثانوية العامة بالنماص عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) [٢] .

---

(١) تقـع قريـة آل مقبول في سـروات محافظة النماص ، وتبعد عن وسـط مدينة النماص نحو الشـمال بضـعة كيلومـترات ، وتقع على جانب الطريق الرئيسـي الذي يربط بين أبهـا والطائف . وتتكون من (٢٠ـ٣٠) بيتاً . وتعـود هـذه القرية في قبيلة بني كريم العمرية التميمية . للمزيد انظـر غيثان بن جريس . **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)** (الطبعة الرابعة) (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ، ص ٤٣٩ـ ٤٧٠ .

(٢) للمزيد انظر بعض التفصـيلات في المحور السـابق في هذا القسم فهناك بعض الذكريات والمشاهدات التي أشار إليها صاحب السيرة .

٢- الحياة العلمية المبكرة :

التحق غيثان بن جريس بالمدرسة السعودية الابتدائية في النماص عام (١٣٨٣هـ/١٣٨٤هـ) وتخرج فيها والتحق بالمرحلة المتوسطة في عام (١٣٨٩هـ/١٣٩٠هـ) ، والتحق بالمرحلة الثانوية في مدينة النماص عام (١٣٩٢هـ/١٣٩٣هـ) [(١)] . وحصل على شهادة الثانوية (قسم أدبي) وذلك عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ثم التحق بكلية التربية فرع جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً) بأبها عام (١٣٩٦هـ/١٣٧٩هـ) ، وتخرج فيها بعد حصوله على درجة البكالوريوس في التاريخ والحضارة الإسلامية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) [(٢)].

وبعد مرور سنة دراسية من تعيينه معيداً ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الماجستير في جامعة أنديانا بمدينة بلومنجتون (Bloomington) وحصل عليها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ثم ذهب لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر (University of Manches-ter) في بريطانيا، وحصل عليها في عام (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩-١٩٩٠م) [(٣)]. وكان موضوع رسالة الدكتوراه: "**التاريخ الاجتماعي والحرفي والتجاري في الحجاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢- ٢٣٢هـ/٧٤٩- ٨٤٧م**" .

(The Social, Industrial and Commercial History of the Hijaz Under The Early Abbassids(132-232/747-847)

عاد غيثان بن علي بن جريس إلى كلية التربية بأبها ليعمل أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ في الكلية ، وفي أواخر عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) أصبح رئيساً لقسم التاريخ في الكلية واستمر في هذا المنصب حتى عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، وترقى إلى درجة أستاذ مشارك في أوائل عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ثم ترقى إلى درجة أستاذ متميز في (١٤١٨/١/٢٠هـ الموافق ١٩٩٧م) . ويعد أول من حصل على درجة الأستاذية من خريجي فرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها (جامعة الملك خالد) . ومازال يعمل في كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ بجامعة الملك خالد حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) [(٤)].

---

(١) كانت بلدة النماص متواضعة آنذاك في مساحتها الجغرافية وإمكانياتها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية .

(٢) انظر في عدد من مؤلفات غيثان بن جريس عن مسيرة التعليم العام والعالي في منطقة عسير (١٣٥٤-١٤٠٠هـ/) .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن تلك المرحلة وأحداثها انظر المحور السابق في هذا القسم .

(٤) تم الإشارة إلى بعض هذه المعلومات في بعض المراجع والدراسات الورقية والإلكترونية . كما وثق غيثان بن جريس صفحات وبحوث عديدة عن التعليم العالي في منطقة عسير . وجميعها مطبوعة ومنشورة . للمزيد انظر أسماء بعض تلك الدراسات في صفحات تالية من هذه السيرة . أيضا عاصر صاحب السيرة الكثير من النشاطات ، وشارك في بعضها في كلية التربية بأبها ، وفي الجامعات والكيات والأقسام التي تعلم فيها في أمريكا وبريطانيا ثم في جامعة الملك خالد حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

٣ - نمـاذج مـن الحياة العملية والعلمية بعد الدكتوراه على مستوى الكلية ، والجامعة ، والمنطقة ، والمملكة[١].

- عمل معيداً ثم محاضراً ، ثم أستاذاً مشاركاً فأستاذاً بكلية التربية بأبها فرع جامعة الملك سعود (الرياض: سابقاً) ثم (جامعة الملك خالد حالياً) [٢].
- عمـل عضـواً بمركـز البحـوث بالكلية مـن عـام (١٤١٠هــ/١٩٩٠م) حتـى عام (١٤١٧هـ/٩٦ـ ١٩٩٧م) .
- رائد اللجنة الاجتماعية بكلية التربية من (١٤١١ـ ١٤١٣هـ) .
- عمـل ممثلاً لكلية التربيــة في أبها لدى نادي أبها الأدبي منــذ (١٤١٠/٤/٣٠هـ) ، وحتــى عام (١٤١٩هــ/١٩٩٨م) ، بناءً على خطــاب عميد كلية التربيــة بأبها رقم (١٣٦) على (٥١/٤٣٠) ٠
- عمل منسـقاً للموسـم الثقافي التاريخي الذي نظمه قسـم التاريـخ في الكلية خلال عامين متتاليين من عام (١٤١١هـ / ١٩٩٠م) حتى (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) وخلال عام (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) [٣].
- أشرف على تأسيس وتنظيم مكتبة قسم التاريخ في الكلية [٤].
- أشــرف على أكثر من ثلاثمائة بحث تخرج لطلبة قســم التاريخ ، خلال المدة الممتدة مــن عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣ـ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) . وقد فهرس حوالي مائتي بحث منها ، ونشرها في كتابه الموسوم بـ " **دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** " تحت عنوان : " ببليوجرافيا لأبحاث طلاب قســم التاريخ بجامعة الملك سـعود ـ كلية التربية فرع أبها (القسم الأول) " . ص ٢٦٧ـ ٣١٢ ٠ ثم فهرس الأبحاث الباقية في كتابه الموسوم بـ " **بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر**" ص ٤٢٩ـ ٤٤٤ [٥].
- شــارك ببعض المقالات القصــيرة في المجلات والمنشــورات التي تصدر عن اللجنة

---

(١) ذكرت مصـطلح (نماذج) لأنني أعمل في سـلك التعليـم العالي أكثر من أربعين عاماً ، ويصـعب توثيق كل الأعمال والأنشطة التي عملت فيها ، أو أشرفت عليها من عام (١٣٩٦ـ١٤٤٣هـ/١٩٧٦ـ ٢٠٢٢م) . وقد يكون لي دراسة أخرى أذكر شيئاً من تلك الأنشطة والأعمال بشكل أطول وأوسع ٠

(٢) تاريخ كلية التربية في فرع جامعة الملك سـعود (١٣٩٦ـ ١٤١٩هـ/١٩٧٦ـ ١٩٩٨م) موضوع جديد يستحق أن يدرس ويوثق في كتاب أو رسالة علمية .

(٣) اذكـر أن كليــة التربية للبنين في أبها كانت مشــاركة في الكثير من الأنشــطة على مسـتوى منطقة عســير ، وأحياناً في المملكة العربية السعودية٠

(٤) أذكر أن كل كلية وكل قسـم في فرعي جامعتي الإمام والملك سـعود في أبها كان لديها مكتبات متخصصــة تخدم الطلاب والأساتذة على حد سواء٠

(٥) جاء الأسـتاذ الأديب والمؤرخ محمد بن أحمد معبّر وأخرج دراســة عن هذه البحوث في كتاب بعنوان : دليل البحـوث الجامعيــة في (مكتبــة الدكتور غيثان بن جريــس العلميــة) (ببليوجرافية مشــروحة) (١٤٠١ـ ١٤٣٥هـ/١٩٨١ـ٢٠١٤م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (٥٥٠صفحة) ٠

الثقافية بالكلية خلال عام (١٤١٣/١٤١٤هـ) [١].

- ساهم في مناقشة بعض المواضيع والمناهج الخاصة بقسم التاريخ على وجه الخصوص، مثل مراجعة وفحص الكتب الدراسية المقررة على الطلاب في معظم المواد أو الخاصة بالكلية أو فرع الجامعة في الجنوب على وجه العموم.
- شارك في عضوية العديد من اللجان الإدارية والأكاديمية أثناء جامعة الملك خالد، رأس بعض اللجان العلمية والأكاديمية المختلفة في الجامعة، وبعض تلك اللجان كانت على مستوى كلية التربية ثم كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية في جامعة الملك خالد ولجان أخرى على مستوى الجامعة تم تشكيلها من قبل معالي مدير الجامعة.
- أشرف على إعداد خطة برنامج الماجستير في التاريخ حتى تم إقرارها في أوائل عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) [٢].
- قام بتدريس عدد كبير من مواد التخصص لسنوات طويلة خلال مرحلة البكالوريوس مثل: (١) تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام. (٢) تاريخ السيرة النبوية والخلفاء الراشدين. (٣) تاريخ الدولتين الأموية والعباسية. (٤) تاريخ الحضارة الإسلامية. (٥) تاريخ الجزيرة العربية من القرن الثالث الهجري حتى العهد العثماني. (٦) علم التاريخ عند المسلمين. (٧) تاريخ الدويلات الإسلامية في المغرب والشرق، (٨) تاريخ الأندلس. (٩) تاريخ الدولتين الأيوبية والمملوكية. (١٠) تاريخ الحروب الصليبية. (١١) أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا. (١٢) الأقليات الإسلامية في العالم. (١٣) حاضر العالم الإسلامي. (١٤) تاريخ المملكة العربية السعودية. (١٥) موضوع خاص في تاريخ إفريقيا، وكذلك موضوع خاص في تاريخ الشرق الأقصى. (١٦) منهج البحث التاريخي. (١٧) انتشار الإسلام في آسيا وإفريقيا. (١٨) تاريخ العرب الحديث. (١٩) تاريخ العرب المعاصر. (٢٠) تاريخ أوروبا في العصر الحديث والمعاصر. (٢١) تاريخ العالم الجديد. ومن عام (١٤٢٤ـ١٤٤٣هـ/٢٠٠٣ـ ٢٠٢٢م) درس العديد من المواد في برامج الماجستير والدكتوراه. وناقش الكثير من خطط الرسائل العلمية، وأشرف على بعضها.
- شارك في إدارة بعض المحاضرات المنبرية التي قدمت من خلال النادي الأدبي بأبها، أو في بعض كليات المنطقة [٣].

---

(١) للمزيد عن مشاركات غيثان بن جريس في الصحافة، انظر عوض بن عبدالله بن ناحي. المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧ـ ١٤٤٠هـ/١٩٨٧ـ٢٠١٨م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) (٥٨٤صفحة).

(٢) يوجد في مكتبة غيثان وضمن وثائقه الخاصة مئات الوثائق التي تؤكد ما ذكره صاحب السيرة في المحاور المدونة أعلاه، وقد يأتي اليوم الذي تدرس بعضها ثم تنشر.

(٣) شارك غيثان بن جريس في عشرات المحاضرات والندوات خلال الأربعين سنة الماضية (١٤٠١ـ

- شــارك في بعض المحاضرات أو الندوات التي أقيمت في بعض الكليات أو المؤسسات الحكومية في منطقة عسير[١].
- اشــترك في مســامرة بنادي أبها الأدبي حول موضــوع " **قضايا تاريخية في بلاد عسير قديماً وحديثاً** " خلال الأسبوعين الأخيرين من شهر صفر عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) [٢].
- ســاهم في البرنامج الإذاعي " من القلــب " الذي تم بثه عن طريق إذاعة البرنامج الثاني بجدة في الفصل الدراسي الأول لعام (١٤١١هـ/١٩٩٠م) [٣].
- المشــاركة في حلقة بالتلفاز الســعودي القناة الأولى عن " المكتبة المنزلية " في تاريخ (١٤١٤/٢/٢٠هـ الموافق ١٩٩٣م).
- شــارك في نــدوات عديدة عن أزمــة الخليج في جريدة البــلاد ، والرياض ، وعكاظ خلال الفصل الدراسي الأول من عام (١٤١١هـ/١٩٩٠م) [٤].
- له مشاركات عديدة في بعض الجرائد والمجلات الثقافية المحلية والعربية .
- حكم ومازال يُحكم عدداً من المقالات المنشــورة في بعض المجلات العلمية ، وكذلك بعضــ الكتب العلمية والثقافية ، كما حكم مجموعة من الكتب التي نُشــرت أو رغب نشــرها في الاحتفال بمرور مائة عام على تأســيس المملكة العربية الســعودية الذي أقيم في عــام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). ومــازال حتى الآن (١٤٤٣هــ/٢٠٢٢م) يراجع ويحكم الكثير من الكتب والبحوث والرسائل العلمية .
- شــارك في المؤتمــر العالمي للاحتفال بمــرور مائة عام على تأســيس المملكة العربية الســعودية ، وكان ذلك المؤتمر في شــهر شــوال عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) بالرياض. وعنوان البحث الذي شارك به صاحب السيرة هو : " **ابن إلياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبدالعزيز** "[٥].
- شــارك في العديد من المحاضــرات في مناســبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربيــة الســعودية في كل من نــادي أبها الأدبــي ، وجامعة الملك خالد في عســير ،

١٤٤٣هـ/١٩٨١ـ ٢٠٢٢م) . انظر أســماء بعضــها في صــفحات من هذه الدراســة. انظر بعض أشــرطتها المسجلة في موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس العلمي.(Prof-ghithan.com)

(١) للمزيد انظر كتاب الدكتور عوض بن ناحي . المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات ، ص ٢١ وما بعدها .

(٢) شــارك معه في هذه المســامرات الشــيخ هاشــم النعمي ، والدكتور عبدالله أبو داهش ، والدكتور محمد بن زلفة، وكان مدير تلك النقاشــات والمســامرات الأســتاذ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ، والحضور من أعيان ومثقفي وأساتذة الجامعة في منطقة عسير .

(٣) هذه المشاركة وغيرها ضمن أرشيف برنامج الإذاعة في أبها وبعضها محفوظ على موقع غيثان بن جريس .

(٤) بعض هذه المشاركات ضمن وثائق وأوراق مكتبة د. غيثان بن جريس الخاصة ، وقد تُجمع وتطبع ثم تنشر .

(٥) هذا البحث نشر ضمن أعمال المؤتمر. كما أن صاحب السيرة راجع وحكم العديد من الكتب التي طبعت في المئوية، ويوجد الكثير من تقارير تلك الكتب ضمن أوراق الباحث ، وقد نشر بعضها في بعض البحوث والكتب العلمية .

والحرس الوطني بالرياض، وقسم التاريخ بجامعة الملك سعود في الرياض[(١)].

- قدم بعض المحاضرات العامة في نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ونادي مكة المكرمة الثقافي، ونادي المدينة المنورة الأدبي، ونادي جازان الأدبي، ونادي الطائف الأدبي [(٢)].
- تولى رئاسة بعض اللجان التي قامت بالإعداد لإصدار أطلس التاريخ السعودي الصادر من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ضمن فعاليات الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية [(٣)].
- عمل في عدد من اللجان العلمية الأخرى بإمارة منطقة عسير، والتي كان هدفها تقديم بعض الدراسات المختلفة عن منطقة عسير بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- شارك في عدة معارض داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وذلك بعرض نماذج من وثائقه ومخطوطاته الخاصة، بالإضافة إلى عرض أبحاثه ومؤلفاته الكثيرة والمختلفة [(٤)].
- شارك ولايزال يشارك في استشارات محلية، وإقليمية، علمية وتاريخية تخص تراث وحضارات شبه الجزيرة العربية أو تاريخ الدولة السعودية [(٥)].
- أشرف على اللجان التنظيمية لعقد اللقاء العلمي الأول لتاريخ الملك خالد، الذي نظمه كرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد يوم الثلاثاء (١٤٢٨/٤/٢١هـ الموافق ٢٠٠٧/٥/٧م) [(٦)].
- أجري معه لقاء تلفزيوني على القناة الثقافية الفضائية السعودية لمدة ساعة تحدث فيه عن أجزاء من حياته العلمية والعملية على مدار (٣٣) عاماً، ودار اللقاء حول بعض مؤلفاته وكتبه، مساء يوم السبت (١٤٣٢/١/٥هـ/ الموافق ٢٠١١/١٢/١١م) بمقر تلفزيون أبها، الساعة الثامنة مساءً [(٧)].

---

(١) هناك العديد من الخطابات والوثائق التي تؤكد صحة ما تم توثيقه، نشر الكثير منها في كتاب: **وثائق غيثان بن جريس الخاصة**. للأستاذ محمد بن أحمد مُعَبّر (الرياض: مطابع الحميضي، (١٤٣٥ـ١٤٣٦هـ/٢٠١٤ـ٢٠١٥م) (٨مجلدات).

(٢) انظر المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العديد من الخطابات التي تؤكد مشاركة صاحب السيرة في العديد من اللجان والمعارض لعرض بعض مؤلفاته ووثائقه الخاصة.

(٥) هناك الكثير من التسجيلات بالصوت والصورة، وبعض الرسائل المتبادلة بين صاحب السيرة واللجان والمؤسسات العلمية التي شارك فيها.

(٦) غيثان بن جريس المؤسس لهذا الكرسي، والأبحاث التي قدمت في اللقاء العلمي الأول صدرت في كتاب علمي محكم.

(٧) هذا اللقاء موثق بالصوت والصورة في تلفزيون أبها وفي موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس الإلكتروني.

ثانياً : بعض الجوائز والتكريمات التي حصل عليها :

١- حصــل على جائــزة عبدالحميد شــومان في العلــوم الإنســانية (المملكــة الأردنية الهاشــمية) عــام (١٩٩٦م) . وقــد منح أثناء حصــوله على تلك الجائزة شــهادة ودرعاً ، تقديراً لفوزه بالجائزة (وهذه الجائزة على مستوى العالم العربي) [١] .

٢- كرمه نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ الموافق (١٩٩٧م) ، بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز ، وقد منح في ذلك التكريم درع النادي وشهادة بتلك المناسبة ٠

٣- كُرم في ملتقى قبائل بني شهر الأول ، المنعقد في الرياض برعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصــل بن خالــد بن عبدالعزيز آل سـعود أمير منطقة عســير ، يوم الخميس (١٤٣٣/١١/٢٥هـ الموافق ٢٠١٢/١٠/١١م) . منح في ذلك التكريم درع الملتقى .

٤- كرم في مؤتمر اتحــاد المؤرخين العرب بالقاهرة لعام (١٤٣٥هـ/٢٠١٣م) ، باعتباره واحــداً من شــوامخ المؤرخين العــرب ، وقد أقيمت احتفالية بهــذا التكريم في فندق دار الدفاع الجوي في مدينة نصــر بالقاهرة يوم الأربعاء (١٤٣٥/١/٣هـ الموافق ٦ نوفمبر /٢٠١٣م) ومنح المكرم درع اتحاد المؤرخين العرب [٢] .

٥- فاز كتاباه : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير)** . الجزء الخامس . **دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١- ق١٠هـ)** . (الجزء الثاني) بجائزة شنان بن عبدالله الزهراني، وبمناســبة هذا الفوز تم تكريم المؤلف في تواصل زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، كان التكريم في مكة المكرمة بقصــر الشــموخ بالشــرائع يوم الخميس (١٤٣٥/١٠/١١هـ الموافق ٢٠١٤/٨/٧م) .

٦- كــرم من قبــل وزارة الثقافة والإعلام في المملكــة العربية الســعودية في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) ، بمناسبة حصوله على جائزة الكتاب في ذلك العام ، عن كتابه : **الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو (إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً) (ق١- ق١٠هـ/ق٧- ق١٦م)** . ومكان وتاريخ التكريم في مركز المعارض بالرياض يوم الأربعاء (١٤٣٦/٥/١٣هـ الموافق ٢٠١٥/٣/٤م) (الساعة الثامنة ليلاً) ٠

٧- تم استضــافته وتكريمــه من قبل الأســتاذ محمد بن عبــدالله المشــوح في ثلوثيته بمدينة الرياض يوم الثلاثاء (١٤٣٦/٨/١هـ الموافق٥/مايو/٢٠١٥م) وكان حديث الضيف(غيثان بــن جريــس) حــول محطاته وإنجازاتــه العلمية خــلال (٣٦) عامــاً. من عــام (١٤٠٠- ١٤٣٦هـ/١٩٨٠- ٢٠١٥م) . في مقر الثلوثية بدار المشوح الساعة (٨ - ١١) مساءً ٠

٨- تم استضافته وتكريمه من قبل رئيس وأعضاء قسم التاريخ والحضارة في كلية العلوم

---

(١) أوراق هــذه الجائزة موثقة في بعض الكتب والدراســات التي صــدرت عن غيثان بــن جريس وكتبه ووثائقه ونشاطاته العلمية .

(٢) وثق هذا التكريم بالصــوت والصــورة ، وبعض صــور التكريم منشــورة في بعض المؤلفات التي صــدرت عن نشاطات غيثان بن جريس العلمية٠

الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يوم الإثنين (١٤٣٧/٤/٢٢هـ الموافق ٢٠١٦/٢/١م) .

٩- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/٨/١٨هـ - ٢٠١٩/٤/٢٣م) .

١٠- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الإثنين (١٤٤٠/١١/١٩هـ الموافق ٢٠١٩/٧/٢٢م) .

١١- زيارة وتكريم مجموعة (**أبها عطاء ووفاء**) لغيثان بن علي بن جريس في منزله بأبها في (١٤٤١/١١/١٧هـ) والموافق ٢٠٢٠/٧/٨م) . وكان برفقهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة[1].

ثالثاً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية .:

١- عضو مركز البحوث بكلية التربية جامعة الملك سعود من عام (١٤١٢-١٤١٧هـ/١٩٩١-١٩٩٦م) .

٢- رئيس قسم التاريخ بكلية التربية ثم بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، وعضو مجلس الكلية من عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) [2].

٣- عضو في لجان عديدة بالكلية (اجتماعية ، وثقافية ، ورياضية ، وعلمية ، وإدارية) .

٤- رئيس تحرير مجلة بيادر منذ بداية عام (١٤١٥هـ) ، ورئيس اللجنة العلمية والطباعة والنشر بنادي أبها الأدبي حتى عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) [3].

٥- عضو لجنة التاريخ والتراث بنادي أبها الأدبي من عام (١٤١١هـ/١٩٩٢) إلى (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) .

٦- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية منذ عام (١٤١٢-١٤٤٣هـ/١٩٩٢-٢٠٢٢م) .

٧- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة منذ عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) وحتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

٨- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي منذ عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) وحتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

---

(١) جميع هذه التكريمات والاستضافات موثقة كتابياً وبالصوت والصورة عند من قام بالاحتفاء بالأستاذ غيثان بن جريس .وبعضها أيضاً موثق رقمياً ومدوناً عند صاحب السيرة .

(٢) أصدر صاحب السيرة رصداً توثيقياً عن قسمي التاريخ في فرعي جامعة الإمام والملك سعود (١٣٩٦-١٤٢٣هـ/١٩٧٦-٢٠٠٢م) ، وهو مطبوع ورقياً وإلكترونياً في (٢٠٨ صفحات) .

(٣) جميع الأعداد التي أشرف غيثان بن جريس على تحريرها موجودة ورقياً في مكتبته وفي مكتبة نادي أبها الأدبي ، ورقمياً في موقع غيثان بن جريس الإلكتروني .

٩- عمل عضــواً وأحياناً رئيســاً لبعض اللجان التي ســاهمت في تنظيم وتنسيق وتنفيذ جائزة أبها للنشــاط الجامعي وبخاصــة في عصــر إمارة الأمير خالد الفيصل على منطقة عسير [١].

١٠- عضــو في اللجنــة الثقافيــة بالتنشــيط الســياحي بمنطقــة عســير منــذ عــام (١٤١٤ــ١٤٢٥هـ/١٩٩٤ـ ٢٠٠٥م).

١١- عضو في مجلس التعليم بمنطقة عسير من تاريخ (١٤١٧/١/٨هـ الموافق ١٩٩٦م) وحتى نهاية العام الدراسي (١٤١٨ـ ١٤١٩هـ(١٩٩٨م) ٠

١٢- عضو في المجلس الاستشاري بكلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر في جامعة الملك خالد من عام (١٤٢١ـ ١٤٢٣/١٩٩٩ـ ٢٠٠٢م) ٠

١٣- المشرف والمؤسس لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية منذ (١٤٢٧/٥/١هـ/٢٠٠٦م) وحتى (١٤٢٨/٤/٣٠هـ/ ٢٠٠٧م) [٢].

رابعاً : بعض المحاضرات العامة :

ألقى غيثان بن جريس العديد من المحاضرات في أغلب الكليات الموجودة في منطقة عسير ، وفي النادي الأدبي بأبها ، والقاعدة الجوية ، والمدينة العسكرية بخميس مشيط ، وبعضــ النوادي الأدبية ، أو الجامعات ، أو مراكز علمية أخرى في المملكة[٣]. ومن تلك المحاضرات ما يلي :

١- محاضــرة في نــادي أبها الأدبي بعنوان : **مــن صور التكافــل الاجتماعي بمنطقة عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية ، في تاريخ (١٤١٢/٤/٨هـ) ٠**

٢- محاضــرة في الموســم الثقافي التاريخي المنظم من قبل قسم التاريخ بكلية التربية بأبها ، تحت عنوان: **ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير قبل وأثناء عهد الملــك عبدالعزيــز بن عبدالرحمن آل سعــود** ، في تاريخ (١٤١٣/٤/٢٠هـ) بقاعة ندوات كلية التربية بأبها (جامعة الملك سعود ـ فرع أبها) ٠

---

(١) تاريــخ منطقة عســير الحديث والمعاصــر في عهد إمارة خالد الفيصــل للمنطقة (١٣٩١ــ ١٤٢٨هـ/١٩٧١ـ ٢٠٠٧م) ٠

(٢) جميع العضــويات المذكورة في المتن موثقة بالعديد من الخطابات والرسائل المتبادلة مع صاحب السيرة ومع الإدارات والمؤسســات العلمية والتعليمية والأكاديمية المعنية لكل عضــوية . والكثير من هذه الوثائق منشورة في كتاب :وثائق غيثان بن جريس الخاصة ، لمحمد بن مُعَبّر (٨ مجلدات) ٠

(٣) هذه نماذج من المحاضرات العامة التي ألقاها غيثان بن جريس . في ملتقيات علمية خلال العقود الماضية ، ومازال هناك الكثير من المحاضرات التي لم تدرج في هذه السيرة ، وقد أصدر كتاب مفصل أرصد فيه كل الأنشطة المنبرية التي قدمت خلال أربعة عقود (١٤٠١ـ ١٤٤٢هـ / ١٩٨١ـ ٢٠٢١م) ٠

٣- محاضـرة بدعوة مـن اللجان الطلابية بالكليـة بعنوان : " الدونمـة بين اليهودية والإسلام" ، على مسرح كلية التربية بأبها في يوم الإثنين (١٤١٢/٨/٢٨هـ) .

٤- شـارك بمحاضرة ضمن أنشطة قسـم علوم الحياة بكلية التربية في أبها بعنوان : **أهميـة النباتـات في الغـذاء والدواء ببـلاد السراة من خـلال بعض كتب التراث الإسلامي ، في الفصل الدراسي الثاني عام (١٤١١ـ ١٤١٢هـ)**.[1] .

٥- محاضـرة في مقـر القيادة العامـة بمجموعة الدفـاع الجوي الرابعـة بالجنوب . خميس مشـيط ، القاعدة الجوية تحت عنوان " **اليهود ومكائدهم خلال القرون الإسلامية المبكرة** ، بتاريخ (١٤١٣/٦/٧هـ) .

٦- محاضـرة ضمن أنشطة اللجنة الثقافية بكلية التربية بعنوان : **كيف نبني ثقافتنا** ، في (١٤١٣/٦/٧هـ).

٧- شـارك بمحاضـرة بدعـوة مـن اللجـان الطلابيـة في كليـة التربيـة بعنـوان : " **المستشرقـون نشاطهم وتطورهم تجاه دراسة التراث الإسلامي**، على مسـرح كلية الطب بأبها في (١٤١٠/٨/١هـ) .

٨- محاضرة في مستشفى عسير عن طريق كلية الطب في أبها بعنوان: " **مهنة الطب في شريعة الإسلام: دراسة وممارسة**، في (١٤١٥/١/٢٥هـ) .

٩- محاضـرة عامـة لطلاب جامعـة الملك سـعود في أبهـا بدعوة من عمـادة القبول والتسجيل في (١٤١٥/٩/١٥هـ) بعنوان: (**غزوة بدر دروس وعبر**).

١٠- محاضرة في نادي أبها الأدبي **تحت عنوان وقفة مع التعليم العام بمنطقة عسير (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤م ـ ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م)** يـوم الثلاثـاء الموافـق (١٤١٥/١٠/٢٧هـ الموافق (١٩٩٥م) .

١١- محاضرة ضمن أنشطة اللجنة الثقافية بكلية التربية في أبها بعنوان : **تاريخ الحياة العلمية في منطقة عسير خلال القرون الإسلامية الأولى** ، يوم الثلاثاء الموافق (١٤١٥/١١/٣هـ (١٩٩٥م) .

١٢- محاضـرة في نادي أبها الأدبي ضمن نشـاطات التنشيط السياحي بعنوان : تاريخ **بـلاد تهامـة والسـراة في صدر الإسلام**، في يوم السـبت الموافـق ١٤١٦/٣/١٩هـ (١٩٩٥م) .

---

(١) جميع المحاضرات الآنف ذكرها في المتن تم نشرها في مجلات علمية وثقافية ، أو في بعض مؤلفات صاحب السيرة .

١٣- محاضــرة في محافظة النماص ضمن نشاطات التنشيط السياحي في يوم السبت الموافق (١٤١٧/٣/١٢هـ(١٩٩٦م) بعنوان : **تاريخ منطقة عسير في صدر الدعوة الإسلامية**..

١٤- محاضــرة في مركز تنومة ببلاد بني شــهر ضمن نشــاطات التنشيط السياحي في يوم الســبت الموافق ١٤١٨/٣/٢٣هـ (١٩٩٧م) بعنوان : **وقفة مع تاريخ تنومة في المراجع والوثائق الحديثة والمعاصرة**[1] .

١٥- محاضــرة خلال الأســبوع الثقافي الذي أقامته عمادة القبول والتســجيل وشــؤون الطلاب بجامعة الملك ســعود . فرع أبها ، خلال الفصــل الدراسي الأول في الفترة الممتدة من (٢٢ــ ١٤١٨/٧/٢٥هـ الموافق ١٩٩٧م. وإلقاء المحاضرة كان يوم الأحد الموافق (١٤١٨/٧/٢٣هـ) ، وعنوانها : **أوراق من تاريخ منطقة عسير خلال عهد الملك عبدالعزيز كما أملاها الشيخ /عبدالله بن عبدالرحمن (ابن الياس)**" .
وقد نشــرت هذه المحاضــرة في مجلة بيادر الصــادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٢) (رمضان /١٤١٨هـ/ (١٩٩٧م) . ص ٥٣ . ٨٥ ٠

١٦- محاضرة في محافظة سراة عبيدة في بلاد قحطان بدعوة من المحافظة وإدارة التعليم هنــاك ، عنوانهــا : **التعليــم في منطقــة عســير في عهــد الملــك عبدالعزيــز**، بمناســبة الاحتفالات المئوية في المملكة، العربية السعودية يوم السبت الموافق (١٤١٩/٨/١٦هـ) ٠

١٧- محاضــرة عامة في كلية المعلمين بأبها حول : **صور من التاريخ الأمني في جنوبي البــلاد السعوديــة في عهــد الملك عبدالعزيــز ، دراسة وثائقية** ، على مســرح كلية المعلمين في يوم الإثنين الموافق ١٤١٩/١٠/١٥هـ(١٩٩٩م) ٠

١٨- محاضــرة ضــمن أنشــطة (جســتن) في منطقــة عســير يــوم الإثنــين الموافــق (١٤١٩/١٠/٢٢هــ (١٩٩٩م) ، بعنوان: **نظرة تحليلية على مسيرة التعليم العام في عسير خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)**٠

١٩- محاضرة عامة في مدينة بيش بمنطقة جازان بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، يوم الأربعاء الموافق ١٤١٩/١١/٨هـ (١٩٩٩م) بعنوان : **منهج الملك عبدالعزيز في الحكم والإدارة**" ٠

---

(١) معظــم هــذه المحاضــرات موثقــة في خطابــات ومدونــات مكتوبــة . وبعضــها تم توثيقهــا بالصــورة والصــوت ، وفي حــوزة غيثــان بــن جريــس بعضــ مــن تلــك المصــادر . كمــا أن صــاحب الســيرة كان لــه نشــاط أكاديمــي وعلمــي وبخاصــة في اللقــاءات والنــدوات و(الســمنارات) أثنــاء دراســته في أمريكا ثم بريطانيا خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وبعضها تم توثيقها في مجلتي المبتعث و الطالــب في تلك البلاد . وللأســف إنني فرطت في توثيقها والاحتفاظ بوثائق ومســتندات لتلك الأنشــطة العلمية من (١٤١٠ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨١ـ١٩٨٩م) ٠

٢٠- شارك في ندوة حفل الافتتاح الذي قدمته جامعة الملك خالد بمناسبة اختيار مدينة الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام (٢٠٠٠م) ، يوم الأحد الموافق (١٤٢٠/١٠/٣٠هـ - ٢٠٠٠/٢/٦م) ، وكانت مشاركته محاضرة بعنوان : **الرياض بين الأمس واليوم** ، مع التركيز على الحقبة التاريخية القديمة لمدينة الرياض . بحضور صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ، أمير منطقة عسير ، ووكيله ، وكذلك معالي مدير جامعة الملك خالد الأستاذ الدكتور/ عبدالله الراشد [1] .

٢١- محاضرة ضمن أنشطة قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية ، جامعة الملك خالد ، خلال الفصل الدراسي الأول (١٤٢١/٧/١٨هـ الموافق ٢٠٠٠/١٠/١٥م) ، بعنوان: **بلاد عسير عند بعض الرحالة الأوربيين خلال القرنين (١٣/١٤هـ - ١٩/٢٠م)** . كما تحدث حول هذا العنوان مع بعض الإضافات الجديدة في اثنينية الأستاذ اللواء المتقاعد/ سعيد أبو ملحة بمدينة أبها في مساء يوم الإثنين (١٤٢١/٨/١٠هـ الموافق ٢٠٠٠/١١/٦م) .

٢٢- محاضرة في محافظة سراة عبيدة في مساء يوم السبت الموافق ١٤٢٢/٩/١٦هـ ، للاحتفاء بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم ، وكان عنوان المحاضرة: **ملامح التطور الحضاري في المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز(١٤٠٢-١٤٢٢هـ/١٩٨٢-٢٠٠٢م)** .

٢٣- محاضرة في قسم العلوم الاجتماعية والإدارية ، جامعة الملك خالد ، يوم الإثنين الموافق (١٤٢٣/٩/٧هـ الموافق ٢٠٠٢/١١/١٢م) بعنوان : **دور العلوم النظرية في الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة ، وبخاصة علم التاريخ (دراسة نقدية تحليلية)** .

٢٤- محاضرة ضمن نشاطات نادي أبها الأدبي بمحافظة خميس مشيط (منطقة عسير) يوم الإثنين الموافق ١٤٢٣/١٠/١٢هـ الموافق ٢٠٠٢/١٢/١٦م ، بعنوان : **لماذا تستهدف المملكة العربية السعودية بدعوة الإرهاب تحديداً منطقة عسير ؟** " .

٢٥- محاضرة في نادي مكة المكرمة الثقافة الأدبي يوم الثلاثاء (١٤٢٣/١٠/٢٠هـ الموافق ٢٠٠٢/١٢/٢٤م) بعنوان: **(صور من الصلات الحضارية بين مكة المكرمة وبلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة)** .

---

(١) معظم هذه المحاضرات والأنشطة العلمية موثقة عند صاحب السيرة ، وعدد من هذه المحاضرات تم نشرها في أوعية علمية متعددة .

٢٦- محاضــرة ضمن نشــاطات قســم العلوم الاجتماعية في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية بجامعة الملك خالد في مســاء يوم الإثنين (١٤٢٤/١٠/٢١هـ الموافــق ٢٠٠٣/١٢/١٥م) . بعنــوان: " **أضواء على مصادر تدويــن تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي** " .

٢٧- محاضــرة في نــادي جــازان الأدبــي يــوم الأربعــاء (١٤٢٤/١٢/٢٠هــ الموافــق ٢٠٠٤/٢/١١م) بعنــوان: **العلاقــات السياسية والحضارية بــين تهامة والحجاز خلال القرون الأولى من عصر الإسلام** " .

٢٨- محاضرة في نادي أبها الأدبي يوم الإثنين (١٤٢٦/٣/١٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٤/٢٥م) ، بعنــوان : **جنوب المملكة العربية السعودية في كتاب مرتفعات الجزيرة العربية لفلبي**. كما قدم ملخصاً لهذه المحاضرة في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة الملك خالد ضمن نشاطات القسم في (١٤٢٥/١١/٩هـ الموافق ٢٠٠٥م) .

٢٩- محاضــرة في نــادي الطائــف الأدبــي بمناســبة الاحتفاء بمكــة المكرمة عاصــمة للثقافة الإســلامية عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) . وكان موعد المحاضــرة يوم الثلاثاء (١٤٢٦/١٢/٢٤هــ الموافــق ٢٠٠٦/١/٢٤م) ، وعنوانهــا: **العلاقــات السياســية والحضارية بين سروات الطائف ومدن الحجاز المقدسة ، (مكة والمدينة) خلال العهود الإسلامية الأولى** .

٣٠- محاضــرة في نــادي الطائــف الأدبــي بعنــوان : **الطائــف في نظــر الجغرافيــين والرحالين الأوائل**. مساء الثلاثاء (١٤٢٧/٦/٨هـ الموافق ٢٠٠٦/٧/٤م) .

٣١- محاضــرة في نادي أبها الأدبي في (١٤٢٧/٦/١٤هـ الموافق ١٠/يوليو/٢٠٠٦م) . وكان عنوان المحاضرة : **الملك الصالح خالد بن عبدالعزيز آل سعود** .

٣٢- محاضــرة في نادي الباحة الأدبي ، خلال الملتقــى الأدبي الأول الذي أقامه النادي في الفــترة الممتــدة مــن الثلاثــاء إلى الخميســ (١٦ـ١٨/١٠/١٤٢٧هــ الموافــق ٧ــ٢٠٠٦/١١/٩م) وعنــوان المحاضــرة: **بــلاد الباحــة (غامــد وزهــران) خلال القــرون الإسلاميــة المبكــرة والوسيطــة** ، كمــا قدم المحاضــرة نفســها مع بعض الإضــافات في حلقة بحث (سمنار) بقسم العلوم الاجتماعية في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإداريــة، بجامعة الملك خالد يوم الإثنين (١٤٢٨/١٠/١٠هـ الموافق ٢٠٠٧/١٠/٢٢م) .

٣٣- محاضرة ضمن أنشطة جامعة الملك خالد العامة بعنــوان : **عسير في قلوب ملوك آل سعــود**، يوم الأحد ١٤٢٧/١١/٢٦هـ الموافــق (٢٠٠٦/١٢/١٧م) . وقدمت هذه

المحاضـرة أيضـاً في اليوم الوطنـي على مسـرح جامعة الملك خالد يـوم الثلاثاء الموافق (٩/١١/١٤٣٣هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠١٢م) .

٣٤- محاضـرة ضمن أنشطة قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد، بعنـوان : **الحوثيون فكرهـم وتاريخهم** . يوم الثلاثـاء (١٢/١/١٤٣١هـ/الموافق ٢٩/١٢/٢٠٠٩/) .

٣٥- محاضرة عامة ضمن نشاطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض يوم الاثنـين (٢٢/٣/١٤٣١هـالموافـق ٨/٣/٢٠١٠م) . بعنوان: **الملايو والإسلام : خصوبة التاريخ وأزمات الحاضر .**

٣٦- محاضـرة في ملتقى بني عمرو بمنطقة عسـير ضـمن التنشـيط السـياحي لعام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، وذلك يوم الأثنين (٢٤/٨/١٤٣٢هـ الموافق ٢٥/٧/٢٠١١م) الساعة (٧-٩ مساءً) . بعنوان: **وقفات وتساؤلات حول بعض القضايا التاريخية القديمة والحديثة في منطقة عسير.**

٣٧- ورقـة في ندوة اليوم الوطني رقـم (٨٣) ، التي أقامتها جامعة الملك خالد في قاعة النـادي الأدبـي بأبها يوم الثلاثـاء (١٨/١١/١٤٣٤هـ الموافـق ٢٤/٩/٢٠١٣م) . بعنوان: **وطن العروبة والإسلام** .

٣٨- محاضـرة ضمن أنشطة قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد بعنـوان: **قـراءة في مسودة كتاب: القول المكتوب في تاريـخ الجنوب، الجزء الثامن** يوم الأربعاء (٢٩/٤/١٤٣٦هـ الموافق ١٨/٢/٢٠١٥م) .

٣٩- محاضرة ضمن أنشطة قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد بعنـوان: " **قـراءة في مسـودة كتـاب : القول المكتـوب في تاريخ الجنـوب. (الجزء التاسع)**. يوم الثلاثاء (٢٦/٢/١٤٣٧هـ الموافق ٨/ديسمبر /٢٠١٥م) .

٤٠- محاضـرة ضـمن نشـاطات قسـم التاريخ والحضـارة في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض يوم الإثنين (٢٢/٤/١٤٣٧هـ الموافـق ١/فبرايـر/٢٠١٦م) . بعنوان: **من تجـارب غيثان بن جريـس في الجمع والتأليف ، والطباعة ، والنشر والتوزيع).**

٤١- محاضرة ضمن أنشطة قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد، بعنـوان: **قـراءة في مسودة كتاب: القول المكتـوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني**

عشر ، يوم الخميس (١٤٣٨/٧/٢هـ الموافق ٣٠/مارس/٢٠١٧م) [١] .

خامساً: أهـم المؤتمـرات ، والنـدوات ، والحـوارات ، والـدورات المحليـة والإقليمية ، والعالمية[٢] :

١- شارك ببحث في مؤتمر: **الحضارة الإسلامية وعالم البحار** ، الذي رتب له ونظمه اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة من (٢٢- ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٤هـ/٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م) وعنوان البحث المقدم: **البحر في كتب التراث الإسلامي: اللغوية والأدبية ، والجغرافية والرحلات ، والتاريخية ، والموسوعات** .

٢- شارك ببحث في مؤتمر: **الصراع بين العرب والاستعمار الأوروبي في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٤٩٨ــ ١٧٩٨م** ، الذي عقده اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة من (٢٥ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ /٢٨ ـــ ٣٠/١١/١٩٩٤م) وعنوان البحث: **جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)** .

٣- قدم بعض المحاضرات وشارك في عدد من الندوات التي قدمت في الجامعتين الأردنية ، والعلوم والتكنولوجيا بالمملكة الأردنية ، خلال مشاركته في الحفل الذي أقامته مؤسسة عبدالحميد شومان في التاريخ الممتد من يوم الأحد الموافق ١٤١٨/٦/٢٥هـ (٢٦/١٠/١٩٩٧م) حتى يوم الجمعة (١٤١٨/٦/٣٠هـ ـــ٣١/١٠/١٩٩٧م) . وهو التاريخ الذي حصل فيه الباحث على جائزة عبدالحميد شومان في العلوم الإنسانية على مستوى العالم العربي . كما أن معظم المحاضرات التي قدمها الباحث تدور حول تاريخ منطقة عسير في العهود الإسلامية المبكرة الوسيطة ، وكذلك خلال التاريخ الحديث ، كما تعرض لبعض القضايا التاريخية التي ناقشت أوضاع المسيحيين في القرن الأفريقي خلال العصور الإسلامية الوسيطة . وجميع هذه المحاضرات كانت من ضمن الأعمال التي قدمت لجائزة عبدالحميد شومان عام (١٩٩٦م) .

٤- قدم محاضرة في مؤتمر المملكة العربية السعودية الذي أقيم في شهر شوال عام(١٤١٩هـ /١٩٩٨م) بالرياض بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس

---

(١) مازال هناك الكثير من المحاضرات التي قدمها غيثان بن جريس في أمكنة عديدة في جنوبي المملكة العربية السعودية ، وقد وثق بعضها ، ومازال البعض الآخر نبحث عن سجلات ووثائق تؤكد عقد تلك النشاطات المنبرية ، وعند جمع كل المصادر الخاصة بهذا الشأن سوف أنشرها في وعاء علمي في هيئة بحث أو كتاب .

(٢) بعض هذه المؤتمرات والندوات وثقت في كتاب : المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧ــ ١٤٤٠هـ/١٩٨٧ــ ٢٠١٨م) للدكتور عوض بن عبدالله بن ناحي (٥٨٤صفحة) . وليست كل المؤتمرات واللقاءات التي شارك فيها غيثان مدونة في هذا الكتاب ، ومازال هناك أنشطة علمية مفقودة مصادرها ، والبحث جارياً في العثور عليها .

المملكة العربية السعودية . وكان عنوان تلك المحاضرة : **ابن إلياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبدالعزيز** (دراسة وتحقيق) ، بتاريخ ١٤١٩/١٠/٨هـ (١٩٩٩م) .

٥- شارك في ندوة عن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل نظمتها إمارة عسير بمناسبة الاحتفال المئوي ، وكانت إقامتها في صالة المعارض بجوار مطار أبها بتاريخ ١٤١٩/١٠/١٤هـ (١٩٩٩م) . وكانت المناهج السياسية والإدارية التي سلكها الملك عبدالعزيز من أهم محاور تلك الندوة .

٦- شارك في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة وعنوانها: **العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ** ، في الفترة من(٨ ـ ١٠شعبان/١٤٢٠هـ ـ ١٦-١٨ نوفمبر/١٩٩٩م) . بعنوان: **إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين** .

٧- شارك في ندوة دراسات الجزيرة العربية المنعقدة في رحاب جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة ما بين (٧-٩/١١/١٤٢٠هـ الموافق ١٣-١٤/٣/٢٠٠٠م) . وهذه الندوة تحت عنوان: **الجزيرة العربية في العصر الأموي**، والبحث المقدم في هذه الندوة تحت عنوان: **بلاد السراة في العصر الأموي .. دراسة لبعض مظاهر الحضارة** . وقد نشر ضمن الأعمال المقدمة في الندوة .

٨- شارك في اللقاء العلمي الثاني لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي عقد في مقر الدارة بمدينة الرياض تحت عنوان: **دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية : تاريخها وآثارها عبر العصور** ، في الفترة من (٢٠-٢٣/١/١٤٢١هـ/٢٥-٢٨/٤/٢٠٠٠م) .

٩- شارك في : **ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية** ، التي عقدت في مقر دارة الملك عبدالعزيز بالرياض تحت عنوان: **بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز** ، في الفترة من (٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٠م) .

١٠- شارك في ندوة : **التعليم العالي في عسير: ربع قرن من الإنجاز والعطاء** ، من (٢- ٣ شعبان١٤٢١هـ ٢-٣ اكتوبر ٢٠٠٠م) وعنوان البحث المقدم هو: **التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، تطوره ، آفاقه المستقبلية** ، كان عقد هذه الندوة في مدينة أبها بجامعة الملك خالد، تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير/خالد الفيصل أمير منطقة عسير.

١١- شارك في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة تحت عنوان: **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** ، في الفترة الممتدة من (٢٥-

١٤٢١/٨/٢٧هـ الموافـق٢١-١١/١٣/١١/٢٠٠٠م) وعنوان البحث المقدم في هذه الندوة هــو: **ملامح النشـاط التجاري في بلاد تهامة والسراة خـلال العصور الإسلامية الوسيطة**" .

١٢- شــارك في مؤتمــر: **العلـوم الاجتماعية وقضايـا المجتمع** ، في رحــاب كلية العلوم الاجتماعيــة بجامعة الكويت في دولة الكويت في الفترة الممتدة من (١٦-١٨ محرم ١٤٢٢هــ الموافــق ١٠-١٢/٤/٢٠٠١م) وعنــوان البحــث المقــدم في هــذا المؤتمر : **التاريخ ودوره في الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة** .

١٣- شارك في اللقاء العلمي الثالث لجمعية التاريخ والآثار بدول الخليج العربي المنعقد في رحاب جامعة السـلطان قابوس بعمان تحت عنوان: **دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية : تاريخها وآثارها عبر العصور** ، وعنوان البحث : **بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز(دراسة تحليلية)** ، في شهر محرم عام (١٤٢٢ه).

١٤- شــارك في ندوة اتحــاد المؤرخين العرب بالقاهــرة تحت عنوان: المراكــز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور، في الفترة الممتدة من (١٣-١٥/٨/١٤٢٢هـ الموافــق ٣٠/١٠-١/١١/٢٠٠١م) وعنــوان البحــث المقدم في هذه النــدوة : **ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** .

١٥- شارك في المؤتمر العالمي الذي عقد في جامعة الملك سعود بالرياض بمناسبة مرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم في الفترة الممتدة من (١٦ـــ ٢٩/٨/١٤٢٢هـ الموافق١١ـــ١٤/١١/٢٠٠١م) . وكان موضــوع البحث الــذي شــارك به بعنــوان: **تطـور التعليـم العـالي في منطقة عسـير خلال عهـد خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود (١٤٠٢-١٤٢٢هـ/١٩٨٢-٢٠٠١م)** .

١٦- شــارك في الندوتين اللتين عقدتهما كل من الجمعية التاريخية السعودية ، وجمعية التاريــخ والآثار بدول مجلس التعاون لــدول الخليج العربية بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض في الفترة من (٢٢- ٢٤/١١/١٤٢٢هـ الموافق ٥- ٧/٢/٢٠٠٢م) .

١٧- قــدم محاضــرة في مدينــة ســراة عبيدة بمنطقــة عســير، بدعوة مــن المحافظة في(١٦/٩/١٤٢٢هـ) ، وذلك بمناســبة احتفاء أهالي ســراة عبيدة بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشــريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم ، وكان عنــوان تلــك المحاضــرة : **ملامح التطـور الحضـاري في المملكـة العربية السعوديـة في عهـد خادم الحرمين الشريفين الملـك فهد بن عبدالعزيز، من عام (١٤٠٢-١٤٢٢هـ الموافق ١٩٨٢-٢٠٠٢م)** .

١٨- حضر وشارك في فعاليات ندوة : **التعليم في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز**، التي أقامتها جامعة الملك خالد بمدينة أبها في الفترة من (١٩ـ٢١/١٢/١٤٢٢هـ الموافق٣ـ٥/٣/٢٠٠٢م) .

١٩- على ضوء دعوة رسمية من معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبالخطاب رقم (١٤٣٠/خ ٢٠ المؤرخ في ٤/١٢/١٤٢٢هـ) ، شارك في فعاليات الندوة العالمية التي أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت عنوان : **جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في خدمة الإسلام والمسلمين** ، في الفترة الممتدة من (٢٧ـ ٢٩ /١٢/١٤٢٢هـ الموافق ١١ ـ١٣/٣/٢٠٠٢م .

٢٠- رشح من قبل صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير للمشاركة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية ١٧) ، بتاريخ ٩/١١/١٤٢٢هـ الموافق ٢٣/١/٢٠٠٢م ، كما شارك مع وفد المهرجان لمقابلة ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ووزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز .

٢١- شارك في اللقاء العلمي الرابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية المنعقد في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة الممتدة من (٣ـ٥ صفر١٤٢٣هـ الموافق ١٦ـ١٨/٤/٢٠٠٢م) . ومشاركته ببحث عنوانه: **صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** .

٢٢- شارك (بترشيح من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير) في اللجنة الرئيسية المشكلة من قبل أمير المنطقة برقم (٤٩٠٩٧) وتاريخ ١٢/٨/١٤٢٢هـ للتعاون مع دارة الملك عبدالعزيز في جمع تاريخ وحضارة وفكر وأدب منطقة عسير .

٢٣- رشح من وزارة التعليم العالي لتقديم محاضرة في دولة الجزائر بمناسبة مرور عشرين عاما على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم ، وعنوان المحاضرة: **التطور الحضاري في المملكة العربية السعودية خلال عهد الفهد . (١٤٠٢ـ١٤٢٢هـ/١٩٨٢ـ٢٠٠٢م)** . بالإضافة إلى المشاركة في بعض النشاطات والندوات التي عقدت في تلك الفترة (٢٥ـ ٢٦/٧/١٤٢٣هـ الموافق٢ـ٣/ اكتوبر٢٠٠٢م).

٢٤- شارك في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، بعنوان: **الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية** ، وعقدت في

الفـتـرة من (١٦-١٨ شـعبان/١٤٢٣هـ/ الموافق٢٢-٢٤ أكتوبـر ٢٠٠٢م) ، وعنوان البحث: **مخلاف جرش في الفترة الأولى من عصر الإسلام: دراسة تاريخية حضارية**" .

٢٥- محاضرة ضـمن ندوة وزارة الصـحة (المديرية العامة للشئون الصحية بمنطقة عسـير) في الفترة من (٢٠- ٢١/٥/١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م) ، عند اختيار أبها لتكون إحـدى المدن الصـحية خلال عـام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . وعنوانهـا : **أبها مدينة المستقبـل (مقترحـات ووجهات نظر)** في يوم الاثنـين الموافق (٢١/٥/١٤٢٤هـ) (٢٠٠٣م) .

٢٦- شـارك بالحضور والمناقشـة في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، التي كانت تحـت عنوان: **البحر الأحمر عبر عصور التاريخ** ، والتي عقدت في الفترة الممتدة من (٥-٦/شعبان/١٤٢٤هـ/ الموافق١-/ ١٠/٢٠٠٣م) .

٢٧- شارك بالحضـور والنقاش في الندوة العالمية الخامسـة لدراسات تاريخ الجزيرة العربيـة ، التي عنوانها : **الجزيرة العربية مـن قيام الدولة العباسية حتى نهاية القـرن الرابـع الهجري** المنعقدة في الرياض بجامعة الملك سـعود. كلية الآداب في الفترة الممتدة من (١٠-١٢/شعبان/ ١٤٢٤هـ/ الموافق ٦-٨/أكتوبر/٢٠٠٣م)

٢٨- شارك في اللقاء العلمي السابع للجمعية التاريخية السعودية المنعقدة في دارة الملك عبدالعزيـز بالرياض خلال الفـترة من (١٨-٢٠ /شـعبان/١٤٢٤هـ/ الموافق١٤- ١٦/أكتوبر/٢٠٠٣م) .

٢٩- شـارك في اللقـاء العلمي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بـدول مجلس التعاون لدول الخليـج العربية المنعقـد في الدوحة بدولة قطر في الفترة من (٦- ٩/ صـفر١٤٢٥هـ الموافق٢٧-٣٠/٣/٢٠٠٤م). ومشـاركته كانـت ببحـث عنوانه : **صور مـن الصلات الحضارية بين مكة المكرمة وبلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** .

٣٠- شارك في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، بعنوان : العالم العربي في الكتابات التاريخيـة المعاصـرة، عقدت في الفـترة الممتدة من (١١- ١٢ شـوال/ ١٤٢٥هـ) الموافـق (٢٤- ٢٥/ نوفمبر/٢٠٠٤م) ، وعنوان البحث : **جنـوب السعودية في كتاب مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي ...(دراسة تاريخية تحليلية)** .

٣١- شارك في الملتقى السادس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في دولة الكويت في يومي الأربعاء والخميس (١١-١٢/٣/ ١٤٢٦هـ/ الموافق/ ٢٠-٢١/٤/٢٠٠٥م) . ومشاركته ببحث عنوانه: " **الصلات الدعوية بين الرسول (ﷺ) وأهل تهامة والسراة (دراسة تاريخية)** .

٣٢- شارك بدعوة رسمية وخطاب رقمه (١/٩٥/م/ج) (وتاريخ ١٤٢٦/٤/٢٩هـ) في الحوار الوطني الخامس الذي أقامه مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني في منطقة عسير لمدة يوم واحد بتاريخ (١٤٢٦/٥/١٥هـ) تحت عنوان : **نحن والآخر رؤية وطنية مشتركة للتعامل مع الثقافات العالمية.**

٣٣- شارك في اللقاء العلمي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، المنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة في الفترة من (٢٠ ـ ٢٣/ربيع الأول / ١٤٢٧هـ/ الموافق (١٨ ـ ٢١/أبريل / ٢٠٠٦م) ومشاركته ببحث عنوانه: **رسائل الإمام الزيدي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (دراسة تاريخية تحليلية) .**

٣٤- شارك في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، التي عنوانها : **تاريخ الوطن العربي عبر العصور (١) التاريخ الاقتصادي** . المنعقدة في الفترة من (٢٤ـ٢٥/١٠/١٤٢٣هـ/١٥ـ١٦/١١/ ٢٠٠٦م) . وعنوان الدراسة: **ميناء القنفذة التجاري خلال مائة عام (١٢٥٠ . ١٣٥٠هـ/١٨٣٤ . ١٩٣١م) (دراسة تاريخية) .**

٣٥- شارك في الندوة العالمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي عقدت في رحاب جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة الممتدة من (٢٨ ـ ١٤٢٧/١٠/٢٩هـ الموافق ١٩ـــ ٢٠٠٦/١١/٢٠م) وعنوان البحث : **بلاد السراة في كتاب : سيرة الأميرين الجليلين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام العياني من عام (٤٥١.٤٥٩هـ/ ١٠٥٩.١٠٦٦م) (دراسة تاريخية تحليلية) .**

٣٦- شارك في الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود ، التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في الرياض في الفترة من السبت إلى الأربعاء (٤- ١٤٢٧/١١/٨هـ/ ٢٢-٢٠٠٦/١١/٢٩م) وعنوان محاضرته : ((**تاريخ التعليم في حاضرة أبها خلال عهد الملك سعود بن عبدالعزيز (١٣٧٣ . ١٣٨٤هـ / ١٩٥٣ . ١٩٦٤م) (دراسة تاريخية) .**

٣٧- شارك في اللقاء الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، المنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين في الفترة الممتدة من (٧ـ ١٤٢٨/٤/١٠هـ الموافق ٢٤ـ ٢٠٠٧/٤/٢٧م) ومشاركته ببحث عنوانه : **تبالة وأهميتها التاريخية خلال القرون الإسلامية الأولى (ق١ـ ق٧هـ/ق٧ ـ ق ١٣م).**

٣٨- شارك في اللقاء العلمي الأول لتاريخ الملك خالد ، الذي عقده كرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد في أبها يوم الثلاثاء (١٤٢٨/٤/٢١هـ الموافق ٧/مايو/٢٠٠٧م) ومشاركته ببحث عنوانه :**مصادر ومراجع تاريخ الملك خالد "دراسة توثيقية" .**

٣٩- شــارك في ندوة اتحــاد المؤرخين العرب بالقاهــرة لعام (٢٠٠٧) خــلال يومي الأربعاء والخميس (٢٦-٢٧شوال /١٤٢٨هـ الموافق (٧-٨نوفمبر/٢٠٠٧م).وكان العنوان العام للندوة: **تاريخ الوطن العربي عبر العصور** (التاريخ الاجتماعي)، ومشــاركة صــاحب السيرة بعنوان: **ملامح التاريخ الاجتماعي في نجران خلال القرن الهجري الأول.**

٤٠- شارك في المؤتمر العالمي الذي عقد في الجامعة الإسلامية العالمية في مدينة كوالالمبور بماليزيــا في الفترة مــن (٧-٩ محرم ١٤٢٩هـ الموافــق (١٦-١٨ ينــاير/٢٠٠٨م). وعنوان المؤتمر العام هو :تنمية المجتمع تحديات وآفاق، ومشاركة صاحب السيرة بعنوان : **دور جامعة الملك خالد في تنمية مجتمع منطقة عسير.**

٤١- شــارك في اللقاء التاسع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربــي المنعقــد في مدينه جدة (المملكــة العربية الســعودية) في الفترة من(١٦-١٩/٤/١٤٢٩ه الموافــق٢٢-٢٥/٤/٢٠٠٨م) ومشــاركته ببحــث عنوانــه: **بيشــة خلال القرون الإسلامية الأولى(دراسة تاريخية حضارية).**

٢٤- شــارك في مهرجان ســوق عكاظ لعام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، الذي أقيم في مدينة الطائــف تحت رعاية خادم الحرمين الشــريفين الملك عبدالله بــن عبدالعزيز آل ســعود في الفــترة مــن (١٨-٢٥/٨/ ١٤٢٩هـ/١٩-٢٦/٨/٢٠٠٨م)والورقة التي شارك بها صاحب السيرة في الندوة التاريخية التي عقدت ضمن جدول المهرجان في مســاء يوم الخميس (١٩/٨/١٤٢٩هــ) ،كانت بعنوان **سوق عكاظ عند بعض المتقدمين والمتأخرين (دراسة تاريخية).**

٤٣- قدم ورقة عمل في ورشــة العمل الخاصــة بمحور(الحج والحرمان في العصــر العباسي الثــاني...) الــذي عقــد في فندق مكــة جراند كــورال بمكة المكرمــة ، ضــمن الإعداد والتحضير لمشروع موسوعة الحج والحرمين الشريفين الذي تقوم دارة الملك عبدالعزيز بالإشــراف عليــه. وكان تاريخ تقديم هــذه الورقة في يوم الأربعــاء (٢٦/١٢/١٤٢٩هـ) الموافــق ٢٤/١٢/٢٠٠٨م) وعنوانهــا: **ما هي الطرق والآليات السليمــة لإخراج دراسة علميــة أكاديميــة ثقافية جيدة؟** واشــتملت هذه الورقة على خمس نقاط رئيســة هي:- (١) العناصــر التــي ينبغــي تناولهــا في هذه الدراســة الخاصــة بهذا المحــور (الحج والحرمان في العصــر العباسي الثاني ...) . (٢) أهم الموضوعات العامة والتفصيلية (للمحــور نفســه). (٣) إبراز الدراســات الســابقة للموضــوع . (٤) أهم الدراســات والمصادر والمراجع.(٥) أسماء المتخصصين الذين يقترح استكتابهم في هذا الموضوع .

٤٤- شــارك في اللقاء العاشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، المنعقد في مدينة أبو ظبي ، بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من

(٤ـ ٦ ربيع الأول عام ١٤٣٠هـ/١ـ٣ مارس/٢٠٠٩م) ، والمشـاركة كانت بعنوان: **الإسلام في نجران في السنة العاشرة للهجرة (دراسة تاريخية حضارية) .**

٤٥- شـارك بورقة عمل في مكتب الإشراف التربوي بخميس مشيط يوم الاثنين الموافق (١٤٣٠/١/٢٣هـ/٢٠/١/ ٢٠٠٩م) بمناسـبة الحفل الذي أقامه أهالي الخميس يوم تأسيس مكتبة الأستاذ/ محمد أنور ، وأهديت من قبل ورثة (محمد أنور) إلى محافظة خميس مشيط .

٤٦- شـارك في اللقـاء الثاني عشـر للجمعيـة التاريخية السـعودية المنعقـد في مدينة أبهـا تحـت عنوان : **تاريخ عسير وحضارتهـا عبر العصـور** ، في الفترة من (١٧ـ ١٤٣٠/٥/١٩هـ الموافـق١٢ـ ٢٠٠٩/٥/١٤م) . ومشـاركته ببحـث عنوانه : **تاريخ سروات عسير (مخلاف جُرش وتبالة) بين المكتوب والمأمول .**

٤٧- حضـر المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية الذي أقامته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ورعاه خادم الحرمين الشـريفين الملـك عبدالله بـن عبدالعزيـز في شـهر ذي الحجة ١٤٣١هـ الموافق نوفمبر٢٠١٠م .

٤٨- شارك في الملتقى العلمي الحادي عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، المنعقد في مدينة المنامة بمملكة البحرين في الفترة من (٦ـ ٩ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق٢٠ـ٢٣ إبريل٢٠١٠م) .

٤٩- شـارك في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). وكان عنوان الندوة : **القدس عبر عصور التاريخ** ،في الفترة الممتدة من (٢٤-١٤٣١/١٢/٢٦هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٣٠م). كانت مشاركته بالنقاش والمداخلات العلمية.

٥٠- شـارك في اللقـاء الثالث عشـر للجمعيـة التاريخية السـعودية المنعقـد في مدينة الرياض تحت عنـوان: **تاريـخ الجزيـرة العربية عـبر عصـر التاريـخ** في الفترة الممتدة من (٢٢-١٤٣٢/١/٢٤هـ الموافق ٢٨-٢٠١٠/١٢/٣٠م) .كانت مشـاركته بالنقاش والمداخلات العلمية.

٥١- شـارك في نشـاطات ومحاضـرات معرض الرياض الـدولي بمدينـة الرياض في الفـترة الممتـدة مـن (٣/٢٨ إلى١٤٣٢/٤/٥هـ الموافـق ٣-٢٠١١/٣/١٠م). وقد أدار ندوة عامة في هذا المعرض بعد صـلاة المغرب يوم الخميس (١٤٣٢/٣/٢٨هـ الموافـق٢٠١١/٣/٣م) بعنـوان: **ملامـح مـن الثقافـة الهندية**. وشـارك في هذه الندوة عدد من الأكاديميين العرب والهنود .

٥٢- شارك في ندوة اتحاد المؤرخين بالقاهرة (٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١١م).وعنوان الندوة: "**تاريخ الوطن العربي عبر العصور :المرأة العربية" عبر عصور التاريخ.** في الفترة من (١٢-١٣ المحرم ١٤٣٣هـ الموافق ٧-٨ ديسمبر ٢٠١١م) . كانت مشاركته بالحضور والمداخلات العلمية.

٥٣- شارك في المؤتمر الدولي الرابع المنعقد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة قناة السويس - مصر في الفترة من (١٣- ١٤ مارس ٢٠١٢م) . وعنوان المؤتمر : **العلاقات العربية الصينية ... التاريخ والحضارة** . وكانت مشاركته بالنقاش والمداخلات العلمية .

٥٤- شارك في اجتماع الجمعية العمومية لجمعية اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، كما شارك في الندوة العلمية المصاحبة لذلك الاجتماع في ٢٨ -٢٩/١/١٤٣٤هـ الموافق ١٢ - ١٣ ديسمبر ٢٠١٢م) . وكان عنوان الندوة : **تاريخ الوطن العربي عبر العصور " التاريخ الحربي عبر عصور التاريخ** . وكانت مشاركة صاحب السيرة بالحضور والمداخلات العلمية ٠

٥٥- شارك في اللقاء الرابع عشر للجمعية التاريخية السعودية المنعقد في المدينة المنورة بمناسبة اختيار المدينة عاصمة الثقافة الإسلامية. وعنوان اللقاء : **تاريخ الجزيرة العربية عبر عصور التاريخ في الفترة الممتدة من (٦-٨/٥/١٤٣٤هـ/ ٢٠١٨/ ٢٠١٣م)** . ومشاركة صاحب السيرة بالنقاش والمداخلات العلمية ٠

٥٦- شارك في المؤتمر العالمي الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة من (٦ -٧/١٤٣٤هـ الموافق ١٦-١٧/٤/٢٠١٣م) تحت عنوان : الوحدة الوطنية ثوابت وقيم . ومشاركته بورقة عمل عنوانها : **أهمية علم التاريخ في رعاية الثوابت الوطنية** ٠

٥٧- مثّل جامعة الملك خالد في الجنادرية عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) وقدم ورقة عمل في إحدى مناشط الجنادرية يوم الأحد (٢٦/٥/١٤٣٤هـ الموافق ٧/٤/٢٠١٣م) ، وعنوان تلك الورقة : **أهمية الموروث الشعبي في جنوبي البلاد السعودية ، وكيفية الحفاظ عليه.** وفي اليوم نفسه أجرت معه القناة الثقافية السعودية بالرياض لقاءً حول الجنادريةٍ في عامها الثامن والعشرين، وكانت تلك المقابلة لمدة ساعة من (٨ – ٩) ليلا ، وجل الحديث دار حول التراث والموروث في الجزيرة العربية وكيفية الاهتمام به ورعايته.

٥٨- شارك في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة لعام (٢٠١٣م) خلال يومي الأربعاء والخميس (٢-٣/١/١٤٣٥هــ الموافق ٦-٧/ نوفمبر/٢٠١٣م) ، وعنوان

المؤتمر العام: **العرب واكتشاف الآخر**. أما عنوان ورقة صاحب السيرة: **العرب والملايويون في القرون الإسلامية الوسيطة (ق٧ - ١٠هـ/ ١٤-١٦م) (دراسة تاريخية)**.

٥٩- شارك في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في يومي الأربعاء والخميس (٥-٦/المحرم/١٤٣٦هـ الموافق ٢٩ – ٣٠أكتوبر/٢٠١٤م). وعنوان المؤتمر: **العلاقات بين العرب ودول وسط وجنوب آسيا عبر عصور التاريخ**. ومشاركة صاحب السيرة هو: **دور الدعاة العلويين في نشر الإسلام في إندونيسيا وما جاورها (ق٧ – ٩هـ/ق١٣ – ١٥م) (دراسة تاريخية حضارية)**.

٦٠- شارك في اللقاء العلمي الخامس عشر للجمعية التاريخية السعودية المنعقد في جازان عام(١٤٣٦/ /٢٠١٥م). وعنوان مشاركة الباحث: **ممالح جازان عامي (١٣٥٩هـ، ١٣٦٠هـ /١٩٤٠م-١٩٤١م) (دراسة تاريخية وثائقية)**. وموعد انعقاد هذه اللقاء من (١٢-١٤/٥/١٤٣٦هـ الموافق ٣-٥ مارس/٢٠١٦م).

٦١- شارك في معرض الرياض الدولي، ببيع وعرض بعض مؤلفاته في جناح المؤلفين السعوديين في المعرض خلال الأعوام التالية (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)، (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

٦٢- شارك في المؤتمر العالمي الثاني لتاريخ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود المنعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض يومي الأربعاء والخميس(٢٠-٢١/٥/١٤٣٦هـ الموافق ١١-١٢مارس٢٠١٥م).وقام بإدارة إحدى الجلسات بالإضافة إلى نقاشات ومداخلات في جلسات أخرى.

٦٣- شارك في الملتقى العلمي السادس عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، المنعقد في مدينة المنامة. بمملكة البحرين في الفترة من (٩-١٢/ رجب / ١٤٣٦هـ الموافق ٢٨إبريل- ١مايو /٢٠١٥م). وكان عنوان الملتقى: **(دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية) (تاريخها وآثارها عبر العصور)**. ومشاركة صاحب السيرة الحضور والنقاش والمداخلات العلمية).

٦٤- شارك في دورة القياس والتقويم التي عُقدت في مدينة اسطنبول التركية لمدة سبعة أيام ابتداءً من يوم الأحد إلى السبت (١٠-١٦شوال/١٤٣٦هـ الموافق ٢٦يوليو(إلى) ١/أغسطس/٢٠١٥م). وكان برفقته في هذه الدورة حوالي ثلاثين عضو هيئة تدريس بجامعة الملك خالد.

٦٥- حضر مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة يومي الأربعاء والخميس(١٩-٢٠/

صــفر/١٤٣٧هـ الموافق ٢ـ٣/ ديســمبر/٢٠١٥م). وعنوان ذلــك المؤتمر: **العرب والبحر عبر عصور التاريخ**. كما شــارك صــاحب الســيرة ببحث عنوانه: **البحر والعرب في كتب اللغة ، والجغرافيا ، (دراسة تاريخية)** .

٦٦- شــارك في اللقاء السادس عشــر للجمعية التاريخية السعودية الذي عقد في مدينة عرعر في رحاب جامعة الحدود الشــمالية في الفــترة (١٥ـ١٧/٥/١٤٣٧هـ الموافق ٢٤ـ٢٦ /٢/٢٠١٦م). وكان عنوان هذا اللقاء: **شمال الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ** . ومشاركة صاحب السيرة الحضور والمداخلات في أوراق اللقاء المختلفة ٠

٦٧- شارك في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة يومي الأربعاء والخميس (٢٩ـ٣٠/ربيع الأول /١٤٣٨هـ الموافق ٢٨ـ٢٩/ديســمبر/٢٠١٦م). وعنوان المؤتمر: **نظم الحكم والإدارة عبر عصور التاريخ** .شارك صاحب السيرة بالحضور والمداخلات والنقاشات العلمية ٠

٦٨- شــارك في لقاء الجمعية التاريخية السعودية الموسوم بـ: **حائل عبر العصور**، الذي عقد في جامعة حائل في الفترة الممتدة من (الثلاثاء ١٥ـ إلى الخميس ١٧/٦/١٤٣٨هـ الموافق ١٤ـ١٦/٣/٢٠١٧م). كانت مشاركته بالحضور والنقاشات على عدد من محاور اللقاء ٠

٦٩- حضــر معرضــ الرياض الــدولي الذي عقــد في الرياض في الفترة مــن (٩ـ١٩/٦/١٤٣٨هــ الموافــق ٨ـ١٨/٣/٢٠١٧م) . وشــارك ببعضــ مؤلفاتــه في جنــاح المؤلفين السعوديين ٠

٧٠- شــارك في الملتقــى العلمــي الثامن عشــر لجمعيــة التاريــخ والآثار بــدول مجلس التعــاون لدول الخليــج العربي المنعقد في جامعة الجوف (ســكاكا منطقة الجوف ــ المملكــة العربية الســعودة) في الفترة مــن ٢٢ـ٢٤/٦/١٤٣٨هــ الموافق٢١ـ٢٣/ مارس/٢٠١٧م). وعنوان هذا الملتقى: **دول الخليج عبر أطوار التاريخ** ٠

٧١- **شــارك في المؤتمــر العالمــي الأول لتاريخ العلــوم التطبيقية والطبيــة عند العرب** ، الــذي عقد في جامعة الإمام محمد بن ســعود الإســلامية في الرياض في الفترة الممتدة من (٦ـ ٨/ شعبان/١٤٣٨هـ الموافق ٢ـ ٤ /مايو/٢٠١٧م) . وكانت مشاركته بالحضور والنقاش ، وإدارة إحدى الجلسات ٠

٧٢- وصــله دعوة من معرض الرياض الدولي المنعقد في الفترة (٢٦/٦ـ ٦/٧/١٤٣٩هـ الموافق ١٤ـ٢٣/مارس/٢٠١٨م). شــارك في نشــاطات المعرض الثقافية ، وشارك أيضاً ببعض مؤلفاته في جناح المؤلفين السعوديين ، وجناح جامعة الملك خالد ٠

٧٣- شارك في الملتقى العلمي التاسع عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لــدول الخليــج العربيــة المنعقــد في جامعــة الكويت بدولــة الكويــت في الفترة من

(٩-١٠/٨/ ١٤٣٩هـ الموافق ٢٥-١٦/أبريل/٢٠١٨م). وعنوان هذا الملتقى: دول الخليج عبر أطوار التاريخ .

٧٤- شارك في اللقاء التشاوري لفرع الجمعية التاريخية السعودية في عسير، وقسم التاريخ بجامعة الملك خالد . وعنوان ذلك اللقاء : **التاريخ الوطني من التعليم العام إلى التعليم الجامعي في ضوء رؤية (٢٠٣٠)**.وعنوان مشاركة صاحب السيرة: **التاريخ والوطن (من التجارب الشخصية)**. ومكان وتاريخ اللقاء جامعة الملك خالد (أبها) يوم الخميس(٥/٧/١٤٣٩هـ الموافق٢٢/مارس/ ٢٠١٨م) (الساعة ٩-١٢).

٧٥- شارك في لقاء الجمعية التاريخية السعودية (فرع عسير) الذي عقد في محافظة النماص تحت عنوان: **بلاد الحجر في التاريخ والآثار** ، وعنوان الورقة المقدمة في هذه الندوة هو: **هل نالت بلاد الحجر حقها من البحث والتوثيق؟** في يومي الأربعاء والخميس(٣-٤/١٢/١٤٤١هـ الموافق٢-٣/أكتوبر/٢٠١٩م) .

٧٦- حضر وشارك في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة في الفترة من (٢-٣/ ربيع الأول/١٤٤١هـ الموافق ٣٠-٣١/أكتوبر/٢٠١٩م). وعنوان المؤتمر: **الوطن العربي في كتابات: الرحالة والجغرافيين .**

سادساً : الإنتاج العلمي :

أ- الكتب المطبوعة والمنشورة من تأليف صاحب السيرة وإعداده :

١- **افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية** .(جدة — دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، أربع طبعات، أولى وثانية وثالثة ورابعة، (والطبعة الأولى من منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م). (٨٠ صفحة).

٢- **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** (أبها: مطابع مازن، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .(الطبعة الأولى). (١٩٢صفحة) .

٣- **بلاد بني شهر عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)**. تم إضافة أكثر من (٤٠٠) صفحة على الطبعة الأولى التي صدرت عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). (الطبعة الثانية) (٥٥١ صفحة) . وفي عام(١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) تم إعادة طباعة هذا الكتاب (الطبعة الثالثة) وهي مزيدة ومنقحة .(٥٥٦صفحة) . كما أعيدت الطبعة الرابعة ، وعليها إضافة جديدة وجيدة. (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) (٥٧٦صفحة).

٤- **صفحات من تاريخ عسير**، الجزء الأول (جدة ، دار البلاد للطبع والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) (طبعتان أولى وثانية) . (١٩١ صفحة) ٠

٥- **صفحات من تاريخ عسير**. (الرياض: مطابع العبيكان،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، الجزءان : الأول، والثاني ، في مجلد واحد . (الطبعة الأولى) (٤٧٥ صفحة) . وقد أعيدت طباعته في (الرياض: مطابع الحميضي،١٤٣٤- ١٤٣٥هـ/٢٠١٣ – ٢٠١٤م).(الطبعة الثانية) (٤٨٠صفحة) .

٦- **بحوث في التاريخ والحضارة الاسلامية**، الجزء الأول ، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، رئيس اتحاد المؤرخين العرب (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) (الطبعة الأولى). الجزء الأول . (٣٣٤صفحة)٠

٧- **عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م)** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) ٠ (الطبعة الأولى) (٢٥٥صفحة) .

٨- **تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)** ، (جدة:دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) (الطبعة الأولى). الجزء الأول. (٣٤٨صفحة)٠

٩- **الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري** دراسة نشرت في هيئة كتيب بمركز بحوث كلية التربية بأبها وتم تصويره وتجليده في مطابع جامعة الملك سعود بالرياض(عام ١٤١٦هـ /١٩٩٥م) (الطبعة الأولى) (٥٢ صفحة) .

١٠- **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)**٠(الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م) (الطبعة الأولى)، كما أعيد طبعه للمرة الثانية (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)٠(طبعتان أولى وثانية) (٥٨٤صفحة) .

١١- **الأقليات الإسلامية في العالم (١) أفريقيا. الجزء الأول**٠ (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / السر سيد أحمد العراقي)٠وقد أخرجت الطبعة الثانية في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)٠كما أعيدت طباعته بمطابع العبيكان في الرياض ، خلال عام (١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م) . (ثلاث طبعات) (٢٠٦ صفحات) .

١٢- **بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية الجزء الثاني**.(الإسكندرية: دار السماح للطباعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) (الطبعة الأولى). الجزء الأول . (٤١٨صفحة) ٠

١٣- **عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) ٠ (الطبعة الأولى) (٢٠٩ صفحة) .

١٤- **دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ٠ (الطبعة الأولى) (٣٢٦ صفحة) .

١٥- **دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) الجزءان الأول والثاني في مجلد واحد . (الطبعة الثانية) . (٦٥٦صفحة) .

١٦- **بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر** (جدة:دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ٠ (الطبعة الأولى) (٤٤٤ صفحة) .

١٧- **تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز(١٤٠٢-١٤٢٢هـ / ١٩٨٢-٢٠٠٢م)**. تم طباعته ونشره على نفقة وزارة التعليم العالي وجامعة الملك خالد ، بمطابع جامعة الملك سعود بالرياض ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م)، وأعيدت طباعته عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (جدة : وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . (طبعتين أولى وثانية) (٤٥١ صفحة) .

١٨- **دراسة عن قسمي التاريخ بفرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها (١٣٩٦-١٤٢٣هـ /١٩٧٦-٢٠٠٢م) (النشأة – التطور – الإلغاء)** (جدة : وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) (الطبعة الأولى) . (٢٠٥صفحة) ٠

١٩- **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة(ق١هـ ق١٠هـ/ ق٧م – ق١٦م)** الجزء الأول (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . الجزء الأول (الطبعة الأولى) . (٤٣٧صفحة) .

٢٠- **نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١هـ-ق٤هـ /ق٧.ق١٠م)**. (الجزء الأول) (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). (الطبعة الأولى).الجزء الأول(٥٣١ صفحة). أعيدت طباعة هذا الكتاب مع بعض الإضافات والتصويبات المنهجية والعلمية الأكاديمية (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). (الطبعة الثانية). (٥٦٢صفحة) ٠

٢١- **دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري /السابع الميلادي إلى**

السادس عشـر الميـلادي .(مكة المكرمــة : مطبوعات نادي مكـة الثقافي الأدبي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) . (الطبعة الأولى) (٣٥١صفحة) ٠

٢٢- **القـول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسـير أنموذجاً)** (الرياض: مطابع العبيكان ، ١٤٢٦هــ/ ٢٠٠٥م) . (الطبعــة الأولى).الجزء الأول (٥٦٧ صــفحة) .والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٦٣صفحة) ٠

٢٣- **دراسـات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلاميـة** (جازان : نادي جازان الأدبي ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) . (الطبعة الأولى) (٢٠٨ صفحة) .

٢٤- **الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو (إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً) (ق١.ق١٠هـ/ ق٧.ق١٦م) (دراسـة تاريخيـة حضاريـة)**. (الرياض: مطابع الحميضــي،١٤٣٠ـ ١٤٣١هـ/٢٠٠٩ـ٢٠١٠م) . (الطبعة الأولى) (٤٨٥ صــفحة). وقد أعيدت طباعته في (الرياض: مطابع الحميضي،١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) (٤٨٦ صفحة).

٢٥- **مـن رواد التربيـة والتعليـم في المملكـة العربية السعودية: محمـد أحمد (أنور) (دراسـات، وشهادات، ووثائق)** . الرياض: مطابع الحميضــي،١٤٣١هـ/٢٠١٠م). (الطبعــة الأولى) (٦٠٦ صــفحة) .كمــا أعيدت طباعة هذا الكتــاب طبعة مزيدة منقحة في الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) (٥٩٠صفحة) .

٢٦- **دراسـات في تاريـخ تهامـة والسراة خلال القـرون الإسلامية المبكـرة والوسيطة (ق١.ق١٠هـ/ق٧.ق١٦م). المسمى تاريخ الجنوب (الباحة وعسير، جازان ونجران)** . (الرياض: مطابع الحميضــي، (١٤٣١ـ ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠ ـ ٢٠١١م) . (الطبعة الأولى).الجزء الثاني . (٦١٩ صفحة) .

٢٧- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة)**. (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هــ/٢٠١١م). (الطبعــة الأولى) .الجزء الثاني.(٥٢٥صــفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م)٠ (٥٧٣صفحة)٠

٢٨- **بـلاد القنفـذة خلال خمسة قـرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-٢١م) (دراسـة تاريخية حضارية)** (الرياض : مطابع الحميضي ،١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ٠ (الطبعة الأولى) . (٥٢٧ صفحة)والطبعة الثانية عام (١٤٤٣هـ /٢٠٢٢م) (٥٦٨صفحة) .

٢٩- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران)**. (الرياض: مطابع الحميضــي ،١٤٣٢هـ-١٤٣٣هــ / ٢٠١١-٢٠١٢م) . (الطبعــة الأولى) .الجزء الثالث. (٦٢٥ صــفحة) . والطبعة الثانيــة عــام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)أعادت جامعــة الملك خالد طباعته (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٦٧صفحة) ٠

٣٠- **عبدالوهاب أبو ملحة في جنوبي البلاد السعودية (١٣٤٠-١٣٧٤هـ/١٩٢٠-١٩٥٤م) (دراسة تاريخية وثائقية).** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . (الطبعة الأولى) .(٥٩٤صفحة). وفي عام (١٤٣٥هـ) أجرى عليه بعض التصويبات والإضافات ثم أعيدت طباعته. (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) (الطبعة الثانية) (٥٩٤صفحة) .

٣١- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير وجازان والقنفذة).** (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م). (الطبعة الأولى). الجزء الرابع .(٥٧٤ صفحة). والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٣٥صفحة) ٠

٣٢- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) .**(الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الأولى) . الجزء الخامس (٦١٦ صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٥١صفحة)٠

٣٣- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (جازان، وعسير، ونجران) .** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) .(الجزء السادس) (٥٥٠صفحة) والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٥٨صفحة) ٠

٣٤- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، وعسير ، ونجران) .** (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م) . (الجزء السابع) . (٥٤٦صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٤٣صفحة) ٠

٣٥- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة، وعسير، ونجران).** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) الجزء الثامن (٥٢٥صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٥٠صفحة) ٠

٣٦- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، نجران، جازان، رنية ، تربة، الخرمة)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) (الجزء التاسع) (٥٧٦صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م) (٥٥٠صفحة) ٠

٣٧- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة، ونجران، وعسير) .**(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م) (الجزء العاشر) . (٥٧٥ صفحة) . الطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م) (٥٣٤صفحة) ٠

٣٨- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير).**(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م). (الجزء الحادي عشر).(٥٧٥ صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٧٣صفحة) ٠

٣٩- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة)** (الرياض:مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م).(الجزء الثاني عشر).(٥٨٠ صفحة). الطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٧٨صفحة) ٠

٤٠- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب)** (الرياض: مطابع الحميضي،١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م) (الجزء الثالث عشر) (٥٨٦صفحة). والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٧٨صفحة) ٠

٤١- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب أجزاء من الحجاز واليمن وما بينهما)** . (الرياض: مطابع الحميضي،١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الرابع عشر) (٥٨٠صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٨١صفحة) ٠

٤٢- **منطقة الباحة (دراسات، وإضافات، وتعليقات) (ق١٥.٢هـ/ق٢١٨م).** (الرياض: مطابع الحميضى، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) . (الجزء الأول). (٥٣٤صفحة).

٤٣- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (نجران وعسير وغيرهما) .** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م) (الجزء الخامس عشر) . (٥٩١صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٨٨صفحة) ٠

٤٤- **منطقة نجران : دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام.ق١٥هـ/ق١.ق٢١م)** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م) (الجزء الأول) (٥٩٢صفحة).

٤٥- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (جازان والسروات وما حولها)** .(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤١١هـ/٢٠٢٠م) (الجزء السادس عشر) .(٦٠٠صفحة) . والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٩٦صفحة) ٠

٤٦- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (دراسات في جازان ، وعسير ، ونجران) .** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) . (الجزء السابع عشر) .(٥٩٢صفحة). والطبعة الثانية عام (١٤٤٢هـ /٢٠٢٠م) (٥٩٧صفحة) ٠

٤٧- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب: موسوعة تاريخية حضارية (ق١.ق١٥هـ/ق٧.ق٢١م).** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) . (الجزء الثامن عشر) (٥٩٠صفحة) .

٤٨- **منطقة جازان : دراسات ، وإضافات ، وتعليقات (من قبل الإسلام - ق١٥هـ/ق١- ق٢١م.** (الرياض : مطبعة الحميضي/ ١٤٤٢هـ /٢٠٢٠م) (الجزء الأول) (٥٥٢ صفحة) ٠

٤٩- **منطقة جازان : دراسات ، وإضافات ، وتعليقات (ق١٤- ق١٥هـ/ ق٢٠- ق٢١م)** (الرياض: مطبعة الحميضي،١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) .(الجزء الثاني). (٥٥٢صفحة) ٠

٥٠- القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب : موسوعة تاريخيـة حضارية (ق١ـ ق١٥هـ/ ق٧ ـ ق٢١م) (١٧ جـزء / طبعـة ثانيـة) (مطبوعـات جامعـة الملـك خالـد ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (الأجزاء من (١ـ ١٧) .

٥١- القـول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م) . (الرياضـ: مطابـع الحميضـي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . (الجزء التاسـع عشر) (٥٩٦صفحة) .

٥٢- القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية (من قبل الإسلام ـ ق١٥هـ/ق١ـ ق٢١م) . (الرياض: مطابع الحميضـي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . (الجزء العشرون) (٦٠٠ صفحة) .

٥٣- القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية (من قبل الإسلام ـ ق١٥هـ/ق٦ـ ق٢١م). (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . (الجزء الحادي والعشرون) (٥٩٦صفحة) .

٥٤- القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية (من قبل الإسلام ـ ق١٥هـ/ق٦ ـ ق٢١م). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء الثاني والعشرون) . (٥٩٢صفحة) .

٥٥- مراجعـات تاريخية ومقاربات نقدية في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية . (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء الأول) . (٥٨٤صفحة) .

٥٦- مراجعـات تاريخيـة ومقاربـات نقديـة في تاريـخ وحضـارة جنوبـي البـلاد السعودية .(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء الثاني). (٥٩٢صفحة) .

٥٧- القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء الثالث والعشرون) . (٦٠٠صفحة) .

٥٨- جامعة الملك خالد (١٤١٩ـ١٤٤٢هـ/١٩٩٨ـ٢٠٢١م)(دراسات توثيقية) (الرياض : مطابع الحميضي ،١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) (٥٥٨ صفحة) . (الجزء الأول) (الدراسات) .

٥٩- جامعة الملك خالد (١٤١٩ـ١٤٤٢هـ/١٩٩٨ـ٢٠٢١م) (دراسات توثيقية) (الرياض : مطابع الحميضي ،١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) (٥٥٢ صفحة) (الجزء الثاني) (الشهادات) .

٦٠- القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب (موسوعـة تاريخيـة حضاريـة) (مـن قبل الإسـلام – ق١٥هـ / ق٤ – ق ٢١م) ، (الرياض : مطابع الحميضـي ، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) الجزء الرابع والعشرون) (٥٩٢صفحة) .

٦١- **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب (موسوعـة تاريخيـة حضاريـة (ق١-ق١٥هـ/ ق٧-ق٢١م)** (الرياض: مطابع الحميضـي، ١٤٤٣هــ/٢٠٢٢م). (الجزء الخامس والعشرون)، (٦٠٠ صفحة).

٦٢- **تاريـخ عسـير الحديـث في رسائل محمد أنـور وإبراهيم فائـع** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م). (٤٨٠ صفحة).

ب ـ تحقيقات وتقديم ومراجعات كتب ومجلات وغيرها :

١- دراسـة وتحقيق: **مذكرة الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن بن إلياس حول تاريخ عسـير وأجـزاء مـن جنوبي المملكة العربيـة السعودية** ، ثم نشـرت عام ١٤١٨هـ /١٩٩٧م . (٥٠صفحة) ٠

٢- راجـع وقـدم : **المعجم الجغرافي للبـلاد العربيـة السعودية (منطقة عسـير)** . (١٤١٧ ـ١٤١٨هــ) .للأسـتاذ / علـي بـن إبراهيـم بـن ناصـر الحربـي .(ثلاث مجلـدات). (١٨١٧صفحة) ٠

٣- شـارك في المراجعـة التاريخيـة النهائيـة في الأطلـس التاريخي للمملكـة العربية السـعودية الذي قام بإعـداده وتنفيذه وطباعته دارة الملك عبـد العزيز (الطبعة الأولى ١٤١٩هــ/١٩٩٨م)، و (الطبعـة الثانيـة ١٤٢١هــ/٢٠٠٠م) . انظر هيئة إعداد وتنفيذ الطبعة الثانية). ص ١٢ـ١٣ .

٤- راجع وحقق وقدم لكتاب : **مرتفعات الجزيرة العربية** . لهاري سـانت جون فيلبي (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م). (مجلدان) . (١٤٤٩صفحة) ٠

٥- راجـع وحقق وقـدم لكتاب: **جزيرة العـرب الوهابيين** . لهاري سـانت جو فيلبي . (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) ٠ (صفحة) ٠

٦- **تـولى رئاسـة تحرير مجلـة بيادر الصادرة من نـادي أبها الأدبـي** ، وكتب مقدمة أعدادها من عام ١٤١٥ ـ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٥ ـ ١٩٩٩م) . (عشرة أعداد) ٠

٧- **تولى رئاسة تحرير كتاب :عسير تاريخ وحضارة** . وهو مجموعة دراسات علمية قُدمت في اللقاء الثاني عشـر للجمعية التاريخية السـعودية الذي عُقد في مدينة أبها (منطقة عسير) في (١٧-١٩/٥/١٤٣٠هـ الموافق ١٢-١٤/٥/٢٠٠٩م). (٣١٦ صفحة) ٠

٨- راجـع وقـدم كتاب: **الشيـخ سعيد بن عبـد العزيز بـن مشيط شيخ شمـل قبائل شهـران (وابنـه عبدالعزيـز) في ذاكـرة التاريخ** . (الرياض : مطابع الحميضـي ، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م) (٥٩٦صفحة)٠

ج- البحوث والدراسات المنشورة :

١- "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة، ربيع الآخر والجماديان (١٤١٤هـ)، العدد الثالث، السنة (١٩)، (ص٧٦-١١١). كما أعيد نشره مع بعض الإضافات في **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**، عدد (٢٧) جمادى الأولى، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، (ص١٤-٤٤).

٢- "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" **مجلة العرب** (جـ٩-١٠) سنة (٢٧) (الربيعان) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، (ص٦٠٧-٦٢٤).

٣- " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس (١٩٩٤م)، (ص٧٣-١٠٠). وقد أعيد نشره مع بعض الإضافات في **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**، عدد (٢٩) (محرم / ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، (ص٦٣-٩٤).

٤- "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" **مجلة العصور** مج٩، جـ١، (رجب ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، (ص٦٣-٧٨). وقد أعيد نشره مع بعض الإضافات في **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**، عدد (٢٤) (ربيع الثاني /١٤١٩هـ)، (ص٦٦-١٠٠).

٥- "بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة" **مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية**، المجلد (٣٨) لعام ١٩٩١- ١٩٩٥م، (ص٤١-٦٥). وقد أضيف معلومات جديدة على هذه الدراسة، ثم أعيد نشرها في **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**، عدد (٣١) (رمضان / ١٤٢١هـ /٢٠٠٢م)، (ص١٧-٤٧).

٦- "أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٥٨هـ /٧٧٤م - ١٦٩هـ /٧٨٥م)" **مجلة الدارة** (رجب، وشعبان، ورمضان، ١٤١١هـ) العدد الرابع، سنة (١٦)، (ص١١٣-١٢٩).

٧- "الأوضاع السياسية والحضارة في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هـ / ٧٥٣م - ١٥٨هـ /٧٧٤م)"، **منشور ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، القاهرة، رقم السلسلة (٩٦).** (١٤١١هـ /١٩٩١م)، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في **مجلة العرب**، على جزئين في العددين المتتالين (رجب وشعبان) و (رمضان وشوال) ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، سنة (٢٩) من ص (٥١-٦٣) ثم في الجزء الآخر من ص(١٧٥-١٨٤).

٨- "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام" **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**. العدد الثامن. (رجب

١٤١٣هـ/١٩٩٣م) (ص٤١٢-٤٣٣) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب ، على جزئـين في العددين المتتالـين (ذو القعدة وذو الحجـة ، ١٤١٤ه / ١٩٩٤م) (ص٣١١-٣٢٤) ، و(محرم وصفر ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، سنة (٢٩) ، (ص٤١١-٤٥٠) ٠

٩- "تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس" **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ،العدد السـادس (المحرم ١٤١٣هـ /١٩٩٢م) (صـ٥٨٨-٦٠٩) ، وقـد أعيد نشـرها في **مجلة المنهـل**، العدد (٥١٢) (شـعبان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، (ص٨٢-٩٠) ٠

١٠- "صـور من تطور نظام العيون (الاسـتخبارات) خلال القرون الإسلامية المبكرة" **منشـورة ضمـن سلسلـة دراسات مركز بحـوث الشرق الأوسـط بالقاهرة ، ورقم السلسلـة (٨٩).** (١٤١١هــ/١٩٩١م) ، ثـم أعيـد نشـر هـذه الدراسـة مع بعض الإضـافات في مجلة المنهـل العدد (٥١٦) عام (٦٠) المحـرم ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ، (ص٦٦- ٧٥)٠

١١- "صـور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسـلام حتى قيام دولة بنـي العباس". **مجلة الدارة**، العدد الأول ، السنة (١٨) (شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، ١٤١٢هـ) ، (ص٨٤-١٠١) ٠

١٢- "الطـرق التجاريـة البرية والبحرية المؤدية إلى الحجـاز" . مجلة العرب ، جـ٧ و٨ سنة (٢٦) (محرم وصفر/١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ، (ص ٤٤٧ ـ ٤٦٢) .

١٣- "أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة". **مجلة المنهل**، العدد (٤٩٢)، مج٥٣ ،جمادى الأول والآخر ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، (ص٨٢-٩٦) ٠

١٤- "مواقف خلفاء بني العباس الخيريـة تجاه أهل الحجاز" (١٣٢-٢٣٢هـ) . **مجلة المنهل** ، العدد (٤٩٧) ، مج ٥٤ ، (المحرم ١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ، (ص٨٢-٨٨) ٠

١٥- "علمـاء الحجـاز وعلاقتهـم بخلفـاء بنـي العباسـ (١٣٢ –٢٣٢هــ/٧٤٩-٨٤٦م)." **مجلة المنهل**، العدد (٥١٠) ،مج (٥٥) جمادى الآخرة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) (ص٥٠-٥٦) . وسـبق أن نشـرت في نفس **مجلة المنهل** العـدد(٥٠٢) مج (٥٤) ، (شعبان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، (ص٢٥- ٣٠)٠

١٦- "أهـم الملابسـ العربية خلال العهود الإسـلامية الأولى" . **مجلة المنهـل** ، العدد (٤٩٨) ، مج٥٤ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، (ص٧٨-٩٥) ٠

١٧- "العرب في مقديشـو وأثرهم في الحياتين السياسـية والثقافية في ظل الإسلام" . **مجلة المـؤرخ العربـي** ، العـدد الأول، المجلـد الأول ، مارسـ (١٩٩٣م) (صـ ١٢٨-١٥٨) ٠ ثم أعيـد نشـرها مع التطوير والإضـافة في **مجلـة المنهل** ، عدد (٥١٤) مج٥٥ ، شـوال ، ذو

القعدة (١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ص٤٨-٥٩ ، كما أضيف عليها بعض التفصيلات والتعديلات ونشــرت في **مجلة العرب** ،جـ٣، ٤ ، سـنة (٣٠) (رمضـان ،شـوال) ١٤١٥هـ، (١٩٩٥م)، (ص١٨٥-٢٠٥) ٠

١٨- "المدينة المنورة .... ورقات من ذاكرة التاريخ ١٣٢-١٦٩هـ" . **مجلة المنهل** (العدد السنوي الخاص) عدد (٤٩٩) مج ٥٤ (الربيعان / ١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ، (ص١١٢-١٢٠) ٠

١٩- "القدس الشريف خلال القرون الإسلامية المبكرة ." **مجلة المنهل** (العدد السنوي الخاص) عدد (٥٠٨) مج ٥٥ (الربيعان / ١٤١٤هـ /١٩٩٣م) ، (ص٤٠-٤٥) ٠

٢٠- "الإمـارة في الحجاز خلال العصـر العباسـي الأول ١٣٢-٢٣٢هــ / ٧٤٩-٨٤٦م" مقالة نشـرت باللغة الإنجليزية في **مجلة العصور** ، المجلد السـابع ، الجزء الأول (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، (ص ١٣ ـ ٢١) (PP . 13-21) ٠

٢١- "العمائم تيجان العرب" . **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**، العدد (٨)، محرم١٤١٣هـ، (ص٦٦-٧١)

٢٢- "المستشـرقون ونشاطهم تجاه دراسة التراث الإسـلامي" . **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**، العدد (٦) (محرم ، ١٤١٢هـ) ، (ص٦٢-٧٧) ٠

٢٣- "الدونمـة بـين اليهودية والإسـلام" . **مجلـة المنهـل** ، العدد (٤٩٦) مـج ٥٣ ، ذو الحجة (١٤١٢هـ /١٩٩٢م) (ص٩٠-٩٦) ٠

٢٤- "يهـود الدونمـة في الميزان" . **مجلة التضامن الإسلامي** ، السـنة (٤٧) ، الجزء الثامن (صفر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) (ص٢٤-٣٠)٠

٢٥- "آراء حول التاريخ وكيفية تدريسـه في الجامعة" . **مجلة المنهل** ، العدد (٥٠٧) مج ٥٥ (صـفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، (ص١٢-١٧) ، ثـم أجرى عليه بعض التعديلات ونشـر في **مجلـة القافلـة** العـدد (١١) مـج٤٢ (ذو القعدة ١٤١٤هــ /١٩٩٤م) ، (ص٤٤-٤٧)٠

٢٦- "كيـف نبنـي ثقافتنـا" . **مجلـة المنهـل**، العـدد (٥٠٦) مـج ٥٥ (المحـرم ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، (ص٣٠- ٣٦).

٢٧- "المخطوطـات العربيـة بمكتبة كلية التربية بأبها (فرع جامعة الملك سـعود)" . **مجلة المنهل** ، العدد (٤٨٧) مج٥٢ ، (رمضان وشوال ١٤١١هـ / ١٩٩١م) (ص١٩٠-١٩٣) ٠

٢٨- "صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية" . **مجلة العرب** ، جـ٧ ،٨ ، سنة (٢٧) محرم وصفر (١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ، (ص٤٤٥ — ٤٦١) ٠

٢٩- "مــن رســائل الملــك عبد العزيز آل ســعود ورجــال حكومته إلى بعض الشــيوخ والعشــائر العســيرية". **مجلـة العرب**، جــ١١، ١٢، ســنة (٢٧) (الجماديان، ١٤١٣هــ/ ١٩٩٢م)، (ص٧٣٥-٧٥١).

٣٠- "ملامح من حياة الأمن والاســتقرار في عســير في عهد الملك عبد العزيز". **مجلة العرب**، جـ ١،٢، سنة (٢٧) (رجب وشعبان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، (ص٢٧-٤٤).

٣١- "أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية". **مجلة العرب**، جـ ٩،١٠، سنة (٢٦) (الربيعان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، (ص٥٩٤-٦١١).

٣٢- "وثائق من عســير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ)". **مجلة العرب**، جـ٣، ٤، سنة (٢٨) (رمضان وشوال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، (ص١٥٤-١٧٠) القسم الأول. وقد نشر هذا البحث في كتابنا: **صفحات من تاريخ عسير**. الجزء الأول، (ص ٦٧-٩٠).

٣٣- "من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة". **مجلة العرب**، جـ ٥، ٦، سنة (٢٨) (ذو القعدة والحجة، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م)، (ص٣٤١-٣٥٩).

٣٤- "العــادات والتقاليد في عســير مــن خلال الوثائق". **مجلة العرب**، جـ ٧، ٨، ســنة (٢٨) (محرم وصفر/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، (ص٤٨٦-٤٩٨).

٣٥- "صــور من الاحتفالات الرمضــانية عبر العصــور الإســلامية"، **مجلة المنهل** (ضمن العدد (٥١٣) مج ٥٥، رمضان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، (ص١١٣-١١٧).

٣٦- "دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة". **مجلة الدارة**، العدد (٤) ســنة (٢٠) رجب وشــعبان ورمضــان ١٤١٥هـ، (صــ٤٠-٧٠). ثم أضــيف إلى هذا البحث بعض التفصيلات وأعيد نشره في **مجلة بيادر الصادر من نادي أبها الأدبي** العدد (٣٩) جمادى الأولى عام (١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م) (ص ١٣ـ ٣٤).

٣٧- "الهجرات العربية وانتشــار الإســلام في بلاد شرق أفريقية في العصــور الوسطى" **مجلة المؤرخ العربي**، العدد (٣) مجلد رقم (١) مارس ١٩٩٥م، (ص٦٧-٨٥).

٣٨- "جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشــر الهجري الســادس عشــر الميلادي" بحث قدم ضــمن الندوة التي عقدهــا اتحاد المؤرخين العــرب بالقاهرة في الفترة الممتــدة من (٢٥-٢٧ جمادى الآخــر ١٤١٥هـ / ٢٨-٣٠/١١/١٩٩٤م) ونشــر ضــمن بحــوث النــدوة في كتــاب "**الصــراع بــين العرب والاستعمــار في عصــر التوســع الأوروبــي الأول**" (منشــورات اتحــاد المؤرخــين العرب بالقاهرة) (القاهرة: المطبعة الإســلامية الحديثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، (ص٢٢٧-٢٧١).

٣٩- "مهنـة الطب في ضـوء شـريعة الإسـلام" . **مجلة المنهل** ، العـدد (٥٢٣) المجلد (٥٧) العام (٦١) المحرم ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، (ص٤٦-٥١) .

٤٠- "مكانة شعر اللحيـة والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة" . **مجلة الحرس الوطني** ، عدد (١٣٧) سنة (١٥) رجب ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، (ص١٠٨-١٠٩) .

٤١- "ملامـح الحيـاة الاجتماعيـة في العراق خلال عصـر بني العباسـ" . **مجلة المنهل** العدد (٥٢٥) مج ٥٧ عام (٦١) الربيعان ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) ، (ص١٦٨-١٧٤) .

٤٢- "زي الطيلسـان" : دراسـة تاريخية حضارية" . **ملف بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** ، عدد (١٨) ربيع ثاني ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ، (ص٦٥-٧٤) .

٤٣- "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى" (٦٠٠-٩٠٠هـ / ١٢٠٠-١٥٠٠م) . في **مجلة المؤرخ المصري** العدد السـادس عشر ، يوليو ١٩٩٦م (الصادرة من قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) (ص١٥٣-١٨٩) .

٤٤- "ظاهرة السـمل بين التشـريع والتسـيس في العصـور الوسـطى" نشـر في **مركز دراسـات الشـرق الأوسـط بجامعة عين شمس، مسلسل رقـم (١٨٦)**. (القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، (ص١-٣٧).

٤٥- "الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمالي وغربي أفريقيا في العصور الوسطى" . **مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية** . المجلد (٤٥) (العام الجامعي ١٤١٧هـ/ ٩٦/١٩٩٧م) (ص١٣١-١٦١) .

٤٦- "سـلطنة أوفـات الإسـلامية في منطقـة القـرن الإفريقـي وعلاقاتها مـع العالم الإسـلامي خلال العصـر الإسلامي الوسـيط" . **مجلة كلية البنات بجامعة عين شمس** . عـدد (١٩) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، كمـا نشـرت هذه الدراسـة في كتاب للمؤلـف بعنوان : **بحـوث في التاريـخ والحضـارة الإسلامية** (الإسـكندرية : دار السماح للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) (الجزء الثاني) (ص١٥٥ ـ ١٨١) .

٤٧- "التعليـم وحركـة التحـول التاريخـي في منطقة عسـير خلال القرن الرابع عشـر الهجري (العشرين الميلادي)" . **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**. عدد (٢٠) محرم (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، (ص٢٩-٤٦) .

٤٨- "الإسـلام واللغـة العربيـة في دول الطراز الإسـلامي خلال العصـور الوسـطى" . **مجلـة المـؤرخ العربـي بالقاهـرة**، مجلـد (١) العـدد (٥) (مارسـ ١٩٩٧م) (ص١٦٥-١٩١) .

٤٩- "أهم مراكز صـناعة السـيوف الإسـلامية". **مجلـة الحصاد** (رجـب ١٤١٤هـ / ديسمبر/ ١٩٩٣م) ، (ص١٦-١٨) ٠

٥٠- "أوراق مـن تاريخ عسـير خلال عهـد الملك عبد العزيز كما أملاها الشـيخ/ عبد الله بـن عبد الرحمن (ابن إلياس)" (دراسـة وتحقيق) ٠ **مجلة بيـادر الصادرة مـن النـادي الأدبي بأبهـا** ، عدد (٢٢) (رمضـان / ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) (ص٥٣-٨٥) ٠ كما أجرينا بعض التصـويبات والإضافات على هذه المخطوطة ، وقدمناها محاضـرة في مؤتمـر المملكـة العربية السـعودية الذي أقيم في شـهر شـوال عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بالرياض ٠بمناسـبة الاحتفـال بمرور مائة عام على تأسـيس المملكـة العربية السـعودية . بعنوان: **ابن إلياس ورسالتـه في تاريخ عسير في عهد الملك عبد العزيز**٠وقد خرجت أعمال المؤتمر كاملة في (١٥) مجلدا عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) وهذه الدراسة منشورة في المجلد الأول رقم (٤) (ص ٧-٤٤) .

٥١- "قراءة في مخصصات مقاطعة جازان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثنـاء حكم الملك عبد العزيز " نشـرت هذه المقالـة في **مجلة بيادر** عدد (٢٥) (رمضـان/١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، وهو عدد خاص بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، (ص١١٥-١٣٩) ٠

٥٢- "إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٨-١٠ شـعبان/ ١٤٢٠هـ ، الموافق ١٦-١٨نوفمبر ١٩٩٩م) ٠ ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : **العرب وأوربا عبر عصـور التاريـخ (بحوث ودراسات)** ٠منشـورات اتحاد المؤرخين العـرب، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ،(ص٤٠٩-٤٥٩) . كمـا أضـيف عليها بعض المعلومـات وألقيت محاضـرة في (سـمنار) بقسـم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلـوم الاجتماعيـة والإدارية، جامعة الملك خالد في ١٨/٧/ ١٤٢٠هـ، الموافق ١٥/١٠/٢٠٠٠م ٠

٥٣- "بلاد السـراة في العصر الأموي ... دراسة لبعض مظاهر الحضارة" **بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر الأموي** (الأحد – الثلاثاء ٧-٩ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ/١٣-١٥ من فبراير ٢٠٠٠م) بجامعة الملك سـعود – كلية الآداب . ونشـر هذا البحث في الكتاب الرابع من هذه الدراسات الخاص بالعصر الأموي، (ص١٤٩ـ ١٦٤) .

٥٤- "العمـران في إقليـم عسـير خلال القـرون المتأخرة الماضـية (دراسـة تاريخية حضـارية)" ٠ **مجلـة المنهـل** العـدد (٥٧١) المجلـد (٦١) العـام (٦٦) شـوال ذو القعـدة (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) (ص٢٦-٤٩) .كما أعيد نشـر هذه الدراسـة

في كتاب لصاحب السيرة بعنوان :**بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر** (جدة دار العويفي١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)،(ص٢٣-٧٦).

٥٥- "وثائق من عسير خلال نظام المتصرفية العثمانية (١٢٨٨-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م)" ٠ (القسم الثاني). وقد نشر هذا البحث ضمن الأعمال المجموعة في كتابنا: **صفحات من تاريخ عسير٠ الجزء الثاني** (ص ٢٣٥ – ٢٧٤)٠

٥٦- "التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، تطوره ، آفاقه المستقبلية (١٣٩٦-١٤٢١هـ / ١٩٧٦-٢٠٠٠م)" ٠ بحث مقدم في ندوة التعليم العالي في عسير: ربع قرن من الإنجاز والعطاء، المنعقدة بمدينة أبها تحت إشراف جامعة الملك خالد في الفترة الممتدة من (٢-٣/٨/١٤٢١هـ/٢٩-٣٠/ أكتوبر ٢٠٠٠م) وقد نشر هذا البحث في الكتاب الذي أصدرته الجامعة بخصوص هذه الندوة تحت: **سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمرات (١)**. (المركز الإعلامي بالجامعة /١٤٢٣هـ)، (ص١٥٥-٢٢٦) . كما نشر في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان: "**بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر**"، (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) (ص١٨٥-٢٧٧) . كما تم الاستفادة من هذا البحث أيضاً، وأجري عليه العديد من التعديلات والإضافات وقدم ورقة عمل ضمن **المؤتمر العالمي عن خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبدالعزيز بمناسبة مرور عشرين عاماً على توليه مقاليد الحكم** ، الذي عقدته جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة الممتدة من(٢٦ـ٢٩/٨/١٤٢٢هـ ـ ١١ـ ٢٤/١١ / ٢٠٠١م) ، وكان عنوان هذه الورقة : **التعليم العالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (١٤٠٢ ـ١٤٢٢هـ/١٩٨٢م ـ ٢٠٠٢م** . وقد نشرت هذه الدراسة ضمن أعمال المؤتمر في ستة مجلدات، وهي في المجلد الأول الخاص(بالمحور التربوي)، (ص ٤٥٩ـ ٥٣٥) .

٥٧- "ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥-٢٧/٨/١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٣/١١/٢٠٠٠م) ، ونشر البحث ضمن بحوث الندوة في كتاب : **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** (حصاد (٨))٠ منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)٠ (ص١٥٧-٢٢٢)، كما نشرت هذه الدراسة مع دراسات أخرى في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ١٠هـ/ ق٧-١٦م) (الجزء الأول)** .

٥٨- "ملامح التطور الصـحي في جنوبي المملكة العربية السعودية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)" . **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** . عدد (٣٣) جمادى الأولى (١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) (ص٥١-٨٣) .

٥٩- "أبها مدينة المستقبل ، مقترحات ووجهات نظر" نشـرت هذه الدراسة في **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** ، عدد (٣٥) (المحرم /١٤٢٣هـ / مايو ٢٠٠٢م) (ص١٣-٣٤) .

٦٠- "بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز" **طبع هذا البحث ضمن أعمال الملتقى العلمي الثالث بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي الذي عقد بمدينة مسقط في رحاب جامعة السلطان قابوس في (المحرم عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)**. (ص٥٢٣-٥٩٤) . كما نشـرت هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات في كتاب لصاحب السيرة بعنوان :**صفحات من تاريخ عسير** (الرياض :مطابع العبيكان ،١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م) .الجزءان الأول والثاني ،(ص ٢٧٥-٣٤٨).

٦١- "ملامـح الحيـاة العلمية في بلاد تهامة والسـراة خلال العصـور الإسـلامية المبكرة والوسـيطة" . بحث قدم ضـمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين بالقاهرة في الفترة الممتدة من (١٣-١٥/٨/١٤٢١هـ الموافق ٣٠ أكتوبر – أول نوفمبر / ٢٠٠١م)، ونشـر ضـمن بحـوث الندوة في كتـاب : **المراكـز الثقافيـة والعلميـة في العـالم العربي عبر العصور**. حصاد(٩) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) (ص١٩٥ـ٢٥٦) . كما نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات الخاصة بصاحب هذه السـيرة في كتاب لـه بعنوان " **دراسـات في تاريـخ تهامة والسراة خـلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ.ق١٠هـ/ ق٧م – ق١٦م)** ،(الجزء الأول) .

٦٢- "صـور من الحياة الاجتماعية في بلاد السـراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسـيطة" . **طبـع هـذا البحث ضمن أعمـال اللقـاء العلمي الرابع لجمعيـة التاريخ والآثـار بـدول مجلس التعـاون لـدول الخليج العربيـة والذي عقـد في إمـارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في شهر (صفر /١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م)** (ص ٣٤٧ ـ ٣٩٦) .

٦٣- "مخلاف جرش في الفترة الأولى من عصـر الإسـلام ـ دراسة تاريخية تحليلية " بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة من (١٦ـ١٨ شـعبان ١٤٢٣هـ/ الموافق ٢٢ ـ ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٢م " ونشـر ضـمن بحـوث النـدوة في كتـاب " **الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية** حصاد (١٠) منشورات اتحاد المؤرخين بالقاهرة (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) (ص ٤٨٥ ـ ٥٠٧) .

٦٤- "لماذا تستهدف السعودية بدعوى الإرهاب تحديداً منطقة عسير" **دراسة منشورة في ملحق الرسالة، بجريدة المدينة عدد (١٤٥٤٨) السنة (٦٨) الصفحة السابعة**، (يوم الجمعة ٢٠ذو الحجة /١٤٢٣هـ الموافق ٢١فبراير / ٢٠٠٣م) .

٦٥- "التعليم في منطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز" بحث منشور في كتاب : **شرف الانتماء إلى مهنة التعليم** .وهو فعاليات ولقاءات تربوية نظمتها ونشرتها إدارة التعليم في محافظة سراة عبيدة خلال العام الدراسي(١٤١٩هـ-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩-٢٠٠٠م) (ص ١٩ - ٤٠) .

٦٦- "أضواء على مصادر تدوين تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي" ، **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** عدد (٤١) شهر المحرم (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) . (ص١٧- ٢٩) وقد أعيد نشر البحث باختصار في رسالة : **آفاق الجامعة** التي تصدرها جامعة الملك خالد . ونشرت في عدد (٤٦) شهر ربيع الأول (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) (ص١٥).

٦٧- "نجران في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة" . بحث تم المشاركة به في : **موسوعة المملكة العربية السعودية** . تحت إشراف : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة .(الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤٢٨هـ) . المجلد (١٥) ، (ص ١٢١ - ١٤٠) .

٦٨- "عسير في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة" . بحث تم المشاركة به في : **موسوعة المملكة العربية السعودية** . تحت إشراف : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.(الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤٢٨هـ) . المجلد (١٠) ، (ص ١٤٥ - ١٦٠) .

٦٩- "الباحة في العصور لإسلامية المبكرة والوسيطة" . بحث تم المشاركة به في : **موسوعة المملكة العربية السعودية** . تحت إشراف مكتبة الملك عبدالعزيز العامة .(الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ) . المجلد (١٦) ، (ص ١٣٣ - ١٥٣) .

٧٠- "التاريخ ودوره في الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة" . **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** عدد (٤٥) شهر المحرم (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (ص ١٣ - ٣٨) . كما أعيد نشر هذا البحث مع بعض الإضافات في الإصدار السنوي الخاص من مجلة المنهل ، بعنوان: **التاريخ والمؤرخون. المنهل** ، العدد (٥٩٩) المجلد (٦٧) العام (٧١) ذو القعدة وذو الحجة (١٤٢٦هـ/ ديسمبر ٢٠٠٥م/ يناير ٢٠٠٦م) (ص ٣٠ - ٣٩) .

٧١- صور من الصلات الحضارية بين مكة المكرمة وبلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة. نشر ضمن أعمال **اللقاء العلمي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي** . الذي عقد في الدوحة بدولة قطر في شهر صفر (١٤٢٥هـ) الموافق شهر مارس عام (٢٠٠٤م) (ص ١٨٥ - ٢١٧) .

٧٢- "جنــوب الســعودية في كتــاب : **مرتفعات الجزيــرة العربيــة** . (**دراســة تاريخية تحليلية**). لهاري ســانت جون فيلبي. بحث قدم ضــمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخــين العــرب بالقاهــرة في الفــترة مــن ١١ـ١٢شــوال/١٤٢٥هـ الموافــق ٢٤ـ ٢٥نوفمبر/٢٠٠٤م . ونشــر البحث ضــمن بحوث الندوة في كتاب : **العالم العربي في الكتابــات التاريخيــة المعاصــرة** . حصــاد (١٢) (منشــورات اتحــاد المؤرخين العــرب بالقاهــرة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) (صــ ٢٤١ــ ٢٧٦) . كما أعيد نشــر هذه الدراسة في : **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي** . عدد (٤٨) شهر المحرم (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، (ص ١٥ ــ ٦١) .

٧٣- "الصلات الدعوية بين الرسول (ﷺ) وأهل تهامة والسراة (دراسة تاريخية)". **ونشــر ضمــن مداولات اللقــاء العلمــي السادس بجمعيــة التاريــخ والآثار بدول مجلــس التعــاون لــدول الخليــج العربيــة** . الــذي عقــد في مدينــة الكويــت في (١١ـ١٢ربيع الأول١٤٢٦هـ/ الموافق٢٠ـ٢١ أبريل ، ٢٠٠٥م) (ص ١٥٧ ـ ٢١١) .

٧٤- عســير في قلــوب ملوك آل ســعود ، **نشــر معظم هــذه الدراســة في رســالــة : آفاق الجامعــة**، التــي تصــدرها شــهرياً جامعة الملــك خالد ، في عدد (٤٤) شــهر ذي الحجة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) (ص١٥) .

٧٥- رسائل الإمام القاسم بن علي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشــر الميلادي) (١٣٨٨ـ١٣٩٣هـ/ ٩٩٨ـ١٠٠٢م) (دراســة تاريخية تحليلية) . **نشر هــذا البحــث في مــداولات اللقاء العلمــي السنوي السابــع لجمعية التاريــخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي** . الذي عقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة من (٢٠ ـ ٢٣ربيع الأول /١٤٢٧هـ الموافق ١٨ ـ ٢١ابريل/ ٢٠٠٦م) .(ص ١٩٧ ـ ٢٥٠) .

٧٦- "تبالة وأهميتها التاريخية والحضــارية خلال القرون الإسلامية الأولى". **نشر في مــداولات اللقــاء العلمــى السنــوي الثامن لجمعية التاريــخ والآثار بــدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي**. الذي عقد في مدينة المنامة بدولة البحرين من(٧-١٠ربيع الآخر/١٤٢٨هـ الموافق ٢٤-٢٧أبريل/٢٠٠٧م) (ص١٧٩-٢١٥).

٧٧- "التعليــم في حاضــرة أبهــا في عهــد الملــك ســعود بــن عبدالعزيــز(١٣٧٣-١٣٨٤هـ/١٩٥٣-١٩٦٤م).بحــث منشــور في الكتــاب الــذي أصــدرته دارة الملك عبدالعزيز في خمسة مجلدات عن الملك سعود .وعنوان الكتاب العام : **الملك سعود بــن عبدالعزيــز آل سعــود (بحوث ودراسات)** (الرياضــ : دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٩هـ) وهذا البحث منشور في المجلد رقم (١) ، (ص ٢١٩ — ٢٧٤) .

٧٨- "بيشــة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط (القرن ١- ٩هـ/القرن ٧-١٥م)

(دراسة تاريخية حضارية). **نشر في مداولات اللقاء العلمي السنوي التاسع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي**. الذي عقد في مدينة جدة، بالمملكة العربية السعودية من (١٦-١٩/٤/١٤٢٩هـ ٢٢-٢٥/٤/٢٠٠٨م) (ص ٢٩١-٣٣٤).

٧٩- "الدراسات التاريخية في مجلة المنهل (جنوب الجزيرة العربية أنموذجاً)" وهذه الدراسة مشاركة من صاحب السيرة في إصدار العدد الخاص المميز بعنوان: **الإصدار الماسي لمجلة المنهل بمناسبة دخول عامها الخامس والسبعين من عمرها العلمي الأدبي**. وكان صدور هذا العدد الخاص في الشهور الأخيرة من عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

٨٠- "تاريخ سروات عسير (مخلاف جرش وتبالة) بين المكتوب والمأمول". نشر هذا البحث في كتاب: **عسير: تاريخ وحضارة** (الرياض: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م). وجميع مادة الكتاب قدمت على هيئة أوراق علمية في اللقاء الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية الذي عقد في مدينة أبها بمنطقة عسير في (١٧-١٩/٥/١٤٣٠هـ الموافق ١٢-١٤/٥/٢٠٠٩م). وتولى صاحب هذه السيرة مراجعتها، ثم طبعت البحوث المستوفاة علمياً في كتاب بعنوان: **السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية الثاني عشر المنعقد بمنطقة عسير (تاريخ عسير وحضارتها عبر العصور)**. والطباعة كانت على نفقة كرسي الملك خالد، جامعة الملك خالد (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، وصفحات بحث صاحب هذه السيرة في هذا الكتاب من (ص٦٣ـ٧٩).

٨١- " بلاد السراة في كتاب: سيرة الأميرين الجليلين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام العياني من عام (٤٥١ـ٤٥٩هـ/١٠٥٩ـ١٠٦٦م) (دراسة تاريخية تحليلية) بحث قدم ضمن أعمال الندوة العلمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية: **الجزيرة العربية في العصر العباسي الثاني**، خلال الفترة من (٢٨ـ٢٩/١٠/١٤٢٧هـ الموافق ٢٩ـ٣٠/١١/٢٠٠٦م) بجامعة الملك سعود كليتي الآداب والسياحة والآثار. **وقد نشر هذا البحث في الكتاب السادس من هذه الدراسات الخاصة بالعصر العباسي من القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس الهجري** (ص ١٢٩ـ١٦٥).

٨٢- "وطن العروبة والإسلام" بحث مختصر قدم في ذكرى اليوم الوطني السعودي (٨٣) على مسرح نادي أبها الأدبي يوم (١٨/١١/١٤٣٤هـ)، وكانت ضمن الندوة الموسومة بـ: **المملكة العربية السعودية (تاريخ وإنجاز)**. ونشرت هذه الورقة في مجلة بيادر الصادرة عن نادي أبها الأدبي. عدد (٥٥) (ذو الحجة/١٤٣٤هـ - نوفمبر/٢٠١٣م)، ص ١٨ — ٢٠.

سابعا : سيرة أ. د. غيثان بن علي بن جريس في بعض الكتب والمراجع والدراسات والمقالات المطبوعة والمنشورة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها .

١- الشـيخ هاشـم بن سـعيد النعمي . **شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقـة عسـير في الفترة ما بـين (١٢١٥ إلى ١٤١٥هـ)**. (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٢٥٩ ـ ٢٧٤ .

٢- الأستاذ عبدالكريم بن إبراهيم الحقيل . **معجم المؤرخين السعوديين** . (الرياض : مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، ص ٣٠ ـ ٣١ .

٣- أ. د. سـر الختم سـيد أحمد العراقي . " دراسـة تحليلية نقديـة في بعض مؤلفات ابن جريس عن تاريخ وحضـارة منطقة عسـير" **نشرت أجزاء من هـذه الدراسة في مجلـة بيـادر عدد (١٧)** (١٤١٦هــ/١٩٩٦م)، (ص١١٥ـــ ١٢٦)، وعدد (٢١) (١٤١٨هــ/١٩٩٧م) ، (ص ١٤٩ ـ١٧٠). كما نشـرت كاملة في كتاب : **دراسات في تاريـخ وحضـارة جنوبـي البلاد السعودية لابن جريـس** ، الطبعة الأولى (جدة : دار البلاد للطباعة والنشـر ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٢٠٥ ـ ٢٦٥. والطبعة الثانية (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، جـ١، (ص ٢٢٣ ـ ٢٨٨) .

٤- الدكتور أسـامة أحمد حماد . "سـطور من حياة باحث" دراسة منشورة في كتاب: **بحـوث في تاريـخ عسـير الحديـث والمعاصـر لابـن جريس**(جـدة : دار العويفـي للطباعة ،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ٢٧٩ـ ٤١١ .

٥- الأسـتاذ محمد بن يحيى بن أحمـد الحكمي . **معجم مؤرخي تهامـة** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ، ص ١٠٤ ـ ١٠٦ .

٦- الأسـتاذ محمـد أحمـد معـبر. **مـؤرخ تهامـة والسـراة: غيثـان بـن علـي بـن جريس(دراسـة توثيقيـة)**. (الرياضـ: مطابع الحميضـي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، (٦٢٠صـفحة) .وقد أضـيفت عليه حوالي (١٤٠) صـفحة جديـدة، وحذف منه قسـم الرسـائل حوالي(١٤٠) صـفحة ، ثم أعيـدت طباعته (الطبعـة الثانية / ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).وعدد صفحاتها (٥٨٤صفحة).

٧- الأسـتاذ محمـد أحمـد معـبِّر . " المقامـة الغيثانيـة احتفـاء بصـدور كتـاب (عبدالوهاب أبو ملحة في جنوبي البلاد السعودية) لمؤلفه الدكتور غيثان بن علي بـن جريس" . **دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير وجـازان والقنفـذة)**. الجزء الرابـع ، لابن جريس(الرياض: مطابع الحميضـي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)،(ص ٥٢٣ ـ ٥٢٨).كما أعيد نشـرها في كتاب :محمد بن أحمد

بن معبِّر الموسوم بـ: **حوليات خميس مشيط). الجزء الأول)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ١١٣ـ١١٩. وللمزيد انظر الكتاب نفسه ، ص ٧ـ٩، ٣٣، ٣٦، ١٣١، ١٣٥، ٢٠، ٢٠٩.

٨- أ. د . عبدالواسع الحميري "جهود المؤرخ الأكاديمي غيثان بن جريس وسؤال المرحلة" . **مقالة منشورة في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق) . السنة الثامنة (العدد ٦٨/محرم/١٤٣٣هـ/ ديسمبر ٢٠١١م)** ، (ص١٨) .

٩- الدكتور يحيى صالح أحمد المذحجي " غيث للتأريخ وغيث للجنوب "_**مقالة منشورة في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق) . السنة الثامنة (العدد ٦٩/ ربيع الآخر / ١٤٣٣هـ/ مارس/ ٢٠١٢م)** (ص١٢) . كما نشرت في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ، وجازان ، والقنفذة)** . (ط١) .الجزء الرابع ، لابن جريس (الرياض: مطابع الحميضي،١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . (ص٥٤٤ ـ ٥٤٧) .

١٠- الدكتور محمد فهيم بيومي. "عبدالوهاب أبو ملحة في جنوبي البلاد السعودية (١٣٤٠هـ ـ ١٣٧٤هـ/١٩٢١ـ ١٩٥٤م)" قراءة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان، والقنفذة)**. (ط١) الجزء الرابع لابن جريس (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، (ص ٥٣٨ ـ ٥٤١) . كما نشر هذا الموضوع تحت عنوان: **أبو ملحة في كتاب يختزل تاريخ المالية بجنوب المملكة العربية السعودية . جريدة آفاق الأسبوعية التي تصدرها جامعة الملك خالد** . عدد (٧١) ، (٢٧/ ربيع الثاني/١٤٣٤هـ الموافق ٩/مارس/٢٠١٣م) ، الصفحة الثقافية ، ص٢٤.وأيضاً هناك قراءة سابقة عن كتاب (أبو ملحة) في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. مج(١٧)، عدد(٢). رجب. ذو الحجة (١٤٣٢هـ) /مايز ـ نوفمبر(٢٠١٢م)، ص٣٨٨ـ٣٨٩.

١١- الدكتور أحمد الخاني. "مع أ. د . غيثان بن علي بن جريس في كتابه: عبدالوهاب أبو ملحة" دراسة منشورة في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان ، والقنفذة)** الجزء الرابع لابن جريس (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٣هـ /٢٠١٢م) ، (ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣) .

١٢- أ.د . صالح بن علي أبو عراد. "قراءة في كتاب مؤرخ تهامة والسراة : غيثان بن علي بن جريس (**دراسة توثيقية منشورة في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق) . السنة الثامنة (العدد/٧٠/ جمادى الأولى / ١٤٣٣هـ /إبريل / ٢٠١٢م)** ، (ص٢٤) . كما نشرت في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ، وجازان، والقنفذة)**.(ط١) الجزء الرابع لابن جريس (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، (ص ٥٤٨ ـ ٥٥٢) .

١٣- أ.د. حســن خضــيري أحمد . " دراســة نقدية للبحث الموسوم : ببلاد السراة من خــلال كتاب صــفة جزيرة العرب للهمداني للدكتــور/ غيثان بن علي بن جريس " ـ منشــور في كتــاب للدكتــور حسن خضيري بعنــوان : **أهم الدراســات الحديثة في تاريــخ اليمــن الإسلامي في الربع الأخير من القــرن العشرين (دراسة نقدية).** (القاهرة : الزهراء كمبيوتر سنتر (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، (ص ١٣٢ – ١٣٤) .

١٤- أ. حســن خضيري أحمد . " دراسة نقدية أخرى لإحدى دراسات غيثان بن جريس عن بلاد الســراة " منشــورة في كتــاب : **أهم الدراســات الحديثــة في تاريخ اليمن الإسلامــي في الربــع الأخير من القــرن العشرين (دراسة نقديــة).** (القاهــرة : الزهراء كمبيوتر سنتر(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، (ص١٣٢ـ ١٣٤) .

١٥- أ. الأستاذ محمد بن أحمد معبر . **مواكِبُ الأقلام (قراءات وتعليقات في التاريخ الإسلامــي بمكتبــة الدكتــور غيثــان بــِن علي بن جريــس العلميــة** . (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (٥٢٥ صفحة) .

١٦- الأســتاذ محمــد بــن أحمد معــبر. **قصــة البحث عــن جرشــ** (الريــاض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ص١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٧٣ – ١٨٦ .

١٧- د. صــالح بن علي أبــو عراد . " قراءة في كتاب : **مواكب الأقــلام (قراءات وتعليقات في التاريــخ الإسلامــي بمكتبــة الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس العلمية)** " . دراســة منشورة في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، وعسير ، ونجران)**.(ط١) . (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) ،الجزء السابع ، ص ٥٠٧ – ٥١١ .

١٨- د. عباس علي السوسوة . "وقفة مع د. غيثان بن جريس وبعض مؤلفاته" . دراسة منشورة في كتــاب: **القــول المكتــوب في تاريــخ الجنــوب (الباحــة ، وعســير، ونجــران)**.(ط١) . (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) . الجزء السابع ، ص ٥١٢ – ٥١٣ .

١٩- الدكتور/ يحيى بن صــالح أحمد المذحجي " عرض وقراءة لكتاب : **دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الجزءان الأول والثاني)** " . دراســة منشــورة في كتــاب: **القــول المكتــوب في تاريــخ الجنوب (الباحــة ، وعسير ، ونجــران) .(ط١)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م) . الجزء السابع ، ص ٥١٤ – ٥١٧.

٢٠- الدكتور/ حســين بن علي الزراعي (غيثان بــن جريس مؤرخاً) " . **مقالة منشورة في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق)** . العدد (١٠٠) (٢٦/صــفر/١٤٣٥هـ الموافق ٢٩/ديسمبر/٢٠١٣م) . صفحة (الرأي الجامعي) ، ص٣٨ . كما نشرت في كتاب: **القــول المكتــوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، وعسير ، ونجران)** (الرياض : مطابع

الحميضي ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، الجزء السابع ، ص ٥٢٣ – ٥٢٥ .

٢١- الدكتور/ أنور محسن أحمد العزاني " مؤرخ جديد وتاريخ كبير " . **مقالة منشورة في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق)** . العدد (١١٣) في (٢٠/٦/١٤٣٥هـ الموافق٢/ ابريل/٢٠١٤م) . صفحة الرأي الجامعي، ص٣٨ . كما نشرت هذه المقالة أيضاً في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب . ط١ (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (الجزء الثامن)**، ص٥٠٠ـ٥٠١ .

٢٢- الدكتور/ فوزي صويلح . " غيثان بن جريس يؤرخ بالقول المكتوب لتاريخ الجنوب " **دراسة منشورة في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي**، العدد السادس والخمسون، رمضان ١٤٣٥هـ/ يوليو/ ٢٠١٤م) ، ص١٣٧ – ١٤٢ . (صفحة الرأي) .

٢٣- الأستاذ محمد بن أحمد معبر . **وثائق غيثان بن جريس الخاصة** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٥ – ١٤٣٦هـ/٢٠١٤ – ٢٠١٥م) و (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) (أحد عشر مجلداً حوالي سبعة آلاف صفحة) .

٢٤- الأستاذ محمد بن أحمد معبِّر . **دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور/ غيثان بن جريس العلمية (١٤٠١ – ١٤٣٥هـ/ ١٩٨١م – ٢٠١٤م) (ببليوجرافيا مشروحة)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) (٥٥٠صفحة) .

٢٥- الأستاذ الدكتور، عبدالواسع أحمد الحميري ((إشكالية الكتابة التاريخية)) **مقالة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (نجران، وعسير، والباحة) ط١ (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) . (ط١) الجزء الثامن**، ص٣٤٢ ـــ ٣٤٤ . ونشرت هذه المقالة في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق) . العدد (١٣٩) (٢/جمادى الأولى/ ١٤٣٦هـ/ الموافق ٢٢/فبراير/٢٠١٥م) . صفحة الرأي الجامعي، ص٣٦ .

٢٦- الدكتور/ عبدالحميد الحسامي . ((وقفة مع كتاب)) **مقالة منشورة عن كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء السابع)** منشورة في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق) . العدد (١٢٣) (٢٦/ذو القعدة/١٤٣٥هـ الموافق ٢١/سبتمبر/٢٠١٤م) . صفحة الرأي الجامعي، ص٣٨ . كما نشرت هذه المقالة أيضاً في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) . (ط١) (الجزء الثامن)**، ص٥٠٥ .

٢٧- الدكتور/ عبدالحميد الحسامي . ((حكاية الوثائق ووثائق الحكاية)) . **مقالة منشورة في كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب (نجران، وعسير، والباحة) (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (ط١)(الجزء الثامن)**، ص ٣٤٦ – ٣٤٧ . كما نشرت المقالة نفسها في رسالة جامعة الملك خالد (آفاق) . العدد (١٣٥) (١٣/ربيع الأول/١٤٣٦هـ الموافق ٤يناير/٢٠١٥م) . صفحة الرأي الجامعي، ص٣٩ .

٢٨- الأســتاذ/ محمد بن مشــبب بن محمد الحطوري ((علاقة مؤرخ تهامة والســراة بالباحــث محمــد بن أحمد بن معــبِّر)) مقالة منشــورة في كتاب: **القــول المكتوب في تاريــخ الجنوب(نجــران، وعســير، والباحــة) .ط١ (١٤٣٦هــ/٢٠١٥م)(ط١) . (الجزء الثامن)**، ص٣٤٨ – ٣٥٣ .

٢٩- الأستاذ، يحيى بن محمد بن أحمد آل فائع. ((باحثان في ميدان العلم والمعرفة)) . **مقالــة منشــورة في كتــاب : القول المكتــوب في تاريخ الجنوب (نجــران، وعسير، والباحة). ط١. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .(ط١) (الجزء الثامن)**، ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥ .

٣٠- الأســتاذ/ ســعيد بن أحمد بن مفرح الشــهراني (لمحات عن بعض الجهود العلمية لابن معبِّر وابن جريس) . **مقالة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (نجران، وعسير، والباحة) ط١(١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).(ط١). (الجزء الثامن)**، ص ٣٨٨ – ٣٣٩٠ .

٣١- الدكتور/ أشــرف بن مسعد أبو زيد ((وقفة مع ابن معبِّر وابن جريس)) . **مقالة منشــورة في كتــاب : القول المكتوب في تاريخ الجنــوب (نجران، وعسير، والباحة) (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).(ط١) (الجزء الثامن)**، ص ٣٩١ .

٣٢- الدكتور/إبراهيــم محمــد أبو طالب ((نظرة في كتاب : أبها حاضــرة عســير)) . **دراســة منشــورة في كتــاب : القول المكتــوب في تاريخ الجنوب (نجــران، وعسير، والباحــة) ط(١٤٣٦هــ/٢٠١٥م) (الجزء الثامن)**، ص ٣٩٤ – ٣٩٨ . انظر أيضــاً ملحق (٤٩) في الجزء نفسه، ص ٥٠٢ – ٥٠٣ .

٣٣- الأســتاذ/ محمد بن عبد الله الحمدان "مؤرخ تهامة وعســير في ثلوثية المشــوح". **جريــدة الجزيــرة السعوديــة** . (السبت/٢٦/شــعبان/١٤٣٦هـ الموافــق ١٣/يونيو/٢٠١٥م). العدد (١٥٥٩٨) (الصحفة الثقافية) ، ص٣٧ .

٣٤- الأستاذ /محمد بن عبد الله الحميِّد. "مؤرخ الجنوب" . **جريدة الوطن السعودية.** (الأحد/٢٧/ شعبان/١٤٣٦هـ الموافق ١٤/يونيو/٢٠١٥م). العدد (٥٣٧١). السنة الخامسة عشرة (صفحة المحليات)، ص ١٢ .

٣٥- الأســتاذ/ عبــد الهــادي بن مجنــي القرني "القــول المكتــوب في تاريــخ الجنوب لابــن جريــس" . **جريــدة الجزيــرة السعوديــة**، الأحد(١٤٣٦/١٠/٣هــ الموافق ٢٠١٥/٧/١٩م) ، صفحة وراق الجزيرة ، ص ١٣ .

٣٦- الأســتاذ الدكتــور/ صــالح بن علي أبــو عراد الشــهري "القول المكتــوب في تاريخ الجنوب :كتاب زاخر بالتنوع الثقافي" جريدة الجزيرة . الأحد (١٤٣٦/١١/٢٩هـ

الموافق ١٣/سبتمبر/٢٠١٥م) ونشرت أيضاً في سلسلة كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (المجلد العاشر)** ، ص٣٨٧ وما بعدها .

٣٧- الأستاذ الدكتور عبد الكريم عوفي "سبع ملاحظات على كتاب : دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور/ غيثان بن جريس العلمية " نشر هذا المقال الأستاذ/ أحمد العياف ، **في جريدة آفاق جامعة الملك خالد** ، العدد (١٦١) (٣/صفر/١٤٣٧هـ الموافق ١٥/نوفمبر/٢٠١٥م) (صفحة ثقافة آفاق) ، ص ٣٣. وهذه المقالة جزء من مقالة طويلة للدكتور عبد الكريم عوفي بعنوان : **انتقادات وتصويبات على كتاب دليل البحوث الجامعية في مكتبة د.غيثان ابن جريس العلمية** ، المنشور في المجلد العاشر من موسوعات الدكتور غيثان بن جريس **(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)** ص٣٩٥ـ٤٠٠ . ونشرها الدكتور عبد الكريم عوفي أيضا في جريدة المدينة السعودية ، ملحق الأربعاء تحت عنوان : **ملحوظات حول (فهرست) دليل البحوث الجامعية** بتاريخ الأربعاء (١٣/صفر/١٤٣٧هـ الموافق ٢٥/نوفمبر/٢٠١٥م). العدد (١٩٢٠٨) السنة (٨٢)، صفحة (أدب وفكر) ، ص٢١ .

٣٨- محمد بن عبد الله الحمدان . "الثنائي النشط في أبها وخميس مشيط". **جريدة الجزيرة السعودية، ملحق الجريدة (المجلة الثقافية)**، السبت (١٦/صفر/١٤٣٧هـ الموافق٢٨/نوفمبر /٢٠١٥م). العدد(٤٨٠)، ص٢٠(صفحة أوراق) .

٣٩- الأستاذ/ أحمد سعيد سليم. **موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال مائة عام من (١٣١٩هـ/.١٤١٩هـ)** .(المدينة المنورة: نادي المدينة الأدبي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) (الطبعة الثانية) القسم الأول من بداية حرف الألف إلى نهاية حرف الخاء)، ص١٨١ــ١٨٣.

٤٠- ترجمة مختصرة للدكتور/ غيثان بن علي بن جريس في كتيب أصدره نادي أبها الأدبي بعنوان: **مائة عام من الأمجاد (مشاركة النادي في معرض الوثائق الذي عرض أكثر من ألفي وثيقة تاريخية جميعها تدور حول تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية وبخاصة منطقة عسير**. وهذا الكاب عدد خاص بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، وتاريخ صدور هذا العدد في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩ــ٢٠٠٠م).

٤١- الدكتور مطلق محمد شائع عسيري . (رأيي في سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب لمؤلفه الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس" **منشور في كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)**. الجزء رقم (١١) ، ص ٥٦٧ــ٥٧٠. كما نشرت أيضا في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص١٨٢-١٨٧.

٤٢- أ.د .عباس السوسـوة . "قراءة ورأي في السـفر العاشـر من كتاب: القول المكتوب في تاريـخ الجنـوب مقـال منشـور في كتـاب: **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)**. الجزء رقم (١١) ، ص ٥٧١ـ ٥٧٢.

٤٣- أ . د . صـالح بـن علـي أبو عـراد ، أ. أحمد علـي الغرباني ، و. أحمـد بن علي آل مريـع . **موسوعـة إصدارات نـادي أبها الأدبـي (الجزء الأول/ الكتـب) (قـراءة موضوعيـة تكشيفية من عام ١٤٠٠هـ إلى عـام ١٤٣٨هـ** .(أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) (القسم الأول١٤٠٠- ١٤٣٣هـ)، ص ١١٤-١١٦)، ١٥٣-١٥٥.

٤٤- الأسـتاذ سعد بن علي الماضــي . **سوق حباشة (دراسة علمية ميدانية)** . (أبها: نادي أبها الأدبي ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ص ٨٧-٨٨، ٨٩، ٩٥- ٩٦، ١٠٢، ١٠٤.

٤٥- الدكتور/ قاسـم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم . "قراءة وآراء ووجهات نظر على كتابين من إعداد الأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر ، وهما : (١) **وثائق غيثان بن جريس الخاصـة (ثمانية مجلـدات)** . (٢) **دليل البحـوث الجامعية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** . الجزء رقم (١٢) ، ص٥٦٨- ٥٧٢ .

٤٦- محمـد بن أحمـد بن معـبِّر . **سـيرة كتـاب / احتفاء بصـدور عشـرة أجـزاء من كتـاب (القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب)** .(الرياض: مطابـع الحميضــي ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) (٥١١ صفحة)

٤٧- أ . د . محمـد بن منصـور الربيعي المدخلي . " **إطلالة علـى الأجزاء العشرة من القول المكتوب في تاريخ الجنوب**" . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر** (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، ص١٦٣.

٤٨- أ .غـازي بن أحمـد بن علي الفقيه . " أطيب الثمر في الحديقـة الغيثانية " . مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ١٦٤- ١٦٦.

٤٩- الدكتور/ أنور محسن أحمد العزاني." إعجاب وتقدير وثناء كبير". مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ١٦٧- ١٦٨ .

٥٠- الدكتـور/ مجلّي بن محمد كريري . " الجوانب المضـيئة في القول المكتوب". مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر .(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ١٦٩-١٧١.

٥١- الأسـتاذ/عوض بـن عبـدالله آل ناحي ."حين ولـدت الفكرة: ذاكرتـي مع القول المكتوب في تاريخ الجنوب: مقالة منشـورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ١٧٢-١٧٤ .

٥٢- أ. د . صالح بن علي أبو عراد الشهري " خواطر حول سلسلة كتاب "القول المكتوب في تاريخ الجنوب" . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ١٧٥ـ١٧٦.

٥٣- الدكتور/ يحيى بن عبدالله السعدي . " الدرر والغرر" . مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** . ص ١٧٨ـ١٧٩ .

٥٤- أ . د . عبدالله بن أحمد آل حامد . " ذاكرة الجنوب" . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ١٨٠ــ١٨١.

٥٥- أ. د . محمد متولي منصور . " رحلة في فكر مؤرخ عصره والمنتمي لوطنه الأستاذ الدكتور غيثان بن علي ابن جريس " . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ١٨٨ـ ١٩٦ .

٥٦- الأستاذ عبدالله بن حسن الرزقي. "ريادة القول المكتوب في تاريخ الجنوب" . مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص١٩٧.

٥٧- الأستاذ علي بن جار الله بن عبود . " السفر الموسوعي" . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد ابن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ١٩٨ـ ١٩٩ .

٥٨- علي بن محمد بن سدران الزهراني. " السلسلة الذهبية " مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ٢٠٠ـ٢٠٤ .

٥٩- الأستاذ عبدالرحمن بن حامد القرني " الشجرة اليانعة ". مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ٢٠٥ـ ٢٠٦ .

٦٠- أ. د . عبدالكريم علي عثمان عوفي . "شكر وعرفان ". مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ٢٠٧ـ ٢٠٩ .

٦١- ا. د .عبدالواسع بن أحمد الحميري . "على هامش القول المكتوب في تاريخ الجنوب". مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص٢١١ــ٢١٤ .

٦٢- الدكتور/ إبراهيم بن محمد أبو طالب . "عن مشروع القول المكتوب في تاريخ الجنوب " . مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** . ص٢١٥ـ٢١٨ .

٦٣- الدكتور/سعد بن عوض بن سفر آل غنوم "غيثان بن جريس .. الهمة العالية" . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ٢١٩.

٦٤- أ. د عبدالحميد سـيف الحسـامي. "في حضرة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ". مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ص ٢٢٠- ٢٢١.

٦٥- الدكتور/ قاسم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم. "في ظلال القول المكتوب في تاريخ الجنوب ". مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** .ص ٢٢٢-٢٢٧.

٦٦- أ. د، محمد فهيم بيومي. " القول المكتوب في تاريخ الجنوب ". مقالة منشـورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص ٢٢٨- ٢٣٠.

٦٧- الدكتور/عبدالله بن محمد بن حميِّد. " القول المكتوب في تاريخ الجنوب". مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ٢٣١-٢٣٣.

٦٨- الأسـتاذ عبدالرحمن بن عبدالله آل حامد العلكمي العسـيري. " القول المكتوب : معلمة شامخة في تاريخ الجنوب" . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ /٢٠١٧م)**، ص٢٣٤- ٢٣٥.

٦٩- الأسـتاذ غرمان بن عبد الله بن غصـاب الشـهري. " كتـاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) مدرسـة تاريخية رائدة " . مقالة منشـورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ٢٣٦- ٢٣٧.

٧٠- الأستاذ / مانع بن درع آل شريان القحطاني. " موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب " . مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)** ، ص٢٣٨-٢٤١.

٧١- الأستاذ / محمد بن مشبب الحطوري " نظرات حول: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ٢٤٢- ٢٤٤.

٧٢- أ. د .عباس بن علي السوسوة. " نمط التأليف في القول المكتوب" . مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص٢٤٥-٢٤٩.

٧٣- الأسـتاذ شـريف عبدالقادر قاسـم " نهر العطاء لبلاد الجنوب الفيحاء ". مقالة منشورة في كتاب: **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ٢٥٠-٢٥٢.

٧٤- الأستاذ /محمد بن عبدالله بن حُميِّد. " الوفاء لصاحب القول المكتوب" . مقالة منشورة في كتاب : **سيرة كتاب لمحمد بن معبِّر(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ٢٥٣-٢٥٤.

٧٥- أ. د. أحمـد بـن محمـد بـن عبـدالله بـن حميِّـد. " وقفـات مـع كتـاب (القول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب) ". مقالة منشـورة في كتاب: **سيرة كتـاب لمحمد بن معبِّر(١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)**، ص ٢٥٥- ٢٥٧.

٧٦- الأستاذ /محمد بن عبدالله الحميِّد . "من وحي الوطن" . مقالة منشورة في كتاب: **من حصاد السنين (١) رجال استحقوا التنويه** (أبها :نادي أبها الأدبي. ٢٠١٧م) ، ص ٣٣١-٣٣٢. وهذه المقالة نشرت في جريدة الوطن (الأحد ١٧/٧/١٤٣٢هـ). كما نشرت في كتاب: **مؤرخ تهامة والسراة للأستاذ محمد بن معبر** (الطبعة الثانية /١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ص٣٥٩.

٧٧- الأستاذ/ محمد بن عبدالله الحميِّد . "من وحي الوطن : عالم يستحق التكريم" . مقالة منشورة في كتاب : **من حصاد السنين(١) رجال استحقوا التنويه** (أبها: نادي أبها الأدبي، ٢٠١٧م)، ص ٣٣٣- ٣٣٤ . وهذه المقالة منشورة في جريدة الوطن (الأحد ١١/١/١٤٣٤هـ) . كما نشرت في كتاب: **مؤرخ تهامة والسراة للأستاذ محمد بن معبر.** (الطبعة الثانية /١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص ٣٦٤- ٣٦٥ .

٧٨- الأستاذ/ محمد بن أحمد بن معبِّر . **الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي (في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس) (ق١٥.٢هـ/ق٢١.٨م)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (مجلدان في ألف ومئة وعشر صفحات)

٧٩- الدكتور قاسم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم الألمعي. "قراءة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الحادي عشر)" مقالة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب ،(ط١) الجزء (١٣).** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ص ٥٧٣-٥٧٥ .

٨٠- أ. د. صالح بن علي أبوعراد . قراءة في كتابين للدكتور غيثان بن جريس والأستاذ محمد بن معبِّر ، وعنوان هذه القراءة (خواطر قارئ) ، ومنشورة في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب ،(ط١) الجزء (١٣)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ، ص ٥٧٩- ٥٨١.

٨١- أ. د. عبدالله أحمد حامد . **التاريخ الغيثاني** . مقالة منشورة في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب.(ط١)، الجزء (١٤)** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) ، ص٥٧٣.

٨٢- انظر أكثر من (١١٥) صفحة ، وهي مقالات لكتَّاب وأساتذة جامعات وغيرهم منشورة في العديد من الصحف والمجلات السعودية والعربية منذ عام (١٤١٨-١٤٣٩هـ/١٩٩٨-٢٠١٨م) ، وجميع مادتها تدور حول مؤلفات ونشاطات (غيثان بن

علي بن جريس) ، وهي منشــورة ڇ كتاب: **القول المكتوب ڇ تاريخ الجنوب ، الجزء (١٥)**.(ط١) . (الرياض: مطابع الحميضي،١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ص٤٧٥ـ ٥٨٩ .

٨٣- د. أحمد بن علي آل مريع ، أ. د . صالح بن علي أبوعراد ، أ. أحمد علي الغرباني. **موسوعـة إصـدارات نـادي أبهـا الأدبـي (الجزء الثـاني/ مجلة بيـادر) (قراءة وصفيـة تكشيفيـة لمحتوى المجلة من عـدد (١) إلى العدد (٥٧)** (أبها : نادي أبها الأدبـي ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ، صـ ٤٤ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٧ـ ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٢٧.

٨٤- الدكتـور عوض بـن عبدالله بن ناجـي . **المؤرخ غيثـان بـن جريـس ڇ الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧ـ١٤٤٠هـ/١٩٨٧ـ٢٠١٨م)** (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) (٥٨٣صفحة) .

٥٨- (أبو محمد) أ. د. عبدالكريم عويڇ "مؤرخ تهامة والسـراة يصدر الجزء الحادي عشـر من موسـوعة (القول المكتوب ڇ تاريخ الجنوب) . دراسة منشورة ڇ كتاب: **القـول المكتـوب ڇ تاريـخ الجنـوب (الطائـف وأجـزاء مـن الجنـوب)** (ج١٣) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ص ٤٢٥ـ ٤٣٢ .

٨٦- أ. عبدالهـادي بـن عبدالرحمـن بـن مجني القرني " تصـويبات وإضـافات على صـفحات مـن كتـاب: القول المكتـوب ڇ تاريخ الجنـوب (الجزء الثاني عشـر) (العرضـيات أنموذجاً) . دراسـة منشورة ڇ موسـوعة: **القول المكتوب ڇ تاريخ الجنـوب: أجـزاء مـن الحجـاز واليمـن ومـا بينهمـا.(ط١)** (الرياضـ: مطابع الحميضي ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) ، ص ٢٥٩ـ ٢٩٠ .

٨٧- أ. د. قاسـم بن أحمد عبدالله قاسـم "إطلالة على موسـوعة ابن جريس (القول المكتـوب ڇ تاريخ الجنوب) بحث منشـور ڇ موسـوعة : **القول المكتـوب ڇ تاريخ الجنـوب (جـازان والسروات وما حولهما)(ط١)**. الرياض: مطابع الحميضـي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ، (الجزء السادس عشر) ، ص ٥١١ـ ٥١٣ .

٨٨- أ. د. عباس علي السوسـوة . " من وحي الرحـلات والرحالة ڇ مؤلفات غيثان بن علي بن جريس "ورقات منشـورة ڇ موسـوعة : **القول المكتوب ڇ تاريخ الجنوب (جازان والسروات وما حولها)** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) (الجزء السادس عشر) ، ص ٥١٤ـ ٥١٨ .

٨٩- أ. د . أحمد بن محمد بن حميِّد (تعقبيات ابن حميِّد على كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الجزء الرابع عشر) . دراسة منشورة في موسوعة : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (جازان والسروات وما حولها).(ط١).** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) (الجزء السادس عشر) ، ص ٥١٨ـ ٥٢٢.

٩٠- د. أحمد محمد أبشرخان "معالم تستوقف المتأمل في سيرة ومؤلفات المؤرخ غيثان بن علي بن جريس". دراسة منشورة في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية (ق١.ق١٥هـ / ق٧ ـ ق ٢١م) .(ط٢)** . (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م (الجزء الثامن عشر) ، (ص٣٨٣ـ ٣٩٥) .

٩١- أحمد محمد أبشرخان . " الرحلات الغيثانية في جنوب المملكة العربية السعودية، من الإفادة والإمتاع إلى طرح الأفكار والتصورات ، أهم ما يكتب المؤرخ هو ما يكتبه عن عصره . دراسة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية (من قبل الإسلام ـ ق١٥هـ/ ق٦ ـ ق ٢١م)** .(ط١) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . (الجزء الحادي والعشرون) ، ص ٣٥٤ـ٣٨٣.

٩٢- د. عبدالله بلقاسم البكري الشهري " غيثان بن جريس باحث أم فكرة ". مقالة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق ٢١م).**(ط١) . الجزء(١٩) ، ملحق رقم (١٣) ، ص ٥٨٧ـ ٥٨٩ . وفي الجزء (٢١) ، ص ٣٨٤ـ ٣٩٠ .

٩٣- في كتاب: **مراجعات تاريخية ومقاربات نقدية في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** ، الذي أصدره الدكتور غيثان بن جريس ، وطبعته مطابع الحميضي عام (١٤٤١هـ/٢٠٢١م) ، (جزءان) ، (١١٧٦صفحة) دراسات عديدة تنقد وتناقش وتدرس بعض مؤلفات غيثان بن علي بن جريس التي صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية (١٤١١ـ ١٤٤٢هـ/١٩٩١ـ ٢٠٢١م) .

٩٤- انظر صفحات عن غيثان بن علي بن جريس في كتاب : **موقع سوق حباشة بين المؤرخين والمجتهدين**، للأستاذ غازي بن أحمد الفقيه (جازان ـ ضمد : مؤسسة الحازمي للنشر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ص ٦١ـ ٦٤ .

٩٥- أ.د. صالح معيض الغامدي " الهوية المقترنة : قراءة سيرة ذاتية في رسائل محمد أحمد أنور " ، **بحث منشور في أعمال المؤتمر الدولي النقدي الثاني لنادي أبها الأدبي (السرد في عسير القسم لأول)** (٧ - ٩ / ١٤٣٨هـ الموافق ٣ - ٥ /مابو/ ٢٠١٧م) ، **طبع ضمن أعمال المؤتمر في كتاب بعنوان : الهوية والأدب** (مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) ، ص ١٦١ - ١٦٨ .

٩٦- الدكتور عبد المنعم علي إبراهيم . قراءة في كتاب : تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز من عام (١٤٠٢ - ١٤٢٢هـ / ١٩٨٢ - ٢٠٠٢م) (عرض وتعليق) ، دراسة منشورة في كتاب : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ، (الجزء الرابع والعشرون) (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م) ، ص ٢٩١ - ٢٩٨ .

٩٧- الأستاذ منصور بن أحمد العسيري: وقفات مع كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٤٢ مجلداً) . دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (الجزء الخامس والعشرون) (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)، ص ٦٧-٧٢.

٩٨- أ.د. عبدالحميد سيف الحسامي: غيثان بن جريس وموسوعته التاريخية. دراسة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**. (الجزء الخامس والعشرون) (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص٧٣-٧٤.

٩٩- أ.د. قاسم بن أحمد بن عبدالله آل قاسم: نظرات في كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) دراسة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**. (الجزء الخامس والعشرون) (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص ٧٥-٧٩.

١٠٠- أ.د. عباس بن علي السوسوة: رسائل مختصرة عن موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب). دراسة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**. (الجزء الخامس والعشرون) (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م)، ص ٨٠-٨٢.

١٠١- الأستاذ عبدالهادي بن عبدالرحمن بن مجني: رحلتي مع موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من الجزء الأول إلى الجزء الرابع والعشرين. دراسة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** (الجزء الخامس والعشرون) (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص ٨٣-٩٠.

١٠٢- أ.د. صالح بن علي أبو عراد: موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، النتاج العلمي (الغيثاني) المتفرد. دراسة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**. (الجزء الخامس والعشرون) (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص٩١-٩٤.

١٠٣- الأستاذ محمد بن جرمان العواجي الأكلبي: الحلم الذي أصبح حقيقة. دراسة منشورة في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**. (الجزء الخامس والعشرون) (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص ٩٥-٩٨.

رابعاً: خاتمة القول:

وثقت في هذا القسم، في المحور الأول، شيئاً من التاريخ الحضاري الذي عرفته من خلال المشاهدات والذكريات. ولا أدعي التميز أو الإبداع في هذا الجهد المتواضع، لكنني اجتهدت، ولم أعتمد على موارد أو مصادر موثقة أو مكتوبة، وإنما اعتمادي بالدرجة الأولى على ما عرفته وأسعفتني به الذاكرة، وأرجو أن يكون في ذلك الفائدة للباحثين وطلاب العلم، فيصححون ما أخطأت فيه، أو قصرت في إنجازه، أو يكون هناك بعض المناهج التوثيقية والعلمية التي تفيد غيري في دراسة وتوثيق بعض المعارف النافعة التي تعكس شيئاً من تاريخ الناس الشامل او الجزئي في أي بيئة جغرافية، وبين أي فئة أو طبقة اجتماعية [١].

أما المحور الثاني (السيرة العلمية الخاصة) فليست صعبة في ميدان التوثيق، لكن لابد من توفر المعلومات الدقيقة حتى يكون القارئ مطمئناً لما سيقرأ، ويجب أن تكون خالية من المبالغات، والمدح والإطراء، مع توخي رصد المعلومة الصحيحة المفيدة لمن يطلع عليها[٢].

(١) من يقول إن هذا النوع من التوثيق سهل الإنجاز، فهو كلام غير دقيق، لصعوبة استذكار المعلومات وتوثيقها بطريقة صحيحة وحيادية. وإذا توفرت الذاكرة الجيدة التي تسترجع المشاهدات والأحداث، ثم الحرص على تدوين معلومات صحيحة دون التأثر بالعاطفة، أو بعض الملابسات الأخرى التي قد تجعل الموثق أو المدون يحيد عن النزاهة والحيادية والمصداقية، وذلك أمر ليس سهلاً، لكن إنجازه ليس مستحيلاً.

(٢) معظم ما دونت في هذه السيرة هي أسماء محاضرات وكتب وبحوث وأعمال علمية موثقة تم إنجازها خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠-١٤٤٢هـ/١٩٨٠-٢٠٢١م). (والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل).

القسم السابع

الخاتمة : نتائج وتوصيات

نشـرت في هذا الجزء رقم (٢٤) عدداً من البحوث التاريخية والحضـارية العلمية منذ عصر ما قبل الإسلام إلى تاريخنا المعاصر. وبعضها من إعداد أساتذة متخصصين في موضوعات أو حقب أو أمكنة أو مجالات معرفية مهمة لخدمة الإنسانية [1]. ولا أدعي الإلمـام بـكل ما درس ثم طبع ونشـر ، غير أنني أدعـي أن كل بحث اشـتمل على جديد في ميدان الحضـارة والتاريخ الخاص ببعض أراضـي وسـكان جنوب البلاد السعودية . والقسـمان الأول والثاني يدوران في فلك التاريخ القديم والإسلامي المبكر. أما الأقسام الأربعـة الأخـيرة (٣ـ ٦) فجميعها تعالج قضـايا معرفية لجزئيـات لغوية وتاريخية في السروات وتهامة خلال القرون الماضية المتأخرة (ق ١٣ـ ١٥هـ /ق١٩ـ ٢١م) [2].

(*) **وخلاصة التوصيات التي أرصدها في هذه الخاتمة على النحو الآتي:**

١- إن شـبه الجزيـرة العربية وخصوصـاً جنوبها له ذكر في العديـد من المخطوطات والمصـادر والمراجع اللاتينية القديمة ، أو الغربية والشرقية بلغات أجنبية متعددة. ونرغـب ونتمنى ونتطلـع إلى أن تجمع هذه الموارد العلمية ثم تترجم وتصـوب فيما يحتاج إلى تصحيح أو توضيح أو شروحات وتعليق[3].

٢- إن الآثار المادية من النقوش والخطوط والرسومات أو المواد والتراث الأثري المدفون أو السـطحي يأتي في مرتبة عاليـة ومتقدمة لمعرفة تاريخ وحضـارة الأمم القديمة أو الإسـلامية المبكرة والوسـيطة . وبلاد تهامة والسـراة من المستوطنات الإنسانية الكبيرة قبل الإسلام وبعده . وفي هذه الديار الكثير من التاريخ الأثري الذي يحتاج إلى تنقيب وجمع ودراسة وتحقيق . ومازال هذا الميدان ضعيفاً ـ بل متأخراً جداً في بلداننا العربية وبخاصة جنوب شبه الجزيرة العربية[4].

---

(١) ذكرت عند كل دراسة اسم الباحث الذي قام بإعدادها ، مع تدوين نبذة مختصرة عن جهوده العلمية ، وإذا سبق الترجمة له في كتاب سابق فإنني أشير إلى سنة الطبع والكتاب الذي احتوى سيرة هذا الباحث ، حتى يطلع القارئ الكريم عليها إذا رغب .

(٢) اعمـل منـذ أربعة عقود في ميدان البحـث والتوثيق لبلدان السـروات وتهامة ، وأؤكد علـى أن هذه الأوطان مازالت تحتاج من جامعاتنا وباحثينا المحليين جهوداً أكبر وأكثر لخدمة تراث وحضـارة إنسـان هذه البلاد منذ العصر الحجري إلى يومنا الحاضر .

(٣) تاريـخ هذه البلاد من العصـر الحجري إلى ظهور الإسـلام مـازال مفقوداً، وإن ظهر شـيء منه فهو قليل ومحدود في زمانه ومكانه ومحتوى مادته .

(٤) قلت ونشـرت هذا القول أكثر من مرة خلال الثلاثين عاماً الماضـية ، ومازلت أنادي بهذا النداء ، أرجو أن

٣- كلما دخلنا عصر التاريخ الإسلامي الوسيط (ق٢ ـ ق١١هـ/٨ ـ ق١٧م) ، فإننا نجد تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة بلاد السراة وتهامة من جازان ونجران إلى الطائف وجنوب مكة المكرمة غير معروف ولا مذكور في المصادر التاريخية المخطوطة والمطبوعة . وهناك من قال إن هذه البلاد ليس لها حضارة ولا تاريخ في تلك القرون ، وهذا كلام غير دقيق ولا صحيح ، لكننا نعذر من أصدر هذه الأقوال ، فالباحث بشكل كبير ومضن لا يجد ما يشفي غليله من المعرفة والحضارة للتهاميين والسرويين من بعد خروج الخلافة الإسلامية من الحجاز حتى بدايات العصر الحديث .وإن كان هناك شذرات قليلة جداً في بعض المصادر التقليدية ، لكنها لا تعطينا صورة شبه تقريبية عن حياة الإنسان وتعايشه مع أرضه[1] .

٤- العصر الحديث ثم المعاصر أفضل من العصور السابقة في العهد الإسلامي أو قبله ، لتوفر مادة علمية جيدة عن تاريخ وتراث وحضارة هذه البلاد . وإلى عصر قريب لا يزيد عن أربعة عقود كانت السروات وتهامة غير مخدومة توثيقيا وتاريخيا ، حتى لو صدر بعض الكتب العربية أو الأجنبية ، لكنها قليلة ومحدودة. والحصول اليوم على مصادر ومراجع لهذه الديار ليس صعبا مقارنة بالعصر الإسلامي الوسيط ، أو التاريخ القديم . فهي موجودة محليا وإقليميا وعالميا . وصار العثور عليها سهلا ، لهذا بدأت الكتب والدراسات والبحوث العلمية الكبيرة تطبع وتنشر بنسبة جيدة وكبيرة منذ بداية هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) [2].

٥- مازال هناك الكثير الكثير من الموضوعات والمجالات الحديثة والمعاصرة المهمة الواجب دراستها والاهتمام بها. وهناك الكم الوافر والهائل من المصادر الأولية غير المدروسة والمنشورة ، والعثور عليها أصبح سهلا حتى لو كانت وثائق حديثة ومعاصرة، أو سجلات ومذكرات ومدونات رسمية ، وهذا ما يجب على طلاب العلم والبحث العلمي ، وعلى الكليات والأقسام الأكاديمية الاهتمام به وتسخيره في ميدان الدراسات والتوثيق التاريخي[3] .

يجد من يترجمه إلى واقع . ولن يتم ذلك إلا بدعم عالٍ جداً يتمثل في قرارات سيادية ، ثم تتولاه مؤسسات علمية أكاديمية قوية ومؤهلة معرفياً وبحثياً .

(١) المتأمل في هيئة إنسان هذه البلاد ولغته وبعض فنونه الحضارية القديمة ، وفي مكونات وموارد الأرض الجغرافية ، والاقتصادية ، والعمرانية والاجتماعية . وكذلك الموقع الجغرافي الذي تحتله في جنوب المملكة العربية السعودية فإنه يتأكد له عراقة هذه البلاد تاريخياً وحضارياً ، وقدم الإنسان الذي استوطنها منذ آلاف السنين قبل الإسلام . أما العصر الإسلامي الوسيط فلم تكن ضمن اهتمامات مدوني التراث الإسلامي، وإذا ذكروها فإشارتهم لها ثانوية وهامشية .

(٢) إن الباحث في فهارس المكتبات الداخلية والخارجية يجد صحة ما أشرت إليه . فهناك مئات الكتب والرسائل العلمية والبحوث والدراسات والتحقيقات التي صدرت عن هذه البلاد خلال الأربعين سنة الماضية . والجامعات المحلية عليها مسؤوليات كبيرة لخدمة البحوث والباحثين في شتى المجالات وبخاصة ماله علاقة بأرض وإنسان هذا الجنوب السعودي القديم والعريق .

(٣) للأسف إن الكليات والأقسام العلمية في جامعاتنا المحلية زادت وتضاعفت ، والدارسون في برامج الدراسات العليا صاروا بالمئات وأحياناً بالآلاف . لكن العمق والجودة البحثية مازالت متأخرة وضعيفة ، وهذا مما يعكس هزال وضعف الكثير من البحوث والرسائل العلمية .

سيرة ذاتية مختصرة



أولا : معلومات عامة



الاسم :غيثان بن علي بن عبدالله بن جــريس الجــبـيري الشــهــري

- مـن مواليـد محافظـة النمـاص بـلاد بنـي شـهـر عـام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقـى تعليمـه الابتدائـي والمتوسط والثانـوي في محافظة النمـاص وحصـل علـى الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهـب إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ودرس درجـة الماجستير في جامعـة أوستن تكسـاس (Austin Texas)، ثم انتقل إلـى جـامعـة إنديانا فـي مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
- ذهـب إلى بريطانيـا وحصـل علـى درجـة الدكتـوراه في التاريـخ الإسلامـي عـام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ -١٩٩٠م)
- عـاد إلى جامعتـه في أبهـا وعمـل في العديـد مـن الأعمـال الإداريـة والأكاديميـة بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

ثانياً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيـس تحريـر مجلة بيـادر الصادرة من نادي أبها الأدبـي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم :

- قدم حوالي (١٣٣) محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقا علمية في أكثر من (٩٣) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣ م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/ محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)
- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/٨/١٨هـ الموافق ٢٠١٩/٤/٢٣م) .
- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/١١/١٩هـ الموافق ٢٠١٩/٧/٢٢م) .
- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٤٤١/١١/١٧هـ الموافق ٢٠٢٠/٧/٨م) ، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة .

رابعاً : النتاج العلمي :

١. ألف ونشر أكثر من (٦٠) كتاباً .
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر حوالي (١٥٢) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(Pre-Islam - 15th H. / 4st - 21st G.)



Volume: 24



Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

King Khalid University

First edition

1443 H /2022

Riyadh : Al Homaidhi Press